مجلة وأسرة وقضية

١-١-١٩٤٢ - ١-١-١٩٨١

بقلم الياس خليل زخريا

* * *

الاربعون

كانهن لمح الثواني في عقارب الزمن على مقاطع الميناء

كانهن الامس ، قبيل الامس ، ها هنا ، في البارحة على فتحات العتبة ومساحب الستائر ،

كانهن حكاية ، بعض حكاية ، من خواطر الذهن في كتاب المعرفة ،

كانهن هدب تتنفس في هدب ، وقطوف تتزاحم في قطوف ،

كانهن ضوء ينصهر في ضوء ، وسحب تنجذب في سحب ،

وريح تلتف على معالم دروبها التفافا تنطلق في سفوحها ومصاعدها انطلاقا ، ثم تهدأ ، ثم تهب هبوبها بين قبضات يديك واطراف اصابعك .

★ ★ ★

وكان ما كان ..

وخرج ذلك المغامر المسافر من قمقم القلق، وارصفة الشوق ، واروقة الاغتراب ، الى محطة المواسم والعزائم وفصول الملاحم ،

وولدت « الاديب » هذه الاعجوبة « الاديب » .

(١ - ١ - ١٩٤٢)

وجسدها صاحبها على الابداع من نفسه في نفسه تجسيدا .

وكون اسمها على اسمه تكوينا عنيدا، ورسم اطارها على الجانبين ، على وقار نظارتيه ووضوح جبينه كما يرسم الجديدان الجديدين ، فلا الليل بليل ولا البياض ببياض ، ولا الورق بورق ، ولا الخط الاحمر على الخط الاسود على نافذة الحكمة ، بخط يجف جفافه ، ويبهت بهته ، ويتغير تغيره او تتحطم فيه زواياه واقواسه والوانه ورموزه ورموز رموزه .

ولا عجب ..

فالقضية عند البير اديب في رؤية القومية هي القضية

والثبات في معركة النضال هو الثبات

والصلاة في كتاب الابتهال هي الصلاة

والحرمان في عفة النفس هو الحرمان

والبخور هو البخور

وباب المعبد هو القنطرة الى عمق الاعماق وبعد الابعاد

فلا اغواء ، ولا اغراء ، ولا تشويق ، ولا ارتهان

الكلمة هي قدسية الكلمة

والطريق هي منهجية الطريق

والرسالة هي انسانية الرسالة

★ ★ ★

وفي الاديب ولدت « اسرة » الاديب

سبعة في الف الف

لا كبرياء ولا ادعاء ولا عنجهية

نقرأ ، ونفكر ، ونتأمل ، ونتبصر، ويعانق القلم القلم ويرنق الجناح في الجناح ،

عقد تشتد في عقد

عرى تتماسك في عرى

وود كانه المسك في جمر المواقد

واستقلالية منيعة حصينة تعطي ولا تجنح ، وتهدي ولا تجرح ، وتعلم ولا تضن ، وتناضل ولا تلين ، وتشق في كل باب من ابواب العقل وفي كل معراج من معاريج الصدور طريقا الى الخصب وبيادر المواسم ، ووطنية الوطن ،

ناكل قبل ان نجوع

نرتوي قبل ان نعطش

نعطي قبل ان تنفد من ضلوعنا بذور الحب وبذور المودة

★ ★ ★

كان البير اديب صاحب المجلة ومنشئها ، ينظم ، ويقرر ، وينسق، ويؤنق ، ويفتح باب الصفحات على سواد الحروف ،

كل كلمة لها في عينه عين

وكل خط له في قلمه سحبة خط

قلبه على رقة قلبه

ونثره في بلاغة نثره

يملك في مملكته على سلطان التفرد تاجه وصولجانه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو المتون والهوامش وعنوان العناوين ، ونقطة البداية في نقطة النهاية ،

ونحبه كما هو ، ونطرب فيه على عذوبة عذوبته المصرية السودانية الديرانية، وطربوش احمر كالقرميد من الدير الشوفي في قلب الجبل القديم .

اذنه لها اناقة النغم ، وعينه لها دقة التامل ، ونفسه لها رقة السخاء ، ورأيه له مقومات الرأي وشجاعة الاقناع وجراة التصدي ، وحياته سلسلة من فصول الشباب في ريعان الزهو .

وينظم الشعر ، اول من ننظم الشعر الغني في الوزن المطلق ، لم يتقيد بقافية ، ولم يلتزم بوزن ، لم يهرب من اطار اللحن في تناسق الوتر .

واحببناه كما هو ، وقاسمناه عيشه وليله ونهاره .

★ ★ ★

كان عبد الله العلايلي شيخ المشايخ في جبته المعجمية ولفته الازهرية ، ضابط الضوابط على الابداع وسليقة النقد ، وروح العفوية وثورة التحليق والتدقيق، ونزوة من نزوات العبادة ، يكتب في القومية وعلم العلوم واطر المجتمع وخلاصات الدفاتر وقليل من الشعر وقليل قليل من الخواطر في محاسبة الذات .

★ ★ ★

وكان نقولا فياض الشاعر الكاتب الطبيب الخطيب يطل علينا بجبهته البيروتية الارستقراطية ، نازل من جبل الاشرفية الى ساحل سواحل البرج وباب ادريس .

تكريم يزدحم في تكريم ، وتحية تحتشد في تحية ، ثم يجلس فتتبسط ايامه اللبنانية في ذكرياته المصرية ، ويصب كلماته بهدوء وفرح وزهو كانها ذهب في قمقم ذهب وفضة في شفاه فضة واتزان ورصانة .

ثم يتغير به الزمن في اطراف شيخوخته فتميل يمينه على يساره ويحدو حدوه في ثلج الشمال على ستائر المجهول المنتظر .

★ ★ ★

وكان محمد علي الحوماني ، الشاعر الجنوبي المتمرد على جنوبه وشماله ، طرفة الطرائف في حلقات الاسرة ومجالسها الصاخبة .

شعره في اصوليته ورنين موسيقاه ونهجية منطقيته رماح على رؤوس رماح ، وخناجر في رؤوس خناجر ، وديكة تنقر وجوه السياسيين ، تنقر عيونهم تنقيرا ، وغزله المضمخ الملطخ حكايات مواعيد وشهوات حفر واخاديد .

واذكر فيما اذكر كيف ان فتاته ابنته نفسها ضربت له بهاتفها وبالتآمر مع الاسرة تحت سماكة حجابها وامتشاق قدها ومرونة ذكائها موعدا على رصيف حديقة الصنائع للتغازل والمغازلة ، وكيف ان شاعرنا الجليل عاد الينا بعد رفع الحجاب وغبار الخيبة على سدارته البغدادية وجلال عباءته ومرارة نفسه وكيف ان هذه الحكاية خرجت من مزاحتها وظرافتها الى قصة في شعره .

رحم الله الحوماني ما كان احبه الى النفس واغناه .

★ ★ ★

وكان نور الدين بيهم الوكة مخطوطة من اوراق التاريخ من المكتبة اللبنانية الوطنية يكتب بسهولة اسلوبه وعبارته كتابة المتمهل المتراصن ويروي من ذاكرته وتحقيقاته روايات القدماء ولا سيما الاسر البيروتية والامراء وزيارات الملوك وبيوت الوجاهة والنفوذ والزعامات الهاربة من زحمة المتقدمين .

ويتحدث دون مقاطع الاحاديث وقد يبحث في القضية ، وقد يعظ ولكنه لم يكن بالواعظ المرشد ولا بالباحث البحاثة .

كان يرى كل شيء في الحياة هذه المسافة بين المكتبة الوطنية ودار الاديب في باب ادريس وبيته في جبل النار وكنا نسمي جبل النار البسطة الفوقا والبسطة التحتا .

ولعل خير ما اذكر هو ان نور الدين بيهم لم يدخل مرة مجلس اسرة الاديب الا وقد تابط خيرا ، اديبة جديدة حلبية او دمشقية او بغدادية او مخطوطة جديدة او كتابا في التاريخ جديدا او خبرا من اخبار هوامش التاريخ في مدينة التاريخ بيروت .

وكثيرا ما كان نور الدين بيهم في سياسة المجلة العليا جسرا بيننا وبين الزعماء السياسيين ولا سيما زعماء العاصمة .

★ ★ ★

وكان ايضا صلاح الاسير الشاعر الكاتب في احيان كثيرة واحدا من افراد الاسرة ينشر شعره ونثره ويجلس في التهيب وغير التهيب على مصاف الحلقة . قلمه معطاء وان كان مقلا في غزارته واسلوبه ابتداع الحكاية وخلق الرواية والتأنق وزرع الصور وشتات الافكار .

وهو منطبع انطباعه في رمزيته وتخيلاته يفتش هنا وهناك بحرارة المؤمن ودفء الشباب عن شخصيته في الشعر والنثر والمجتمع .

وخرج صلاح الاسير من نفسه على تيارات عصره وضاقت به نفسه فقيل انه اقدم على طعنها بيده ضجرا منها. كما قيل انه قفز الى الموت منتحرا انتحاره .

والادب ، وصناعة الادب ، هما شيء قديم من الانتحار .

★ ★ ★

وكان الياس خليل زخريا ، وكنت انا ، كما كنت ، ولن اتحدث هنا عن كيف كنت .

اربعون عاما وبعض العام وصاحبنا في « الاديب »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما انقطعت به غربة ولا نأت به دار ولا فترت بينه وبين صاحبها ومنشئها حرارة الالفة وصفوة الاخوة وسماحة الايمان ، وقضية القضايا في مقاييس الحق والجمال .

★ ★ ★

ونمت الاسرة في مناخاتها ومواسمها ووفرة غلالها وبسطة نفوذها نمو الروعة ونمو اليقظة ونمو الاستقلال .

وتفرعت الاسرة فروعا تتعالى على فروع ، وقبابا تسمو على قباب ، واقلاما من اطراف المشرق الى اطراف المغرب ، والوانا تزدحم في الوان ، واذواقا تتشابك في اذواق .

خمسمائة قلم وقلم في خمسمائة مجلد ومجلد في الاداب والعلوم والفنون والسياسة والاجتماع .

حصاد قديم وحصاد جديد ونشوء في تفتح عبقرية وتنمية موهبة وانطلاق مكبوت واكتشاف مجهول ومد الاجنحة على الدنيا حيث زهت هذه الابجدية العربية من بطحاء الثلوج الى خطوط الاستواء الى ابعد فأبعد الى كل زاوية من زوايا هؤلاء العرب الذين يضيعون كل يوم من شخصيتهم كنوز الشخصية .

اي قلم عربي ،

اي قلم مستعرب ، لم يطل من « الاديب » اطلالته ولم يغرد تغريده ، ولم ينشد انشاده ، ولم يبحث بحثه ، ولم ينحت نحته ، ولم يستشرق استشراقه ، ولم يغرب غروبه ، ولم يبن في الطموح اسمه على حروف عناوينها وتسلسل فهارسها ، ودفات ميازينها .

ولا غرو فقد نشأت « الاديب » حرة مستقلة على الابداع وفصاحة الابداع يوم لم يكن في الدنيا العربية بعد دولة واحدة حرة مستقلة .

وهي طليعة الطلائع ، ورؤيا المتقدمين ، وحلم المتحررين ، وميدان الحضارة في حضارة الطامحين .

والحرية ما الحرية الا كلمة وقلم .

وان الذين يظنون ان الامة ان الدولة ان الانسان كل الانسان ، تراب وحدود وبعض رصاص على بعض حديد هم الذين يعيشون في ابواب الهيكل على ارصفة الممر .

وبعد ها هي « الاديب » بعد اربعين عاما وقد غاب في الموت من اسرتها من غاب ، وتفرع من فروعها من تفرع ، وامتد من رسالتها من امتد ، وبقي على هموم الشيخوخة من بقي ، تسأل وقد ناءت بها الاربعون على اثقال الاثقال ، وتضحية التضحية ، اين هم ، اين هن ، اولئك الاقلام في اربعين دولة عربية ودولة .

لقد اقتحم صاحبها منشئها وحده ابواب الشيخوخة وهموم العمر وعجز النظر ،

اين هو الرعيل الذي نسلم اليه عصا الراية

اين هي الاقلام التي تحمل التراث الى التراث

والفداء الى ابراج الفداء .

وحذاريك ، حذاريك

لا استنجادا ولا استغاثة ولكنه زجر على قساوة الزجر ، وتأنيب على صلابة التأنيب ، ويقظة على نخوة اليقظة .

ايها القارىء العزيز ان الشيخوخة في العمر هي التمهيد في المداخل الى ابواب الموت هنا في لبنان في الدنيا العربية وفي كل دنيا .

وان عظمة هذه المجلة هي ان تظل انت عظيما في استمرارك .

وبعد ، لقد قرأت امس ان بعض الدول العربية رصدت ملايين الملايين لشراء الاسلحة وصناعة الاسلحة .

اللهم ،

عفوك اللهم ، لقد انفق البر اديب من عمره من حبات عمره اربعين عاما وعاما لتسليح هذه الدول بحراب العقل وسيوف القلوب ودروع الحرية .

اللهم ،

عفوك اللهم ، ان القوة كل القوة ، ان الجمال كل الجمال ، ان القضية كل القضية هي في قلم يكتب وقارىء يقرأ ويتأمل ويحمل في ضميره في خلجات ضميره على شموخ جبهته ومناعة شيخوخته زوايا الارض واعمدة السماء .

الياس خليل زخريا

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

"الأديب" بعيد ميلادها الـ ٤٠

عواطف الحب من شوق وتحنان ... وباقة من جنى روح وريحان
ومن لبانات اوطار تعاودني ... اطيافها بعد ازمان وازمان
تلوح لي في صحاري الذكريات كما ... لاح السراب بصحراء لظمآن
من كل ما يستثير النفس يبحث في ... آفاقها هائمات فوق اجفاني
من ذوب كل ابتساماتي ومن قبلي ... من عاطفاتي ومن اعماق وجداني
ازف احلى التهاني «للاديب» ولي ... بعيد ميلادها اعطاف جذلان
الاربعون تقضت وهي حافلة ... بالمعطيات وكانت خير برهان
بانها رمز اقسى التضحيات ومن ... ثباتها رغم اجحاف وحرمان
اسنى دليل على ان البطولة لا ... بالسيف بل باليراع الهادف الباني
او البطولة في سيف وفي قلم ... هما كما تشتهي العلياء صنوان

سفيرة الادب العالي تمثله ... في الشرق والغرب في قاص وفي دان
احنى عليها وغذاها بمهجته ... بضوء عينيه هذا الراهب العاني
ابو «الهدى» والايادي البيض شاهدة ... على المضي باصرار وايمان
اخي ايوب هذا العصر اكثره ... صبرا لجهدك جهد باذخ الشان
وهبت عمرك لم تبخل بزهرته ... حتى بروض ندي الظل ريان
انت الجواد الذي بالسبق ليس له ... ند فكم جال في ساحات ميدان
تحيي لياليك لا تشكو اواخرها ... بوركت من ساهر للبحث يقظان
فيها نديماك قرطاس ومحبرة ... لا كالمنادم في الليل ابنة الحان
بنات فكرك احلى من تسامره ... هن البدائع من ابداع فنان
وانك القمة المرموق جانبها ... قد جل عن كل اشباه واقران
انت المحيط الذي لا زال غامره ... يجري بفيض هدايات وعرفان
رغم الاعاصير والانواء ثائرة ... على محيطك ، دوما خير ربان
وانت في الشرق من اعلى منائره ... بنوره هدي بحار وسفان
وانت في سفره المجلو منفرد ... عنوان فضل فدم يا خير عنوان
انت الحبيب الذي ما زال يمنحني ... من حبه الجم ما يضفي ويرعاني
رغم الفراق وان طالت مرارته ... كفر اذا كنت انساه وينساني
سقيا لايام بيروت التي افلت ... بعارض من ضروع المزن هتان
متى يعود تلاقينا فاوسعه ... حمدا متى تنجلي بالقرب اشجاني
ما كنت احسب ان الذكريات اذا ... ثارت بقلب المعنّى نهش ثعبان
عيد « الاديب » لنا عيد نسر به ... فاسلم لها ولنا يا فخر لبنان

بغداد : ص.ب ٤٦٧

باقر سماكة

مجلة الأديب في جهادها الصامت



تحية للاخ الحبيب ـ الاستاذ البير اديب

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

يوم ان تسجل للصحافة اللبنانية صفحات مشرقة من الكفاح ، والنزاهة ، والصبر ، والمثابرة ، والعمل الدؤوب والمسيرة المتواصلة ، والبعد عن الصخب والمباهاة والاخذ بيد الناشئين ، وتقدير البارزين ، واحترام العاملين ، في حقول الادب ، والمعرفة ، والانسانية . تأتي مجلة (الاديب) الزاهرة ، في طليعة تلك الصحف والمجلات ، التي يفخر بها تاريخ لبنان الثقافي ، وتعتز بها صفحة الثقافة العربية على الصعيدين المحلي والعالمي .

فما زرت مكتبة تحترم نفسها وقراءها ، الا وجدت (الاديب) بحلتها البيضاء الزاهرة ، وبالوانها الزاهية ، كانها من الوان العلم العربي الخفاق .

ففي لونها الابيض : الصفاء والنقاء والاباء والعزة ، والترفع عن المادة والاستخذاء .

وفي لونها الاحمر : الدماء التي اريقت من شرايين صاحبها ، وهو يعتصر الغذاء الروحي لها ، من دماء قلبه ، ونور نواظره ، ويحوله زيتا لمصباح الفكر ، وضياء المعرفة . لمواصلة (الاديب) واتمام رسالتها ، وسير حركتها . للوصول الى اهدافها السامية ، في الحرية ، والكرامة ، والانسانية ، والعزة القومية ، وتحقيق الذات العربية التي يجب ان تحتل منزلتها في العالمين الشرقي والغربي .

اقول : ما دخلت معهدا محترما ، ولا مكتبة عامرة ، لمؤسسة علمية ، او شخصية ادبية ، الا ووجدت (الاديب) في حلة عرسها النضرة ، وفي ابتسامات صفحاتها المشرقة ، وفي كلمات حكمتها الهادئة ، تبدو على اول صفحة من غلافها ، وفي غلالة جمالها الادبي البديع .

اما اللون الاسود : في قاعدة غلافها فهو مداد المحابر التي اريق حبرها ، في يراع الكلمة الهادفة ، النافعة ، تحت سواد الليل ، وجنح الظلام ، كي يطلع بعده النور البسام الوضاح ..

ترى ما سر جمال (الاديب) ، وما هي قوة عظمة ثباتها واستمرارها ؟

السر يكمن في شخصية مؤسسها ، ومنشئها ، ومحررها ، وصاحبها ، وصديقها المخلص لرسالتها ، الاخ الجليل الشاعر الحر الاستاذ الكريم (البير اديب) الذي له افضال على كل من نشر وساهم في (الاديب) منذ اربعين عاما تزيد او تنقص .

فكم اشهر شعراء كانوا مجهولين ؟!

وكم اخديد ادباء كانوا مغمورين ؟!

وكم شجع كتابا كانوا مبتدئين ؟!

وكم احيا ذكرى اناس كانوا منسيين ؟!

لم يتعرف اليه انسان وفي لاول مرة ـ الا ورجع ـ منه صديقا ، مخلصا ، مقدرا لمكانته واخلاقه ، وطيبة قلبه . وربما شذ عن هذه القاعدة بعض الناكرين الجاحدين ، الذين عناهم الشاعر العربي بقوله :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا

كم ضحى بماله ، وراحته ، ومكتبته ، ومدخراته في سبيل (الاديب) ؟

وكم ارسلها مجانا لاناس كثيرين ، ومشتركين عديدين دون ان يطالبهم يوما بدفع بدل الاشتراك ، او يشير اليه تلميحا او تصريحا ، في مختلف الظروف والاحوال !!

وكم قاسى من اهوال الحرب الثانية ومتطلباتها ، ومن الحرب الاهلية اللبنانية ومآسيها ، دون ان يضع القلم ، او يترك المنزل ، او يهرب من خط النار القريب منه ، او من ميدان معركة الصحافة اللبنانية ـ كما هرب غيره .

وهو لم يبدل مبداه الادبي ، ولم يغير معتقده السياسي ، ولم يساوم على حساب حرية (الاديب)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومنهجها وخطتها ، وما ينشر او يسطر فيها . في حين نرى كل يوم كم مجلة في لبنان او غيره من الاقطار العربية قد غير اصحابها خططها واغلفتها وصورها وموادها لظروف محلية طارئة ، او لسوق موسمية رائجة . وظلت (الاديب) بجميع ما كان قد اعترضها ويعترضها الان ، معتزة بكبريائها ، وابائها ، وشممها ، وقدسية الكلمة والحروف ، التي تنشرها على صفحاتها .

ترى ما هي حصيلة جهاد (الاديب) المادية ، طيلةهذه السنوات ؟

اين هي العمارات والبنايات والارصدة التي يمتلكها مؤسس (الاديب) الاستاذ البير اديب ؟ كما امتلكها غيره خلال سنوات قصيرة ؟

ثم كم هي ثروته اذا قيست بثروة الآخرين ؟

انه لا يملك الا ثروة من العزة ، والكرامة ، والشمم ، والاباء ، والتضحية ، والكرم .

كم من مؤتمرات وندوات عقدت في الوطن العربي ، وغيره من بلاد العالم . فدعي اليها صاحب (الاديب) . ولكنه لم يلب النداء والدعوة ولم يحضرها ، لا لترفع عن حضورها ، ولكنه يعلم ان اكثرها لا طائل تحته ، لكثرة ما يدور فيها من كلام ، ومجاملات ، وحديث ، وقلة ما فيها من جدية ، وعمل ونتائج .

لم يترك داره ومجلته في (بيروت) طيلة اغلب هذه السنوات ، الا لعلاج من مرض ، او زيارة لصديق ، او دعوة لفرح ، او مواساة بمصاب . هو لم يجعل مجلته مصيدة للمال ، او طريقا للجاه ، او واسطة للوظيفة .

فهو قد ملك المال وانفقه في سبيلها .

ولا حاجة له بالجاه لانه يمتلكه .

ولا غرض له بالوظيفة لانه جربها .

فيما راينا غيره من ارباب الصحف والمجلات ، يسارعون لزيارة البلدان ، في مواسمها السياسية والادبية ويحملون معهم دفاتر الاشتراكات ، وقسائم الاعلانات ، والحصول على التبرعات .

وهم يتفاخرون بذلك ، ويريقون ماء وجوههم من اجله.

ان ثروة الاستاذ الكبير (البير اديب) تتلخص فيما عنده من ثمار عالم الفكر والادب والعرفان .

وان ثروة الاستاذ البير اديب بما لديه من اخوة ، واصحاب ، وانصار ، ومحبين ، ومقدرين ، ومعجبين .

وان ثروة الاستاذ البير اديب بما عنده من وثائق ادبية لعشرات الالوف من الرسائل ، لكبار الادباء ، والشخصيات السياسية والعلمية في العالم العربي وخارجه .

وحبذا لو تالفت لجنة من اسرته المحترمة ، ومن اخوانه الغيورين ، لفرزها ، وتنظيمها وتبويبها . وتتولى احدى دور النشر اللبنانية او العالمية اخراجها . وفيها رسائل لكبار الكتاب ، ولاشهر الشعراء ، الذين طوتهم يد المنية ، او الذين ارتقت بهم الحياة الى اعلى مراتب الدولة ، فاصبحوا وزراء وقادة ومسؤولين ؟!

هذه فكرة جالت في خاطري ، وانا اكتب هذه المقالة . ارجو ان تتحقق قريبا . وان يعتني الاستاذ الجليل الاخ البير اديب بجمع ما كتب ، وبضم ما الف وبتنظيم ما تبعثر .

والآن .. ما هو واجب الصحافة العربية في تكريم (الاديب) وصاحبها ، وما هو واجب الاقلام المخلصة ، في الاشادة بجهاد مؤسسها ورئيس تحريرها ؟

وما هو واجب الشعراء في وصف اعمال القائم على شؤونها ، وجهاده المستمر لخدمتها ؟

وما هو واجب وزارات الاعلام والثقافة ، في الوطن العربي نحو تكريمها ومساندتها ؟ انما هي واجبات كثيرة يعرفها من يقدر (الاديب) حق قدره . ويعرفها من رفع (الاديب) من ذكره وشانه . ويعرفها من ساهم الاديب في نشر نتاج قلمه ، واعطاء صورة طيبة عن بلاده . يوم ان كان حامله صغيرا ناشئا ، ووطنه منسيا محاربا .

ويتحسس حالها ، من عرف ان (الاديب) لم يبخل يوما في تقديم ثمرات الادب العربي القديم والمعاصر ، يطبق من غذاء الفكر ، وبسلة من ازاهير النثر والشعر، الى اروقة الجامعات العالمية ، والى نوادي الثقافات العربية ، والى مكتبات الدوائر العلمية ، والى دواوين الحكومات الرسمية .

يقدمها بلا ضجة ولا تفاخر ، ويعطيها بلا مقايضة، كالتي تعطى في حوانيت المتاجر ، او في نوادي السياسة والتآمر .

وهذا شأن (الاديب) منذ سارت هذه الاشواط الطويلة من عمرها المديد . وقد قاربت النصف من القرن وهي قائمة في عالم الحياة الادبية المعاصرة اليوم في لبنان، والعالم العربي ، مرفوعة الهامة ، ذات عزة وكرامة . والعالم العربي ، مرفوعة الهامة ، ذات عشرة وكرامة . لا تزعزعها الاحداث الدامية ، حيث الحروب والقتال ، والاطماع الاستعمارية ، التي تسير بالامة العربية ، نحو التباعد والتباغض والتفرقة والمجافاة ؟!

كم كتبت (الاديب) عن احداث الوطن العربي ، وكم نشرت من دراسات مبتكرة نافعة ، عن حياة رجال الامة العربية في ماضيها البعيد ، وحاضرها القريب !

وكم ربطت بين ابناء العالمين المشرقي والمغربي ؟

وكم حنت بمحبة وتقدير، وتشجيع ومفاخرة، بادب الاخوة الاعزاء من المهجريين العرب . واشادت بآدابهم، ونشرت أشعارهم وقصصهم ، ونقدهم، ونتاجات افكارهم في برقياتها الادبية الطريفة !!

فعرفنا عن طريقها اسماء بعض شعرائهم ، وكتابات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعض كتابهم ، الذين تكن لهم كل تجلة ، واعجاب ، ومحبة ..

وعن طريقها راسلناهم وراسلونا ، واحببناهم واحبونا ، وصادقناهم وصادقونا .

ولم يقتصر الامر عليهم وحدهم ، بل تعداهم الى كل ابناء العروبة من محيطهم الى خليجهم ، ومن جزيرتهم الى سواحل وشواطىء وسهول وجبال بلدانهم .

والى كبار المستشرقين ، واساتذة الجامعات الشرقية والاوروبية .

كل هؤلاء وغيرهم كانت (الاديب) هي الحمامة الزاجلة ، التي ترسل بشائر الخير ، والادب ، واخبار الاحباب والاصحاب ، وجمع شتات المعارف والعلوم ، وهي التي بثت نجوى المحبين ، بقصائد الشعراء المتيمين، وبقصص الرواة والقصاص المتحدثين ، بلغة بعيدة عن المجون ، وباسلوب قريب للنفس ، وطرق الابداع والفنون

كما ان (الاديب) لم تنس مكانة المراة العربية ـ كاتبة ، وشاعرة ، واستاذة وطالبة حيث منحتها حق التعبير الادبي ، في سنين كانت المراة في بعض البلدان العربية ، تخجل من ظلها ، وتخاف من دقات قلبها ، وتخفي ما يجول في مكنونات نفسها ، وما تسطره من خواطر وجدانها .

اما حق (الاديب) علي ، فهو حق لا تؤديه الكلمات القصيرة . ولا الفاظ المجاملات المتداولة ، لانه اخذ بيدي يوم ان كنت بعيدا عن اهلي ووطني .

وامدني بانس المودة ، وروح الصداقة والمحبة ، يوم ان كنت مستوحشا في ديار الغرب النائية .

ويوم ان كنت طالبا للعلم ، قليل المال ، ضعيف البنية ، اذوق من مرارة الصبر ، وكثرة الحرمان ، وعدم التشجيع الشيء الكثير .

ظلت هناك خاطرة ارغب تسجيلها للتاريخ والذكرى هي ان معرفتي (بالاديب) وصاحبها العزيز شخصيا كانت سنة ١٩٤٥ وهي في شقة صغيرة عالية تقع خلف (العدلية) وبالقرب من المعرض وباب ادريس ومن محطة الاذاعة اللبنانية القديمة .

وكان بواسطتها اول معرفتي بالاخ الباحث اللغوي الشيخ عبد الله العلايلي وبالشاعر العربي المعروف عمر ابو ريشة ، وسائر كبار وصغار الادباء والكتاب والشعراء والصحافيين اللبنانيين ، والعرب الوافدين ، الذين كانوا يتقاطرون لزيارة (الاديب) الزاهرة ، وصاحبها المحترم . فله الان تحية اجلال ، من محب قريب بعيد ، ومن مخلص ذاكر مقدر .

والى قراء (الاديب) ومحبيه ، وكتابه ، وشعرائه ، في كل بقعة من بقاع العالم ، وتحت كل نجم من نجوم الدنيا . ابعث باصدق الامنيات ، وباعطر التحيات ، بمناسبة مرور اربعين عاما لصدور (الاديب) الغراء .

مع الشكر للاستاذ الشاعر الاخ الصحافي محمد جواد الفبان الذي لولا كلمته الاخيرة في (بريد الاديب) ودعوته لتكريم مؤسسها المجاهد ، لما تحرك هذا القلم الصغير ، ليخط الكلمات المتواضعة ، ويقدمها تحية اكبار لمنشئها الكبير .

وكاني اراه يردد مع الشاعر (الكندي) قوله :

وان الذي بيني وبين بني ابي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
اذا اكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

او كاني أراه يشير الى الزغاليل الذين طاروا عن سماء (الاديب) وتنكروا لمعروفه وفضله ، ويقول مع الشاعر القديم :

اعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

بغداد ـ كلية الاداب — محسن جمال الدين

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجلة الأديب

الى الشاعر البير اديب في عـــام « الاديب » الاربعين

أاصفيـك الوداد ، وانـت اصفى ... وازجيك الوفاء ، وانـت اوفى
وهذي الاربعـون ، كتـاب مجـد ... غزلـت سطوره حرفـا فحرفـا
الم نـك في ظلالك ، منـذ كنـا ... ازاهيرا تضـوع شذا وعرفـا
تنمنم باقـة ، فتقيم دنيـا ... على الدنيا ، من الشهـد المصفى

سرينا ، و « الاديب » منار هدي ... وليس لنـا جناح ، بعد ، رفـا
فما ضاقت ذراك ببـوح زغـب ... وضاء لديـك ومض كاد يطفـا
هنا ، في ظلـك الحاني ، ربينـا ... هنا رويتنـا حبـا وعطفـا
هنـا انطلق الشراع ، فكل يـم ... نذلـل عصفـه ادبـا ولطفـا
هنا فتحـت برعمـة النجـاوى ... ومـا كتمتهـا عنتـا وعسفـا
هنا كوكبتنـا ، فانـداح فكـر ... يحـاذر هجنـة ، ويمج زيفـا
يدل على الشموخ ، يغض طرفـا ... اليس الاقحـوان يغض طرفـا
الا ، يا ناهضـا بالشعر « طلقا » ... اليك تحيـتي ، شعرا مقـفى
نوفي الشعـر ، مختلفـين حقـا ... وحـق الشعر اولى ان يـوفى
نوفي الشعـر قافيـة ، ووزنـا ... وتسكينـا ، وتحريكـا ، ووقفـا
نوفي الشعـر ، مضمونـا نديـا ... وننكـره اذا اقـوى وجفـا
نوفي الشعر ، دنيا من نجـاوى ... عواطـر تنكر النظم المسفـا

حرصت على الاصالة حرص حـر ... اذا ائتلق التـراث يهـز عطفـا
ولم تـدع الحداثـة لانفـلات ... فصنـت حدودهـا جودا وزلفى
فلا تعبـا بما اجتـراوا علينـا ... افاعي جونـة ، رقطـاء ، جوفـا
تلم عصـا اذا مـرت بـواد ... وتقذفها بوجه الشعـر قذفـا
تقلـد كل راطنـة بحـرف ... وتنعى ، بعدها ، نحـوا وصرفـا
وتغرق في الاحـاجي مبهمـات ... بعقـل خف وزنـا واستخفـا
اضاعت نصفه في عقـد لغـز ... وفي رسـم الطلول تضيـع نصفا

سالتك ، لا تلمهم ان يضلـوا ... عن النهـج الذي وفيت وصفـا
امـا عودتنـا شدوا وشجـوا ... امـا جنبتنـا هذرا وسخفـا
اما انميتنـا قلبـا جسـورا ... ووجها باسلا ، ويـدا ، وانفـا
وهـذي الاربعـون الزهـر شفت ... عن الخلق الرضي ، وقـد تخفى
الست ترى الاغاريـد اطمانـت ... وكانت تستظـل بشبـه منـفى
اتيتـك ، عـدتي قـلم وقلـب ... همـا بحنانـك الابـوي حفـا
فان اصف الوداد ، فانـت اصفى ... وان ازج الوفـاء فانـت اوفى

فوزي عطوي



ايليا حليم حنا

مع "الأديب" في مسيرته

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

« الاديب » تجربة رائدة ، لها بصماتها وطابعها الخاص .. و(الاديب) ليست ورقا وحبرا لكنها كائن حي ذو ذاتية وروح واسلوب . انها اكثر المجلات الادبية هيبة ووزنا .. لها تقاليدها الطويلة في اتزان الكلمة واصالتها . تطلع علينا منذ بزغ نورها وقورة رصينة في كل ما تكتبه ، وحتى في غلافها الثابت الذي لم يتغير منذ ان صدرت والذي يميزها من بين العديد من المجلات الاخرى .

صدرت « الاديب » في اول يناير ١٩٤٢ تجمع بين نظافة الكلمة وجمال الاخراج، تهتم بالصورة والرسومات العديدة التي تزين صفحاتها .. وظلت اعداد الاديب تجمع بين الكلمة المطبوعة والصورة الفنية والكاريكاتير ، ثم تخلت الصورة للكلمة عن مكانها . واكتفت بنشر صور كتابها مع ما ينشر لهم .

والاديب منذ ان صدر عددها الاول جادة في كل ما تقدمه ، تحمل الاصالة والثقافة الرفيعة ، تعلي من شان القيم الانسانية ، تتناول الفكر العربي في كل مجالاته، تتناول القديم والمعاصر منه وتجعل الموروث القديم حديثا، ولا تغفل المفاهيم والافكار المعاصرة . لها موقفها في كل القضايا الادبية التي تشغل اذهان المهتمين بالادب والفن والشعر والقصة والنقد ..

انها تمضي في رسالتها في هدوء دون صخب او شطط او اثارة .. انها مدرسة جادة تخدم الفكر وتؤمن بالانسان وتجند نفسها لتقديم الزاد الذي يثري العقل والوجدان .. وهي ـ كما يرى القارىء المتتبع سيرها منذ ولادتها ـ تحترم قارئها وتقدم له الثراء الفكري التقدمي الرصين البعيد عن الشطحات ، تعمل على رفع مستوى عقليته والتسامي بها . تعين قراءها على ان يروا رؤية جديدة للواقع وان يسعوا وراء ثقافة افضل وفكر ارقى ، تهتم بالتكوين الذوقي واللغوي لقرائها ، تلتمس العربية الاصيلة في كل تراث العصر وتلتزم بالعربية في انقى حسها ، واصفى ذوقها واعلى بيانها . تستجيب للتطور على اتصال بواقعنا .. تؤمن في كل ما تكتبه ان يكون الادب في خدمة الحياة وسعيا الى عالم افضل ورؤية اوضح وتفكير انضج . تعالج قضايا العصر العلمية والفكرية ، وتستشرف لما يحلق فيه من آفاق فنية ، لا ترفض الاستجابة للتطور ولا تنكر الجديد .

تسعة وثلاثون عاما من الوضوح الفكري ، والرؤية الصادقة .. ومجلدات الاديب سجل حافل بالقضايا الادبية والفكرية وكل فنون الثقافة ، وهي اوثق وأوفى مرجع لمن يريد ان يؤرخ للادب والادباء في عصرنا .. انها مرجع قيم لكل الباحثين في مجالات الادب والشعر والفن والقصة والسيرة والنقد والتراث ، انها موسوعة عربية تطرقت لاكثر الموضوعات اهمية وعمقا واصالة وجدية ، لاحدث الاهتمامات الثقافية والفكرية .

ويميز (الاديب) عن معظم المجلات الادبية التي تصدر في العالم العربي أن صفحاتها مفتوحة لكل الادباء العرب في جميع الارجاء العربية، ولهذا فانها اكثر المجلات العربية تناولا للفكر العربي ولحياة ادباء العرب والتعريف بهم وبالجوانب المجهولة من حياتهم وانتاجهم.. على صفحاتها يتأصل وينتشر الفكر العربي وامجد ما في تراثنا واحدث اهتماماتنا .. على صفحاتها لمع كثير من الاسماء التي نعتز ونفخر بها في الادب والشعر والقصة والسيرة ..

وصاحب الاديب لا يقف من الادباء الناشئين موقف الكثير من شيوخ الادب واصحاب المجلات الادبية الذين يحجمون عن اشراك الناشئين ـ حتى الموهوبين منهم ـ في التحرير لايمانهم بأن الكاتب المشهور يشد الجمهور ويرفع من توزيع المجلة . كم من اقلام ووجهت بالانكار والاهدار والاستكبار !

صاحب الاديب يؤمن ان الشباب هو جسر الحاضر الى المستقبل ، يرى انه من واجب جيل الكهول ان يقدم جيلا جديدا من الادباء ، لذا فهو ينتقي البذور الصالحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من المواهب الجديدة ولا مانع عنده ان يضع انتاج شاب موهوب مغمور بين اللوامع الذين يكتبون في مجلته ، لايهمه ان يكون الاسم معروفا مرموقا ، لكي يشق الاديب الناشيء طريقه على صفحات (الاديب) لا يحتاج الى واسطة ولا الى صداقة ولا الى سمعة قديمة .. انه ييسر السبل امام المواهب ولا يضع العراقيل امام موهبة جديدة .. يمنح الدماء الجديدة تشجيعه ، ويرعى خطواتهم ويفتح لهم صدره ، فيزداد اخلاصهم واجادتهم ويجندون انفسهم لخدمة قضايا الادب والفكر .

(والاديب) جامعة متكاملة فريدة في طابعها وهدفها، كل عنصر من عناصر مادتها وتبويبها جعلها بحق مجلة المثقفين العرب من الخليج الى المحيط والمهجر ، فهي فضلا عن انها تقدم انتاج الادباء والشعراء من كل الوطن العربي تهتم بأخبار رجال الفكر والادب والثقافة وما يجري في حياتهم ، وتربط القراء بالكتاب ، والادباء بعضهم ببعض ، وتنشر كل ما يجب ان يقف عليه المثقفون في كل ضروب الثقافة والادب والفن .

ففي (بريد الاديب) يتصل الادباء والقراء ببعضهم البعض اتصالا وديا وفكريا ؛ يتبادلون الرسائل التي تنقل المشاعر وتتناول اصداء المشاكل الاساسية في الحياة والادب والنقد . فيه يتعارفون ويتفاهمون وينتقدون ويتصادقون وتقوى الصلة بين الاصدقاء ويكونون على اتصال مستمر في الشرق العربي والمهجر .

واستكمالا لتقوية الروابط واستمرارها بين مثقفي الامة العربية وكتابها وشعرائها ، تتناول (البرقيات الادبية) انتاج وتحركات الادباء والشعراء ورجال الفكر تعرف بنشاطهم واخبارهم واهتماماتهم واسفارهم وما يؤلفونه من كتب ويلقونه من محاضرات وكل ما يعتري حياتهم .. وتلقي هذه البرقيات اهتماما خاصا من الادباء والاصدقاء والقراء .

وتتم حلقة الاتصال الثقافي بما يصل الى (الاديب) من مؤلفات يبعث بها اصدقاؤها من الادباء والشعراء وغيرهم وتظهر في باب (ظهر حديثا) وهذا الباب يعتبر نشرة شهرية تعرف القارىء بأحدث ما ظهر في عالم الادب والفن والثقافة .. هذا بالاضافة الى (مكتبة الاديب) وفيها يتناول الادباء احدث المؤلفات بالشرح والنقد والتحليل .

وقد اتبعت (الاديب) منذ نشأتها امثل الاساليب واكثرها جدوى لفتح كل منافذ الثقافة والفكر والاتصال لقرائها ، وجعلهم اسرة واحدة تلتقي على صفحاتها ... لهذا احبها قراؤها وارتبطوا بها واصبح لها شأن ومقام عزيز في الحياة الفكرية والتراث القومي والانساني .

(والاديب) ـ بحق ـ تجربة رائدة في عالم الثقافة الهادفة ، يحركها هدف واضح واسلوب عمل موضوعي وتفكير ناضج مستمد من اصالة صاحبها وادمانه للادب الرفيع والثقافة الهادفة الجادة ، واحترامه لقارئه . ان اختياره مادة الاديب يدل على اتجاهه الرصين وحسه الادبي العالي وسعة ثقافته واصالته وشاعريته .. انه العنصر الاساسي والخلية الحية التي ينمو فيها (الاديب) وهو الدينامو الذي يحرك هذا العمل المتكامل الناجح ويقوم به وحده . انه يعمل بدون راحة ، لا يفكر في نفسه ولا يحفل بجهده ولا بقوته ، لا يرحم شيخوخته وضعف بصره .. يضع قلبه وضميره في العمل الذي يتعبد في محرابه .. يقبع وراء مكتبه يفرز بريده اليومي ، يقيم ما يقرأه من موضوعات ومقالات واشعار وابحاث وقصص . يحكم على العناوين ويرى اذا كانت متفقة مع المضمون او مغايرة له .. كم ساعة يقضيها في قراءة البريد اليومي .. كم ساعة يقضيها في قراءة المواد التي يعدها للنشر .. كم ساعة يقضيها في تصحيح اصول المقالات وتوضيب الصفحات واختيار المكان المناسب لكل مادة .. كم ساعة يقضيها في قراءة الصيغ النهاية وتأخذ (الاديب) شكلها النهائي ؟

كم ساعة يقضيها في استقبال زواره وقرائه واصدقائه وغيرهم .. كم ساعة يقضيها في قراءة اخر الانباء التي ترد بالصحف والمجلات وبريد الاصدقاء والمصادر المختلفة التي يستقي منها (برقياته الادبية) .. كم ساعة يقضيها في قراءة الصيغ النهائية وتأخذ (الاديب) البريد ..!؟ يا له من عمل مستمر مضن يقوم به شيخنا المكافح المثابر وحده دون مساعد ، فهو رئيس التحرير وسكرتير التحرير والمراجع وهو الاداري وهو الفني .. انه يقوم بكل هذا وحده لانه ليس له من الموارد ما يمكنه ان يوظف كل هؤلاء ، ولا تدعمه اية هيئة .. انه يضني نفسه ويجهدها ويقسرها على عمل فوق طاقة شيخوخته، وبصره الخافت ، ليسير الاديب ولا يتوقف ، ويزيد من متاعبه انه يواجه كل الاعباء المالية ايضا وحده . انه يصارع كل ظروفه الصحية والمادية ليستمر (الاديب).. باع انفس ما كان يمتلك من تحف تذكارية ، وباع مكتبته بثمن زهيد ، ويستميت في المصارعة بما تبقى له من قوة واهنة وبصر ضعيف ليواصل الاديب مسيرته . وتصدر الاديب منتظمة كل شهر دون تخلف او توقف حتى اضطرتها المحنة الدامية الى الاحتجاب عشرة اشهر (فقد هددت القذائف حياة منشئها واتت النيران على اقسام كبيرة من مكاتبها ..) ويخرج صاحب الاديب من بين ركام الاحداث وبيده (اديبه) يقدمه للناس حاملا رسالته ، وتتكرر الاحداث الدامية ، وتحتجب الاديب ثم تعود ، ويصدر صاحبها العدد (يناير ـ ديسمبر ١٩٧٦) حتى لا يحدث فجوة في تسلسل اعدادها .. حتى المحنة القاسية لم توقف الرجل الكبير او تقهره على التخلي عن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عمله العظيم .. لا الازمات المالية المتتالية ، ولا الشيخوخة وامراضها ، ولا ضعف البصر ، ولا حتى المحنة المدمرة استطاعت ان تسكت صوت (الاديب) . ان استمرار (الاديب) رغم كل الظروف القاسية التي تعترض مسيرته لهو خير دليل على صلابة معدن صاحبه وحبه لرسالته الى درجة التفاني والتضحية بغير حدود .

انها اعجوبة حقا ان يستمر الاديب وتختفي مجلات ادبية عديدة ظهرت معه ، ظروفها افضل بكثير من ظروف الاديب ، يسندها المال الوفير .. ومن رايي رجال الصحافة اليوم انه لا يكفي ان تكون للصحيفة رسالة دون ان يسند هذه الرسالة عنصر مادي قوي يعينها على المنافسة والاستمرار .. انها اعجوبة حقا ان يستمر (الاديب) دون مال يسنده وقد اختفت من حوله مجلات تسندها حكومات وهيئات .. انها اعجوبة حقا .. ولكن لهذه الاعجوبة سرها .. ان شخصا آخر غير البير اديب ما كان ليقبل ان يستمر في اصدار مجلته وهي تجلب له كل هذا العناء وتضعه في ازمات متتالية ، ما كان اغناه عنها ، ولكن ادمانه للادب والثقافة ومسؤوليته تجاه قرائه التي لم يقصره عليها احد ولا يجني من وراء تحملها مالا يغنيه، وايمانه العميق برسالته ، جعلته لا يحفل بالاشواك التي يمشي فوقها ولا يعبأ بوعورة الطريق .

ان (البير اديب) لا يعرف لحياته مذاقا احلى من الحرمان ما دام هذا هو سبيل بقاء الاديب واستمراره ! انه كيانه الذي لا يرى له كيانا غيره .. انه ميله الذي ضحى من اجله بكل ما يجلب له الثراء والراحة والمتعة التي يعرفها الناس جميعا .. وتاريخ استاذنا البير اديب يرينا مدى تعلقه بالصحافة والادب .. اشتغل في صدر شبابه بالصحافة في مصر ثم سافر الى لبنان واسهم في تحرير عدة صحف . وحاول ان يسلك طريقا آخر ، فأسس محطة الاذاعة وتولى ادارتها وتركها ، ونزل الى ميدان السياسة وهجرها . لم يستطع ان يتخلص من ميله الاصيل الذي كان يشده ويبعده عن كل ما عداه .. الصحافة والادب جزء من كيانه بل هي كل كيانه ، استأثرت به فانشأ (الاديب) .. وكان في خطته ان ينشىء دارا كبرى يصدر عنها الاديب ومجلة اسبوعية وجريدة يومية ومؤلفات فكرية ، ولكن ازمة الورق ابان الحرب العالمية الثانية ، اصابته بخسائر فادحة اوقعته في ازمات مالية اوصلته الى ما هو عليه من وضع مادي لم يحاول اطلاقا الخروج منه باتخاذ مسار آخر يحل له ازماته ويوفر له الراحة ... انه هو الذي اختار هذا الطريق طريق ميله وموهبته وترك كل الطرق التي تجلب له الثراء وراحة البال .. وما كان اكثرها .

تسعة وثلاثون عاما (والاديب) يناهض ويقاوم ، يواجه الصعوبات والصدمات ويخرج منها لا يضيع من اقدامه الطريق .

بقي (الاديب) واختفت مجلات عديدة اخرى كان لها مواردها الضخمة تنفق منها على التحرير والادارة .. بقي الاديب بأصالته وبقيمته ودوره الفعال في عالم الادب والثقافة .. لولا اصالة الاديب وجدواه لما تركت الايام له اثرا وهو يسير وسط كل هذه الاختناقات !

لهذا كان للاديب وصاحبه معجبون ومقدرون في جميع انحاء الوطن العربي والمهجر .. ولا تمر مناسبة دون ان يعبر هؤلاء عن اعجابهم وتقديرهم للرجل الذي يختفي وراء الاديب ويفنى فيه . ولقد حرص الكثيرون من رجال الادب والفكر ومحبي الثقافة الرفيعة ان يكرموا عميد الصحافة الادبية (البير اديب) في ديسمبر ١٩٦٩ في العيد الفضي لمجلته .. كرموا (البير اديب) الاديب الانسان والشاعر ومنشىء الاديب .. (كرموه على عطائه الكبير واخلاصه ونفسه الطويل وقدرته على الاستمرار) .. ثم قلدوه وسام الارز من درجة فارس اعترافا بما اداه للبنان وللغة العربية .. وقد اجمع المسؤولون ورجال الادب والفكر على عظمة (البير اديب) وايدوا وباركوا كفاحه . وانطلق الشعراء والخطباء ينوهون بما اسدى للادب تحت وطأة ظروفه القاسية .

جميل هذا التكريم الادبي لرائد الصحافة الادبية .. انه جدير بكل تكريم وتبجيل ، فله فضل اثراء الحركة الثقافية وتعميق الوعي الثقافي الهادف في العالم العربي اكثر من اربعين عاما .. ولكننا نأمل ان يكون تكريم رائدنا الكبير ـ بمناسبة دخول مجلته عامها الاربعين ـ تكريما يرفع بعض العبء عن كاهله ويبقي على مسيرة (الاديب) يعطي ولا يتوقف عن العطاء .. ان بقاء (الاديب) بالجهود الفردية والموارد المالية الضئيلة يدل دلالة واضحة على اهميته ودوره العظيم الذي يقدره المثقفون في العالم العربي . لهذا يجب ان يبقى (الاديب) ويستمر في اداء رسالته يخدم الثقافة الرفيعة ولا يتوقف .. لقد حان الوقت لقيام محبي الثقافة الجادة والمسؤولين عنها في الوطن العربي ان يؤدوا واجبهم نحو (الاديب) حتى لا يتوقف عن العطاء .. لا يكفي ان يكون التكريم كلاما حلوا .. فالتدعيم يجب ان يسبق الكلمات الحلوة او يجيء معها . وقد اعجبني اقتراح قدمه استاذنا (محمد العدناني) يقول فيه (لماذا لا يفتح صندوق تموله دول النفط العربية .. لينفق منه على اصحاب المجلات الادبية والعلمية وعلى طباعة مئات الدواوين والكتب الادبية والتاريخية والعلمية الرائعة والقابعة مخطوطة في زوايا الاهمال والجحود لانها لم تجد من ينشرها ..؟) .

وهناك اقتراح آخر خاص (بالاديب) قدمه الشاعر الاستاذ فوزي عطوي قال فيه (نحن نقترح على الدولة

هبني الصبر

بليت بهم ، لا يضارعـــه هـــم ... واوشك ان يقضي على مهجتي الغم
ملأت كؤوسي بالزلال ، وعندمـا ... رشفت، سرى في كل اعضائي السم
وابني ، فياتيني الزمـان وكفـه ... لها معـول جوعان اقواتـه الهدم
وابسم للدنيـا ، واصبو لوصلها ... ولكن وجه الحظ مكتئب جهـم
واسعى الى قنص المنى، وهي جمة ... فيقعدني عن قنص احلامي السقم
والبس ثوب الفال ابيضا سابغـا ... فيخلعه بالرغم من انفي الشـــؤم
واشهـر عزمي للقضاء على الاسى ... فلا انثني الا وقـد خانني العـزم
وبغلبني دهري ، فاعنـو لحكمـه ... وان كان فعلي ليس ينقصه الحزم
فيارب! هبني الصبر وامدد يدالرضى ... فدمع وحيد الصدر زاخرة يـــم
ولم تبق لي ام تجـــير ، ولا اب ... وما كان لي خـال يدافع او عـم
فوحـدك يارب السماوات ملجئي ... فكـم مرة قد نالني عطفك الجـم
اقل عثرتي ، واطرد نوائبي التي ... يصيب فـؤادي كل يوم لها سهم

محمد العدناني

ان تتبنى (الاديب) وا نتكرم صاحبـها بتحويلهـــا الى مؤسسـة ، والا ، فاقل الايمان ، ان يشارك الادبـــاء اللبنانيون والعرب ، في تحويل (الاديب) الى مؤســـسـة تكفل استمرار المجلة وتكريم صاحبها الذي اعطى ومـــا يزال يعطي الادب ذوب الفؤاد وحشاشة النفس) .

بكل الحب والتقدير والاكبار نستقبل مع مجلتنـا (الاديب) عامها الاربعين ، راجين لرائدنا عميد الصحافة الادبية ، استاذنا (البير اديب) العمر الطويل وموفور الصحة والعافية حتى يتابع الشوط الى مداه ، محيين فيه اصراره العنيد على المضي في رسالته ، مقدرين ما للاديب من اثر بالغ في الثراء الفكري ، راجين ان يظل (الاديب) منهلا للثقافة العربية الصافية الصادقة .

ان احتفالنا باربعين عاما من حياة (الاديب) هو في الحقيقة احتفال بالمعاني الاصيلة التي يمثلها صمـــود (البير اديب) .. نحييه من كل قلوبنا ونحن نضيء معه شمعة العام الجديد لمجلته الرصينة التي نذر لها حياتـه واوقفها عليها . متمنين ان يضيء شموعا اخرى عديدة في حياتها الطويلة المديدة .

القاهرة — **ايليا حليم حنا**



الدكتور محمد رجب البيومى

من تواضع الراسخين

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

من منا لا يذكر عالم النحاة ابن مالك ؟ لقد رزقه الله حظوة مثمرة في التأليف اذ ذاعت مصنفاته في الشرق والغرب ، وتعددت آراؤه في المعضلات ، ودار حولها الشرح والتأويل والتحليل ، وقد درسنا في الازهر على عهد الطلب شروح ابن عقيل وابن هشام والاشموني على الفيته مصحوبة بحواشي الخضري والازهري والصبان فأخذ منا الرجل في ميدان النحو جهدا لم ينله سواه ثم تابعنا بعد الدراسة مؤلفاته الاخرى فعرفنا أن ابن مالك رحمه الله علم الاعلام في بابه وقد قيل انه قرن بسيبويه في مقامه العلمي ، ولسنا بصدد الموازنة العلمية بين امام وامام ، ولكننا ننقل ذلك لنصور مكانة الرجل في نفوس الدارسين .

واذا كان من القراء غير المتخصصين من لا يعرف تاريخ هذا العلامة الضليع فاننا نوجز الحديث عنه حين نذكر انه ولد في مدينة جيان بالاندلس سنة ستمائة للهجرة ودرس علومه الاولية حيث ولد فألم بالنحو والقراءة والفقه ثم توجه الى الشرق فكانت دمشق وجهته الاولى بها لقي اعلام العصر وتوسع في الرحلة فزار مدينة حلب وحظي بالاستماع الى اكابر رجال الشام من امثال ابن الحاجب والسخاوي الاكبر وابن يعيش ، هذا الى تقوى وزهد وكثرة عبادة حتى قال مؤرخوه انه ما كان يرى الا مصليا او قارئا او مصنفا ، واذا كان النحو مجال شهرته بين الناس . فان الحديث النبوي ومتن اللغة وعلم القراءات كانت تحظى بتفوقه البارع في ميادينها ، وقد ألف فيها مؤلفات طيبة نرجع اليها الان في ثقة واطمئنان .

وهذا مما يؤكد ان علوم الشريعة وعلوم العربية تتلاقيان وتترادفان وان ائمة السالفين قد عرف من بينهم من يتكلم في التشريع وفي اللغة وكأنهما فن واحد لا يختلف ، وقد رأينا الان في هذا العصر من تضلع في العلوم اللسانية تضلعه في العلوم الشرعية حتى لتحار اين تذهب به مرجحا كفة على كفة . ومن هؤلاء استاذنا الاكبر محمد الخضر حسين رضي الله عنه اذ كان يناقش معضلات اللغة والنحو والادب كما يناقش معضلات الفقه والاصول والتوحيد بشموخ يرتفع عاليا في الميدانين دون ان تقصر مئذنة عن مئذنة في سموقها الناهض وارتفاعها البعيد .

قال الشهاب محمود ، جلس ابن مالك يوما وذكر ما انفرد به صاحب المحكم عن الازهري في اللغة غيبا ، من صدره دون رجوع الى اوراق ، واذا كانت اجزاء المحكم كثيرة كأجزاء التهذيب فان الذي يذكر غيبا (دون الرجوع الى اوراق مدونة) ما بينهما من الاختلاف في تفسير الالفاظ اللغوية لا بد ان درس الكتابين دراسة حافظة على سعتهما المحيطة ، وهذا عسير كما يقول الشهاب واذا كان ذلك بعض تضلعه في اللغة وحدها فكيف بسائر العلوم .

اما النحو فيكفي للدلالة على بعد همته في تحصيله انه كان على تواضعه الجم يستصغر الزمخشري في مضمار النحو اذ يقول عن تلميذه ابن الحاجب لقد اخذ النحو عن الزمخشري صاحب المفصل وهو نحوي صغير ! وهذا تحديد كاشف لا تجريح منتقص ، لان الزمخشري وقد كان اماما في اللغة والبلاغة والتفسير لم يكن لدى امثال ابن مالك من ائمة النحو ، وتلميذه حينئذ يدور في فلكه واحرى به ان يطير الى سواه .

واذا اشتهرت من مؤلفاته «الالفية» فقد تلاها في الشهرة كتاب « التسهيل » وله عدة شروح من بينها ، شرح المصنف نفسه ، وقد اكمله ولده بدر الدين وله شروح أخرى لمسائل النحو وكتب في اللغة والحديث ، ومنظومات في الصرف والقراءات ، وكتب الفهارس تسجل آثار الرجل بما يقنع الباحث ، ولسنا بصدد التعريف بها ولكننا نشير اليها لتدل على امامته الجهيرة ، وقد ظل يدرس مؤلفاته لاعيان العلماء من رجال عصره اذ كانوا مع شهرتهم الذائعة ومؤلفاتهم البارعة تلاميذ في حضرته يؤمون حلقته ، في المسجد الاموي بدمشق ، ليقطفوا ثمار فضله ، ومنهم ولده بدر الدين ، الذي كان يخالفه في حلقة الدرس ، وفيما كتب من مؤلفاته اذا عن له ما يتسع للمخالفة من المسائل ، فلا ترى من والده الا كل تشجيع،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا ديدن الاستاذ المثالي الذي يجعل صدره فسيح الجنبات لمخالفيه وان كانوا دونه في النظر والتعليل ! كما ان من تلاميذه الكبار بدر الدين بن جماعة قاضي القضاة وبهاء الدين بن النحاس مفسر عصره ، وابا زكريا النووي الفقيه الكبير ، وابا الحسن اليونيني المحدث الشهير ، ولديه نقف ، فما كتبنا هذا الفصل الا لنصور جميل الصحبة ونبيل العلاقة بين التلميذ والاستاذ ، وكيف ضرب كلاهما المثل العالي للدارسين من رجال العلم جيلا بعد جيل .

كان ابو الحسن اليونيني نجلا لشيخ الاسلام الحافظ المحدث تقي الدين محمد بن احمد بن عبد الله ابن عيسى اليونيني ، فهو اذن من بيت علم وفضل ، ابوه شيخ العلماء وحافظ المحدثين ، وقد قيل في تاريخه عنه « لم ير في زمانه مثله ، كان الملك الناصر يهرع الى زيارته ويتادب معه وله اختصاص جاد بالحديث النبوي يحفظ متونه واسانيده ويناقش علله ومعاضله ، وقد نشأ ولده ابو الحسن علي بن محمد اليونيني على نهجه فكان اتجاهه الاول الى الحديث ، وقد نقل ابن العماد في شذرات الذهب انه صار شيخا جليلا حسن الوجه بهي المنظر ، له سمت حسن وعليه سكينة ولديه فضل كبير فصيح العبارة حسن الكلام ، له قبول من الناس وكان ممن سعدوا بدروس ابن مالك ، اخذ عنه النحو واللغة وعد من كبار تلاميذه ثم تخصص في الحديث بعد ان ورد حياض استاذه وقطف من الحلو جناه .

كان ابن مالك رضي الله عنه من علماء العربية الذين يرون صحة الاستشهاد بالحديث النبوي لغويا ونحويا على حين ذهبت الكثرة من هؤلاء الافاضل الى ان الحديث النبوي قد روي بالمعنى فلا يصح الاستشهاد به اذ لا نقطع تمام القطع ان افصح البلغاء عليه السلام قد نطق بألفاظه ، ولهم في هذا المجال صيال ونقاش اذكر اني قد بسطت الحديث عنه في بعض ما كتبت من قبل ، وقد انتهيت الى ما رأى ابن مالك واضرابه من صحة الاستشهاد بالحديث النبوي لغويا ونحويا ، واظهر ما يقال في تأييد ذلك ان صح ان الراوي قد تصرف في اللفظ مكتفيا بالمعنى ، فهو صحابي او تابعي عربي فصيح ممن يستشهد بقوله ، واني لاعجب كل العجب كيف نستشهد بكلمة نثرية عابرة يقولها اعرابي مجهول مثل « نعم السير على بئس العير » ثم لا يجوز ان نستدل بقول افصح البلغاء « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل افضل » او نسمع كلمة عابرة مثل « اكلوني البراغيث » فنجعلها لغة معترفا بها ، ثم لا نستدل بمثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » ؟!

مهما يكن من شيء لقد هدى الله قلب الامام محمد ابن مالك الى صحة الاستشهاد لغويا ونحويا بما روي عن رسول الله ، وقد اخذ يتتبع كتب السنة المطهرة ليجعلها مجال نظره الاستدلالي ، ولكن حرمة العلم وجلال الالتزام وقوة التبعة ، كل ذلك يحتم عليه ان يقرأ الحديث النبوي قراءة صحيحة كما تداولها ائمة الحديث راويا عن راو ، فلا بد الا يكتفي بالقراءة الغيبية دون الوقوف على النطق المتسلسل الذي التزم به الرواة منذ كتبت مجموعات الصحاح ! والرجل محدث كبير ، يحفظ الحديث ، وقد كان بعض مواده الدراسية دون نزاع ، ومثله يكتفي بما حصل والم ، فهو امام العربية في عصره ! ولكن اني يطمئن الى جلال علمه ، وقوة تدقيقه ، وقد نسي بعض الضبط الحقيقي لبعض الالفاظ ، لا بد ان يجلس مجلس المستمع المستفيد من جديد ، ولا بد ان يتلقى صحيح البخاري سماعا من راوية امام موثوق بسماعه .

وقد فكر وقدر فرأى ان اكبر محدثي بلدته هو تلميذه أبو الحسن علي بن محمد اليونيني الذي يقول عنه ابن حجر فيما بعد ، انه كان شيخ بلاده والرحلة اليه ، فلا بد اذن من ان يجلس منه مجلس المستفيد ، وهو تلميذه الذي يصغر عنه بأكثر من عشرين عاما ، اذ ولد ابن مالك سنة ٦٠٠ هـ وولد اليونيني سنة ٦٢١ ، ولا بد ان يكون المجلس ذائعا مشتهرا يحضره طلبة العلم من زملاء اليونيني ، وتلاميذ ابن مالك ليعم الفضل الجميع وهكذا اعلن الامام العلامة النبيل محمد بن مالك علم الاعلام في عصره انه سيجلس مستمعا الى الرواية الصحيحة للبخاري حيث يقرؤها محدث العصر وحافظه الامام ابو الحسن اليونيني وسيكون هذا الاستماع عاما جامعا في أعظم مساجد دمشق .

وقد جاءت الانباء الى التلميذ ، فهرع الى استاذه يعلن انه يفوقه تحديثا كما يفوقه لغة ونحوا ، وانه لا يستطيع ان يجلس هذا المجلس من شيخه الكبير ، ومن تلاميذه الذين هم في الوقت نفسه زملاء ابي الحسن، ولكن ابن مالك أصر وتشدد ، وحدد اليوم الذي تبدأ فيه القراءة ودعا من يتوسم فيه العلم الى الحضور ، فلم يسع اليونيني الا ان يشترط على استاذه ان يتفضل بالسماع فاذا عن مشكل لغوي او معضل نحوي سكت التلميذ ليعلن الاستاذ رأيه في هذا المشكل ثم يقوم المستمعون بتدوين ما يقول امام النحو لتحتفظ الاجيال بخبرة علمية نحوية تبحث عن مشكلات الجامع الحديث .

وقد تم للتلميذ ما اراد فقام هو بالقراءة المضبوطة كما جاءت بها الرواية وقام الامام بشرح المشكل وايضاح الغامض وقام التلاميذ بالتدوين في اكثر من سبعين مجلسا تمت بها رواية البخاري ، وتم بها في الوقت نفسه تأليف « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك » وقد كان يزيد عليه ما لا يتيسر له

بين الصدق والكذب

يقولون حبل الكاذبين قصير ... وطرفهم راد النهار حسير
فقلت ـ وقد حكمت عقلي ـ صدقتم ... ولكن بعض الكذب ليس يضير
اذا كان دفع الشر بالشر جائزا ... فقد قام للكذب البريء عذير
رأيت ظروف العيش تدفع صادقا ... لان يدعي ان الجمال تطير
سألتكم هل يحمد الصدق ان يقل ... طبيب لراجيه : شفاك عسير
اذا ما استفك الكذب ربقة خائف ... وخفف عنه ، فالحقيقة نير

بوانس ايرس ـ الارجنتين — زكي قنصل

بالمجلس من مسائل تحتاج الى مراجعة حتى استوى نسيج وحده في بابه ، واليه المرجع الان فيما يدق من وجوه التركيب والضبط لدى المتخصصين .

وحين جاءت الجلسة الاخيرة التي فرغ فيها اليونيني من تلاوته الضابطة راى الحاضرون ان يقوم الاستاذ والتلميذ معا بكتابة وثيقتين تسجلان هذا الحدث الرائع لتلحقا بالنسخة اليونينية المضبوطة فتكونا تثبيتا لها في نفوس الاجيال ، وتخليدا لمجالس نادرة امينة ، تصلح ان تكون موضع الحذوة ومناط الاقتداء ، فقام الرجلان بكتابة ما يرجوان به الخير مما ننقله الآن فرحين مغتبطين .

كتب ابن مالك بخطه الواضح في ظاهر الورقة الاخيرة من النسخة اليونينية يقول « سمعت هذا المجلد من صحيح البخاري رضي الله عنه بقراءة سيدنا الشيخ الامام العالم الحافظ المتفنن شرف الدين ابي الحسن علي بن محمد بن احمد اليونيني رضي الله عنه وعن سلفه ، وكان السماع بحضرة جماعة من الفضلاء ، ناظرين في نسخ معتمد عليها كلما مر عليهم لفظ ذو اشكال بينت فيه وجه الصواب وضبطته على ما اقتضاه علمي بالعربية ، وما افتقر الى بسط عبارة واقامة دلالة ، اخرت امره الى جزء استوفي فيه الكلام بما يحتاج اليه من نظير وشاهد ليكون الانتفاع به عاما ، والبيان تاما ان شاء الله ، كتبه محمد بن عبد الله بن مالك حامد الله تعالى ، اهـ .

ثم كتب الحافظ اليونيني ما نصه : « بلغت مقابلة وتصحيحا وسماعا بين يدي شيخنا شيخ الاسلام ، حجة العرب ، مالك ازمة الادب ، الامام العلامة ابي عبد الله بن مالك الطائي الجياني امد الله تعالى في عمره في المجلس الحادي والسبعين وهو يراعي قراءتي ، ويلاحظ نطقي فما اختاره ورجحه وامر باصلاحه أصلحته وصححت عليه ، وما ذكر انه لا يجوز فيه الا اعرابان او ثلاثة اعلمت ذلك على ما أمر ورجح ، وانا اقابل بأصل الحافظ ابي ذر ، والحافظ ابي محمد الاصيلي والحافظ ابي القاسم الدمشقي ما خلا الجزء الثالث عشر ، والثالث والثلاثين فانهما معدودان وبأصل مسموع على الشيخ ابي الوقت بقراءة الحافظ ابي منصور السمعاني وغيره من الحفاظ وعلامة ما وافقت ابا ذر (هـ) والاصيلي (ص) والدمشقي (ش) وابا الوقت (ط) فيعلم ذلك كتبه علي بن محمد الهاشمي اليونيني عفا الله عنه » .

هاتان الوثيقتان حجة واضحة تصلح منارا ساطعا في باب العلم ونبراسا هاديا في دنيا الخلق وبمثلهما فليعتبر ذوو التشاحن والتحاسد من ارباب المنافسة وعشاق الشموخ ما بين اساتذة وتلاميذ وشيوخ وشبان .

المنصورة ـ مصر — محمد رجب البيومي



عيسى فتوح

المفكّر العربي الدكتور جميل صليبا

بقلم عيسى فتوح

* * *

صادفت الذكرى الرابعة لوفاة العلامة المرحوم الدكتور جميل صليبا في الثاني عشر من شهر تشرين الاول ١٩٨٠، فقد توفي في بيروت في ١٢-١٠-١٩٧٦ ، ثم نقل جثمانه الى دمشق بعد اربعة ايام . وكلما حانت هذه الذكرى الاليمة عاتبت نفسي اشد العتاب ، لانني لم اكتب عنه ولو سطرا واحدا ، وانا الذي تتلمذت عليه عام ١٩٦١ ، بعد ان تخرجت في قسم اللغة العربية بكلية الاداب ، وانتقلت الى كلية التربية في جامعة دمشق لنيل شهادة الدبلوم العامة في التربية ، ونهلت من معين ثقافته الواسعة وعلمه الغزير ، وفكره العميق ، كما نهل المئات غيري من رجال العلم والادب والتربية في سورية خاصة والوطن العربي عامة ، فقد كان رائدا طليعيا ، ومؤسسا لعدد من المعاهد والكليات والمجلات التربوية والادبية ، كمجلة « المعلمون والمعلمات » ١٩٣١ ، و « الثقافة » ١٩٣٣ بالاشتراك مع الشاعر خليل مردم بك ، والدكتور كامل عياد ، والدكتور كاظم الداغستاني ، و « مجلة المعلم العربي » ١٩٤٨ التي ظل يشرف عليها عاما كاملا ، كما شارك في اصدار مجلة « كلية التربية » ١٩٥٥ ، وراس تحريرها وأسس جمعية متخرجي كلية التربية .

وهو اول من ادخل تدريس الفلسفة الاسلامية في مناهج التربية في سورية ، وعرف الغرب بهذه الفلسفة في نقله نصوصا منها الى اللغة الفرنسية ، وعمل جاهدا مع الاستاذ المرحوم ساطع الحصري على تطوير المناهج التربوية ورفع مستواها ، عندما كان مديرا للتعليم الثانوي من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٤٥ ، ثم مديرا لدار المعلمين الابتدائية ، فرئيسا للجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف عام ١٩٤٦ ، فأمينا عاما لهذه الوزارة ١٩٤٩ ، فعميدا لكلية التربية من عام ١٩٤٩ الى عام ١٩٦٤ ، فرئيسا لجامعة دمشق بالوكالة عام ١٩٥٨ .

ولد الدكتور جميل حبيب صليبا في قرية «القرعون» بلبنان عام ١٩٠٢ ، وانتقل مع اسرته الى دمشق عام ١٩٠٨ وتلقى علومه في المكتب السلطاني العثماني حتى سنة ١٩١٨ ، ثم في « مكتب عنبر » - وكان المدرسة الثانوية الوحيدة في سورية - فنال الشهادة الثانوية منه ١٩٢١ ، ولما لمح الاستاذ الرئيس محمد كرد علي فيه مخايل النجابة والرصانة والذكاء أوفده عام ١٩٢١ في بعثة الى فرنسا لمتابعة تحصيله العالي على نفقة وزارة المعارف .

التحق بجامعة باريس (السوربون) وحصل منها على دبلوم التربية في معهد علم النفس ١٩٢٣ ، وعلى الاجازة في الاداب - فرع الفلسفة ١٩٢٤ ، والاجازة في الحقوق ، ثم قدم الى جامعة باريس اطروحة عن فلسفة ابن سينا فيما وراء الطبيعة ، واطروحة أخرى في نظرية المعرفة على مذهب المدرسة الاجتماعية الفرنسية، فمنحته هذه الجامعة درجة الدكتوراه في الاداب عام ١٩٢٧ .

ندب محاضرا في المركز الاقليمي لليونسكو في بيروت لتدريب كبار موظفي التربية في العالم العربي من عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٧٠ ، كما انتخب عضوا عاملا في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية الان) عام ١٩٤٢ ، وعضوا في لجنته الادارية ، فعمل منذ ذلك التاريخ على احياء التراث العربي ، ووضع المصطلحات العلمية التي تحتاجها اللغة العربية لتستطيع الوفاء بمتطلبات العصر ، ثم عضوا في اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية (اليونسكو) ١٩٥٥ ، كذلك انتخبته اللجنة الدولية لعلوم التربية عضوا عاملا فيها عام ١٩٥٨ .

مثل سورية في كثير من المؤتمرات الدولية والعربية، كمؤتمرات اليونسكو العامة ، ومؤتمر الادباء العرب الذي عقد في « بيت مري » بلبنان ١٩٤٦ ، ومؤتمر اليونسكو في باريس ١٩٥٣ و١٩٦٠ ، ومؤتمر المجامع العلمية العربية ومؤتمر اليونسكو لدراسة الحاجات التربوية في العالم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربي ، ومؤتمر الشعب الوطنية لليونسكو ، ورأس مؤتمر اليونسكو لتدريس العلوم الاجتماعية الذي عقد في دمشق ١٩٥٤ ، وشارك في ذكرى تأسيس المجمع العلمي السوفياتي في موسكو ١٩٥٨ ، ومؤتمر الادب العربي المعاصر في روما ١٩٦١ .

كذلك شارك في عدد من الحلقات والمهرجانات والندوات الدولية ، كحلقة نظم التعليم في العالم العربي ، وحلقة اعداد المربي ، وحلقة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية في بيروت ، ومهرجاني المتنبي والمعري ، ومهرجاني ابن سينا في بغداد ١٩٥٢ ، وطهران ١٩٥٤ ، والقى العديد من المحاضرات في كل من بيروت والقاهرة وبغداد والكويت وباريس ودمشق وباقي المدن السورية .

ولم يكتف الدكتور صليبا بهذا ، بل اسهم في النضال الوطني الذي خاضته سورية من اجل الاستقلال وتثبيت الشخصية الوطنية ، والنضال الاجتماعي ليقوم المجتمع على اسس جديدة ، يكون فيها للحرية والعلم واحترام الذات مكان الصدارة ، كما عكف منذ العشرينات على موروثنا الفلسفي يدرسه ويكشف عن حقائقه وخصائصه ويبسطه لغايات تدريسية وتربوية ، ويقف على ما فيه من كنوز وقيم رفيعة تجاوزت عصرها ، مقارنا بينها وبين الاراء والافكار في النظريات الفلسفية الغربية ، مؤكدا على اصالة النظرة العربية وريادتها ، دونما تعصب او تحيز .

كان رحمه الله مثلا رائعا للموضوعية والمنهجية في البحث والحكم ، يعيش في تواضع العالم وبساطته ، يميل الى الرزانة والهدوء وتحكيم العقل ، ويؤثر البعد عن اضواء المجتمع ليظل قريبا من اضواء البحث والعلم والمعرفة ، فقد ظل طالبا العلم ليل نهار طوال حياته ، يحدوه الى كشف الحقيقة ونشرها ذلك الحنين الملتهب والشوق المستعر اليها ، مكبا على الدرس والتحصيل والتزود من نتاج الفكر وارتياد آفاق المجهول في وقت كانت المدارس قليلة ، والادارة التعليمية في طور التأسيس .

قال الدكتور كامل عياد في حفلة تأبينه التي اقامتها جامعة دمشق على مدرج كلية الهندسة يوم الاثنين في ٢٠-١٢-١٩٧٦ : « .. في هذه السنوات الطويلة والاحوال المتقلبة ، والاعمال المشتركة التي امتدت من ١٩٣٠ - ١٩٧٦ ما عرفت الدكتور صليبا الا انسانا فاضلا ، صادقا ، وفيا ، عف اللسان ، رضي الخلق ، طيب المعشر ، لا يحقد على احد ، ويحب الجميع ، ويريد الخير لكل الناس .. وهب نفسه للعلم فاخلص له وتفانى في تحصيله ونشره ، وقضى حياته يبحث ويحقق ويؤلف ويعلم ، حتى اربت كتبه على الثلاثين بين مؤلف ومحقق ومترجم ، في اللغات العربية والفرنسية والانكليزية .. لقد كان علما من اعلام النهضة العلمية في سورية ، وفي سائر انحاء الوطن العربي ، ورائدا من رواد الفكر الحر ، وداعية الى التجديد والتقدم ، وكان يؤمن بأنه لا سبيل الى الاصلاح ، الا عن طريق البحث العلمي » .

ويضيف زميله الدكتور عياد قائلا : « كان عالما تتجلى فيه صفات العالم ، امتاز بغزارة المعلومات ، وسعة الثقافة ، والنظرة الموضوعية الشاملة ، والاحاطة في استقراء الوقائع ، والدقة في البحث ، والامانة في العمل ، والصدق في التحري ، وبعمق التفكير ، والايمان بالقيم السامية . كذلك كان يتحلى بالصبر والاناة والمثابرة ، لا ينقطع عن الدراسة والمطالعة والمراجعة والكتابة ، ساعيا دوما وراء المعرفة ، متمسكا بروح العدل والانصاف ، طالبا الكمال .. » .

لم يذكر ان الدكتور صليبا قد تخلف يوما عن جلسة من جلسات المجمع العلمي ، فكان يحضرها بانتظام ، ويشترك في مناقشاتها ، ويعمل في اللجان المختلفة ، فنال بذلك تقدير زملائه واعجابهم ولا سيما برجاحة عقله ، وسداد رايه ، ورزانته ، واخلاصه في خدمة اللغة العربية والدفاع عن خصائصها ومميزاتها .

من أبرز مؤلفات الدكتور جميل صليبا : المنطق ، من افلاطون الى ابن سينا ، من الخيال الى الحقيقة ، الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام ، اتجاهات النقد الحديث في سورية ، مستقبل التربية في الشرق العربي ، تاريخ الفلسفة ، الدراسات الفلسفية ، الفكر الفلسفي في الثقافة العربية المعاصرة ...

الا ان اهم عمل توج به مؤلفاته التي بلغت ثلاثة وثلاثين كتابا هو « المعجم الفلسفي » الذي صدر عام ١٩٧١ في جزئين وفي نحو ١٥٠٠ صفحة ، ويضم حوالي ٢٨٠٠ مصطلح جمع في كل واحد منها بين العربية والفرنسية والانكليزية ، وشرحها شرحا وافيا ، وهو أميل الى الدراسات الموسوعية منه الى قوائم المصطلحات المختصرة ، ولم يقدم على تأليفه الا بعد ان « لمس ان المصطلحات الفلسفية المترجمة عن اللغات الاجنبية ، لا تخلو من اللبس والغموض ، وكل مؤلف يختار من الاصطلاحات ما يرضيه ، حتى انك لتجد للمعنى عند بعض المؤلفين الفاظا مختلفة ، او تجد للفظ الواحد عدة معان » .

كان الدكتور صليبا قد بدأ منذ مطلع حياته الادبية يجمع المصطلحات الفلسفية ، ويدرس مدلولاتها ، ولما أصدر الطبعة الاولى من كتابه « علم النفس » ١٩٤٨ الحق به فهرسا للالفاظ الفلسفية يشمل ٣٦٠ مصطلحا ، ثم استمر في التنقيب عن هذه المصطلحات، ووضع طائفة منها عن طريق التعريب او النحت او الاشتقاق ، كما سعى الى احياء المصطلحات العربية التي كان يفتش عنها في المعجمات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القديمة الخاصة مثل « تعريفات » الجرجاني و «كليات» ابي البقاء ، و « كشاف مصطلح الفنون » للتهانوي وغيرها من مؤلفات الفلاسفة العرب والمفكرين المسلمين ، وقد نشر في مجلة المجمع العلمي العربي سلسلة مفصلة من الدراسات حول المصطلح الفلسفي في ماضيه وحاضره ، كانت نواة هذا المعجم الذي يعتبر الاول من نوعه في اللغة العربية .

لا يمتاز المعجم الفلسفي بهذا العدد الكبير من المصطلحات فحسب ، بل بطريقة تعريفها ايضا، اذ يتوسع في شرح كل لفظة ، فيرجع الى تاريخها في اللغة ، ويثبت الى جانبها ما يقابلها من الالفاظ الفرنسية والانكليزية واللاتينية ، ثم يستعرض المعاني الخاصة التي تدل عليها في الفلسفة القديمة ، وفي مختلف مذاهب الفلسفة الحديثة كما يورد نصوصا فلسفية تبين وجوه استعمالها ومعانيها الاخرى ، ولذلك جاء معجمه كما قلنا اقرب الى الموسوعات الفلسفية منه الى مجرد معجم الفاظ .

واذا كان موضوع المصطلحات الفلسفية ما زال بحاجة الى مزيد من البحث والاجتهاد ، واعادة النظر دوما ، فلا شك ان معجم الدكتور صليبا يعتبر انجازا علميا قيما ، وخطوة هامة في سبيل وضع المصطلحات العلمية التي تحتاج اليها اللغة العربية في الوقت الحاضر، كما انه يساعد الدارسين والباحثين على متابعة جهودهم .

يرى الدكتور صليبا ان الكتب التي الفها علماؤنا في السنوات الاخيرة تعتمد في غالبيتها على الاقتباس ، سواء من الفلسفة الغربية ، او من تراثنا القديم ، لكنها بالاجمال تنم عن تقدم ثقافتنا العلمية الحديثة . ويرى ان الذين حاولوا الابتكار قليلون ، بسبب طبيعة المجتمع الذي نعيش فيه ، فهو لم يهيىء لنا بعد اسباب التخصص والتعمق، ولم يعودنا التفرغ للبحث العلمي الهادىء الرصين واكثر اساتذة جامعاتنا منصرفون عن الانتاج المبتكر الى التأليف المدرسي ، ومدفوعون عن الحياة التأملية الى الحياة العملية ليكسبوا رزقهم ، ولم يتوافر لهم جميعا ما توافر لعلماء الغرب من طمأنينة فكرية ، وضمان اجتماعي .

لكنه مع هذا يؤمن بأن العقل العربي قادر على الابداع واستجلاء حقائق الوجود ، وعلى التجريد والسمو والتعالي ، ويرى انه لا بد لبلوغ هذا الهدف من الاقتباس من معين تراثنا القديم تارة ، ومعين الفلسفة الغربية تارة اخرى .

ويؤكد انه « لو اتيح لعلماء العرب ما اتيح لعلماء الغرب من مجموعات منظمة ، وخزائن غنية ، وسجلات وافية ، ووثائق اصلية ، وتخصصوا في موضوع بحثهم كل ايام حياتهم ، وانتظروا حتى تكمل دراستهم من جميع نواحيها ، لما قصروا عن علماء الغرب في شيء ، ولجاءت مباحثهم اتم من مباحث الغربيين لعلمهم بأسرار لغتهم ، وقدرتهم على تفهم تراكيبها .. لقد اخذنا الآن نجمع وندون ونختار ونرتب وندرس ونحلل ، واذا مضينا في هذا الاتجاه العلمي قدما ، استطعنا ان نلحق بالغربيين ، وان نسبقهم في المستقبل القريب » (الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام واثرها في الادب الحديث ـ صفحة ٢٠٢) .

اما آراؤه في التربية فقد بسطها في كتابه « مستقبل التربية في الشرق العربي » الذي الفه ١٩٦٢ ، ومن اهم ما جاء فيه ان معالم التربية يجب ان تقوم على العروبة وقومية التربية ، والاهتمام باللغة العربية الفصحى ، والدعوة للوحدة الثقافية ، وعلى الديموقراطية وتكافؤ الفرص ، والعدالة الاجتماعية ، وتعميم التعليم ، وعلمية التربية والتجريب فيها .

ومن اهداف التربية ايضا : تنشئة افراد اقوياء الاجسام ، مثقفي العقول ، حسني الاخلاق ، واعداد اجيال عربية واعية تحب التعاون والتكامل والعدل والنظام والتقدم ، وتراعي الحق والواجب ، وتقدس الوطن، وتعتز بتراثه ، وتؤمن باصالته ، وتخلص لوحدة الامة العربية ..

هذه هي ابرز سمات فكر المربي والعالم والباحث والفيلسوف والاديب المرحوم الدكتور جميل صليبا، حاولت جلاءها في هذا المقال الموجز ، بمناسبة ذكراه الرابعة ، فهو لا يقل شأنا عن زميله وصديقه ساطع الحصري ، لكل منهما اياد بيضاء على التربية في العالم العربي لن يمحوها كر الزمان ولا مر العشي .

لعل خير ما اختم به هذا البحث اعتراف احد تلامذته الاوفياء في مكتب عنبر ، الاستاذ ظافر القاسمي الذي وصفه خير وصف وادقه حين قال :

« .. اما استاذنا جميل صليبا فهو فصيح اللسان، جذاب اللهجة والاداء ، تسمع اليه فتعجب من هذه الطلاقة الرائعة التي ندر ان متع بها الكثيرون ... وهو صحيح اللغة بليغها حسن اختيار الالفاظ، موفق في تركيب الجمل ، فاذا اصغيت اليه حسبت انه كتب الدرس ثم حفظه من الفه الى يائه .. وهو مسلسل الفكر ، اذا ابتدأ في تقرير موضوع ندر ان يشط عنه ، على الرغم من ان الفلسفة نفسها مادة تدعو الى الابتعاد عن اصل الموضوع .. »

ويقول ايضا : « اذا كانت الفلسفة الاسلامية قد دخلت الى مكتب عنبر ، فان الفضل في ذلك يعود اليه وحده ، وانه لفضل عظيم ، ولا سيما في الحقبة التي كان فيها مستشار المعارف الفرنسي هو الآمر والناهي » (مكتب عنبر ـ صفحة ٧٢ و٧٣) .

وهذا اعتراف آخر للاستاذ حافظ الجمالي الذي كانت سعادته الكبرى في ان يعرف الرجل ، ويكون تلميذا له ، لكثرة ما سمع عنه من كل من كان يمضي الى دمشق

لتابعة دراسته فيقول :

« انه يشعرك دوما انه يغنيك ، ولكنه لا يغنيك الا ليفقرك من جديد ، فانت امام رجل تتمنى ان تعرف منه كل ما عنده ، ويملؤك شوقا الى متابعة البحث والاغتناء، يوقظ نفسك من الغفلة ، وتفكيرك من التقليد ، وكيانك من الجمود ، فكان كل درس هو فتيلة لشعلة جديدة ، لا ترى الا انها متصاعدة اللهيب تصاعدا متصلا ، والا انك محمول على الصعود معها واصعادها ايضا ، فكان انقلابا نفسيا من نوع حاد ينشأ في الطالب من الاتصال بمثل هذا الاستاذ ، تحس معه اليوم غير ما كنت بالامس .. حقا هذا الاستاذ هو من اوائل من نقلوا اجيالنا الجديدة من عالم التقليد والجمود ، الى عالم المعاصرة . ان قفزة عقلية من عدة قرون حضارية ، هي التي تحققت على يد هذا المعلم الكبير » .

* * *

بعض اعمال الدكتور جميل صليبا

١ ــ دراسة عن فلسفة ابن سينا (باللغة الفرنسية) باريس ١٩٢٦ .

٢ ــ ابن سينا (منتخبات مع مقدمة عن حياة ابن سينا وفلسفته) مكتب النشر العربي بدمشق ١٩٣٧ .

٣ ــ من افلاطون الى ابن سينا (محاضرات في الفلسفة العربية) المكتبة الكبرى للتاليف والنشر ــ دمشق ١٩٥١ .

٤ ــ علم النفس ــ المكتبة الكبرى للتاليف والنشر ــ دمشق ١٩٣٦ .

٥ ــ دروس الفلسفة (المنطق) مكتبة العلوم والاداب ــ دمشق ١٩٤٤ .

٦ ــ من الخيال الى الحقيقة ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ١٩٤٦ .

٧ ــ تقرير عن المعارف في الجمهورية السورية خلال عام ١٩٤٦ ــ مطبعة الجمهورية السورية .

٨ ــ الرسالة الجامعة لابي القاسم المجريطي ــ تحقيق ــ مطبوعات المجمع العلمي العربي ١٩٤٨ . الجزء الاول .

٩ ــ الرسالة الجامعة ــ الجزء الثاني ــ ١٩٥١ .

١٠ ــ المنقذ من الضلال (مقدمة عن حياة الغزالي وفلسفته) بالاشتراك مع الدكتور كامل عياد ــ المكتبة الكبرى للتاليف والنشر ــ دمشق ١٩٥١ .

١١ ــ حي بن يقظان (مقدمة عن حياة ابن الطفيل وفلسفته) مع الدكتور كامل عياد ــ مكتب النشر العربي ــ دمشق ١٩٣٥ .

١٢ ــ المنطق وطرائق العلم العامة (مع الدكتور كامل عياد) مكتبة العلوم والاداب ــ دمشق ــ ١٩٤٨ .

١٣ ــ ابن خلدون (دراسة وتحليل ومنتخبات) مع الدكتور كامل عياد ــ مطبعة ابن زيدون ــ دمشق ١٩٣٤ .

١٤ ــ احسن القصص لمارك توين والكسي تولستوي ــ منشورات جماعة الفكر الحديث بدمشق ــ مطبعة الهلال ــ ١٩٤٥ .

١٥ ــ التقرير العام عن الدورة السابعة لليونسكو (بالاشتراك) منشورات وزارة المعارف السورية ــ مطبعة الجمهورية السورية ــ دمشق ١٩٥٣ .

١٦ ــ اعداد المربي) بالاشتراك مع سامي الدروبي وحكمت هاشم (لكوزينه ــ منشورات مجلة المعلم العربي ــ مطبعة الجمهورية السورية ١٩٥٦ .

١٧ ــ الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام واثرها في الادب الحديث (محاضرات القاها على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في القاهرة) القاهرة ١٩٥٨ .

١٨ ــ اتجاهات النقد الحديث في سورية (محاضرات القاها على طلبة قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية في القاهرة) القاهرة ١٩٦٩ .

١٩ ــ الانتاج الفلسفي خلال المئة سنة الاخيرة في العالم العربي ــ منشورات المجمع العلمي العربي ــ دمشق ١٩٦٢ .

٢٠ ــ مستقبل التربية في الشرق العربي ــ مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٢ .

٢١ ــ الدراسات الفلسفية ــ الجزء الاول ــ مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٤ .

٢٢ ــ كتاب الحيدة للامام عبد العزيز الكناني ــ تحقيق ــ مطبوعات المجمع العلمي العربي ١٩٦٤ .

٢٣ ــ الفكر الفلسفي في الثقافة العربية المعاصرة (عن كتاب الفكر العربي في مئة سنة) ١٩٦٧ .

٢٤ ــ مقالة الطريقة لديكارت ــ ترجمة ــ اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية (اليونسكو) بيروت ١٩٥٣ .

٢٥ ــ تاريخ الفلسفة ــ بيروت ١٩٧٠ .

٢٦ ــ المعجم الفلسفي ــ الجزء الاول ــ بيروت ١٩٧١ .

٢٧ ــ المعجم الفلسفي ــ الجز الثاني ــ بيروت ١٩٧٣ .

٢٨ ــ تطور المبدع ــ ترجمة ؟

دمشق

عيسى فتوح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشمس تتعبني

هند هارون

اللاذقية ـ سورية

وافقت .. يوقظني شعاع الشمس من وسني
ولمحت وجهك في الشعاع مداريا حزني
حييته بحياء قلب شف يغمرني
بعذاب شاعرة ، تعيش مقالب الزمن
حييته .. رد التحية رد مؤتمن
حييته .. رد الوفية ، غبت في وهني
يا عاديات ترفقي ، والنار تلفحني
وأراه في وهج الشعاع يطل من عدن ..

★ ★ ★

الشمس تسعدها رؤاه على منارات الصباح
وانا اراه الشمس قبل ثغرها زهر الاقاح
واحسه النعمى بعين الكون في قلب الكفاح
ويلوح لي نسرا يحلق ، طار مزهو الجناح
وجناحه يغزو الشموس ، يقينه اقوى سلاح
وصلاته وصل السماء طريقه درب السماح
يلقي على وهج الحرور ولفحها اندى وشاح
آلامه نزف النهى ، وجراحه تاسو الجراح ...

★ ★ ★

الشمس تتعبني واتعب مبسم الشمس
واعب من كدر الحياة ، اغوص في نفسي
واسائل الاسرار عن يومي وعن امسي
اترى اعيش على بقايا النبض في حسي
اترى اكون لانني للحرف .. للطرس
لأعب احزان الورى بشمالة الكأس
ما عدت ادري السر .. ضاعت روعة الحدس
الشمس تتعبني .. وحزني دمعة الشمس

★ ★ ★

عجبا .. يهدهدني الكرى ، ويلفني الي
ويذوب سهدي في بحار الوجد في الظلم
النوم صار سعادة بل متعة الحلم
واضم في ارقي المدمر دفتري ، قلمي
واسطر الاشواق والاحزان في كلمي
وامومتي تسقي الجراح ، تعيش في القمم
وحكاية القلب الكسير حكاية الامم
وحديث اعماق العذاب مسيلة بدمي

★ ★ ★

الشمس تتعبني ، ويورق في الدنا الي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وحيد الدين بهاء الدين

جورج صيدح في أخلاقيته وانسانيته..

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

الذين عرفوا جورج صيدح عن قرب مثافنة او مخالطة والذين سبروا غوره وعجموا عوده عن بعد ، بتواصلهم الوجداني به وتراسلهم الادبي معه ، والذين اتيح لهم ان يسمعوا عنه رواية او دعاية ، أشياء ومآثر ، انتهوا وينتهون دائما الى نتيجة مقنعة واحدة ، هيّ ان جورج صيدح تتحكم فيه خصلتان ، ارتباط الواحدة منهما بالاخرى عضوي وثيق ، كيما يتحقق وجودهما الراهن معا على صعيد واحد ، وتنسحب آثارهما الايجابية بواقعية ، على ما هنالك من قطاعات ومساحات ، لا لشيء الا لانهما الاساس المتين لقيمة الفرد في حياته ، والذخر الثمين الذي يمكن ان يتركه من بعده عند وفاته وهما : الاخلاقية والانسانية .

ما في ريب ان خيرات الحياة واحباطات الزمان ، وصدمات الفكر والروح ، هذه التي عرضت لجورج صيدح على مدى عمر طويل ، تخطى الثمانين عاما ، وفي بقاع مختلفة من العالم ، صهرته حتى صيرته انسانا يتميز عن غيره بشكل او بآخر . كذلك زادته ذكاء قلب وحدة بصيرة ، وعمقا في وعي ذاته والايمان بها والتعويل عليها .. فالى ذاته هذه ، بداية ونهاية ، خصلتاه المنوه بهما ، حيث تتجليان او يمكن ان تتجليا في شتيت من الوان وصور .. وفي عديد من مواقف وصيغ .. لعل ما يقوله جورج صيدح في رسالة له مؤرخة بالعاشر من أيلول عام ١٩٧٧ ، مصداق لما ارتأى : « في مطلع حياتي وضعت لسلوكي خطة لا احيد عنها وهي ان لا استجدي معروفا من احد حبيبا كان او نسيبا وما زلت في آخر العمر اشد اباء عن ذي قبل . اوثر الاستغناء بدلا من الاستجداء ، واجد في القناعة كل الغناء » .

لم يكن جورج صيدح بما جبل عليه فريسة مركب نقص ، وعبد قيم موروثة بالية ، ليحاول التعالي على الآخرين او التعامي عنهم ، وان كانت منازل بعضهم دون منزلته ، الا انه بداع من ابائه وكبريائه كان يصر في سره وعلنه ، ان يكون اعظم من المقابل واكرم .. افضل منه وانبل ، في تعامله معه ، وتحدثه اليه ، بغض النظر عن مواصفاته وامتيازاته . حسبه الماعا الى هذا كله في كلام له : « احاول حين تجيئني تحية من شخص بان احيي بأحسن منها ، وتحملني كبريائي على الاجادة في القول ناسيا ان الموضوع لا يستحق الاهتمام او التجويد كلما خطب ودي غريب او قريب . اقول في نفسي عيب علي ان يكون هذا الجاهل اكثر تأدبا مني فارد عليه ردا حسنا شعرا او نثرا » .

في صيف عام ١٩٧٦ بعد عودتي من رحلة الى خارج القطر ، انقطعت عني فجأة اخبار جورج صيدح ، وكانت من قبل متتابعة، فاوجست من ذلك خيفة، حتى اضطررت معه ان اطير اليه كلمات قلقة مستشفا سر صمته اللامألوف.

فاذا هو لا يلبث ان يهتك حجاب علته وعزلته ، ساكبا في اذني لحنه الشاجي وساقيا نفسي الظمأى بغيث من محبته وطيبته . يقول : « رسالتك حلوى بل من وسلوى هبطت على وجيع يتلوى فرفهت عنه البلوى . شكرا لك ولولا انتعاشي منها ما عمدت الى الكتابة بعد انقطاعي الطويل عن المراسلات لمواجهة الازمات في البيت والجراحة في المستشفيات. عدت الى قواعدي منذ اسبوع مفتتحا هدنة لا ادري هل تطول ام تسفر عن خيبة جديدة تجول وتصول . ومن يعش مثلي على المخدرات فحياته نصف حياة ومصيره مفهوم معلوم . رهين بساعة من الساعات . احمد الله على اني اترك عندك اثرا يحفظ وخيرا يذاع واجد الصدى الامين لعواطفي وخلائقي في قلبك الكبير وفي بيانك الغزير . « يا منصف الموتى من الاحياء » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يوم كنت ازور مصر ، كتبت الى جورج صيدح من هناك ، مجددا له عهد اخائي ووفـــاقي معه ، متذكرا صداقته النادرة حين اغتنامي فرصة لقائي بالاحبة . انما كان جوابه ابعد وفاء واعم جودا ، ممـا كنـت انتظر .. فقد افضى مصرحا : « جاءت رسالتك من وادي النيـل كانها نسيمه العليل وافقه الصافي الجميل ، فردتني الى ذكريات صباي الذي انطوى والى مطالع نجمي الذي هوى وجددت اشواقي الى من فيها من اخوان وخلان ، عشراء ذلك الزمان :

سمر الوجوه كريمـة احسـابهم شم الانـوف من الطـراز الاول

وقد تمثلتك في صحبة الاديب المثالي وديع فلسطين تنعم بمجموعة من مكارم الاخلاق تجسدت في شخصـه الفريد، نسيج وحده في الوفاء والمروءة والالمعية، فتمنيت لو كنت ثالثكما ، اتحدث الى كل منكما ، فانفي عن نفسي شعور الغربة الذي ينتابني هنا روحيا وحسيا ويزداد شدة كلما ازداد ضعفي نفسا وجسدا » .

جورج صيدح انسان لا يقوى على كظم ما يعتـــوره من مشاعر ومنازع ، عندما يجد واحدا من مريديه او معارفه ،مهما تكن صلته به وتجاوبه معه ، يجابه خطبـا جللا ، او يتلقى ضربة من الاقدار او يعاني قرفـا او مرضا او نكسة .. كذلك عندما يجد نفسه في وضع يتعذر عليه فيه ان يظهر بالمظهر الطبيعي لاسباب تتحدى رغبته وتشل قدرته ..

لقد هزه مصرع كامل مروة صاحب صحيفة «الحياة» اللبنانية في اواخر الستينات ، كما اوجعته وفاة اديب مروة صاحب مجلة « السياحة » اللبنانية ايضا .. اما غياب البدوي الملثم بنوبة مباغتة ، فألجم شعره وبلـد فكره ..

بينما موت سامي الكيالي ، اوحى له برسالة نثرية بليغة وبمقطوعة شعرية مؤثرة ، نقشت ابيات منها عـلى قبر الراحل :

اذا القوم في الدهياء ضاع صوابهم اهبت بهم ان يستعيروا صوابكا
وقبلك ضاقت بالمصائـب دورهم فيا ليت شعري اين آووا مصابكا
زكيك عند الله والناس سيرة تحاضرنا مهمـا اطلـت غيابـكا
جهـادك مبرور وعلمـك مشرع وحلمك مأثور تنـاهى فشـابكا
حسدت وقد بلـت دموعي عارضي دمـوع بين الشهباء روت ترابـكا

كما ان جورج صيدح تمنى ، وقد بلغ به اليأس كل مبلغ ، ان يسبق الشاعر القروي في الموت ، بعد مـوت صاحبيه : الياس فرحات وشفيق معلوف اذ قال :

راح فرحات ثم معلـوف قبلي رب هـب لي ان اسبق القرويـ

في منتصف الستينات هجر وديع فلسطين ميدان الادب على نحو لم يكن في استطاعته يومذاك تفاديـه او تجاوزه، حتى صارح اصدقاءه على امتداد الوطن والمهاجر باعفائه من مناجاتهم ومراسلاتهم بعد اليوم . هنا وقف جورج صيدح الى جانبه مؤيدا موقفه تارة ومستنكرا ما حاق به من حيف تارة اخرى : « مأساة وديع فلسطين هي القرف الذي ادى الى الطلاق مع الادب والادبـاء . ولن يرجع عن موقفه الا بمرور الزمن . فاصبر عليه » . ويقول جورج صيدح في مناسبة أخرى : « لا استغـرب موقف اخينا وديع فلسطين من طلبك الاخير . انه اسرع عباد الله الى خدمة اصدقائه واصدقهم غيرة في كـل مسعى ادبي . ولكنه مقهور موتور لا يريد مس الكتب والصحف لئلا يعلق به ميكروب الادب ويجره ثانية الى ميدانه . هذه هي نفسيته اليوم . فاعذره وثق انه عائد الى سجيته الادبية عاجلا او آجلا . مكرها او مختارا » .

في الوقت الذي لم يتردد جورج صيدح ان يطلـق احاسيس الاسفِ يوم قدم هلال ناجي باريس ، في اواخر عام ١٩٧٣ دون ان تتاح له ملاقاته ، لرحلته الاضطرارية الى مصح « اكس له بان » صدعا لاوامر طبيبه الخاص : « وفي الطريق اصابني النزيف المؤلم من جرح العمليـة وكانت النكسة . وكانت ازمة المعالجة في غيـاب طبيبي الجراح الذي سافر الى سويسرا لقضاء فرصة الاعيـاد بالتزحلق على الجبال ، فكان علي ان اطير الى جنيف كي الاقيه واستسلم لامره في معالجة جديدة تابعتها في مصح « اكس له بان » فلم تعط نتيجة فانتقلت بأمر الطبيب الى هذا المصح منذ اسبوع وشعرت بفائـدة المعالجـة واخذت اتدرج نحو العافية مرتاح الفكر بحمد الله . بين هذه الاضطرابات كان حضور هلال ناجي الى باريس وقد علمت من شقيقة زوجتي ألتي حلت محلنا في منزلي ، انه هتف الي مرارا وزارني مرة ولم يجدني ولا وجد مـن يستقبله ويحتفي به . تلك مرارة اضافية في نفسي تبقى بعد زوال مرارة المرض والتجريح . فالهلال عاد الى بغداد دون ان نلتقي وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن . لسوء حظي . ارجوك حين تجتمع به اطلاعه على ما اتفق لي ، حتى يسيل علي عفو الكرام » .

اما ما رسم جورج صيدح بريشة الفنان المقتدر وعبر عنه نثرا وشعرا طوال حياته الادبية، تجاه قضية فلسطين واصحابها الشرعيين ، فقد كان حادا يشحذ العقـل والقلب ، كما كان داعيا للتأمل والدراسة ، لا لشيء الا لانه يثير كوامن النفوس ، ويحقق الغرض المقصود منه ..

لقد اهدى جورج صيدح ديوانه « النوافـل » الصادر عام ١٩٤٧ الى « لجنة الدفاع عن فلسطين » .

ثم ذات مرة بينما كنت اتطلع الى اخباره وآثاره فاذا به يفاجئني بما كان يقض مضجعه ، محاولا ان يعقد صلة ولو شبه طبيعية بين ما هو عليه والمشردين المنكوبين من اصحاب القضية . حيث يقول : « حالي وحال اسرتي في خير نسبي يجب علي الرضى به ما دام في البشر اشقياء اسوا حالا مني . ومتى فكرت في المشردين : سكان الخيام في فلسطين المعرضين للفناء من حين الى حين اخجـل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنصيبي القليل من رفاهية العيش امام عذابهم الكثير المستمر ..

واذا ما حلت هزيمة حزيران المنكرة بالعرب عام ١٩٦٧ ، كتب جورج صيدح بمداد من الكآبة الصامتة : « لقد بدل شهر حزيران المشؤوم جوي وآفاقي ونظراتي الى المخلوقات وخطواتي نحو اهداف الحياة .. والكلام عن النكسة الهائلة التي منينا بها لا طائل له سوى التوجع والتفجع ونكء جراح طرية لم نجد لها الترياق . وكلما امعنا النظر في المستقبل القريب والبعيد ازداد شعورنا بالعجز عن الصعود من الهاوية » .

على ان جورج صيدح كان يهرب في كثير من الاحوال من جو باريس الخانق الموبوء بالدعاية لاسرائيل والهتاف لها ، الى المشاتي والمصايف توفيرا للراحة النفسية والفكرية له ، وتبديدا لقلقه المستديم الذي لم يتخل عنه حتى رحل رحلة الابد .. ها هوذا يقول : « اغادر باريس بعد يومين الى « فيشي » لعلي في الابتعاد عنها ترتاح اذني من سماع الهتاف لاسرائيل والشماتة بالعرب .. وقانا الله شر اليأس واعاننا على الذل والبؤس » . كذلك يقول جورج صيدح متألما متضايقا في موضع آخر بعد ذلك بزمن : « وفي راسي مشروع سأدرسه متى بلغت « مونت كارلو » وهو الانتقال الى تلك الامارة بعيدا عن باريس الموبوءة بالسموم .

قلد الشاعر المصري محمود ابو الوفا في النصف الثاني من عقد الستينات وساما وهاجا لانتاجه الشعري الذي تغنى بالانسان والحرية والتسامي ، بينما نال رفاقه الآخرون اضافة الى الوسام ، جوائز مالية : الفان وخمسمائة جنيه لفلان . والف وخمسمائة لفلان .. وخمسمائة لفستان كما نقول في مصطلحنا العراقي .

والوحيد الذي حرم من المال ، هو المعيل التعيس ذو الساق الواحدة ابو الوفا الذي طالما قال وما اصدق ما قال :

اريد وما عسى تجدي اريد ... على من ليس يملك ما يريد

من هنا التهبت قريحة جورج صيدح متفجرة ، وقد زلزلت الحكاية هذه التي تناهت اليه جوارحه .. فقال ساخرا :

أرايت كيف المجد بالشعر احتفى ... واتاك بالنيشان ينسيك الحفا
حابى الدعي فراح يبسط كفه ... ورأى الشقي فردها نحو القفا
ايكون مجدك صنو دهرك في الاذى ... ان من فسن وان تجنى اسرفا
شرف الوسام لمن يبيت على الطوى ... صحن المدمس (١) كان منه اشرفا
واخجلة النيل الجزيل وفاؤه ... ان لم يذق طعم الوفاء (ابو الوفا)

كان جورج صيدح مزاجيا متوتر الاعصاب ، لكنه لم يكن حقودا فظا ، يهبطان به سجية ونفسية الى دركات سفلى ، لتسام في طبعه ولين في عريكته ، ثم لانهماكه بما كان يعنيه ويثقله من شؤون وشجون .

انما كان ينفر للمسيء اساءته على الايام والاعوام، كما لو كانت غير موجهة اليه ، واقعة عليه .. ومرده الى حلمه باقتدار ، حتى ان ما يعلق بنفسه لا يعتم ان يتشقق كرغوات صابون ، فيعود الى صفائه وهدوئه .. لعل مواقفه شاهدة ومعروفة من هذا وذاك ولا سيما اولئك الذين تطاولوا على شخصه وانتقصوا من شعره او حاولوا شيئا منهما ، دون ان يستطيع واحد منهم النيل منه ، من امثال الشاعر القروي والياس فرحات وشكرالله الجر ونقولا معلوف ونعمة قازان وتوفيق ضعون وموسى كريم ويوسف العيد وسليمان داود ونبيه سلامة رمريانا دعبول ويوسف عازار وعزيز اباظه وطه حسين وابوطالب زيان ، وعيسى الناعوري ..

بهذا الشأن قال جورج صيدح :

ان للغيظ ساعة حين تمضي ... قد يعود الصفاء للاصفياء

كما انه يقول في رسالة له الى واحد من اصدقائه : « انا لا احمل الحقد على احد .. ولا اعتبر المال اساءة تذكر . ولا احاسب الناس على سلوكهم معي ان اساءوا ولا أمن على احد ، ان احسنت . هذا طبعي ومذهبي في الحياة ، ولولاه لكنت اليوم وحيدا بلا صديق ولا مراسل ولا من القي عليه السلام لكثرة ما صدمني من الخيبات المريرات ، سهاما تكسرت على السهام ونسيتها كلها مع الايام » .

الى جانب هذا كله ، كان جورج صيدح سريع التأثر والاستجابة ، لرهافة حسه وسماحة نفسه ، لا تفوته الفكرة اللماحة ولا الفرصة المواتية ، الا استغلها بايجابية وتلقائية ، توكيدا لذاته ، ورعاية لنظيره .. معا ..

فعلى الرغم من الكثرة الكاثرة من الباحثين والناقدين الذين قيموا شعره وفكره ، وسلطوا الاضواء على شخصيته المتميزة ، فانه ما كان يطمئن الا للكلمة الهادئة النابعة من ذوب القلب ، وعصارة الفكر ، والناهضة على اساس من التجرد والموضوعية .. بمعنى انه يرفض الكلمة المنافقة المضللة التي تكمن القصد والغرض ..

في خلال زيارته الاولى لسوريا ولبنان عام ١٩٥١ قام « فريق من الادباء والصحفيين وارباب القلم الحر » باصدار كتاب مستقل عنه اسموه « السفارة الادبية » واهدوه اليه ، وهو يتضمن ما قيل وكتب فيه من مقالات وخطب وقصائد ..

غير انه استهجن ذلك كله ، مشمئزا من تصرف لا يعدو ـ في نظره ـ ان يكون استغلالا وابتزازا .

وحين كتب عنه المستشرق الايطالي مارتينو ماريو مورانو بحثا عن شاعريته ونشره بروما عام ١٩٦١ اشاد جورج صيدح بمنهجه وتشبثه بالحقائق ودراسته الظروف الموضوعية كما ينبغي ..

وفي عام ١٩٧٢ صدر ببغداد كتاب نقدي عنوانه : « افكار وسطور » لعامر رشيد السامرائي ، ويضم بين

في غدٍ

الى سفيرنا الاديب الشاعر الشيخ احمد عبد الجبار

في غد نلتقي على ضحوة الشمس ... على مفرق الزمان السحيق
في غد ، يا غد الامل الحلو ... ويا بسمة الصباح الانيق
في غد يمتلي الفؤاد ويهنا ... فاستفيقي يا ذكرياتي استفيقي
يافؤادي، يا ايها الخافق السكران ... أضللتني فهز طريقي
انا لولا هواك ، لولا جموح ... في شبابي وضجة في عروقي
لم اوزع على الدروب شبابي ... وادنس وجه ... الحقيقي
حاضري ماتم وامسي مضج ... ايكون الغد الحنون رفيقي
وتعود الطيور للجو تتلو ... سور الحب والهوى والخفوق
عاد نيسان يا حبيبة عودي ... ننشر الحب في الفضاء الطليق
بسمات من الرضى مفريات ... نفحات من البخور العتيق
نملأ الارض والعوالم نورا ... عبقريا من قلبنا المسحوق
اترى ، يا ترى تموت أما ... نينا على منبح الهوى الزنديق
الهوى الفاجر الاثيم يدمي ... جبهة الحق بالدم المهروق
ما لدنيا الانسان يا مبدع الحب ... تتيه ، تعتز بالتمزيق
تتلوى على جراح من الشر ... والاثم مخنوقة بالشهيق
والتجاديف والزنا بركان ... ثائر من فؤادها الممزوق
ما لدنيا الانسان يا رب جنت ... كجنون الجحيم يوم الحريق
ترسل الانة المسعرة الحمراء ... عمياء ، بلهاء كالمصعوق
تتعرى وللفجور ضجيج ... يا لجرح الخنا العميق العميق
رب عفوا وضعتني في طريقي ... رب رحماك ، قد ضللت طريقي

موسى سليمان

دفتيه ، فصلا تحليليا عن ديوان « حكاية مغترب » لجورج صيدح .. وما ان ادركته نسخة منه ، حتى اسرع بالكتابة الي قائلا بالحرف الواحد : « اما كتاب عامر رشيد السامرائي فتحفة .. ما قرات نقده لديواني حتى علقت اسلوب هذا الاديب الكبير واكبرت طاقته الفكرية والبيانية فضلا عن احساس مرهف ينبه ما خفي في ضمير الشاعر حين يعجز عن الافصاح ويجعل نقده هداية ودرسا يستفيده المنقود . تأمل لو رزقني الله بناقد ذواقه مثله اجده الى جانبي حين انظم الشعر لكنت اليوم على مستوى يختلف على ما انا عليه ولكنني انظم بين الاعاجم . هذا قدري . كان شوقي لا يدفع بقصيدة للنشر الا بعد الاستئناس بآراء اصحابه وزواره ، حتى اولاده وخدامه . اما انا فلا سمير لي سوى القاموس يعصمني عن الاخطاء اللغوية ولكنه يقيد فكري ويبلد شعري ، على كثرة النقاد ــ او المدعين ــ في هذا العصر لا التفت الا الى نقد العقاد ونقد الدكتور مندور ونقد مارون عبود ، الثلاثة ارتحلوا ولم يبق من اثق به سوى دكتور في حلب اسمه عمر الداعرق واليوم اضيف اليه اسم عامر رشيد السامرائي ، بيض الله وجهه ونفعنا بأدبه » ..

(١) المدمس هو صحن الفول اساس الطعام الشعبي في مصر .

بغداد — وحيد الدين بهاء الدين



الدكتور احمد الحفناوي

من تاريخ دول الإسلام

دَولة غانا الإفريقيّة

بقلم الدكتور احمد الحفناوي

مدرس التاريخ الاسلامي في جامعة المنوفية

* * *

كان اول من ذكر « غانة » من العرب : الفزاري الفلكي الذي ذكر قبيل عام ٨٠٠ م ، عدة بلاد افريقية منها اقليم غانة بلاد التبر ، ثم الخوارزمي الجغرافي قبيل عام ٨٣٣ م، الذي حدد غانة في خريطته التي نقلها عن بطليموس .

اما اليعقوبي الجغرافي فقد وصف ملك غانة عام ٨٧٢ م : بانه ملك عظيم ، وفي ارضه معادن التبر وهو صاحب عدة ممالك كثيرة ، وجاء ابن حوقل الجغرافي سنة ٩٧٧ م بعد قرن من الزمان وكان قد زار اودغشت فقال : ان لملوك هذه المدينة صلات بملك غانة اغنى ممالك العالم لذهبها .

وزودنا البكري (١٠٦٧ م) بمعلومات ذات قيمة عن السودان الغربي في العصور الوسطى (١) ، فذكر موقع غانة ووصف احوال الشعب فيها كما وصف ملوكها .

ويلاحظ ان الادريسي الجغرافي (١١٥٤ م) لم يكتب شيئا جديدا عنها ولكنه اكتفى بما ذكره السابقون عليه(٢) واضاف بعضا من المعلومات التي كانت في حاجة الى الدقة والتمحيص .

ولم يكن ما كتبه ابن خلدون الفيلسوف والمؤرخ الشهير قبيل عام ١٤٠٠ م الا صدى لما جاء في كتاب الادريسي (٣) .

وكان ابن بطوطة ثاني المؤلفين العرب الذين زاروا السودان الغربي بعد ابن حوقل ، ويلاحظ الباحث انه لم يذكر شيئا عن غانة ـ حيث كانت قد زالت عن الوجود ـ ولكنه وصف أحوال وعادات شعبها واحوال ملكها .

ولن ننسى المؤرخين السودانيين اللذين كتبا عن تاريخ بلادهما بعد مؤرخي العرب، وزودانا بمعلومات طيبة عن غانة ومالي وهما محمود كعت الذي كتب تاريخ الفتاش (٤) فيما بين (١٥١٩ ـ ١٦٦٥ م) ، وعبدالرحمن السعدي قبيل عام ١٦٥٥م ، الذي الف تاريخ السودان(٥) على ان اول نص عربي لا لبس فيه عن السودان الغربي يرجع الى ابن عبد الحكم المؤرخ العربي (٨٠٣ ـ ٨٧٠ م) الذي قال وهو يتحدث عن حملة جردت الى سوس جنوبي مراكش والسودان سنة ٧٣٤ : وغزا عبيد الله ابن ابي عبيدة الفهري السوس وارض السودان ، فظفر بهم ظفرا لم ير مثله واصاب ما شاء من ذهب ، وكان فيما أصاب جارية او جاريتان من جنس تسميه البربر أجان (٦) .

وتتفق كلمة المؤرخين على ان دولة غانة تأسست عام ٣٠٠ م وكان اول ملوكها « كاز » ، ثم نمت واتسعت رقعتها حتى امتدت من نهر النيجر الى ساحل الاطلسي غربا وشمالا عند حافة الصحراء الكبرى ، وقد ذكر الادريسي الجغرافي (سنة ٥٤٨ هـ ـ ١١٥٤ م) ان ارض غانة تتصل من غربيها ببلاد مقزارة ومن شرقيها ببلاد الذهب ونقارة ومن شماليها بالصحراء المتصلة التي بين ارض السودان وارض البربر ، وتتصل من جنوبيها بأرض الكفار من اللملية (أكلة لحوم البشر) وغيرها (٧) .

وفي المدة من القرن الرابع الى القرن الثامن الميلاديين تمكنت الاسرة الاولى التي تتألف من اربعة وأربعين ملكا من بسط سلطانها على البقعة بين اوكار وحوض ، وجاء في دائرة المعارف الاسلامية ان حوض اقليم شبه صحراوي يقع شرقي الصحراء الكبرى الافريقية ويمتد الى الشرق من تنبكتو مسافة تقرب من مائتي ميل ويتجول في طول الحوض وعرضه قبائل من العرب او البربر المستعربة اهمها : الاغلل واولاد ناصر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان شعب غانة يزرع الدخن وبعض الحاجات ويشتغل فريق من الاهالي في صيد الاسماك وكانوا يلبون نداء الملك لحمل السلاح اثناء الازمات ، اما ملوكها فيصف الادريسي احوالهم فيقول : « وغانة الحاضرة مدينتان على ضفتي النيجر وهي اكبر بلاد السودان طرا واكثرها خلقا واوسعها متجرا واليها يقصد التجار المياسير من جميع البلاد المحيطة بها من سائر بلاد المغرب الاقصى ، واهلها مسلمون وملكها فيها يوصف من ذرية صالح بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو يخطب لنفسه ، وله قصر على ضفة النيل (النيجر) قد اوثق بنيانه واحكم اتقانه وزينت مساكنه بضروب من النقوشات والادهان وشمسيات الزجاج ، وكان بنيان هذا القصر في عام ٥١٠ م ، وتتصل مملكته وارضه بأرض ونقارة وهي بلاد التبر الذي يعلمه اهل المغرب الاقصى علما يقينا لا اختلاف فيه ان له في قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلا من ذهب تبرة واحدة خلقها الله تعالى خلقة تامة من غير ان تسبك في نار او تطرق بآلة وقد نقر عليها ثقب وهي مربطة لفرس الملك وهي من الاشياء المغربة التي ليست عند غيره وهو يفخر بها على سائر ملوك السودان وهو اعدل الناس فيما يحكى عنه ، ومن سيرته في قربه من الناس وعدله فيهم ان له جملة قواد يركبون الى قصره في صباح كل يوم ولكل قائد منهم طبل يضرب على راسه فاذا وصل الى باب القصر سكت ، فاذا اجتمع اليه جميع قواده ركب وساريتقدمهم ويمشي في ازقة المدينة ودوائر البلد فمن كانت له مظلمة تصدى له ، فلا يزال حاضرا بين يديه حتى يقضي مظلمته ثم يرجع الى قصره ويتفرق قواده فاذا كان بعد العصر وسكن حر الشمس ركب مرة ثانية وخرج وحوله اجناد فلا يقدر احد على قربه ولا على الوصول اليه وركوبه في كل يوم مرتين ولباسه ازار حرير يتوشح به او بردة يلتف بها وسراويل في وسطه ونعل شركي في قدمه وركوبه الخيل وله حلبة حسنة وزي كامل يقدمه امامه في اعياده وله بنود كثيرة وراية واحدة وتمشي امامه الفيلة والزرائف وضروب من الوحوش التي في بلاد السودان ولهم في النيل زوارق وثيقة الانشاء يتصيدون فيها ويتصرفون بين المدينتين بها ، ولباس اهل غانة الازر والفوط والاكسية كل احد على قدر همته ، وهم يعتمدون في معاركهم على القسي والنشاب والدبابيس اما القسي والنشاب فانها من القصب الشوكي واما الدبابيس فانها من الابنوس (٨) .

ونترك المؤرخ محمود كعت صاحب كتاب : تاريخ الفتاش يصف الاصطبلات الملكية لواحد من ملوك غانة في نهاية القرن السابع فيقول : « لم يكن هناك جواد واحد من جياد الملك الالف ، ينام الا اذا فرشت طنفسة تحته ، وكان يوثق الجواد برباط من الحرير المجدول حول عنقه وفي قدميه وكان لكل جواد ثلاثة اشخاص لخدمته يأخذون اماكنهم في جواره ، يعنى احدهم بطعامه وثانيهم بسقيه وثالثهم بما يخرج منه » . وفي موطن آخر من كتابه يذكر : ان الملك كان يجلس على عرش من الذهب الاحمر في كل ليلة ويحيط به حاملو الشعالات النارية بينما يشاهد عشرة آلاف من رعاياه ، وهم يتناولون طعام العشاء من مطابخ القصر ، تلك هي احدى صور البذخ التي كان يعيش فيها اباطرة غانة ، وكان الملك يتوسط دائما ابهة بلاطه الرائع تلك الابهة التي تعكس بدون مبالغة بذخ دولته وفرط ثروتها ، كان يتخذ مجلسه في ايوان الملك وقد رصعت ملابسه بالجواهر ويضع على راسه ما يشبه التاج الذهبي ويحف به طاقم من انجياد المطهمة بالحلى الذهبية بينما يقف خلفه عشرة من الغلمان الوصفاء يمسكون الدرقات والسيوف المذهبة والى اليمين يقف ابناء الامراء التابعين لسلطانه ، وهم مرتدون الملابس الجميلة ، وقد رصعوا شعورهم برقائق الحلى ويجلس الوزراء امام الملك ، ويقف حاكم المدينة عند قدميه ويحرس كلاب الصيد الايوان الملكي وحول رقابهم الاطواق والنواقيس الذهبية ، والفضية ، وتلك كانت تتبع الملك اينما ذهب وطوف . . .

وكانت تقرع الطبول الملكية عند بداية اي حفل يشترك فيه الملك وكانت تعرف « بالدبة » اما اتباعه من الوثنيين فيركعون امامه ثم يأخذون التراب من الارض ويضعونه على رؤوسهم ويبدي المسلمون من رعاياه الاحترام بالتصفيق له ، فاذا مات الملك وضعت جثته على الطنافس والوسائد تحت قبة من الخشب وتوضع الاثواب والوان الطعام والشراب الى جانبها ، وكان يدفن معه المقربون من الخدم والاتباع الذين يشرفون على خدمته الخاصة في اثناء حياته ثم تغطى المقبرة بالحصير ويشترك الجمع المحتشد بالقاء التراب على القبة حتى تصير كومة عالية ثم يحيطونها بخندق (٩) .

كانت لبنة الذهب رمز الملكية وقد قدرها الخبراء بثلاثين رطلا وذكر ابن خلدون : انه بعدما سقطت مدينة غانة في قبضة المرابطين سنة ١٠٧٦ م ، وبعد ثلاثمائة سنة بيعت تلك السبيكة الى احد التجار في مصر .

وقد اكتسبت غانة صلات تجارية ممتازة مع الدول المختلفة نظرا لشغلها رقعة الارض التي تقع عند الطرف الجنوبي لطريق القوافل الغربية عبر الصحراء الكبرى ، وكانت تستورد القماش والمنسوجات الحريرية والنحاس والملح وتصدر الذهب والجلود .

اهم الاحداث التي مرت بغانة

اسلم المرابطون في القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي ، وكان لاسلامهم اثر هام في تطور الاحداث في المغرب الافريقي والسودان الغربي حيث اهتموا بنشر

الاسلام بين القبائل الزنجية ولذلك كان من الضروري ان يصطدموا بغانة التي كانت قد وصلت في ذلك الحين الى أوج مجدها ونفوذها وتوسعها حتى ان ابن خلدون قال عن الغانيين : « كانوا اعظم امة واضخم ملك امتدت منطقة نفوذهم من منعطف نهر نيجر جنوبا حتى مدينة آركي في الشمال وتقع على مسيرة سبعة ايام من مضارب قبيلة لمتونة قرب وادي نون ، ولكن كان من حسن طالع حلف الملثمين (المرابطين) المنهاجي ، ان دبت عوامل الضعف في هذه الدولة الزنجية الكبيرة في هذا الوقت بالذات ...

زحف الملثمون (المرابطون) بجيشهم حتى استولوا على « اودغشت » واتخذوها حاضرة لهم وفرضوا الجزية على المغلوبين وقد انتهز شعب « صوصو » فرصة هذا الاعتداء على جارته « غانة » فضربها من الجنوب ثم تفككت روابط الحلف بين قبائل الملثمين عام ٣٠٦ هـ ، ٩١٨ م، فانتهزت غانة احوال تفرق الحلف وبسطات ظلها على ما حول مدينة اودغشت مرة اخرى ولكنها لم تستطع رد املاكها السابقة بعد استقرار الملثمين (المرابطين) فيها ، ويبدو ان غانة قنعت بالسيطرة على اودغشت للتحكم في طريق التجارة بين بلاد السودان وسجلماسة والمغرب وفي ذلك ربح طائل لاقتصادياتها ومن ثم وقفت غانة ثانية على قدميها طوال السنوات الخمسين التالية اعظم قوة في السودان الغربي .. (١٠) ، وكان من اهم آثار التصادم تسرب الاسلام الى غانة للمرة الاولى .. ثم كر المرابطون مرة اخرى على غانة سنة ٣٥٠ هـ ، ٩٦٠ م واستولوا على اوغشت (١١) .

ولما كانة غانة تهدد تجارة السودان ـ وهي مصدر رزق القبائل المرابطين ـ الضاربة في في الصحراء ـ كان لزاما على هذه القبائل ان تتحد وتتحالف للسيطرة على طرق التجارة والمحافظة على مصالحها الاقتصادية ـ ولكنها فشلت في الحصول على اهدافها فقد قتل زعيمها وهو يقاتل ملك غانة .

الا ان « جدالة » اسرعت الى المعركة التي كانت لا تزال مستمرة وتصدت لقيادة المرابطين ، بزعامة يحيى ابن ابراهيم ، واستطاعت ان توقف زحف غانة الى الشمال الذي كان يهدف للقضاء على الجهود التي بذلت في نشر الاسلام .

وجاء ابو بكر بن عمر واستطاع بعد جهاد دام خمس عشرة سنة ان يهزم مملكة السونتكة الخاضعين لغانة ويضم بلادهم الى دولة المرابطين وانكمش سلطان غانة وتفككت اواصرها واستقلت بعض اقاليمها .

واستمرت غانة في انتهاز الفرصة للانتقام من المرابطين وتهديد سيادتهم بين حين وآخر ، ولذلك وجدنا ان المرابطين كانوا يعملون بكل الطرق على القضاء على غانة .. ظهر ذلك جليا في خطة ابي بكر بن عمر حينما قلد قيادة الجيش الشمالي عام ١٠٦٢ م الى يوسف بن تاشفين وعاد هو الى حرب الصحراء وبعد اربعة عشر عاما تمكن ابو بكر بمساعدة قبائل التكرور من الاستيلاء على كومبي وذبح الكثير من اهلها ونشر الاسلام في كل البلاد وقد تم له هذا النصر على دولة غانة ١٠٧٦ م ، وصارت اليه والى رجاله حقول الذهب الغنية التي كانت من اهم مصادر الثروة السودانية آنذاك .

لم يكن لسقوط غانة الآثار الخطيرة التي كان ينتظرها الزعماء الافارقة في هذا الوقت ذلك لان انهيار المرابطين كان سريعا في الجنوب واسرع من نهايتهم في الشمال . فقد كثرت الخلافات بين قبائلهم مما ادى الى ضعفهم وفشلهم .

وبالرغم من النجاح الذي حققه يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين في تأسيس امبراطورية امتدت من السنغال غربي افريقية الى نهر الابرو في الاندلس ، الا انه في خلال انشغاله بدولته في الاندلس استطاع السونتكة وهو شعب اقليم صوصو التابع لغانة ان يستعيدوا استقلالهم وان كانوا لم ينجحوا في ذلك تماما نظرا لعودة الشقاق الى صفوفهم وعجزهم عن الاستفادة من ظروف خصومهم .

كانت مملكة الصوصو في الاصل ولاية من ولايات غانة استقلت في اواخر القرن الحادي عشر عندما انهارت غانة تحت اقدام المرابطين ١٠٧٦ م وكانت الاسرة التي تحكم صوصو في ذلك الوقت فرعا من اسرة سركلة يسمى جرسو ، وقد خلعها عن العرش عام ١١٨٠ م جندي كان من السركلة ايضا ، الا انه كان وثنيا ينتمي الى طائفة من الحدادين يدعى « جره كنته » وخلفه « سوما نكورو » فزاد كثيرا في سلطان مملكة صوصو بأن اضاف اليها عدة ولايات شمالي حدودها القديمة وجنوبيها وبخاصة وغدو وبغنة التي كانت تشمل كومبي حاضرة غانة .

استولى جيش صوصو على قصبة غانة سنة ١٢٠٣ م بقيادة « سوما نكورو » الوثني ، فاضطهد مسلمي غانة وسرعان ما هربوا من جوره ومعهم بعض السونتكة الاغنياء وقصدوا الصحراء حيث « ولاته » على بعد بضع مئات من الاميال شمالي كومبي وجعلوا من ذلك المكان مركزا للحياة الاسلامية سنة ١٢٢٤ م ثم نمت البلدة بمرور الايام واصبحت من اهم الاسواق في الصحراء الكبرى ، اما كومبي فقد محي اثرها .. ويجب الا يفوتنا في هذا المجال ان نتحدث عن :

مدينة كومبي

اطلق عليها الشعب الغاني هذا الاسم ، وهي عاصمة الدولة السوداء ، ويقال لها ايضا : مدينة غانة وقد اشتملت على قسمين كل قسم منهما يقع على تل وتمتد نحو الوادي على رقعة سهل فسيحة وكان يبعد كل قسم عن الآخر نحو ستة اميال يقطن المسلمون احدهما ويسكن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نغم الخلد

خبئيه انه اجمل سر ... واحفظيه انه نشوة عمر
هو كنز لن تلاقي مثله ... لا بماس لا ولا اكوام در
انه الحب الذي نحيا به ... في جنان من رؤى الاحلام خضر
خبئيه واحفظيه انه ... نغم الخلد بهذي الارض يسري
غبطة ما فوقها من متعة ... وحياة في دم الاعراق تجري

السعودية — علي دمر

الوثنيون في القسم الآخر ، وقد اطلق المسلمون على ذلك اسم « الغابة » لاحاطته بالاحراش من كل جانب وهي موضع تقديس الاهالي وبها المقابر الملكية ويعيش الكهنة والسحرة وعباد الاوثان في هذه الاحراش كما اقيم فيها سجن عتيد ليقضي فيه المحكوم عليهم بالموت ايامهم الاخيرة (١٢) .

كان في هذه المدينة اثنا عشر مسجدا مما يدل على وجود عدد كبير من المسلمين فيها وكذلك عدد من العلماء ورجال الدين والادب وطلاب العلم ، كذلك كانت اللغة العربية هي لغة التدوين في كل انحاء الدولة ، ويلاحظ انه كان في المدينة الوثنية مسجد واحد ـ بجوار دار القضاء ـ يؤدي فيه ضيوف الملك من المسلمين الصلاة ، وقد شغل مناصب الدولة المسلمون والوثنيون على السواء ويذكر البكري : أن غالبية الوزراء كانوا من المسلمين وكذلك القائم بالترجمة للملك .

وقد بنيت دور المدينة بالحجارة وبعضها الآخر باللبن ، كما كان عدد السكان كبيرا وذكر ابن خلدون انها كانت من اكثر مدن العالم ازدحاما بالسكان ، وكان يرتدي اهلها الملابس الصوفية والقطنية والحريرية والمخملية كما ازدهرت فيها صناعات : نسيج الاقمشة والنحاس والاحجار الكريمة والدروع والاسلحة المطعمة بالذهب والفضة وايضا زراعة التمر .

وقد استمد البكري وصف كومبي حاضرة غانة من المعلومات التي كان يحصل عليها من تجار البربر الذين عرفوا المدينة جيدا وتتحدث معظم هذه المعلومات عن رخاء كومبي وابهة القصر ونشاطها التجاري (١٣) .

هذا وقد ظفرت غانة باستقلالها في ٦ مارس سنة ١٩٥١ عن الاستعمار الغربي .

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص ٢٩٦ ـ ٢٩٨ .
(٢) الادريسي : وصف افريقية الشمالية والصحراوية مقتبس من كتاب نزهة المشتاق : الجزائر ١٩٥٧ ، ص ٧ـ١٧ .
(٣) ابن خلدون : المقدمة : باريس ١٨٦٣ ، ص ١١٥ .
(٤) ترجمة هوداس وديلافوس : باريس سنة ١٩١٣ .
(٥) نشرة وعلق عليه هوداس : باريس سنة ١٨٩٨ .
(٦) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية ، طبعة سنة ١٩٤٨ ص ١٢٢ .
(٧) الادريسي : وصف افريقية الشمالية والصحراوية المقتبس عن كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، نشر في الجزائر سنة ١٩٥٧ ص ٧١ .
(٨) الادريسي : المصدر السابق : ص ٣٠ـ٤٠ بتصرف .
(٩) محمود كعت : تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس : باريس سنة ١٩١٣ ، ص ٦١ ، ٦٢ .
(١٠) ابن خلدون : العبر : ج ٦ ص ١٩٩ .
(١١) ابن حوقل : صورة الارض : ج ١ ص ١٠١ .
(١٢) عبد الرحمن زكي : تاريخ الدول الاسلامية السودانية في افريقيا الغربية ص ٧٧ .
(١٣) د. عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

جامعة المنوفية ـ مصر — احمد البهي الحفناوي

مع صالح علي الشرنوبي

بقلم الدكتور محمد سعد حسن غشوان

رئيس قسم النقد والادب في كلية اللغة العربية
جامعة الازهر فرع اسيوط

* * *

كان صالح علي الشرنوبي (٢٦ من مايو ١٩٢٤ — ١٧ سبتمبر ١٩٥١ م) اديبا متعدد المواهب ، كان شاعرا مجيدا وناثرا فذا ، ولكن تراثه وفكره لم ينشر على الناس مطبوعا الا بعد وفاته ، فقد فرضت حياة المسغبة التي حاصرت الشرنوبي في حياته ان يظل تراثه حبيس عدة كراسات من الكراسات المدرسية العادية ، كانت عزيزة عليه ، أوصى بالعناية بها بعد موته ، وقد نشر الاساتذة صالح جودت وحسن عبد الوهاب واحمد خميس طائفة من اشعاره في عام ١٩٥٢ بعنوان « نشيد الصفاء » وعدوا عملهم هذا جهد المقل ، حتى كان ذلك الجهد الذي بذله الدكتور عبد الحي دياب رحمه الله ، فقد جمع تراث الشرنوبي الشعري والنثري وقدمه للقراء في سفر ضخم يقع في خمس وسبعين وستمائة صفحة من القطع الكبير تحت عنوان (ديوان صالح الشرنوبي) وقد صدر الديوان عن دار الكاتب العربي بالقاهرة في اواخر الستينات من هذا القرن .

ويضم الجزء النثري في الديوان عدة موضوعات منها القصائد النثرية والاغاني الزجلية والقصة والمسرحية .

صحيح ان نتاج الشرنوبي النثري يعد قليلا في جملته اذا قيس بنتاجه الشعري ، غير انه كان يكتب نثره بروح شاعر مجيد ، وقد نجح في توظيف كل المؤثرات الفنية التي ترقى بالنثر الى مستوى الشعر الرفيع وان لم يكن موزونا مقفى ، كان الشرنوبي فيما تراءى لنا يحتشد للنثر احتشاده للشعر ، لقد كانت حواسه ووجداناته متفتحة على كل شيء في الحياة ، يلتقط منها بشاعريته كل ما يصلح للشعر ، سواء كانت عادية ام تجربة جمالية، فهو يعيش مأساة كل انسان يقابله ، وكانت نافذته التي تطل على الحياة لا تكاد تترك بائسا محروما دون ان تصوره وتعبر عنه .

كانت مقطوعات صالح النثرية ، او ان شئت فقل منثوراته الشعرية جيدة الصياغة تامة السبك ، ذلك لانه كتبها بروح شاعر وفكر انسان ، وحين تقلب صفحات ديوانه الضخم تقع على مقطوعته او اقصوصته التي عنوانها « ذهب وتراب » او هكذا قال فلاح مصري في يوم عرف فيه نفسه وقدر بؤسه التي يقول فيها (١) :

« هنا الكوخ .. (٢) كله نعيم ، وكله جحيم .. وهذا الوادي المخضوضر بالعشب .. ينبسط امامه كأحلام العذراء في فجر الهوى .. والقمر الابهر .. يطل علينا من خلل السحاب كأنه وجه الدرهم الجديد .. وقد استدارت جوانبه استدارة الرغيف الطازج .. وعن اليمين يقوم القصر المشيد .. قصر السيد الغني ، صاحب المزرعة ، ورب نعمتنا .. هو قصر نعرف ما فيه بالتوهم .. لاننا محرم علينا دخوله .. خوفا على بسطه الناعمة من ان تتأذى بوطء ارجلنا الشقية .. الممتلئة بالاخاديد .. وهذه ابنتي الصغيرة « سعادة » .. يعلم الله ان حياتها على النقيض من اسمها .. ترتدي قميصا من القطن الخشن .. نسجته يد البلى .. فهو لا يقوى على مس الراحة .. وفي يديها عود من قصب الاذرة .. ارهقته من طول ما امتصت من رحيقه .. الذي لا يسمن ولايغني من ظمأ ولا جوع .. ترى فيم تحلم هذه المسكينة ؟.. اقتربي يا بنيتي ، وتعالي الي .. قالت الفتاة وفي عينيها دموع تريد ان تنسكب : ابتاه .. وتهاوت على الارض.. كأنها دمعة يتيم جائع .. وانفرجت شفتاها المرتجفتان عن كلمة مللت سماعها .. لانها تذكرني بما اريد ان انساه .. قالت : لقد اقبل العيد يا ابتاه ، وليس عندي رداء جديد .. قلت وقد مزقت سمعي شكواها المرة : من قال لك يا بنيتي ان العيد قد اقبل ؟ قالت ، وقد زادها انكاري اصرارا على الشكوى : لقد سمعت ابن سيدنا يقول لاخته : انه سيذهب الى القاهرة بعد يومين ليقيس ما اشتراه له ابوه من اكسية .. قلت : يا بنيتي ان هؤلاء لا يعرفون للعيد يوما واحدا .. فكل ايامهم اعياد .. اما نحن .. وأمسكت عن الكلام .. فقد اقبلت زوجتي « ام الخير » .. لعنة السماء على يوم عرفتها فيه .. فقد كان يوم سوء لا زلت اذكره ، ففيه بعت آخر قيراط من الارض تركه لي ابي .. لا لشيء الا لاتم نصف ديني كما حدثوني .. ولانقص نصف دنياي كما عرفت فيما بعد .. ونفضت « ام الخير » رداءها وفيه لقيمات .. لا تقيم صلب الطفل المترنح على يديها من الم الجوع .. وامسكت بطرف ردائها المهلهل .. لتمسح به عيني الطفل الرمدانتين .. ولم تزد على نظرة القتها علي وعلى البنية .. ثم اخذت تخطف في سيرها الى شاطىء الترعة القريبة .. وغمرت الطفل في مياهها الراكدة.. ثم اخرجته كقطعة اللحم الفريض .. بعد ان ازالت ما كان عالقا به من

اقذار لتلبسه ثوبا من الطين جديدا .. وعادت جذلانة قريرة العين .. كأنما اتتني بهدية .. ثم تمطت في الهواء بيديها الناحلتين .. فخيل الي انها تريد ان تأخذ السماء من أقطارها .. لتلقي بها في حجري .. قلت : يا رعناء . الى اين ؟ قالت : الى قصر سيدنا .. امسح البلاط ، واغسل الاواني ، واحلب الابقار .. ثم اعود اليك كما تشتهي ان اعود .. قلت في نفسي : فلتذهب الى الشيطان على شريطة ان تعود .. وفي يدها من مائدة الالهة ما يصلح طعاما للعبيد .. وانطلقت تعدو .. وانطلقت في اثرها امان ثلاث .. هي امانينا .. انا ، والفتاة ، والطفل .. جلباب ، وقميص ، ولقيمات » .

كتب صالح هذه الاقصوصة في الثالث والعشرين من مارس من عام ستة واربعين وتسعمائة والف ، في وقت كان الاقطاع وراس المال يتحكمان فيه في رقاب الكثرة الكاثرة من المصريين ، الذين لم يكن لهم ازاء تحكم السادة حول ولا طول ، ولم يسلم من هذا التحكم البغيض الجانب الاكبر من المثقفين ابناء الفلاحين وصغار الملاك ، اولئك الذين تسلحوا بالوعي وتدثروا بالفكر ولقد كان صالح واحدا من هؤلاء الذين عانوا من سوء الحال وقتئذ ، فقد الجأته ضرورات الحياة الى الاحتماء بمغارة في تلال المقطم بعدما عز عليه ان يجد سكنا يؤويه ، او هكذا شاء لنفسه حينما رفض الحياة مع اولئك الذين يغفلون عن اسى الفقير ، ولوعة المتشرد ، وانة المحروم ، وفي هذه المغارة سجل الشرنوبي احساسه في قصيدة تعد وثيقة هامة على الجانب التعاوني والانساني فيه ، وهي بعنوان : « على ضفاف الجحيم » وقدم لها بقوله : « اليك يا قاهرة .. الى اضوائك القاسية التي طالما عذبت عيني وانا قابع في الجبل المضياف ، بصخوره الحانية ، وكلابه العاوية ، وصمته الكئيب ، ثم الى هؤلاء المترفين الكسالى ، الذين ينكرون علي ايماني بالالم ، وعبادتي الدموع ، واخلاصي للاحزان » . وفيها يقول :

اني هنا ايتها المدينه ... الحرة الفاجرة المجنونه
احبس في جفني الرؤى السجينه ... والادمع الواهبة السخينه
اني هنا اغربل السكينه ... وازدع الخواطر الحزينه
ملء ضفاف الوحدة المسكينه ... وفي يدي فجري ستعبدينه
يوم تزول ... الوحدة الملعونه

وفيها يقول ايضا :

اني هنا يا جنة الحقير ... اكل جوعي واضم نيري
وليس لي في الارض من نصير ... الا ضميري آه من ضميري
البسني ممزق الستور ... وجاء بي حيا الى القبور
اقرأ في مصيرها مصيري ... واعرف الغاية من مسيري
بعد احتراق الامل الاخير ... وفرقة الصاحب والعشير (٢)

هذه الحياة القاسية التي انغمس صالح في حماتها هي المسؤولة عن هذه المعالجة الصادقة لتلك الصور البائسة والرؤى الحزينة التي التقطتها عينه ، ووعتها ذاكرته ، وتحرك من اجلها ضميره ، والتي كانت ضاربة بأطنابها في اعماق المجتمع المصري آنذاك ، ولم يكن صالح يملك شيئا يدفع به عن التعساء الاشقياء من ابناء وطنه هبوب هذا الظلم والاضطهاد سوى الكلمة ، لانه كان عاجزا عن دفع هذا الظلم بأي سلاح مادي ، وانى له ذلك وهو الذي يتخذ سريره من حصى المقطم وطينه وصخوره ؟

هذا انا في العالم الكبير ... فوق ربا المقطم المهجور
متخذا من ارضه سريري ... من الحصى والطين والصخور
وتحت سقف الافق المطير ... والعاصف المزمجر المقرور
انام نوم العاجز الوتور ... على نباح الكلب والهرير
وقهقهات الرعد في الديجور ... تسخر من عجزي ومن قصوري

فالشرنوبي شاعر واقعي لا يؤمن بشيء من احلام اليقظة ، تلك التي تهيىء له ان يبني قصورا في الهواء، وان ينتقم من ظالميه في الخيال ، فهو لا يحب ان يضاعف من شقائه حين يفيق على واقعه الدامي ، فيرى ان ما شت وراءه فكره وهم في وهم وخيال في خيال ، وانه لن يستطيع بقصوره وعجزه ان يصنع شيئا ينتقم به لنفسه ولابناء جيله من مستغليه ومستعبديه ومنكري فضله ، والذين يقابلون الاحسان بالنكر وبليع الاساءات .

وقد كان للشرنوبي اهتمام كبير في شعره ونثره على السواء بالمزاوجة بين الشكل والمضمون ، او بين الفكرة التي يريد ان يجليها والاطار الذي ينبغي اخراجها فيه، فهو لم يتخل عن المضمون من اجل العناية بالشكل ، كما لم يهمل من اجل الوفاء بالمضمون ، فالاقصوصة التي قدمناها ذات مضمون اجتماعي وسياسي كبير ، ففي الوقت الذي تصعدت فيه حدة الظلم على المستويين الاجتماعي والسياسي في مصر كتب صالح هذه الاقصوصة ، ولا ندري ماذا كان يؤول اليه مصيره لو ان هذه الاقصوصة وامثالها قد نشرت آنذاك ؟ انها تحد صارخ للاقطاعيين الذين كانوا يتحكمون في رقاب المسترقين من ابناء الوطن، ودعوة صريحة الى الثورة والانتقام من هؤلاء اصحاب القصور المشيدة ، والبسط الناعمة ، وفي الوقت نفسه موازنة واعية بين طبقتين الهوة بينهما كبيرة والمسافة الفاصلة بينهما شاسعة ، والفارق بينهما اجل من ان يذكر ، لكن الظلم هو الذي عمق الهوة بينهما ، وباعد في المسافة التي تفصلهما ، وكيف يشقى ابناء الوطن ، وتمتلىء ارجلهم وايديهم بالاخاديد ، وكيف يعانون شظف العيش ومرارة الحرمان ، وهم أصحاب الارض واولى بتلك الثروة التي اصطفاها هؤلاء الاقطاعيون لانفسهم ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد ركبهم الصلف وعلاهم الغرور ، وسمحوا لانفسهم بالتسلط على صاحب الحق الذي حرم منه في غير رحمة او اشفاق .

فالمضمون الفكري في الاقصوصة كما ترى ذو اتجاه انساني لانه يعالج مشكلة كبرى ذات طابع اجتماعي وسياسي هام ، وهذه المعالجة تؤكد ان صالحا لم ينفصل عن ابناء وطنه في المحنة التي عاشوها ، لانه كان يعيشها معهم ، وانه لم يشأ ان يبيع قلمه وفكره في سوق الادب الرخيص بقريشات ينفقها في اللهو الهابط ، ولقيمات يلقيها في جوفه المتفتح للطعام .

اما من حيث الشكل فالاقصوصة اقرب الى روح الشعر منها الى النثر ، فهي تمتلك من مكونات الشعر وطاقاته الفنية ، ورؤاه الابداعية الشيء الكثير ، وليت صالحا صاغ لنا تلك الاقصوصة صياغة شعرية ترتكز على القافية والوزن ، ولو فعل ذلك لحصلنا على واحدة من قصائده الرائعة التي يطفح بمثيلاتها ديوانه الكبير .

ولعلك معي ايها القارىء العزيز في ان الاقصوصة مكتظة باللقطات الفنية التي تشهد ببراعة الشرنوبي وقدرته على صوغ فكراته لتخرج في ثوب ادبي جميل ، ولن اعرض هنا لتلك اللقطات مجتمعة ، ولكني اسوق لك بعضها تاركا لخيالك وفكرك حرية السبح الطويل وراء باقي اللقطات الفنية التي تدل ـ بحق ـ على اقتدار الشرنوبي الفائق في صوغ اسلوبه وبراعته البارعة في التحليق في سماء الادب الانساني الرفيع .

فصالح ـ مثلا ـ لم يلتمس للقمر نظيرا من تلك النظائر التي كانت قد رسخت في اذهان الشعراء والادباء والتي تكون بهذا الرسوخ اقرب خطورا بالبال عند تلمسها في عملية « التكوين » الفني ، ونظرا لان الجائع يحلم بسوق الخبز كما يقال فقد شبه صالح القمر في استدارة جوانبه بالرغيف الطازج تارة واخرى بوجه الدرهم الجديد، دالا بذلك على احساس صادق بربقة الفقر ومرارة الجوع.

ثم انظر الى براعة التشبيه ايضا في قوله عن ابنته: « وتهاوت على الارض كأنها دمعة يتيم جائع » فترجم بذلك عن احساس مفعم بالتعاسة والشقاء ، فدمعة اليتيم حين يعضه الجوع بأنيابه القاتلة سريعة التحدر، ثم هي تنبىء فوق هذا عن حس صادق بمرارة الفقر ولذعة الحرمان .

وقد جسد الفوارق الهائلة التي كانت تفصل بين طبقة السادة وطبقة الفلاحين المطحونين خير تجسيد ، وبخاصة حين تحدث عن زوجه « ام الخير » التي دفعتها الحاجة الى الذهاب لقصر السيد الغني لتمسح البلاط وتغسل الاواني وتحلب الابقار ، لتعود وفي يدها من مائدة « الآلهة » ما يصلح طعاما « للعبيد » .

وبعد فقد غلبت الشاعرية على صالح ، فعلى الرغم من وفاته وهو دون الثلاثين من عمره غير ان رصيده الشعري الضخم يؤهله لان يكون في مصاف شعراء العربية الكبار في العصر الحديث ، ومن الظواهر التي تبعث على العجب ان يموت صالح في هذه السن ليضاف الى عدد من شعراء العصر المجيدين ماتوا دون ان يبلغوا الثلاثين، او تجاوزوها بقليل من مثل : ابي القاسم الشابي ، والتيجاني يوسف بشير ، ومحمد عبد المعطي الهمشري ، وهاشم الرفاعي الذين حلقوا ـ على الرغم من رحيلهم الباكر ـ في سماوات لم يستطع ان يحلق فيها سواهم من شعراء العصر ، وسيكون لنا بعونه تعالى وقفات مع هؤلاء الشعراء الذين ذوت اعوادهم ، وافلت نجومهم بعد رحلة لم تطل في الحياة .

(١) الديوان ص ٦٦٤ الى ص ٦٦٨ .

(٢) النقطتان تشيران الى انتهاء السطر في الديوان ، وقد آثرنا استعمال السطر كاملا توفيرا للمساحة عند الطبع .

(٣) انظر الديوان من ص ٤٩٧ الى ٤٩٨ .

القاهرة — محمد سعد فشوان

اشتركوا في مجلة
الاديب
تساهموا في نشر الثقافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

عثرات الأدباء

بقلم محمد العدناني

* * *

كم ذا نصحتك

لقد خطىء حافظ ابراهيم لقوله في مطلع قصيدته الشهيرة ، التي القاها في مدرسة بور سعيد للبنات :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي في حب مصر كثيرة العشاق

لان المعنى المقصود هنا هو : كم يكابد عاشق . .

ولكن : وافق مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة، في دورته الثامنة والثلاثين ، (بين ٧ شباط (فبراير) و٢١ شباط ١٩٧٢) على القرار الاتي للجنة الاصول :

« ترى اللجنة ان ذكر (ذا) بعد (كم) في نحو : كم ذا نصحتك ! انه تعبير صحيح ، يوجه على ان تكون (ذا) زائدة فيه ، استنادا الى ما جاء في اللسان عن ابن الاعرابي من ان العرب تصل كلامها ب (ذي) و (ذا) ، فيكون حشوا لا يعتد به » .

وانا ارى ان نقتصد جدا في استعمال (ذا) بعد (كم) في الشعر ، ونهمل استعمالها في النثر ، لانها حشو لا لزوم له ، ما دمنا قادرين على تأدية المعنى الذي نريده دون (ذا).

المذبذب (بفتح الذال الثانية وكسرها)
والمتذبذب (بكسر الثانية)

ويخطئون من يقول : فلان مذبذب (بكسر الثانية)، اي : متردد بين امرين ، او رجلين ، ولا تثبت صحبته لواحد منهما ، ويقولون ان الصواب هو (مذبذب) بفتح الثانية ، لان القرآن الكريم لم يذكر فيه الا مذبذب (بفتح الثانية) ، ولانه جاء في الحديث الشريف : « تزوج ، والا فانت من المذبذبين (بفتح الثانية) » .

واكتفى بذكر المذبذب (بفتح الثانية) : معجم الفاظ القرآن الكريم ، والصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني، والحريري الذي قال في المقامة البكرية : «واقلب (بتضعيف اللام) العزم المذبذب (بفتح الثانية) » ، والاساس والمختار .

والحقيقة : هي ان فعل (ذبذب) لازم ومتعد ، فنقول : ذبذب الرجل : حار وتردد ، فهو مذبذب (بكسر الثانية) . وذبذب الرجل (بفتح اللام) : تركه حيران مضطربا ، فهو مذبذب (بفتح الثانية) : القاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن .

وذكر كلمة المذبذب (بكسر الثانية) وحدها اللسان واقرب الموارد . اما المذبذب (بفتح الثانية) فهو عند صاحب اللسان المطرود .

وهنالك المتذبذب ، ومعناه كالمذبذب والمذبذب (بفتح الثانية وكسرها) . وفعله : (تذبذب) ، وهو مطاوع الفعل (ذبذبه) ، وهو لازم طبعا .

ذبل (بفتح الباء وضمها) الريحان

ويخطئون من يقول : ذبل (بضم الباء) الريحان . ويقولون ان الصواب هو : ذبل (بفتحها) الريحان ، معتمدين على ما جاء في ادب الكاتب ، والاساس ، والمختار والمصباح ، واقرب الموارد ، والوسيط .

ولكن : جاء في النهاية : (في حديث عمرو بن مسعود قال لمعاوية وقد كبر : « ما تسأل عمن ذبلت (بضمها) بشرته » ؟ اي قل ماء جلده وذهبت نضارته).

واجاز استعمال الباء مضمومة ومفتوحة كل من الصحاح ، والصاغاني ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن .

وفعله ذبل (بفتحها) يذبل (بضمها) ، وذبل يذبل (بضمها فيهما) ذبلا (بفتح فسكون) وذبولا .

ومن معاني ذبل (بفتحها وضمها) :

١ ــ ذبل فوه : جف ، ويبس ريقه من عطش او كرب (مجاز) .

٢ ــ ذبل الانسان والحيوان : ضمر وهزل (مجاز)

٣ ــ ذبل السراج (بفتح الجيم) ذبلا (بفتح فسكون) : اصلح ذبالته (فتيلته) .

٤ ــ ذبلت بشرته : قل ماء جلده وذهبت نضارته (مجاز) .

الذبالة (بضم الذال المضعفة)
والذبالة (بضم الذال وتضعيفها مع الباء)

ويخطئون من يسمي فتيلة السراج ذبالة (بضم

فتضعيف) ، معتمدين على ما جاء في الصحاح ، وفي مقامة الحريري البرقعيدية : « انحرم ويحك القنص والحبالة والقبس والذبالة ؟ » وما ذكره الاساس ، والمختار ، والوسيط ، وقولي في الشباب :

ما عسى يصنع الطبيب اذا ما عاد مضنى مثلي مهيض الجناح
هاله ان راى شبابي يدوي فتولى متمتما ، غير ساح
في غد تغمض الذبالة جفنيها ويسري الظلام في المصباح

ولكن : يجيز استعمال باء الذبالة مضعفة وغير مضعفة كل من : التهذيب ، والمحكم ، والصاغاني ، واللسان ، والقاموس ، والتاج الذي نقل الذبالة (بتضعيف الباء) عن الصاغاني ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن . وتجمع الكلمتان على:

١ ــ ذبال ، قال امرؤ القيس في معلقته (بضم ذال الذبال) :

يضيء سناه ، او مصابيح راهب امال السليط بالذبال المفتل

٢ ــ وعلى ذبال (بضم فتضعيف) ، قال امرؤ القيس ايضا :

يضيء الفراش وجهها لضجيعها كمصباح زيت في قناديل ذبال

الذبابة والذباب

ويخطئون من يطلق اسم الذبابة على الحشرة المعروفة ، ويقولون ان واحدها هو : الذباب ، ويعتمدون على قوله تعالى في الآية ٧٣ من سورة الحج ، وعلى قول اللسان والتاج ان المفسرين قالوا ان الذباب هنا يعني الواحد .

ويعتمدون ايضا على ما جاء في الكامل للمبرد ، والتهذيب ، وشفاء الغليل ، الذين ذكروا ان الذباب يقال للواحد .

ولكن : جاء في تفسير الجلالين ان الذباب اسم جنس ، واحده ذبابة ، وان الذبابة تقع على المذكر والمؤنث.

وذكر ايضا ان الذبابة هي واحدة الذباب كل من معجم الفاظ القرآن الكريم ، والكسائي ، والاحمر ، وابي عبيدة ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، واللسان ، والمصباح والدميري ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والوسيط .

وقال المختار والمتن ان الذبانة (بضم الذال وتضعيفها مع الباء) هي الذبابة ، وحذرا من قول ذبانة (بكسر الذال) . وقال ايضا : لحن العوام للزبيدي ، والصحاح ، واللسان ، والمد : لا تقل ذبانة (بكسر الذال).

ويجمع الذباب جمع قلة على (أذبة) ، وجمع تكسير على (ذبان) بكسر فتضعيف : معجم الفاظ القرآن الكريم والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والدميري ، والقاموس ، والتاج ، وشفاء الغليل ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويطلق (الذباب) على النحل (مجاز) ويسمونه ذباب الغيث ، وفي الحديث : « انما النحل ذباب غيث » لان الغيث هو سبب نمو النبات ، غذاء النحل .

ويقول المتن : الذباب للواحد والجمع . ثم يقول: الواحدة ذبانة (بضم فتضعيف) وذبابة (بضم) ، او لا يقال . وهذا الغموض يظهر في كتب التفسير ، واللسان، والتاج ، والمد ، بحيث يحار القارىء ، فلا يدري ايها هو الصواب . لذا أرى ــ جلاء للغموض ــ ان نقول ان الذباب اسم جنس ، واحده ذبابة ، وجمعه اذبة وذبان (بكسر فتضعيف) ، ومن معاني الذباب :

١ ــ ذباب العين : انسانها . يقال : هو اعز من ذباب العين (مجاز) .
٢ ــ فلان ذباب : كثر التأذي منه .
٣ ــ اصابه ذباب هذا الامر : شره .
٤ ــ ذباب السيف : حد طرفيه .
٥ ــ الطاعون (مجاز) .
٦ ــ الجنون (مجاز) .
٧ ــ الشؤم (مجاز) .
٨ ــ الذبابة : البقية من كل شيء ، يقال : على فلان ذبابة من دين (بفتح الدال) ، وبه ذبابة من جوع .
٩ ــ ذبابة الابل : بعوضة تنقل نوعا من الحمى المتقطعة (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

النابغة الذبياني (بضم الذال) او الذبياني (بكسرها)

ويخطئون من يقول : يعجبني شعر النابغة الذبياني (بكسرها) ، ويقولون ان الصواب هو ضمها . والحقيقة هي ان ضم الذال وكسرها جائزان . وابو هذه القبيلة هو ذبيان (بضم الذال وكسرها) بن بغيض بن وريث بن غطفان ابن سعد بن قيس عيلان .

والمصادر الآتية ذكرت جواز كلمتي الذبياني (المضمومة والمكسورة) كلتيهما : ابن الاعرابي ، وادب الكاتب (في باب ما يغير من اسماء الناس) ، والتهذيب ، والصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، والمتن ، والاعلام .

اكتفى معجم البلدان بذكر الذبياني (بكسرها) . وقال اللسان ان ضم الذال أكثر .

الذرور (بفتح الذال)

ويسمون ما يذر في العين وعلى القرح من دواء يابس ذرورا (بضم الذال) ، والصواب هو : الذرور (بفتحها)، كما جاء في النهاية : في الحديث « تكتحل المحد (بضم فكسر فتضعيف) بالذرور » . الذرور : (بفتح الذال) هو ما يذر في العين من الدواء اليابس . يقال ذروت عينه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذا داويتها به) ، وكما جاء في التهذيب ، والمحكم ، والحريري في المقامة البرقعيدية ، والاساس ، والصاغاني ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويجمع الذرور على اذرة (بكسر الذال وتضعيف الراء) .

قال الزمخشري : الذرور او الذريرة (بفتح فكسر) هي فتات قصب الطيب (بكسر الطاء) ، وهو قصب يؤتى به من الهند .

وزاد الصاغاني قوله : وانبوبه محشو من شيء ابيض مثل نسج العنكبوت ، ومسحوقه عطر (بفتح فكسر) الى الصفرة والبياض .

ويسمي الوسيط ما ينثر على الطعام من ملح مسحوق ذرورا (بفتح الذال) .

ذروت الحب وذريته (بفتح ففتح في الفعلين)

ويخطئون من يقول : ذريت الحب (بفتح فتضعيف) اي : نقيته (بتضعيف القاف) في الريح من التبن ، ويقولون ان الصواب هو : ذروت الحب ، اعتمادا على الآية ٤٥ من سورة الكهف ، والآية الاولى من سورة الذاريات ، وعلى ما جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والنهاية ، والمصباح ، والقاموس .

ولكن : ذكر اللسان ومستدرك التاج ان في حرف ابن مسعود وابن عباس : (تذريه الريح) . وجاء في تفسير الجلالين ، في شرح سورة الذاريات : « ويقال تذريه ذريا » .

واجاز استعمال جملتي : ذروت الحب وذريته كلتيهما : الفراء ، والمحكم ، والراغب ، والمختار ، واللسان والتاج (الذي ذكر (ذريته) في المستدرك ، وقال ان الواو اعلى) ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويجوز ان تقول : ذرته (براء مضعفة) الريح واذرته بمعنى : ذرته (بفتح ففتح) . وفي الحديث « ان الله خلق في الجنة ريحا ، من دونها باب مغلق ، لو فتح ذلك الباب لاذرت ما بين السماء والارض » . وفي رواية : « لذرت (بفتح فتضعيف) الدنيا وما فيها » .

واجاز الفراء واد بالكاتب ان تقول : ذروت الحب واذريته .

وفعله : ذراه يذروه ذروا (بفتح فسكون) ، وذراه يذريه ذريا (بفتح فسكون) .

الذكر والذكر (بضم الذال وكسرها)

ويخطئون من يستعمل الذكر (بكسر فسكون) بمعنى التذكر ، ويقولون ان الصواب هو : الذكر (بضم فسكون) اعتمادا على الفراء الذي انكر الذكر (بكسر فسكون) بمعنى التذكر ، وقال : « اجعلني على ذكر (بضم فسكون) منك لا غير » ، اما الذكر (بكسر فسكون) عنده فهو خاص باللسان .

وايد قول الفراء : ثعلب في الفصيح ، والزمخشري في الاساس الذي قال : اجعله مني على ذكر (بضم فسكون) اي لا انساه ، وابو البقاء في الكليات .

ولكن : يجيز استعمال الذكر (بضم الذال وكسرها) بمعنى التذكر كل من يونس في نوادره ، وابو عبيدة ، وابن السكيت في اصلاح المنطق ، وابن قتيبة في ادب الكاتب في باب فعل (بضم فسكون) وفعل (بكسر فسكون) ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار الذي قال ان الضم والكسر بمعنى ، وابو جعفر اللبلي (ربما كسروا اوله) ، واللسان (الضم اعلى) ، والمصباح ، والقاموس ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد .

ويجيز قول الذكر (بضم الذال وكسرها وفتحها) : الاحمر الذي قال ان الضم لغة قريش ، والفتح لغة ، والتاج والمد والمتن الذين قالوا ان الضم اعلى ، والكسر جائز ، والفتح غريب .

واكتفى بايراد الذكر (بكسر فسكون) وحدها بمعنى (التذكر) : القرآن الكريم في الآية ٩١ من سورة المائدة ، ومعجم الفاظ القرآن الكريم ، ومفردات الراغب الاصفهاني والوسيط .

وهنالك الذكر (بكسر الدال وضمها) الذي روى ابن سيده انه لغة ربيعة ، والذكرة (بكسر الذال وضمها) والذكرى (بكسر فسكون) : لغة في الذكر (بكسر فسكون) ويقول الراغب الاصفهاني في مفرداته : « الذكرى : كثرة الذكر ، وهي ابلغ من الذكر .

ويقول اللسان الذكر (بكسر الذال) ، والذكرى (بكسرها) ، والذكرة (بضمها) : نقيض النسيان .

وانا لا انصح باستعمال الذكر (بفتح فسكون) ، لانها كلمة غريبة فعلا . وارى الا نلجأ الى استعمال الذكر (بضم فسكون) الا عند الضرورة القصوى ، لان كلمة الذكر (بكسر فسكون) كلمة فصيحة ومألوفة .

محمد العدناني

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نصر الدين عبد اللطيف في "الناس والعصر"

بقلم جليلة رضا

* * *

لعل من اهم الاسباب التي دفعتني الى كتابة هذا المقال، هو انني ـ بصفتي شاعرة ـ ايقنت ان الذي سأكتب عنه، ان لم يكن شاعرا ، فهو يعشق الشعر .. وان الشعر عنده يسري مسرى الدم في العروق ..

اجل .. ان صاحب كتاب « الناس والعصر » ، الاستاذ نصر الدين عبد اللطيف ، مدير تحرير مجلة الهلال ، شاعر يتخفى في زي كاتب ، بل قل يا عزيزي القارىء انه كاتب يعب عبا من منهل الشعر الصافي العذب .

وقد اعترف هو نفسه حين سألته « هي » :

ـ انك تؤثر الشعر فيما يبدو يا مولاي ، فهل تقول الشعر ؟

ـ لعلي الآن لا اقوله ، ولكني .. اشربه !

ولعل من المعالم الواضحة على صدق شاعريته ـ المعالم التي تبهر النظر وتهز الوجدان ـ تلك العناوين الداخلية في مؤلفه الممتع « الناس والعصر » فمن اين التقط صاحبها تلك الاسماء اللؤلؤية ؟ ان لم تكن من بحار الشعر .. من اين جاء بتلك الكلمات المعسولة :

« جرح في قيثارة الغزل » ، « من يشتري ضوء الشمس والقمر ؟! » ، « الليلة نسكن الغربة » ، « عند حافة التمرد والحكمة » . ثم .. هذا العنوان المسكر الحالم : « الحزن سيد القصائد » ..

واعترف انني لو لم اكن قد دفعت بآخر ديوان لي الى المطبعة .. لسرقته ! وليفعل بي صاحبه ما يشاء ، طالما أوقعني تحت اغراء سيد القصائد .. والآن ، وقد وقفت على شاطىء « الناس والعصر » وقبل ان امضي بزورقي الصغير، وامسك بمجذافي المنتظر القلق، والمستند الى حافته الراقصة ..

الآن وقبل ان اعبر هذا النهر .. اجد من الظلم ان أعانق خيالاته واحلامه ، وان اضخم مضامينه واكوانه قبل ان اتيح لنفسي جلسة قصيرة عند مقدمته ..

ان هذه المقدمة تبدو كالصخرة الحزينة الرابضة فوق الشاطىء ، ترنو الى النهر حارسا امينا على كنوزه وعرائسه ..

يقول الكاتب في مقدمته : « ايها القارىء تأخر هذا الكتاب في الوصول اليك امدا بعيدا .. »

كان ينبغي ان تلتقي به ، وبكتب غيره كثيرة من قبله ، على امتداد السنوات القريبة التي ذهبت .. لكنها معوقات النشر .. »

سيدي المؤلف

انا مثلك لن اطيل ، انا ايضا مثلك لا اريد ان يتحول شاطئك الامين الى ساحة عزاء ، فان قصة معوقات النشر هذه مأساة كبرى ، اتركها لفرصة اخرى ..

فكتابك كله مرح وطرافة وبهجة وسخرية .. ونحن احوج ما نكون الى كل هذا في عصرنا المليء بالمنغصات .. فقط لي كلمة لا بد منها أود ان اوجهها الى القارىء .

ان نصر الدين عبد اللطيف عندما خط هذا الكتاب الاول : « الناس والعصر » لم يبدأ من الصفر .

كلا .. والف كلا ..

ان الذي يبدأ من نفسه ، ينتهي اليها .. في آخر الامر .

ان الكاتب بداه ، وامامه تجاربه الشخصية .

بداه .. مكتسبا ـ في مشقة وعناء ـ ذلك المحصول المتراكم على مر السنين ، والذي اضفى عليه خبرته وماضيه وحاضره .. والآن ، ها هو الزورق يلثم وجه الغدير ، في شوق وتحنان ..

ها هو الزورق ينساب امام المجهول من ثقة وامان.

ها هو الزمن يرتد بي الى الوراء ، ويعود الى الامام والممكن والمستحيل يلتقيان ..

صور من ممثلين ومسرحيات

وشريط طويل من الذكريات ..

وانا ابحث عن أجمل شيء في العالم ..

أتراه الحب أم الايمان أم السلام .. ام هي الاوهام؟

وهناك .. بعيدا بعيدا ، في ركن رمادي ، وفي بيت ما ، وفي احد شوارع العصر ، اسمع صوت قارئة الفنجان

وبكاء « نزار » على قبر بن حجر

واسمع انين اغصان الشجر

وقد صفعتها يد الريح العاتية .. وارى ان ابوابا تفتح وابوابا تغلق ومن بعيد .. شعراء يقبلون ، ومن قريب ، كتاب يدبرون واستوعب في سعادة ما يهمسون به.

فكل كلمة لها معنى ، وكل موجة تحيط بزورقي لها غاية ..

واقرا نجيب محفوظ في « بداية ونهاية »

وبين كل هذه الصور ، وعلى المدى الطويل .. يتربع « السلطان » فوق عرشه ويدانيه .. و « هي » .. آه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصور من رمال

ناظم الشعر دائم الاوهام ... يتلهى عن رزقه بالكلام
هائم بالخيال يبني قصورا ... من رمال وراء ركب الانام
مستفز الاحساس اثر القوافي ... بين شكوى لا تنتهي وسلام
يسرج الريح تحت جنح الليالي ... مستثارا يزجي ركام الظلام
يده للجدا وايدي سواه ... في علو تندى كقطر الغمام
فاذا النائبات يوما المت ... ينب عنها نبو سيف كهام
حيث يبقى فريسة الغم ملمو ... ما على حزنه كبقيا حطام
يرقب الناس من مكامن ياس ... وذهول وذلة وانفصام
كل درب الى السعادة يفضي ... غير درب قد شق في الاحلام

سورية — رضوان الشيخ محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من « هي » تحاجيه وتناجيه ..

اخيرا ..

هانذا اعود من رحلتي المباركة ، فيتلقفني الشاطىء من جديد على لهف .. وانظر حولي ، ولا شيء قد تغير ..

انما نحن الذين نتغير .. حقا ، انها رحلة جديدة في ادب الرحلات .

انه كتاب « الناس » و « العصر » وعالمه المليء بالمدهشات .

اما وقد دخلت هذا العالم ، وقرات هذا الكتاب ، فلن استطيع ان اقلل من مجهود صاحبه .

بل ان من طبعي ان احيي وابارك كل كاتب يوقد ولو .. شمعة ليستضيء بها الذين يمضون بعيدا في طريق الحقيقة .

بلى .. لا استطيع ان اقلل من مجهود الكاتب المبدع نصر الدين عبد اللطيف ، في كتابه « الناس والعصر » ولكن ذلك لا يمنعني من القول بانه ليس لنا ان نقيم كتابا على قدر مجهود صاحبه .. فالخير والشر مجهودان متعادلان .

وليس بمجهود البستاني وحده نقيم نوع ثماره .

وليست الثروة وحدها نتيجة عمل ومجهود .

انما هي الافكار التي ادت الى تكوين الثروة ..

فالحقيقة اذا ، ان الذي يلهب فكر الكاتب ويقوي اصراره على الاستمرار ، ويزيد من ايمانه بعمله ، ليست الادوات التي يستعملها في الكتابة ، انما هو تمام العمل وكماله .

هو النفع الذي يعود على القارىء من الكتاب المقروء .

ان تاثير الكاتب على المجتمع عميق .. عميق ..

وكتاب « الناس والعصر » عميق في مغزاه ، طريف في معناه ، لاذع في مذاقه ، فجري في اشراقه .

ساخر في نقده ، عذب في ورده ، جريء الوثبات ، شاعري الكلمات ، فهو لذلك عميق التاثير على قارئه .

والى ان نعود قريبا الى رحلة ثانية جديدة للاستاذ نصر الدين عبد اللطيف ، يجب على كل محب للادب الرفيع الخالص ، ان يحتفظ بكتاب « الناس والعصر » ليزين به مكتبته المنزلية ، حتى تزهو وتزدهر .

مصر الجديدة — جليلة رضا

المواقفية واللغة

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

قدمت (المواقفية) العديد من التفسيرات العلمية الجديدة اليوم للسلوك ، والتكيف ، والشخصية ، واللغة، والمثاقفة ، والتنشئة الاجتماعية ، والثقافة وغيرها (١)، وغيرها ..

وهذه التفسيرات، كما رأينا، تتعدى حدود الطريق الواحدة التي لـ (السبب ـ النتيجة) ، الى حدود الطرق المتنوعة التي لـ (المتعدد ـ المتحول) ، وتعتبر السلوك بالتالي مجتلى التفاعل المواقفي في سياق اجتماعي (٢) .

المواقفية والمثاقفة

و (الموقف) في نظر المواقفيين شخصي ، وفي الوقت نفسه اجتماعي ، انه يخص الشخص ، وايضا يعكس اثر المعايشة الاجتماعية .. وان (السلوك) المترتب عليه مظهر لشخصية الفرد ، وايضا مظهر للمجتمع الذي يعيش الفرد فيه ..

و (المواقفية) هي دراسة هذه الوحدة بين النفسي والاجتماعي ، في حياة الانسان الواقعية ، والتي يترجمها التفاعل الاجتماعي الى مواقف ، وسلوكات .. ومن هنا اعترافها بالسلوك المحتجب ، او المتضمن ، واهتمامها بالتالي بالجانب المفهومي في تجربة الانسان ، سلوكه ، لغته وفكره ..

وان (المثاقفة) عملية كتلوية نفسية اجتماعية شديدة الصلة بما تحياه الافراد والجماعات من مواقف حياتية، ولذلك يدرسها الباحثون النفسيون والاجتماعيون من زاوية مظاهرها ، كما تعكسها الحساسية ، والادراك ، والذاكرة ، واللغة ، والذكاء (٣) ، وهلم جرا ..

والمجال اللغوي اليوم من ابرز المجالات التي استطاعت ان تفيد من (المواقفية) فوائد جمة ، وعلى الخصوص (الملفوظية) وتحليلاتها ، والتي سنفرد لها ان شاء الله ابحاثا خاصة ، لغوية ، ونفسية ، واجتماعية ، انجازية وعامة كافة ..

المثاقفة ، والثقافة

وقدكان ـ دركايم ـ يعتبر المثاقفة مظهرا للالزام الاجتماعي اي القسر الذي يمارسه المجتمع على الافراد .. بينما ذهب ـ تارد ـ الى ان المثاقفة ثمرة فعالية تلقائية في الانسان ، هي فعالية (المحاكاة) ، والتي تصبح ارادية .

الا ان علماء النفس الاجتماعيين اليوم يعتبرون المثاقفة عملية مسوغة ، تسوغها حاجات كل من الفرد ، والجماعة .. وان الافراد والجماعة تتثاقف عن طواعية ، وليس عن اكراه ، واذا قلد بعضهم بعضا فليس دون هدف وانما هدفهم التكامل النفسي الاجتماعي (٤) .

ويميز علماء النفس والاجتماع عادة بين ـ المثاقفة والثقافة ـ ، الاولى: تربية فعلية وصميمية تلازم التنشئة الاجتماعية ، وتهدف الى تسهيل التكيف مع الحياة ..

في حين ان الثانية ، ـ الثقافة ـ : ارث اجتماعي ، واضح المعالم ، له استقلاليته ، يتناقله الابناء عن الاباء ، يتفاعلون معه ، ويطورونه ..

ان المثاقفة ـ تمثل الجانب الحركي الحي ـ لتطلع الافراد والجماعات الى النور ، والعرفان ، بينما تميل الثقافة الى ان تتخذ شكلا مؤسسيا محددا ..

وعادة ، تتخذ الثقافة شكل (تراث) معروف ، وايضا شكل عرف ، و (تقاليد) ذات انظمة محددة ، فتمثل الرقي العاطفي ، والفكري والاجتماعي لمجتمع ما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرية سكينير في اكتساب اللغة

ويذهب ـ سكينر ـ في كتابه : (السلوك اللفظي) ، ١٩٥٧ الى ان نمو اللغة يمكن ان يفسر المتغيرات ، التي تدخل في عمليتي : التشكيل ، شيبينغ ، والتعزيز ، ردانفورسمنت ..

ولذلك قال سكينير (٥) بالاشراط الشخصي ، والاجتماعي ، وان معاني الكلمات تتحدد بواسطة (التعزيز) ، اذ تكون الاستعمالات الصحيحة كجواب على مؤثر ، متبوعة بمؤثرات تعززها (٦) .

وعلى ذلك يتعلم ـ الطفل ـ هياكل نحوية ، لا تعتم ان تصبح الاساس في بناء جمل جديدة ، وصحيحة نحويا .. ويكون (فهم الجمل) ، بالتالي ثمرة الاشراط المعزز (٧) .

ان عمليتي : (التشكيل ، والتعزيز) تراقبان ، في نظره غيرهما من عمليات ـ التعلم ـ ، وخاصة الاشكال غير اللفظية ، من سلوكات التكيف ، ادبيتشن ..

ويضيف ـ سيكنر ـ ان (اللامساواة) التي في نمو اللغة في قطاعات المجتمع المختلفة تعود في الاساس

الى الدور الذي تلعبه الإشخاص وشخصياتها ، والثقافة وخصائصها فيها ..

والثقافة لها دور كبير في هذا النمو اللغوي في المجتمع، وقطاعاته .. لان (الثقافة) من طبيعتها تؤكد على ـ قاموس ـ خاص بها ، هو يهمها في توضيح نظرتها الى الحياة ، ومفاهيمها في ذلك كله (٨) .

وظائف اللغة

ويرى العالم ـ ستوتزل ـ ، في كتابه : (علم النفس الاجتماعي) ، ١٩٧٨ ، ان المجال مفتوح اليوم لدراسة اللغة دراسة نفسية اجتماعية تنصف العديد من موضوعاتها ، والظواهر المتعلقة بها (٩) .

ان (اللغة) فعالية مكرسة بشكل مؤسسي (١٠)، ولها وظائف اجتماعية مختلفة ، ومن خلال هذه الوظائف يمكن دراستها نفسيا ، واجتماعيا (١١) .

قبل كل شيء ، (اللغة) أداة تكيف مع الجماعة ، ولا غنى عنها فيه .. لانها هي الوسيلة الاساسية لنقل القيم ، والمبادىء بين المجتمعات ، والقطاعات ..

وان الفروق الشخصية في ـ السلوك اللفظي ـ آنئذ ، لا تعود فقط الى الاستعداد اللغوي ، وانما ايضا الى (الظروف) المحيطة ، (والمواقف) الراهنة ..

ثم ان وظائف اللغة لا تقتصر على التعبير .. وانما هي تعمل ايضا على اكساب (الفرد) قيمة اجتماعية معينة ، بأن تلفت الانتباه اليه في فرديته ، أو جماعيته ..

وهناك اخيرا الوظيفة العلاجية ، في الدفاع عن النفس ، والسمعة ، والكرامة، خاصة في الاحوال الهجومية التي لرفع الغبن او الظلم (١٢) .

الكلام شيء اجتماعي ، ومراقب

وبفضل حرص العالمين ـ لابيير وفارنسوورث ـ على توضيح (التكامل المواقفي) فقد خصا اللغة بدراسة مفصلة ، وتقصيا احوال اظهارها كسلوك مواقفي ، لفظي، ظاهر ، ورمزي ..

اللغة في نظرهما اداة محورية ، وتظل الوسيلة الاساسية لنمو جميع السلوكات الاخرى عند الانسان ، لانها مرتبطة عنده بجوانب عضوية ، ونفسية ، واجتماعية متكاملة متنوعة (١٣) .

الكلام اصوات نموذجية متفق عليها ، وله قيمة بالنسبة للمتكلم ، والمستمع .. انه شيء اجتماعي ، ومراقب ، ويؤدي وظائفه في الحياة الاجتماعية ..

و (الاصوات) في حد ذاتها لا قيمة اجتماعية لها .. الا ان اقترانها بمدلولات معينة شيء اجتماعي ، وبه يصير السلوك اللفظي الى مؤسسية في المجتمع .

التربية ، والفروق اللغوية ..

وهنا تتدخل ـ التربية الاجتماعية ـ .. وذلك (١٤) ان الصفات النبروية للغة ، مثل النغمة الكلامية للاشخاص ذات اثر فعال في (نمو اللغة) ..

و (السلوك اللفظي) الحقيقي ، والاول يصير يتبدى عندما يتعلم ـ الطفل اقتران اصوات معينة بمواقف معينة ، وايضا موضوعات معينة ..

وذلك في الشهر السادس عشر تقريبا .. وبعد التهويم اللغوي يصير الطفل يميز بين الفاظ مفرحة ، مبهجة ، والفاظ محزنة ، مزعجة ..

والاستعمال اللغوي يصير يتكشف عن فروق شخصية في القدرة على الكلام (١٥) .. وهي تعود الى عوامل عدة ، عضوية ونفسية ، واجتماعية ..

و (الفروق اللغوية) نوعان: فروق نبروية، وفروق في اختيار الكلمات .. وهي واقعيا ثمرة المواقف ، وتدرسها الاسلوبية على نماذج متنوعة .

وفي المجتمع الحديث تحتل ـ الكتابة ـ مكانة تفوق في قيمتها احيانا مكانة (الكلام) ، ولكن الكتابة تنقصها النبرة ، وحركات الايماء التي تقترن بالكلام (١٦) .

قياس الاستعداد اللغوي

ومن الموضوعات الحديثة التي تسترعي اهتمام الدارسين النفسيين ، والاجتماعيين (١٧) دراسة الاستعداد اللغوي اي الاستعداد للكلام ..

وتنحصر هذه الدراسة في توجيه (اسئلة) عما سيفعله الفرد ، او الناس في ظروف مفترضة ، اي ما يعادل تبين ردود الفعل على (رموز) مواقفية ..

ويعرف ـ الاستعداد ـ ، بانه : اتجاه نفسي ، وايضا تحضير نفسي لفعل سلوك معين تجاه بعض المواقف او الموضوعات ..

والنتائج التي دلت هذه الدراسات عليها ، هي :

١ ـ ان الاشخاص يكتسبون ، عبر التنشئة الاجتماعية مع قابليتهم للكلام ، حزمة من الاشياء يتحدثون عنها في ظروف خاصة ..

٢ ـ ان اكثر الاستعدادات اللغوية للشخص هي من نشأة ثقافية ، وانها بالتالي مشتقة مباشرة من الجماعة التي ينشأ الفرد فيها ..

٣ ـ ان اكثر هذه الاستعدادات مستقرة تماما ، ولا تتبدل .. وان التربية الصورية والاعلام الصحفي لا اثر مباشر لهما عليها ، والى اللقاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش

(١) يمكن مراجعة مقالاتنا في مجلة (الاديب) الغراء ، وخاصة الشخصية والموقف ، مايو ١٩٧٨ ، الموقف والسلوك ، اغسطس وديسمبر ١٩٧٨ ، الوجه الكيفي والموقف ، يونيو ١٩٧٩ ، الموقف والحاجة ، سبتمبر واكتوبر ١٩٧٩ ، المواقفية والمجتمع ، سبتمبر واكتوبر ١٩٨٠ .

(٢) اذا لم يعد السلوك مجرد نتيجة سببية ، هي استجابة لمؤثر، او منبه ما ، وانما اصبح (السلوك) وظيفة الشخص ، وبيئته ، او دالتهما :

س = د (ش ب)

كما ان (المؤثر) بدوره اصبح يعتبر مثيرا لمواقف عدة ، ومختلفة:

المؤثر ـ الموقف ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ .. الخ ..

(٣) كان علم النفس منذ ڤورنديك ، وودوورث عام ١٩٠١ استغنى عن دراسة هذه (الملكات) النفسية ، واستعاض عنها بما سمي بـ (القدرات) ابيليتي ، والتي سميت مؤخرا بـ (العوامل) ، فاكتور ، وتدرس دراسة تجريبية ..

والعوامل اليوم متنوعة ، وتزيد على خمسين (٥٠) نوعا ، وتتعلق بالارادة ، والحساسية ، والعواطف ، والتخيل ، والتامل ، والدفاع عن النفس ، والاندفاع ، والانهيار ، الخ .. الخ ..

ويفسر العالم ـ كاتل ـ السلوك بالملامح السطحية (كتلة الخصائص) ، والملامح الاصلية (العوامل) ، فاكتورس ، وهكذا دواليك ..

والجدير بالذكر ان العالم ـ ستوتزل ـ يعتمد هذه الملكات النفسية ، ويقارن بين الوقائع المختلفة فيها وبين ما يستقيه من العلوم الانسانية ، التاريخ ، علم اللغة ، علم الانسان ، علم الاجناس البشرية ، السياسة ، الاقتصاد وهكذا ..

ورغم اعتماده على هذه العلوم المكملة ، فهو يؤكد على (العامل المواقفي) في المتغيرات الاجتماعية ، والثقافية .. ويعرض باستمرار وجهة النظر (المواقفية) الى جانب غيرها من وجهات النظر ، كما يدرس (المثاقفة) من خلال (الاطر) الاجتماعية لهذه الملكات النفسية ..

(٤) يذهب كتاب : علم النفس الاجتماعي التجريبي ، ١٩٣٧ لاصحابه مورفي ونيوكومب الى التمييز بين ثلاثة استعمالات مختلفة لمصطلح : (محاكاة) ..

الاستعمال الاول يقصد المحاكاة المترتبة كجواب اشراطي ، ولذلك هي لا شعورية ، والثاني كون المحاكاة الحاصلة سبقتها فترة من المحاولة والخطا ، هي نسبيا طويلة ، والثالث هو الذي للمحاكاة المتعمدة ، والمختارة ، وهو المعنى الشائع ، والمقصود من المحاكاة ..

(٥) لان نظريته تقوم على مبدا التعزيز ، والذي قال به هول ، ودولارد ، وموللر ، من ان (مصير) الاستجابة يتحدد بما يتبعها من ـ تعزيز ، او عدم تعزيز ـ .. الخ ..

(٦) علم النفس لليبر ونيال ، نيويورك ١٩٧٧ ، وانظر موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، لعبد المنعم الحفني ، مصر ١٩٧٨ .

(٧) كتب شومسكي عام ١٩٥٩ مراجعة لكتاب سكينير : (السلوك اللفظي) ١٩٥٧ ، فحمل فيها على سلوكيته ، ثم عزف عن السلوكية الى الاتجاه الذهني الصريح .

وفي نظره ان الانسان مزود باستعدادات معرفية فطرية من قبل اية تجربة عملية ، وان الطفل يأتي الى الدنيا وهو مؤهل بحكمة اكتساب اللغة ، والتي تظل وراء نمو اللغة عنده ، واستعماله الخلاق لها .

(٨) كان العالم اللغوي (ميللر) نوه عام ١٩٢١ بان القاموس ، وتبدلاته المعجمية مرتبط بالمصالح الاجتماعية وايضا بالتحولات الاجتماعية .

(٩) انظر هامش ٣ السابق .

(١٠) فعالية مكرسة مؤسسيا .

(١١ و١٢) يمكن مراجعة كتاب ستوتزل : علم النفس التجريبي ، والذي نعتمده في هذه التوضيحات ..

(١٣ و١٤) راجع كتابهما : علم النفس الاجتماعي ، ط ٣ ، عام ١٩٤٩ ، وهو مواقفي اجتماعي في الاساس .

(١٥) يختلف الكلام ن الحركات الايمائية ، في انه سمعي ، بينما حركات الايماء بصرية .. وانه يستخدم تضاعيف الصوت ، وعضلات النطق والسمع ، بينما يستخدم الايماء عدة اعضاء جسمية .

(١٦) الا ان الكتابة تستعيض عن ذلك بـ (التنقيط) ، ثم بـ (الطرائق الاسلوبية) .. وهي بمثابة تمفصل ايمائي للكلمات المكتوبة.

(١٧) وهناك ايضا موضوع :(الاراء الخاصة) ، وقد درسها سميث ، وبروير ، ووايت في كتابهم : الاراء الخاصة والشخصية ، ١٩٥٦ ، حيث يؤكدون على وظائفها ..

ان (وظائف) الاراء الخاصة في نظرهم ثلاث ، هي :

أ ـ تقييم الاشياء والاحداث ، ب ـ التكيف مع الواقع ، ج ـ التخريج الذاتي في التعبير ، وشكرا .

دمشق — عدنان بن ذريل



فوزي عطوي

فوزي عطوي شاعر الوطنية والحب والجمال

بقلم الدكتور غازي ابو شقرا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

ما أحيلى تلك الساعات الخوالي التي قضاها في مسيرته الطويلة ، لاستكشاف الانسان في ذاته ، بغية اكتناه ادق لذلك الجرم الاناني المتكور الجمجمة الذي استطاب قزميته مستعذبا السفوح ، ومتعاميا عن وهج كتلته الدماغية التي ينطوي فيها العالم الاكبر .

فاين لي ، بعد ان احتضنني شاعر كبير في فندق « ارادوس » ، في ارض «دلون» السومرية ، ام الحضارات ومهد التكنولوجيا التي اعتمدت المد والجزر في تيسير المركبات الماخرة عباب البحار ، من « البحرين » ، في رحلة الانسان لاستكشاف ذاته ومقامه في الكون الاوسع .. اين لي ان اجد العبارات التي تفي نفثات شاعرنا فوزي عطوي حقها ، خاصة بعد ان فاح تفاح لبنان في غرفته البحرينية، فذكرني برائحة بلدي وروحه التي لم تفارق ولن تفارق جسده ابدا .

ولا غرو ، ففوزي عطوي هو شاعر مطبوع من بلدي لبنان ، بل من شوفنا الحبيب المتكامل ساحلا وجبلا .

لقد عكس شاعرنا على مرآة ذاته ما عاناه ، فكانت سطوره الخالدات هي النفثات الصادقة لتلك المعاناة ، كيف لا ، والشعر مرآة الذات اللاواعية ، مرآة حلم الانسان ، حقيقة الانسان ، صفاء الانسان بعيدا عن المخاتلة وعن المحاباة التي اصبحت ـ ومع الاسف ـ هي السائدة في زمن الدجل على الدجل ، في انتكاسة او ردة لحضارتنا الشرقية ، بعد تهجينها وتمغربها وليس تملغمها وتكاملها ، بل وتناغمها مع الحضارات التي اصيبت في عصرنا المريض بالافول والذبول ، بعد ان طغت الانانيات والماديات وروح القنص والاستلاب والقضم والقصم، دون الضم ، على الغيرية ووهب الذات ، بعد ان حل الضرب والطرح والقسمة بدل الجمع ، وهو الاساس ، وهو الينبوع .

فوزي عطوي عاد الى الينابيع ، فجاء شعره تبلورا للكلم ، وتقطيرا لحروفه . فالشعر دون تباور وتقطير اي دون فلسفة او حكمة ، دون ذكرى وعاطفة هو تقطيع واوزان ، كما ورد على لسان احد امرائه الخالدين .

ولم ار في عبوري جسور مرابع شعر فوزي عطوي، ومساري عبر تلافيف سطوره ، وثنايا اخاديدها ، الا العبق المحيي ، الا الشذا ، الا العاطفة والذكرى ، الا الحكمة والاتعاظ من دروس الماضي ، الماضي الدامي المدمي .

ولي عودة الى هذه الاقاحي ، لكنني اسرع فاقول بأنني لمست من باب الادب المقارن تطابقا بين فوزي عطوي ونظيره او سميه قريبي فوزي ابو شقرا .

قال فوزي الاول في ابنته « كارولين » التي ولدت له في بيروت ، وهو في القاهرة (من ديوانه الموج في جزيرة العيون) :

ايالك ان تسمعي ما قيل ايالك ... لما اطل على الدنيا محيالك
لو كنت تدرين كم عانيت يا كبدي ... لكنت تدرين كم احببت رؤياك
انبئت : رابعة الحلوات قد قدمت ... وما سبيل الى استنشاق ريالك
قد كنت في جيرة الاهرام متئدا ... والنيل مرتعش في جفني الشاكي
وبي جراح ، لو ان الارز كابدها ... لبات مثلي ذاك الضاحك الباكي
ما هم رابعة ، ام انت عاشرة ... اني لأرمق بالهدبين دنياك

الى ان يقول :

ام انت حب لليلي ممرع عمري ... تبارك الحب نحياه ونحياك

وقال فوزي الثاني في ابنته «حنان» يؤرخ ميلادها:

وقال : برابعة قد رزقت ... فقلت : لك الحمد في كل شان
ومهما تحملت ارخ : تبسم ... فما عاش قلب خلا من حنان

ان المعاناة واحدة عند الشاعرين ، وهي نتيجة تراكم الجاهلية وواد البنات في ذاكرتنا الجماعية ، في لاوعينا الاجتماعي في مجتمع تشكل نصفه الخوُولة ونصفه الاعمام ، فاراد الذكورية الصرف ، وهي نفح الغرب الذي

يعاني من تمزق العائلة ، لان المراة الموئل وام المجتمع ومدرسته الاولى تتماهى في اللاوعي الاجتماعي مع الطعام الشهي .

يقول قائل : ان شاء الله « بعريس » او : كان بودنا لو كانت « عريسا » (الولادة المأتم) ، فلولا العروس ، لا يتسنى لعريس الوجود ، فهي أي العروس التي تلده وتلذها .. اما آن لنا ان « نئد » هذا اللاوعي المريض التراكمي فنعود الى الشطرين المتكاملين ، الى النصفين المتناظرين ؟

فهي الحقيقة ان الشاعر هو صناجة عصره، وقيثارة مجتمعه ، وهنا تكمن المعذرة من شاعرينا الفذين اللذين يودان تكامل عيشهما البيئيين الصغيرين ، بنينا وبناتنا .

ذلك ان يد المنون انتي خطفت الابن البكر للشاعر فوزي عطوي ، قد شحذت من عزائمه ، وطهرت نفسه من الادران ، فجاءت نفثاته معبرة ، فهو ذلك « الضاحك الباكي » كما قال ، عندما يسخر من سخرية الاقدار ، ويتسامى فوق المأساة ، فيبارك حبه الزوجي ، ويحيا الحب من جديد ، غارفا من حبر فؤاده الجريح مدادا يروي منه سواقي نفوس محبيه ، وانا واحد منهم . فلولا المأساة ، لما كانت الملهاة لتولد ، ولولا طعم المرارة لما استطيب حلو العسل ، فتناغم الاضداد يظهر حسنها، كما قيل .

وفوزي الثاني يحمد الله ، ويمجد الحب راكعا ساجدا في قدسية محرابه ، فيقول : « فما عاش قلب خلا من حنان » . قدس الله الحب ، حب كل شيء : في اللوحة الطبيعية الكبرى ، وهي آي الحياة في مسيرة الانسان عبر الانفاق والمتاهات ، في مسرحية دنيوية عبثية تكون الملهاة ـ المأساة حلقة دائرية فيها ، يطهرها الشعر، ويسمو بها الى مراقي القدسية بعد العذاب على طريق الجلجلة الذي هو وحده يصقل الذات فيسمح للنفس الشاعرية بالتوهج فالسريان عبر ترجماته في اعمدة القوافي ، كدوب السكر في النجيع ، تلمسا للملمة شعث الامة بعد تفتتها الطوعي ، ودمل جراحات نزيفها الدامي.

الم نسمع فوزي عطوي منشدا وطنه الجريح ، متاوها :

اتلوم يا وطني اذا تاهت خطاي على الدروب
ومضيت استسقي سراب الوهم والامل الكذوب
نهشوك يا وطني ، ولم تعوزهم اشداق ذيب
قتلوك ، ما رفت لهم عين على وقع الحبيب
صبوا عليك فذائف الاجرام والحقد الصخوب
وتربعوا فوق الركام ، فكان جرحك من نصيبي
هم جاحدوك الراكضون على تفاهات الغريب
هم بائعوك بارخص الاثمان في اليوم العصيب
فاصبحت تعرون البعيد بكل ثعرون قريب
وهتفت : لا يا جاهلية ، لم تغيبي
ما زلت في التاريخ خالدة السفاه بلا رقيب

الى ان يقول مخاطبا الوطن الجريح ، ومؤكدا على الايمان بالامل القادم :

ما انت بالوطن المباح ، ولست بالوطن السليب
ما زلت مئزرك الشموخ ، يتيه من ضوء وطيب
ستعود نسرا رائع الوثبات بالعزم الدؤوب
سيعود لبنان الندي سيغيب لبنان الشحوب
ستعود يا وطني ، كما كنت ، الضياء بلا غروب

لقد حمل فوزي عطوي عن وطنه كل آلامه ، فهام على دروب ذاته ، مستلهما شعره لدرء الاخطار عن وطنه، ممجدا فرسانه الذين ساروا في طريق الشهادة ، راسمين معالم الطريق لبناء وطن الانسان في لبنان .

الم نسمعه ، منذ قليل يقول لوطنه عن هادمي مجده:

وتربعوا فوق الركام ، فكان جرحك من نصيبي ؟

الم يقل في الشهيد والزعيم الوطني كمال جنبلاط، بعد ان افلت شمسه التي سطعت في دنيانا فملأ الدنيا وشغل الناس :

تشمس الاهة في الجفن الذي ... البس الشمس اكاليل السناء
اجتلي في ناظريك المنتهى ... اجتلي فيك سماح الاصفياء
اجتلي لبنان يبقى جبلا ... مثلما شئت على الدهر وشاء
اجتلي .. تعذر حزني يا اخا ... كان لي في الماجدين الاصفياء
خانني الدمع ، فلا تعبا به ... ليس هذا الدمع دمع الجبناء
انه الحب الذي رويته ... ضيع اليوم عبارات الرثاء

فهل يختلف هذا القول ، معنى ومغزى ، عما نطق به الشاعر الكبير عمر ابو ريشة في رثاء غازي الاول :

تشتهي لو تجمد النور احجارا ... فوشى بهن تاج البلاد
وتخلي حوافر الضمر الخيل ... على كل كوكب وقاد

فان الباس الشمس اكاليل السناء ، في لغة فوزي عطوي ، لا يختلف في شيء عن تجميد النور واستحالته احجارا ونيازك واكاليل فوق هامات الاوطان ، في لغة عمر ابو ريشة .

ويبلغ الحنين عند فوزي عطوي الى تراب وطننا الغالي ، ذروته العليا ، عندما ينفث كلماته التي ترق حتى تستعطف ، وتقوى حتى تستنكف ، فيذكرنا بالمتنبي عندما تضوع قائلا :

حبيتك قلبي، قبل حبك من نأى ... فقد كان غدارا ، فكن انت وافيا

يقول فوزي عطوي في قصيدته « لبنان والحب » (من ديوانه القوافي المبحوحة) التي يبرز فيها حنين الشعر المهجري بأسنى صوره ، ولا سيما وقد نظمت والقيت في الكويت ابان اشتداد المحنة اللبنانية :

اكتب الان ما لا يكتب الانا ؟ ... يا الطف الناس افراحا واحزانا
يمر عيد هوانا ـ والهوى تعب ... يبث عبر نجاوانا شكاوانا
باي لمسة عطر تستثار يد ... كانت تحيل شهور العام نيسانا
أكتب الان ؟ هل سطر انمنمه ... ولا اضاحك في منفاي لبنانا
هل ينسج الحب من شعري مآزره ... والحزن يرمضني قلبا ووجدانا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لتستمع ...

علام ظللت تنظر عن يمين ... ولم تصر التفاتا للشمال
اكون القبح يجلس عن يسار ... وعن يمناك رائعة الجمال
تمتع بالجمال فما عجيبا .. لشوال .. مراقبة الهلال
فهذا الحسن سوف يصير قبحا ... وليل العيد يذهب في الليالي

البصرة ـ العراق

سالم علوان الجلبي

ما اخترت هجران لبناني على ترف ... ولا نايت عن الاحباب سلوانا
لكن ما انهار من خلق الرجال به ... ادمى بقاياه ، فارتاعت بقايانا

الى ان يقول متسائلا :

ما للملائك تنعيها ابالسة ... فتستبيحك انسانا وعمرانا
انت لبنان ؟ يا مجدا نضيعه ... ما كان اقساك في الدنيا واشقانا

واما « شباب الارز » فان فوزي عطوي يستنهض هممهم ، ويشحذ ارادتهم ، قائلا لهم :

توائبتم الى الدنيا شبابا ... ترون المجد امرا مستجابا
على اهدابكم يختال ومض ... ابى اللمح يجتاح الضبابا
نهلتم من معين الفكر فكرا ... وزدتم فوق باب العلم بابا

ثم تبلغ ثورته على العهر السياسي منتهاها حين يقول في القصيدة ذاتها :

عدوت الى السياسة مستطارا ... فلم احسن سؤالا او جوابا
وكنت اضل ضليل لاني ... حسبت الشعب ينتخب انتخابا
بذوت مروءة ، وبذلت حبا ... فلملمت الشتيمة والسبابا
ومن عجب الشعوب تعق نسرا ... وتجحده ، وتأتم الغرابا

وفي تحيته للبحرين الشقيقة ، يظل هائما بلبنان ، يسعى الى لملمة جراحاته ، فيقول :

ائم الحضارة ، لا من ولا كدر ... ان كان عذر فاني جئت اعتذر
ام الحضارة يا بحرين ، ما نعمت ... الا بفيئك احلام لنا فرر
ابالكارم في ارض يشرفها ... صيد كرام ، وغيد نزه طهر
ام بالمروءة يصفيها رجال علا ... فالنبل يخطر مزهوا متى خطروا
ام بالخليج على عطفيك منطرحا ... يشوقه اللؤلؤ المكنون والدرر
ام بالمواويل في شطئانك انتثرت ... و(الغوص) اغنية يشتاقها السحر
ام بالنخيل سموح الوجه مؤتلقا ... ما طاب لولاه لا زهر ولا ثمر
قد تشرقين بشجوي، وهو محتضن ... جرحا بنفسي عميقا ليس يندثر
كنا اذا اخضوضرت دنيا نعانقها ... فبات لبنان لا عطر ولا زهر

ولا ينسى فوزي عطوي رفاق الدروب من اخوانه، فيقول في رثاء الشاعر المحامي انطون قازان :

هذي المنابر اذ اسكرتها طربا ... تبكي شبابك اذا اوردتها الكدرا
لهف البيان وقد خلفته نعسا ... ينساب منحدرا ، ينجاب منحسرا
لهف الفصاحة ، لم تفرح جنائنها ... حتى تهاوت شذا، واحلولكت زهرا
ماذا سكوتك والاحداث ناطقة ... هل يسكت الموت من يستنطق الحجرا

اجل ، ان الشاعر يستنطق الحجر ، كما تستلب النبتة الخضراء الطاقة الشمسية ، او كما يستجلب النبات المطر ، فيستمطر !

ولعل فوزي عطوي قد بلغ قمة البلاغة والرمزية الموحية حين دمعت عينا قوافيه في مأتم الفنان فريد الاطرش ، فقال :

اي نجم غاب ، اذ انت تغيب ... لست ارثيك وانت العندليب
كنت ان رجعت همسا حائرا ... تورق الصحراء والقفر الجديب
واذا رنمت انغام الهوى ... يزهر الرمل ويفتر الكثيب

فأهلا بأزهار الرمال ، وافترار الكثبان ، واهلا بشاعرنا الرمزي الذي نفحنا بديوانيه الجديدين « القوافي المبحوحة » و « الموج في جزيرة العيون »، بعد دواوينه الماضية : « دم وفم » و « شموع المعبد » و « دم الثوار » و « تحت الرماد » ، فاجلى بصوره الشعرية الاخاذة مواسم العز ، وأزاح عن ناظرينا السأم بلمسة ريشته الشعرية الساحرة .

غازي ابو شقرا

المكتب الرئيسي لمنظمة اليونسكو
بيروت ـ بئر حسن ـ بولفار المدينة الرياضية



سعيد ابو الحسن

سيدان على القمم
سيرة ذاتية

بقلم سعيد ابو الحسن

* * *

(١)
الولادة ـ الاسرة
اولادي الاعزاء

كثيرا ما كنتم تلحون علي لاقص عليكم بعض الحوادث التي عشتها او عايشتها ـ وكنت الاحظ دائما الاثر العميق الذي كانت تتركه احاديثي عن الماضي في نفوسكم .

تريدون ان تعرفوا شيئا عن الاستعمار ، عن كفاح الشعب ضد الاستعمار ، عن الثورة ، عن المعارك المجيدة ، عن السياسة وملابساتها .

تريدون ان تعرفوا ما كان موقف والدكم من المشاكل القومية المختلفة ، كيف تعلم ، كيف عاش ، هل ادى واجبه كمواطن وكانسان ، وما هو رايه في قضايا الحياة الكبرى؟ كيف كان يعيش والدكم في صغره ، في القرية ، كيف كان يعيش جدكم وجدتكم ومعاصروهما من ابناء الجيل السابق ـ وكيف كانوا يفكرون ، وكيف كانوا يقاتلون ويتعاملون . فلقد كبرتم في منطقة من بلادكم غير المنطقة التي ولدتم فيها ، غير المنطقة التي ولد فيها والدكم وعاش فيها اجدادكم الاقربون . وكنتم تستغربون الكثير من عادات اهل المنطقة التي كبرتم فيها .

وتريدون ان تعرفوا أوسع ما يمكن من المعلومات عن تلك المنطقة الاخرى ومشاكلها وعادات اهلها . ولقد اتيح لكم ان تزوروا منطقة والدكم واهلكم . لكنها كانت زيارات خاطفة لا تتيح لكم الاطلاع الكافي على كل شيء . ولا تتيح لكم ، بصورة خاصة ، ان تعرفوا ما تريدون معرفته عن ماضي تلك المنطقة . فانتم رايتموها تنعم بالامن والاستقرار والمدارس منتشرة فيها والثقافة شاملة جميع سكانها ، ورايتم شيئا من الرخاء يعم ارجاءها . رايتم الشبان يتسابقون الى خدمة العلم (الجندية) وهم يعتبرونها اكبر شرف يلصق باسم المواطن .

ولم تشاهدوا الجهل والبؤس والفوضى ، لم تشاهدوا جيوش الاحتلال الاجنبي ، لم تشاهدوا المستعمر وفظائع الاستعمار ، لم تروا الزمن الذي كان الناس فيه يكرهون الثوب العسكري ، لان هذا الثوب كان يذكر الناس بقوة الاستعمار قبل كل شيء .

ولذلك تريدون ان تعرفوا شيئا عن ذلك كله : اذكر عدنان وهو يرجو مني ان احدثه عن معركة من المعارك ومعن وهو يسألني عن مرحلة من مراحل النضال السياسي ورافع وهو يطلب الي ان أقص عليه حادثة من حوادث حياتي الخاصة يوم كنت صبيا صغيرا . وحينما كبرت اميرة بدات توجه الي الاسئلة ذاتها .

وكنت اريد ان ينحصر الحديث بيني وبينكم ـ ولكني فكرت في قلة الكتب العربية التي تهتم بالحياة الاجتماعية الشعبية ، حياة القرى حياة الفلاحين والعمال ، في فترة مهمة من تاريخنا الحديث ، ورايت ان اهالي منطقة من المناطق يجهلون كل شيء تقريبا عن حياة اهالي المنطقة الاخرى بسبب من صعوبة المواصلات والتجزئة التي فرضها الاستعمار على بلادنا ، فجعل كل بقعة منها تعيش وكانها منفصلة تمام الانفصال عن سائر البقاع . وحسبت ان رغبة القراء لن تكون اقل من رغبتكم في معرفة ما تتوقون الى معرفته ، وانه من الضروري ان يجد الناس في الزمن الاتي سجلا لحياة الشعب في حقبة من الحقب ومنطقة من المناطق ، الحياة الحقيقية كما هي لا كما يشوهها مصوروها من رجال السياسة ، الحياة بجمالها وقبحها ، بانتصاراتها وانكساراتها ، الحياة وكانها شريط يستعرض ، تهتم قبل كل شيء بالانسان ، بابن الشعب ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالفلاح بالعامل ، بالقاعدة التي صنعت التاريخ ، لابالزعامة التي استغلت تضحيات القاعدة، ولابالقيادة التي استثمرت مجهودات الجماهير وعواطفها وعرقها ودموعها ودماءها .

ولذلك قررت ان يتخذ حديثي اليكم صورة الكتاب، وان يطبع وينشر ، فلعل باحثا يقع عليه في المستقبل فيجد فيه مصدرا من مصادر التاريخ الاجتماعي والسياسي ـ للتاريخ الانساني النضالي لفترة معينة من حياة العرب في بقعة ضيقة من بقاعهم العزيزة .

والذي ارجوه هو ان تقراوا هذا الكتاب وان يقراه غيركم فلا تملوا ولا تضجروا ، ولا يمل ولا يضجر ، بل تجدون فيه ويجد شيئا يستحق ما صرف فيه من وقت، ما انفق في قراءته من ساعات .

ارجو الا تسالوني بعد هذه المقدمة لماذا كتبت اليكم ولكم هذا الكتاب ، وان اكن مستعدا لتقبل كل سؤال تطرحونه عن بعض الحوادث التي تبقى بين السطور او وراء الكلمات .

لان هذا من حقكم ـ على انني اؤكد لكم انني لم اخف عليكم حادثة واحدة اخجل ان اطلعكم عليها .

ولكني لم اشأ ان اسرد الا الحوادث التي حسبتها ذات شأن او تأثير في حياتي او حياة المجتمع الذي عشت فيه .

ما عليكم بعدما عرفتم هذا الا مباشرة القراءة فلا اريد ان اطيل الوقوف بينكم وبينها :

اول مشهد وعيته منذ ولادتي ، ولم يفارق ذاكرتي ابدا ، هو مشهد عدد من البغال الدهماء ، المزينة صدورها واعناقها بعقود جلدية مزينة بالودع الابيض ، في حوش دارنا . فكأنما ارتبطت حياتي بالكوارث ، وآثار الكوارث منذ بدايتها . فقد سألت والدي عن تلك البغال ، وافهمني بلغة يدركها الاطفال ، ان هذه البغال لأقارب لنا ، من اسرتنا ، من لبنان . وانهم قادمون لنقل القمح من بلادنا الى بلادهم لحدوث مجاعة كبرى لديهم بسبب الحرب الكونية . وانقطاع الواردات من الخارج ، ومصادرة السلطة العثمانية الحاكمة آنذاك لجميع المحاصيل لحساب جيشها ، ولولا بسالة أهل بلادنا ـ جبل حوران ـ لما بقي في البلاد حبة من القمح لنا او لسوانا . وكان بعض الاقارب من لبنان يقدمون للاقامة بيننا طوال مدة الحرب ـ المجاعة

من هذا المشهد الاول الذي تفتح عليه وعيي ، انطلقت احدد مكاني من الدنيا : اذا كان هؤلاء هم اقاربي من لبنان فنحن اذن من اصل لبناني ـ من المتن بالتحديد ـ ووجودنا في هذه البلاد ، وفي جبل حوران بالذات ، وجود طارىء نسبيا ، وهذا الوجود تفسره هذه الهجرة الجزئية التي شهدتها بذاتي : فنحن اذن ـ بوجودنا كله ـ نتاج كوارث قديمة: حروب ضد الدول الغازية، او حروب اهلية ، او معارك قبلية .

وسألت والدتي عن عمري . فعرفت انني في ذلك العام عام ١٩١٦ (كما علمت فيما بعد) كنت في الرابعة ـ وانني ولدت في سنة كان عيد الاضحى يقع فيها في شهر تشرين الثاني (١) . وكانت لي اخت واحدة تكبرني بسنتين ـ فهي ولدت سنة سامي باشا الفاروقي ـ والولادات تؤرخ بالغزوات ـ اي السنة التي كانت فيها ثورتنا الثالثة او الرابعة على الاتراك تقمع بجيش تركي قائده اسمه سامي باشا . وكانت والدتي تتيمن كثيرا بي ـ فقد رافقت ولادتي مظاهر تعتبرها علامات خير : فقد ولدت فجر ثالث او رابع ايام العشر ـ وهذا يعني ان عمري يوم العيد كان اسبوعا . ولعيد الاضحى عندنا مكانة لا تدانيها مكانة .

وقد حلمت امي قبل ميلادي بأيام ان فارسا وسيما وجيها شابا جاء يسأل عن بيتنا وينزل علينا ضيفا ولايريد ان يرحل وكان كل شيء في هذا الفارس يدل على انه ذو شأن عظيم . هذا الفارس هو انا : هذه كانت قناعة والدتي ولا يمكن لاحد ان يناقشها فيها . ورافقت والدتي ايضا وفرة في المحاصيل ، وازدهار في تجارة والدي ، واغنامه وخيوله . ورافقتها ايضا عملية بناء وتجديد لدارنا ، فقد اضفنا اليها من الغرب غرفة كبيرة عالية السقف رحبة ، يقوم سقفها على قنطرة جميلة طرح عليها الخشب الجميل من الناحيتين ، وطرح فوقه (دفوف) متحاذية غطي الخط الفاصل بين كل دفتين بقدة رقيقة كالقشرة مزينة بالرسوم . ويتبع هذا (البيت) كما يسمون الغرفة عندنا ، خزانة صغيرة شمالية غربية خصصت لحفظ المؤن التي تحتاج الى البرودة كالسمن والدبس والزبيب واللحم المقدد وهذه كانت اهم مدخراتنا تلك الايام . اما الحبوب والالبان ومشتقاتها ، فكان لها مكان آخر ، في بيت شمالي ، بابه الى الجنوب ، وفيه كنا نمضي الشتاء ، حوالي موقد مصنوع من الصفيح ، يصنعه سمكري في بلدتنا ، ونوقد فيه القصل (عيدان الحنطة) ، والجلة ، وهي زبل البقر المجفف ، والبعر ، و (الكسح) وهو بقايا الحيوانات شبه المتحجره في الكهوف ، كان يقوم بجلبها اناس يتجرون بها . ونوقد ايضا (الزبارة) وهي عيدان الكرمة ، والشيح ، والفحم الحطبي . ولكن هذه المحروقات (المترفة) كانت تخصص لغرفة والدي ، وهي غرفة يقيم هو فيها الى جانب قهوته ويستقبل فيها الضيوف ـ وكان من مميزات هذه الغرفة ان لها نافذة الى الجنوب تطل على قطعة ارض امام بيتنا غرس فيها والدي بعد ذاك التاريخ شجرة من التوت الشامي ملاصقة للشباك كبر حجمها وطابت ثمرا ومنظرا ، وللغرفة نافذة ثانية تطل على حوش الدار وهو فسحة منخفضة مسورة تربط فيها الحيوانات ، حيواناتنا او ركائب الضيوف . ويفتح على الحوش من الغرب

اسطبل (باكية) نؤدي فيه ما كان لدينا من ابقار وخيل: فقد كان لدينا ثوران للفلاحة ، ثوران جميلان قويـــان يسميان الفدان، ومن هذه التسمية اصطلاح اهالي منطقتنا على تسمية مجموع الاراضي التي يستطيع فدان واحد ان يزرعها ويفلحها في العام (ارض فدان) وما يفلحـــه الفدان في النهار الواحد يدعى (مفلح فدان) ــ ويطلقون على ارض (نصف الفدان) اسم (ارض ثور) اي انهم يرمزون الى مقدار الارض براس البقر .

والى جانب الفدان كانت لنا بقرات (جولانيـات) ــ اصلها من منطقة الجولان ــ للحليب . وكانت هـذه البقرات مدللات نناديها باسمائها ، وكانت عندما تعـود من الرعي مساء تجأر حين تقبل على البيت مناديـــة عجولها ، فنستقبلها بالترحيب ونناديها باسمائها مـــن بعيد . وعندما تصل الواحدة منها وتبدأ بارضاع عجلها كنـا نمسح ما علق بجلودها من غبار وقش وهي تهـوم براسها فرحة سعيدة بما تعطي وما تنال ، وتلحس جلد عجلها وتضفي عليه من حنانها الشيء الكثير .

لا ان هذه الوداعة وهذا الحنان كان يمكن ان ينقلبا شراسة ووحشية وعدوانا عندما تثار احداهن وتستعيد طبيعتها الوحشية ..

وقد خبرت ذلك بنفسي فيما بعد وكدت افقـــد حياتي خلال هذا الاختبار . فقد حدث مرة ان كنا جميعا، ما عدا والدي ، نلعب بأرض الدار ، فيما دخلت من البوابة احدى بقراتنا ــ وكانت مغضبة نتيجـــة لتعرض بعض الصبية لها قبل وصولها الى الدار ، وكانت لها عجلـــة رضيع ــ وبدلا من ان تستدير يسارا وتنزل الى الحوش حيث تنتظرها عجلتها هاجمتنا فأفسحنا لها المجال لتمر باتجاه صدر الدار ، ولكنها استدارت وكان، احد اخوتي يسند ظهره الى جدار الدرج ، ووجهه الى الجنـــوب ــ فرجعت البقرة الى الوراء وتحفزت لتنطحه في صدره، وكان قرناها منتصبين الى الامام كخنجرين حـادين وفي اسرع من لمح البصر وبصورة غريزية احسست ان اخي سيقتل حتما اذا لم تمنع البقرة من نطحه ــ ولم يكن هناك مجال للتفكير او التردد . فقفزت قفزة في الهواء ، وامسكت بقرني البقرة، ودفعتها الى الوراء، وكان جسمي وحده عازلا بـين قرنيها وصدر اخي ــ لقد انقذت اخي. ولكن البقرة حملتني بقرنيها ودارت بي دورة ، والقتني من فوق ارض الدار الى اسفل الحوش ، وكانت ارض الحوش صخرية . الى هنا كنت ما ازال واعيا ــ امـــا اللحظة التي وعيت فيها بعد ذلك بزمن لا ادري كم هو، فقد وجدتني في فراشي ممددا والضمادات تحيط براسي تغطي عددا من الجروح البليغة ــ لقد تعرضت اذن لخطر حقيقي ، فانقذت حياة اخي واكتسبت بذلك شهـرة ــ ومقابل ذلك سقطت مرة في البركة فكدت اغـرق لو لم تسارع اختي الكبرى فتنتشلني .

وكانت لنا فرس شهباء من الاصائل المشهورات من فصيلة (عرقوب) وكانت جميلة سريعة هادئة ، وكان من اسباب سعادتي ان امتطيها واذهب بها اوردها بركة ماء قريبة من بيتنا ، اسمها (بركة الغنم) .

وكنت اكثر سعادة عندما اركب خلف والدي حـين يذهب الى قص الغنم (جز الصوف) . فقد كان لناقطيع من الغنم عند راع من البدو من عشيرة المساعيد ، وكانت علاقاتنا مع الراعي واهل بيته علاقات عائلية صميمية ــ اذا ذهبنا لقص الصوف حملنا معنا البن والسكر والشـاي والحلاوة يخرج على الفرس . والراعي وهو صاحب بيت واسع ، يذبح واحدا او اكثر من خرافنا للرجال الذيـن يقومون بعملية جز الصوف بمقصات كبيرة من الحديد ــ فهم كانوا يقومون بهذا العمل تعاونا ــ ويكتفون بما يقدم اليهم من طعام وشراب وحلويات وجزة وصوف لكل واحد ــ اما انا فكنت اقضي نهاري في الهواء الطاق ، العب مع اترابي من الاولاد ، وناكل ، ونشرب ، ونلاعب الحملان ، حتى ينتهي العمل . واعود خلف والدي كما قدمت ، وكان القصاصون يغنون الحانا جميلة تتناسب وحركـة ايديهم ــ كنا نترك الصوف عند الراعي الذي يرسلـه على الجمال بعد ذلك ــ وكنت اشهد عملية اخرى تجري لهذه المناسبة وهي عملية وسم الخراف وهي طبع علامة على اذن الخروف وفوق انفه بالسيخ المحمى بالنار .

وبعد الكي مباشرة يوضع مكان الكي قليل من اللبن الممزوج بالملح ــ وهكذا تعرف عائدية الخراف وتحمـل الوسم ذاته الذي تحمله امهاتها . وكذلك نشهد عمليـة (الفلاج) اي اقتسام الخراف بين اصحاب الغنم والراعي المكلف حراستها ورعيها . وكان له ربع المواليد ، وعليه ان يؤدي مقدارا معينا من السمن ، واللبن القطيـــع (المسحوب زبدة) الذي كنا نصنع منه (الكشاء) وهـــو الاسم المحرف للاقط .

ومما اذكر ذكرى خاصة انني سمعت والدي يغني لاول مرة وآخر مرة في حياتي ، في احدى هذه الرحـلات الممتعة ، كنا ساريين قبيل الفجر ، وآخر النجوم تتهيأ للتواري خلف ضوء الفجر الجميل القادم .

واذا انا اسمع والدي يرفع صوته الجميل ببيت من العتابا لم اسمعه من شخص آخر ابدا ، وما سمعته بعد ذلك من شخص آخر ابدا . كان البيت يقول :

سريت بليل وبوجهي بنـــات ال ــ نعش ، والهم بقلبي بنى تل

هذول البيض يا محمد والبنات ال ــ غوى ، ولين وانطوني قفا

واذا عرفنا ان بنات النعش هي مجموعـــة النجم القطبي ، واننا كنا متجهين شمالا وبوجهنا بالفعل مجموعة

النجم القطبي ، ادركنا مدى جمال البيت في تلك المناسبة .

وكان يقوم بالعمل الزراعي لدينا رجل اسمه (الشريك) او (المرابع) . وهو كما يدل عليه اسمه ـ يقوم بعمله مقابل ربع الغلة ـ فنحن نقدم الارض وآلة الفلاحة والبذار ، وهو يقدم عمله وهو تقديم العلف للغدان وسائر الحيوانات ، والفلاحة والزرع والحصاد ، يأخذ علاوة على ربع الغلة مقدارا من القمح مؤونة له ولعائلته، يأخذها سلفا ، ويأخذ بعض العينيات كاللباس والعطاءات المتنوعة ـ وهو ـ عمليا وبحكم وجوده الدائم في البيت خارج اوقات العمل في الحقول ، وطوال ايام الشتاء بخاصة ، يقيم معنا ويأكل معنا . فلم الاحظ قط اي فرق بيننا وبينه وسيرد ذلك بالتفصيل فيما بعد . فنحن كنا من الطبقة الشعبية او (العامية) حسب الاصطلاح المحلي اي مجموعة الملاكين الصغار الذين حصلوا على الارض انتزاعا من الاقطاعيين القدامى، او شراء بمال جنوه بعملهم كمرابعين لدى مالكين آخرين ، او كعمال زراعيين موسميين .

وستجيء المناسبة لاستفسر من والدي عن كل هذا فلقد بدات احدد وضعنا في المجتمع تدريجا مع الزمن . لاحظت اولا اننا من طائفة يسمونهم الدروز ، وهم يسمون انفسهم « الموحدين » او « بني معروف » ويسمون مذهبهم مذهب التوحيد . وهو الاسم التاريخي لهم . كنت ارى والدي يعمل تاجرا في دكان يقع داخل القرية ، بينما بيتنا كان خارج القرية بين الكروم على بعد نحو خمسمائة متر من حدود البناء المتراكم المتلاصق الذي تتكون منه قريتنا .

وبناء قريتنا من الحجارة السوداء ـ البازلت ـ وكان لوالدي شريك من الطائفة المسيحية ـ الروم الارثوذكس ـ اسمه اسعد العيد وكان رجلا يستحق الاعجاب والتقدير ـ وكانت علاقاتنا المتبادلة على أحسن ما تكون العلاقات متانة وصفاء . وكان ذلك يوحي بأن الرباط القومي اكثر اصالة واقوى مما يظن ـ وقد تأيد ذلك ـ بأني رايت في صغري رجلا نابلسيا اسمه الحاج عبد الرزاق من الطائفة السنية ينزل علينا ضيفا طوال اكثر من شهر وكان الحاج عبد الرزاق الذي يرتدي لباس اهل نابلس العربي مع العقال الاسود الغليظ فوق كوفية صوفية رمادية منقطة بالاسود بينما كان زي والدي زي شيوخ الدين المسلمين وهو يذكرني صورة وزيا بالشيخ محمد عبده ـ وآسف انني لا املك صورة لوالدي ، ولكنني لا ارى صورة الشيخ محمد عبده مرة الا ذكرت والدي لغرابة الشبه بينهما .

وكان لوالدي علاقة تجارة مع الحاج عبد الرزاق فقد زاره في نابلس وذهب واياه الى حيفا وعكا ولم يؤثر في علاقتهما المتينة النظيفة اختلاف مذهبيهما ولم يجد التعصب طريقا الى قلبيهما ـ رابطة القومية ورابطة العمل والانسانية رابطة قوية .

وجدت ـ اذن ـ في بيت بلغ فيه التسامح الديني والمذهبي وبالتالي الفكري مستوى رفيعا .

والمشهد الثاني الذي ما يزال عالقا بذهني عن تلك الايام هو يوم عودة فرساننا من العقبة ، حيث كانوا قد ذهبوا للانضمام الى جيش الامير فيصل بن الحسين. وما زلت اذكر يوم وصل احد اصدقائنا البدو امام دارنا، واناخ ناقته واعطانا كمية من السكر والارز ، فرحنا بها فرحا كبيرا . لانه كان قد مضى على انقطاعها زمن ليس بالقصير . وما ازال اذكر ايضا يوم ذهبنا لاستقبال فرساننا العائدين وكان بينهم احد اخوالي وبعض الاقارب وكانت وجوههم قد اصبحت شديدة السمرة ـ من شدة الحر ، حتى اني عندما حملني خالي بين يديه تعرفت اليه في صعوبة .

وكان وصولهم يعني ان الزحف العربي باتجاه دمشق قد بدأ . ولهذا ما لبث هؤلاء الفرسان ، ومئات غيرهم ممن انضموا الى الجيش الزاحف نحو الشمال ، ان غادرونا بين هتاف الشعب واهازيجه ودعاء النساء بالنصر . وكان والدي بين هؤلاء الفرسان الذين دخلوا دمشق وعادوا منها ببنادق المانية او عثمانية جديدة تركها الجيش المحتل المنهزم مع كميات كبرى من الذخيرة . وكم كانت فرحتنا عندما عاد والدي على فرسه الشهباء ، ومعه هذه البندقية الالمانية (السواري) يلمع خشبها الاحمر وفولاذها الازرق النظيف ، ومعه من الذخيرة ما تكاد الفرس ان تنوء بحمله .

كان علي في تلك الايام ان ابدأ الذهاب الى المدرسة. وكانت مدرسة بلدتنا كناية عن غرفة كبيرة مستطيلة يتصدرها المعلم وهو شيخ معمم ، عرفت فيما بعد ان ما كان يعرفه من العلم لا يتجاوز القراءة والكتابة ومبادىء العمليات الحسابية الاربع . وكانت قراءته وكتابته بلا قاعدة : يحسن قراءة النصوص بحركاتها دون ان يعرف شيئا عن سر هذه الحركات ولماذا تنتهي اللفظة بضمة بدلا من ان تنتهي بفتحة او بكسرة ، ودون ان يدرك الفرق بين المفرد والمثنى والجمع . وكان اول كتاب يبدأ به « الالفباء » او « سلاسل القراءة » . وكان الطفل يترك لنفسه يتعلم بجهده الخاص ، مقتديا برفاقه ومستعينا بمن هم اقدم منه . وجميع الاولاد في هذه الغرفة يقراون بصوت عال . وكان بينهم بضع فتيات انتحين جانبا من الغرفة وهن يتلقين الدروس مع الذكور بدون تفريق . وكان يترتب على كل تلميذ ان يقدم للمعلم طعامه يوما كاملا ، ابتداء من اقدم التلاميذ حتى احدثهم : وتتكرر هذه العملية حسب نتيجة قسمة ايام السنة الدراسية على عدد التلاميذ . والتلميذ الذي يصيبه الدور يحمل للمعلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترويقته وهو ذاهب صباحا الى المدرسة ، وصباحا يعني شروق الشمس ، مهمة تكن ساعة الشروق في اي فصل .

ثم يحمل اليه غداءه ظهرا وعشاءه مساء . او يحمل اليه ما يكفيه لوقعاته الثلاث دفعة واحدة عند الصباح الباكر ، حسب تساهل المعلم او تعنته .

وكنا نحمل كتابنا ولوحنا واوراقنا واقلامنا في كيس له حمائل نتمنطق به ذهابا وايابا . فالمدرسة لم يكن فيها مقاعد ولا طاولات . وكنا نجلس على الارض فوق جلد (سلخ) نجلبه من البيت ، وقد نضع الجلد فوق صندوق فارغ من الخشب ـ والمعلم كان يجلس مواجها لنا فوق دكة يعلوها جلد او حشية صغيرة . والى جانبه عصاه يلوح بها تهديدا ويضرب بها من الاولاد من لا يحفظ درسه، او من يقترف ذنبا يعود الى المعلم وحده تقديره وتقدير عدد الضربات التي يستحقها مقترفه .

وكنا نكتب على اطباق صغيرة من الورق نضعها فوق الكتاب او على اليد ، ونتعلم الحساب على الواح صغيرة من التنك نكتب عليها بحبر محلي مصنوع من ترابة حمراء او الواح من الحجر الاسود (الاردواز) . وعندما ننتهي من تعلم الابجدية ننتقل الى كتب اصعب منها تتراوح بين اجزاء من القرآن مثل جزء (عم) ـ و (قد سمع) ـ او اجزاء من العهد القديم (التوراة) او العهد الجديد (الاناجيل) . ثم اخذت الكتب تتنوع فعرفنا مجاني الادب باجزائه الستة ، ثم بعد عدة سنوات جواهر الادب باجزائه الثلاثة او الاربعة ـ لم اعد اذكر عددها بالضبط .

وكان يترتب على التلميذ ان يسمع درسه يوميا ـ فيقف مكانه ، او يقف الى جانب المعلم ، ويرفع صوته قارئا درسه ، والمعلم يصحح له بعض الاغلاط . واذا كان الدرس قصيدة فالتلميذ يقراها بصوت عال منغم وباللهجة المتناسبة مع موضوع القصيدة ـ فاذا كانت احدى قصائد عنترة فان المدرسة تتحول الى جو حماسي تكاد تشعر معه انك في معركة . واول يوم سمعت فيه احد التلاميذ القدامى يسمع شعرا ، عدت الى البيت اخبر والدي واساله متى سيكون في مستطاعي ان احصل على كتاب « الصياح » هذا . وافهمني ابي ان ذلك يتوقف على اجتهادي ، فمتى حفظت الكتب الصغيرة العادية انتقلت الى الكتب الكبيرة ، ومن جملتها الكتب الشعرية .

لا بد لي ان اسجل بعض التقاليد التعليمية التي كانت سائدة والتي زالت من الوجود بعد ذلك ـ كان المعلم يحمل قضيبا يضرب به من لا يحفظ درسه او من يعتدي على رفاقه او من يعصي اوامر معلمه ، او من يتكلم مع رفاقه ، واحيانا يستعمل « الفلق » وهو قضيب ربط بطرفيه حبل كالوتر فكان المعاقب بالضرب الاشد يلقى ارضا وتوضع قدمه او قدماه بين الحبل والقضيب (العصا) ويمسك بطرفي الفلق اثنان من التلاميذ ويشدان الحبل على رسغي القدمين حتى يصعب افلاتهما ، ويبدا المعلم الضرب بالقضيب على الاخمص حتى يكتفي حسه الانتقامي او التأديبي ، وصراخ المعاقب يعلو ويعلو حتى يمزق شغاف القلب ـ وكثيرا ما كانت تدمى القدمان من شدة الضرب . وكان المعلم يضع بعض المرات تلميذين معا بالفلق الواحد توفيرا للوقت والجهد ، واذكر مرة ـ وهي المرة الوحيدة التي ذقت فيها طعم هذا العقاب الوحشي ـ انني وضعت بالفلق مع احد الاقارب ـ وكان الوقت شتاء . وكنا نلبس جرابات من الصوف ، شغل البيت ، مزينة بخطوط ملونة حمراء وخضراء، فأخذ المعلم ـ الشيخ الوقور ـ يهزأ بجراباتنا ، واراد منا ان ننزعها ليكون الضرب اشد ايلاما ـ ثم عدل عن ذلك لانها المرة الاولى ولاننا من التلاميذ « العاقلين » فاكتفى بأن ضربنا من فوق الجرابات .

وكان المعلم يستعمل طرقا اخرى من العقوبات كالصفع و « مسك » الاذن وفركها ، كما كان يمكن تلميذا من امساك اذن رفيقه اذا اجاب عن سؤال لم يستطع الاخر الاجابة عنه .

وكان هذا يسبب عداوة بين التلاميذ وثارات تؤخذ خارج المدرسة ، وكان من حسن حظي ـ او من سوء حظي آنذاك ـ انني كنت تلميذا « شاطرا » ولذلك كثر عدد الذين امسكت آذانهم وكثر عدد خصومي وعدد « القتلات » التي استوفوها مني خارج المدرسة بفضل حصافة المعلم المحترم و « حسن » تدبيره !..

ومن الامور التي ما زلت اذكرها عن تلك الايام ، والتي كان لها اثر كبير في حياتي ، اننا استقبلنا شابا لبنانيا من اسرتنا . وكان هذا الشاب (٢) مولعا بالقراءة ، وقد ملأ خزانة صغيرة في غرفتنا الجنوبية الشرقية تسمى « الخرستانة » ملأها كتبا متنوعة واوراقا ـ فكان يقرا هذه الكتب ويخط شيئا في تلك الاوراق ـ وبعدما اصبحت احسن القراءة صرت استعير منه قصة بعد قصة : فقرات بسببه ـ وبفضله ـ قصة علي الزيبق وعنترة بن شداد العبسي ، وسيرة بني هلال وتغريبتهم والف ليلة وليلة والملك سيف بن ذي يزن .

وفتحت قراءة هذه القصص عيني على شؤون العالم ، قبل الاوان ، ونما حبي للاطلاع فصرت اريد ان اعرف كل شيء عن اسرتي وعن بلادي وعن الدنيا كلها : صرت اسأل عن كل شيء يخطر ببالي . فأجاب حينا ويبقى سؤالي بلا جواب احيانا اخرى .

سألت امي عن اهم حوادث طفولتي قبل وعيي فقالت ان اهم الحوادث على الاطلاق هو اصابتي بمرض في عيني ادى الى فقداني البصر مدة سنة كاملة . الى جانب امراض الطفولة الاخرى ، وان عيني لم تنفتحا بعد هذا الزمن الطويل الا بفضل كي في يافوخي اجراه لي

الصورة الشاردة

الى التي فتحت براعم الامس في الكتاب المبهم

قبلت راسك ام قبلت اوهامي ... يا شهوة الحرف في افواه اقلامي
تسرين في الورق المنسي ، هائمة ... على الهوامش ، في اشباح آلامي
تفتحين خيالي في براعمه ... وتوقظين من الاغفاء ايامي
تخاف كفك انفاسي ... فواعجبا ... من خائف ، قلبه في قلبي الدامي
رنت اصابيعك الحرى على سمعي ... كما ترن على الاوتار انغامي
رايت في عينك السمحاء شاردة ... تلم بالبهم المطوي المامي
في صوتك المنتشي صوتي وبحته ... وفي شفاهك همساتي وانسامي
غرقت في الصمت.. والاضلاع هاتفة ، ماذا تقول لها اطياف احلامي
.. خجلى .. وما خجلت نفسي ، ولا كتمت اطيابها، في غداة البوح، اكمامي
دنيا ، هي الوهم .. كم في الوهم من متع تجسدت صورا في كف رسام

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شيخ خبير من ورثة الطب العربي المتناقل عبر الاجيال .

وان امراضي الكثيرة لم تشف الا بفضل شربي حليب فرس اصيل جاب لي من اسرة كان لديها فرس مرضع آنذاك ، وكان هذا من اسباب الصلات الطيبة بيننا وبين تلك الاسرة . وان المرض بلغ بي احدى المرات حد الموت وتجمع الجيران حولي ثم عدت الى الحياة بأعجوبة .

وكان جدي لامي ، فندي المتني ، من اسرتنا ، اما جدتي لامي ، دلال ، فكانت من اسرة حلبية الاصل ، وكنت احب جدي وجدتي حبا لا مزيد عليه وكانا يبادلاني هذا الحب فامضي اكثر أوقاتي في بيت جدي عند اخوالي وانادي جدتي بلفظ « امي » مع اضافة اسمها تمييزا لها عن امي .

اما والدي فكانت لي معه جلسات طويلة وحكايات لا تنتهي . لم أعرف جدي لابي ، حسين ، وجدتي لابي، حمدة ، لانهما توفيا قبل ولادتي ـ ولكن عرفت ان جدي هو الذي هاجر من لبنان في النصف الثاني من القرن الماضي وكانت جدتي لابي من اسرة معروفة من سكان غوطة دمشق الغربية وعرفت خال والدي الذي زارنا اكثر من مرة وكان فارسا من فرسان الغوطة المعروفين واسمه الشيخ قاسم قرقوط (ابو حسين) . وكان لي عم واحد وعمتان وكان والدي واحدى عمتي متشابهين يختلفان كل الاختلاف عن عمي وعمتي الاخرين فكأنهما فصيلتان متباينتان شكلا وموضوعا .

(١) تبين فيما بعد من مراجعة بعض القيود والتواريخ انني ولدت فجر يوم الاربعاء ٣ ذي الحجة ١٣٣٠ ـ ١٣ تشرين الثاني ١٩١٢ فكان يوم عيد الاضحى ١٠ ذي الحجة ١٣٣٠ في ٢٠ تشرين الثاني هذا .

(٢) هو السيد علي عاقلة ابو الحسن الذي توفي في دمشق عام ١٩٧٢ وهو والد الاستاذ طارق ابو الحسن .

دمشق — سعيد ابو الحسن

كيف بلغت الشيخوخة

للفيلسوف برتراند راسل

ترجمة جرجس عبده

* * *

على الرغم مما يوحي به عنوان هذه المقالة فانها تدور في الحقيقة عن الطريقة التي تحفظ للمرء روح الشباب رغم ارتفاع السن . وهو موضوع مهم جدا بالقياس الى ما عشته انا من سنوات طوال . واول ما انصحك به في هذا الصدد هو ان تحسن اختيار أجدادك بعناية . ومع ان والدي انا قد ماتا في شبابهما فقد احسنت من جهة اختيار بقية الاجداد .

فجدي من ناحية امي قد انتزع ـ وذلك حق ـ في زهرة شبابه في سن السابعة والستين ، ولكن اجدادي الثلاثة الاخرين قد عمروا الى ما بعد الثمانين . ومن الاسلاف البعيدين لا يمكنني ان اكتشف سوى واحد فقط لم يعمر طويلا ، حيث مات بمرض يندر وجوده الان اذ جز رأسه عن جسده .

وكانت احدى جداتي البعيدة من جهة امي صديقة لجيبون ، وعاشت حتى الثانية والتسعين ، وظلت حتى آخر يوم من عمرها مصدرا لفزع كل احفادها . وجدتي المباشرة لامي ، بعد ان انجبت تسعة ابناء عاشوا ، وواحدا مات في طفولته ، الى حالات سقط كثيرة ، قد كرست حياتها بعد ان تزوجت لخدمة التعليم العالي للمراة ، فقد كانت من مؤسسي كلية جيرتون ، وبذلت جهدا كبيرا في تيسير مهنة الطب امام النساء .

وكان من عادتها ان تحكي كيف قابلت في ايطاليا سيدا كبيرا كان يبدو عليه الحزن . فسألت عن سبب اكتئابه فقال لها انه قد فارق للتو حفيديه . وابدت دهشتها وهي تقول له : « سبحان الله ، ان لي اثنين وسبعين حفيدا ، ولو اني حزنت مرة عند مفارقتي لكل واحد منهم لاضحت حياتي فاجعة » .

فرد عليها « كان الله في العون يا امي » . وانا اذا تكلمت كواحد من حفدتها الاثنين والسبعين ، افضل الوصفة التي سارت عليها في حياتها . فبعد ان تخطت سن الثمانين وجدت انها تشعر ببعض الصعوبة عندما تريد النوم ، ولذلك تعودت قضاء الساعات منذ بداية منتصف الليل حتى الثالثة صباحا في قراءة العلوم الشعبية . ولست اتصور انها كانت تجد فسحة من الوقت لملاحظة انها تدلف الى الشيخوخة .

وهذه هي فيما اظن الوصفة المناسبة للاحتفاظ بالشباب . فما دامت لك اهتمامات واسعة وحاذقة يمكنك بواسطتها ان تظل محتفظا بنشاطك ، فلن تجد ما يدعوك لوضع الجداول الاحصائية الخالصة المتعلقة بعدد السنين التي عشتها والتفكير في قصر المدة الباقية في مستقبلك المحتمل .

اما من جهة الحالة الصحية ، فليس لدي شيء مفيد اقوله حيث ان خبرتي بالمرض قليلة . فانا آكل واشرب اي شيء احب ، وانام عندما لا استطيع الاستمرار في اليقظة . ولم افعل اي شيء لمجرد كونه مفيدا للصحة ، وان كانت الاشياء التي احب القيام بها حسنة في الواقع في معظمها .

ومن الناحية السيكولوجية ثمة خطران ينبغي الاحتراس منهما ضد الشيخوخة . احدهما الاستغراق غير اللائق في الماضي . فلن يفيدنا ان نعيش في الذكريات او في التحسر على العهود القديمة الجميلة ، او الحزن على الاصدقاء الذين ماتوا ، فافكار الانسان يجب ان تتجه نحو المستقبل ، نحو الامور التي يمكن انجاز شيء منها .

وليس هذا سهلا دائما ، فماضي المرء ثقل يتزايد بالتدريج ، ومن السهل ان يفكر المرء في نفسه بأن انفعالاته قد اصبحت اكثر شدة مما كانت ، وان عقله قد صار اكثر حدة . فاذا كان هذا صحيحا فينبغي عليه نسيانها، واذا نسيت فهي غير صحيحة .

والشيء الثاني الذي يجب تحاشيه هو التعلق بالشباب على امل امتصاص القوة من حيويته . فعندما يشب ابناؤك فهم يحبون ان يعيشوا حياتهم الخاصة ، واذا داومت على الاهتمام بهم كما كنت تهتم بهم وهم صغار ، فالاغلب انك ستصبح عبئا عليهم ، الا اذا كانوا عنيدين بصورة غير عادية . ولست اقصد ان لا يكون للمرء اهتمام بهم ، ولكن اهتمامه ينبغي أن يكون متبصرا ، وان امكن فليجعل هذا الاهتمام ذا طابع انساني ، دون ان ينحدر الى الافراط في العاطفية بصورة غير لازمة . فالحيوانات تهمل صغارها عندما يمكن لصغارها ان ترعى انفسها . ولكن الناس يصعب عليهم ذلك لطول فترة الطفولة .

وارى ان الشيخوخة الناجحة تكون من اسهل الامور عند اولئك الذين يملكون نواحي اهتمام غير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصبحت همي

صبحا مساء .. انت كالتمثال ... في خاطري كالحلم .. كالآمال
واذا خطرت انا ببالك مرة ... عشرات مرات خطرت ببالي
اصبحت همي في الحياة وفرحتي ... فرحي انا اذ تخطرين .. حيالي
صرت القنوع بنظرة وبيسمة ... وبلفظة وبنكتة .. وسؤال
ظل خفيف كالنسيمة منعش ... وملاحة مع رقة ودلال
ظلي امامي .. ما استطعت فانني ... متوله .. وعلي حبك غال
اعصابي اشتعلت وقلبي مفعم ... بالحب هلا ترافين بحالي ؟
فتضاحكي وتمايلي برشاقة ... او تسمحين .. ولو بلمسة شال
الآن اقنع بالقليل وانني ... ما كنت يوما بالقنوع السالي
الامر صعب انني متفهم ... سيظل حبك .. طي طي خيالي
يا كرة الحسون في تغريده ... يا آهة الآهات .. في الموال
ان طال عمري او تقاصر انني ... من بعد حبك لست لست ابالي

زحلة ـ لبنان — رياض المعلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شخصية قوية تشتمل على بذل جهود ملائمة . وفي هذا المجال تكون الخبرة الطويلة ذات ثمرة حقة ، وفي هذا المجال يمكن للحكمة الوليدة للخبرة ان تمارس دون ان تكون متعسفة . ولا فائدة من تحذير كبار الابناء من الوقوع في الاخطاء ، لانهم لن يصدقوك ولان الاخطاء جزء جوهري من التربية . ولكنك اذا كنت احد اولئك الذين لا يتمتعون بالقدرة على ان يكونوا من اصحاب الاهتمامات غير الشخصية ، فقد تجد ان حياتك ستكون فارغة ما لم تشغل نفسك بابنائك واحفادك . وفي تلك الحالة يجب ان تتأكد انك بينما تستمر قادراً على اداء خدمات مادية لهم ، كأن تمنحهم راتبا او تساعدهم على القفز الى درجة ارقى ، لا ينبغي ان تتوقع انهم سيستمتعون بصحبتك .

وبعض الناس يرهقهم شعور الخوف من الموت . وعند الشباب يوجد مبرر لهذا الشعور . فالشبان الذين لديهم سبب للخوف من انهم سيقتلون في الحرب يحق لهم الشعور بالمرارة حين يفكرون بانهم قد خدعوا في خير ما تقدمه الحياة . ولكن عند الرجل العجوز الذي عرف مسرات الحياة واحزانها ، وحقق من الاعمال ما في وسعه اداؤه ، يصبح الخوف من الموت امرا حقيرا مشينا . وافضل طريقة للتغلب عليه ـ كما يبدو لي على الاقل ـ هي ان تجعل اهتماماتك بالتدريج أكثر اتساعا واكثر تجردا عن الميل الذاتي ، حتى تتقهقر شيئا فشيئا جدران ذاتك الانانية ، وتصبح حياتك بالتدريج مغمورة في الحياة العامة . فوجود الفرد البشري ينبغي ان يكون اشبه بنهر ـ صغيرا في بدايته ضيقا بما يحتويه بين دفتيه في مجراه ، ومندفعا عارما في تدفقه عند مصبه . وبالتدريج يزداد اتساع النهر ، ويتقهقر الشاطئان ، وتجري المياه اكثر هدوءا ، وفي النهاية ، ودون انقطاع ملحوظ ، تصبح منغمرة في البحر ، وتفقد دون عسر وجودها الفردي . فالرجل الذي يمكنه في الشيخوخة ان يرى حياته على هذه الصورة ، لن يعاني الخوف من الموت ، ما دامت الامور التي يهتم بها ستستمر .

واذا زاد الانهاك بانحلال الحيوية فالتفكير في الراحة لن يكون غير جميل . واتمنى ان اموت وانا اقوم بالعمل ، عارفا بان غيري سوف ينهض بما لم اعد استطيع المضي في عمله ، وقانعا بالتفكير بان ما كان ممكنا قد تم .

القاهرة — جرجس عبده

وحبك منتهى عمري

عبد الله السيد شرف

مصر

اذا .. ما سرت عند النيل
في اشراقة الفجر
واسمعك النسيم العذب
انغاما من الطهر
وغنى الطير الحان الهوى العذري
فبوحي .. ليس غير الحب
والاشواق في صدري
وقلبي ما يزال يحن ..
رغم سحائب الضر
وفي دنياي احلام
بآمال الهوى تغري
فانت نشيد الهامي
وانت هناء ايامي
وحبك .. منتهى عمري

*

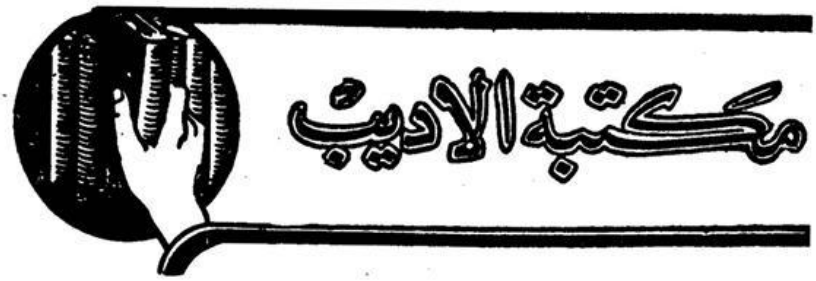
اذا ما غرد العصفور انغاما عن الحب
وفاض بقلبك الخفاق
الحانا عن القرب
فبوحي بالهوى المكتوم
ان الحب يطوينا
وغني للنسيم الرطب فالدنيا تنادينا
ولن نقوى على الهجران
رغم زماننا القاسي
فانت منارتي .. وهواك نبراسي
ومنك تفيض انواري
وادرك موكب السحر

اذا ما اورق الغصن ..
وضوع بالشذى الزهر
وعادك ذكر ايامي

*

وفاض بقلبك الفكر
فعودي .. لا ازال هنا
اقص على الربى امري
واحكي كل احلامي
واسكب فيك انغامي
فانت سعادتي لو زاد بي ضري
وانت لقلبي المحروم آيات من الفخر
اردها .. ارتلها
اداعبها .. اجملها
واحفظها مع الاشواق في صدري
فانت رفيق ايامي
وفيك يضوع الهامي
وحبك .. منتهى عمري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يوميات اكرم زعيتر
الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩

مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت ـ السلسلة رقم ٥٥ ـ ٦٦٠ صفحة

ـ يا محمد ! يا محمد !

ـ

ـ يا محمد ! يا محمد !

ـ

ـ يا محمد ! لقد صببت الطعام . تعال قبل ان يبرد .

ـ

ثم جاءت زوجي الى غرفة مكتبتي مذعورة . ولما رأتني منصرفا الى القراءة ، قالت :

ـ ظننتك تصلي الظهر .. ما هذا الكتاب الذي تقرأه بهذا النهم العجيب ، والاندماج الغريب ؟

ـ انه يوميات صديقي اكرم زعيتر .

ـ حقا انه كتاب ممتع . لقد سبقتك الى قراءته من الدفة الى الدفة .

لقد وفت الكتاب حقه من التقريظ ، ثم رأيتني لا اذهب الى سريري تلك الليلة ، الا بعد ان صليت الفجر ، وانا متنبه الاعصاب، بعد ان سلخت بضع عشرة ساعة في قراءة هذا الكتاب الدسم بمادته الشامل باخباره عن الجهاد الفلسطيني المتواصل ، واخبار المناضلين الفلسطينيين من الاهل والاصدقاء ، الذين زجوا في السجون والمعتقلات ، والذين التقيت بعضهم في دار حنضل ببيت لحم ، وعرفت البعض الاخر ، وهم يضحون بالنفس والنفيس في سبيل انقاذ فلسطين الحبيبة .

تحس وانت تقرأ الكتاب ان مؤلفه قد جعل نور الصدق ينبعث من كل حرف من حروفه ، وصير كل قارىء من الذين لم يعيشوا احداث فلسطين المجاهدة الكبرى كما عشناها ، صيره يراها كأنه عاشها بنفسه ، او كأنه يرى شريطا (فلما) سينمائيا يتابع تلك الاحداث العجيبة التي جرت في فلسطين ، بعد ان صور كل منها حال حدوثه ، وعدسة المصور لا تستطيع ان تزيد في رواية ما تراه او تنقص ، وليت السنتنا تقتدي بها في رواية ما تراه عيوننا دون زيادة او نقصان ، اذا لم اقل دون اختلاق .

كل من يقرأ هذا الكتاب النفيس يستطيع ان يرى كيف ضحى عرب فلسطين الانجاد بكل ما لديهم في سبيل الدفاع عن وطنهم المقدس، والحفاظ على ارضه ، بصورة رائعة لا يكاد يصدقها عقل ، حتى تستطيع ان تقول ان الفلسطينيين زرعوا في كل متر من الارض جثة شهيد ، وروّوا كل شبر منها بالدماء الطاهرة ، بحيث بذلوا جميع شعوب الارض ، التي بذلت الارواح لنيل بلادها استقلالها .

اعادني اخي اكرم القهقرى بضعة واربعين سنة ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ ، ليريني كيف استشهد القائد البطل الشيخ عز الدين القسام ، وكيف حاول الضابط البريطاني المجرم سيكرست اهانة اصدقائي المغفور لهم الشيخ حسام الدين جارالله، ونسيبي وصديقي شهيد القسطل عبد القادر الحسيني (ابو موسى) ، وجاري الشيخ سعد الدين الخطيب (ابو زياد)، وزميلي الاستاذ جلال زريق (ابو خالد) ، وامين بك التميمي ، وطبيب اسرتنا الدكتور عبد الله المغربي ، وكيف انتقم لهم نسيبي الاستاذ الشاب الشهيد سامي ابراهيم الانصاري، فاطلق عليه الرصاص ، قبل ان استشهد ، وجعل يعيش مشلولا بقية حياته ، في بلاده .

وذكرني بالاضراب الفلسطيني العظيم عام ١٩٣٦ ، والذي دام ١٧٨ يوما ، وكان اطول اضراب عام شامل في تاريخ الشعوب ، منذ سجل التاريخ الى يومنا الحاضر ، مما دل على مناعة قومية شديدة في عرب فلسطين الاشاوس ، ذلك الاضراب الذي ضحى فيه العرب بعشرات الملايين من الجنيهات ، خسروها في زراعة الحمضيات خاصة، وفي التجارة والصناعة عامة .

وذكرتني تلك اليوميات الرائعة باسبوع القرى الناجح ، ومؤتمر اللجان القومية الذي وحد القلوب والزنود ، ومجيء فوزي القاوقجي، وقيادته الثورة العنيفة ، ومناشدة زعماء النصرانية العرب زعماء العالم المسيحي مؤازرة عرب فلسطين ، الذين تحاول بريطانيا تسليم بلادهم، ومحاربة الاطفال الانكليز (بفتح الزاي) المستعمرين ، حتى راحوا يطلقون الرصاص عليهم من الغابات ، ويرد عليهم الانكليز ، الذين اعتقلوا صبيا جرحوا رجله برصاصهم عمره تسع سنوات . ولن انسى ذكر طفلي فران مسيحي في حي القطمون ، الذي كنا نسكنه في القدس، انطوان وهو في نحو الثامنة من عمره ، واخته وهي في نحو السادسة اللذين راحا يبلعان المسامير انتحارا، لكي لايسيطر الدخلاء على فلسطين، ويفرضوا عليهما العيش في ظل حكمهم . ولولا ان قيض الله من رآهما واخبر والدهما بذلك ، فاخذهما الى صديقي الدكتور فوتي فريج ، واخرجت المسامير ، ونجوا والحمد لله . وكنت قد اعتقلت في المرة الثانية مع اخيه المجاهد عطا الله فريج في ليلة واحدة .

ومما جاء في تلك اليوميات التي تثلج الصدور ، تحمس اخواننا في الاقطار العربية كافة لقضية فلسطين تحمسا نادر المثال ، فقد عقدت لجنة التبرعات لمنكوبي فلسطين الحرة في الموصل اجتماعا ، دعت الى حضوره اصحاب المهن ، وكان من جملة المدعوين السيد احمد حداد ، الذي تبرع بدينار واحد لاسر المنكوبين ، وكان ذلك تبرعه الثالث ، ثم ترك الاجتماع ، وذهب الى منزله ، وعاد ومعه ابناه : طالب وعمره عشر سنوات ، وعادل وعمره ست سنوات ، وعرض على المجتمعين ان يشتروا احدهما ليقدم ثمنه تبرعا لفلسطين المجاهدة ، لخلو جيبه من الدراهم ، وهو الفقير الحال . ويعلق الاستاذ اكرم على ذلك بقوله : « فيا لله من ذلك المنظر الذي جمع بين السرور والالم ، اللذين اوقدا في قلوب المجتمعين اتونا من الحماسة المتاججة نيرانا بين الاحناء ، فكنت ترى ذلك الطفل ، الذي لم يبلغ من العمر السادسة ، يطوف على السادة المجتمعين قائلا : هل فيكم من يود شرائي من والدي ، الذي عزم على تقديم ثمني تبرعا منه الى فلسطين؟ وما كاد ينتهي من كلامه في الحفل ، حتى تلافته الايدي ، وكل من المجتمعين يود تقبيله . ونزيد على ذلك بأن البعض لم يتمالكوا انفسهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من تأثير ذلك المنظر ، فاجهشوا في البكاء فرحا بتلك الروح السامية، المتمثلة في نفس ذلك الطفل » .

وانا عندما قرات تلك الحادثة الرائعة ، حذوت حذو اولئك الاخوة الفضلاء ، وتشبهت بهم في الهاب خدي بالعبرات السخية ، والتشبه بالكرام فلاح .

وفي يوميات خطيب الضاد المفوه الاستاذ زعيتر ، ورد ذكر بعض آثام الضابط الكبير غير الفلسطيني حليم بسطه ، نائب مدير الشرطة الشمالي (حيفا) ، وكيف اخفقوا في اغتياله اولا ، ونجحوا في القضاء عليه بعد ذلك . وقد سر عرب فلسطين قاطبة باغتياله ، لانه كان عدوا لدودا للعروبة والعرب ، وجاسوسا كبيرا يعتمد عليه اسياده الانكليز في ايذاء العرب ، والوشاية بهم ، واحباط ما يستطيع احباطه من تآمرهم على الدولة المجرمة المنتدبة ، وابنتها المدللة .

وفي اليوميات ان الهند جعلت يوم ١٥ ايلول ١٩٣٦ يوما لفلسطين جمعت فيه التبرعات بسخاء لمنكوبي الاضراب الطويل . وقد ذكر لي الاستاذ رجا حوراني انه كتب رسالتين بهذا الشان الى جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند العظيم ، رد نهرو على ثانيتهما بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، قائلا ان الهند كلها لبت نداء فلسطين . ولما علمت حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين بالامر ، طردت رجا حوراني من فلسطين ، متذرعة بعدة اسباب ، منها هذا السبب . وقد كان رجا يدرس في كلية روضة المعارف الاهلية بالقدس ، قبل ان اعاده البريطانيون الى بلده لبنان . وهذا يرينا كيف كانت فلسطين تفتح صدرها لابناء الاقطار العربية الشقيقة ـ ومنها لبنان ـ وكيف كانوا يحاربون الاستعمار مع اخوانهم عرب فلسطين ، الذين احلوهم القلوب ورضوا بهم رؤساء لبعض الدوائر الحكومية الكبرى ، واساتذة يربون اولادهم و فلاذ اكبادهم .

وفي اليوميات كيفية اعتقال الاستاذ اكرم زعيتر في معتقلي عوجة الحفير وصرفند مع نخبة من اخوانه الاخيار ، الذين كان جلهم من اصدقائي الخلص . وفيها وصف للكوخ المتواضع الذي كان يؤويهم ، والمعاملة غير الانسانية ، التي كانوا يلقونها من الدولة البريطانية الراقية ، التي لم تنتدب على عرب فلسطين الا لتؤيدهم في ارتياد حياض المدنية والعلم والنظام والفن ، ولكنها اوردتهم موارد التجهيل والافقار والتشريد والفوضى .

وقد اعجبتني حملة الاستاذ زعيتر الشعواء على هور بليشا ، وزير الحربية البريطانية ، الذي امر الجيش البريطاني الباسل ، المدجج بالسلاح الفتاك ، ذلك الجيش الذي كان الامر الناهي في فلسطين آنذاك ، امره بالبطش الوحشي العنيف بالفلسطينيين العزل من السلاح ، شيوخا وشبانا ونساء واطفالا .

واعجبني ذكره مقتل حاكم لواء الجليل ، الانكليزي ، المستر اندروز مع حارسه الانكليزي ماكوين فراي ، اللذين قتلهما فلسطينيون مجهولون . وكان ذلك الحاكم عدوا لدودا للعرب ، وصديقا حميما لليهود الذين تضاعف عددهم في فلسطين اكثر من عشر مرات ابان الانتداب البريطاني البغيض .

وعندما قرات اسماء الذين اعتقلهم الانكليز من عرب فلسطين ، خيل الي ان الاستاذ المؤلف اكتفى بذكر اسماء الذين زجوا في المعتقلات البريطانية الشمالية . اما الذين زجوا في المعتقلات الوسطى والجنوبية ، فلم يرد لهم ذكر ، واعرف منها معتقلي دار جاسر ودار حنضل ، اللذين كنت فيهما مع عدد كبير من المسيحيين الفلسطينيين ومسلميهم ، كما يكتس السردين .

ومن حسنات هذا الكتاب ان في نهايته دليلا دقيقا جدا لجميع الاعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب ، مع ارقام الصفحات التي وردت فيها تلك الاسماء ، وعدد المرات .

ومن حسناته ايضا انتهاؤه بتسع عشرة صفحة حافلة بالصور التذكارية الواضحة ، والمطبوعة طبعا انيقا على ورق صقيل ممتاز .

ولن اطيل على القارىء الكريم ذكر روائع هذا الكتاب الكثيرة ، واناقة لغته وصحتها ووضوحها وبلاغتها ، والمتعة العظيمة التي فزت بها وانا اقرا تلك المشاهد الرائعة من الجهاد الفلسطيني ، التي رفع بعضها راسي عاليا ، واستدر دموعي السخية بعضها الاخر .

وفي الختام اهنىء اخي الحبيب الاستاذ اكرم على كتابه النفيس هذا ، حائا اياه على تزويدنا ببقية يومياته الممتعة ، ومقترحا عليه عرضها على شركة عربية ، لعمل مئات المشاهد السينمائية الملونة ، وعرضها على العالم كله ، ليرى نموذجات فذة من البطولة ، قام بها الفلسطينيون لانقاذ بلادهم .

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

محمد العدناني

★ ★ ★

عشر قصائد الى عينين

للشاعر المهندس اخلاص حسني

سبعون قصيدة تحمل ثورة في الشكل الفني ، وثورة في المضمون الشعري ، وثورة في التجارب الوجدانية ، ويتضمنها ديوان جديد للشاعر المهندس اخلاص حسني ، الذي لا ينسى مهنته في شعره ، فيكتب قصيدة يسميها الخروج من مثلثات الرعب ، ويقول في قصيدة اخرى : انثري عينيك من كل الزوايا ، ويقول في قصيدة ثالثة ما يقول : عن مسافظ البناء والقطاع ، والواجهات الاربع ، ويقول في قصيدة اخرى :

وهذه الرسوم كلها
من سحرها
من انعكاس فكرها

اما في الشكل الفني : فيضمن الشاعر تجاربه قصائد عمودية ، وقصائد من الشعر المرسل الموزون ، مثل قصيدته « افراح العودة »، وقصائد حرة ، وقصائد اخرى تجمع بين الشكل العمودي والتجارب الحرة ، مثل قصيدته « رحلة داخل عينين » ، وقصيدته « ذكرى عيون » .

والغريب في موسيقى الشاعر العمودية انه يعزف على ثلاثة اوزان شعرية فيجيد العزف كل الاجادة ولا يقصر عن مدى الشعراء الذين يعزفون على كل وتر ويغنون على كل عود : وهذه الاوزان الثلاثة هي الكامل والرمل والمتقارب .

واما من حيث التجارب الشعري فهو المراة والحب والصبا والشباب والجمال ، وكانما المراة استحالت عنده الى ساحرة ، يصير هو امامها مسلوب الارادة لا يملك الا ان يهوى .

واما من حيث التجارب الوجدانية فان هذا اللون من الحب العذري ، الذي يحرق بنار الهوى والجمال مع انه في الاصل حب مادي ، يعد ظاهرة للحب الرومانسي العنيف عند الشعراء الهائمين في اودية الجمال والهوى .

وماذا اختار من قصائد الديوان السبعين ، وكلها يدعوك للاختيار لا ضير في ان اقف بك على قصائد اربع :

اولاها : قصيدته « جسر على طريق العودة » وهي من المتقارب وفيها يمتزج الحب بالفكر والنفس والحياة :

بمليون طلعة بدر تغني
على مشرق الشمس في جبهتك
بسحر الروابي يعود ويزهى
ويسمو ليسطع من مقلتك
الى ان يقول في ختامها :
فسحر الطيور وشدو العطور
وعزف الجداول في همستك .

وثانيتها قصيدته « حبيبي انا » التي تمزج بين الطبيعة والحب، والتي خرجت ملحمة رائعة لقصة حب فريدة ، لشاعر قلق حائر لا يستقر على حال ولا يبرا ن ملال ، وفي مطلعها يقول الشاعر :

وجاء الربيع شباب الفصول
ضحوك الروابي مضيء الحقول
يفجر في النفس نبع الفضول
لسر الليالي وسحر الحيـاة .

ويقص فيها الشاعر ذكريات حبه وحبيبته في شجو وشجون ، يكادان يعدان اسطورة من الفنون . والقصيدة « حبيبي انا » جديرة بالوقوف عندها طويلا لمسحتها الملحمية ، ولشبهها بمـــلاحم ناجي العلرية ولبساطة وروعة الصور فيها .. لولا ضيق المجال والقصيدة الثالثة هي « يا سمراء » :

انت يا سمراء فيك
اي سر ، لست ادري
عينك النجلاء فيهـا
اي سحر ، لست ادري
انت يا سمراء فيك
فتنة الشرق الحبيب
عينك النجلاء فيها
ومض حب لا يغيب
وفيها لفح نار المهجرين وحيرتهم

والقصيدة الاخيرة هي قصيدته الباكية الفاتنة « امس الضائع » التي تحمل لهفة المحب على ذكرى حب ، واطلال غرام ، وفيها يقول الشاعر :

ضاع مني ليته ما ضاع مني
ضاع مني الامس ضاع الامس مني
غاب هذا العالم المسحور عني
لم يعد في خاطري غير التمني
انه شعري واحساسي وفني
انه الخلد الذي فيه اغني
ضاع مني فاذرفي يا ادمعي

ومن قصائد الديوان الجميلة قصيدة « الى زميلة » التي ينصح فيها الشاعر المهندس اخلاص حسني الفتاة ، التي تزامل الشباب في مجال العمل بان تعرف لقلبها قدره وتصونه لا تذله لبعض الخادعين:

احذري في موكب الحب فتى
ناعم الاطراف مصقول الجبين
بربري اللفظ مفتون الخطى
يظهر الاعجاب في ذل مهين

وهي قصيدة رائعة حقا ، ويا ليت فتياتنا يجعلن منها شعـارا لهن في الحيـــاة .

ومع ما في هذا الديوان من جديد التجارب الشعرية الهامة ، نرى الشاعر المهندس يقفز فيه قفزات صعبة في طريق الرمز وابعاد الخيال والاستعارة ومحاولة اضاءة الصورة وغرابة المعنى .



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٥٠ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٣٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ١٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٢٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩
☎ المنزل : ٢٢٥١٢٩

☎ Dir. 223819
☎ Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨ــ١١

بيروت ــ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن العجيب ان اتلقى مع ديوان الشاعر المهندس اخلاص حسني ديوانا جديدا ايضا للشاعر اللبناني الدكتور فوزي عطوي عنوانه « الموج في جزيرة العيون » ، ويحمل مضامين شبيهة بمضامين الشاعر المهندس ، مع اختلاف النغم ، والحرص على العمودية ، وعندما نقرأ للشاعر الدكتور فوزي عطوي من قصيدته « لست من النساء » :

هبطت الي فاضطرمت دمائي
كانك من ملائكة السماء
اتيت وبي بقايا كبرياء
فلم اذكر بقايا كبريائي
ولما ان تلفت منك هدب
حسبت الليل مرتعش الضياء

ونقرأ للشاعر المهندس :

عيناك يا اسطورتي
نجمان في وضح النهار
يتلألآن
يتالقان
ويشعشعان
دنيا يموج بها الحنان

نشعر ان الالتقاء الروحي بين الشاعرين حول جمال العيون قد الهم هذا بفلسفة ، والهم ذلك بفلسفة اخرى من الحب وعذرية الهوى وطهر الشباب والجمال .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي

★ ★ ★

الطائران والحلم الابيض

مجموعة شعرية ـ لمصطفى النجار ومحمد علي الرباوي

ما زالت امسياتنا القمرية موصولة ، برغم قتامة ايامنا ، والحزن المقدر في احنائنا . يقولون : غاص نبع الشعر ، واصبح الى النظم اقرب منه الى اصالة الفن ، وعمق التجربة ، وثراء الوجدان . وتكاد امسياتنا الشعرية تخلو من الشعراء ، وتمج بالمتشاعرين ! لكن نايا شجيا يأتيني من حلب الشهباء ، على بعد المسافة ، الا ان الاذن ترهف السمع لنايه الشجي . فما زال طائرنا الحلبي (مصطفى النجار) يتغنى بالحب والبراءة ، وسط الطنان الزيف والرياء . ما زال النجار ، طائر الحب والاشواق ، يطير في سماء حلب ، صادحا بأغانيه ، وما زلت مبثوث الصلة باشعاره ، فاحمد له هذه الروح الفتية التي لا تواتي الا الشاعر المبدع .

وصلتني منه مجموعته الشعرية (الطائران والحلم الابيض) ، التي شاركه فيها اخونا الشاعر المغربي محمد علي الرباوي. والشاعران من الطيور الادبية المحلقة في سماء الادب العربي . طائر من المشرق ، وطائر من المغرب ، يحلقان معا ، فيحققان لونان من الوان الوجدان العربي المشترك . ان الفن ـ والشعر خاصة ـ يتجاوز سلبيات واقعنا العربي المرير ، ويكون تقدميا ، طموحا ، يسمو ويحقق ما لم تستطعه السياسة . ولا مشاحة في هذا ، فالشعر لغة الوجدان ، وهذه اللغة اقرب الى نبض الشعوب . فالشعر يمثل همزة الوصل ، وقنطرة العبور ، مجتازا الاميال والفراسخ ، متحديا الخلافات والمنازعات .

في قصيدة (شموخ البراءة) يعود الشاعر الى غنائيته المحببة ، وان كان قصير النفس ، وكان المرجو ان تمتد ابياته ، اثراء للتجربة النفسية التي يعيشها . ولعلها اعراض مشتركة ، فنجده يلجأ الى التكثيف دون الافاضة . فتأتي بعض احاسيسه غير مشبعة وجدانيا ، اشبه بالاسلوب البرقي المختزل ، ولعله بهذا يعكس روح عصرنا السريع التغير . لكني آمل ان تكون وجدانياته ثراء لنفوسنا ، فحين نتفيأ بظلال دوحة الشعر ، نحب ان يطول مكثنا تحت هاتيك الظلال . تجذبنا (شموخ البراءة) بمطلعها :

يا حلوتي عاشق فيك الجمال الندى
نامت عيون المدى الا فؤادي الصدي
يا حلوتي طائرا جئت ابي الوتر
الصدق من شرعتي والحب والمنتظر
والشوق من جانحي ـ يا حلوتي ـ يستعر

وفي قصيدته (سرب جلنار الى بلادي) يعمق تجربته ، فتتكامل التجربة الشعورية لتعطينا نبضا دافقا لشاعر يتغنى بحب بلاده ، دون الانزلاق الى الخطابة ، او التدني الى دهاليز السياسة .

وفي قصيدته (ابحث عن قيس اخر) ، يعقد مقابلة ذكية بين رومانسية قيس في حبه العذري ، وواقعية القرن العشرين ، يقول في هذا :

اتمشى في اروقة الزمن الغابر
سمعت اذناي نشيدا يتهادى ..
من قيثار الصحراء الى قلبي
« آه يا ليلى اني مجنون »
فارتعت ...
وطرت حمامة حب حطت في « دغل » القرن العشرين ؟
واختلطت آهات الحب بآهات الخبز
وخزامى الصحراء
بدخان الانتاج الذري ؟
آه يا قيس فكم انت ضحية ؟!

ويمضي شاعرنا في المقابلة الذكية بين الخيال والواقع .. لكن المقابلة يغلب عليها طابع الفكرة المنطقية ، مما جنى على لغة الشعر الوجدانية .. وهو توازن دقيق بين القصدة كفكرة ، والقصيدة كتجربة وجدانية .. والمنزلق الخطر في هذا ان تسيطر الفكرة على الشاعر ، فتؤثر بالسلب على لغة الشعر الاولى ، وهي الوجدان ، فتأتي قصيدته اشبه بسطور نثرية في الاغلب الاعم ، او تأتي بعض تعابيره او كلماته غير مناسبة للغة الشعر . ولعل تعبيره « بدخان الانتاج الذري » القريب من اللغة العادية ، خير مثال على ما اقول .

كذلك نجده ينزلق ـ تحت تأثير الفكرة المسيطرة ـ الى الخطابة والتقريرية . نلمس هذا في ختام القصيدة :

يا قيس ويا قيس المجنون
الركبان وسيارات السفر الحضري
بجع الايام القادمة
تاريخ الافراح النبوي
ترجوك وترجو منك الاجهاز على الاحزان
ترجوك وترجو منك الصحو وتحرير الانسان

هي دعوة مباشرة يرتجلها الشاعر سطورا بعيدة عن روح الشعر ، قريبة من اسلوب النثر الخطابي التقريري . ولعل مبعث هذا كما قلت ، هو ما نرجوه من توازن دقيق في الصياغة ، بحيث يعبر الشاعر عن فكرته ، متفاديا ان تكون الفكرة مؤثرة على لغة الوجدان . ومن ايسر الامور ان نعبر عن افكارنا ، لكن العسير هو العثور على الشعر الوجداني قلبا وقالبا .

على ان الشاعر يعوضنا عن هذا بقصيدتين اخريين هما : (للانفصال قرار ؟) و (القراءة والماء) .. فنجد فيهما هذا التوازن الدقيق بين الفكرة واللغة الشاعرة . ونجد الكلمات السلسة الطيعة ، يسوقها الشاعر دون تكلف . وهما من اجود قصائد المجموعة .

وما زلت اكرر ان شاعرنا مطبوع على الغناء . وتبرز نـواحي ابداعه في غنائيته المحببة . وخير مثال لهذا تلك الابيات من قصيدة (بطاقة الى حب دائم) :

ناديتـك يـا حبي البـاقي ودفنـت شـذاك باعمـاقي
يـا وردة حـب منسي ناديتـك تشهـد اوراقي
فاكاد ألـوب عـلى الذكـرى من بعـد ضيـاع الاشـواق

★ ★ ★

اما الطائر الثاني ، فياتينا من المغرب . غناؤه يختلف جـد الاختلاف عن غناء المشرقي ، رغم ان مجموعة واحدة ضمت اشعارهما. فالرباوي المغربي ، يغلب على شعره الاسلوب القصصي . وبصفة عامة يتارجح شعره بين الشعر الغنائي و الشعر الوصفي والقصصي. ويتجه بفكرته نحو العمق ، وسيلة يرتقي بها سلم الوجدان .

احيانا نجده شفيف الرؤى ، واحيانا نجده واقعيا الى ابعد مدى . فمن الشفافية التي تجعله يحلم وسط « سنابـل القمر » واودية الجنة والزهور .. الى تلك الواقعية التي تجعله يهبط مـن علياء سماء الحلم ، ليحدثنا عن الفول الذي يبول على حائط بيتـه الصغير ، ويحدثنا عن « سرور » الذي وراء البيت !

واعجب ما نراه في شعر الرباوي هو التارجح بين الرومانسيـة والواقعية ، وليس بينهما لغة وسط ، وكاننا نقرا لشاعرين مختلفي المنحى والاتجاه . وازاء هذا التناقض ، يمكننـا القول بان الربـاوي يعيش لحظة الحلم ، كما يعيش لحظة الواقـع . يجتذبه الحلم بشفافيته ، فيحلق في سماوات علية ، وتتمازج اشعاره بترنيـلات ملائكية .. ثم يشده الواقع بمرارته ومادياته ، فيجد نفسه ، اذ هو يعيش واقعه ، يختصه بنماذج شعرية .

فالرباوي صوتان للشعر ..

الصوت الحالم ، كما في قوله :

احلم يا عزيزتي .. حلمي الكبير
والوقت جدول صغير
الحلم يا عزيزتي اكبر من هذا الزمان
ونحن فيه زهرتان
فوقهما فراشتان

ثم يردنا الرباوي الى قسوة الزمان ، معبرا عن مخاوفه وقلقه. الصوت الثاني تعبير عن معاناة الواقع . يقول عن نفسه :

مسافـر ونـاقـتي تبحـث عـن جرعـة مـاء
لا شـيء في حقيبـتي سـوى قصـائد الرثـاء
امشـي يقـودني القمر الى جزيـرة الكـروم
والقلب اضنـاه السفـر ومـل رقصـات النجـوم

في البيتين الاخيرين ، جواب لتساؤلنـا عن سر تارجحـه بـين الرومانسية والواقعية . فالقمر يجتذبه الى جزيرة الكروم ، لكنـه مسافر منهك ملول . ولعله في هذا مضطر الى مسايرة واقعه ، فيحدثنا عن حائطه الطيني الذي « بارز الرياح » وسخر من غدر الزمان . لكن « الفول » يدنس حائط بيته ببوله . والفول شيء خرافي يرمـز للخوف والرعب . ويسترسل الرباوي في واقعيته فيحدثنا عن (الفلاح الذي اتعبته القفة) .. مجاريا بهذا لغة الشعر ، منتهجا اسلوبـا قصصيا واقعيا ، يطعم به شعره . ولعله حريص في هذا ان يكون رومانسيا في آن ، وواقعيا في آن آخر ..

وتعتبر قصيدة (حلم فارس من بني عبس) من اجود قصائـد المجموعة . يقول في مطلعها :

لانني عبد غليظ الشفتين
لان وجهي اسود مثل سواد ليلتين
لان انفي افطس يخجل حتى الابوين
لان شعري مثل قشرة الشجر
قالوا : الدخول يا حبيبتي الى مملكة العشق الى
حدائق الصباح يحتاج الى جواز !
حسبي احب حسنك السامي وحبي لا يحد ؟
حسبي عرفت نسمة الله الصمد
يوم سكنت اضلعي الى الابد .

واجمل ما في مجموعة (الطائران والحلم الابيض) انها جاءت ثمرة لقاء بين شاعرين عربيين ، يحلقان في سماء دنيا العرب بجناحين خفاقين : جناح مشرقي وجناح مغربي . يعلنان بحروف نورانية ان وحدة الوجدان العربي قد تاصلت عبر عصور التاريخ المختلفـة ، وانها حقيقة واقعة في عصرنا .

ومهما حاول الغرقاء الغرباء عن ديارنا تحقيق سياسة التباعد ، فان قلوبنا ما زالت تنبض نبضا عربيا خالصا .. ونعلن في اباء وعزة اننا امة عربية واحدة ، ولتؤكد على اننا امة شاعرة ، وان الشعر ديوان العرب .

القاهرة — حسني سيد لبيب

★ ★ ★

اوراق من عام الرمادة

شعر ـ حسين علي محمد ـ ٤٠ صفحة ـ العدد ٤
سلسلة « اصوات » ـ القاهرة ـ نوفمبر ١٩٨٠

هذه هي المجموعة الشعرية الخامسة للشاعر حسين علي محمد بعد مجموعته الاولى « حوار الابعاد » ١٩٧٧ و « السقوط في الليل » ١٩٧٧ ، و « ثلاثة وجوه على حوائط المدينة » ١٩٧٩ ، و « شجرة الحلم » ١٩٨٠ .

وقد ضمت هذه المجموعة التي عشرة قصيدة من قصائده الاخيرة نشرت جميعها في « الشعر » و « روز اليوسف » و « الاديـب » و « الثقافة » .

يقول في اول قصيدة :

هذا انا
وحدي هنا
خلف الجموع
الجوع يقتل ناقتي
والشوق يعصف بالضلوع

ويستوحي في هذا الديوان جوانب تراثية مثل « عام الرمادة » و « بلال بن رباح » في قصيدته « ترنيمة بلال » و « غيلان الدمشقي » و « شاعر اشبيلية العاشق » . ويهدي ثلاث قصائد الى ثلاثـة شعراء معاصرين هم : نجيب سرور وسميح القاسم ومصطفى النجار .

واذا كنا بدأنا رحلتنا مع مقطع حزين من قصيدة (اوراق مـن عام الرمادة) فاننا ننهي هذا اللقاء بالمقطع الاول من قصيدة (قنديل الحلم) ... حيث نرى الامل الاخضر رغم عوامل الاحباط :

حط الليل على نافذتي
هذا قنديل الحلم
فقومي يا حبة قلبي ..
والوجع الليلة حلو
والطفل القادم لن نتركه للوحل
الليلة لن اخشى شبح الموت فتيا يتهددني
لن تبصرني بعد الليلة انغزل في الصمت
فقد خبات الصبح بثوبي
لن انتظر طويلا

القاهرة — ماهر احمد علام



عيسى فتوح

شفيق جبري شاعر الشام

بقلم عيسى فتوح

* * *

كما عاش الاديب الكبير شفيق جبري سنواته الاخيرة في منزله في « بلودان » بصمت ، بعيدا عن الناس والاضواء والمدينه المشغولة ، كذلك رحل الى العالم الاخر بصمت ، بعد شيخوخة هادئة ، آثر فيها العزلة والانقطاع ، الا عن الكتب التي كانت صديقه في خلوتة ، ومؤنسه في وحشته، وسلواه الوحيدة ، فلا زوجة ولا اولاد يعكرون عليه صفو هذه الوحدة النفسية التي ارتضاها ، بعد ان احيل الى التقاعد من عمادة كلية الآداب في جامعة دمشق عام ١٩٥٨ ، وعاش مع القرويين البسطاء ممن لا صلة لهم بالادب ، ولا علاقة لهم بالشعر، يأنس بأحاديثهم الساذجة، فهم في الواقع طيبون الى ابعد الحدود ، لا يعرفون الغيبة والنميمة وتزوير الكلام .. وقد اتاحت له هذه الحياة القروية البسيطة الخالية من اللهاث والتعب والسباق الذي يمارسه سكان المدن يوميا ، ان يعيش اثنين وثمانين عاما.

زرته مرة واحدة في منزله ببلودان قبل عشر سنوات تقريبا، وكنت وحدي، وبلا سابق موعد رحب بي وجلست معه اكثر من ساعتين ، يحدثني بلا ارتواء ، يبوح لي بأدق مكنوناته واخفى اسراره ببراءة الاطفال ، فقد احسست ان وراء هذه اقامة الفارعة التي لم تستطع الشيخوخة ان تؤثر في استقامتها ، قلبا عامرا بالحب ، مملوءا بالطيبة والمودة والصفاء . حدثني عنه يوم اقدم ، وقد تخطى عتبة الشباب ، على خطبة فتاة من اللاذقية كانت احدى تلميذاته في كلية الآداب ، وبحاجة الى عونه ومساعدته ، وكيف تآمر عليه ذووها طمعا بذهبه وماله ، وما ان تمت الخطبة ، وحصلت الفتاة والاهل على ما يريدون ، حتى تملصوا منه ، وزوجوها لشخص آخر !

لقد تهيبت هذه الزيارة في بادىء الامر ، لانني لم اكن اعرف الرجل من قبل ، ولكن التهيب سرعان ما تبدد من ذهني منذ ان اخذ يرحب بي بلهجته الدمشقية المهذبة العريقة ، وقد اسفت لانني لم اسجل حديثه يومئذ ، ولم تتح لي زيارة اخرى غير تلك الزيارة اليتيمة . حدثني عن حياته اليومية الرتيبة ، وكيف يقضي وقته بين القراءة والكتابة والجلوس في مقهى « ابو زاد » احيانا ، وفي المساء يقصده بعض القرويين ليحدثوه عن همومهم ومشاكلهم فيساعدهم على حلها بطيبة خاطر .

مات شفيق جبري الشاعر الذي ملأت قصائده الرنانة دنيا الشام ايام الاحتلال الفرنسي لسورية ، وبعد الجلاء عنها ، مات بلا ضجيج على سرير بارد في المستشفى الطبي الجراحي بدمشق ، ودفن دفنا متواضعا بسيطا ايضا ، لا جلبة فيه ولا مواكب ، ولا خطب تأبينية، كأنه لم يؤلف عشرة كتب من امهات الكتب العربية ، بينها الجاحظ ، والمتنبي ، والعناصر النفسية في سياسة العرب، وبين البحر والصحراء ، ودراسة الاغاني ، وانا والشعر وانا والنثر ، وارض السحر ، وابو الفرج الاصفهاني ... ويكتب عشرات المقالات الادبية والوطنية والسياسية في مجموعات الجرائد المنسية ؟!

لم يطبع لشفيق جبري اي ديوان حتى اليوم ، وقصائده تشكل ديوانا ضخما يحفظها الناس يوم كانوا يحسنون اختيار وحفظ الشعر الجيد ، ولو سألت احد طلاب الجامعات اليوم عن شفيق جبري لاجابك : لعله واحد من مخرجي التلفزيون ! لانه لا يكتب في الصحف ، ولا ينشر في المجلات ، الا مجلة مجمع اللغة العربية التي ظل يوافيها بمقال فصلي كل ثلاثة اشهر تحت عنوان « بقايا الفصاح » ، وفي الجزء الثالث لعام ١٩٧٩ ـ وهو آخر جزء صدر ـ كتب مقالا قصيرا بعنوان « كثرة المصادر والاسماء » تساءل فيه عن السبب الذي يكمن وراء هذه

لكثرة الغريبة ، هل مرد ذلك الى كثرة القبائل واختلاف لغاتها ؟ ويرى انه ليس من الضروري ان تعيش المصادر والاسماء كلها ، فمنها ما يموت ، ومنها ما يقل استعماله . لقد تحول شفيق جبري في السنوات الاخيرة عن الشعر ، وانطفأت فيه جذوته التي كانت تتقد وتتلهب ايام الشباب، وانصرف الى النثر ـ وهو لا شك علم من اعلامه ـ وحصر اهتمامه باللغة ، لان مجلة مجمع اللغة العربية التي ارتبط بها كانت تقتضي ذلك منه .

ربما كان الاستاذ زهير ماردينى الكاتب الوحيد الذي انصف صديقه شفيق جبري وهو على قيد الحياة ، فتحدث عنه مفصلا في كتابه « عشرة من الناس » وسماه « صراف الرجال » ، واستطاع ان يوفيه حقه من الدراسة والتقييم ، ويدخل الى اعماق نفسه ، ويستنتج زبدة آرائه ، ويكشف من خلال الحوار الذي دار بينهما انه ولد عام ١٨٩٨ في دمشق ، وعندما بلغ السادسة ارسله ابوه الى مدرسة « الآباء العازاريين » ، فظل فيها تسع سنوات حصل في ختامها على الشهادة الثانوية ، ويرى ان احسن مادة كان يتقنها معلموه الرهبان ، انما كانت مادة النحو التي افاد منها افادة نفعته حتى ما زاد عليها توسيعا واضافة .

وانه نسخ وهو صغير شعر المتنبي في شرح اليازجي الكبير وحفظه حتى تعلق بالادب ، وصار شغله الشاغل ، وما ان تخرج عام ١٩١٣ حتى تنقل مع والده التاجر بين يافا والاسكندرية ، ثم دخل وظائف الدولة ، فاصبح رئيسا لديوان المعارف عام ١٩١٨ ، ثم عضوا في المجمع العلمي العربي ، واستاذا في كلية الآداب ، وعميدا لها ، حتى انتخب اثناء الوحدة بين سورية ومصر ، مقررا في لجنة النثر بالمجلس الاعلى للآداب والفنون في القاهرة .

لا استطيع في مقالة قصيرة ان احيط بكل جوانب حياة المرحوم شفيق جبري واعماله الادبية ، فذلك يحتاج الى اطروحة جامعية ينهض بتاليفها احد طلاب الدراسات العليا في كلية الاداب التي عرفت آثار جهوده ، وحسبي ان اذكر بهذا الاديب العملاق الذي كان من رجال الرعيل الاول في الادب والفكر والسياسة كمحمد كرد علي ، وخليل مردم ، وخير الدين الزركلي ، وجميل صليبا ، وسامي الدهان ، وسليم الجندي ، وعبد القادر المبارك ، وسامي الكيالي وغيرهم .. وان اشير الى شاعريته الطلقة ، ايام الشباب ، وتمكنه من النثر الرفيع والادب البليغ في كل طور من اطوار حياته ، حتى ان نثره لا يقل متانة وقوة سبك عن معلمه الاول ـ الجاحظ ، الذي امضى في صحبته وصحبة المتنبي شطرا لا يستهان به من العمر .

حسبي ان اشير الى بعض ابياته الشهيرة التي سارت مسير الشمس ، وترددت في كل شفة وعلى كل لسان ، وحفظها حتى من لا يحفظ الشعر ، ولا سيما ايام الاحتلال الفرنسي ، ومن منا لا يذكر قوله في ضرب دمشق بالمدافع من قمة جبل قاسيون ؟ :

يا يوم ايار والنيران ملهبة ... على دمشق تلظيها جلاميد
الطفل في المهد لم تهدأ سريرته ... مروع من لهيب النار مكدود

وقوله يوم عيد الجلاء ، وقد ارتفعت الاعلام العربية السورية ترفرف فوق كل مبنى ، وانطلقت الحناجر تردد الهتافات والاغاني والاناشيد الوطنية الحماسية :

اتكذب العين والرايات خافقة ... ام تكذب الاذن والدنيا اغاريد

وقوله منددا بالاستعمار الفرنسي الذي كم الافواه، واخرس الالسنة ، واسكت الحناجر :

اخفض الصوت ولا تجهر به ... رب صوت هاج فينا الظنا
عقدوا الالسن حتى صمتت ... ما ترى للقوم فينا السنا

وقوله في التذكير بالاوطان وتعلق الانسان بها الى حد بعيد :

ابتكي العنادل اوطانها ... ولا ينتب الطير اوطانه

وفي رثاء فوزي الغزي :

بدمي وروحي الناهضين على الحمى ... الطالعين على العرين اسودا
الزاحفين الى القيود وملؤهم ... عزم يحل سلاسلا وقيودا

وفي دمشق التي ابت على مدى التاريخ ان تنام على ضيم ، او ترضى عن الذل ، وابت الا ان تظل عربية الوجه واليد واللسان :

لكن جلق في ازدحام خطوبها ... جبارة بكهولها وشبابها
لم تستنم لاذى فان هاجت بها ... دهم الخطوب اوت الى اقطابها
عركت عروبتها السنين فاقلقت ... عبث السنين بحدها وبنابها
ظل العروبة وارف في جلق ... متمكن في ارضها وسحابها

رحم الله شفيق جبري ، فقد كان علما يشار اليه بالبنان ، فلا اقل من ان نحتفل بذكراه كما احتفل هو بذكر غيره من ائمة العلم والادب ، ونوفيه جزءا من الدين ، ونرد اليه التحية باحسن منها .

دمشق — عيسى فتوح

في مطلع كل شهر
اطلبوا
الاديب
من الباعة والمكتبات



محمد العدناني

محمد العدناني الأديب اللغوي الشاعر

بقلم جميل بركات

* * *

عرفت الاستاذ محمد العدناني قبل خمسة واربعين عاما ، معلما قصير القامة مرفوع الهامة درّس ادب اللغة العربية وقواعدها في الكلية الرشيدية بالقدس وكان طلابه يتلقفون ما يقوله بيسر ، ففي طريقة تدريسه طلاوة تجذبهم للاصغاء اليه بأدب جم ، فلا اذكر ان احدا منهم قد سمع منه كلمة تكدر الخاطر .

كان الجد يغلب عليه اثناء تدريسه واذا صادف ان المادة في حصة ما جافة كما يحدث احيانا ، وشعر ان الملل قد تسرب لنفوس طلابه رماهم بنكتة خفيفة تعيد اليهم نشاطهم فيضحك ويضحكون ثم يواصل الدرس . واشهد انه خلق معلما ، فلم يكن طلابه ليحتاجوا لكبير عناء لتحضير واجباتهم لاستيعابهم لما كان يشرحه ، لهذا كان يطمع ان يزيدهم علما ومعرفة ، فاذا اقبلت العطل المدرسية طلب من طلابه ان يحفظوا عن ظهر قلب ما تيسر من اشعار المتنبي ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

كان رحمه الله ، عزيز النفس دمث الاخلاق ، مترفعا عن الصغائر ، محبا للخير ، تغنى بشعره باللغة العربية الفصحى وكان يردد بأن وحدة دولة الادب في امة العرب سابقة لوحدتهم السياسية .

نظم الشعر قبل ان يبلغ العشرين من عمره ولم ينقطع منه في شيخوخته وقد عالج فيه مختلف الموضوعات الاجتماعية والسياسية ، وهو من اصحاب النفس الطويل الذين لا يشق لهم غبار ، شعره مزيج من الحقيقة والخيال ، يمتاز بقوة الصياغة ومتانة العبارة ، يؤثر في سامعه وقارئه ، لان عاطفته صادقة .

كان الشاعر العدناني الذي توقف عن التغريد الى الابد ملء السمع والبصر في شعره ونثره ، في خلقه وعلمه ، فهو موسوعة متطورة ، قل ان يفلت عدد من اعداد مجلة الاديب من نفحاته التي تثلج الصدور وتعمر القلوب بما فيها من افكار وآراء . وكنت حين تصلني هذه المجلة القيمة ابحث فيها اول ما ابحث عن اسم محمد العدناني استاذي الجليل لاقرأ له او اقرأ عنه ، فاطيب نفسا واهدأ روعا ، ثم اسرح بخيالي الى لقاءاتي معه التي نضبت اثر احداث لبنان الدامية منذ حوالي ست سنوات . وحين انقطعت عني مجلة الاديب ، واصبحت اندر من الكبريت الاحمر كما يقولون، لم اعد اسمع عنه الا النزر اليسير من مسافر عابر او رسالة منه يحملها البريد ليس من بيروت مقر اقامته ولكن عن طريق احدى بلدان الخليج العربي او السعودية او مصر .. دون ان تصل الطريق ولكن هيهات هيهات !!

وعلى سبيل المثال كتب الي رسالة من بيروت يوم ٢٦-٩-١٩٧٩ اختتمها بالعبارة الاتية :

« سترسل هذه الرسالة من الامارات لكي اضمن وصولها ، لان بريدنا في دور الاحتضار الان ، واخشى ان يلفظ انفاسه الاخيرة لان جميع المجلات ومعظم الرسائل تضيع وهي في طريقها الي ، ولا حول ولا .. »

اما معظم رسائلي اليه فان الغيب يطويها ، فلله الامر من قبل ومن بعد !

في صبيحة يوم الجمعة تاريخ ٧ اغسطس اتصل بي هاتفيا الصديق الدكتور محمود ابراهيم عميد كلية الاداب بالجامعة الاردنية ، واعلمني انه تلقى نبأ وفاة استاذنا العدناني من بيروت ، وان الوفاة وقعت يوم الاربعاء ٥ اغسطس ١٩٨١ فعقبت على هذا النبأ بالآية القرآنية التالية ، والذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون، فالعدناني كان استاذنا وصديقنا ووالدنا الروحي منذ ان تتلمذنا على يديه في الكلية الرشيدية بالقدس قبل اكثر من اربعة عقود ، وقد ظلت صلتنا به قوية راسخة لم تزعزعها الاحداث التي المت بفلسطين وشتتت اهلها تحت كل كوكب ولعل الفضل الاول يعود اليه ، وهنا يجدر بي ان اثبت قوله :

وما انا لولا الاصدقاء سوى فتى عليه الرزايا الماحقات تصول
فاني بجسمي الواهن القلب واحد ولكنني بالاصدقاء قبيل

موجز عن حياته

كان قد املى علي ما انقله كما ورد وهو انه ولد في مدينة جنين يوم ٢٦ اذار ١٩٠٣ وكان والده « فريد » حاكما لتلك المدينة في العهد العثماني ، وقد تلقى علومه الابتدائية في جنين وطولكرم وغزة ودوما ودمشق وصيدا. واتم دراسته الثانوية

في مدرسة الفنون الاميركية بصيدا. وعملا بوصية والده درس في جامعة بيروت الاميركية الطب لمدة سنتين ، ثم التقى بأمير الشعراء احمد شوقي في « عاليه » بلبنان وانشده معارضته لقصيدة ابن زريق البغدادي التي مطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه — قد قلت حقا ، ولكن ليس يسمعه

وعندما وصل الى قوله :

رايته عندها والدمع مضطرب — الجفن يحبسه والوجد يدفعه
فخلت نفسك تدري ما ألم به — يوم الفراق ، وما تبديه ادمعه
وفي المآقي دموع لست تبصرها — وفي الضلوع انين لست تسمعه

قام شوقي وقبله من جبينه ، واصر عليه ان يترك كلية الطب الى كلية الاداب بالجامعة نفسها ، وعلى ان يصبح والده الروحي ، فنزل على ارادته ، وفاز بكلية الاداب عام ١٩٢٧ وسافر الى العراق واصبح استاذا في دار المعلمين العليا والثانوية المركزية ببغداد ، وكان من زملائه شاعر العراق معروف الرصافي ومربي العرب الاول ساطع الحصري ، والكاتب الفذ احمد حسن الزيات . ثم عاد الى فلسطين فأصبح استاذا في كلية النجاح عام ١٩٣١ ـ ٣٣ وانتقل بعدها الى القدس استاذا للادب العربي في الكلية الرشيدية مدة تسع سنوات ، واود ان اضيف على سالف ما ذكر ودوّن ، ما سمعته منه ، وهو انه بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ استقر به المقام في سوريا فدرّس في دار المعلمات وجامعتي حلب ودمشق، ولما رحل الى صيدا بلبنان عمل مديرا لكلية المقاصد مدة ثلاث سنوات ، وبهذا يكون قد امضى بمهنة التعليم حوالي اربعين سنة اعتكف بعدها متفرغا لمواصلة التحقيق والبحث عن الاخطاء اللغوية التي كان يجدها في الصحف والمجلات والكتب ، او التي كان يتلقفها من افواه المذيعين والخطباء وكان يعمل على تصحيحها ونشرها تباعا على صفحات مجلة الاديب التي تصدر في بيروت ولها مكانة مرموقة لدى ادباء العربية . وقد جمع تصحيح هذه الاخطاء فيما بعد بكتاب ضم بين دفتيه ٣٦٢ صفحة سماه معجم الاخطاء الشائعة طبع عام ١٩٧٣ .

ولم يكتف بهذا الانتاج القيم الذي اشاد بفائدته العميمة رجال مجامع اللغة العربية وادباؤها فشرع بوضع معجم ثان لعثرات الادباء ، سماه بعد الانتهاء منه « معجم الاخطاء اللغوية المعاصرة » يقع في نحو الف صفحة ، وكان قد نشره على حلقات في مجلة الاديب ايضا .

آثاره الادبية

صدرت له سبعة دواوين من الشعر هي اللهيب ، ملحمة الامومة ، فجر العروبة ، الوثوب ، الروض ، امير الشعراء شوقي ، كما دفع « ديوان العدنانيات » الى المطبعة وهو يضم اثني عشر ديوانا كما اعلمني في احدى رسائله ، وانه سيحاول ان يكون مضبوطا بالشكل دون اخطاء مطبعية او لغوية .

وفي النثر صدرت له قصة واقعية « في السرير » كما صدرت له سلسلة من قصص الاطفال في عشرين جزءا وله عدة مؤلفات في النحو والصرف وله مخطوطات كثيرة منها معجم الاسماء والمراة لغويا واجتماعيا وغيرها من البحوث والقصص . وقد قام عدد من الاساتذة الادباء بدراسة شعره ونثره منهم الدكتور صبحي عبيد من جامعة الجزائر ، كانت اطروحته الاولى عن الشعر الوطني والقومي عن محمد العدناني . اما اطروحته الثانية للدكتوراه فهي « العدناني باحثا واديبا » . ويقوم الدكتور عمر الاسعد عميد كلية الاداب بجامعة اليرموك باعداد كتاب عن ادب العدناني . كما ان الاستاذ احمد مطر من جامعة الاسكندرية فأطروحته للدكتوراه عن القصة الفلسطينية قد تضمنت بحثا عن قصص العدناني .

وقبل النكبة عام ١٩٤٨ كانت الاديبة الكبيرة السيدة جميلة العلايلي قد اخذت منه دراسة عن القصة الفلسطينية لتضمها الى كتاب عنوانه « القصة في العالم العربي » .

اهتماماته الشعرية واللغوية

احب اللغة العربية الفصحى منذ نشأته حبا لا مزيد عليه وقد كرس حياته في خدمتها والعمل على رفعة شأنها في المجتمعات العربية قاصيها ودانيها فقد خاطب نفسه بقوله :

نشأت على هوى الفصحى صبيا — ومع شعرائها خفقت العبابا
ولم تر غير آي الله وردا — فراح اللب يلتهم الكتابا

وفي مقدمة كتابه معجم الاخطاء الشائعة ذكر ما يلي :

انني لا ارى المجد اللغوي اقل قيمة من المجد السياسي للامة الصاحية حديثا من سباتها العميق ، كأمتنا العربية ، لذا انصح الجميع قادتنا ان يوجهوا اهتماما كبيرا الى تقوية الفصحى ، والاقلال من اللغة العامية في الاذاعة والتلفزيون والمسارح ودور الخيالة (السينما) وضبط معظم الكتب والمجلات بالشكل التام حتى تصبح اللغة ملكة لدى القراء .

وفي رسالة ارسلها الي من بيروت بتاريخ ٢٦ـ٩ـ١٩٧٩ يعلمني بأنه سئل ايهما اهم في نظره نظم الشعر ام التحقيق اللغوي ؟ فيجيب :

انا اهتم بشعري اكثر جدا من نثري وتحقيقي اللغوي، وان كنت شهرت في العالم العربي والمحيط الجامعي بالنقد اللغوي ، لانني يخيل الي انني حتى الآن ما زلت وحدي في هذا الميدان ، بينما الشعراء كثيرون جدا . وانا لم انصرف في السنوات العشر الاخيرة الى التحقيق اللغوي الا لكي يكون شعري خاليا قدر استطاعتي من الاخطاء اللغوية ولكن الناس يجرون وراء النادر دائما .

نظرته للمراة

اهتم بالمراة اهتماما بالغا لايمانه ان الجنة تحت اقدام الامهات كما ورد بالحديث الشريف ، فشعره بالنسبة اليها كروضة

مليئة بالازهار والرياحين تعبق اريجا وتفوح عطرا لهذا نظم بها ملحمة اجتماعية هي الاولى من نوعها في الادب العربي اطلق عليها « ملحمة الامومة » ، ومما جاء في مقدمتها :

المراة هي المصدر الاول لوحي رجال الفن وتبلغ اوج ابحائها عندما تصبح اما . ونظرة حنان واحدة ترنو بها ام الى فلذة كبدها هي اشد اثرا من كل ما في الطبيعة من مفاتن وما في الدنيا من جمال .

ولو خيروني بين ام وجنة تفيض بسحر الحور لاخترت لي اما

شاء القدر ان تموت امه في مدينة الزرقاء في الاردن عام ١٩٤٩ وكان بعيدا عنها لاجئا في حلب ، ولما بلغه النبأ نعاها بقصيدة وجدانية مؤثرة من ابياتها :

طفى الهم حتى كاد يقتلني غما فهم ابث الطرس مما دهى عما
نعى البرق لي امي الحنون فارعدت ضلوعي وسحب الدمع زاخرها طما
اتاني وبي عمر الشباب وعزمه وخلفني شيخا ثقيل الخطى هما
لقد جرعوا قلبي نعيك علقما وما علموا ان جرعوا قلبي السما
قضى حزنا حتى غدا الصدر رمسه وكل من الاضلاع من حوله رجما
آلماه شردنا ففي كل مهمه ضريح على من فيه اكبادنا تدمى
وفي كل بيت آهة ومدامع وفي كل منكوب لها مهج كلمى

شعره الوطني

شب العدناني وتفتح عقله على ما كان يسمعه من ظلم لحق بني قومه العرب على يد سفاح تركيا جمال باشا الذي اعدم العشرات من زعمائهم ورجال الفكر منهم . وعندما اقيمت حفلة بمناسبة يوم ذكراهم على مقبرة الشهداء في بيروت في اليوم السادس من شهر ايار عام ١٩٢٧ كان طالبا في الجامعة الاميركية ، والقى بمناسبة هذا الاحتفال قصيدة عصماء ، وعلى اثرها اعتقله الفرنسيون وكادوا ان يخرجوه من لبنان ويحرموه من نيل شهادته في الاداب في تلك السنة لولا ان العناية الالهية هيأت له اسباب الخلاص .

ومطلع هذه القصيدة

كفكف دموعك، واشهد ادمع القلم حمراء تهتك ستر الظلم والنقم
واسمع دوي نفوس ارعدت غضبا على دخيل يداه التاتتا بدم

ومن ابياتها

يا ايها الشهداء الصيد، يا ارجا من الفداء ، ويا بحرا من الكرم
يا من قضيتم فدى للعرب ان لهم في قومكم ذمما من اقدس الذمم
غدا فرنسا نعفيها بتركية ونشهد الثار سحق العرب للعجم
يا موت ، ان كنت لاستقلالنا ثمنا فاهصر اليك بني قومي ولا ترم
وقل لكل شهيد عاف مهجته ايقظت قومك من اغفالهم ، فنم

وقد واكب بعدها مسيرة العرب في نضالهم ضد الاستعمار فثار على وعد بلفور وعلى الانتداب البريطاني واهدافه الاستعمارية ومؤامراته ضد شعب فلسطين ، وقد صور في كثير من قصائده مظاهر الجبروت والتنكيل والتعسف ، وما لحق قومه من ظلم وتشريد وهوان ولجوء في عام ١٩٤٨ ثم نزوح في عام ١٩٦٧ ، وكيف ان هذا الشعب الابي يمزق ويشتت ويرغم على الجلاء بعد ان سلبت اراضيه ونهبت ممتلكاته عنوة ودون حق ، فدافع عن قضية بلاده بايمان راسخ وعزيمة قوية وحماس متاجج حاثا الغرب على الاخذ بالثار وغسل العار مستنهضا الهمم وداعيا الى التضامن والاخاء ، مؤكدا ان نجاتهم من ظلم الطغاة المستعمرين هي في وحدتهم ومحذرا اياهم من الفرقة التي قد تدمر مصيرهم ، وطالبهم بأن ياخذوا بيد اخوانهم الذين اخرجوا من ديارهم مكرهين ، وان يبذلوا كل غال ورخيص في سبيل تحرير فلسطين قلب العروبة النابض، وفي قصيدته «اناة بني قومي» اشاد بنضال الشعب الفلسطيني وتضحياته الجسيمة . ومجد البذل ورثى الشهداء ووصف بلاده وصفا رائعا، جبالها وسهولها ونجودها ، مدنها وقراها واماكنها المقدسة ، في قصائد رائعة تنم عن عاطفة متوقدة صادقة ، وهذا نموذج منها :

قد كنت لي وردة طاف الرفيف بها طواف رهط من الحجاج نساك
فبت بعد النوى اشكو اسى لاسى والروح تائهة في غاب اشواك
ادير طرفي ، والارزاء تعصف بي فلا تكحل اجفاني بمرآك
ايا فلسطين، يا قلب العروبة ، يا مهد المنى، وملاذ البائس الشاكي
يا درة فوق جيد الدهر رائعة وبلسما لجراح المدنف الباكي
ومنية الروح تصبيني خمائلها اهواك، ما نبض ابن الصدر اهواك
امنيتي منك رمس بعد عودتنا مظفرين فهل احظى بلقياك

هذه جوانب قليلة من كثيرة من حياة وادي الروحي الذي تغنى باللغة العربية وهام بها فكانت ليلاه التي تلازمه في كل نبضة من نبضات قلبه .

سكب الدمع غزيرا مدرارا على ما آلت اليه الحال بفلسطين ولكنه لم ييأس قط ومن اقواله المأثورة : ان الموت مع الشرف خير من الحياة مع عار الخيانة الوطنية . كانت الابتسامة لا تفارق شفتيه حتى في احلك الساعات ، وكان ينطلق في روحه الى كل الآفاق ناصحا الانسان اي انسان بقوله المأثور :

لا تحصر تفكيرك في نفسك ، كيلا تضعها خلف ستار حديدي ، يعزلها عن الانام المحيطين بها . انطلق بها وبقلبك وعقلك الى العالم كله ، لان الله خلقك لتكون خلية في جسم الانسانية ، لا تعيش الا به ، ولا يعيش الا بها . رحمه الله فقد كان اخا وفيا لزملائه واصدقائه يحن اليهم ويهوى لقاءهم فقد كان علما شامخا في شعره ونثره وتحقيقه اللغوي ، ذهب ولم يعد ، ولكن آثاره خالدة باقية ما بقي الدهر لانه معلم اجيال .

ولما شعر بدنو اجله خاطب ربه متوسلا :

يا رب انجدني ولم جراحي لم تبق لي سني قوى لكفاح
خارت من الداء العضال عزيمتي وعدت علي جحافل الاتراح
ينقض كالقدر العنيد مجلجلا ليفل بالارزاء حد سلاحي
فاجئته متوسلا كي تنثني انيابه من فتكها الملحاح
وينوح قلبي طالبا اشفاقه هيهات ينجو الكبش من ذباح
يا رب ! اني ضقت ذرعا باللجى فامنن على قلبي بنور صباح

عمان ـ الاردن **جميل بركات**

حول وحوش الغابة

انموذج « الادب الانساني »

*

بقلم الدكتور عارف تامر

* * *

قبل ان أعرفه تخيلته رجلا شارف او كاد على الخمسين من عمره .. قد صقلته الحياة بتجاربها ، واعطته من واقعها ، ووجودها ، واذاقته من حلوها ومرها .. ولم يكن يدور بخلدي انه لا يزال في ريعان الشباب ، يمشي حثيثا في دروب المستقبل نحو اهدافه ، وهو واثق من نفسه بالقدرة على الدخول في التجربة الصعبة ، وسبر اعماق المحرومين ، والمنبوذين في مجتمعنا ، وتصوير معاناتهم ، ومشاعرهم ، والوقوف امام المستغلين بجراة لرصد جبروتهم ، وصلفهم ، وتعاليمهم .

انها سانحة جميلة ، او لحظة يتيمة .. ان يقع نظري على المجموعة القصصية « وحوش الغابة » للاديب الاستاذ دريد خواجه ، فاستهواني عنوانها الغريب ، ولم اشعر الا وانا افيء الى رحابها ، تشدني رغبة ملحة الى قراءتها واستجلاء مراميها ، وابعادها ، ومرافقة مؤلفها في افكاره ، وعطاءاته ... انا الذي توقفت منذ فترة طويلة عن قراءة القصص ، بعد ان رايت الاسفاف ، والخلط ، والتقليد ، قد راج سوقه ، وعلا شأنه . ولا شيء في الحياة اقبح من التقليد .. يقتل المواهب ، ويعطل الادب ، بل ، ليس هناك افظع من ان نقرأ القصص ، ثم لا نخرج منها بنتيجة ، وتكون بالنسبة لنا احجية مغلقة ، او لغزا يصعب حله .

انني عندما اعرض جانبا من الجوانب الكثيرة التي ضمتها هذه المجموعة ـ واعني بها الجانب الانساني ـ اكون معذورا ، لانه من العسير جدا ان اتناول الجوانب الاخرى الكثيرة بالدراسة ، والنقد في صفحات محددة .. ومن هنا كان لا بد من القول :

بأن القصة لم تكن يوما من الايام الا فنا من فنون الادب الجميلة .. تحتل في اداب الامم المتحضرة المكان الاعلى ، وبقدر ما تكون القصة عميقة وواقعية ومعبرة عن ادب وحياة شعب من الشعوب بقدر ما يكون ادب هذا الشعب قد بلغ شأوا بعيدا من الرقي والتطور .

قال اديب فرنسي معاصر :

لكم ساءلت نفسي بعد ان فرغت من تصفح احدى القصص .. ماذا استقر في ذهني من مادتها .. هل فعلت في نفسي حوادثها ، ووقائعها .. وهل احسست بالرضى عن اشخاصها ، وادوارهم وهل شاركتهم آلامهم ، وافراحهم ؟

وقال سومرست موم :

قصتي اكتبها لكل الناس ، فهي ليست لطبقة خاصة ، وعندما اشرع بكتابتها اتخيل نفسي جالسا بين اصحابي اتحدث اليهم .. ان حديثي معهم هو لغة القصة ، وكم يهمني ان تأتي نقية خالية من الرموز والتعقيد .. اما الاشخاص فكثيرا ما توخيت ان يكونوا من القلة بمكان .. فتعدد الاشخاص وتوزيع الادوار يجعل القصة متشابكة ، ومعقدة ، ويفقد القارىء لذة الحفظ والاستذكار .

من المعلوم ان ارنست همنغواي كتب قصته المشهورة « الشيخ والبحر » عن حياة رجل كوبي صياد ماهر هرم يعاني من الفقر وشظف العيش .. فأعطاه المؤلف كل ما يملك من مواهب وقدرات ، ثم احاطه بكل ما يمكن من العطف والحنان ، ليجعل منه بطل القصة ، وقد تجلى في ذلك الابداع ، والفن ، والدقة في التصوير .. فهل كان همنغواي نفسه صياد سمك فقيرا . ام انه تعرف الى تجارب صيادي السمك في كوبا من خلال اقامته الطويلة فيها ، فرافقهم واستمع اليهم ، ودرس ما في افكارهم ، واخيرا عرف كيف يصف معاناتهم وحياتهم في قصته القيمة التي نال عليها جائزة نوبل .

وفيكتور هوغو عندما كتب قصته « البؤساء » قيل انه عاش فترة طويلة بين هذه الطبقة ، ورافقهم وخبر احوالهم وشعورهم ، حتى استطاع ان يصور احاسيسهم تصويرا دقيقا بعبارات مؤثرة تدخل الى الاعماق ، مما اكسبه الاعجاب والتقدير .

من هذه الزاوية .. اقول : بأن مؤلف « وحوش الغابة » لا بد ان يكون قد عاش في بيئة مترعة بينابيع البؤس والشقاء .. فخلفت في نفسه هذه التجربة اكثر من علامة ، ودفعته الى تلوين ايامه بطموح ابداعي ، وتفتح على الانسان المقهور ، وعلى ما يعانيه من الام في حياته ووجوده .

فقصصه كما نرى استمدها من الحياة .. من الواقع .. ثم حققها بدقة .. وصور فيها ما يحدث من ظلم وقهر على الانسان المحروم اللامنتمي ، وكأني به وضع

نفسه مكانه ، ولهذا جاء تصويره للاحداث وللوقائع ولاحلام هذه الطبقة المحرومة ، ولآمالها في الحياة الحرة الكريمة ابدع ما يمكن ان تجود به قريحة كاتب ، واعتقد انه لم يغفل ان يتخذ من التجربة الذاتية مادة لهذه القصص ، وربما ، او على الارجح استعان بتجارب الاخرين لان التفاعل مع هؤلاء شرط اساسي للصورة الانسانية . فالانسان في مطلق الاحوال لم يكن الا كائنا اجتماعيا يستمد مقوماته الحياتية من انتمائه الى البيئة التي يعيشها ، وبقدر ما تكون أدوات الاتصال بالاخرين ناشطة ومتاحة بقدر ما يكون هذا التفاعل مؤثرا . من جهة ثانية فربما كانت التجربة سيان عند الكاتب الفطن الشديد الملاحظة . وفي هذه الحالة ، وبالرغم من كافة العوامل ، فانها تكون اشد رسوخا في النفس ، واقرب الى الفكر .

لا يظنن احد باني اكيل المديح للاديب دريد خواجه ، او ارسل الكلام على عواهنه .. انها كلمة قصيرة اردت ان اقولها في مجموعته القصصية ، وسيان عندي رضي ام غضب .. فالمهم ان يطمئن ضميري .. فنحن نكاد نختنق من هذا الدخان الكريه يتصاعد كل يوم ليعمي ابصارنا ، ويشوه واقعنا الاجتماعي والادبي .. نحن طلاب ادب ، وفن ، وابداع .. نريد النور والدفء ، لا للجسد الذي سيفنى يوما ، وانما للبقاء ، للديمومة .. للخلود .

في القصة الاولى (ثلاثية البيض ـ استدعاء) يقدم لنا المؤلف « واقعة » من صميم الحياة .. من قلب المجتمع الغارق في ديجور الظلام .. ولكن هذه القصة لم تكن جديدة علينا ، ففي هذا المجتمع ، وفي كل يوم تقع قصص تفوقها عنفا واثارة ، ولكنها تدور في فلك استغلال الانسان للانسان ، وجبروت القوي المتسلط على الضعيف .. هذا صحيح .. ولكن المقدرة تتجلى في الصياغة ، والتصوير ، واخراج الشكل ، وهذا ما نجده ونلمسه ونتذوق طعمه.. ولا بد لي من الاشارة الى ان المؤلف عرض في هذه القصة، وفي بعض القصص الاخرى بضع كلمات عادية « دارجة ». ولا ادري سبب استعمالها ، ووضعها في هذا الحقل الابداعي ، وبين الجمل الشاعرية العذبة ؟ مثل : (تعبت .. ما خليت وسيلة .. استح واحترم كبرتك .. الخ) ، فمثل هذه الكلمات لا اراها مستساغة في هذا المكان .. خاصة والمؤلف يعلم ان للقصة المتميزة عباراتها، وسياقها ونغمها ، وجرسها .. فالناس في كل مكان وزمان يتأثرون بالكلمة الرقيقة ، ويؤخذون بالبيان السهل الواضح .

ان الاحداث ليست بنظري هي التي تجعل القصة مرغوبة ، وقريبة من القلب .. بل هناك السرد ، والحبك، والايراد ، والانتقال ، والارتباط للاجزاء ، وللجمل في شكل يكون الدور الاول في وجوده كما في قصة : (ماسحات الزجاج) . من جهة اخرى، وفي بعض الاحيان نرى المؤلف يلغز بدلالات معينة ويبقى عندما يكون في صدد التعبير عن فكرة .. ثم لا يلبث ان يعود فيعطينا جملا قصيرة مزحية معبرة عن فكرته التي تكون في حاجة الى توضيح بياني وتصريح ، مما يثري التقنية القصصية باتجاه التشويق والشمول .

وفي (الجورة من ثلاثية المبيض) يقدم لنا المؤلف ايضا احد العمال الذين قدر لهم ان يعيشوا في هذه الجورة .. جورة المبيض ، ثم يحملنا الى عالم هذا البائس ، ويجعلنا نحس بآلامه وحرمانه ليس في الرزق والعيش ، وانما من المراة ذلك الكائن الحي الذي خلقه الله ليكون رفيقا للرجل ، فالمراة في نظر الانسان لم تخرج عن كونها ذات قيمة غالية ، او جوهرة يجب الحفاظ عليها .. وهذا الرجل «محمد علي الصوراني» كان مسلوب الحرية في بيته :

(اضع حذائي حيث اريد .. اغتسل متى اريد .. البس ما اريد .. آكل لقمتي بحرية .. احدد حجمها، ونوعها ووقتها ، وانام) .. انه الصوت المدوي الذي انطلق من عالم الالم ليحكي قصة المضطهدين المنبوذين من المجتمع .. والى جانب ذلك يعبر عن امنيته الوحيدة بالحصول على امراة تقف الى جانبه كما قلنا ، وتعيش معه في هذا المجتمع الذي ضاعت فيه العدالة والحرية .. عن اشى تبادله الحب البريء ، وتشاركه رحلة العمر ..

(اللعنة على معلمي لقد شقيت من اجله ، حتى كدت افنى ، ومع ذلك وحتى هذه الساعة يقسم بعشرتي انه ما زال يبحث لي عن زوجة) .

فمن هو هذا المعلم الجائر ؟.. انه احد المتسلطين على الايدي العاملة .. على الفقراء .. على المسحوقين .. يستغل قوتهم ، ويبني على اكتافهم ثروته وحياته .. وما اكثر هؤلاء في مجتمعنا .

وفي « الاثر » يحملنا المؤلف الى دنيا من الابداع بايجاز مكنوز ، ونغم جديد يسكر النفس عندما يكون الحس على وشك التفلت ، والظل على وشك العبور :

(يملأ ابو سليم السطل الى ان يطفح دون ان ينسى نفسه من بعض الرشاشات المتتالية يغمر بها عنقه وصدره .. ايه اشرب يا سواد .. اشرب .. ار رحلتنا شاقة ، وستظل ابدا كما كنت)

اعشاب متلاصقة عذبة ، وحديثة النمو ، حركها لريح كأطفال يأخذ بعضهم بأيادي بعض .. ثمة عصفور يزقزق فوق رأسه المشتعل ، والبساتين تدحرجت امامه مثل زبردجة يتعاكس وهجها .. كان النهر يجري في تدفق .. وخصب من جريانه دمه .. في صدره ما يشبه دوي الريح) ..

هذا الوصف لابي سليم وحياته مع حصانه يتضوع نغمه ، وينسال معناه .. انها كلمات شعرية رقيقة تكاد تكون انموذجا فريدا في عالم القصة .

وكما قلنا ، فان القصة ـ اية قصة ـ اذا لم تدخل

الى اعماقك ، وتستولي على مشاعرك ، وتستقر في ذهنك، فليست قصة .. اما لدى المؤلف فهي السحر والجمال ، والانشاء المقرون باللون ، والصدى ، والصورة للمعاناة، ولحياة المقهورين .. ضحايا المجتمعات المتكالبة .

وفي « ماسحات الزجاج » يصور لنا المؤلف الحالة النفسية للانسان في غربتها ، ووحدتها ، وحرمانها ، واحوال الجسد في غربته وفقدان امله من المراة ، ولا يقف عند هذا الحد ، بل يصور لنا المراة ايضا التي تشكو من الضياع .. ففقدان الحب ، وقسوة الوحدة ، والاغتراب حالات عاشها المؤلف عندما كان في المغرب .. ولا ريب انه ذاق طعم هذه الغربة ، وهذا الحرمان .. ولو لم يكن ذلك لما جاءت قصته طافحة بالجمال، ونضج التجربة، والوضوح والاشراق .

(سيارات المسافرين تناطح ، مثل وحش اسطوري .. جبال المطر ، وجدارات الظلام ، والضباب ، واسرار فراغ الفضاء الرمادي في يوم عاصف عابس) . (من يدري اين يجرنا قبطاننا العتيد في هاتيك الساعات الباكية .. ايتها الانثى وحدك معي تدخلين ساعات العمر) ... (تصورت بدويتي فقط في لباسها المغربي تفيض انوثة بزينتها الكاملة ، وبفمها العبيري ، وهو ينفتح ، وينغلق ، وهو يصدر بحاتها الانثوية الشجية ..

ما اجمل هذه العبارات .. وما اطرفها .. « فم عبيري » الله .. الله .. انها تدخل الى اعماق القلب ، وتسكر الروح بخمرة الجمال ، والبيان .. انها المعاناة بقالب براق ، وثورة جديدة ، وعطاءات لا تجف ، وافصاح عن المأساة .

وفي « ممنوع التنجيم » .. حوار راكب مع صاحب الحافلة .. الذي يفرض ارادته ، ويعلن عن جبروته ، واستبداده ، ويحتمي بالوقت ذاته بالقانون الذي يمنحه الهيمنة ، وفرض الارادة :

(الجو خارج الحافلة الرابضة بارد ورطب .. مما اجبر من فيها الى ان يتجمع في المقاعد الامامية ، ويحكم اغلاق المنافذ) .. (انتم تهذرون بالقانون ما دام يناسب مصلحتكم ، وبعد ذلك فليحترق العالم ..)

يا لها من حقيقة .. فالاقوياء في جميع الاحوال يتخذون من القانون ستارا لجبروتهم ، ويسخرون في سبيل اطماعهم ، ومقاصدهم .

واخيرا : في قصة (اوراق الليل والنهار) :

يعطينا المؤلف صورة واضحة عن حياة معلم مدرسة متزوج وله طفل .. ثم يقدم لنا حوارا شيقا بين الزوج، والزوجة ، وطفلهما الصغير .. وحوارا اخر مع تلامذته .. وذلك باجمل ما في العربية من الفاظ :

(فككت ربطة عنقي .. حياني التلميذ مودعا .. شعرت بثقل في قدمي ، وبندوب تتقيأ في راسي .. ابتسامة صفراء مرائية على وجهي ، وانا ارد التحية) .

هذه الحياة .. لو لم يكن المؤلف قد عاشها، وخبرها وذاق طعمها ، لما استطاع ان يصوغها ويلبسها هذه الحلة الوجدانية ، وهذا الثوب البياني الرائع الذي ياخذ بمجامع القلب .

بعد هذا العرض الموجز ، عن الجانب الانساني في بعض قصص المجموعة .. لا ادري ماذا علي ان اتحدث ، فاية واحدة قراتها يطالعك العبير ، ويمثل امامك الروائي المالك للزمام ، القادر على التعبير عن المعاناة ، وشعور المحرومين ، ومأساة الانسان الضائع في مجاهل الحياة .

فيا ايها الاديب ..

حسبي ان اكون قد قمت بقسط من واجبي نحوك، ولكني لا اعتقد باني قد سددتك الحساب كاملا .

لقد وفيت لمن وفى .. وغنيت لمن غنى ، ورافقت الطائر المغرد ، وهو على اغصانه ، وفي مرابع « مدرسته القصصية » الجديدة ، والطافحة باللالىء والجمال .

السلمية ـ سورية **عارف تامر**

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٤٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٦ دراهم
دبي	٦ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٦٠٠ فلس
الاردن	٤٠٠ فلس
السعودية	٦ ريالات
اليمن	٦ ريالات
عدن	٦٠٠ فلس
مسقط	٦٠٠ بيسه
مصر	٤٠٠ مليم
ليبيا	٦٠٠ درهم
تونس	٦٠٠ مليم
المغرب	٦ دراهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اكرم زعيتر

شاعر العربية بدوي الجبل

بقلم اكرم زعيتر

* * *

احبة قلبي ان بعدتم فما نسا عن القلب لا الذكر المتع ولا الحب
على طيفكم اغمضت عيني والتقى صيانا له في مقلتي الهدب والهدب

بدوي الجبل

واقبل ولدي ممتقعا ، وهمس في اذن امه.. فاكتأب وجهها ، فتطيرت وادركت منهما ، رفقا بي ، يحاذران صدعي بنبأ اليم ، وسألتهما عما يفزعهما فلبثا واجمين .. ثم دفعا الي « النهار » وفي صدرها مقال بقلم الرئيس تقي الدين الصلح عنوانه : « بدوي الجبل » ، وكدت اصرخ : مات بدوي الجبل .. لولا هتاف اوس بن حجر :

ايتها النفس اجملي جزعا ان الذي تحذرين قد وقعا

واستنجدت بالعبرات فما اسعدت ، وبالآهات فما اسعفت .. واقمت له في خاطري مأتما .. وخطبت في المأتم ، ذكريات غاليات ، وتنافست في رثائه مما احفظ له من قصائد رائعات ، ابكت فؤادي ولكنها جففت عيني ! واورت كبدي ولكنها عصبت لساني ..

ثم تناولت المرثاة ، ورحت اترشف مع الرئيس الصلح من سطورها الحزن الوديع على اخي الكبير وشاعري الاثير .. حتى اذا بلغت من المقال وصف استقبال هنانو وسعد الله ورياض في رحاب الله اخاهم ورصيفهم وشاعرهم ورائيهم انبجست عيناي من فرط التأثر ، وتذكرت مصاير ذاك الجيل ووفاء البدوي لذاك الرعيل ، وهتفت بلسانه :

اين ابن الرعيل من اهل بدر طوي الفتح واستبيح الرعيل

ثم على سنة البدوي القائل :

مسحت دمعي من ذكراهم بيد وامسكت كبدي الا تذوب يد

وتذكرت لقائي الاخير اياه في دمشق ، وقد نهكه المرض وبذا عياء وتعثر نطقه .. وكانت رفيقة حياته تفصح عما استبهم من كلماته ، واما بشاشته فذكرتني بقوله في بشاشة هنانو في مرضه :

تلك البشاشة ابلى الداء نضرتها فراح يلمح في نعمائها الكمد

ووالله ما برح بريق عينيه في ذلك اللقاء ينبىء بصفاء مودته ، ونقاء سريرته ، ووقدة ذهنه ، وكهربية عاطفته ، وكأنه يصف نفسه :

يروع في مقلتيه بارق عجب وعالم عبقري السحر منفرد
يغالب البشر اسقاما نزلن به يابى له الكبر ان ياسى لها احد

وقبلته مودعا .. وسألته عما يأمر ، فكانت كلمته الاخيرة : « رضاك ! » وقضيت امس من مطلع الفجر حتى اذان الظهر في صحبة البدوي ونجواه .. وتمليت رسائله الي ، وقد اربت على الاربعين ، وقضيت في هذا المنجم البياني ساعات نتساقى فيها كؤوس الوفاء ملاء .. وجددت رسائله ذكريات اخاء اربع واربعين سنة ، ارجو ان افي لها بكتاب ، واوزع على دنيا الادب من رسائله الاخوانية ما يرون كيف يحلق النثر الفخيم مع الشعر المعظيم .. وهانذا اجيء بقبسين من رسائله : فقد كتب الي قبل اربع وعشرين سنة رسالة تعزية بشقيقي الاكبر واستاذي عادل ولعل ابلغ ما اقوله اليوم في « البدوي » قوله بالامس في شقيقي : « .. هؤلاء الذين نفقدهم من احبائنا ، احقا انهم انتهوا وانطووا ؟ ام واقع الامر وجوهره اننا نعيش فيهم ونطوف جزءا صغيرا دقيقا في عالمهم الكبير الغني بالطيوب والاحلام والذكريات .. هؤلاء الذين فقدناهم ما اقربهم الينا عينا ساجية ، ورنوة حالمة وابتسامة ناعمة ، وصمتا وكلاما وهناءة اسارير وكآبة ملامح . هنا في سرائرنا مغان مأهولة بهم . هنا في سرائرنا نسكب لاحبائنا كؤوس الحنان ليترشفوها نهلة نهلة . هنا في سرائرنا ننمنم لاحبائنا انغام الجنان ليستعيدوها اغرودة اغرودة . هنا يعيشون على الشهي من لباناتنا وعلى المصفى من صباباتنا .. ان النسيان هو المنية ، فما ابعد احبابنا عن المنية ، اعني عن النسيان . هنا في قصورهم السندسية وخمائل هواهم ومساحب الذيول تنفح بالطيب . وكل ما يتخيلونه من نعيم وزهر وربيع وشباب وترف فكر وترف حضارة .. » وقد ختم رسالته بعد سطور من بيانه المعجز بهذه الاطايب من العبارات : « لك الله يا اخي ابا سري .. انني لاتسرب مع احزانك الى وجداز فتروعني فيها الوان من الجمال مقطوفة على طلة الندى من سدرة المنتهى ، الوان من الحزن مجلوة بزينتها وفتنتها ليشهدها الله بين جراح الشهداء ، ودموع

المؤمنين المستغفرين في الاسحار كلها ـ واحزانك بينها ـ تتبرج لتصل الى الله رائعة وسيمة ولتنسكب على الاديم القدسي اورادا من خميلة ، واورادا من عبادة . ان الحزن ليحب الوجدانات الرفيعة وينأ بها غدوة وروحة . حتى ليصبح جزءا منها او تصبح هي جزءا منه . كل عبقري في الدنيا ينزل الحزن على وجدانه نزول الكريم على الكريم . فيختلط الدمع بالعطر والكآبة بالاريحية. احزان.. احزان احلى من حور الجنة ، وحزنك بينها اصفاها نميرا ، وانداها عبيرا . انني اسكب احزاني في وجدانك لتستعير منه بعض الجمال . بعض السحر . بعض الرحيق المصفى، واريد ان تسكب احزانك في وجداني لتستعير منه بعض السلوان ولا اقول النسيان .. وقد يكون السلوان احيانا امر في قلوبنا من الاحزان . واقسى على قلوبنا من الخطوب ويا ايها الذاهبون سلوا الله بنعمته عليكم في جواره ، وبمحنته لنا في فراقكم . سلوا الله ان يندي قلوبنا باللوعة الهادئة والدموع الوانية . ولا تسألوه ان يمنحنا النسيان .. فلو المت بنا خاطرة منه لطفنا بقبوركم نجدد هوانا ونستغفر اسانا » .

واما القبسة الثانية فمن رسالة مفاضة بعث بها الي من مغتربه في جنيف لا انفس ولا اروع ولا ابلغ من حديثه فيها عن الذكريات اذ يقول : « ان صداقتك واحة في صحراء ، وانا المتعب المكدود ، افيء الى ظلالها واعب من سلسالها فاذا بعدت بي المتاهات عن هذه الواحة وافتقدت شذاها لم افتقد رؤاها ولم اغب عن ذكراها . والذكريات ملك يدي لا ملك الدهر . انها الكنز الذي لا يفنى والنعيم الذي لا يبلى ، وما كان اقسى الحياة لولى هذه الذكريات الحبيبة تنور في صحاري العمر افياء وافنانا ، وترف في وقدة الهجير روحا وريحانا ، وتحنو في غمرة المحنة هداة وامانا . ولك عندي من الذكريات دنيا بليلها ونهارها ، وشموسها واقمارها ، وبسيطتها وبحارها ، وهذه الدنيا على سعتها وشمولها مكنوزة في خيالي ، موجزة في قلبي ، تضيق حينا فاذا هي قارورة عطر وتتسع حينا فاذا هي زرقة بحر ، وانا اشم العطر منها اذا ضاقت واملك البحار ولآلىء البحار اذا اتسعت » . ويا لروعة قوله : « وانا في الغربة والمحنة والسقم اعيش في الذكريات . بعضها اطيب من الكرى على العافية بعد السهد .. وبعضها لم يخلق النسيان الا رحمة من الله ليعفي عليه .. وفي بعض هذه الذكريات اخوان طوتهم القبور ، واخوان طواهم الغرور ، وفي بعض هذه الذكريات اشتات من حسن ودمامة . منها غدر قريب ، وجفوة حبيب ، وتنكر صديق ، وتكبر عظيم .. ولكل واحدة من هذه الذكريات مكان في قلبي يتفق مع جوهرها ، وينسجم مع عنصرها ، فللذنب الصديق العذر ، ولخيلاء العظيم الكبر ، ولنعمة الله الشكر ، ولمحنة الايام الصبر ! وذكرياتك بينها هي الصبيحة المليحة دائما ، الوسيمة الكريمة ابدا ، الندية الوفية سجية .. » .

وبعد فاني اختار اليوم من الذكريات ثلاثا تتصل باسمه ولقبه وميقات نظمه : كان الشاعر « محمد سليمان الاحمد» في صدر يفاعته يرسل شعره الى جريدة «الفباء» الدمشقية ، ولم يكن على قدر من الشهرة يناسب شعره، وحدث ان هز العالم نبأ المناضل الايرلاندي ماك سويني محافظ مدينة كورك الذي جعل احتجاجه على وجود الانكليز في وطنه صياما حتى الموت ، وسبك صلاة لبني وطنه ، ثم قضى صائما ـ شأن العشرة الايرلانديين الذين قضوا هذا العام صياما ـ فنظم شاعرنا تلك الصلاة بالعربية ، وبعث بها الى « الف باء » مع تحية شعرية لروح الشهيد ، وفي اليوم التالي راى قصيدته مذيلة بتوقيع « بدوي الجبل » فسعى الى صاحبها الاستاذ يوسف العيسى يسأله عن السبب فأجابه : « ان الناس يقراون للشعراء المعروفين ، ولست منهم ، وهذا التوقيع المستعار يحملهم على ان يقراوا الشعر للشعر ، وان يتساءلوا : من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وانت في ديباجتك بداوة ، وانت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب .. وانت ابن الجبل » وتوات قصائد «البدوي» ونقلتها صحف في لبنان شادية بها ، والناس يتساءلون : عمن يكون ؟ اهو خير الدين الزركلي او هو خليل مردم بك وهما شاعرا الشام آنئذ ، الى ان دعا صاحب الجريدة نخبة من الادباء واعضاء المجمع العلمي الى احتفال قدم فيه الشاعر : « هوذا بدوي الجبل : انه محمد سليمان الاحمد » . وراح البدوي يشدو ، وهم في نشوة مما يسمعون ، وغلب اللقب على الاسم حتى حل محله في البيت وخارجه . ولا ازال اذكر انه حين يمم القاهرة لحضور المؤتمر البرلماني العربي سنة ١٩٣٨ لاجل فلسطين ـ وكنت فيها ـ كان يتلقى لكل اجتماع او حفلة بطاقتين احداهما معنونة : « سعادة بدوي بك الجبل » وثانيتهما : « سعادة النائب محمد سليمان الاحمد » .

وكنت اول من اطلق على بدوي الجبل لقب « شاعر العربية » واذكر انني استشهدت في خطاب لي في مهرجان الجلاء عن لبنان سنة ١٩٤٦ ببيت « لشاعر العربية » من دون ان اسميه :

الزغاريد فقد جن الاباء من صفات الله هذي الكبرياء

ثم لقيت في القاهرة استاذي اديب العربية اسعاد النشاشيبي فسألني : « من ذا الذي اطلقت عليه « شاعر العربية » ؟ فأجبت : « انه بدوي الجبل » فتطلق وجهه وقال : « اي والله انه اجدر شاعر بهذا اللقب .. اي والله » فقلت : « وهل يكرس » اديب العربية وامامها هذا اللقب ؟ » فبادرني الى القول .. « وانقل اليه هذا .. انقله .. اكتب اليه » وفعلت فكتب الي البدوي : « اما شهادة امام العربية الاكبر ، امامنا النشاشيبي ، فهي والله تعدل عندي كنوز الدنيا .. انا اعلم انني لا استحقها

ولست في السبيل اليها ، ولكن فضله وتفضله ، ورعايته لي وعطفه علي » وعندي ان سراوة البدوي كلفته هـذا التواضع ! فهو يعرف انه شاعر العربية وهو القائل :

الخالدان ـ ولا اعد الشمس ـ شعري والزمان

والقائل :

اني اكرم شعري في متارفه كما تكرم عند المؤمن السود

اما ميقات النظم وموعد الالهام فلي مع الشاعر تجربتان تدلان على انه لا يملك ان يقول الشعر ساعة يشاء وان الشعر هو الذي يمتلك الشاعر ، وطالما سمعته يقول : « الارادة بنت العقل والشعر ترجمان القلب ، اذا لم يجئني الشعر عفوا تعذر علي استحضاره اقتسارا » .

في خريف سنة ١٩٤٠ ، وقد احتل الالمان باريس ، قرر نادي « المثنى » ببغداد ، وقد كنت من مؤسسيه ، الاحتفال في التاسع من شعبان بذكرى الثورة العربية التي اطلق الحسين بن علي رصاصتها الاولى ، وارتدناها مناسبة ندعو فيها لتجميع القوى القومية ، ومواجهة الاحداث بخطة محكمة وعزيمة ماضية، ورجوت «البدوي» ان يكون شاعر الاحتفال ، فاعتذر فالححت في الرجاء فأصر على الاعتذار فهامست نفسي : « لا بد من اثارة عاطفية تحل عقدة من لسان الشاعر » وانطلقت اتحدث : « فرنسا التي نكلت بسورية ، فرطت في اسكندرونة . دمرت دمشق . وانت هنا مشرد تترشف رزقك مدرسا، وابوك الشيخ الجليل يتحرك لوعة الا يراك . اخوانك : يوسف العظمة ، رشيد طليع ، احمد مريود ، فؤاد سليم من ضحاياها ، الجزائر ، المغرب ، تونس ما فعلت فيها ؟ يا لله هل كنا نحلم ان يمتد بنا العمر فنراها تذوق ما اذاقتنا ؟ وابو الثورة انصفته حيا فهلا انصفته مدفونا في جوار الاقصى ؟ وعلى هذه الوتيرة استرسلت متأثرا ، الى ان برقت عيناه ، وبريق عينيه صدى نبضات فؤاده ، ودمعت عيناه ، ودموع البدوي مطالع القصيدة او هي كلماتها النثيرة ورشح جبينه بالعرق ، وانصرف يهمهم ، وارق تلك الليلة ، وغاب يومين ، وفي اليوم الموعود شخصت ابصار الحشد في النادي الى البدوي وارهفت الآذان فانطلق :

يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا رق الحديد وما رقوا لبلوانا
خل العتاب دموعا لا غناء بها وعاتب القوم اشلاء ونيرانا

وماج النادي حين جلجل الشاعر :

اني لاشمت بالجبار يصرعه طاغ ويرهقه ظلما وعدوانا
سمعت باريس تشكو زهو فاتحها هلا تذكرت يا باريس شكوانا ؟
عشرين عاما شربنا الكاس مترعة من الاذى فتملي صرفها الآنا

ومن ابياتها :

وللجياد صهيل في شكائمها تكاد تشربه الصحراء الحانا

ومنها :

تغضي على الذل غفرانا لظالمها تانق الذل حتى صار غفرانا

وقد هربت القصيدة الى الاقطار العربية ، وتغلغلت في بلاد الشام وقيل ان الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة فوجيء بها تتسلل الى زنزانته في جزيرة الشيطان بافريقية.

★ ★ ★

وفي الذكرى السنوية الاولى لاستشهاد الزعيم رياض الصلح دعي خطباء وشعراء من المغرب ومصر والعراق ولبنان وسورية الى رثائه ، وألى كوني المنتدب للقول باسم فلسطين ، فقد رجوت « البدوي » ان ينظم مشاعر سورية والعرب شعرا ، رصيفا للشاعر اللبناني الاثير امين نخلة ، فاجابني وقد بدت عليه ريبة : « آه .. رياض من كرياض ؟ لكنني لا ادري هل ياتيني الشعر بعد ساعة او يوم او اسبوع .. ويمكن الا ياتيني ابدا ، فاذا رضي علي اله الشعر ـ او شيطانه ، لا ادري ـ اديت الواجب نحو عظيمنا الراحل ، والا فمعذرتك والاخوان وعفوكم » . واقترب الموعد ولما يساعفه الالهام ثم حدث ان توفي في بيروت صديق البدوي الوطني الكبير عادل العظمة ونقل الى دمشق جثمانا بعدما حرمها عيانا، وكان موكب التشييع الى المقبرة متواضعا ، مما شجا الشاعر وتذكر ـ والشجا يبعث الشجا ـ مصرع رياض في عمان دموعا .. وبدا يهمهم بالشعر وواتاه المطلع الاروع :

دموعا .. وبدا يهمهم بالشعر وواتاه المطلع الاروع :

لا تسلها فلن تجيب الطلول المغاوير مثخن او قتيل
موحشات يطوف في صمتها الدهر فللدهر وحشة وذهول
غاب عند الثرى احباء قلبي فالثرى وحده الحبيب الخليل

وراح يومين في غيبوبة شاعر يختمر فيهما الحزن شعرا .. مجد رياضا واستبكى الامة والتاريخ ، وتذكر مصارع رفاق رياض من اخوان الشاعر ، وناجى ربه بأروع ما تكون المناجاة ، ودافع عن الرعيل الاول، وعاتب الشام عتابا عبقريا لجحود السلطان صناديدها البدريين .. وكانت آهة الختام :

اين اين الرعيل من اهل بدر طوي الفتح واستبيح الرعيل !

★ ★ ★

والحديث عن الشاعر العظيم اسلوبا واخيلة ودبباجة لا يتسع له مقال وقد لا يتسع له كتاب واحد ، ولكن ابياتا من قصيدته في ذكرى هنانو ـ وقد تراصفنا في الخطابة فيها سنة ١٩٤٥ ـ تختصر الان ما ارجو ان افصله في الاتي من الزمان :

اطل على الدنيا عزيزا : اصمني اليه ظلام السجن ام صمني القبر
وما حاجتي للنور ، والنور كامن بنفسي لا ظل عليه ولا ستر
وما حاجتي للافق ضحيان مشرقا ونفسي الضحى والافق والشمس والبدر
وما حاجتي للكائنات باسرها وفي نفسي الدنيا، وفي نفسي الدهر
ونفسي لو ان الجمر مس ابادها على بشرها الريان لاحترق الجمر

عن جريدة الشرق الاوسط ـ لندن اكرم زعيتر

دمعة الشعر المهجري على ضريح
بدوي الجبل

بدمائي بكيته ، بدمائي ... يعجز الدمع ان يخط رثائي
لوعة الشعر لوعتي ، فاقراوها ... في متاهات نظرتي الخرساء
باعدت بيننا المسافات ، لكن ... كان ادنى من الصدى للنداء
نصف شعري فواجع ومراث ... كيف يطوي لسامعي غنائي
كلما غاب في التراب حبيب ... انشب الموت ظفره في ردائي
لا تفشنك الدموع فليست ... دمعة اللهو غير قطرة ماء
عقني الاقربون ، لا ذنب الا ... انني لم اعق عهد الاخاء
جرحهم لم يزل طريا ، ولكن ... كل جرح على المدى لشفاء
نم قريرا يا شوك وامرح بروضي ... انت في جيرة الندى والوفاء
لن يحيد الغدير عنك اذا ما ... طاف بين الزنابق البيضاء
لن يرد العبير عنك حجاب ... كل من في حديقتي اصدقائي
تربتي خصبة ، وماني نمير ... وقريب لناظريه حبائي
في فؤادي للحب الف بناء ... ان يكن للجفاء نصف بناء
انا انسى شر العدو ، ولكن ... لست ارتاح للصديق المرائي
كلما مر ذكره اربد افقي ... غير اني اظله بولائي
خير اصحابك الذي لا يداجي ... فتجنب صداقة الادعياء
ليس يعدي الرياء ، لكن قبيح ... ان يعيش التقى مع الفحشاء
كم بعيد يعيش مني قريبا ... وقريب هو البعيد النائي
ليس ادنى الورى شقيقي اذا لم ... يك عوني على صروف القضاء
خيبت ظني الليالي ، ولكن ... لم تنل من كرامتي وابائي
ازرع الزهر في الصباح واجنيه ... قتادا على دروب المساء
جل عن باطل الكلام لساني ... وتعالى عما يشين حيائي
ما تعودت ان امحوه ذاتي ... فامامي يشف عما ورائي
انا راض من الحياة بحظي ... قانع من هباتها بالرجاء
لم تطب للنفوس خمرة شعري ... لو خلا من متارف الكبرياء
لست ثلجا تذيبه الشمس، لا بل ... انا شمس الظهيرة الحمراء
قوتي انني ضعيف امام الله ... عف السلوك مع اعدائي
تستطيب المديح اذني ، وان لم ... اتألم لترهات الهجاء

* * *

ايها الشاعر الذي جنح الحرف ... واحيا جزالة القدماء
والذي علم الطيور فطارت ... بجناحين من سنى وسناء
والذي نمق الرياض بما في ... شعره من نضارة ورواء

والذي زوق الملاحم تروي ... ما بناه الآباء للأبناء
والذي ارسل الشوارد تجلو ... صور الحسن تحت كل سماء
والذي استنبت البشاشة في ... الصخر ، وروى حرارة الصحراء
والذي طوق النجوم بعقد ... خالد من بيانه الوضاء
والذي جاز حلبة المتنبي ... واقتفى خطو سيد الشعراء (١)
حز في النفس ان يصيبك سهم ... غاص - لما نعوك - في احشائي
نؤت بالداء وارتفعت قريضا ... كيف زاوجت بين شعر وداء ؟
لم تزل آيك السنية تهدي ... خطواتي في الليلة الليلاء
كلما طاف في ضلوعي غم ... لا يداوى ... وجدت فيها دوائي
بشذاها الندي تسكر روحي ... وبنعمائها ابل ظمائي
كل حرف منها جناح ظليل ... في طريقي ، وكوكب في فضائي
خانني في فجيعة الشعر شيطاني ... فواخجلتاه من « غلوائي »
كم بكت مهجتي ، ولم يبك جفني ... لا يقاس الأسى بفرط البكاء

* * *

يا سليل العلى يحييك شعب ... ليس ينسى فضائل العظماء
خضت من اجله غمار المنايا ... شامخ الرأس ، ناظرا للعلاء
تتحدى نار الدخيل بكبر ... لم يرد في معاجم الدخلاء
كلما اشتد بطشه ازددت باسا ... واندفاعا على دروب الفداء
بيد ترفع اليراع سراجا ... وباخرى تهز سيف القضاء
يعلم الله كم شربت اجاجا ... وافترشت الرمال في البيداء
ذاك عهد مضى ... ولكن سيبقى ... خالد الذكر في سجل العطاء
خط فيه «الحسين» (٢) اول حرف ... وزكا جنبه بيوم الجلاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

يا ابا الزهر من قواف وولد ... لا تدعني في حيرتي العمياء
مد لي راحة من الخلد انهض ... من عثاري ، وتنتفض اشلائي
انا ميت لولا بقية روح ... كيف يبكي ميت على الاحياء ؟
كيف يبكي فتى القريض المجلي ... شاعر ضاع في حروف الهجاء
كيف يرقى الى النجوم جناح ... نهكته لوافح الرمضاء ؟
اين مما خلفت ما خلف الطاغي ... واين الثرى من الجوزاء ؟
ساء فال الذين صالوا بسيف ... وكبت خيلهم بباب « حراء »
طبع السيف للدفاع عن الحق ... ونصر الحمى ودفع البلاء
زرعوا حولك العيون ، وبثوا ... ظلمة الليل في طريق الضياء
عبثا حاولوا اكتسابك بالمال ... تعاليت عن مهاوي الثراء
ليس عارا ان يملك المال ندب ... آفة المال حبسه في وعاء
وطأة القيد لا تهون على الحر ... ولو صيغ من خيوط ذكاء
عجزوا عن شراء ودك بالحسنى ... فمالوا للقوة الرعناء
خاب عزريلهم ، فللبيت رب ... صانه من مكايد الجبناء

* * *

قال : مهما قسا علي قريبي ... لن ابادي عداءه بعداء
ما انا من يلوك لحم ذويه ... ان جفوني ، وامضوا في الجفاء
عثرة الرجل قد تكون وبالا ... تشتكي منه سائر الاعضاء
هكذا يصفح العظيم ليحمي ... شعبه من غوائل الارزاء

* * *

طال بعدي عن الديار ، فهلا ... يسر الله عودة الغرباء
غربة الجسم ارهقتني ، ولكن ... غربة الروح ضاعفت اعبائي
انا في السجن منذ فارقت اهلي ... رحمة يا زمان بالسجناء
ليس قيدي كفيره من حديد ... انه قيد لهفتي العجماء
اذكر الله في دعائي ، ولكن ... اذكر الغوطتين قبل الدعاء
يوشك الشوق ان يقرح جفني ... اجزل الله في البلاء عزائي
اين تلك الآمال تفرش دربي ... بالرياحين ، بالشذا ، بالبهاء
ذهبت كالهباء ، لم يبق منها ... غير ذكرى على جناح الهباء

* * *

يا صديقي كشفت سر القوافي ... جدا لو كشفت سر الفضاء
وقف العقل حائرا ، فانرني ... طال تيهي في الليلة الظلماء
.
هل يلاقي المحروم ما يتمنى ... من رخاء .. ام تلك دار شقاء
ضاق في البحث والتسائل باعي ... يا الهي هبلا غفرت هراني

* * *

هللي يا ملائك الخلد زهوا ... نقل الشعر عرشه للسماء
شرف ان تكون للحرف جندا ... نفتديه بما غلا من فداء
ما تغنيت باسم « غلواء » لولا ... انها من حصونه الشماء
من شذا الشعر تستمد شذاها ... اتراها سليلة « الخنساء »
كل مجد اساسه البغض عار ... كيف تبنى العلى على البغضاء
زادكم للبطون ، لا لعقول ... لم تجد في قصوركم من غذاء
الف كسرى انطووا وما زال «قيس» ... خالدا في مدامع البؤساء
يا صديقي برى الفراق ضلوعي ... واحنيني اليك يوم اللقاء

(١) هو احمد شوقي .
(٢) هو الشريف حسين بن علي

بوانس ايرس ـ الارجنتين

زكي قنصل .

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

الاسلام والتجديد في مصر ـ الفه الدكتور تشارلس آدمس نقله الى العربية عباس محمود ، قدم له الاستاذ مصطفى عبد الرازق ـ لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، القاهرة تاريخ مقدمة المؤلف ١٩٣٢ ، تاريخ مقدمة المقدم وخاتمة المترجم مارس ١٩٣٥ .

١ ـ موضوعه الرئيس محمد عبده مع مقدمة عن جمال الدين الافغاني ولاحقة عن تلامذة الشيخ محمد عبده ومريديه والمتأثرين بأفكاره على وجه من البحث العلمي والاناة والتقدير .

٢ ـ ورد وصف ثورة احمد عرابي مرة على انها حركة ص ٤٩، ٥٠، ١٩٨، ٢١١ ، ومرة على انها فتنة ص ٢١٣ ، ١٠ واحسب ان كلمة « فتنة » غير دقيقة ، حتى مع التسليم باختلاف الشيخ محمد عبده مع وجهها العسكري .. لانها ثورة باعتراف المؤلف الذي كرر لفظ الثورة هذه .

٣ ـ ص ٧ « السيد جمال الدين الافغاني ولد عام ١٨٣٩ في اسعد آباد بالقرب من كابل بأفغانستان » ..

وفي ذيل الصفحة : « ... اما الرواية الفارسية فتذهب الى انه ولد في قرية بهذا الاسم بالقرب من حمدان في ايران » .

ا ـ من الصعب على اللسان الافغاني ان يلفظ العين؟

ب ـ اسم القرية الفارسية اسد آباد وهي بالقرب من همذان .

٤ ـ هامش ص ٢٦ « جورجي زيدان .. مشاهير الشرق » : جرجي ..

٥ ـ ص ٢١٥ « احمد لطفى السيد بك » : احمد لطفي بك السيد .

٦ ـ ص ٢٢٩ « وتقول الانسة « مي » في المقابلة بين قاسم (امين) وباحثة البادية (ملك حفني ناصف) : انه انكار يدل ايضا على انها لم تنصفه ، ولا اجرأ ان اقول انها لم تفهمه » .

لا اجرا : لا اجرؤ .

٦ ـ ص ٢١٣ « ويروي رشيد رضا ان السيد عبد الله نديم اشتهر من بين تلاميذ جمال الدين بخطابة التهييج في عهد الثورة العرابية فكان يسعر نارها ، ولم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها ، فانه ذو خلابة وغلو ، ولا يهيج العامة الا الغلو » .

احسب ان الكلام يضمن بيتا من الشعر لابي العتاهية يحسن بل يجب ان يكتب هكذا :

ولم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها

٧ ـ مما يفيد الدارس الادبي ان يعلم انه « من حضر دروسه الخاصة ـ اي دروس الشيخ محمد عبده ـ التي كان يتناول فيها الكلام على المسائل الفلسفية اسماعيل صبري باشا ـ ص ٢٠٥ » .

ويعلم : « من تلاميذ الشيخ محمد عبده .. ومن اكثرهم قربى اليه محمد بك حافظ ابراهيم .. » ص٢٠٧ ومن تمام خبر حافظ ابراهيم ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ « وفي سنة ١٩١١ اسند الى حافظ ابراهيم منصب في دار الكتب المكية ، وقد اشتغل حافظ بالترجمة ايضا وراض قلمه عليها ، فقد حاول ان يترجم جزءا من « مكبث » ويصوغها شعرا عربيا ، ولكنه لم يوفق توفيقا كبيرا ، ثم شاقه كتاب « البؤساء » الذي الفه فيكتور هيجو فنقله الى العربية » .

ا ـ البك هو حافظ وحافظ اسم الشاعر ، ولدى التركيب يكون اسمه محمد حافظ ، ويقال ـ حينئذ ـ محمد حافظ بك ابراهيم .

ب ـ كان اسمها دار الكتب المصرية ، وقبل ذلك دار الكتب الخديوية او الكتبخانة الخديوية ، وعين الشاعر رئيسا للقسم الادبي فيها .

ج ـ لم يكن علم حافظ باللغتين الانكليزية والفرنسية ما يؤهله للترجمة ... ولا بد من انه كان يستعين بالعارفين ، هذا الى انه لم يترجم ـ باسمه ـ من البؤساء الا جزءا يسيرا من اصل الرواية الضخمة .

(٢)

رسالة المنبر الى الشرق العربي ـ فليكس فارس ـ المقدمة موقعة هكذا : الاسكندرية في اول سبتمبر سنة ١٩٣٦ ، فيليكس فارس رئيس الرابطة العربية في الاسكندرية .

١ ـ ص ٣ : العروبة وتتكرر في الكتاب للدلالة القائمة على الاعتزاز بالعرب والعمل على استنهاضهم ووحدتهم مرتبطة بفكرة القومية .. تنظر ص ٦ .

ومعلوم ان هذه المعاني جديدة ـ اي بنت العصر الحديث ـ لهذه اللفظة . ويمكن ان ينتفع باستعمال

فليكس فارس في هذا التاريخ ١٩٣٦ وما قبله ، من يبحث في نشوء هذا المصطلح (العروبة) وتطوره في دلالته السياسية ..

٢ ـ ص ٢٣ « ان شجرة النبوغ لا تعتلي في بلادنا .. ما لم تتغلغل جذورها في تربتنا » .

استعمل تعتلي فعلا لازما بمعنى تعلو ، وكررها ص ١٨٢ ، « اعتلى قلبه الى دماغه » . علا وصعد . والمستعمل الصحيح : اعتلاه ، متعد .

٣ ـ ص ٢٧ « اطاء ارض مصر » : اطا .

٤ ـ ص ٣٨ محاولة لتعريف « الثقافة » وهو ـ كانه ـ يحصرها بالفطرة وانها لا تتعلم فهي ـ بهذا ـ تختلف عن العلم ..

واستعمل «العواطف والاميال» وهكذا كان «الرواد» يجمعون كلمة « ميل » على « اميال » ، اما الذين جاءوا بعدهم فقد هجروا ذلك « الجمع » واستعملوا «الميول».

٥ ـ المؤلف معتز ـ غاية الاعتزاز ـ بقومه وباللغة العربية ، ومما يسجل له هنا ، ما جاء على ص ٧٣ـ٧٤ ، « ان عددا كبيرا من ناشئتنا الحديثة يفتخرون بجهلهم اللغة العربية ويدعون التفوق بالافرنسية او الانكليزية او سواهما ، وانا اؤكد لكم ان امثال هؤلاء المنشئين يبقون ابدا في مرتبة وضيعة بين ارباب البيان من الكاتبين بلغة جدودهم واني اعرف من رفاق الشباب جبران خليل جبران والريحاني من العرب كتبوا بالانكليزية واعرف شكري غانم وخيرالله خيرالله من الذين كتبوا بالافرنسية فاجادوا وصفق لهم الغرب والعالم الجديد ، ولكن مثل هؤلاء العباقرة الذين قلما يجود بمثلهم الزمان لم يشتهروا بصفاء لغتهم وفصاحة تعبيرها قدر اشتهارهم بروح من الشرق هبت بين سطورهم فأعجب بها العالمان . فما كان جبران والريحاني الا رسولي الادب الشرقي الصحيح كلا منهما على طريقته لدى ابناء المدنية الآلية الجبارة ، وما اشتهر غانم الا برواية عنترة كما ان خير الله لم يشتهر الا برواية مجنون ليلى وبما عقد عن الشرق من فصول » . « العالم الجديد » هو اميركا ، وكان المصطلح كثير الاستعمال ثم تضاءل وانقرض او كاد .

٦ ـ الكتاب (رسالة المنبر ..) مصدر من مصادر دراسة فوزي المعلوف ، ومصدر اهم في دراسة جبران خليل جبران (قال ص ١٥٤ : عرفت جبران سنة ١٩٢١ اثناء وجودي لمدة سبعة اشهر في الولايات المتحدة ، فالتقينا كاننا على عهد قديم » . وقد قرا كتاب ميخائيل نعيمه عن جبران فما ارتضاه فاطال مناقشته اذ راى تزيدا ونهجا روائيا يعتمد على الخيال والاختلاف الكبير بين المشربين ، بين الروحي والمادي : « فكان نعيمه ، وهو نفسه الاديب الكبير الذي مضى حياته بالسعي وراء المال متاجرا ومضاربا في بلاد الجهاد المادي العنيف .. ما كان ليرضى عن جبران الا اذا ... جال في الازقة مستعطيا ـ ص ١٩١ ـ ١٩٢ » لقد استغرق البحث ما بين ص ١٥٣ ـ ٢٢٥ وكان فليكس فارس عارفا بميخائيل نعيمة صديقا له وربما خاطبه بميشا .. ويبدو ان حرصه على اللياقة حال دون التصريح باشياء يعرفها ، وحال ـ كذلك ـ دون وضوح قصده احيانا .

٧ ـ ياخذ على شكري غانم في « روايته » التمثيلية: عنترة بن شداد انه ادخل ذاته بالمسرحية فلم تكن ـ بالتالي ـ رواية عنترة .. وسجل المأخذ نفسه على شوقي برواية « مجنون ليلى » « فاذا المجنون .. يحمل في صدره قلب شوقي وعلى لسانه بيان شوقي » ص ١٦٠ ـ ١٦١ «وهذا كتاب نعيمة في جبران ، اقلب صفحاته فيذكرني بغانم المتعثر وشوقي المتقيس » .

٨ ـ ص ١٥٩ « كلام يعزيه المؤلف الى جبران » : يعزوه .

٩ ـ ص ١٦١ « تطغو » : تطغى .

١٠ ـ ص ١٦٣ « المآذق : المآزق ـ وهو من الخطأ الذي يقع فيه الطباع المصري (واللبناني) اذ يطبع ما يلفظ .. (بعاميته) .

ومثلها ص ١٨٠ « تطلع اليها مذدريا » : مزدريا .

١١ ـ ص ١٩٣ معائب : معايب .

١٢ ـ «رسالة المنبر » تدل على الخطب .. وفيلكس فارس من دعاة العروبة التي لا تفرق فيها الاديان .. وفي الكتاب قصائد القاها المؤلف في مناسبات .. وهي مشربة بالفكرة الرئيسة التي صارت ضميره الذي ينطلق منه والحق الذي يحترص عليه، وفي كلامه على جبران يدل على انطلاق من دافع الحق والوفاء للحقيقة .

١٣ ـ يجهل كثير من الشباب المعاصر « فليكس فارس » لذا حسن ان ننقل سطورا مما جاء عنه في « اعلام » الزركلي : « فليكس فارس ١٣٩٩ ـ ١٩٣٩ كاتب ، من الخطباء . له نظم حسن . ولد في احدى قرى المتن بلبنان .. واصدر في بيروت جريدة « لسان الاتحاد » سنة ١٩٠٩ .. وسافر الى الاستانة وعاد منها الى حلب .. وسافر الى اميركا سنة ١٩٢٠ ، وعاد فاستقر في الاسكندرية رئيسا للترجمة في مجلسها البلدي سنة ١٩٣٠ واستمر الى ان توفي بها.. له كتب .. وترجم عن الفرنسية « رولا ـ ط » من شعر الفريد دي موسيه ، و «اعترافات فتى العصر ـ ط» وهكذا تكلم زرادشت ط.

ورأى الزركلي ان « رسالة المنبر الى الشرق العربي» افضل ما كتب .

ونذكر ـ بالمناسبة ـ ان « هكذا تكلم زرادشت » ، و « اعترافات فتى العصر » قد اعيد طبعهما في هذه الايام وربما اعيد طبع الاول اكثر من مرة .

١٤ ـ في رثائه للكاظمي قال ...

ليعجب ابناء الزوال بخالد يمر فيفنو منهم وهو خالد

(٣)

عباس محمود العقاد ـ ردود وحدود . القاهرة ، دار هراء ـ ط ١ سنة ١٩٦٩ .

١ ـ من المقدمة « هـذه المجموعة من المقـالات والابحاث كان .. العقاد .. يكتبها في مجلة « الرسالة » . وقد اخترنا لهذه المجموعة من مقالات استاذنا الراحـل عنوانا هو .. عنوان احداها راجين ان تأخذ مكانتها بجوار اخوات لها سبقوها الى القراء .. ـ عامر العقاد » .

أ ـ صحيح سبقوها : سبقتها .

ب ـ تتراوح تواريخ المقالات المثبتة بين ٢٠ـ١٠ـ ١٩٤١ ـ ١١ يونيو ١٩٤٥ .

٢ ـ لا يجد القارىء المعاصر اشياء مهمة في هـذه المقالات ، بفعل الزمن . هذا الى ان الاعوام المذكورة من اعوام اواخر تاريخ « الرسالة » وقد كانت تسير بانحدار.

٣ ـ بين العديد من مقالات الكتاب ـ ومقالات العقاد الاخرى ـ تتميز مقالة « عيد ميلاد » ص ١٤٥ ـ ١٥٠ بطراوتها التي تقربها او تدخلها في المقالة الابداعية.. بعيدة عن المقالة التعليمية التي يريد لها صاحبها ان تكـون بحثا صغيرا ..

(٤)

الحب في التراث العربي ـ د. محمد حسن عبد الله ـ الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ٣٦ ، المحرم ـ صفر ١٤٠١هـ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠ م

١ ـ ذكر المؤلف في مصادره مخطوطات مهمة قـد يكون هو المؤهل للعمل على تحقيق الاهم بينها ـ استكمالا للبحث وخدمة للتراث ..

٢ ـ ص ٣٦٥ ـ ٣٧٠ « مراجع البحث » .

ثرية ومتنوعة ، وقد يفتقد القارىء دواوين الشعراء مثل عمر بن ابي ربيعة ، جميل ، كثير .. توبة ، ليـلى الاخيلية ـ ولا يجهل المؤلف هذه الدواوين .. وغيرهـا الشريف الرضي ، العباس بن الاحنف ، ابن عربي ، ابـن الفارض .. وفي « الامالي » .. اشياء نافعة .. وقد ورد الاغاني عرضا في حاشية ص ٣٤٥

٣ ـ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ح اخوان الصفا وماهية العشق .. قال الشاعر :

اعانقها والنفس بعـد مشوقـة اليها ، وهـل بعد العناق تداني ؟

الشاعر هو ابن الرومي ..

٤ ـ و « في المراجع العربية » يمكن ان يقول القائل اذ يرى « الجواري .. الحب العذري » : و اين « الحب العذري لموسى سليمان ، بيروت ١٩٤٧ ، ١٩٥٤ ؟ » ويتذكر كتابا للدكتور مصطفى عبد الواحد بعنوان « دراسة الحب في الادب العربي » وقد صدر الجزء الاول منه ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٢ .. ويمكن ان ينتفع دارس الموضوع بكتابي الدكتـور البصـير : عصر القرآن ، وفي الادب العباسي ..

٥ ـ يحس القارىء بأن المـادة لدى المؤلف غزيرة ولكنه مضطر الى التكثيف بسبب من مقتضيات السلسلة التي يمكن ان يعمل على تحديدها الحجم والقارىء الذي تخاطبه .. وربما كان التكثيف من دواعي « اهمـال » الحب الصوفي .. زيادة على عامل اهتمام المؤلف بالنثـر اكثر من اهتمامه بالشعر لان النثر كثيرا ما اهمل في دراسة « الحب » .

(٥)

الاتجاهات الادبية الحديثة ـ ر. م. البيرس ، ترجمـة جورج طرابيشي . منشورات عويدات ، بيروت ـ باريس ط ١ سنة ١٩٦٥ ، ط ٢ سنة ١٩٨٠ ـ سلسلة زدني علما

١ ـ نقول ، لدى الدقة ، انه لم تصدر الطبعة الاولى ١٩٦٥ بهذا العنوان ، وانما صدرت بعنوان « الاتجاهـات الادبية في القرن العشرين » وهو عنوان مطابق في ترجمته للاصل ، فقد كانت كلمتا « القرن العشرين » فيه . ولم تصدر الطبعة الاولى في السلسلة ..

٢ ـ ان كلمة « الحديثة » الواردة في العنوان الجديد لا تقابل ، لدى الاصطلاح في الاستعمال الادبي كلمتي « القرن العشرين » ، فالقرن العشرون هو القرن العشرون واولى بأدبه ان يعرف باسم « الادب المعاصر » ، اما ما كان قبل ذلك ، وربما ، لدى التحديد ، منذ الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر فهو الذي يعرف عادة بالادب الحديث، وقد صار هذا الحديث قديما بالنسبة للقرن العشرين .

(٦)

المسرح ـ الدكتور محمد مندور ، دار المعـارف بمصر ، سلسلة فنون الادب العـربي ـ الفـن التمثيلي ـ ١ ، القاهرة ١٩٥٩ .

١ ـ ص ١١ « الجواب على هذه الاسئلة » : عن .

٢ ـ ص ١٣ « .. العرب القدماء .. نقلوا الى لغتهم في العصر العباسي الكثير من التراث العقلي لليونـان .. وكان من الممكن ان ينقلوا .. الادب التمثيلي ويأصلـوه عندهم » .

صحيح يأصلوه : يؤصلوه .

٣ ـ ص ٢٧ ـ ٢٨ «يقول جورجي زيدان عند حديثه عن مارون النقاش .. وشخص .. الى ايطاليا .. وحضر فيها تمثيل الروايات على المراسح .. »

أ ـ جورجي : جرجي .

ب ـ كانت « المسرحيات » ايام زيدان : الروايات ، والمسارح : المراسح ..

٤ ـ ص ٣٠ « فرقة سليم النقاش ابن اخ مارون ».

الصحيح : ابن اخي مارون .

٥ ـ ص ٣١ « فرقة يوسف خلاط » : خياط .

٦ ــ ص ٣٢ « الشهير بابي نضـــارة » ، ص ٣٥ « ابو نضارة » ، ص ٣٦ « ابو نظارة » .

وهكذا وردت الكلمة مرة بالضاد ومرة بالظـــاء ــ والصحيح « ابو نظارة » .

٧ ــ من الفوائد ان نعلم ص ٤٣ ان الاستاذ امين الخولي هو مؤلف رواية « الراهب المتنكر » التي «عرضت على مسرح الاوبرا ثلاث مرات في موسم ١٩١٦ وكان كاتبها المتنكر ، عندئذ تلميذا بمدرسة القضاء الشرعي ولم تكن تقاليد تلك المدرسة تسمح بأن يكتب طلابها للمسرح » .

٨ ــ ص ٤٤ « وفي سنة ١٩١٦ بدا نجيب الريحاني .. يشخص . »

كانت كلمة يشخص تعني يمثل .

٩ ــ ص ٩٣ « بعد وفاة شوقي باحدى عشر سنة تقريبا ظهر .. عزيز اباظه .. »

احدى عشر سنة : احدى عشرة سنة .

١٠ ــ ص ١١٨ « الف محمد تيمور المسرحيـــات الاربعة » .

الاربعة : الاربع .

(٧)

قرن الهجرة ، سلســلة احاديث يذيعها من الكويـــت الدكتور حسن حبشي ، لمناسبة بدء القرن الخامس عشر للهجرة .

ورد في حديثه الذي قدمه في ٢٨ــ٢ــ١٩٨١ مساء ــ وموضوعه حروب سيف الدولة الحمداني مع الروم .

أ ــ العقد (ويقصد ما يحتـوي على عشر سنين) بكسر العين ، والصحيح بفتحها، والفرق بين الكسر والفتح كبير ، « والعقد بالكسرة القلادة » .

ب ــ استشهد (قتل في الحرب في سبيل فكرة او رأي او وطن ..) بفتح التاء وفتح الهاء ، والصحيح : استشهد بضم التاء وكسر الهاء « على ما لم يسم فاعله » ــ كما ينص المعجم .

جـ ــ همدان (المدينة فى بلاد العجم) بسكون الميم ودال : صحيحها بفتح الميم وذال .

(٨)

دكتور شوقي ضيف ــ الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ــ القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٧ ــ سلسلة مكتبة الدراسات الادبية ــ ٧١

١ ــ ص ٢٦ ــ ٢٧ «خلا لك الجو فبيضي واصفري» يضربونه مثلا للشخص لا يجد اي حائل بينه وبين حاجته وهو ماخوذ من قول طرفة في قبرة :

خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت ان تنقري

تنظر « قصة » المثل في « مجمع الامثال » للميداني ، حرف الخاء « خلا .. »

٢ ــ ص ١٣٢ « وكان المؤرخون للادب .. يسمون الحقب التالية لذلك ــ لسنة ٦٥٦ للهجرة ــ حتى العصر العثماني باسم عصر المغول . وهو صنيع خاطىء .. »

أ ــ من سماها باسم عصر المغول من المؤرخين على وجه التخصيص؟ زيدان . ولدى الزيات العصر التركي ، وفي المفصل : العصر التركي (عصر المماليك) ، وفي المنتخب (عصر المماليك ..) ، وفي الوسيط عصر الدول المتتابعة (التركية) ..

ب ــ معنى خاطىء : آثم ، وهو ما لا يريده المؤلف، لانه ليس في موقف من يرمي بارتكاب جريمة اخلاقية .

٣ ــ ص ١٤٢ « مراثي الحسين .. ومن اهمها مراثي الشريف الرضي .. ولا نشك في ان هذه القصيدة كان ينوح بها الناحة لعصر الشريف .. وان الناس كانوا .. ينوحون بها »

الناحة : النائحون .

والذي ورد في القاموس المحيط : « نساء نوح ــ بفتح النون وسكون الواو ــ وانواح ونوح ــ بضم الميم وتشديد الواو ــ ونوائح ونائحات » .

وفي عناية القاموس بالنساء ما يدل على ان الامر كان لدى العرب ، مقتصرا عليهن . واستعمال الدكتور ضيف لجمع المذكر (الذي يمكن ان يشمل كذلك المؤنث) يدل على « جديد » في العصر ، وتبقى الحاجة الى النص على المصدر قائمة اقصد النص على ان الرجال (والنساء) كانوا ينوحون بمراثي الشريف الرضي في عصر الشريف نفسه .

وقد يكون من المفيـــد ان اذكر اننا ــ في العراق ــ ادركنا من المواكب الحسينية من يردد من شعر الشريف الرضي :

كربلا ، ذلت كربا وبلا ما لقي عند آل المصطفى
كم على ربك لما صرعوا من دم سال ومن دمع جرى

كان ذلك في النصف الاول من القرن الرابع عشر (العشرين) وراثة عن القرن الثالث عشر (التاسع عشر) ــ والموكب الذي يردد ينطلق من تميز خاص اذ يستعمل الفصحة ..

٤ ــ ص ١٤٢ « ومن الرثـــاء السياسي الديني بالعراق وما وراءها من ايران رثاء مدن الشام منذ اواخر القرن الخامس الهجري حين كانت تسقط في ايدي حملة الصليب المغيرين من الغرب .. وحين سقطت في ايديهم القدس سنة ٤٨٨ .. رثاها كثير من الشعراء العراقيين والايرانيين وغيرهم .. من مثل قول ابي المظفر الابيوردي من ميمية طارت في الافاق :

وكيف تنام العين مـــلء جفونها على هنوات ايقظت كل نـــائم

أ ــ اين نجد .. رثاء مدن الشام هذا أــ ان وجد !

ما المقصود بالايرانيين ؟ وهل هو من مصطلح القرن الخامس؟ ؟

ب ـ وقع قول الميمية سنة ٤٩٢ ـ ينظر كامل ابن الاثير .

ج ـ يمكن ان يتطرق شك في نسبة الميمية الى الابيوردي .

د ـ ما الدليل على انها طارت في الافاق ؟

٥ ـ ص ١٤٦ « واكبر شعراء الغزل العفيف في العصر ببغداد الشريف الرضي وتلميذه مهيار .. واشتهر الاستاذ وتلميذه بطائفة من الغزليات تسمى الحجازيات والنجديات .. »

ا ـ الحجازيات فقط ـ ولم اجد في حدود علمي ـ من سمى هذه القصائد بالنجديات .

ب ـ والاسم مختص بقصائد معينة للشريف الرضي ـ ولم اجد في حدود علمي من سمى قصائد لمهيار بالحجازيات ..

ج ـ اما ان يكون لمهيار قصائد تذكر مواقع من نجد او الحجاز .. وتتخذها مسرحا لغزله .. فذلك صحيح ولكنه شيء اخر غير التسمية الاصطلاحية (التي اختصت بحجازيات الشريف) .. وقل مثل ذلك عما في شعر الشريف الرضي من ذكر لمواقع من نجد .. والمسالة مسالة المصطلح وليست مسالة ذكر المواقع ..

(٩)

عدو المجتمع Misanthrope تاليف موليير ترجمة محمد بدران ومحمد عبد الحافظ معوض ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٩ .

من مقدمة المترجمين

١ ـ « الرواية التي نقدم ترجمتها لقراء العربية من عيون تاليف موليير » .

ا ـ كذا يستعملان « الرواية » بدلا من المسرحية ، شأن الرعيل الاول ممن عني بالمسرح بوجه وآخر .. وسمى شوقي مسرحياته روايات .. وهكذا .

وترد « الرواية » في المقدمة سبع مرات ولا تعني غير ما يعني بها الجيل الحالي من المسرحية . اما الرواية فقد استقرت في الجيل الحالي للدلالة على « القصة الطويلة » .

ب ـ ربما كان الاصح ـ او الصحيح ـ في قوله « من عيون تاليف موليير » : « .. تاليف .. » بالمد بدلا من الهمز .

٢ ـ « وقد ترجمت بعض روايات موليير الى اللغة العربية .. ولكننا لم نقف بعد على ترجمة عربية لرواية « عدو المجتمع » .. »

هذا صحيح ـ حتى تاريخ المقدمة ـ وبدلالة « دراسات في المسرح والسينما عند العرب » تاليف لنداو وترجمة احمد المنازي ، الهيئة المصرية ، القاهرة ١٩٧٢ ص ٤٧٥ . وقد يكون عجيبا بعد الذي لقيه موليير من اهتمام الرواد ترجمة واقتباسا ـ ينظر ليندلو ص ٤٧١ ـ ٤٧٤ . علما ان لنداو ص ٤٧٥ لم يقف على العنوان الصحيح للترجمة العربية فقال : ترجمناها « بمعنى الحقود » !

٣ ـ من محاسن المترجمين ومن علميتهما (النادرة) نصهما على اللغة التي ترجما الرواية (المسرحية) عنها ، فقالا : « نقلا عن ترجمة انجليزية حرفية مشهورة » ـ وليكن القارىء ـ بعد ذلك ـ على علم او حذر . انهما لم يترجما عن اللغة الاصلية للرواية (المسرحية) وهي الفرنسية .

(١٠)

اوديب ثيسيوس ـ من ابطال الاساطير اليونانية . تاليف اندره جيد ، ترجمة طه حسين . بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٩٦٨ (اما الطبعة الاولى فكانت ١٩٤٦، القاهرة ، دار الكاتب المصري ؟) .

ا ـ في البحث عن تاريخ المصطلحات الحديثة للادب العربي .. نلاحظ في المقدمة التي كتبها طه حسين ان مصطلحاتنا المسرحية لما تستقر وانها ظلت على اقلام « الرواد » غير ما آلت اليه بعدهم او استقرت وكادت تستقر عليه ..

ا ـ ان طه حسين يتحدث في هذه المقدمة القيمة المسهبة (ص ٧ ـ ٤٠) عن المسرح ، والمسرحية ، ولكنه لم يذكر هاتين اللفظتين قط . وانما قال : « ملاعب التمثيل » (ص ١٤) و « الملاعب » (ص ١٦) وقال « الملعب » (ص ١٩) .

وهو يريد بذلك : مسارح ، ومسرح ـ مع ان اللفظتين معروفتان في عصره وقبل عصره (وقالوا : مرسح في لبنان بخاصة » .

اما « المسرحية » و « المسرحيات » فاستعمل لهما القصة، والقصص، وربما قال « قصة تمثيلية » (ص ١٧، ٢٠) وقال : « قصص تمثيلية » (ص ١٨) .

وهو فيما عدا ذاك وفي السائد من كلامه يقول : « قصة اوديب » (ص ١٧) و « سارتر .. في قصة الذباب .. » (ص ١٩) و « ويصورها لنا سوفوكل في قصة « اوديب ملكا » ، ولكنه يصورها تصويرا اعظم روعة واكثر جلاء في قصته الاخرى « اوديب في كولونا » .. » (ص ٢٢) و « .. سوفوكل حين كتب قصتيه » (ص ٢٣) « اما كورني فقد كان مفتونا بقصته .. » (ص ٢٤) « فالفكرة الاساسية في قصة اندريه جيد هي اعتداد الانسان بنفسه » (ص ٢٩) .. الخ . ونلاحظ معاصره العقاد في « شعراء مصر .. » (١٩٣٧) يستعمل ص ١١٧ « الرواية المسرحية » تمييزا لها عن القصة . علما ان مصطلح « التمثيلية » صار عريقا في مصر الحديثة . الم

يؤلف عبد الله النديم خلال ١٨٧٩ ـ ١٨٨١ « تمثيلية الوطن » و « تمثيلية العرب » .

ب ـ بقي ان طه حسين وحد مصطلح التمثيل مستقرا فلم يستعمل غيره فقال : « شعراء الممثلين » ص ١٣ و « التمثيل » ص ١٣ ، ١٦ ، و « الشعراء الممثلون » ص ١٤ ، ص ١٦ « الممثلون » ص ١٦ .. وكأن العهد قد بعد بالمشخصين والتشخيص او كأن هاتين اللفظتين لم تنجحا في ان تكونا مصطلحين سائدين . وحين ينص طه حسين على « الشعراء الممثلين » فلعله يريد ان يؤكد للقارىء العربي ان الشعراء ـ في القديم ـ كانوا هم الممثلين .

(١١)

المسرح العراقي ـ احمد كريشان ، ص ١٠ من مجلة « افكار » الاردنية ، عمان ، العدد ٥٢ ، شباط ١٩٨١ .

١ ـ كان المناسب ان يذكر الكاتب مصدره الذي لخص عنه « مقاله » ـ وهو الكراس الذي اصدرته المؤسسة العامة للسينما والمسرح بوزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٨ .

٢ ـ كان المناسب ان يذكر الكاتب ، ولو بالاسم فقط « فرقة المسرح الفني الحديث » لانها ركن اساسي في كل حديث ـ مهما يكن موجزا ـ عن المسرح العراقي .

٣ ـ قال الكاتب « وفي عام ١٩٥٤ اسست مصلحة السينما والمسرح ونشط معهد الفنون الجميلة وتشكلت اكاديمية الفنون الجميلة .. »

ا ـ الصحيح ان مصلحة السينما والمسرح اسست عام ١٩٦٠ ـ ينظر الكراس ص ٩ ، ١٤ .

ب ـ قد يفهم من كلام المجلة هذا ان الاكاديمية شكلت سنة ١٩٥٤ ، ودفعا لامكان ورود مثل هذا الخطأ نذكر انها اسست سنة ١٩٦٢ ، ينظر الكراس ص ١٩ .

(١٢)

دروس الادب العربي في الاذاعة

تحسن الاذاعات العربية اذ تعنى عناية خاصة بالادب العربي وتقدمه للناشئة ، وابناء الارض المحتلة خصوصا ، دروسا يعمل اصحابها على ان تكون سهلة التلقي .

ولكن ، لا بد لهذه الدروس ، لكي تحقق هدفها المنشود ، من ان تعرض سليمة سالمة من الخطأ في اللفظ او التفسير ..

وقد حدث ان استمعت ذات ليلة الى :

ا ـ الدينوري بفتح الدال المشددة . وقال ابن خلكان : « بكسر الدال .. وقال السمعاني بفتحها وليس بصحيح » .

ب ـ السكاكي كافه الاولى غير مشددة والصحيح السكاكي بتشديد الكاف الاولى .

ج ـ الموازنة بين الطائيين (بالجمع) وابي تمام والبحتري ، والصحيح : الموازنة بين الطائيين (على المثنى) ابي تمام والبحتري .

د ـ وفي شرح بيت نسب لابي نواس فيه : واصطبح كرخية .. مثل القبس .

قال الشارح : كرخية امراة منسوبة الى الكرخ .. ولعله زاد انها متوردة الخد او الخدين . وكان من الممكن ان يتنبه الشارح الى كلمة « اصطبح » ليدرك في يسر .. ان الكرخية المنسوبة الى الكرخ هي الخمر .

هـ ـ ولا يراعي المقدمون السلامة في اداء الشعر او انهم لا يحرصون عليها .. وكثيرا ما كسروا السليم ، وغيروا في التلفظ ما يخرج البيت عن وزنه ومعناه . واذكر اني سمعت ذات مرة منشدا يتغنى برائية عمر بن ابي ربيعة فيقرا المطلع هكذا :

امن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر

قرا مبكر : بفتح الباء وتشديد الكاف ، وقرا مهجر: بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الميم .

و ـ ولفظ اسم الشاعر الاندلسي : « ابو البقاء الرندي » بفتح الراء بدل ضمها ..

(١٣)

علي العماري ـ الصراع الادبي بين القديم والجديد ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ١٣٨٤ ـ ١٩٦٥ .

١ ـ ص ٦٣ « ان ابا نواس توفي سنة ١٩٩ هـ » .
ص ١٠٥ « ابو نواس كانت وفاته في سنة ١٩٨ هـ » .
والصحيح ان في تاريخ وفاة ابي نواس روايات ، ومنها ١٩٥ ، ١٩٦ .. ولكن المناسب ان يختار المؤلف واحدة ..

٢ ـ ص ١٢٣ « علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٣ هـ » .
الصحيح : سنة ٣٩٢ .

٣ ـ ص ١٥٤ « هذه الموشحة التي ينسبها بعضهم الى ابن المعتز عصبية للمشارقة . وينسبها المحققون الى ابن زهر الاندلسي :

ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تجب

ا ـ انتهى المحققون من نسبة الموشحة الى ابن زهر .. ولكن لا احسب ان العصبية للمشارقة ـ ان وجدت ـ وحدها حدت الى نسبتها الى ابن المعتز ..

ب ـ الموشحة مشهورة جدا .. وعجز المطلع : « قد دعوناك وان لم تسمع » .

٤ ـ ص ١٦٧ ـ بصدد الكلام على النوع الشعري المعروف بالملحمي منذ ترجم سليمان البستاني الياذة هوميروس واوجد لفظ « الملحمة » مقابلا للمصطلح الغربي ـ قال : « ورد خبران وثيقان يثبتان وجود الملاحم في الشعر العربي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخبر الاول : ذكر ابن تغري بردي في النجـــوم الزاهرة ان لمحمد بن احمد بن الربيـع بن سليمان ، ابي رجاء ، الفقيه الشافعي ، الشاعر قصيدة ذكر فيها اخبار العالم ، وقصص الانبياء ، وقد سئل قبل موته : كم بلغت قصيدتك الى الان ؟ فقال : ثلاثين الفا ، ومائـة بيت . (توفي هذا الشاعر سنة ٣٣٥ هـ ـ وفي الهامش النجـوم الزاهرة : ج ٣ ص ٢٩٤) . وطبيعي انها كانت على قافية واحدة ، لان تعدد القوافي لم يكن قد عرف في ذلك العهد، والا لاشار اليه المؤلف ، لانه يكون امرا غريبا حينذاك » .

وفي التعليق على هذا الخبر او لنفيه ان يكون دليلا على وجود ملحمة من نوع الياذة هوميروس نلاحظ :

أ ـ ان محمد بن احمد .. فقيه وليس شاعـــرا حقيقيا ..

ب ـ انه ذكر في القصيدة اخبار العالم .. وقصص الانبياء .. ولا يجعل ذلك من قصيدته ملحمة .. وانمـا هي نظم ، يدخل في الشعر التعليمي ، وربما في الرديء من الشعر التعليمي .. انه شعر علماء ..

جـ ـ صحيح طبعي : طبيعي .

د ـ لا يشترط ان تكون قصيدة محمد بن احمد .. على قافية واحدة .. وهي اولى ان تكون من الرجز .. والمزدوج .. وهو النمط الذي كان معروفا جـــدا لدى العرب .. وهو المستعمل عادة لدى « النظم » كما فعـل ابان اللاحقي في نظم كليلة ودمنة .. وكما فعل ابوالعتاهية ومن سواهما ..

هـ ـ والمسألة معروفة ليس بها حاجة الى اشارة .

و ـ ص ١٧١ « اصحابه يجرون في غبار شعـــراء الغرب ، يحاولون تقليدهم ، ولكن كما قلد الغراب الحجلة (والقصة معروفة) .. »

الذي احفظه في هذا الباب :

غـــراب تعلـــم مشـي القطـا فـلا ذا تهيـا ، ولا ذا حصـــل

والمثل العراقي : ضيع المشيتين .

٦ ـ ص ٢٢٥ « يقول الاستاذ جب .. » بثلاث نقط تحت « الجيم » .

أ ـ يلجأ المصريون الى هذه « الحيلة » لانهم ، حتى كثير من المثقفين ، يلفظون الجيم على مقتضى عاميتهم ، فاذا اراد المؤلف ان يشعرهم بان هذا الحرف جيم وليس كيم ـ ولا سيما في الاعلام الاجنبية ـ وضع لهم هـذه النقاط الثلاث ـ وليس العمل مقبولا لانه يؤدي الى ضرب من العبث بالحروف العربية وكان اللازم ان يفرق القارىء منهم ـ كما يفرق العرب الاخرون ـ بين العامي والفصيح.

ب ـ والخطأ الثاني هنا، ان هذا المستشرق يلفظ في حرف اسمه الاول كما تلفظه العامة في مصر فهو كب (غب) وليس جب بالجيم ، هو كب (بالكاف الفارسية) وبالكاف التي وضع عليها ابن خلدون ثلاث نقاط .

(١٤)

مع المذيعين في لغتهم

١ ـ يوم الثلاثاء . لا تسمع الثلاثاء الا مضمومـــة الثاء الاولى ، وكأن المذيع يرى ذلك الفصيح والافصـح والاذل على العلم ..

وليس الامر كذلك لان الفصيح والافصح هو فتـح الثاء الاولى ، كما هو الشأن في العدد « ثلاث » و « ثلاثة » .. ويكون الفتح حينئذ اسهل واكثر منطقية .

ونرجع الى المعجمات .. فنجد في مختار الصحـاح والقاموس المحيط : يوم الثلاثاء (وقد فتح الثاء الاولى) بالمد ، ويضم . وفي المختار جمعه ثلاثاوات (وقد فتح الثاء ولا ترد في لسان العرب الا مفتوحة .. وزاد: وحكى ثعلب عن ابن الاعرابي : لا تكن ثلاثاويا اي ممن يصـوم الثلاثاء وحده (وقد فتح الثاء ..)

٢ ـ ويلفظون ينبع بضم البـاء كأن ذلك الوجـه الصحيح وان ضم الباء هذا يمنح المذيع درجة اعلى من الفصاحة ، وترفعا عن العامية .

وليس الامر كذلك . جاء في القاموس : ينبع مثلثة. وفي المختار : نبع الماء خرج من باب قطع (اي بفتح البـاء من ينبع) ونبع ينبع بالكسر .. لغة ايضا ..

ـ ويلفظون « الينبوع » بضم الياء .. وهو مفتوحها في المعجمات ، وفي الآية : « حتى تفجر لنـــا من الارض ينبوعا » بفتح الياء ..

٣ ـ ومن خطأ المذيع اللبناني بخاصة ان يقول حوال وهو يريد حوالي ، ويقول يرئس وهو يريد يراس (ومثله في ذلك الصحافة) ، ويلـــح بعض المذيعـــين على لفظ « السعودية » و « السعودي » بفتح السين بدل ضمـه .. ومنهم من يلفظ العراق (والعراقي) بفتح العين عوض كسرها ..

بغداد ـ الجادرية **علي جواد الطاهر**

اشتركوا في مجلـة

الاديـب

تساهموا في نشر الثقافة

من حياتنا

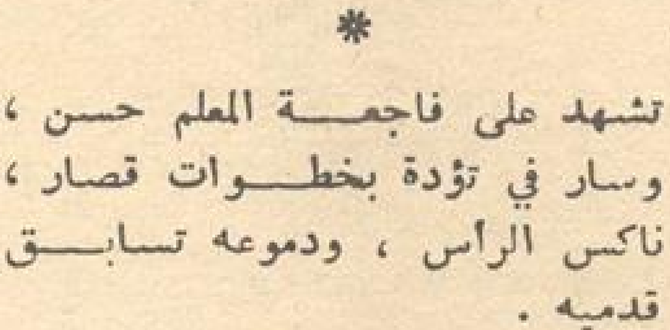
ثلاث قصص

بقلم رستم كيلاني

*

تشهد على فاجعة المعلم حسن ، وسار في تؤدة بخطوات قصار ، ناكس الرأس ، ودموعه تسابق قدميه .

وصل المعلم حسن مدخل الحارة والحزن يادٍ عليه ، كان يرى بعين خياله شماتة المعلمين الذين تشاجر معهم بسبب تساهله الكبير ومخالفته للاسعار التي اتفقوا عليها جميعا فيما بينهم .



ـ ١ ـ
الحصان ..

●

عاد المعلم (حسن) ذو الوجه الصبيح ، والابتسامة المشرقة ، والذي يتسم بخفة الحركة ، والذي يرضى بأقل اجر ، بعد آخر (نقلة) لوفود محاسيب الامام الحسين من حي السيدة زينب على عربته (الكارو) الكبيرة المزركشة بألوان زاهية ، والتي يجرها حصانه الجميل البني اللون .. في طريقه الى (الموقف) ، وتراقصت امام عينيه الحلية الذهبية التي سيشتريها لزوجته، والحقيبة الجلد لحفظ كتب ولده الوحيد الذي يريد ان يربيه تربية محترمة على حد قوله ، والشرابة الحمراء لحصانه ما اجمله عندما يعلقها في رقبته ويتبختر بها ، ما دام الله قد فرجها عليه ..

وبينما هو يسير ، وحصانه يخترق الهواء في خفة ، ودلال ، وعلى حين فجأة انقضت عليه وعلى العربة سيارة عامة كبيرة، كأنما هوت عليه من السماء ..

وفي لحظات سريعة انقلبت العربة وطار من فوقها المعلم حسن ليفترش الارض ..

ولم يدر بعد ذلك على وجه التحديد ، ماذا حدث له لانه كان اقرب الى كابوس مروع منه الى حقيقة مؤلمة ..

ولم يشعر بما حدث من اجراءات ولكنه احس فقط بأنه فقد حصانه الى الابد ..

وجلس يبكيه ، يبكي رفيق عمره وجالب رزقه ، يبكيه بحرارة الاب وهو يودع فلذة كبده ، لقد فقد الحصان ، ثم كيف يربي بعد ذلك ولده .. كيف ؟ ايعمل من جديد صبيا عند احد المعلمين ، لقد شقي، وذاق الامرين ، وجاع ، وعمل ، وواصل ليله بنهاره حتى تحققت امنيته ..

وتجمع الناس من حوله يواسونه مرددين :

ـ « سليمه احمد ربنا انها جت في الحصان .. »

ولم يكونوا يدرون انه يود لو فدى الحصان بحياته ..

وبدا الجميع ينفض من حوله، كما بدا هو « يعدل » العربة تجاه الحصان الملقى على الارض فاقد الحياة ، وتعاون معه بعض الناس على رفعه فوقها ، واراح بيديه المرتعشتين راسه المملوء بالدماء ، والذي مال على احدى جانبي العربة .

وجر العربة حاملا فوقها رفيق عمره ، واثار الدم على الطريق

وعندما مر بالموقف ، نهضوا كلهم من جلساتهم ، وجروا نحوه سائلين في تلهف عما حدث ..

وبينما هو يقص عليهم الخبر ، شعر عكس ما كان يتوقع منهم ، يشاركونه حزنه العميق ، يواسونه على فقيده ، وقد الم بهم من الحزن ما الم به ..

وبعد صلاة الفجر .. عاد المعلم حسن من المسجد الى منزله، ووجد مظروفا اعطته له زوجته، فتحسه

ووجد به نقودا جمعها له زملاؤه لعلها تعوضه عما فقده ، علها تسهم في شراء حصان جديد ..

ورفع راسه الى السماء، وتساقطت دمعات حزينة من عينيه، واسلم راسه لوسادته ، ثم راح في اغفاءة ..

ـ ٢ ـ
السيجارة ..

●

دهمه سعال حاد ، حتى كاد يكتم انفاسه ، واحس باختناق شديد ، وكانت عيناه محمرتين الى حد يخيل الى الرائي ان كاسا من الدم القاني قد صب فيهما ، فاسرع باطفاء السيجارة بيد مرتعشة بسبب هزات جسمه من ذلك السعال وامتدت يده الى كوب الماء الموجود بجانب فراشه ، وجرع منه جرعة واحدة فاستراح .. وحمد الله ..

وطغى في داخله هاتف عنيف :

« كفى . كفى . كفى ، صحتك لقد نجوت اليوم من الموت ! » .

ولاح امام عينيه شبح الموت ، مخيفا ، ضخما يحجب الضوء عن عينيه وكأنه دخان ملايين من السجائر انتشرت في الغرفة ..

فعاوده الهاتف من جديد :

« كل هذا السعال من اجل هذه اللعينة .. السيجارة ، اتركها عالج نفسك .. عالج صدرك .. انت ما زلت شابا في ريعان حياتك ابن الثلاثين وتبدو في الخمسين . لقد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هدك السعال » .

وعندما استفاق من هذا الهاتف .. عاوده السعال ، فجرع جرعة ماء ، وبينما هو يستعيد انفاسه اقسم بينه وبين نفسه الا يعود الى التدخين مرة ثانية ..

ونهض من فراشه حاملا بيده علبة السجائر ، وفتح باب الشقة ونادى بصوت عال :

ـ عم يونس .. عم يونس ..

ولم يرد عليه البواب ، وحين هم بمعاودة النداء مرة اخرى بدأ يطفى .

« اتنادي البواب لتعطيه علبة السجائر .. أليس كذلك ؟ اتناديه من اجل ان يكون مثلك مدمنا ؟ ما ذنبه .. انت تعلم انه ليس في مقدوره ان يشتري علبة كبيرة .. ولا صغيرة . فكيف تغريه باعطائه هذه العلبة الكبيرة المملوءة ليتلذذ بتدخينها دون ان يدفع لها ثمنا .. انه بثمن علبة سجائر يطعم اولاده يوما ، حرام عليك .. حرام عليك . حرام عليـ..... »

وهرب من هذا الهاتف العنيف بسرعة داخل الشقة ، واغلق الباب خلفه ، كأنما يصد هذا الصوت الذي يهز كيانه ، وجلس على تلك الاريكة الملاصقة لجدار الصالة ..

ولم يلبث في الجلوس لحظات حتى اخرج من جيبه علبة السجائر، العلبة الكبيرة بما فيها من تسع عشرة سيجارة ..

ولم يشعر بنفسه الا وهو يخرج منها سيجارة تلو الاخرى ، يعبث بها ، ويمزقها ، ويفركها بعصبية ، ويلقي بها على الارض لتدوسها قدماه بلا اسف ، كمن ازاح عن نفسه عبئا ثقيلا الى الابد .

ـ ٣ ـ

انتظار ..

●

في الدقائق الباقية على بداية الامتحان كان الكثير من المشاهد والخواطر تطوف برأس « حمدي » فلقد اجاد في الاجابة عن كل مادة مرت به ، ولم يتبق له غير المادة الوحيدة التي سيمتحن بها بعد لحظات وكان يعمل لها الف حساب ، اذ كان الطلبة جميعا يعتبرونها مادة خائنة مهما احسن فيها الطالب ، فربما زل قلمه وهو لا يدري .

وتذكر امه في صباح هذا اليوم قبل حضوره اللجنة ، عندما جلس بجانبها على سجادة الصلاة وهي بوشاحها الابيض ، وهو يحاول تقبيل يدها ، وقالت له :

ـ اذهب يا ولدي مصحوبا بدعوات مني ، في رعاية الله ..



رستم كيلاني

واشرق وجهه ..

وبينما كان ينزل الدرج ، لمحته « هناء » جارته ، وحبيبته التي ظلت سبعة اعوام ترفض ـ من اجله ـ كل طالبي الزواج منها .

لم ينس فضلها عليه .. لقد وقفت بجانبه منذ التعليم الثانوي حتى اتمه ، وعمل موظفا بسيطا بعد موت والده ليكفل لامه واخوته الصغار حياة افضل .. وشجعته على انتسابه الى كلية الحقوق ليواصل تعليمه الذي انقطع بسبب تلك الظروف التي حلت به ..

رآها تبتسم له كعهده بها، وكأنما الدنيا بأكملها قد ابتسمت له، والقى عليها تحية الصباح ، فردت عليه باحسن منها ، ودعت له بالتوفيق.

وفي الطريق .. كان يتذكر تلك اللحظات السعيدة التي مرت به بصحبتها كالنسيم العطر .

ولا ينسى اليوم الذي سألها عن سبب رفض والدها لعريس اختها ، فقالت له وكان الرد كالصاعقة سقطت عليه :

ـ رفض لانه بشهادة متوسطة .

كان هذا الحديث دافعا قويا له لمواصلة اتمام تعليمه الجامعي ، فلقد عرف وقتئذ انه لن يكون هناك زواج من « هناء » قبل ان يحصل على « الليسانس » .

ظل على هذا الحال وقتا وهو يستعرض لمحات من شريط حياته وقطع عليه مواصلة العرض صوت زميل يخاطب زميلا اخر :

ـ .. لو جاء الامتحان يا فؤاد سهلا سادعوك الليلة للذهاب الى السينما ..

وسرح حمدي بخياله وكأنما يخاطب نفسه :

ـ لو جاء الامتحان يا « هناء » سهلا سادعوك الليلة للذهاب الى السينما ، وساشتري لامي علبة الملبن التي وعدتها بها ، وساعطي لاخوتي الصغار قروشا يشترون بها كل ما يرغبونه ..

آه .. لو جاء الامتحان سهلا لاطمأن قلبي ، واضمن نجاحي هذا العام بتقدير طيب ، واظفر بمنصب يليق بـ « هناء » وحينئذ يحق لي ان اتقدم لطلب يدها بكل اعزاز ، وفخر وشجاعة، واعوض كل شيء بالنسبة لامي واخوتي الصغار .. وتنتهي كل متاعبي .

وعم السكون المطبق السرادق الكبير عندما ارتفع صوت المراقب والكل آذان له واعية :

ـ لقد آن الوقت لتوزيع ورق الاسئلة ..

وبدأ الكل يعتدلون في جلساتهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طفولة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اني احبك يا صغيرة مثلما ... يهوى الصغار طرائف الاشياء
فلانت في عيني اجمل دمية ... واحب ما احببت من اهوائي
فاذا نظرت اليك نظرة واله ... ابصرت احلامي تغيم ازائي
وكحامل المنظار معكوسا ارى ... ما كان قربي في القصي النائي
بعدت مسافات السنين فبيننا ... ما ليس تبلغه سفين رجائي
تاهت بصحراء الزمان قوافلي ... وتناقل الركبان رجع حدائي

وديع ديب

استعدادا للامتحان ..

ووضعت امام حمدي ورقة الاسئلة ، وقرأ بصوت خافت بعض الآيات القرآنية ، والادعية ، ولاحت على الفور صور امه .. وهناء واخوته الصغار وهم يقولون له في صوت واحد .

« لا ترهب الموقف .. الله معك»

وبيد مرتعشة امسك بورقة الاسئلة ، وواصل القراءة في لهفة وشغف ، وارتسمت على وجهه ابتسامة مشرقة ملأت نفسه غبطة ورضا ، وتنفس الصعداء ، وسرت في اعماقه راحة نفسية عجيبة ، وقبل يده ظهرا وبطنا ، وحمد الله.

القاهرة — رستم كيلاني



وحيد الدين بهاء الدين

الياس قنصل كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

في اواخر الستينات ، ويوم آنس جورج صيدح مني ، انفتاحا ابعد مدى ، واهتماما اوسع افقا ، وتطلعا اعمق غورا ، في ميدان الادب المهجري ، شعرا ونثرا ، رشح لي ، شخصيات خليقة بالتبادل الفكري والتواصل الوجداني ، في كل شؤون وشجون ، يمكن ان تثار او تستثار ..

كان الياس قنصل واحدا من هاته الشخصيات المرموقة التي انزلت جورج صيدح من نفسه ، منزلة خاصة ، لم تتح اسبابها في يوم لغيرها من الناس ، بأي معيار كانوا ، وفي اي مستوى صاروا .. والتي لو لم تكن كذلك ، لما صدرت في حقها شهادة تزكية ، او براءة ذمة، بعد طول اختبار واصطبار ..

لعل من الاستطراد ان الممح ، انه لئن كان ثمة اصدقاء لي من الشعراء والادباء ، وفيهم جورج صيدح ، باتوا برزخا بيني وبين بعضهم في عالم الضاد : وطنا ومهجرا في المراسلات الادبية التي طالما ارهص بها تجاوب عقلي وتعاطف روحي ، فانما كنت انا الاخر همزة وصل بين هذا وذاك ، هنا او هناك ، تحقيقا لامثل صيغة في الرابطة الفكرية والثقافية ، واسمى قيمة في العلاقات الانسانية ..

من هذا المنطلق استجبت لدعوة جورج صيدح : الانسان والفنان ، شاكرا له وطائعا ، فبادرت بتحرير رسالة الى الياس قنصل ، هذا الذي سلف ان عرفته شاعرا وناقدا يتفجر حماسة وتمردا ، وانسانا يفيض صراحة وظرافة ..

الا اني لا اتذكر ، وقد بعد العهد ، ما اثرته وطرقته في ما دبجت اليه من سطور وشعور ..

تداولت الايام ، حتى تناهى الي جوابه المكثف من الارجنتين متجاوزا حدودا وقارات ، ومستهلا بقوله : « تلقيت البارحة رسالتك الكريمة فشكرت لك من صميم الفؤاد كلماتك التي اعتبرها مرآة تتجلى على صقالها اخلاقك العالية اكثر مما هي نتيجة لتأثير الادب الوضيع الذي تطلع به يراعتي . واشكر للاخ الغيور الاستاذ صيدح الذي اتاح لي ان تراسلني ـ وهو السباق الى كل مكرمة ـ فاطلع هكذا على وجه ادبي جديد للعراق ـ هذا القطر العربي العزيز الذي له في قلبي منزلة لا تفوقها منزلة » .

على انه كان من المنطق الواقعي ان يركز الياس قنصل الرد على الدور الفكري والنضالي ، الذي فرضه عليه موقعه كشاعر حساس وصحفي قديم اصدر بعض المجلات والصحف ، ليعبر عن وجهة نظر المغتربين والجالية العربية في تلك البلاد المتباعدة والمغرقة في العجمة ، وبها تتطاحن قيم مادية ، وتيارات حضارية ، ومفاهيم مذهبية . حيث يقول : « اني ازود بعض الصحف الارجنتينية باخبار العالم العربي الادبية ، ومنها ما ينشر ومنها ما يحفظ للرجوع اليه عند الحاجة . وللعراق حصة كبرى من الاخبار ، ولهذا يهمني الاطلاع على كل ما يمكن الاطلاع من وقائع الفكر في بغداد ، ويواصل : « اننا مضطرون الى الجهاد في الميدان المحلي اذا جاز هذا التعبير واقصد : المغتربين العرب ليظلوا محتفظين بالنفس العربي ما امكن . ثم اننا مضطرون بعد ذلك او قبل ذلك على الاصح الى الجهاد وقوفا في وجه الدعاية الصهيونية التي تحاول ان تكسب الراي العام ضدنا . ونحن على الرغم من عدم تماثل القوى ، مؤمنون بان النصر لنا » .

الى جانب هذا كله ، لم يتوان الياس قنصل ، عن بسط ما كان له من امر كتابه النقدي الجريء « من ادب المغتربين » . هذا الذي اثار في وقته ، اصداء وردود فعل معاكسة من تساؤلات وتعقيبات في منتديات المهجر ، وفي

بعض صحف الوطن العربي ، محاولا ان يجعل من نزعته الذاتية التي اليها وظيفته الادبية ، خطا اساسيا ثابتا ، لا يتنكر له ، ولا ينحرف عنه ولا يخرج عليه ، فقد نوه بما رام : « ان ادب المغتربين ـ وانا جندي بسيط في جيشه اللجب ـ قد ادى مهمته على ما اعتقد.. وفخره انه كان صادقا في شعوره وتعبيره لم يمالىء ولم يلجأ الى « المقبلات الاصطناعية » ولا يستطيع ان يقدر الصعوبات التي وقفت في طريقه في الاونة الاخيرة الا من يعرف الحالة التي آلت اليها المهاجرة العربية » .

ثم يبدو ان الياس قنصل ، ايمانا منه بأدب المهاجر الجديد ، الزمته نزعته ، اظهار الوجه السلبي والايجابي له ، ضمانا لديمومته ، وامعانا في جبروته ، فبات نشيطا مكاتبا صحفا ومجلات على امتداد الوطن العربي ، مزودا اياها باخبار المهاجرين الغتربين الادبية والسياسية خائضا في صراع مرير مع الصهاينة ، في حين بدا ينشر انتاجه المنوع من قصائد وابحاث ونقدات ، فما كنت ترى صحيفة عربية ، خلت من شعره او نثره .. من اسمه او رسمه.. وفي واحدة من رسائله الي يقول : « ان القوى بينهم ـ يريد بذلك الصهاينة ـ وبيننا غير متكافئة لانهم يقدرون ان يبذلوا ما ارادوا فلهم موارد رسمية يستقون منها . اما نحن فاننا نبذل من « اللحم الحي » ولكنني اكرر بأن ايماني لا يتزعزع بفوزنا » .

انه كان يثبت حضوره .. وينطلق على سجيته ، ويطل على الدنيا هذه الشاسعة بكل وعيه وسعيه ، مطلقا نلمته ، معليا راس امته في اي محفل ومجمع ، وعلى قدر مشترك من الجدة والاصالة ، وعلى مستوى رائع بلا تعالم وتعال .. لا لشيء الا لانه صورة مصغرة لواقع ادب المهجر ..

ثم يلاحظ ان الياس قنصل ، كان يردف ما يؤديه عملا ، بشيء مقابل له ، ذي اثر وقيمة ، وعلى استطاعة، كان ينقل اهم انباء ادباء الوطن وشعرائه وسياسييه الى صحف المهجر واندیته وجمعياته ، بغية تلاوتها في الجلسات او منا ها على المنابر ، او اذاعتها بين الملأ اطلاعا عليها، وادرار تأثيرها ، ووصولا الى نتيجتها ..

وقد يكون من النصفة الاشارة الى ان الياس قنصل بسبب من التزامه الادبي ، كان يقف في بعض الاحايين الى جانب المسحوقين والمتظلمين من الشعراء والمفكرين ، سواء اكانوا بالمهجر ام بالوطن ، خلاصا لهم من محنهم ومآسيهم .. وما برحت اتذكر كيف اسرع هو ورهط من زملائه في عقد الستينات ، في رفع احتجاج او شيء من هذا القبيل .

في كل رسالة يسوقها الي الياس قنصل ، كان يسألني عن نشاطي الادبي ونشاط اخواني في القطر العراقي ، فكنت من جانبي اجيبه عن ما يريد بالافادة طورا .. والافاضة طورا اخر .. ولعل في ايماءته ما يغني عن التفصيل : « اخبرني بالتفصيل عن نشاطك الادبي وعن نشاط الاخوان الذين لك بهم صلة واعلم ان اخبارك واخبارهم السارة تنزل على نفسي بردا وسلاما ، وكل مقالة تصدر في العراق عن ادب المغتربين يشوقني الاطلاع عليها ، وواصلني باخباركم الادبية السارة وهي تنزل على قلبي بردا وسلاما » .

ويوم اهداني نسخة من كل من كتابيه « رباعيات قنصل » و « فلسفة حمار » مهد ذلك بعبارة لا تخلو من فكاهة وتواضع : « في بريد اليوم ارسلت اليكم كتابي « رباعيات » ونسخة من كتابي « فلسفة حمار » متمنيا ان يروق لكم ما يحويانه من ادب وضيع » .

فما ترددت ان تحينت الفرصة الموائمة ، ان اشكر له مشاعره ، واقدر مواهبه ، ثم ان اقابله بما اعتدت ان اقابل به الاخرين ، ردا على الصنيع ، وترسيخا لصلة الفكر ، التي تجمع على اكرم حال ..

في مطلع عام ١٩٦٧ فوجئت بكتاب لالياس قنصل ، عنوانه : « من مناهل الحياة » ، مطروحا في مكتبات بغداد ومطبوعا من لدن وزارة الثقافة والارشاد .. فابتعت منه نسخة استمتاعا بمطالعته وتكريما لمؤلفه الصديق ..

بينما جعلت ارتشف « من مناهل الحياة » كؤوسا ملأى بالحب والمجد والجمال ، باغتني الياس قنصل برسالة ، يرجوني بها كل الرجاء ان اطير له نسخة من كتابه الجديد هذا ، فيقول : « لقد حزرت انني لم استلم حتى الان من وزارة الثقافة والارشاد اية نسخة من كتابي « من مناهل الحياة » ، فاذا رأيت ان تتكرم وتبعث الي به، شكرت لك من صميم الفؤاد صنيعك » .

توليت ارسال نسخة من كتابه اليه بالبريد الجوي ـ وان كنت واثقا ان حصته من الكتاب ـ وهي مئة نسخة ـ قد ارسلت اليه رسميا .

ما ان بلغته نسخة الكتاب حتى وافاني شكره الجزيل، مقرونا بطلب جديد . « اشكر لكم من الصميم تكرمكم علي بنسخة من كتابي « من مناهل الحياة » وقد رأيت في مظهركم هذا دليلا جديدا على نبل اخلاقكم وشرف صداقتكم التي اعتز بها كل الاعتزاز » . ويواصل : « ان ما عرفته فيكم من سمو الشمائل يشجعني على ازعاجكم بهذه الرغبة ، وهي ان تتكرموا وترسلوا الي ما تستطيعون مما يمكن ان يكتب عن كتابي الجديد « من مناهل الحياة » لاتلافى الاخطاء التي يشار اليها في طبعة قادمة » .

فاذا كان طلبه بارسال نسخة من كتابه اليه جوا قد تحقق، فان تزويده بما يكتب عنه لم يتم قطعا، لا لشيء الا لاني لم اقرأ وان شئت فقل لم اصادف كلمة ولو واحدة عنه .

ولكن يوم ادركته حصته من نسخ الكتاب ، من وزارة الثقافة والارشاد ، لم يعد الي نسختي الخاصة

المشتراة من كتابه من السوق ، ناهيك باهداء نسخة منه الي ، تعبيرا عن وفاء مشترك او اعترافا بالجميل اومقابلة بالمثل ، وهذا اضعف الايمان ..

هنا افتر ثغري عن ابتسامة ما .. ثم لم اشأ ان اعاتبه على ذلك لا في مراسلاتنا ولا في ملاقاتنا في ما بعد ، وان صار العتاب من حقي ، عملا بقول الشاعر الحكيم :

اما العتاب فبالاحبة اخلق والحب يصلح بالعتاب ويصدق

★ ★ ★

على اثر هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ ، اندحر الياس قنصل ككل ذي بصر وبصيرة ، وانغمر في خضم من تعجب وتساؤل من ما حصل .. لم يعتم ان كتب الي بنبرة حزينة عميقة ، وان علاها امل بالغد .. « لقد ضعضعتنا الكارثة ـ اننا كنا ننتظر كل شيء الا ما افضت اليه واصبحنا مضطرين الى تبرير هذه النكسة امام الغرباء وهم لا يستطيعون ان يلموا بدقائق الحوادث ، وانما يتناولون مظاهرها ويحكمون من خلالها ، وما اقسى احكامهم » ! ويستطرد : « اننا لم نفقد الثقة بالعروبة ولن نفقدها ، ونحن مقتنعون ان الغلبة ستكون لنا اخيرا . ان ذلك يتطلب جهودا جبارة فوق الطاقة ، ولكننا على استعداد لبذلها » .

فالياس قنصل كلف بالعروبة وادابها .. مؤمن بمستقبلها وتراثها .. متشوق الى وحدتها وسيادتها المطلقة، وان اعتورت مسيرتها نكسات ومؤامرات واخفاقات .. وانعقد في اجوائها ظلام الزمن وظلم المأجورين الموتورين .. وانما اشار الى هذه الحالة الزائلة بالضرورة ، بفعل الاحداث ، وحتمية التحول الحضاري ، وانبعاث روح اليقظة والتجدد والتمرد في النفوس الغافية المتخاذلة ، اذ قال : « نحن ـ كما تعهد ـ نسير على النهج الذي شاءه لنا القدر لا نكل ولا نمل ، وان كان الهدف الاخير بعيدا. اننا شديدو الايمان بمصير العروبة التي تجتاز الان عهدا من اخطر عهودها . واكرر ما قلته لك سابقا : ان النصر لنا ، احب اعداؤنا ام كرهوا » .

هذا كله يحفزني على التأكد من ان الياس قنصل ، كان حريصا كل الحرص على تبيان الحق العربي الطبيعي في فلسطين على امتداد العهود ، في صحف ومجلات اصدرها بنفسه او عمل بها محررا ك « الجريدة السورية اللبنانية » ومجلتي « المناهل » و « الفنون » وفي الصحافة العربية والمهجرية واجهزة الاعلام الاخرى ، من غير تهيب او تنصل مستمرئا في سبيل ذلك ، ما كان يعانيه من ازورار واستنكار ، ما دام القدر بواه هذا الموقع وشرفه بمهمة الذياد عن حياض امته العربية : ذات الحضارة العريقة والتراث الخالد ..

★ ★ ★

لا يصح ان يغيب عن الاذهان ، ان نهضة الادب المهجري ، المنسحبة بآفاقها وسماتها ، على واقع الثقافة العربية الحديثة ، لم تعدم نقادا او باحثين ، حاولوا القدح فيه ، والنيل من اصحابه ، ثم العيب على جماليته وشموليته ، ثم فاعليته في مجرى الفكر المعاصر، بدعوى الضحالة والمحاكاة طورا ، والتغرب والتباعد نحو الروح العربية وتراثها طورا اخر ، وليست ببعيدة عنا آراء طه حسين ، وعزيز اباظة ، وصلاح لبكي ، ومحمد النويهي ومن اليهم ..

الا ان هاتيك الاصوات وان خفتت او تراجعت على مدى الاعوام فانها عادت وبشكل آخر بعد هزيمة حزيران اللعينة ، وحين احتفل بالذكرى المئوية لميلاد احمد شوقي.

هنا انبرى الياس قنصل كما انبرى في المرة الاولى بمقال حاد ، عنوانه « من ذيول المعركة » منساقا بغيرته الادبية ، لهؤلاء الذين اطلقوا صيحات الاقليمية والعصبية، يوسعهم تثريبا وتأنيبا ، ويعريهم في مشهد الفكر والشعر، قائلا في قصيدته « منائر الحياة » :

وتلالات من شعرنا آياته كالزهر ، كالانسام ، كالانداء
شوقي وكم للضاد من فتح اذا احصى الكفاح مآثر البعداء
انا رفعناها شعارا منزلا للنبل في السراء والضراء
خاض المصاعب والمخاطر غيرنا وجهوده ترمي الى الانراء
ومضى بنا الايثار في نهج العلى متلفعا بمشقة وعناء
ما همنا ان لبثنا مثلما حكمت شهامتنا من الفقراء
لم نخل مضمار الكفاح ولم نخض غمراته طمعا بأي جزاء
هوت الخطوب فلم نفسر جبهة للمال مع ما فيه من اغواء
وعلا الوعيد من الغريب فلم ينل منا سوى الاعراض والاغضاء
بخس الحسود بأننا متناسيا ما فيه من بدع ومن انشاء
ان العروبة نحن نحن سيوفها وبنا تجر مطارف الخيلاء
الم البعاد ولوعة التحنان في اقلامنا شدو وطيب وفاء

★ ★ ★

في ربيع ١٩٧٣ صدر كتابي القصصي «نداء الشوق» فعلى جاري عادتي ارسلت منه بنسخة هدية الى الياس قنصل ، كما ارسلت الى غيره ، رمزا للولاء الادبي المتجدد، فاذا به يهتز اريحية تدعوه لان يحرر الي رسالة ويقول بها : « تلقيت في هذا الاسبوع هديتك النفيسة كتابك «نداء الشوق » فشكرت لك من صميم الفؤاد مظهرك النبيل ، وسأعمد الى مطالعته بما يستحقه من عناية وتقدير » . كذلك يقول مواصلا : « اني ارافق بالاعجاب الشامل نشاطك الادبي الموفق واطالع بنات افكارك الطريفة في الصحف التي تصلني من العالم العربي فأرى فيها الاسلوب الشائق والفكرة النيرة . ان الضاد التي يحق لها ان تفخر باديب مثلك تتمنى ان تتابع المسير في هذا الدرب الشائك الذي اخترته لنفسك . اني امون بعض الصحف المحلية الكبرى بالاخبار الادبية عن الوطن العربي وهي تحتفظ بها الى حين الحاجة .. وقد كتبت لها عن نشاطك الفكري المتواصل . فاذا رايت ان تبعث الي بسطور من حياتك

كان شكري الك جزيلا » .

★ ★ ★

ثم تداولت الايام، واخبار الياس قنصل الشخصية والادبية بدات تنقطع .. بدا لى ، كذلك يبدو دائما ، ان ذلك شيء طبيعي ، في حياة المرء العاني ، الغارق في همومه واهتماماته ، ما دامت دنياه تتقلب وتتكدر تارة، ثم تتجدد وتصفو تارة اخرى ، حتى لتجعله يستكين لارادتها راغبا او راغما ؛ ويستجيب لندائها طوعا او اكراها .. ثم تظهره ـ وهذا اغرب ما في الامر ـ بالمظهر غير الطبيعي امام الاخرين ..

فلم تتواصل بيننا في ما بعد مراسلات ومناجيات بالمعنى الصحيح ، بالرغم من لقاءاتنا قصدا او غير قصد على انهر الصحف والمجلات ، هنا او هناك ، وبالرغم من تسقط كل منا انباء الاخر من بعض مريديه ومشايعيه .

لكن في يوم من ايام خريف ١٩٧٨ انتهت الي نسخة هدية من ديوان « الحان الغروب » لالياس قنصل ، من دمشق بدلا من بيونس ايرس بسبب من اضطلاع اتحاد الكتاب العرب بسوريا ، بطبعه واخراجه ، حيث بعث بها الي اخوه : حنا قنصل ، هذا الذي لم اكن قد سمعت به بعد ، وكتب على صفحتها الاولى : « بتكليف من اخي الياس قنصل ، اقدم هذا الديوان الى الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين المحترم لما له من بعض الايادي في سبيل الادب. مع اصدق التحية وعميق الاحترام : حنا قنصل » .

من هنا اقتضى ان اوجه رسالة ملؤها الشكر والذكر الى الاستاذ حنا قنصل ، وانا اتشرف بمعرفته والتوجه اليه ، مقيما نبوغ اخيه الياس الشعري والفكري ، ووفاءه الحري بالاعتزاز ..

وفي بواكير صيف ١٩٧٩ تسلمت على غير توقع ، رسالة من الياس قنصل ، يفصح فيها عن مبلغ ما يطويه بين جنبيه من عواطف عامرة ، يخلع عليها تطاول الايام شبوبا واصالة .. اذ يقول : « كلفنا احد الاصدقاء من اعضاء لجنة المغتربين الذين زاروا العراق منذ اسابيع ، ان يتصل بك ويبلغك تحياتنا العاطرة ومن سوء حظه ان وقته لم يتسع لهذه المهمة التي كان يكون هو الرابح منها .. اننا نتابع نشاطك الادبي الموفق ونطالع بها يراعتك البارعة من مقالات تزيد في ثروة الفكر العربي الحديث ».

في عصر الجمعة : السابع والعشرين من تموز ١٩٧٩، دق الهاتف بدارتي ، فاذا صوت صديقي الصحفي العتيق المعتق : صبيح الغافقي ، يلعلع عبر الاسلاك، ويستدرجني كعادته الى حوار مستطرد ، ثم يفاجئني :

ـ تكلم ..؟!

ـ مع من اتكلم ؟

ـ تفضل تكلم .. وتزحزح من مكانه .

ـ كيف انت يا صديقي ؟

صوت غريب .. ولهجة غير عراقية وغير مالوفة :

ـ من ؟

ـ انا الياس قنصل .. في بغداد .. كيف حالك ؟!

ادهش :

ـ اهلا .. اهلا بالقادم .. امر ما كان في انتظاري !

ادركت منزل الاستاذ الغافقي ، واخفقت في الوصول الى منزلك ..

ـ شكرا . ومرحبا بك .. مرة اخرى . كيف انت والاخرون : زكي قنصل . عبد اللطيف اليونس . محمد حامد .. ودلال كباس .

ـ انهم في خير .. والحديث طويل .

ـ متى قدمت .. واين ساكن ؟

ـ منذ يومين ... وانا هنا بدعوة كريمة من وزارة الثقافة والاعلام ، ونازل في فندق بغداد .. ولا بد من رؤيتك !!

ـ اقدر احساسك الفياض .. ما رايك في لقاء في الثامنة من مساء الغد بالفندق ؟

ـ يسرني هذا ايما سرور ..

كان لقاؤنا في الموعد المضروب ، حارا وشائقا دام ساعات ثلاثا .. عبر عن ذاته ، بكل طرافة فكرية ، وقراءة شعرية ، واصالة وجدانية ، وعلاقة انسانية ..

بعيد عودته الى مغتربه سالما غانما ، ارسلت اليه بما عن لي من قصاصات الصحف والمجلات ، التي اجرت معه احاديث شتى في الواقع السياسي والثقافي والاجتماعي للمهاجرين العرب ، هؤلاء الذين آثروا غربة اوطانهم ، وفراق اهليهم ، واستعذبوا متاعب جمة من اجل ارساء قواعد حياتهم ، واثبات حضورهم الحضاري والانساني .

ثم ادركني شكره على جناح السرعة ، وهو يفضي : « كنت اود وانا في بغداد ـ ان يتاح لنا لقاء ثان ولكن الارتباطات الرسمية ـ وانت تعرف ـ حالت دون بلوغي امنيات عديدة ، في طليعتها الاستمتاع بحديثك العذب اطول فترة ممكنة » . ثم يواصل : « شكرا لك والف شكر على قصاصات « الجمهورية » وهذه يد بيضاء اضيفها الى اياديك السابقة .. واصلني باخبار نشاطك الادبي الدائم واسلم معافى لاخيك ..

★ ★ ★

دار ما يقرب من عام ..

في ضحى الجمعة : الحادي عشر من تموز ١٩٨٠ ، جاءني ـ وانا في البيت ـ من يخبرني ، ان في الباب غريبا، لهجته لبنانية ، يريد ان يراك .

حثثت الخطى ، وانا بمباذلي ، فاذا بي وجها لوجه مع الياس قنصل .. فقال ـ ووجهه محمر ، وجسده يتفصد عرقا وكلماته متعثرة على فمه :

ـ منذ اكثر من ساعة ، ابحث عن بيتك في هـــذه المنطقة .. حيث اشرق مع زميلي بالسيـــارة واغـرب ، حتى هدانا الله ..

ـ الحمد لله على سلامتك . والاسف على ما حصل لك من عناء .. والشكر لك على تفضلك بزيارتي ..

ـ هل هذه منطقة « الكرود » وهي ذات افـــرع متكاثرة وازقة متداخلة ..

متفكها ومعقبا على احتجاجه غير المباشر :

ـ وان شئت فقل منطقة « القرود » على حـــد تعبير صديقنا وديع فلسطين ..

فتضاحكنا ..

استقر به وبمرافقه الجلوس في غرفة الضيوف ..

رحت ارحب به مرة اخرى .. واعبر له عن مسرتي بقدومه المباغت المبارك ، وقلت :

ـ كتب الله لنا لقاء ثانيا ..؟

ـ اني سعيد بك .. والا لما جئتـــك بنفسي ..

و (متابعا) :

ـ ازور العراق بدعوة رسمية من وزارة الثقافـــة والاعلام للحضور في اعياد تموز ..

ـ زيارة رائعة .. وعلى الرحب والسعة . كيـف هي جهودك الادبية ؟

ـ ظهر لي كتاب عن هـــذا القطر العربي المتحرر المتطور ، عنوانه « العراق الحديث » اذ وضعته باللغـة الاسبانية ، وسيصل الى بغداد في القريب العاجل .

ـ وهل لك سابقة في التأليف باللغة الاسبانية ؟!

ـ نعم اخرجت كتابا قبل مدة عن « جبران خليـل جبران » وقد لقيت في سبيل نشره تعبا ، لان الناشريـن في الارجنتين رفضوا طبعه .. ولكن الله نصرني في النهاية.

وعلى رسل خضنا في حوار ادبي متشعب ، استغرق كل ما كان يجول في الذهن ، واستنفد كل ما اتيح لنا من وقت ..

زاد لقاءنا اهمية تاريخية ، ومتعـة روحية ، ان التقطت لنا صورة تذكارية ملونة ، سرعان ما بلغتني نسخة منها ، ما انفككت محتفظا بها للذكرى والسلوى .. وقد توجت بهذه العبارة : « من مكاسبي الادبيـــة الغالية في زيارتي الاخيرة للعراق العزيز رؤية الاخ الكريم والمفكـر اللبق الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين ، فاليه شكـري وتقديري والى اسرته النبيلة فائـــق احترامي . الياس قنصل ـ بيونس ايرس ـ آب ١٩٨٠ » .

حين هم بالانصراف ، حاولت ثنيه بكل ما استطعت اليه طريقا ، بغية استبقائه عندي للاستئناس بحديثـــه الطلي الصريح ، واستضافته ، غير انه اعتذر بكل شدة ، لالتزاماته الاخرى ، ولا بد من الوفاء لها ..

على الباب الخارجي ، ودعته بشعائر الامتنان والولاء والذكرى ..

ثم ترامى الي ان الياس قنصل في خلال مكوثـــه ببغداد ضيفا ، شارك في اعياد تموز بالقاء قصيدة مـــن قصائده ، في قصر الثقافة والفنون .. كما تقدم بمسودة كتابه الجديد الطريف : « اكاذيب صادقة » الى دائـــرة الشؤون الثقافية ، بوزارة الثقافة والاعلام ، توطئة لنشره، حيث ظهر الى الوجود في الشتاء الفائت ..

★ ★ ★

تم لقاءان بيني وبين الياس قنصل ..

فما رأيته فيهما شاكيا من حالة او عارض ، او باديا عليه الداء .. وانما وجدته في صحـة وطمانينة تحملان على تفاؤل ، وان كانت اغواره تفـور كما لو كان بركانـا ثائرا ..

لكن الاجل الذي له كتاب ، يأبى ان يقر بهذا الذي ابسطه او استطرد اليه ، ما دام كل شيء ، من الازل الى الابد ، قد ضبط وحدد في لوح الوجود ..

في صبيحة الثالث والعشرين من شهر ايار ـ مايو ـ ١٩٨١ ، بينما كنت اقرأ كالعادة الصحف البغدادية ، وقع مصادفة نظري في واحدة منها ، على صورة لالياس قنصل، وكلمة مكثفة في نعيه ، هذا الذي لم يكن قد طرق سمعي بعد ...

وادهش كما اعتدت ان ادهش في مثل هذه المباغتات .. فتقدرون وتضحك الاقدار ..

فقد توفي في العشريـــن من شهر اذار ـ مارس ـ الفارط في مغتربه القاصي ، على اثـر عمليـة جراحيـة اجريت له ..

هكذا انطفأ قنديل اخر من قناديل الادب المهجري ..

وسكت بلبل من بلابله الغردة ..

وسقط صريعا جندي من جنوده الشجعان ..

وتلك بداية النهاية ..

بغداد — وحيد الدين بهاء الدين

اشتركوا في مجلـة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

بنفسجية الأسماء

مي ناصر بدوي

الدار البيضاء ـ المغرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



« والله زمان .. يا بلادي »
حين كنت مثل صدر مورق
كان البحارة الخرافيون ...
يتناولون قهوتهم
على جبينك الوردي ..
وحين كنت تطلعين
من غابات الضوء
وبنفسجية الاسماء

كان البحارة يعيشون بجدول الياسمين
وحين كنت كاسلاك الوشم المرقن
فوق الدم العربي
كانت اظافرهم تختفي
تحت جلودهم
كاظافر الفجر ..
البحارة في مدينتي ..
جاءوا .. من مدينتي
وحين استدعي صدرك للتحقيق
في نادي الخرافين ..
كان الكرياج سيد الموقف ..
« والله زما ن يا بلادي »

البحارة يسرقون قرميد بيروت
لكي يصنعوا منه
كاتما للصوت
كاسيتا ملغوما للبيع
البحارة يقتالون بيروت
يتركونها مثل بطن الغريق ..
تصبح بيروت منشورا سريا
ممنوعا من التداول
تصيح .. ولا تصيح
« والله زما ن يا بلادي »

بيروت .. يا مدينتي المطلقة ..
البحارة .. الذين عبثوا في وجنتيك ..
ستطلع عليهم الشمس غدا ..
وحين يفاجاون بالشمس
لا تدعيهم يفلتون من قبضة البحر ..
لانك البحر .. والغريق .
« انك اعظم من شيخهم ،
وكعبك من خدهم اشرف »

المعرفة والحكمة "لبرتراندرسل"

ترجمة جرجس عبده

* * *

معظم الناس متفقون على ان عصرنا مع انه قد فاق جميع العصور السابقة فيما احرز من العلم والمعرفة ، فلا وجود فيه لما يقارب هذه الزيادة في الحكمة . ولكن الموافقة تتوقف عندما نحاول تعريف « الحكمة » ونتدبر الوسائل الى زيادتها . واحب ان اسأل اولا ما هي الحكمة ، ثم ما الذي يمكن عمله لتعليمها .

وهناك فيما اعتقد عوامل متعددة تشترك في تكوين الحكمة . واول ما سأذكره منها الاحساس بالتناسب ، والقدرة على الالمام بكل العناصر المهمة في مشكلة ما من المشاكل ووزن كل من هذه العناصر بما يلائمه من التقدير. وقد اصبح هذا اكبر صعوبة مما كان نظرا لمقدار وتعقيد المعرفة المتخصصة التي يحتاجها صنوف الاخصائيين المختلفين . افرض مثلا انك مهتم بالبحث في علم الطب . فالعمل صعب ويكاد يستغرق كل طاقتك العقلية . وليس لديك وقت لتقدير الاثر الذي قد يكون لاكتشافاتك او اختراعاتك خارج ميدان الطب . ولنقل انك تنجح ، كما نجح الطب الحديث ، في تخصيص نسبة الوفيات بين الاطفال خفضا كبيرا ، لا في اوروبا وامريكا فقط ، ولكن في اسيا وافريقيا ايضا . وكانت لذلك نتيجة عرضية تماما هي جعل محصول الغذاء غير كاف وخفض مستوى المعيشة في معظم الاجزاء المكتظة بالسكان في العالم . ولنأخذ مثالا اخر ذا طابع عملي اكثر ، يشغل اذهان جميع الناس في الوقت الحاضر . فانت تدرس تركيب الذرة للرغبة النزيهة في المعرفة ، ثم تضع عرضا في ايدي مجانين اقوياء طريقة لتدمير الجنس البشري . وفي مثل هذه النواحي قد يصبح اقتفاء المعرفة ضارا ما لم يقترن بالحكمة ، والحكمة بمعنى الرؤية المدركة لا يتحتم وجودها عند المتخصصين في البحث عن المعرفة .

على ان الادراك وحده غير كاف لانشاء الحكمة ، فلا بد ايضا من وجود وعي معين بغايات الحياة البشرية ، ويمكن ان توضح هذا دراسة التاريخ . فالكثير من مشاهير المؤرخين قد اضروا اكثر مما افادوا لانهم نظروا الى الوقائع من خلال مشاعرهم الخاصة المنحرفة . وقد كانت لهجل فلسفة تاريخية لم يعتورها اي نقص في الادراك ، اذ بدات من اقدم الازمان واستمرت الى مستقبل غير محدود . ولكن الدرس الرئيسي في التاريخ الذي سعى لتلقينه هو ان المانيا منذ عام ٤٠٠ للميلاد حتى عصره كانت هي اهم دولة تعتبر معيارا للتقدم في العالم . وربما استطاع المرء توسيع مدلول الادراك الذي ينشىء الحكمة ليتضمن لا العقل وحده ولكن الوجدان ايضا . وليس من النادر ان نجد اناسا ذوي معرفة واسعة ولكن مشاعرهم ضيقة ، مثل اولئك الناس يعوزهم ما اسميه الحكمة .

والحكمة مطلوبة ، لا من النواحي العامة فقط ، ولكن في الحياة الخاصة كذلك . فهي لازمة في اختيار الاهداف التي نسير اليها وفي الخلاص من التحيزات الشخصية . وحتى الهدف الذي يكون من النيل السير اليه اذا كان ممكن البلوغ قد يكون الاتجاه اليه خاليا من الحكمة اذا كان مستحيل التحقيق . فالكثير من الناس في العصور السالفة كرسوا حياتهم للبحث عن حجر الفلاسفة واكسير الحياة.

ولا شك انهم لو كانوا استطاعوا الوصول اليهما لاغدقوا اعظم الخيرات على النوع الانساني ، ولكن الذي حدث ان حياتهم قد ضاعت هدرا . ولنهبط الى امور اقل بطولة ، ولننظر في حالة رجلين ، فالسيد (أ) والسيد (ب) اللذان يكرهان احدهما الاخر ، ينتهيان عن طريق كرههما المتبادل الى دمار كل منهما للاخر . وافرض انك ذهبت الى السيد (ا) وقلت له: لماذا تكره السيد (ب)؟ وسنعرض عليك دون شك قائمة مفزعة عن رذائل السيد (ب) ، بعضها صحيح وبعضها كاذب . ثم افرض الان انك ذهبت الى السيد (ب) وسيعرض عليك قائمة مشابهة تماما عن رذائل السيد (ا) تشتمل على خليط مشابه من الصدق والكذب . وافرض انك قد عدت الان الى السيد (ا) وقلت له « انك ستدهش اذا علمت ان السيد (ب) يقول عنك نفس ما قلته عنه » ثم ذهبت الى السيد (ب) وقلت له نفس الشيء . والاثر الاول سيكون دون شك هو مضاعفة كرههما المتبادل ، اذ سيرتاع كل منهما لظلم الاخر . ولكن ربما اذا كان لديك من كفاية الصبر وقدرة الاقناع ، فقد تنجح في ان تثبت لكليهما ان لامر ليس له الا النصيب المعتاد من العقوق البشري ، وان عداوتهما مضرة بكليهما . واذا استطعت ذلك فقد لقنت درسا في الحكمة .

واحسب ان جوهر الحكمة يكمن في الانعتاق قدر الممكن من طغيان اللحظة الحاضرة . فنحن لا نستطيع

حب الطبيعة

يا من طواه الياس اقبل وانشغل ... بالخلد يجل الياس عنك ويحجب
ادفع بذاتك للطبيعة ناشطا ... فاذا حياتك وفق ما تتطلب
السعد معناه المشاغل فانشغل ... ان الفراغ تعاسة تتقلب
وانزح عن البلدان والجا للفلا ... وابحث فان الارض فيها المعجب

الرياض — خالد مصباح مظلوم

الخلاص من انانية حواسنا . فالبصر والسمع واللمس مرتبطة بأبداننا ولا يمكن تجريدها عن الشخصية . وعواطفنا تبدأ بالمثل من ذواتنا . فالطفل يحس الجوع والمضايقة ، ولا يكون طبيعيا الا على اساس حالته الجسمية . وبتوالي السنين يتسع افقه تدريجيا ، وعلى قدر ما تكون افكاره ومشاعره اقل تركيزا حول شخصه واقل اهتماما بحالته البدنية ، يحرز حكمة نامية . وهذه المسألة بطبيعة الحالة مسألة نسبية . فما من احد يمكنه النظر الى العالم نظرة كاملة النزاهة ، ولو استطاع ذلك ربما تعذر عليه البقاء على قيد الحياة . ولكن من الممكن الاقتراب المستمر من هذا الانصاف وعدم التحيز ، بمعرفة امور بعيدة في الزمان والمكان من جهة ، ومن جهة اخرى باعطاء هذه الامور قدرها المناسب من الوزن في مشاعرنا . وهذا الاقتراب التدريجي نحو الانصاف هو الذي يساعد على نمو الحكمة .

فهل الحكمة بهذا المعنى يمكن تعليمها ؟ واذا امكن ذلك فهل تعليمها يجب ان يكون احد اهداف التربية ؟ وساجيب على هذين السؤالين بالاثبات . فنحن نسمع في ايام الآحاد انه يجب علينا ان نحب جارنا كنفسنا . وفي الايام الستة الاخرى نحرض على كرهه . وقد تقول ان هذا لا معنى له ، اذ ان جارنا ليس هو الذي نحرض على كرهه . ولكنك ستتذكر ان جارنا الذي ضرب عنه المثل هو السامري . ولم تعد بنا اي رغبة لكره السامريين ، وبذا فنحن اقرب الى ان تفوتنا نقطة المثل . واذا شئت ان تعرف نقطته فيجب ان تضع الشيوعيين او المقاومين للشيوعيين ، حسبما تكون الحالة ، بدل السامري . وقد يعترض البعض بأن من الصواب كره الذين يحدثون الضرر . ولست ارى ذلك . فانت اذا كرهتهم فحري بك جدا ان تصبح ضارا بالمثل ، وليس من المنتظر ابدا انك ستغريهم بترك طرقهم الشريرة . فكره الشر هو ذاته نوع من الوقوع في قبضة الشر . وطريق الخروج تكون بواسطة الفهم ، لا بواسطة الكره . ولست مؤيدا لعدم المقاومة . ولكني اقول ان المقاومة ان كانت ستؤثر في منع انتشار الشر ، فيجب ان تقترن باكبر درجة من الفهم والادراك وباقل درجة من العنف ، بما يتوافق مع بقاء النواحي الحسنة التي نرغب في المحافظة عليها .

ويؤكد الكثيرون بشدة بان النظرة التي اؤيدها تتعارض مع القدرة على التصرف في النواحي العملية . ولست اظن ان التاريخ يثبت هذه الوجهة . فالملكة اليزابيث الاولى في انجلترا وهنري الرابع في فرنسا عاشا في عالم كان كل شخص فيه متعصبا سواء في صفوف البروتستانتيين او في صفوف الكاثوليك . وكلاهما ظل متحررا من اخطاء عصره ، وكلاهما ببقائه هكذا ، كان نافعا وليس عديم الاثر دون شك وابراهام لنكولن ساق الى حرب كبرى دون الخروج عما اسميه حكمة .

وقد قلت بأن درجة من الحكمة يمكن تعليمها . واعتقد ان هذا التعليم يجب ان يكون فيه عنصر عقلي اكبر مما كان مألوفا فيما يعتبر كتعليم اخلاقي . واظن ان النتائج الوبيلة للكره وضيق الذهن عند من يحسونها يمكن ان يشار اليها عرضا في منهج تعليم المعرفة . ولست ارى ان المعرفة والاخلاق ينبغي الفصل بينهما فصلا شديدا . ومن الصحيح ان نوع المعرفة المتخصصة التي تلزم لضروب المهارات المختلفة ذات دخل قليل جدا بالحكمة . ولكنها يجب ان تقترن في التربية باشرافات اوسع تقدر لوضعها في مكانها من جملة الجهود الانسانية . وحتى افضل الفنيين ينبغي ان يكونوا ايضا مواطنين صالحين ، وعندما اقول (مواطنين) ، اقصد مواطنين عالميين لا في هذه البقعة او هذا الشعب من بقاع العالم وشعوبه . ومع كل زيادة في المعرفة والمهارة ، تصبح الحكمة اكثر لزوما ، لان كل زيادة ترفع قدرتنا على تحقيق اهدافنا ، وبذلك ترفع قدرتنا على احداث الشر ، اذا كانت اهدافنا غير حكيمة . والعالم الان يحتاج الى الحكمة كما لم يسبق ان احتاجها من قبل ، واذا استمرت المعرفة في الزيادة ، فسيحتاج العالم الى الحكمة في المستقبل اكثر مما يحتاجها الان .

القاهرة — جرجس عبده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور فوزي عطوي

جورج صيدح ورسائله المطوية

بقلم الدكتور فوزي عطوي

* * *

عندما تلطف الاخ الاديب الذواقة الاستاذ عيسى فتوح بادراج اسمي في عداد اصدقاء الشاعر المهجري الكبير الراحل جورج صيدح ، وطلب الي واليهم ان نقوم بنشر ما انطوى من آثار جورج صيدح القلمية ، ولا سيما رسائله الادبية والاخوانية التي تحمل نفثات الشاعر المهجري الصديق ، احسست ، مثلما احس اصدقاء صيدح الاخرون ، بانني اصبحت امام مسؤولية تاريخية ادبية ، وجها لوجه .

واذا كان فضل السبق مرصودا للاخ الاستاذ عيسى فتوح في المبادرة الى الدعوة لنشر الكتابات الصيدحية ، فان للاخوين الادبيين الدكتور عبد السلام عجيلي في سوريا ، ووحيد الدين بهاء الدين في العراق ، فضل السبق الى تلبية الدعوة الفتوحية الكريمة ، فلا بأس ان اكون ثالثهما ، ايمانا مني بأن الرسائل الادبية ، بوجه خاص ، تصبح بعد وفاة كاتبها في ذمة التاريخ الادبي ، ومن حق المهتمين بالشؤون الادبية .

لكن مشكلة نشر مطويات جورج صيدح المتوفرة عندي عائدة الى ضخامة الملف الذي تندرج فيه تلك الكتابات الشعرية والنثرية ، والى كون بعضها قد نشر في بعض الدوريات ، وبعضها الاخر لم ينشر ، وبعضها الاخير اثار عند نشره اشكالات عند صيدح نفسه ، نظرا للحساسية الشديدة التي اصابته في اواخر ايامه ، حتى بات سوداوي المزاج ، تصور له وحدته وشيخوخته وغربته ان بعض الناس ، لا يستثني منهم اصدقاءه المخلصين ، يضمرون له الوانا من النيات التي لا وجود لها الا في تصور الشاعر الصديق الكبير .

لذلك احسب ان الايجاز غير وارد عني ، وان اغفال بعض تلك الكتابات دون بعضها الاخر ، ينطوي على اخلال بالامانة الادبية والعلمية ، ومن هنا حرصي على ان انشر ما توفر عندي من مطويات جورج صيدح على مراحل في « الاديب » ، بعد جمعها ، وتنسيقها وترتيبها وفقا لتسلسلها الزمني .

الرسالة الاولى التي كتبها جورج صيدح الي ، مؤرخة في ٣-٢-١٩٥٩ . فمنذ اثنين وعشرين عاما ، كنت اعمل صحفيا في جريدة « بيروت المساء » ، واشرف فيها على القسمين الادبي والعربي . وفي امسية الثالث من شباط (فبراير) ١٩٥٩ تلطف صيدح الذي كان آنذاك مقيما في بيروت ، بتسليمي الرسالة التي كتبها عن ديواني « دم وفم » الذي اهديته اياه خلال زيارتنا المشتركة لصديقنا الكبير الشاعر القروي رشيد سليم الخوري في المستشفى الالماني (سان شارل بوروميه) ، وقد جاء فيها :

« عزيزي شاعر دم وفم !

قرات ديوانك وانتشيت بخمرتك . ان شعرك غنائي عذب ، حتى لتغلبك موسيقاه حين تتعمد الزمجرة فلا تدعك تنحرف عن مجراها في نفسك ، وبالتالي في شعرك .

وقد اعجبت بكثير من وثباتك الموفقة (صفحة ١١ و٢٤ و٣١ و٣٨ و٣٩ و٨٦) التي تدل على شاعرية اصيلة لو تركت لها للوقت الكافي للنضج والاختمار ، قبل النشر، لجاءت بأبدع واروع من هذه الباكورة ، على ابداعها وروعتها .

يخيل الي انك احيانا تنساق مع اللفظ ، لا مع المعنى ، فيقودك الى ابيات تفكك سلسلة المعاني ، وتسيء الى وحدة القصيدة . وفي بعض الاحيان تتعارض وتتناقض الافكار في القصيدة الواحدة ، وفي مواضع نادرة يختل الوزن ، نتيجة للاستعجال في النظم ، كقولك (صفحة ٤٢):

انا كافر لا اصغي ان نعق الغراب

وقولك (صفحة ٤٦) :

اما التوجع والانين فقد طرحته جانبا

وسوف ادلك على مواضع التناقض ، متى اجتمعنا،

وعلى ابيات قابلة التحسين ، كقولك (صفحة ٢٨) :

حلم تحقق واكتمل واختال في دنيا الامل

فكيف تحقق ، ان لم يزل في نطاق الامل ؟ كان الاصح ان تقول : في دنيا العمل !

كم من الشعراء حملهم الاختيار على التنكر لبواكير شعرهم ، وندموا على نشره ، وانا منهم . صدر لي ديوانان ، حرقت الاول منهما ، واخفيت الثاني . لذلك انصحك بالتريث في النشر حتى يتجمع لديك ما يمثل طاقتك الشعرية على حقيقتها .

ان ابيات الزهو والفخر بشعرك ترددت كثيرا في الديوان مثلما رددها المتنبي وشوقي ، ولا انازعك حقك فيها ، ولكني اقول انها سابقة لاوانها .

خذ هذه الكلمة من اخ كبير يريد لك الخير والنجاح ويثني على لطفك وفضلك نحوه .

اهديك ديوانا مشوها بالتصليح والترقيع (٢) طبع في غيبتي ودون استشارتي وعذر الناشر انه طبعه في باريس حيث تعسر الطباعة العربية ..

ويسافر جورج صيدح الى فرنسا ، ويراسل اصدقاءه ويراسلونه بدورهم ، وفي تاريخ ١٤-٧-١٩٦٠ يكتب الي من مدينة « فيشي » الرسالة التالية :

« اخي وشاعري العزيز فوزي ،

رحبت مغتبطا برسالتك الكريمة، مثنيا على عواطفك الاخوية الصادقة العابقة بالمحبة والوفاء ، وشاقني من اخبارك نشاطك الادبي في الانتاج والنشر، ونظرتك الصائبة الى مجرى الاحداث السياسية في لبنان ، بما تحمله من خير وشر .

ولا اكتمك خوفي من اجتماع الاضداد المتطرفين في ميدان الندوة النيابية ، متسلحين بالطائفية والحزبية والمصلحة الشخصية، وسنرى نتيجة احتكاكهم في الخريف المقبل .

« جمعية اصدقاء الكتاب (٤) تستأنف نشاطها في نهاية الصيف ، وقد اعدت العدة لمشاريع هامة ، اولها معرض الكتاب ، وثانيها منح الجوائز المالية للمتفوقين ، تركتها وفي خزينتها ستة آلاف ليرة من التبرعات لهذا الغرض ، ومتى تضاعف المبلغ ، توسعت في تحقيق المشاريع الاخرى .

هل الدكتور كمال الحاج (٥) يطيل الاقامة في باريس؟ انا اعود الى العاصمة في مطلع ايلول بعد التجول في سويسرا ، واتمنى معرفة عنوانه للاجتماع به .

وديع فلسطين يقوم بجولة في الشرق العربي ، فلا تلمه على الانقطاع . الشاعر القروي مقيم في قريته « البربارة » التي تعرفها ، عنوان الشاعر الياس فرحات : ليتني في لبنان لاحج الى « بتدين اللقش » واستمتع بجلسة مع استاذنا بولس سلامة ، ارجوك ان تبلغه تحياتي وتمنياتي ، دامت له عافيته ، ولنا مودته .

وختاما ادعو لك بهناء العيش ، وصفاء البال ، حتى نرى عن قريب اوراقك المكشوفة (٦) وديوانك الغزلي (٧)»

وفي خلال عام ١٩٦٠ نفسه ، اصيب الشاعر جورج صيدح بنكسة صحية خطيرة اقلقت عليه اصدقاءه ومحبيه وبتاريخ ٣-١٠-١٩٦٠ ، كتب الي من باريس الرسالة التالية :

« اخي وشاعري الاستاذ فوزي

اكبرت مروءتك ، وتأثرت بعاطفتك نحوي ، وايقنت ان « صداقة الشعراء نعم المقتنى » .

اطمئنك ان ساعتي لم تأت بعد ، بل تأجلت الى موعد يعلمه الله (٨) وتراني استعيد نشاطي ، وابدا اليوم بالرد على مراسلات الاخوان ، موجها كلمة اليك ، واخرى لواسطة العقد الاخ وديع فلسطين ، وثالثة الى ابير اديب الذي عرف بالخبر منك .

ان دعوانا بايثار الروح على الجسد فيها شيء من الرياء الشعري . والا فما معنى الفحوص المتواصلة ، والعمليات الجراحية ، وادوار النقاهة ، والمداراة حفاظا على البدن الفاني ؟

وليست جهنم الا الحياة اذا طال عمر الفتى المبتلى

هذا من شعر المدرسة ابان المرض ، استشهد به اليوم ، بعد مرور خمسين سنة . وقاك الله شر الامراض، وحبا كما تشتهي من سعادة الحياة .. هذه تمنياتي مع تحياتي وعواطف مودتي ، اسوقها اليك مخلصا شاكرا ».

ومن مضيفه الفرنسي في « لابوربول » ، يوافيني شاعرنا المهجري الكبير برسالة مؤرخة في ٢٣-٨-١٩٦٢ ، وقد جاء فيها :

« صديقي وشاعري العزيز الاستاذ فوزي عطوي

حياك الله ، ما اوفاك صديقا ، وما احسنك كاتبا ، وما ارقك شاعرا .

اسعدتني برسالتك الكريمة ، وفرحتني باخبارك الاخيرة التي هي سلسلة بهجات تشرح الصدر ، وابتداء بديوانك الجديد (شموع المعبد) وانتهاء بالخطوبة القريبة، ومرورا بنجاحك في امتحانات الحقوق ، وعزمك على متابعة الدرس ، رغم فروض العيش ، ونزعات القلم التي تستأثر بوقتك وبجهدك .

واني لمكبر فيك هذه الهمة ، وهذا السلوك الرصين في ميعة الشباب ، وفي قلب لبنان المشحون بالتجارب والمغريات .

طاب لي ان تثق بمودتي ، وان تستشهد بعواطفك على صدق عواطفي نحوك ، فلا يخامرك ريب في غلبة الصداقة الاخوية على الفراق مهما طال ، وعلى ضياع الرسائل مهما تكرر .

اما الكلام على مشاريعي الادبية الجديدة ، وعلى انتاجي الشعري الاخير ، فأحيلك على جوابي للدكتور جميل جبر المنشور في « الجريدة » (وهو حديث شفهي معه في باريس) . اني تقاعدت باختياري ، واخليت مكاني للشباب العبقري ، وانصرفت الى تهذيب نفسي بمعاشرة المهذبين من الناس ولو كانوا غرباء ، والى اصلاح كل خراب في ثقافتي ، بواسطة المطالعة والتأمل . هذا ما يسمونه « محبة العلم للعلم » ، لا لغرض اخر ، حتى ولا للنشر ، وان الله يحب التائبين .

ارى ان علاقتك بجريدة « بيروت المساء » عادت الى ما كانت عليه (٩) وقد قرات المنشور فيها من مقال الدكتور « مورينو » عني ، ولكني لم اقرا قصيدة فرحات، وربما كانت تلك الابيات التي مدح فيها الشيخ لانه انعم عليه بهدية (١٠) .

كتابي « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » يهم الكثيرين من اصحابي ، ولا وجود له في الاسواق الان . ولكن الاخ وديع فلسطين عجز عن اخراجه من القاهرة ، وصار يكلف الاخوان الكرام امثالك(١١) بنقل ما يستطيعون منه . وقد احسنت بحجز النسختين الباقيتين عندك ، لان اثنين من اصدقائي بحاجة اليهما : الاول الاستاذ نظير زيتون في حمص ، والثاني الاستاذ فريد جحا في حلب (شارع الحمراء ، حي السبيل) . فهل تغفر لي ان حملتك مشقة ارسال نسخة بالبريد الى كل منهما ؟

حنا غصن في فرنسا اليوم (١٢) ولا يحتاج الى الكتاب .

بعد اسبوع تنتهي عطلة الصيف بالنسبة الي ، واعود الى مقري في باريس حيث اتوقع استئناف المراسلة مع الاحباب ، واخصهم الاخ وديع فلسطين .

اما لقاؤنا في بيروت ، فغير وارد هذا العام ، وانا قانع على مضض باللقاء على صفحات الرسائل ، فلا تحرمني من انس وجهك . واقبل شكري العميم على كل ما تتفضل به من اللفتات الاخوية ، مع دعائي لك برعاية المولى وسعادة الحياة » .

وعندما قرأ جورج صيدح في باريس ديواني الثاني « شموع المعبد » الصادر عام ١٩٦٢ ، نظم القصيدة التقريظية التالية المؤرخة في ٢٢-١١-١٩٦٢ ، وفيها يقول :

ابشر ، شموع المعبد ... شقت طريق الفرقد
وغزت بروح النيرات ... براسها المتوقد
لغة القلوب تجددت ... بلسانها المتجدد
نور الكواكب للعيون ... ونورها للاكبد
اعيا الرياح لهيبه ... ولوى اكف الحسد !
قل للشموع الذائبات ... تركت دفئا سرمدي
كم بين ظلك والدخان ... يرقص الامل الندي
وامتروحت ام اللغات ... شميم عهد السؤدد
يوم الفصاحة كالنبوءة ... في شفاه المنشد
وامارة الشعراء اشرف ... من امارة سيد !
يا شعر فوزي ، ان شعرك ... بالخلود لسعدي
بعد الشموع الا شموس ... تطل من افق الغد
وتخط في اسطورة الاشعاع ... حرف الابجد
شنفت آذان الديار ... بدرك المتنفد
شعر نفى قلق الجمال ... على القوافي الشرد
وحدا بطلاب الهدى ... ان يقتدوا بالمهتدي

ولم يكتف الصديق الشاعر الكبير بقصيدته الرقيقة في امتداح الديوان ، بل اتبعها برسالة نقدية حول « شموع المعبد » مؤرخة في ٢٥-١١-١٩٦٢ ، وقد كتب الي فيها :

« شاعري العزيز ، وصديقي الكريم

ارسلت اليك منذ ثلاثة ايام ، تقريظا لديوانك الجديد « شموع المعبد » في ابيات من الشعر استوحيتها من الحانك التي رنحتني رخامتها ، ومن كلمة الاهداء التي اثرت بي رقتها . فلا ازيدك برايي في هذا الديوان ولا اريدك معجبا بشعرك الى حد الوقوف حيث انت ، بعد ان خطوت خطوة واسعة منذ ديوان «دم وفم» ولم يزل امامك خطوة اوسع لبلوغ الدرجة المستطاعة من درجات الكمال لمن كان له مثل موهبتك الاصيلة .

واني ارى شيئين ينمان عن تلك الموهبة : الحيوية النابضة في شعرك ، والموسيقى المنبعثة منه . لولاهما لما طربت له ، ولما تاثرت به .

في حداثتي كان لا يستهويني من الشعر الا الغناء . والان لا اقنع بالغناء ان لم يرافقه فكر يغني للذهن . اما حيث يكون الفكر ولا تكون الموسيقى فلا اجد الشعر . هذا ذوقي ، ولا جدال في الذوق . ولا تؤاخذني انت ان فهمت شعرك وتقلته بحكم ذوقي الخاص .

عندك مقطوعات يبرز فيها الانفعال الصادق ، والانخطاف الشعري عفو السجية (رسالة النجوى ، هاتف ، بوح ، عطش ، حكاية ، مراهقة ، وامثالها) . هذه عيون شعرك ، ومن عيون الشعر المعاصر اجماعا . الشعر هو الذي جرى وراءك يبحث عنك لكي تنظمه ، فنظمته بتوفيق .

اما حيث عدوت انت وراء الشعر لتقبض عليه وتنظمه فهناك الفتور والقصور : الالفاظ تتحكم بشعرك ، وهي التي تقودك الى المعاني ، بينما المعاني يجب ان تتحكم بالالفاظ وتطوعها لمراد الشاعر .

لذلك يختلف جو الغزل في المقطوعة الواحدة بين صورة العاشق الذي يتوجع ، والعاشق الذي يتمتع ، والعاشق الذي يتمنع ، والعاشق الذي يترفع ، وتضيع الطاسة على القارىء !!

في هذه الحالة ، تغيب شخصيتك الشعرية وراء شخصيات تأثرت بها . فتارة انت عمر ابو ريشة ، وتارة سعيد عقل ، وطورا نزار قباني ، وتنسى ان افضل حالاتك هي عندما تكون فوزي عطوي كما انت .

فاحتفظ رعاك الله بشخصيتك في شعرك ، ولا تستوح غير نفسك .

ولي ملاحظات ثانوية : ففي مطلع ديوانك ، تقول : « اقبل الليل فاطرح الاثم واسجد » . صدمتني هذه الضمة قبل حرف الروي ، بينما هي مفتوحة في سائر ابيات القصيدة ، وما دام الروي ساكنا ، فالحركة التي قبلة هي النبرة الموسيقية في القافية . ليتك استبدلت كلمة « اسجد » بكلمة « اشهد » او « انهد » .

ـ وفي آخر بيت : « كشموع تذوب في ظل معبد » . انت تعرف المعابد ، وان الشموع توضع وتذوب في صخنها لا في ظلها ، فكان الاصوب ان تقول : « في صحن معبد » .

ـ في الصفحة ١٧ ، لا احب كلمة « اذ اغني » في السطر السادس ، لتصوير الحبيبة ساعة الوداع ، والبيت الاول لا ينسجم مع ما بعده .

ـ في الصفحة ٢٧ : قصيدة « عودة الحبيبة » مختلة الوزن (١٣) وهذا امر غريب صدوره منك بسليقتك الموسقية . فالبيت الاول من البحر السريع ، ومثله العجز في البيت الثاني والبيت الثالث . اما الصدر في هذين البيتين : « بغير يدي رطيب الجنى » ، و « واي حبيب شجاه الهوى » فهو من المتقارب . وتمشي القصيدة على هذا البحر المتقارب الى اخرها ما عدا الشطر الاول من الصفحة ٢٩ : « لا تسألي العفو وتسعطفي » الذي يعود الى البحر السريع . ولاحظ السطر السادس في الصفحة ٢٨ ، حيث الشطر مكسور الوزن .

ـ في الصفحة ٤٠ ، تقول :

لماذا احبك ؟ هذا سؤال جواب الحبيب عليه محال

افضل عليه قول : « جواب المحب » لا « جواب الحبيب » كما تقول !

ـ في الصفحة ٥٥ : السطر الثاني : «بشوك الشوق» ما اثقلها على السمع ! شين وراء شين . لو قلت : « بشوك الوجد » لكان افضل .

ـ في الصفحة ٦٢ ، قصيدة : « ورد عنها الطرف يا قمر » سرقت اختراع يوسف اخيال : « اليموج ، التغازل » ولا احسدك على السرقة (١٤) .

ـ في الصفحة ٧٧ : السطر الثالث ، تقول : « وحبي انت » (١٥) الواو زائدة وتكسر الوزن . وفي السطر الثاني لا احب كلمة « فراغات » واقترح « غيابات » بدلا منها .

ـ في الصفحة ٩٢ ، السطر العاشر : « برقة العبير » اظنها « رفة العبير » !

ـ في الصفحة ١٤٣ ، السطر الاول تقول : «بجنحه» وتريد : « بجناحه » هذا غير ذاك .

ـ في الصفحة ١٥٥ ، السطر السادس : « ولما يطيب » صوابها : « ولما يطب » فيختلف المعنى .

وانت تريد : « عندما يطيب » ، قل اذن : « ويوم يطيب » .

ـ في الصفحة ١٦٥ ، السطر الاول : « عيبها انها تنسى » . كلمة « انها » نقلت البيت من شعر الى نثر لا يخضع لاي وزن .

وبعدها ياتي جدول التصويب ، وهو مضطرب يحتاج الى تصويب .

لا اطيل عليك كيلا تمل ، وتلعن الساعة التي اهديتني فيها ديوانك . سامحني على جراتي ، واقبل تحيتي .

ومن جستاد في سويسرا ، يكتب جورج صيدح الي رسالة مؤرخة في ١٧ـ١ـ١٩٦٣ يقول فيها :

« شاعري العزيز ، موقد « الشموع » !

رحبت برسالتك الرقيقة (١٧ـ١٢) التي تبعتني الى جبال الثلج في سويسرا حيث استجم ، واطربتني بنبرات المودة ، ونغمات العواطف الصادقة .

واحسن فاتحة لجوابي عليها هي تهنئتك بالخطبة السعيدة التي قامت في نظري ، ونظر الصديق وديع فلسطين عذرا لك على السكوت الطويل . انها قصيدة فريدة في حياة الشاعر ، تملأ قلبه ، وتشغل ذهنه اكثر من ديوان . تفضل بتقديم تمنياتي الى الانسة ليلى البيسار بتمام الافراح :

هذا الزواج قصيد بالشاعرين تنظم
الصدر وحي تسامى والعجز سحر تبسم

ومع الشكر لاستحسانك ابياتي ، ولتقديرك ملاحظاتي ، احذرك من الاعتماد على رايي في المواضع التي لا توافقني عليها . فانا اخطىء عشر مرات قبل ان اصيب مرة ، وعليك ان تتحقق بنفسك او تستشير سواي . والحق معك حين تقول : « ان حياة الهوى تناقض بتناقض ، كما قال ابن الفارض قبلك : «فما اختاره مضنى به وله عقل » .

فلا معنى اذا لنقد عقلاني اوجهه اليك ، بعد ان انسحبت من الساحة ، واصبحت في صفوف المتفرجين ، ولكن :

واذا ذكرت التائبين عن الهوى لا تنس حسرتهم على ايامه

اتأمل مشاغلك في الدرس والتحصيل والتدريس والترجمة ونظم الشعر ، فاكبر نشاطك ، وادعو لك بدوامه سببا للتوفيق والتفوق ان شاء الله .

وقد شكرتك على نشر القصيدة في قصاصتين قراتهما من قبل ، واصلحت هفوة المطبعة في البيت الثاني « بروج » والبيت الاخير « طلاب » . والى اللقاء في رسالة اخرى يا عزيزي » .

وفي عام ١٩٦٣ ، يصدر لي عن دار الكاتب العربي في بيروت ديوان ثالث بعنوان « بغداد والثوار » بعد ان كان اسمه الاصلي « دم الثوار » ، وقد ابدله الناشر لاسباب قدرها ولكنها جاءت بعكس المقصود منها . وقد تلقى صيدح نسخة من الديوان في باريس ، فكتب الي وهو في

طريقه الى سويسرا ، هذه الرسالة المؤرخة في ٢٩-٧-١٩٦٣ من محطة جبلية اسمها « شامونكس » في فرنسا :

« شاعري العزيز الاكرم فوزي عطوي

تكاثرت علي اياديك ، فلا ادري ايتها اشكر . تتحفني بآثارك واخبارك امتع بها نفسي ، وتكرمني التفاتاتك بما ارفع به راسي .

اسمي على غلاف ديوانك الجديد وسام جديد على صدري وشعري على السنة تلاميذك منبهة للذكري . شكر الله فضلك ، وادام لي ودك وعطفك .

اما مجموعتك الثائرة ، فقد ادهشتني بحرارة الشعلة الوطنية المتوقدة في كل بيت من ابياتها ، واوقن انه لو لم تكن عاطفتك ومشاعرك صادقة ومتفجرة من اعماق فؤادك ، لما اتيح لك هذا التوفيق الملحوظ في التعبير عنها تعبيرا رصينا شاعريا .

ويكفي ان يكون في المجموعة قصيدة « يا موطني لن تستباح » (ص ٧٣) حتى تبرر نشر المجموعة ، وتؤيد رايي السابق في شعرك الجميل .

وقد هزتني بنوع خاص ابياتك الخمسة الاولى في صفحة ٨٩ .

اني اهنئك وابارك لك بهذا النشاط الفريد الذي يوسع الوقت لمختلف المهمات ، ويخضع الظروف المادية للانتاج الشعري الثمين ، ويضع في ذات الوقت اساس المستقبل وعماده ، بين الخطيبة والمحاماة .

انا في رحلات متواصلة تستغرق فصل الصيف . اكتب اليك من محطة جبلية تواجه الثلوج الابدية ، في طريقي الى سويسرا ، حيث استعيض عن جمالات لبنان برسائل الاخوان ، واجعل حنيني الى وطني صلاة تقربني من روحه ، دون ان تمسني اظافره .

تقبل دعواتي القلبية الخالصة ، مع تحياتي الى الخطيبة النجيبة واسلم للمخلص » .

وعلى ظهر بطاقة سياحية من « لوشون » يبعث الي جورج صيدح بهذه الكلمات المؤرخة في ١٩-٨-١٩٦٤ بمناسبة تخرجي من كلية الحقوق في بيروت : « هناءك بالمحاماة ، وهناءها بك ، يا من جمع المجد من اطرافه ، وحمل الحقوق على اكتافه .

عافاك الله ، وادام نصرك وشعرك ، في قضايا القلب والادب ، اشرف القضايا ، واذكر من يذكرك بالخير والمحبة » .

وتنقطع عني رسائل صيدح ، بعد ذلك طوال عام كامل ، ثم اتلقى منه بطاقة صادرة عن مدينة جنيف السويسرية ومؤرخة في ٧-٨-١٩٦٥ ، وتحمل صورة جزيرة « جان جاك روسو » وقد جاء فيها :

« ادركتني اياديك ، وانا اضرب في الافاق ، واتناسى الاشواق . ولكن رسالتك ذكرتني ، ومحبتك غمرتني ، كاني لم ازل شيئا مذكورا في بلاد « الواق واق » !

وكان عزمي ان اصحح بخطي نسخة من كتابي (١٧) وان اقدمها اليك ، ولكني لا اعود الى باريس قبل شهرين ، ولا اسمح لنفسي بتاجيل طلبك مدة طويلة .

لذلك كتبت الى دار النشر ان ترسل اليك نسخة هدية بدلا عن الطبعة الثانية التي تخلصت منها .

اني اتابع نشاطك الادبي مزهوا ، داعيا لك بدوام التوفيق في كل ما تعمل وكل ما تكتب ، واجدد لك عواطف محبتي » .

وفي ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٦٥ ، افقد طفلي البكر « سامر » فيقرأ جورج صيدح قصيدتي الرثائية فيه وعنوانها « الى سامر » (١٨) ، فيكتب الي بتاريخ ١٢-١٢-١٩٦٥ رسالة من باريس جاء فيها :

« عزيزي الاخ فوزي

تفطر قلبي وانا اقرا زفراتك المنظومة في ابياتك المنغومة ، تفجعا على الوليد الحبيب ، باكورة زواجك الذي كان سلامه وداعا ، وكانت زيارته اوجاعا ، واي اوجاع له ولامه وابيه ، اسال الله ان يلهمكما الصبر والرضى ويعوض عليكما بشقيق له ياسو جراحكما ، ويملأ الفراغ في قلبيكما ، فما اسرع التئام الجرح لمن كان في سنكما ، شرط ان تبقى المعنويات في ريعان شبابها مثلكما.

فتفرح امه بنداء ماما وتفرح انت حين يقول بابا (١٩)

انا لم اكن موفقا في صحتي هذا العام ، ابتداء من الخريف ، فحالما انتهت رحلتي السندبادية في شمال اوربا ووسطها وجنوبها ، انتابتني العلل عقابا على التفريط بقوة ابن السبعين ، اثناء الرحلات . فكنت انتقل من سرير المنزل الى سرير المستشفى حتى منتصف الشهر الماضي . اما الان ، فالنقاهة آخذة دورها ، والعافية قادمة على مهل ، تتعثر بالشيخوخة الزاحفة آنا ، وتتشبث بأذيال الشباب الهارب احيانا ، ولا غالب الا الله ولا عالم بالاجل سواه .

لم تقل لي كيف صحة الزوجة الكريمة ، بعد هذه المحنة ؟ وكيف حالك في عملك الوزاري ؟ وكيف انتهت القضية القائمة بين الحكومة والجامعة ؟ وهل احتجبت نهائيا مجلة « رسالة التربية » التي كنت تشرف على تحريرها ؟

اما اخطاء كتابي ، فقد كتبت لائحة التصويب لمائة منها ، وارسلت اللائحة للناشر فلم يعبأ بها . هل عندك وسيلة لطبع هذه اللائحة ؟

اعزيك بالفقيد فؤاد جرداق . انا لا اعرفه ولا اعرف شيئا عنه . هل هو نسيب لجورج جرداق مؤلف الاسفار عن الامام علي (٢٠) .

هذه الدقيقة قاطعني رنين « التلفون » فأقبلت على المنادي ، فاذا هو اديب العرب امين نخله (٢١) . وصل

الساعة من روما ، وهتف الي قبل ان يفتح حقائبه ، واتفقنا على مواعيد الاجتماع ، سأنشق عبير الادب اللبناني من حديثه الطيب .

تحياتي اليك ، وعواطفي معك ، وتمنياتي تتكرر هذا العام بسعادة حياتك ، وحياة ذويك الكرام .

لي اقتراحات على قصيدتك « الى سامر » :

ـ البيت الاول ، تقول فيه :

اطل ومثل ومض البرق غابا وخلف في جوارحنا عذابا

في الصدر لم تعجبني كلمة « مثل ومض البرق » . اقترح : « أطل كبارق حيا وغابا » . وفي العجز لا ارى القافية « عذابا » منسجمة . اقترح : « وخلف في نواظرنا الضبابا » .

ـ اضافة : بعد البيت الثالث ، خطر لي ان اقول :

هو الجاني البريء استقدموه فجرح امه لما استجابا
ولاذ بعرش باريه بكيا يصلي كي يوفيها العذابا
ملائكة السماء تلقفته ملاكا مثلها ركب السحابا !

ـ البيت الرابع ، تقول فيه :

دعوتك « سامرا » لتكون خلي وتنسيني المكاره والصعابا

في العجز افضل « ادود به » بدلا من « تنسيني » .

ـ البيت السادس ، تقول فيه :

وكم واعدت بالامال روحي اذا ما انت ادركت الشبابا

في الصدر افضل : « وكم عللت » بدلا من « وكم واعدت » .

ـ البيت السابع الذي تقول فيه :

وكم ثوبا « لسامرنا » شرينا فكيف خلعت يا ولدي الثيابا

لم يوضح الفكرة الرائعة بمبناه الضعيف . اقترح :

وكم ثوب حريري شرينا فما دشتت يا ولدي الثيابا

ـ البيت الخامس عشر تقول فيه :

فان الموت حق . غير اني فؤادي من وجيع الحزن ذابا

في العجز كلمة « من لهيب الحزن ذابا » افضل من « وجيع » .

وانصح بأن تستغني عن البيت الثامن :

وكيف رغبت عن عيني فراقا وكيف ملات كاس العمر صابا

فمعناه مكرر ، وبناؤه مقلقل .

اما البيت التاسع :

لماما كيف لم تهمس : « وداعا » وكيف حرمتني من قول : (بابا)

فهذه آية القصيدة ، وستنفطر له آلاف القلوب » .

ورغم كل ما اكنه للشاعر المهجري الكبير جورج صيدح من محبة وتقدير ، فقد آثرت ، لسبب وجداني صرف ، الا اجري اي تعديل على القصيدة التي نظمتها بالدموع والاحزان ، قبل ان تعنيني منها النواحي الفنية .

ولما اصدرت مؤسسة المعارف في بيروت عام ١٩٦٧ ديواني « تحت الرماد » ، كتب الي جورج صيدح من باريس بتاريخ ١٣ـ٤ـ١٩٦٧ ما يلي :

« عزيزي الشاعر الموحي ، والابن الموحي

لشعرك طعم العجين اختمر واصبح في الفرن خبز البشر
و « تحت الرماد » سعير الفؤاد يحس به من دنا واجتمر
حباني من الدفء ما اشتهيه لروحي ، بلا لهب او شرر
ومن لم يجد نفسه في الرماد وما تحته من توليد العبر
يجدها على شرفات الفراغ تحرجها لطمات الغير
كتبت على اللوح للمهتدين وفصلتها سورا في صور
بلاغ اذا لم يوحد قوانا فموعدنا وحدة في سقر

سهرت البارحة معك ، فلم استسلم للنوم الا بعد ان نظمت في ذهني هذه الافكار ، بعد ان اتيت على مجموعتك الجديدة « تحت الرماد » .

وها انا بين يديك ، في بكرة الصباح ، بين ارتشاف القهوة وانتظار ساعي البريد ، اسجل حديث الليل ، مع آية الشكر على الهدية ، وعلى الاشارات المدونة فيها عني ، تنبيها بذكري ، وتقديرا لشعري .

ثم اشهد بلا محاباة بانك في هذه المجموعة ارصن بيانا ، وارسخ قدما مما كنت عليه في المجموعات السابقة ، ولكنها رصانة وجزالة وفخامة لا تتوفر الا على حساب الرقة والبساطة والعفوية ، ولعلها الاسلوب الانسب للمواضيع التي عالجتها ، والله اعلم .

ان كان لي ان الومك على شيء ، بشفاعة الدالة القديمة التي لي عندك ، فعلى العجلة الظاهرة في نظم شعرك ، والانفة من المراجعة والصقل والتجويد الذي هو في وسعك متى صبرت واجتهدت ، كما يفعل غيرك من الشعراء .

يلوح لي انك ، عندما تقع على تعبير ملائم لفكرتك ، تقنع به ، ولا تطمع بتعبير احسن او امتن ، يأتيك لو طلبته . فالاتقان من الايمان ، وكفى بان يوصي به القرآن . وانت الان تتدرج بطبيعتك على سلم الاتقان تدرجا بطيئا . ولكنك لو ساعدت الموهبة بالجد في الصناعة ، لكانت خطواتك اوسع واسرع . وهذا ما اريده لك حبا وكرامة .

يدفعني الى هذه الملاحظة وقوعي على بعض كلمات في غير موضعها ، وكان يسيرا عليك تبديلها ، ومروري ببعض عبارات ضعيفة السبك ليست من نصاعة اسلوبك العام ، فلماذا لا تعطيها حقها من الاهتمام ؟

ـ في الصفحة ٣٣ ، القافية في القصيدة مضمومة . فهل يجوز ضم القافية في البيت القائل : « صفو لعمرهم ، قلت لحبهم » ؟

عندي ان الميم مكسورة بكسر ما قبلها ، فلو قلت : « قلب يحبهم » لجاز .

ـ وفي صفحة ٣٥ تقول : « ما يمنع الحرف ان نلقاه قنبلة » ؟ اخالك تعني ان نلقيه (٢٢) قنبلة ، كما تطلق الرشيش في الشطر التالي .

ـ في صفحة ٤٠ تقول :

ستقسم شعبك وحدة كالله لا تتحطم

فاما ان تقول : « كالله لا تتقسم » ، او تقول « كالصخر لا تتحطم » .

هل الحبب من وسائل الرواء ، بينما هو فقاقيع من نتائج الرواء ، تنظم كالدر ، ولكنها لا تروي غليلا ؟

– في صفحة ٨١ تقول :

الخلد يخفض هامه لمكانتي وامام شعري كل مجد يصغر

(تخنتها يا رجل !) ذكرتني بقول المرحوم سعيد تقي الدين ، كلما سمع فشرا : « نحن العرب خلقنا التواضع » اما انت ، فبعيد عن شرف التواضع في هذا البيت الضال!

– في صفحة ١١٠ « الى سامر » . هذه قصيدة كانت مرشحة للخلود لو عملت على تهذيبها ، مسترشدا بجوابي لك عنها ، حتى تطابق الواقع الاليم بملابساته ، وتمثل شعور القراء في ظروف مماثلة ، فيتاثروا بها ، ويتناقلوها .

هذه مساطر تفسر ملاحظتي التي لا اصر عليها ، ان لم ترتح اليها . وعلي ان اقول انها لا تعم القصائد كلها، بل بعض ابيات منها . فهناك قصائد تستغني عن كل صقل . مثلا : قصيدة « الوحدة الجريحة » رائعة ، ولا سيما قولك :

نحر العروبة ، كبرياء النحر ، اقداما وهمه
لسنا ننقل خطونا من قمة الا لقمه
ولربما رحنا نقطف نجمة في اثر نجمه
حتى نوحد دولة ونزف للعلياء امه

وقصيدة « نحن المحامون » في الصفحة ٧٤ رائعة ومثلها « حكاية شاعر » في الصفحة ١٢٩ فهي رائعة ايضا

اما دفاعك في « المقدمة » عن شعر المناسبات ، فقد وضع اصبعك على جرحي . ارجوك مراجعة فصل «شعر المناسبات » في كتابي : ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية» تعرف موقفي .

وسوف تسمع انتقادا على مدح صيدح وغيره في خاتمة كتابك . قبلك ايليا ابو ماضي سجل في ديوان « الخمائل » قصيدة قالها في حفلة تكريمي ، في نيويورك، فقامت عليه قيامة الحساد والجهلاء .

دم موفقا ملهما كأب وزوج وشاعر ومحام وصديق».

والحقيقة ان جورج صيدح الذي كان يأخذ علي بعض العجلة في شعري ، كان لا يمل من اعادة النظر في شعره ، ومن تعديله الى ان يأتي على اقرب صورة ترضيه. وهكذا فانه ما لبث بعد يوم واحد من كتابة الرسالة السابقة الي حتى اتبعها برسالة جديدة (مؤرخة في ١٤–٤–١٩٦٧) ، تتضمن تعديلات كثيرة على قصيدته التقريظية لديواني « تحت الرماد » وقد جاء فيها :

لشعرك طعم العجين اختمر خبيزا بفرن الرؤى والفكر
و « تحت الرماد » سعير الفؤاد يحس به من دنا واجتمر !
حباني من الدفء ما اشتهيه لروحي بلا لهب او شرر
ومن لم يجد نفسه في الرماد وما تحته من صنوف العبر
يجدها على هبوات السراب تطير شعاعا الى المنحدر
كتبت على اللوح نص البلاغ وفصلته سورا في صور
بلاغ اذا لم يوحد قوانا فموعدنا وحدة في سقر

ابادرك بنسخة منقحة من الابيات المرسلة اليك ، امس ، حتى تعتمد عليها ، ان خطر لك نشر تقريظي لمجموعتك . وتجد اني لا امل التغيير والتركيز حتى يشمل التعبير دقائق فكري من جهة ، وحقائق الواقع من جهة اخرى .

اني شاعر واقعي ، قبل كل شيء ، وطبعا يجب ان استعمل الخيال في تصوير الواقع (اذ لا شعر ممكن بلا خيال وصور) ، ولكني لا اسمح للخيال ان يناقض الحقيقة الحياتية ، فيفقد روحه وتاثيره . وعندي ان جمال الشعر الواقعي ليس في تحليق فروعه في السماء بل في ترسيخ جذوره في الارض ، منها يستمد قوته وبدونها يصبح رغاء ويذهب جفاء .

وامامك الان التعديل الذي اجريته على الابيات ، تفهم فيه تشبثي في دائرة الصورة الواقعية الطبيعية . فما بعض ابيات منها . فهناك قصائد تستغني عن كل صقل . دمت اتكلم على الرماد والنار وملابساتهما ، يجب ان ابقى في هذا الجو ، وان لا اخرج من اطار كتابك « تحت الرماد » . كما ان المبالغة في البيت الاول « خبز البشر » تعرضني للانتقاد ، فعدلت عنها .

كل ما نظمته يا اخي ، خارج اسلوبي الواقعي كان فاشلا لن يبقى له صدى . اما قصائدي الساذجة المجونية، منذ عهد المدرسة الى اليوم ، فقد تناقلتها الافواه دون معرفة اسم ناظمها . منها ما تلحن وتنقش على اسطوانات (مثل نجمة الليل) ومنها ما يدرس في مدارس الحكومة (مثل : دير ياسين ، مدرسة عنطورا ، وطني ، جبل البلور) ممهورا باسمي .

وشعري المخطوط اكثر من المطبوع ، ولكنه مبعثر، ولا سبيل الى جمعه . منه دفتر يوميات سجلت فيها انطباعات رحلة الى لبنان وسوريا عام ١٩١٩ ، لما اقفلت متجري في القاهرة ، وسافرت لاتفقد اهلي بعد عذابات الحرب العالمية الاولى .

اضطررت منذ اسبوع للبحث عن هذا الدفتر ، للاستشهاد بابيات في معرض دراستي لديوان حافظ جميل البغدادي ، فكانت فرحتي عظيمة بالعثور عليه ، وسانسخ منه قصيدة اسليك بها ، لربما تقول انه لو جرت مباراة في الشعر الواقعي لما فاتتني الجائزة » .

ومن عزلته الجبلية في شاتيل بمنطقة سافوا العليا الفرنسية ، وافاني الصديق الشاعر الكبير ببطاقة تمثل اربعة مناظر لفندق « بال فو » (المنظر الجميل) ، ومعها الكلمة التالية المؤرخة في ٢٢–٨–١٩٧٢ :

« ادركتني رسالتك البهية ، في عزلتي الجبلية (شبه ارزية) ، ففرحت بها فرح الوالد القلق الحائر بعودة ابنه الشاطر ، وقلت في نفسي :

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا من كان يالفهم في المركب الخشن

المريض

شحب النور ولاقاه العنا ... وغلاه الهم والظهر انحنى
وجهه الغض ذوت نضرته ... وعلى الخطو ارتعاشات الونى
عاده بارق عهد قد عفا ... طيب كاس قد حساها بالهنا
شمسه راد الضحى قد آذنت ... وطوى الديجور لما لاح السنا
وذوى الروض ، رمى اوراقه ... والمنى قد حطمت لحن المنى

بكاسين ـ لبنان

جرجي نصر

وانت ذلك الكريم الشاعر الذاكر ، لم يغيرك كرور الاعوام ، وعلو المقام ، ولم تخطفك النيابة من احضان الصحابة بحمد الله .

اني اهنئك بنجاتك من داء السياسة الذي يبدأ في بلدنا بالنجاسة ، وينتهي بالنخاسة ، تماما كما وصفتها في ابياتك الرائعة :

عدوت الى السياسة مستطارا ... فلم احسن سؤالا او جوابا
وكنت اضل ضليل لاني ... حسبت الشعب ينتخب انتخابا
بذرت مروءة ، وبذلت حبا ... فلملمت الشتيمة والسبابا
ومن عجب الشعوب ، تعق نسرا ... وتجحده وتاتم الغرابا !!

اما مقالك عن نجيب حنكش (في مجلة الدبور) فقد ذكره بما نسي من امري ، وامر كتابي (ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية) ، ولعله يغفر لي فضولي .

ادعو لك بالتوفيق في كل ما تطلب ، وكل ما تكتب ، ودم لمحبك »

وفي العدد القادم من « الاديب » ننشر ما تبقى من مطويات الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح ، والمعركة الادبية التي وقعت لي معه ، رحمه الله اخا وصديقا وشاعرا كبيرا .

الهوامش :

١ ـ صدر « دم وفم » في ايار (مايو) ١٩٥٨ ، ووزعته شركة فرج الله للمطبوعات ـ بيروت .

٢ ـ ديوان « النبضات » لصيدح ـ طبعة باريس .

٤ ـ كان صيدح انذاك امينا لصندوق جمعية اصدقاء الكتاب في لبنان .

٥ ـ كان الدكتور كمال يوسف الحاج رئيسا لقسم الفلسفة في الجامعة اللبنانية ، وقد خطف عام ١٩٧٦ من قريته « الشبانية » واغتيل ، لظروف سياسية ، وكان رحمه الله صديقا حميما للطرفين.

٦ ـ الاوراق المكشوفة ، مخطوطة لم تطبع لفوزي عطوي .

٧ ـ ديوان « شموع المعبد » الذي صدر عام ١٩٦٢ .

٨ ـ عاش صيدح بعد ذلك مدة عشرين عاما ، اذ توفي بتاريخ ١٠ـ١٠ـ١٩٧٨ .

٩ ـ كان فوزي عطوي قد انقطع عن «بيروت المساء» ثم عاد الى العمل فيها عام ١٩٦٢ .

١٠ ـ ثارت بعد ذلك معركة حامية الوطيس بين صيدح وفرحات على صفحات الدوريات العربية والمهجرية .

١١ ـ كان فوزي عطوي انذاك في زيارة للقاهرة .

١٢ ـ صاحب جريدة « الديار » وكان صهرا لجورج صيدح .

١٣ ـ ليس في الامر اختلال وزن ، بمقدار ما هنالك اعتماد من الشاعر لبعض الجوازات الشعرية التي اوقعت هذا الاشكال بين البحرين المشار اليهما في نقد جورج صيدح للقصيدة .

١٤ ـ ليس الخال هو مخترع هذه الصيغة التي بها تدخل «ال» التعريف على الافعال المضارعة ، وانما هنالك امثلة كثيرة في الشعر القديم تدل على ان الصيغة كانت معروفة منذ عصور سالفة .

١٥ ـ من الرجوع الى شموع المعبد ، يتضح ان هذا خطأ طباعي وقد صوب : « حبي وانت » .

١٧ ـ ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية .

١٨ ـ وقد نشرت في صفحة ١١٠ ـ طبعة ١٩٦٧ من ديواني « تحت الرماد » .

١٩ ـ اشارة الى قول فوزي عطوي في قصيدته :

لماما كيف لم تهمس وداعا ، ... وكيف حرمتني من قول بابا !

٢٠ هو في الواقع شقيق الاستاذ جورج جرداق وقد كان شاعرا ومهندسا زراعيا ومناضلا وطنيا كبيرا .

٢١ ـ توفي امين نخله عام ١٩٧٦ في بيروت ، بعد مرض القدة .

٢٢ ـ المقصود حقيقة : « ان نلقاه » بمعنى « ان نجده » .

بيروت ـ شارع الجامعة العربية
بناية اسكندراني ـ رقم ٢ ـ الطابق السابع

فوزي عطوي

سالت البنت الصغيرة الواقفة على زلاجتها ، الرجل الذي يقوم بتسوية الاسمنت الناعم على افريز الشارع :

ـ الديك قط ؟

قال الرجل :

ـ لدي قط كبير ، يقول مياووو.

نظرت البنت الصغيرة الى الرجل الذي كان قد جثا على يديه وركبتيه مستعملا المسطرين بخفة في تسوية سطح الاسمنت الناعم . ورات ان حكاية القط الكبير مثيرة ، والطريقة التي ماء بها الرجل رائعة حقا . وكان بالاحرى ان يكون القط الكبير نفسه، وهو جاث على يديه وركبتيه.

قال :

ـ مياوو ، مياووو .

ثم رفع راسه مقلدا القطط ، ومطلقا صرخة نائحة .

لم يكن يمزح قط . وكان هذا هو الشيء المثير للقط . فاحبت القط كثيرا .

كان الرجل يؤدي عمله في افريز الشارع منذ الساعة الثامنة صباحا والان تقترب من العاشرة والنصف . تحيط به جيرة محببة . المنازل المتناسقة ، متشابهة ، والازواج موظفون ذوو دخول صغيرة . والزوجات ، ربات بيوت رقيقات . ولاعبو البريدج ، والمستمعون الى المذياع . انصت الى مذياع المنزل المجاور طول الصباح . فرقة جاز رائعة من شيكاغو . بالاضافة الى مذيع حاضر البديهة . لم يسمع كلماته بوضوح ، ولكنه فطن الى حضور بديهته من الطريقة التي نطق بها كلماته ومن نبرات صوته . ومن طريقة القاء الفكاهة . كانت الموسيقى هادئة جدا في الصباح . وايضا فطن الى ان البحر ليس بعيدا جدا ، واستنشق هواءه . احب العمل كثيرا ، لدرجة تقترب من الرسالة . كان وسط المدينة حيث الضوضاء الصاخبة ، والفقراء ، والمدينة نفسها التي عرفها جيدا . وعند غروب الشمس ، يبارح هذا المكان ، فيتغير الحال ، حيث يتنفس براحة ويستنشق هواء البحر والمروج الخضراء.

لم يكن شابا طوال سني عمره ، ولكنه كان عاملا امينا ، بسيط التفكير ، رحيم القلب ، ولديه قدرة الشباب على الاندماج في اي شيء طيب يصادفه في طريقه .

كان سعيدا بوصول البنت الصغيرة وهي تتزحلق ، وبسؤالها عن القط .

سالت البنت الصغيرة :

ـ اهو قط طيب ؟

قال :

ـ احيانا يكون طيبا ، واحيانا يكون شريرا .

سالت البنت الصغيرة :

ـ متى يكون قطك طيبا ؟

اجاب الرجل :

ـ عندما يصطاد فأرا .

وسالت البنت الصغيرة :

ـ ومتى يكون شريرا ؟

واجاب الرجل ، وهو يستنشق عبير البحر ويحس بالحيوية والسعادة :

ـ عندما لا يصطاد .

فكرت البنت الصغيرة في هذا فترة طويلة ، عشر ثوان او احدى عشرة . وقال الرجل ، وهو يتهيأ لسؤال اخر :

ـ مياوو ، مياووو .

سالت البنت الصغيرة :

ـ كيف يصطاد القط الفار ؟

اجاب الرجل :

ـ حسنا ، في البداية يختبىء القط . فيخرج الفار . وحينئذ يخطف الفار ، و . . وداعا للفار .

قالت البنت الصغيرة :

ـ وداعا ؟

قال الرجل :

قالت البنت الصغيرة :

ـ وداعا !

قال الرجل :

ـ بالتاكيد ، يأكل القط الفار .

سالت البنت الصغيرة :

ـ هل اساء اليه ؟

قال الرجل :

ـ اعتقد ان القط هو الذي يؤذي الفار .

وقال :

ـ هو لا يؤذي القط ، ولو ان القط يحبه .

وقال :

ـ مياووو .

اقبل ولد صغير وهو يتزحلق ، ووقف الى جوار البنت الصغيرة .

وسأل الرجل :

ـ ماذا تعمل ؟

قال الرجل :

ـ اصلح افريز الشارع .

قالت البنت الصغيرة للولد الصغير :

ـ عنده قط كبير يصيد الفئران.

سأل الولد الصغير :

ـ ما اسمه ؟



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم وليم سارويان

ترجمة حسني سيد لبيب



قال الرجل :
ـ النمر .
قالت البنت الصغيرة :
ـ مياوو .
قال الرجل :
ـ اجل ، مياوو ، مياوو ، مياوو
قال الولد الصغير :
مياوو .

وبدون التفوه بكلمة واحـــدة ، مشى الولد الصغير والبنت الصغيرة معا ، وهما يقولان « مياوو » .

اوشك العمل على الانتهاء . قام بتسوية مساحة صغيرة من الاسمنت الناعم ثم وقف ، رانيا الى البحر ، مستمتعا بأنسامه المنعشة . وضع ادواته داخل كيس قماش ، وذهب ليستقل **العربة ، عائدا الى المدينة** . وعندما رجع الولد الصغير والبنت الصغيرة ، كان الرجل قد انصرف . وقفا معا ينظران الى ما انجزه من عمل لطيف . كان الرصيف بديعا ونظيفا وخاليا من الشروخ .

قالت البنت الصغيرة :
ـ هو الذي عمله . الرجـــل صاحب القط .
قال الولد الصغير :
ـ لا يزال ناعما . مياوو .
انتقط عصا رفيعة من العشب ،



حسني سيد لبيب

وحفر في الاسمنت الناعم حرفي البداية لاسمه د. ر. وقال للبنت الصغيرة:
ـ ما اسمك الاخير ، يا اللا ؟
قالت البنت الصغيرة :
ـ هاجن .
وحفر الولد الصغير حرفي بدايـة اخرين في الاسمنت الناعم .
كان حرفا اسمه في ركن ، وحرفا اسم البنت الصغيرة في ركن اخر .
نقش بدايات الاسماء باتقان شديد

رأى الولد الصغير انه من اللطيف جدا ان ينقش حرفي اسمه في الاسمنت الناعم للرصيف الجديد ، مع حرفي اسم اللا هاجن . وحين يصبـــح الاسمنت صلدا ، ستظل حروفهما منقوشة على الرصيف دائما . وانه لشيء رائع . وحين يكبران وينهيان الدراسة بالكلية ، ويرحل هو بعيدا، ربما الى نيويورك ، او اوروبا ، ثم يعود ويمشي في هذا الشارع ، فيقف فجأة على الطوار ليقرا حروفه على الاسمنـــت ، تفس الحروف دائما د. ر. ـ دافيد روميج ـ اسمه هو وا. هـ. ـ اللا هاجن ـ اسم البنت التي احبها .

قالت البنت الصغيرة :
ـ كان **رجلا ظريفا** .
قال الولد الصغير :
ـ اعرف ذلك .
وقفا معا على زلاجتيهما ، ينظران الى **الرصيف الناعم** .

ومرة اخرى بدا الولد الصغـــير يحفر في الاسمنـــت الناعم ، في منتصف الرصيف الجديد .
حفر حرفا واحدا «م» ، ثم التفت الى البنت الصغيرة قائلا :
ـ كيف تتهجين مياوو ؟
قالت البنت الصغيرة :
ـ مياوو ؟ لا اعرف . اهي كلمة؟
قال الولد الصغير :
ـ انها فعلا كلمة .
وقال ، محاولا ان يتخيل كيـف يمكن تهجية هذا النطق :
ـ مياوو .
الا انه لم يستطع تهجيته .
سأل البنت الصغيرة :
ـ ماذا اكتب ؟ انا لا استطيع ان

اشتركوا في مجلـة
الاديـب
تساهموا في نشر الثقافة

يا ليتها تسأل عني

☆

يا حبها .. يعصف بي هائجا كانه موجة اعصار
يا لهب النار الذي لم يزل يشعل باللوعة افكاري
احس اني منك في جنة هل تكمن الجنة في النار
يا شوقي العارم .. مهلا ، فقد اوشكت ان تفضح اسراري
اني لو انكرت بعض الذي قبعيه .. هل ينفع انكاري
وهذه نارك وهاجة تسري بانجادي واغواري
يا حبها .. يا نغمة حلوة قد ارقصت عودي وليشاري
واشعلت في القلب جمر الهوى متقدا يلهب اشعاري
اسال عن اخبارها ، هائما يا ليتها تسال اخباري

بغداد ـ ص.ب ٢٢٠٣٨

محمد جواد الفبان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اتهجى مياوو ، وانت لا تستطيعين .
وطمس الحرف «م» بأصابعه، فتشوه موضع الحرف ، لذا قرر ان يكتب شيئا ما في مكان افضل على الرصيف الجديد .

اراد ان يحفظ في ذاكرته ، الرجل والقط ، حيث ادرك فعلا اهمية ان يقوم بذلك، وبالمثل ادركت البنت الصغيرة .
حفر كلمة « القط » ، وقال :

ـ مياوو .
وقالت البنت الصغيرة :
ـ مياوو .
ثم سارا معا .

القاهرة حسني سيد لبيب



سعيد ابو الحسن

سيداه على القمم
سيرة ذاتية

بقلم سعيد ابو الحسن

* * *

(٥)

اما نحن الفتية الصغار ، فقد كانت لنا حياتنا الصاخبة ـ خارج نطاق حياة اهلنا : كانت لنا مواسم : مواسم للصيد صيد العصافير . نصلي لها الفخاخ حول (المنقع) صيفا وخريفا ، والمنقع بقعة مستديرة من الارض نصقل وجهها بالماء . ونسوي لنا حافة قصيرة ، ونملؤها ماء فيبقى الماء طوال النهار . ونخفي الفخاخ بالتراب الناعم حوالي المنقع بحيث لا تبين منه لا حبة القمح المربوطة بالخيط ، والتي اذا ما نقدها العصفور تحركت بخيطها فانطبق الفخ على عنق العصفور . والفخ كنا نصنعه من ضلع عجل ناعم او ضلع الغنم او الماعز في وظل يتطور الى ان صار يصنع من اسلاك الحديد ويستورد من دمشق ، ولكن ذلك حصل في آخر مرحلة من مراحل فتوتنا بحيث عرفته الاجيال اللاحقة اكثر مما عرفناه نحن ـ وانواع العصافير التي كنا نصطادها : هي : المطوقة او المطواقة كما كنا نسميها ، والزرعية وهما معروفان من فصيلة واحدة تعيش على ما تلتقطه من الحبوب المبذورة . ولهذا سمي النوع الثاني الزرعي (نسبة الى الزرع) وهو يشبه المطواق تماما لكنه اصغر حجما وصوته يختلف عن صوته من حيث القوة والحجم والنغم ـ والى جانب هذين النوعين الرئيسيين كانت هنالك انواع : القبرة ويسمونها عندنا (الجمطون او الجعيطي) ـ والغريب انني لم اجد اصلا لهذا بالمعاجم بل وجدت الفاظا من جذر (جعظ) واكثرها يدل على الاستكبار وقصر الرجلين مع الضخامة وشدة الاقبال على الاكل ـ ولعل هذا هو اصل اللفظة بعد ان استبدل بالظاء المعجمة طاء . وكان « ابو سن » وهو عصفور شرس شديد الحركة نخشى عضته عندما نخلصه من الفخ وقبل ان نذبحه ـ ولعل استعداده للعض هو الذي جعله يسمى (ابو سن) .والعصفور الدوري والمريعي او مشغل الرعيان وهو المعروف بـ (الفري) ، والزرزور ، والحمام البري .

والى جانب الصيد بالفخاخ كان هناك الصيد بالنبلة واسمها عندنا النقيفة ـ نصنعها بأنفسنا ، ونصطاد بها ، اكثر ما نصطاد . عصافير البساتين : السمن ، الصفر ، ابو تين ، الحسون او عصفور الشوك الجميل ، والورور ، والقرقساء وابو الحن ، والحمرة ، والهدهد ويسمونه عندنا الشبلبل ، والترغل ـ او طيور الماء : مثل القطا ، او صوص الماء ، او ابو غليون ، ويسمونه هكذا لطول منقاره طولا مفرطا ، والبط البري (الخذري) .

واذكر ان اول خدعة كنت ضحيتها حدثت لي بسبب هذا الطائر ـ ابو غليون ـ فقد كان واحد منها يرتاد بركة « منيفة » وهي مستديرة وعميقة فكان يقف عند حافة الماء يلتقط طعامه من صغار الضفدع (البرعط) او الفراش او الذباب او غير ذلك ، ولطالما راينه في وقفته تلك وانا اسير على الطريق المحاذية للبركة . وكان بين مستوى الماء ومستوى الطريق ارتفاع اربعة او خمسة اذرع ، كنت اراه في اسفل فآخذ حجرا ارميه به فلا اصيبه ـ وعدت الى النقيفة في احدى المرات فرميته بحصاة منها فكسرت احد جانحيه ـ فظل واقفا لا يستطيع الطيران ، ولا انا اجرؤ على النزول اليه لالتقاطه خوفا من منقاره الطويل جدا !.. ـ ولم اكن في سن تساعدني على المحاكمة لاعرف ان الامور ليست بالمظاهر وان طول المنقار ليس دليلا على القوة او العنف ، بل هو اداة لالتقاط الطعام من الاعماق وفيما انا كذلك اذ مر بي شاب من معارفنا ، فرجوت منه ان ينزل ويلتقط لي طائري الذي اصطدته ـ فابدى كل

استعداد ونزل فاخذ الطائر وصعد ، ولكنه بدلا من ان يعطيني اياه هرب به راكضا بسرعة كبيرة ـ وانا شبه مشدوه ـ لانني ما كنت اعتقد ان شابا بهذه السن وهذه القامة العالية يلجأ الى مثل هذه الخسة فيغتصب عصفورا من صبي ائتمنه واستنجد به .

ولكن رب ضارة نافعة ـ فمنذ ذلك الحين غيرت موقفي من كبار المناقير ، طيرا كانوا او بشرا ـ ولم اعد اسمح بأن يخدعني احد بمظهره .

كانت احدى المتع التي اتمتع بها آنذاك أن امتطي فرسنا الشهباء « ام‌عرقوب » واوردها بركة الغنم فتشرب وانا على متنها ، حتى اذا ارتوت ضربت الماء باحدى يديها او رجليها ، وحمحمت ، فادير راسها واتجه بها نحو البيت ركضا خفيفا ـ ومن الحوادث التي لا انساها حادثة تخلينا عن هذه الفرس الغالية . فقد زار والدي شيخ من شيوخ البادية اسمه « فلاح ابو مدحل » وراح يرجو منه ان يبيعه نصف حصته من الفرس اي الثلث وقد اشترى الثلث الذي يملكه شريك اخر ليكون المربط لديه باعتباره يملك الاكثرية . ويعرف القراء حتما ان الخيل الاصائل كانت تباع مجزاة : فهي كلها تعتبر مؤلفة من ٢٤ قيراطا وقد تكون ملكا لعدد من الشركاء يملك كل منهم عددا معينا من القراريط ، ويكون المربط لدى احد الشركاء حسب العقد . حتى اذا انجبت الفرس عددا من الامهار او المهرات قام الشريك الذي لديه المربط بقود احدها او احداها الى الشريك الآخر او الى كل شريك حسب حصة كل منهم .

باع والدي الثلث بمائة ليرة عثمانية ذهبا وليرتين ، وامتطى الشاري الفرس وذهب ، وقلبي وعيناي ترافقه . وقد انجبت لديه مهرتين وكنا ننتظر ان يقود لنا احداهما باعتبار ان لنا فرسا من كل ثلاث افراس . كنا ننتظر ذلك عندما حدث ما سيجيء ذكره في حينه ..

مر بنا ان اهلنا يكرمون عيد الاضحى تكريما استثنائيا فهو عيدهم وكفى ـ يقضون الليالي العشر الاولى من شهر ذي الحجة في سهرات دينية متصلة ، وصباح اليوم الاول من العيد تبدا المعايدات التي تستمر ثلاثة ايام كاملة وحتى اربعة ـ ومنذ الصباح يقوم الاولاد فيقبلون ايدي والديهم ، ويلبسون البسة جديدة ، ويبداون اللعب والغناء ويشاركون اهلهم في استقبال المعيدين الذين يتوافدون افواجا افواجا ، عائلة عائلة ، وقبل الثورة ، ايام العز كان يخرج والدي الى البوابة ويطلق خمس عيارات نارية من بندقيته كلما اقبلت سربة مهمة من المعيدين ، وحينما يصلون يقدم اليهم الشراب البارد او الساخن ، حسب الفصل ، والسكاكر ، والطعام ، حينما يكونون من الاقارب ، او يصادف وصولهم ظهرا ، ولكنهم كانوا يكتفون بلقمة او لقمتين ، على سبيل البركة ، او المجاملة ، ثم يكملون طوافهم ونقوم بدورنا بزيارة اقاربنا ومعايدتهم ، وكان والدي يصطحبني اكثر الاحيان فقد ارادني رجلا قبل الاوان ، وكان له ما اراد ..

ومن المواسم التي لايجوز نسيانها لانها اخذت تختفي من مجال الحياة القروية ، اعداد المؤونة السنوية ، فمن المعروف ان القرويين يعملون طوال السنة ولا يحصلون على مقابل لعملهم الا في الصيف . نتيجة عملهم كلها تحصل صيفا . وهم مقبلون على فصل الامطار لذي يبدا اواخر الخريف ويمتد حتى اواخر الربيع تقريبا ، نحو نصف السنة يكون المطر والثلج مسيطرين ـ وقد مرت بنا اعوام كان الثلج فيها يتساقط باستمرار اياما متتالية حتى يبلغ ارتفاعه امتارا . وكثيرا ما كنا نصعد من ارض الدار الى السطوح فوق الثلج من دون استعمال الدرج او السلم . والثلج يجب جرفه تخفيفا عن السقف ومنعا للدلف (الوكف) ـ وبعد جرف الثلج ترش السطوح بالعور (وهو التبن التاعم جدا الذي ينزل تحت الغربال حين غربلة التبن قبل تقديمه للحيوانات) و (تدحل) بالمدحلة، اي تدحى بالمدحاة . وهي حجر اسطواني الشكل جعل في وسط قاعدتيه تجويفان يوضع فيهما طرفا (الماعوس) وهو كناية عن زاوية من خشب او حديد جعل في قمته مقبض وطرفاه ينزلان في التجويفين المشار اليهما فيؤلف الماعوس مع المدحلة مثلثا قاعدته المدحلة تدور في يسر حوالى المحورين اللذين في طرفيها ـ فيجرها الرجل جيئة وذهابا فوق السطح الترابي حتى يظل مرصوصا متماسكا لا تتخلله المياه ـ وكثيرا ما كانت العواصف تحول دون الصعود الى السطوح لدحلها وعندها كان الدلف (الوكف) يأخذ مداه ويضايقنا مضايقة شديدة ـ الا ان بيتنا نحن كان متقنا ونادرا ما يكف . وكثيرا ما كنا نستيقظ صباحا فاذا الثلج قد كون طبقة كثيفة جدا تحول دون خروجنا من البيت ـ فنعمد الى الراحات (١) ونجرف الثلج لنفتح لنا طريقا فيه ـ والحيوانات لايمكنها المسير فوق هذا الثلج وبياضه الناصع يبهر عيونها . ولذلك كان يقدم اليها العلف والماء وهي في مرابطها ـ وكثيرا ما كانت تغطي سطح البركة طبقة كثيفة من الثلج والجليد بحيث لا نستطيع اخذ الماء منها فنلجأ الى اذابة الثلج للشرب والغسيل ـ واذكر مرة ان هذا الحصار الثلجي دام خمسة واربعين يوما لم تستطع ماشية خلالها ان تخرج من اسطبلاتها . واحيانا كثيرة كان شريكنا (المرابع) يصابحنا وهو يشق طريقه امامه بالراحة او بالرحت حتى يصل الى باب الدار ، ويدخل من البوابة ويفتح لنا الطريق عبر ارض الدار حتى باب الغرف التي نكون محاصرين داخلها . وللثلج مباهجه: اللعب بكرات الثلج والتراشق بها ، او اكل الثلج ممزوجا بالدبس (بقسمه) او الصيد فوقه ـ واذكر انني كنت اصلي الفخاخ واغطيها بتراب اكون قد خباته قبل ان تختفي الارض تحت بساطها الابيض النقي الجميل ، او بزبل الحيوانات ان لم يكن لدي تراب ، وما ان تظهر هذه

البقعة السوداء فوق الثلج حتى تاتيها العصافير فتلتقطها الفخاخ ـ ومرات كنت اقضي نحو ست ساعات على هذا النحو ، اذ تغلق المدارس وتنقطع المواصلات بين البيوت اياما واسابيع ، ولا شيء يلهينا غير هذه الشقاوة وامثالها .

كان فصل الامطار بالنسبة الي عيدا دائما ـ فانا احب المطر ، وارتاح اليه ، واشعر بلذة لا تساويها لذة حين اراه ينهمر ، ولا سيما حينما ترافقه الرعود والعواصف ، ثم ينقشع الجو فجاة ويظهر في الافق قوس قزح بالوانه الكاملة الواضحة البديعة ، كنت ارقص واغني ـ حتى ان اهلي كانوا يزجرونني وينهرونني ويتضايقون مني ، ولكني كنت اعود الى ذلك حين انسى ما حدث .

ازاء ذلك كان لا بد ان نتموّن بحيث يكون داخل البيت كل ما تحتاج اليه العائلة . والا فمن اين تتدارك حاجتها ؟ حين يحصد القمح ويرجد الى البيادر ، ويدرس ويعرم ويذري ويصبب ويكال (٢) يعد منه الصويل وهو القمح المغسول بالماء ، ثم المجفف تحت الشمس والمخزون بالكوايز . ويطحن منه عادة كمية كافية لاعداد الخبز ـ وهناك البرغل وهو القمح المسلوق في الخلقين وهي حلة كبيرة مركب عدد كبير منها على جانب البرك او المطوخ (جمع مطخ بلغة الجبل) تتسع الواحدة منها لنحو نصف طن من الحنطة ، ويوقد تحتها القصل حتى تنضج الحنطة وتنقل الى السطوح حيث تجفف ـ وتخزن بالكوايز ـ وفي اوائل الشتاء تقام في القرية حفلات تعاونية لسحق هذا البرغل وتدعى العملية (سميد البرغل) ـ ولعلها من (السميد) .

يجتمع عدد كبير من النساء في البيت وتحمل الى هذا البيت عدة ارحية ـ جمع رحى ـ ويدعونها عندنا (جواريش ـ جمع جاروش) ـ ويبدا سميد البرغل : بعض النسوة يرششنه بالماء ـ ينمشنه ـ والبعض يدرن الارحية ، باتناوب ، والمسمود منه يمر على سلسلة من الغرابيل والمناخل لفرزه وتصنيفه ـ فيخرج منه المفلفل وهو للطبخ العادي : المجدرة ، او المناسف ، او سواها ، ثم برغل الكبة وهو انعم ويستعمل للكبة بجميع اصنافها ، وبعده السويق وهو انعم من برغل الكبة ويستعمل لحاجات كثيرة غير الاكل . ورشة متكاملة تدوم ليلة كاملة نسرح نحن الاولاد فيها ونمرح ، نساعد في العمل ما امكن ، ونتبادل النكات والحزازير ، وضروب المزاح المختلفة مع هذا الحشد من النساء . وتنتهي الحفلة بأكلة مترفة من العميشة : وهي مزيج من برغل الكبة المخلوط بالكشك والماء والسمن ، يؤكل مع البصل النيء ، وهي اكلة لذيذة من الاكلات الموفقة التي تلجأ اليها ربة البيت عند نفاذ الخبز من البيت ، ليلة تشتغل باعداد العجين وتخميره لتقوم بخبزه على الصاج في صباح اليوم التالي (٣) .

وخلال الصيف تعلف المعاليف ـ وهي نعاج (حايلة) غير مولدة ذلك العام ، او كباش او خراف ـ يجز صوفها وتترك لتاكل ما تشاء من سنابل الشعير على البيدر ، ثم تلقم (تزقم حسب تعبيرنا) مزيجا من الحبوب والتبن والماء يعجن وتضعه المراة في وعاء امامها وتمسك براس المعلوفة فوق الوعاء وتصنع من المزيج كرات ، بقدر ما يتسع حلق الشاة ، تدفعها بيدها في فم الشاة ، وهذه تاكل راضية او كارهة ، ولكنها ما ان يجيء الصليب على الحساب الشرقي اي ٢٧ ايلول من كل عام ، حتى تكون المعلوفة قد اصبحت تموج لحما وشحما واليتها قد تضخمت ، حتى ان بعض المعاليف تعجز عن القيام وتغسل بالماء يوميا من اجل نظافتها وتخفيف الحر عنها ـ ويبدأ ذبح المعاليف بعد عيد الصليب لان الطقس يكون قد مال الى البرودة وصار اللحم المقدد في منجاة من الفساد . تذبح المعاليف ـ وهذا موسم ـ فيصنع منها الدهن ، اي ان لحمها يقطع ويسلق بالملح الكثير ضمن شحمها ويغلى مدة طويلة حتى ينضج تماما ثم يترك ليبترد فيتكون فوقه وخلاله غطاء من الشحم يحميه من الفساد ، وبعد ان يبترد يوضع داخل جرار خاصة مطلية من داخل طلاء يحول دون اي رشح او دخول هواء ، ويؤخذ من هذا (الدهن او القاورمة) طوال السنة لاعداد الطبخات المختلفة .

ولكن المعاليف فيها غير هذا اللحم الذي يقدد : فيها اكلات كثيرة حاضرة : فيها الكبد والرئة والقلب والكليتان وهذه تصنع منها اول اكلة وهي المحمضة ، بمرق البندورة وتقدم مع الكبة النية ـ هذه اول اكلة يدعى اليها الاقارب والجيران والاصدقاء ـ لان البيت اذا كان قد ذبح معلوفتين او ثلاثا او اكثر يكون لديه كمية كبيرة لا بد من استهلاكها ـ وعدد الجزارين في القرية محدود ، والجزار يقوم بعملية الذبح والسلخ والتقطيع والفرم ، ولهذا تتم العمليات بالدور في القرية ، ويدوم موسم العزائم (الولائم) مدة طويلة ـ وبعد المحمضة تاتي الغمة وهي الاحشاء المحشوة بالبرغل او الارز المخلوط بالحمص المتبل بالبهارات المختلفة ترافقه المقادم او الكوارع ، والغمة يدعى اليها عدد اكبر لانها وليمة كبرى . ثم تاتي الهريسة وهي جميع ما في الشاة من عظام تكسر وتطبخ بالقمح المقشر والبهارات ويدعى اليها عدد كبير ايضا ـ والهرنسة اطيب اكلات هذا الموسم في نظري وتاتي في خاتمة الاكلات لان العظام توضع في سلال وتعلق في الهواء البارد ولا خوف عليها من فساد حتى تكون الاكلات الاولى قد نفدت . وهناك اكلة تاتي بعد مدة وتقتصر على افراد العائلة وهي الامعاء : فهذه تفرغ وتنظف جيدا وتنفخ وتحفظ في مكان بارد حتى تفرغ ربات البيوت من جميع الاعمال وتحشى وتطبخ على مهل . وهي اكلة لذيذة ايضا .

المشكلة الكبرى : الماء

كانت في حياتنا مباهج كثيرة ـ كل شيء موفور ـ الحياة تتدفق من العروق والعيون ـ حيوية لا حدود لها ـ قوة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشعور بالقوة . اخلاق عالية ـ حياة عائلية ممتازة ـ ولكن كان هنالك امر يغلف كل هذا بغلاف اسود كئيب : كانت هنالك مشكلة عاناها جبلنا اجيالا ـ وهي قلة الماء . اجل ، على الرغم من هذه الثلوج الكثيفة التي وصفت ، وهذه الامطار الغزيرة التي ذكرت ، كان الجبل يعاني جفافا قاتلا وظمأ مهلكا ـ هذه الامطار والثلوج كانت حينما تجيء تملأ برك القرية ومطوخها ثم ما يفيض عن ذلك يذهب في اودية تشكل في الشتاء انهرا حقيقية ، تذهب باتجاه السهل الحوراني او الصحراء وتظل تركض حتى اغوار فلسطين او مستنقعات الصخراء وسبخاتها ـ وحين تشح الامطار والثلوج في سنة تالية او سنوات تاليات يكون الماء المخزون قد نضب ، ولا نهر لدينا ولا ينابيع في قريتنا وفي اكثر القرى فعند ذاك يجب ان نجلب الماء من مكان يبعد عنا حوالي ١٠ ـ ١٢ كيلومترا اما من ينابيع حبكة شرقا، او من ينابيع الغجغجيات في الجبل الذي تملكه قريتنا شمالا .

ونعيش حياة تقتير بالماء لا مثيل لها . يذهب الواحد منا ـ وكثيرا ما قمت بهذه المهمة ـ ومعه دابة او دابتان على كل منهما (شد) مؤلف من سحارتين في كل منهما تنكتان ـ فيكون حمل الدابة اربع تنكات ـ اي ثمانين ليترا الى مائة ليتر من الماء كل حمل والمجموع نحو مائة او مائتي ليتر تصل الى البيت ولا يمكن القيام بأكثر من رحلة يوميا لبعد المسافة : هذه الكمية يجب ان تكفي لشربنا وشرب حيواناتنا وللطبخ والغسيل وحينما يتأخر فصل الامطار يكون علينا ان نقوم برحلة الورد هذه مرة (مروة) اي قبل الشروق او مساء بحيث نعود بعد الغروب كنا نذهب فتيانا وفتيات ، ومن يعرف مناخ الجبل يعرف كم كنا نقاسي من البرد ـ كنت اشعر وكان انامل تتساقط من كفي ، كنا نرتجف ، ونفضل السير على الاقدام وراء الدواب ذهابا وايابا لكيلا نتجمد من البرد ـ وكان المزاح او الغزل البريء المفتعل يساعدان على تصعيد الدم الى رؤوسنا ولكن البرد كان ينخر عظامنا ـ وكنا احيانا نصادف مجموعات كبيرة من البدو والحضر ترد الينابيع ، وكانت متعددة فننتظر دورنا ، واحيانا نتزاحم ونختلف ونتشاجر ـ وكانت بئر (ابو الحصين) تحل المشكلة ـ فهذه البئر الغزيرة كانت تفجر ما يعادل اثنتي عشرة تنكة في اللحظة الواحدة اي انه كان بامكان اثني عشر من الواردين ملء دلائهم دفعة واحدة وباستمرار طوال الليل والنهار ـ اسجل هذه الامور لكيلا ينسى الناعمون اليوم بالماء المتدفق في البيوت ما عانته الاجيال السابقة .

كانت حوالي القرية ينابيع صغيرة يستطيع الوارد المحتاج الى الماء ان يملأ حاجته منها ، بعد صبر طويل ، وبالدور ولكن هذه الينابيع كانت كثيرا ما تجف نهائيا لانها كانت مرتبطة بمواسم الامطار ـ وكانت هنالك مجموعة عيون على مسافة ثلاثة او اربعة كيلومترات غربي القرية اسمها « عيون » ، وهذه ايضا لحقها الجفاف . وعندما كانت البرك تجف كان الاهالي يحفرون في ارضها حفرا عميقة يسمونها المحاسي ـ واحدتها محساة ـ اي مكان الاحتساء ـ وهذه المحاسي تجمع في قعرها قليلا من الماء في يوم وليلة ياخذه حافر المحساة فيقضي به حاجته . وكان هذا يدل على ان البرك او المطوخ كان يمكن ان تعمق اكثر وتتسع لمياه اكثر ـ ولكن من يجمع الاهالي ويحملهم على القيام بالحفر ؟ كان رجال الدين يقومون بحملة لحض الناس على تعميق المناهل المعدة للشرب ، على الاقل وكانوا يبدأون العمل بانفسهم ليكونوا قدوة للاخرين ـ وكانت هذه العمليات تنجح فتكثر المياه المختزنة سنة او سنوات ثم تعود الاتربة فتترسب في المناهل وتعود المشكلة من اولها .

كانت هنالك ايضا عملية اعداد الطحين ـ عرفت منذ صغري مطحنة آلية في قريتنا ، المانية ـ ولكن الناس كانوا خلال فصل الامطار والربيع يفضلون الطحن في مطاحن الماء . فهذه المطاحن ، المقامة على مساقط الاودية الشتوية كانت تدور عدة اشهر في بعض السنين ـ يفضلها الناس لان طحينها يكون انعم وابرد ويعطي خبزا ملوحا (مرقوقا) اوسع واجمل ـ فضلا عن كون اجرة الطحن فيها كانت اقل . فكنا نذهب الى المطاحن المائية قوافل ـ وهناك كنا نترك الجمال وسائر الدواب ترعى حوالي الطاحون ريثما تتم عملية الطحن التي كانت تستمر احيانا نهارا طوله ، حسب الدور .

واذكر مرة اننا كنا قد ذهبنا ، صباح احد الايام قافلة كبيرة الى مطحنة شمالي القرية تبعد ثلاثة كيلومترات تقريبا . وكانت الشمس ساطعة ولكن الجو كان باردا ـ وهناك اطلقنا حيواناتنا ترعى حوالي الطاحون ـ ورحنا ننتظر دورنا وخلال فترة الانتظار كنا نحن الاولاد قد بدانا نقلع الحلوز ـ وهو نبات ذو بصلة حلوة او مرة او بين بين ـ وهو عدة انواع فمنه ما تقشر بصلته ويؤكل نيئا ، والمر منه يسلق قبل الاكل فتحلو بصلته وتصبح لذيذة جدا ـ ومنه الحلوز السكري وهو عميق وله زهرة جميلة ـ وساكتشف فيما يلي من الحياة ان هذا الحلوز السكري الذي يملأ براريا ايام الربيع انما هو التوليب بالتمام والكمال ..

وفيما نحن كذلك اذ اكفهر الجو فجاة ، وزحف الغيم الرمادي الغاضب ، من كل جهة ، وبدأ الثلج يتساقط في غزارة ، هكذا على الناشف ، اي فوق الارض الجافة . لجانا الى الطاحون ورحنا ننتظر ـ ولكن الثلج سرعان ما غطى الارض كلها وراح يتكاثف واسرعنا فحملنا الطحين وسارت القافلة بطيئة باتجاه القرية ـ واخذت اخفاف الجمال تنزلق فوق الثلج فيكاد الجمل ان يقع بحمله ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حنين

☆

اجـــل ذاكر اني واني لاشـــوق ... فقد طـــال بعد منه قلبي مرهـــق
تعاودني ذكرى الليالي التي خلت ... ويعتادني عهـد بقربـك شيـــق
وكنا كما يهوى الغـرام ويشتهي ... كطيرين في دنيا الخيـال نحلـــق
ونشدو كما يشدو الهزار قصائدا ... لها قد حوت من رقـــة تترقرق
منى النفس يادنيا من السحر حلوة ... ويارو ضة منها شذا الورد يعبـق
تضوع منها كل ما يبعـث الهـوى ... ويحلو بهـــا للعين فل وزنبـــق
ويا واحة يهفو لها قلـب وامـــق ... يحن اليهـــا في العـراق ويارق
وعينيـك لا عيشي هنيء كعهدنـا ... ولا الافـــق مجلـو بعيني مشرق
احـن لايـام تقضـــت لانهـــا ... هي العمـــر ايامي بـــه تتالـق
سلام على دنيـا برغمي تكلتهـــا ... سلام مشـــوق جـازع يتمـزق
سلام محـب ذاكر كل مـا مضى ... يحن لماضيـه ويهفـو ويعشـــق

بغداد ص.ب ٤٦٧ — باقر سماكة

وبعض الجمـال وقعت فعـلا ، وكان الرجال والنســاء يرتضون فيساعدونه على النهوض واستئناف المســير ـ والثلج يتساقط واتصلت السماء بالارض .

ونحن نسير والثلج يغطي الواحد منا من قمة راسه الى اخمص قدمه ـ وتضايقنا جدا ـ وكادت انفاسنا ان تزهق ـ ولكن الفزعة وصلت ـ وصل اهلنا من القرية على خيولهم وانجدونا . وتعاونا حتى ادركنا القرية . والثلج صار ارتفاعه الى الركب . هذه الحوادث القاسية هي التي تربي اهالي الجبـــل وتجعل منهم الاشداء الصابريـــن المستهينين بالمصاعب .. وبالمصائب .

هذه كانت حياتنا في خطوطها العريضة : بحبوحـة وكفاح ، رخاء وشدة ، يسر يغلب على العسر حينما واجهنا الحدث الاكبر ، الحدث العظيم المهول في حياتنا : الثورة .

(١) كان هنالك الرفش : ويدعى الراحة وهي من الحديد وعصاه خشبية . وهناك الرحت : وهو مصنوع من الخشب على شكل الرفش وهو اسهل لجرف الثلج اذا لم يكن متجمدا اما اذا تجمد فلا بد من استعمال الراحة الحديدية .

(٢) عرمه : جعله عرمة اي كومة القمح او الشعير بتبنه . صبيه : جعله صبة اي كومة الحب الصافي .

(٣) هذا كله زال بعد توافر المطاحن الحديثة .

السويداء ـ سورية — سعيد أبو الحسن

فيليب لطف الله شاعراً

بقلم راضي حكيم

* * *

لشد ما تألمت وانا اقرأ خبر رحيل الشاعر الصديق الوفي فيليب لطف الله ، على صفحات الاديب ، كان الراحل الكريم قد بعث الي بديوان شعر اصدره مؤخرا وجعل عنوانه (اناشيد الغروب ، ١٩٨٠) .. فهل تراه كان يعلم ان ساعة الرحيل قد ازفت ، وان شمس حياته الى مغيب .. وان بينه وبين الموت قاب قوسين او ادنى ...

يقول الشاعر في مقدمة ديوانه هذا ، «هذه اناشيدي الاخيرة ، وقد بلغت العام الثاني بعد الثمانين ولم ازل ارسل الشعر كما كنت انظمه في شبابي بل اجود . غير ان الحقيقة التي لا مهرب منها هي غروب شمس الحياة وان طال بنا العمر ، وهو هبة سماوية تعطى وتحرم على البشر . وكم من رفيق سبقني الى حضن امه الارض الشوقة الى ابنائها » .. الى ان يقول « ولا فرق بين من عاش ربيعا واحدا او عاش الدهور ، اي مهما طال العمر له اجل ، ومن عاش الدنيا عاما كمن عاش مئة عام» .

كان الشاعر ذات مرة ينظر الى وجهه في مرآة .. يتذكر ايام الصبا .. فاذا به يرى تجاعيد وجهه بادية فيتأثر ويتحسر :

نظرت وجهي على المرآة اسأله ... عن الصبا فبكى من وجهه الجعد
مات الجدود مع الاباء واسفي ... فسنة الدهر لا تبقي على احد

بل نراه في ديوانه الاخير (اناشيد الغروب ، ١٩٨٠) يفكر في الموت ويقول متفكرا ومتأملا عن الموت كلمات تنم عن فهم لسر الحياة والموت ..

يقول : « الموت هو الحاكم العادل ، ولولاه لكرهنا الحياة ، الموت هو الواعظ المرشد الى حقيقة مرهبة لا بد منها . وهو الخطيب الصامت ، وفي صمته حكمة لعلاتنا الكثيرة . امثولة الموت تعلمنا المساواة . في اصبع الموت قوة لا ترد . اذا تحركت فما علينا الا ان نطيع .

وراء الاسرار الرهيبة يختبىء الموت . الموت بعبع الاغنياء ، وعزاء الفقراء ، وهمزة الوصل بين الدنيا والاخرة هو نهاية كل بدء ، وانحلال هيكل لبناء اخر . هو تاج فخر على راس الشجاع ، ومذلة على راس الجبان . هو السبيل الامين للرجوع الى حيث اتينا . لا موت في الدنيا بل انتقال من حال الى حال . من يرهبه الموت فهو حي ميت . الموت راحة المتعبين » .

تلك هي فلسفة الشاعر في الموت : الموت في نظره انتقال من حال الى حال، ومن عالم الشقاء الى عالم الهناءة تلك نظرة مؤمن بالله ، الموت عنده انتقال الى حياة افضل .. فاذا كان الامر كذلك ، وهو بالفعل .. فلماذا اذن نهاب الموت ونخشاه ؟! فنحيا على الارض امواتا وكأننا احياء .

اولئك الذين يهابون الموت يعيشون طوال حياتهم في عبودية ، اما اولئك الذين تحرروا من عبودية الموت فينطلقون في الحياة احرارا ، حتى اذا ما باغتهم الموت ، حررهم من عبودية الجسد والخطيئة ..

في مقدمة ديوانه (نسمات الجبل ، ١٩٦٤) يعرفنا الشاعر بنفسه يقول : « انا فيليب لطف الله التبشراني جئت الى هذا العالم من ابوين هما لطف الله الحاج مخول التبشراني وتمام خليل ابي حيدر من طليا قضاء بعلبك ، ولدت عام ١٨٩٧ في بلدة بسكنتا اللبنانية الواقعة في سفح صنين وعلى كتف وادي الجماجم المشهور والمقترن اسمه بالرهبة والخشوع » .

« تلقنت دروسي الاولى والاخيرة في المدرسة الوطنية بسكنتا . وفي عام ١٩١٤ اغلقت المدارس ابوابها بعد وقوع الحرب الكبرى . وفي عام ١٩٢٠ غادرت لبنان الحبيب الى سان باولو بالبرازيل وكان قد سبقني اليها اخي سليم رحمه الله فعملنا معا في محل تجاري ثم انشأنا معملا لعلب الكرتون .

وفي عام ١٩٣٠ اسسنا مصنعا لنسج الحرير اسميناه لويس الخامس عشر ولم تمر عليه السنوات الاولى حتى اصبح في طليعة المعامل الكبرى ، بيد ان صناعة الحرير لم تستمر على الحال التي كانت عليها ، بسبب اشتغال الكثيرين بها ، فلم تعد كما كانت تدر الربح الوفير ، فكان لا بد لفيليب لطف الله ان يتجه في طريق آخر .

وفي عام ١٩٣٠ تزوج من افلين نعمه حداد وكلل الله اعماله بالنجاح وزواجه بالبنين الصالحين ، كما يقول :

ويكمل « في ١٩٣٢ خطوت الخطوة الاولى في سبيل الادب .. ففي عام ١٩٣٥ صدرت مجلة (العصبة الاندلسية) التي رأس تحريرها الاديب الكبير حبيب مسعود .

وفي هذا المحيط ـ كما يقول الشاعر ـ تدفقت في نفسه براعم الادب فابتدأ ينظم الشعر مدفوعا بعامل داخلي .

ورغم انشغال الشاعر بالعمل والتجارة ، الا انه

ابدا لم ينس الشعر ، بل كان شيطانه يراود الشاعر من حين الى اخر ، ويجيء اليه كلما كانت الساعة مواتية ، مع كونه يؤمن ان شيطان الشعر لا يجيء من خارج الشاعر ، من وادي عبقر ، لكنه في داخل قلب الشاعر ، يستحثه ويستنهضه .

ما هو الشعر ؟ هل يكون الشعر الهاما .. وهل للشعر شيطانه ..

يقول شاعرنا ان الشعر موهبة تكتمل بالدرس والمران والمتابعة الدائمة على النظر . فاذا كان الشاعر ذا استعداد وموهبة ، يندفع بشعره الى الامام فيحلق في سماء القوافي وهذا ما يسميه موهبة ، وهي لا تعطى الا لافراد قلائل من البشر ، لئن كان لكل شاعر شيطانه فشيطانه منه وفيه بل هي الساعات التي تتمخض بها النفس لتلد قصيدة ، هذا ما يدعونه شيطان الشعر .

شاعرنا ينظم الشعر مدفوعا برغبة داخلية ولذة نفسية، يقول : ونظم الشعر عندي اطيب من شراب .. واجمل من رسم الرسامين » . نظم الشعر ليس مجرد تعبير عن النفس ، وانما به تستلذ النفس .. فترضى وتطيب ..

الشاعر يقول الشعر ليغني ، ولا يدفعه من وراء الشعر والغناء .. الا رغبة في التغني .. وهل ينتظر الطائر المغرد شيئا من وراء تغريده. الا ان يحيا ويستمتع بالحياة .. انه يؤكد وجوده عندما يغني .. فالحياة عند الطائر وعند الشاعر .. غناء .

ويزيدنا الشاعر ايضا بقوله : « ليس الشعر تراكيب لغوية ، والفاظا فخمة بل رسوما رائعة وجمالا وعاطفة ومحبة تفرح العيون والقلوب والارواح في جميع حالاتها ؛ فترى غزل العيون وفعلها ، وشوق القلوب وعطفها ، وهيام الارواح وجنوحها فتتمتع بأجمل الرسوم الشعرية كباقة ورد في روضة الادب » .

يقول الدكتور صفاء خلوصي « ان فيليب لطف الله اديب مترسل، ولكن شاعريته غالبة عليه فهو شاعر حتى في نثره ولا يكاد يمضي في رسالة او رد على رسالة بضعة اسطر حتى يعرج به شيطانه على وادي عبقر فاذا بالرسالة شعر اكثر منها نثرا .

فاذا كان الشاعر يقول الشعر ليتغنى .. فماذا تكون اغنيته ؟ لا بد وان يغني للحب ، فقلب الشاعر يمتلىء حبا بالحياة وبالانسان، والقلب الذي يعرف الحب لا يعرف الحقد اليه سبيلا .. وانما يدين بالمحبة في كل ما يقوله وما يفعل .. عندما نحب يجيء كل ما نقوله او نفعله عظيما بقدر هذا الحب ..

يقول اوغسطين « احب وافعل بعد ذلك ما تشاء » .

ويقول الشاعر :

ديني المحبة في قولي وفي عملي وحرقة الحب من شرعي وايماني

ويقول ايضا :

كن محبا فدرهم الحب يشفي داء قوم في حقدهم ضعفاء
وانشر الحب فهو نور البرايا اسبغته،على العباد السماء

الشاعر معطاء .. وعطاؤه شعر .. وفي الغالب يكون العطاء سخيا .. عند الشاعر الحق .. العطاء دائما بغير شروط .. وكأن كل همه ان يعطي ويعطي .. دون حساب ..

لقد ادرك الاديب اللبناني راجي عشقوتي هذا ولاحظه على الشاعر فكتب مرة يقول مخاطبا شاعرنا :

« انك تكتب ولا تشكو بل من طبعك ان تعطي دون شرط لكأنك الشمس التي تزور الارض وتمسح بكفها الاشياء وتمضي . ولا تسأل ، ولكن العافية التي تحركت في كل عرق هي وحدها ترتفع اناشيد صامتة تشكر للشمس حبها » .

في شعر فيليب لطف الله حكمة متضمنة ، لا تفسد الشعر ولا تجور عليه ، فهو لا يقول الشعر بقصد ابراز حكمته ، بقدر ما يقول الشعر فتبرز الحكمة دون قصد منه ، فتجيء بطريقة طبيعية لا صنعة فيها ولا تكلف ..

يقول في (سر الحياة) :

سر الحياة رواية وفصولها لا تعلم
والموت فيها قصة في امرنا تتحكم
دنيا تسيرها الحروب بها يصول الدرهم
لا يستقر بها السلام وفي الانام المجرم

الذين يعيشون الحياة بطولها وعرضها .. تعركهم الحياة ، وهم سائرون على دربها .. والحياة في الغالب تضن بسرها .. الا لمن يحاولون ان يكشفوا عن سرها .. يجيء هذا الكشف من خلال الحب والجهد .. والعرق والدموع .. يتحدث الشاعر في نهاية ايامه حديث الفاهم للحياة ، العارف بأسرارها ..

اسائل نفسي وشيخوختي وماذا رايت بهذا الوجود
رايت الحياة تغذي الحياة وكل حياة اليها تعود
ولا فرق ما بين احيائها عناصر ترب وماء ودود
تساوت معادن انواعها فنوع الكلاب ونوع الاسود
واشجارها شبه احيائها وكر الزمان البناء يعيد
وكل قديم الى جدة وصنع القديم كصنع الجديد

ابيات الشاعر تذكرني بكلمات سليمان ، حكيم الاجيال .. « ليس من جديد تحت الشمس .. كل الانهار تصب في البحر والبحر ليس بملآن .. باطل الاباطيل الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس .. »

فاذا كانت يد البلى تمتد الى كل الكائنات والمخلوقات بغير استثناء .. الانسان كالشجر .. والكلب كالاسد .. عندئذ يستوي كل شيء .. فليس ثمة جديد او قديم .. فالجديد يصبح قديما .. والقديم من شأن الحياة ان تجعله يتجدد .. ولا فرق ..

احساس شديد بالزمان وهو يلعب دوره في فناء المخلوقات والاشياء .. واستشعار بشدة وطأته على كاهل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عتاب

تقول اتنسى من الذكريات ... عناق الحبيب وعذب القبل
وكنت تغني بحبي القصيد ... (تغني الضحى وتغني الطفل)
وتنشدني من رقيق البيان ... فنون النسيب وفن الغزل
وكنت بروحك تفدي وجودي ... وتضفي علي غوالي الحلل
وكم سهد الحب منك الجفون ... فلم تنم الليل الا الاقل
فاين غدا كل ذاك الفتون ... وماذا تبدى وماذا حصل
فقلت ايا املي في الحياة ... ومن ليس لي غيرها من امل
اهذا الكلام تقولينه ... اجدا تقولينه ام هزل
ويا فتنة العاشق المستهام ... بورد الخدود وسحر المقل
اينساك مثلي وانت التي ... بكل معانيك ضرب المثل
ولكن نسيت بهذا الزمان ... اذا انعقدت عقدة لن تحل
فلو كنت تدرين ما حل بي ... فلا من اجاب ولا من سال

نزيل عمان ـ الاردن — جعفر الخليلي

الانسان . وتداخل بين الموت والحياة .. كأنهما نسيج واحد فهما معا ينسجان الوجود ..

اتبحث عن مائت في الثرى ... رايت البنين يروح الجدود
رأيت الممات بقلب الحياة ... وكل حياة اليه تعود
وتبعث في مظهر آخر ... فكل جديد عليها وليد

ذلك سؤال الشاعر عن الحياة والوجود .. يبقى السؤال حائرا ، والاجابة معلقة .. لان الفهم يعجز في كثير من الاحيان عن فهم سر الحياة وسر الوجود .. ومع ذلك فالانسان لا يكف عن التساؤل حول سر الاشياء .. ومصير الانسان .. ما بقي الانسان حيا ، وما بقي الوجود عامرا بالانسان .

كلية العلوم ـ جامعة القاهرة — راضي حكيم

مكتبة الأديب

احمد فارس الشدياق : آثاره وعصره

تاليف الدكتور عماد الصلح ـ ٢٧٥ صفحة ـ دار النهار للنشر بيروت ـ ١٩٨٠

كان اديب الشام الكبير المرحوم شفيق جبري (١٨٩٨ ـ ١٩٨٠) قد اطلق على العلامة احمد فارس الشدياق لقب جبار القرن التاسع عشر واتخذ من هذا اللقب عنوان كتاب مخطوط له ـ حبذا لو طبع وخرج الى عالم النور ، ثم جعل من (الشدياق) موضوع مقاله الافتتاحي في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في الجزء الثاني من المجلد الثالث والخمسين .

نذكر هذا بمناسبة صدور كتاب احمد فارس الشدياق : آثاره وعصره للدكتور عماد الصلح ونوشك ان تطلق عليه الكلمة المأثورة : جمع فاوعى . ونقول « نوشك » اذ يستحيل على اي مؤلف في اي مجال ادبي ان ياخذ الشيء كله ، فلا بد من فوات بعض دقائق التاليف ، وهيهات ان يبلغ الانسان حد الكمال ، ولسوف نورد ما فات الدكتور الصلح وما اخطا فيه .

يمتاز هذا الكتاب على سابقيه مثل : اعلام العرب (احمد فارس الشدياق) لمحمد عبد الغني حسن ، واعلام الفكر العربي (احمد فارس الشدياق) لميخائيل صوايا وغيرهما ، يمتاز في ان صاحبه اخذ بالمقاييس العلمية الحديثة في البحث والتنسيق ، وذلك خلال سيرة واعمال احمد فارس ، فبحث في مناحيه اللغوية والادبية والسياسية والاجتماعية بسرد محكم واسلوب رصين . وبذا اصبح هذا الكتاب مستدركا قيما على جميع من كتب او الف حول احمد فارس الشدياق .

محمد عبد الغني حسن ، رغم بيانه المشرق وبحثه الممتع في كتابه المذكور فاتته اشياء واشياء ، وحسبنا ان نذكر نواقصه في الاطلاع على الوثائق والسجلات المنوطة بالشدياق ثم ايضا الاطلاع على مجاميع جريدة الجوائب دون الاكتفاء بمجلدات « كنز الرغائب » كما فعل ، فهذه المجموعة هي منتخبات ورشفات من انهر الجريدة ، وتقف عند منتصف السبعينات اما ما بعدها لبضع سنين من باقي عمر الجريدة فليس من ذكر له ولا بد من تتبع مسارها . وللاستاذ محمد عبد الغني حسن العذر كل العذر ، فهو مصري يقيم في القاهرة بينما الدكتور عماد الصلح لبناني يقيم في بيروت ، وقد اتاح له قربه الاطلاع على المستندات والعثور على معظم مجلدات جريدة الجوائب فاربى على ما كتب غيره .

اما الاديب الاستاذ ميخائيل صوايا فكتابه كترسل وانشاء اكثر منه بحثا واستقراء ، فاهتمامه يصوغ العبارات والاطناب فيما كتبه الشدياق ليطفو كثيرا على دقة البحث وعمق التحقيق .

الكتاب

كتاب الصلح حول الشدياق ذو اربعة فصول كل منها يحتوي اقساما متفاوتة في الحجم ، وقد قدم له الدكتور جبور عبد النور .

تناول الفصل الاول سيرة الشدياق في جميع مراحل حياته . والفصل الثاني جريدة « الجوائب » فكرة تاسيسها والجو المحيط بها آنذاك، ثم عهد الاستقرار وبروز السمات الصحفية ثم كيفية تحرير الجريدة فمجادلات الجوائب ومناظراتها وافعالها . وفي الفصل الثالث تحدث عن اثار الشدياق ومدى تحقيقه كتب التراث واسلوبه في التحقيق . واخيرا في الفصل الرابع آراؤه الاجتماعية والسياسية ثم اتبع جميع هذا بفهرست مفصل بالمراجع .

وقبل التعليق على هذه الفصول ، لا بد من كلمة شكر ازجيها من الاعماق للدكتور الصلح على ما بذل من جهد في مؤلفه ، واخص بالشكران على ذكره في بعض اقسام الفصول ومراجعها الوالد الشيخ رسول النجاري الاديب المنسي ، الذي زامل احمد فارس وابنه سليم بضعة عشر عاما ، وقد وضع الدكتور الصلح مجلة الاديب عدد فبراير ١٩٧٨ في مختتم مراجعه وبين هذا في مكان اخر من المراجع فاستند الى مقالي الذي تفضل الاخ الجليل الاستاذ البير واستهل به العدد المذكور وعنوانه (احمد فارس الشدياق وقصيدتان مخطوطتان لـه) .

سيرة الشدياق شيقة زادها الصلح سناء بابرازه ما خفي من وقائع واثبت للمرة الاولى ان ولادته كانت سنة ١٨٠١ وهذا هو الصحيح في راينا ، بينما قرر الاخ الاستاذ عبد الغني حسن عام ١٨٠٥ ، تاريخا لميلاده واعتمدت اعلام المنجد عام ١٨٠٤ ويكون من تتمة السيرة تحليل نفسي لشخصية الشدياق وهذا ما قصر فيه الصلح .

وفي الفصل الثاني تحدث المؤلف عن جريدة الجوائب وميزته في حديثه كما اشرنا انه تتبع الكثير من مجريات امور الجريدة من اعداد الجوائب ذاتها وليس كما فعل غيره في كتبه بوفصول تتحدث عن كتابة الشدياق واحواله مستقاة من منتخبات الجريدة عبر اجزاء « كنز الرغائب » وقد اكد الدكتور الصلح ريادة الشدياق للمقالة وكان قد قال بهذه الريادة معظم من كتب او الف حول احمد فارس .

في القسم الرابع من الفصل الثاني مجادلات الجوائب ومناظراتها ود بين الصلح ان جدليات الجوائب ناشئة في العادة من موقف سياسي كالمجادلة مع صحيفة « برجيس باريس » ثم في اواخر سني الجوائب مع « الاعتدال » لصاحبها احمد فدري المترجم لدى السلطان ومحررها « يحيى الشلاوي بسبب تهجمه على خديوي مصر فتولى منازلته في الجوائب احد الكتاب البارزين فيها الشيخ رسول النجاري » او من بحث لغوي كما حدث للشدياق مع ابراهيم اليازجي وكان هذا اشهر جدليات الشدياق ، او من خطا غير مقصود : مع جريدة ثمرات الفنون لصاحبها الشيخ عبد القادر القباني وكان الوالد الشيخ رسول النجاري ممن اشترك في هذه المعمعة حسبما اطلعت عليه في بضعة اعداد ممزقة من الجوائب بقيت لدينا .

وذكر الصلح آخر عدد من الجوائب وما جاء فيه ، ولم يؤكد حقيقة اقفالها هل كان تلقائيا ام بامر من السلطان والثاني هو الثابت والاكيد وكانت تحدثني به المرحومة اختي لابي ، وخلافا لما ذكرت في احد اعداد الاديب فان والدي استمر في الجوائب حتى يوم ايقافها النهائي .

في الفصل الثالث تناول المؤلف الدكتور الصلح اثار الشدياق في مطبوعات الجوائب ، وقد اسهب في تحقيقه الكتب واسلوبه في التحقيق والكتب التي حققها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريه : ٥٠ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٣٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ١٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٣٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir. 223819
☎ المنزل : ٢٢٥١٣٩ Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ـ١١

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

ألبير اديب

هنا وبصفتي احد المطلعين على دقائق الامور وبما لدي من عناصر الاثبات ، يحق لي النقد والاعتراض ، فبعد ان عرف الدكتور الصلح التحقيق بانه « فن بلا علم دقيق يتطلب كفاءات متعددة كما يعلم بعض القراء » واستشهد بمقطع للاستاذ عبد السلام هارون في كتابه « تحقيق النصوص ونشرها » !!

اقول انه قد اتسع نطاق التحقيق بعد الشدياق وفي زمننا هذا اصبح محقق الكتاب يشرح ويعلق ويأتي بتراجم الرجال ويقارن النسخة المخطوطة بغيرها ثم بما جاء في امهات الكتب ، وينسق الفهرست ويبوب المراجع ويأتي بقائمة الاعلام حسب احرف الهجاء . وجل هذا ان لم يكن كله ليس متوفرا لدى الشدياق ومعاوني الشدياق وهذه قولة حق خالية من التحيز والمجاملة . ثم يقول الدكتور الصلح :

« يمكن تقسيم هذه الكتب المطبوعة في الجوائب من حيث العلامات الفارقة الى قسمين :

القسم الاول : الكتب التي حققها معاونو الشدياق وقد ذكروا اسماءهم صراحة في خاتمة كل كتاب كالشيخ يوسف النبهاني في مقامات بديع الزمان وامثال العرب للمفضل الضبي وديوان العباس بن الاحنف ثم الشيخ رسول النجاري في ديوان الطغرائي .

والقسم الثاني : الكتب التي هي غفل من الاسماء واننا نرجح اشبه القطع انها من تحقيق الشدياق » .

ولقد تجاوز شبه القطع الى القطع حين اورد احد الكتب خلال سرده المراجع فقال ما نصه :

« البحتري ـ ديوان البحتري تحقيق الشدياق الاستانة ١٨٨٢»

ولسوف نبين الخطأ الفادح في نسبة هذا التحقيق حين الكلام عن ديوان البحتري .

اعتراضنا على تقسيمه يتلخص في امور ثلاثة :

اولا : ليست جميع الكتب التي هي غفل من اسم مصححها او محققها كما يرى الدكتور الصلح ـ هي للشدياق فمعاونوه ومنهم الوالد وهم علماء افاضل لهم النصيب الاوفر في التصحيح او التحقيق. دليلي على هذا اعتراف الشدياق نفسه في ابيات من قصيدة جوابية بعث بها الى والدي ونشرت في « الاديب » خلال مقالنا بعدد فبراير ١٩٧٨ اذ يقول :

دم يا رسول المعاني تستبين لنا ... من معجزات المعاني زينة الكتب
لانت فخر لنا والناس تعلم ذا ... وليس ينكره الا عم وغبي
ولا تؤاخذ شبيخا بالقصور عن ... الاطراء فهو اسير الهم والوصب

ثانيا ـ ورد الاسم الصريح للشدياق في خواتيم بعض الكتب المطبوعة في الجوائب مثالها : « حسن الاسوة فيما ثبت من الله ورسوله في النسوة » للعلامة صديق حسن خان ملك بهوبال في الهند ، وهو الكتاب الذي تاخر طبعه وطالت قصة نشره حسبما شكا المؤلف للوالد في رسالة بعث بها اليه ـ وهي محفوظة لدينا ـ رغم المال المرسل الى الجوائب .

لقد كتب الشدياق في خاتمة « حسن الاسوة » ما نصه « يقول الفقير الى ربه مولى المواهب احمد فارس منشىء الجوائب » الخ .. في تقريظ مسجوع ومدح للامير وتمداد لكتبه . وقد ضم الشدياق الى الكتاب مجموعتين احداهما للشريف المرتضى ـ الشهاب في الشيب والشباب ـ والثانية منسوبة للجاحظ ـ سلوة الحريف في المناظرة بين الربيع والخريف ـ هذه المجموعة الثانية مسجوعة من اولها الى اخرها ، وما كان الجاحظ ساجعا الا فيما ندر وفي عبارات عابرة ، ثم انه وردت في هذه المجموعة ابيات لابن المعتز وللسلامي وغيرهما مع ذكر الكنى الصريحة لهم ، والاول ـ ابن المعتز ـ كان عمره سبعا حين توفي الجاحظ والثاني ـ السلامي ـ شاعر غزلي متهتك عاش في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة ، وقد تبع الشدياق ناسخ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المخطوطة في النسبة وأتى بترجمة وافية لعمرو بن بحر الجاحظ .

ثالثا ـ وهنا بيت القصيد بالنسبة لي ، اذ ليست جميع الكتب التي هي غفل من الاسم الصريح للمحقق هي للشدياق ، فديـــوان البحتري مثلا الذي نسبه الدكتور الصلح في التحقيق الى الشديـاق وارتاى انه احد الكتب الرفيعة التي خص الشدياق نفسه بها . هذا الديوان ليس من تحقيق الشدياق البتة انه من تصحيح وتنقيح الشيخ رسول النجاري .

يقول الوالد في كتابه المخطوط : « الجواهر الغالية الاثمـان في الرحلة الى دار خلافة آل عثمان » ما نصه : « وهذا تقريظ يزدري بعقد الجيد ، قرظت به ديوان البحتري الشاعر المفلق المجيد ، حينما صححته ، ونمقته للطبع ونقحته ، الا انه ميز يومئذ عن الديوان ، كما درجته جريدة البيان ، وجاءت به في العدد الثامن والثلاثين ، حيث قالت رغم انف القالين :

« بعث الينا حضرة العالم الفاضل والكاتب الكامل ، رب الفصاحة والعرفان ، وسحبان بلاغة العصر والاوان حضرة الشيخ رسول افندي النجاري هذه الرسالة المنسجمة متبوعة بتقريظ نمقه يراعـه عـلى ديوان البحتري الذي قد تولى حضرته تنقيحه ومناظرة طبعه قال حفظه الله : ويأتيك بالاخبار من لم تزود ـ العنوان ـ : « ابى الله الا ان تبزغ شمس الوجود في سماء الحقيقة ، وتتيه مخدراتها المصونة في عالم الكون بجمالها الباهر وبرودها الرقيقة ، ويبرز الدر المكنون من بحور الاسرار ، الى غور الصحف وتماط عن عرائس الادب الحجب والاستار الخ ... » ويقول الوالد في تقريظه الشعري :

ولقد بذلنا الجهـد في تصحيحه ... لغموضـــه بتفكـر وتدبـــر
افلامنـــا تجري على صحف له ... وقـت التصفح كالعتـاق الضمر
وتسترت عنـــا معـــان لا يرا ... ها غير اهل الكشف مثل البتستري
لله در البحتـــري اذ ازدرت ... حسنى معانيـــه بـــدر الابحر

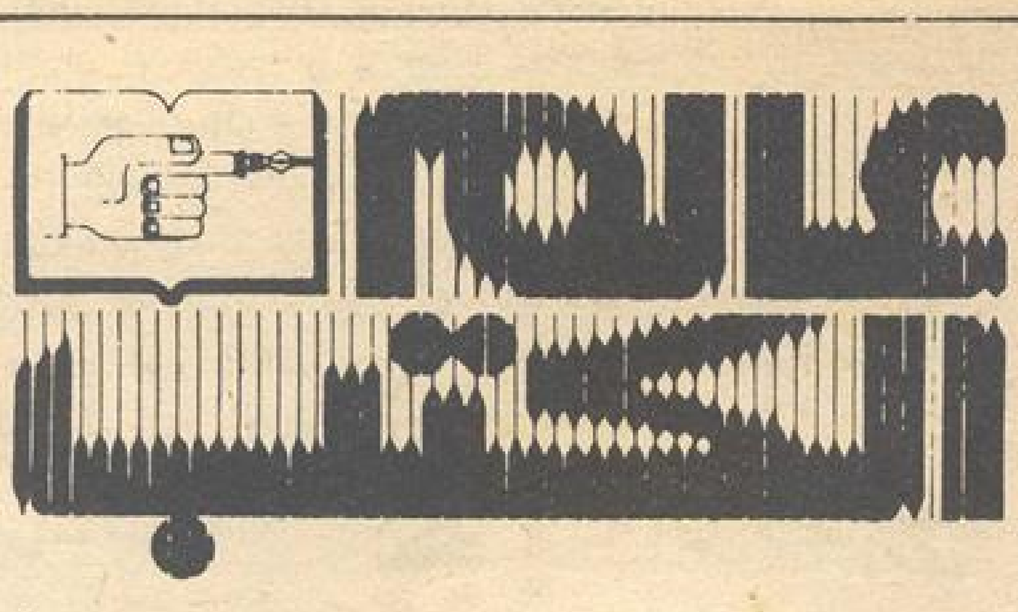
والعدد المذكور من جريدة البيان القاهرية لصاحبها يوسف شيث ما يزال بحوزتنا ، وكان الشدياق آنئذ وقد أربى على الثمانين اسير الهم والوصب حسب تعبيره ، وذكر الدكتور الصلح وطأة السنين عليه والكلل في عينيه حيث انسحب الشدياق تدريجيا من تحرير الجوائب واحتجب قلمه عن الصحيفة الا فيما ندر وتسلم المؤسسة ابنه سليم فادارها وادار تحريرها بارشاد الشيخ رسول النجاري لكن سطوة الاب ظلت مهيمنة على سياستها ، الا ان سليم لم يكن يجيد الكتابة فيما يبـــدو » .

وفي واحد من ثلاثة اعداد ممزقة من الجوائب بقيت لدينا ، نقلت الجوائب في ٤ جمادى الاولى ١٣٠٠ هـ مقالا لصاحب جريدة روضة الاسكندرية جاء فيه : « اننا على تمام العلم بأن حضرته ـ والحديث عن احمد فارس لـ معتزل تحرير الجوائب من بضع سنين وهو مـــا تاكدناه في مدة اقامتنا بدار السعادة » .

جميع هذا يجزم بعدم صحة تحقيق الشدياق لديوان البحتري . وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل .

في الفصل الرابع ابرز الدكتور الصلح مواهب الشدياق الفكرية في الاجتماع والاقتصاد ، ولئن كان القول المشهور لكل زمان رجـــال فلا شك ان الشدياق كان من رجال الفكر في القرن التاسع عشر في آرائه الاجتماعية فهو يكتب عن حرية الفرد وعن الدين والمجتمع ويعجـــب للحكومة البريطانية كيف تغض الطرف عن الحالة السيئة للفلاحـــين والصناع : « لا فرق بينهم وبين الهمج » وهو يرى ان حاجة الغني الى الفقير اكثر من حاجة الفقير الى الغني . وذكر الصلح ريـادة الشدياق في تحرير المراة ومساواتها مع الرجل في زمن كانت تضرب حولها الحجب والاستـــار .

وقد غدا الشدياق مشهورا بانتصاره للمراة واذا عد انصـــار



مجلة فصلية متخصصة
تهتم بالكتاب وقضاياه

المؤسسان :
عبد العزيز الرفاعي
عبد الرحمن المعمر

رئيس التحرير :
يحيى محمود ساعاتي

هذه المجلة للمشتركين فقط
لكي تشارك أرسل ١٠٠ ريال
عن سنة كاملة على العنوان التالي

دار ثقيف للنشر والتأليف
الرياض ـ ص.ب ١٥٩٠

المراة خلال الكتاب القلائل في العالم العربي في القرن التاسع عشر قد شك ان الشدياق يأتي في المقدمة وذلك فيما كتب عن تحرير المراة ومساواتها مع الرجل .

هذا غيض من فيض . وكتاب الدكتور عماد الصلح رغم ما اخذت عليه فيما فاته واخطا فيه وله العذر كل العذر وهيهات ان يبلغ انسان حد الكمال كما اشرنا . نقول ان كتاب الصلح بمجموعه يعد اثرا فيما ويدرج ضمن المظان الرئيسة لكتاب العالم العربي حين التحدث عن الشدياق جبار القرن التاسع عشر حسبما قال فيه اديب الشام الكبير شفيق جبري .

حمص ـ سورية **علي حيدر النجاري**

★ ★ ★

شجرة الحلم

شعر : حسين علي محمد ـ ٧٤ صفحة من القطع الصغير ـ سلسلة «المواهب» (٢) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ مايو ١٩٧٩

يضم هذا الديوان احدى عشرة قصيدة لم ينشر الشاعر غير ست قصائد في الجرائد والمجلات من هذه المجموعة . « شجرة الحلم » و « القاع» نشرتا في (الثقافة الاسبوعية) الدمشقية . « عودة الوجه الذي ... » نشرت بعنوان « المهرج » في (الكاتب) المصرية و (الشورى الليبية) و « التجربة » نشرت في مجلة (الشعر) المصرية و « الاميرة تنتصر » التي نشرت في مجلة (المختار الاسلامي) المصرية . و « السمان والخريف » وقد نشرت في جريدة (الوطن) في سلطنة عمان . اما قصائده : ليلة مع كليوباتره ، سيرة ذاتية للفناء على صهوة البرق ، وقد نشر العنوان « الفناء على صهوة البرق » وهذا يخالف اصول المقدمة التي كتبها د. علي عشري زايد ، وقبيل النهاية ، وثلاثة اصوات ، فهذه القصائد كلها لم تنشر من قبل .

وهذه المجموعة الشعرية ـ في نظري ـ هي افضل مجموعات حسين علي محمد الست التي صدرت حتى الان وهي :

١ ـ حوار الابعاد الثلاثة ـ طبعة اولى كتابات الغد ، القاهرة ١٩٧٧ . وطبعة ثانية في حلب ١٩٧٩ بعنوان « حوار الابعاد » .

٢ ـ السقوط في الليل ـ طبعة اولى ، ١٩٧٧ في القاهرة بمساعدة اتحاد الكتاب العرب بدمشق .

٣ ـ ثلاثة وجوه على حوائط المدينة ، كتابات الغد ، ١٩٧٩ ـ القاهرة .

٤ ـ شجرة الحلم (الذي نعرض له الان) .

٥ ـ اوراق من عام الرمادة ـ عن سلسلة « اصوات » عام ١٩٨٠.

٦ ـ عنترة والعاصفة ـ قصائد مختارة ـ كتابات الغد ـ ابريل ١٩٨١ .

وفي مجموعته « شجرة الحلم » نلاحظ امكانات درامية ضخمة في ثلاث قصائد : شجرة الحلم ـ الاميرة تنتصر ـ عودة الوجه الذي ...

وفي القصيدة الاولى نراه يتكيء على الموروث الاسطوري الاغريقي فيذكر « جو كاستة » و « اوديب » ولعل هذه هي القصيدة الوحيدة التي اتكأ فيها على التراث الاغريقي ، وقد اتجه بعد ذلك الى التراث العربي والاسلامي كما في قصيدة « الاميرة تنتصر » يقول د. علي عشري زايد عن هذه القصيدة في مقدمة الديوان :

« هي واحدة من اجود قصائد المجموعة التي اتكأ فيها على الموروث التاريخي ووظفه توظيفا رمزيا معاصرا يمتزج فيه المعاصر بالموروث ، والماضي بالحاضر امتزاجا فنيا رائعا ، وقد اختار الشاعر لحظة من اكثر لحظات موروثنا التاريخي اشراقا ونصاعة ، لتكون هي محور البناء الفني في القصيدة وهي معركة المنصورة التي حقق فيها الجيش المصري الايوبي المسلم بقيادة الملك الصالح ايوب ، ثم زوجته شجرة الدر وابنه تورانشاه من بعده ـ نصرا حاسما على الجيوش الصليبية بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ، حيث عادت هذه الجيوش تجر اذيال الخيبة والهزيمة بعد ان تكبدت الفدح الخسائر ، وبعد ان اسر قائدها لويس التاسع نفسه . وقد استغل الشاعر المعطيات التراثية لهذه اللحظة بمهارة فنية واضحة ، واستطاع ان يوحد بينها وبين معطيات الواقع المعاصر في رؤية شعرية شديدة الشفافية والعمق والبراعة ، ولا يكتفي الشاعر بمعطيات هذه اللحظة ، فيرفدها بمعطيات تراثية اخرى تزيد من نصاعتها واشراقها (مقدمة الديوان ـ ص ٢٠) .

اما قصيدته « سيرة ذاتية للفناء على صهوة البرق » فتكاد تكون ترجمة ذاتية تمتزج بمعاناة شديدة العمق للواقع . وتبدا بداية غنائية عذبة :

حوريات البحر ، اراهن
يبسمن ، ويضحكن ، ويتاودن
تتشقق ارضي العطشى
شوقا للري ، وللخصب
وانا ...
يقصيني عنهن الوهن
.. ويمنعني الحزن
اني عطشان
والدن الفارغ ملقى
في طرقات النسيان
حط على نافذة القلب العصفور

غرد في شوق امراة بيضاء
كانت هائمة ذات مساء
تبحث عن فرجة نور

ثم تاخذ الاصوات في التداخل ، صوت الشاعر ، الراقصة ، طبيعة القرية الخضراء .. الخ . وتتكون لوحة لهموم الشاعر التي تؤرقه ، والتي هي في نفس الوقت هموم الانسان المعاصر واحزانه التي تمثلها فقرات شعرية في اخر صفحات الديوان :

ابحث بين شجيرات جنينتنا
عن قمر يؤنسني
لكني لا اجد القمر ..
ولا ابصر غير الصمت يجالسني ..

ان صفحات الديوان القليلة ، وقصائده الاحدى عشرة تقدم لنا شاعرا فذا ، وشاعرية خصبة ..

★ ★ ★

عنترة والعاصفة

شعر : حسين علي محمد ـ ١٦ صفحة من القطع الكبير ـ سلسلة كتابات الغد ـ ابريل ١٩٨١ ـ القاهرة

تضم هذه المجموعة الشعرية اربع قصائد : « شجرة الحلم » وقد نشرت من قبل في مجلة « الثقافة الاسبوعية » مرتين عام ١٩٧٨ ، وفي ديوان يحمل نفس الاسم عن سلسلة « المواهب » التي تصدر في القاهرة ، و « مرثية نبي انفض انصاره من حواله » وقد نشرت في « صوت الشرقية » عام ١٩٨١ رغم انه كتبها عام ١٩٧٦ و « عنترة والعاصفة » وقد نشرت في « الثقافة الاسبوعية » الدمشقية عام ١٩٧٨ ، و « الثور العجوز » وهي قصة للاطفال نشرت في « الثقافة الاسبوعية » الدمشقية عام ١٩٧٨ . والشاعر لا يعتبر هذه القصائد مجموعة شعرية مستقلة ، وانما هي قصائد مختاره له نشرها في الحلقة الثانية من « سلسلة كتابات الغد » قبل ان تندمج في « اصوات » التي اصدرها منذ عام .

ولعل ما يميز هذه القصائد المختارة ـ باستثناء قصيدته الاولى شجرة الحلم ان هذه المجموعة تحمل هما سياسيا محددا . ثم تلتزم الرسالة والوضوح الشعري المحبب .

القاهرة **ماهر احمد علام**

ظهر حديثاً



● حفلة ازعاج ـ حكايات شامية ـ تاليف عبد الرحمن النابلسي ـ الرسوم الداخلية للفنان ابتسام شيباني ـ الخطوط للخطاط محمد قنوع ـ ٦٠٨ صفحات ـ دار دمشق لطباعة والنشر والتوزيع بدمشق.

● مجمع اللغة العربية الاردني ـ التقرير السنوي الرابع حول منجزات المجمع عام ١٩٨٠ ـ ٣٤ صفحة ـ منشورات مجمع اللغة العربيه الاردني ـ مطبعة الشرق ومطبعتها في عمان .

● دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر ـ تاليف الدكتور مصطفى عبد القادر النجار ـ ١١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية .

● فهرست المطبوعات العراقية ١٨٥٦ ـ ١٩٧٢ ثبت ببليوغرافي للكتب العربية التي الفها او نشرها العراقيون منذ دخول الطباعة للعراق ـ تاليف عبد الجبار عبد الرحمن ـ الجزء الاول ـ ٦٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية ـ مطبعة جامعة البصرة .

● فهرست المطبوعات العراقية ١٨٥٦ ـ ١٩٧٢ ـ تاليف عبد الجبار عبد الرحمن ـ الجزء الثاني ـ ٥٠٨ صفحات ـ حجم كبير ـ منشورات دار الرشيد للنشر وزارة الثقافة والاعلام العراقية ـ دار الحرية للطباعة في بغداد .

● رفع الحرج في الشريعة الاسلامية ـ تاليف الدكتور يعقوب عبد الوهاب الباحسين ـ ٧٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في الجمهورية العراقية ـ مطبعة جامعة البصرة .

● البصرة التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ـ تاليف الشيخ محمد ابن العلامة الشيخ خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي ـ ٤٢٨ صفحة ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● العراق والسياسة العربية ١٩٤١ ـ ١٩٥٨ ـ تاليف الدكتور جهاد مجيد محي الدين ـ ٤٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ـ مطبعة الارشاد في بغداد .

● دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام : تاريخ الدولة الجنوبية في اليمن ـ تاليف الدكتور منذر عبد الكريم البكر ـ ٤٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة جامعة البصرة ـ العراق .

● الجغرافيا الاقتصادية لجزر البحرين ـ تاليف الدكتور احمد رمضان شقلية ـ ٦٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ـ مطبعة الارشاد في بغداد .

● المدخل لاثار الخليج العربي ـ تاليف رضا جواد الهاشمي ـ ٢٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ـ مطبعة الارشاد في بغداد .

● علم الدلالة ـ تاليف جون لاين استاذ علم اللغة في جامعة سكس ـ ترجمة مجيد عبد العليم الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسين باقر ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع على نفقة جامعة البصرة ـ مطبعة جامعة البصرة .

● المراسل الحربي والاعلام العربي ـ تاليف عبد الغني عبد الغفور ـ ٦٤ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي ـ مطبعة الارشاد في بغداد .

● فعلت وافعلت لابي حاتم السجستاني المتوفي سنة ٢٥٥ هـ ـ حققه ودرسه الدكتور خليل ابراهيم العطية ـ ٢٤٢ صفحة ـ ساعدت جامعة البصرة على نشره (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة البصرة ـ اعداد عبد الجبار عبد الرحمن ومجبل لازم مسلم ـ ٢٤٢ صفحة ـ حجم موسوعي ـ جامعة البصرة ـ امانة المكتبة المركزية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابو بكر الشبلي ـ مسرحية شعرية ـ تاليف عدنان مردم بك ـ ١٤٢ صفحة ـ منشورات مؤسسة الرسالة ـ صدر في بيروت لم يذكر اسم المطبعة .

● لا .. واموت فداك ـ شعر ـ عبد الكريم دندي ـ صمم الغلاف رياض كجك ـ ٨٠ صفحة ـ نشر بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب في دمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● لا ربح في موسم الحصاد ـ مجموعة قصص ـ تاليف زيد خلوصي ـ ١٤٦ صفحة ـ مطبعة الحوادث في بغداد .

● محمود بن الحسين البغدادي المعروف بابي الفتح كشاجم في اثاره واثار الدارسين ـ تاليف الدكتورة ثريا ملحس ـ ٨٧٨ صفحة يضاف اليها عدة لوحات لمخطوطات المؤلف المختلفة ـ نشر وطبع دار الكتاب اللبناني في بيروت .

● امام الصابرين ، احمد بن حنبل ـ تاليف عبد العزيز السند ـ ١٢٠ صفحة ـ سلسلة المكتبة الصغيرة رقم ٣٣ ـ مطابع الروضة في جدة السعودية ـ دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع في الرياض .

● المتنبي والقرامطة ـ تاليف الدكتور محمد محمد حسين استاذ الادب العربي ـ ١١٨ صفحة ـ سلسلة المكتبة الصغيرة رقم ٣٤ ـ مطابع الروضة في جدة ـ دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع في الرياض .

● النثرة والقصيدة المضادة ـ تاليف محمد ياسر شرف ـ ٢١٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات النادي الادبي بالرياض ـ مطابع الفرزدق التجارية بالرياض .

● دليل الحيران وانيس السهران في اخبار مدينة وهران ـ تاليف محمد بن يوسف الزياني ـ تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي ـ ٣٠٢ صفحة ـ حجم كبير ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والمكتبة الوطنيه الجزائرية في الجزائر ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مخطوطات فضائل بيت المقدس ـ تاليف الدكتور كامل جميل العسلي ـ ١٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجمع اللغة العربيه الاردني ـ صدر في عمان ولم يذكر اسم المطبعة .

● خزائن كتب كربلاء الحاضرة ـ تاليف سلمان هادي الطعمه ـ ٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة القضاء في النجف الاشرف بالعراق .

● ذكرى فقيد آل طعمة السيد محمد هادي آل طعمة ١٣٢٣ هـ ـ ١٣٩٦ هـ ـ اصدار لجنة التابين ـ ٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة القضاء في النجف الاشرف .

● الشاعر فارس بطرس ، البرازيل ، نفحات من شعري ـ اختارها وقدم لها نعمان حرب ـ ١٤٤ صفحة ـ سلسلة قبسات من الادب المهجري ـ مطبوعات دار الثقافة في دمشق ـ مطبعة سوريا بدمشق .

● هاجس من عبقر ـ شعر ـ فريد عقيل ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة في دمشق ـ مطبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق .

● المجموعة الشعرية الكاملة لصفاء الحيدري ـ ٥٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ صدر في بغداد ـ لم يذكر اسم المطبعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور احمد الحفناوي

أشهر الكليات الطبية في تاريخ المسلمين

بقلم الدكتور احمد الحفناوي
مدرس التاريخ الاسلامي في جامعة المنوفية

* * *

تعتبر حرفة التطبيب من اخطر الحرف ، لارتباطها بحياة الانسان ولفداحة الضرر الذي قد يصيب الحياة اذا احترفها من هو ليس اهلا لها وقد ادرك المسلمون الاقدمون خطورة هذا الوضع فبذلوا جهودهم في مراقبة هذه المهنة والعناية بالمشتغلين بها، واهتم فقهاؤهم بدراسة مسؤوليات الطبيب من وجهة النظر الشرعية ، والشروط الواجب تحققها فيمن يتصدى لها وتحديد العقوبات والجزاءات اللازمة لردع الدخلاء والمشعوذين .

كذلك عني ولاة الامور من الخلفاء والامراء والسلاطين بنشر الثقافة الطبية عن طريق ترجمة ما توارثوه عن الامم السابقة في هذا الفن وانشاء العديد من المعاهد الطبية .

وقد عرف التعليم الاسلامي نوعين من الكليات الطبية هما :

١ ــ البيمارستانات او ما يمكن ان يسمى بالكليات العملية للطب .

٢ ــ المدارس الطبية النظرية (١) .

اولا : البيمارستانات :

البيمارستان في مصطلح حضارة الاسلام ، هو المستشفى في لغة اليوم .. وكانت هذه البيمارستانات بمثابة الكليات الطبية العملية الحديثة (الاكلينيكية) . وقد اتخذ منها المسلمون كليات طب تؤدي جليل الخدمات في هذا المضمار، وكان لها على الانسانية بوجه عام والتقدم الطبي الحديث بوجه خاص فضل لا ينكر . ولقد كانت خيمة الرسول صلى الله عليه وسلم التي كانت في مسجده بالمدينة يوم الخندق اول بيمارستان في تاريخ الاسلام .. فقد جعل عليه السلام في هذه الخيمة امراة تسمى « رفيدة » لتقوم بمداواة الجرحى وخدمة المصابين (٢) .

وان كان للمقريزي رواية تقول : ان اول من بنى البيمارستانات في الاسلام هو الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي (سنة ٨٨ هـ ــ ٧٠٦ م) حيث جعل فيه الاطباء لعلاج المرضى .. كذلك امر بحبس المجذومين واجرى عليهم وعلى العميان الارزاق (٣) .

ويقال ان كسرى الاول انشأ بيمارستان جنديسابور بخوزستان . ومدرسة طبية تابعة له ، وجلب له الاطباء والمعلمين من اليونان ، وان العرب منذ قبل الاسلام كانوا يعرفون الكثير عنه واستمدوا اطباءهم منه ، وقد تخرج فيه « الحارث بن كلدة » وابنه النضر وكان ابن اثال الطبيب النصراني الجنديسابوري طبيب معاوية بن ابي سفيان وابي الحكم وحكم الدمشقي وتياذوق وغيرهم من الاطباء الذين عملوا به .. وقد عمل اثنا عشر طبيبا من اطباء جنديسابور اشهرهم جرجيوس بن بختيوشع واولاده في خدمة العباسيين .

ويرى بعض الباحثين ان هذه المدرسة على الرغم من قدوم بعض الاطباء منها الى الشام وبعض اجزاء شبه جزيرة العرب لم يكن لها اثر واضح في قيام مدرسة طبية خلال عصر الامويين .. ولكن العناية بها لم تبدأ الا في اوائل حكم بني العباس .. فقد راينا الخليفة ابو جعفر المنصور في سنة ١٤٨ هـ يستشير عميد اطباء تلك المدرسة وكان جرجيوس بن بختيوشع ، ويدعوه الى بغداد وبقيت اسرة بختيوشع طوال ثلاثة قرون تتمتع بنفوذ ومكانة لدى الخلفاء، وكان آخر ابناء هذه الاسرة هو علي بن ابراهيم بن بختيوشع الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (٤).

وقد استمرت مدرسة جنديسابور تتمتع باهمية خاصة الى ان هجرها كبار اطبائها الى بغداد بحثا عن الشهرة والمكانة في قصور الخلفاء والوزراء وغيرهم من اصحاب النفوذ في العصر العباسي .

ومن الامور الواضحة ان البيمارستانات لم تتخذ جميعا في هذه العصور مجالا للتعليم ، بل ان بضعها كان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دوره علاجيا فقط ، وسوف اتناول في هذا البحث المتواضع بعض البيمارستانات التي كان لها شهرة في ميدان التعليم الطبي عند المسلمين .

بعض البيمارستانات في عالم الاسلام

لم يصبح للبيمارستانات اهمية حقيقية الا في العصر العباسي ، ولم يكن اهتمام الامويين بالمنشآت التعليمية قويا نظرا لغلبة البداوة على الدولة .. يضاف الى ذلك ان البيمارستانات التي اسست في النصف الاول من الدولة العباسية ينتاب تاريخها الابهام والغموض « فنحن لا ندري ما صار اليه بيمارستان الرشيد الذي انشاه سنة ١٧١ هـ (٧٨٦ م) في بغداد وحتى اوائل القرن الرابع الهجري لا تكاد تسمع عن اي منشآت طبية اخرى فيما خلا بيمارستان انشاه بدر مولى الخليفة المعتضد في القرن الثالث ولعل السبب في ذلك انتقال العاصمة الى سر من راى التي اصبحت مركز الخلفاء (٥) .

وفي اوائل القرن الرابع الهجري يشير سنان بن ثابت على الخليفة المقتدر بالله العباسي ان يتخذ بيمارستانا ينسب اليه فأمره باتخاذه فاتخذه له في باب الشام من محلات بغداد سنة ٣٠٦ هـ ، وكان ينفق عليه في كل شهر مائتي دينار .. واسماه :

١ ـ البيمارستان المقتدري :

ولقد خدم في هذا البيمارستان عدد من مشاهير الاطباء منهم : يوسف الواسطي الطبيب وجبريل بن عبيد الله بن بختيوشع الذي لازم العلاج والتعليم به وتوفي سنة ٣٩٦ هـ وكان قد اقام ببغداد قبل ذلك ثلاثين سنة (٦) .

٢ ـ البيمارستان العضدي ببغداد

انشاه عضد الدولة بن بويه سنة ٣٦٨ هـ (٩٧٨ م) ، وتم افتتاحه في صفر سنة ٣٧٢ هـ ، وكان في القطاع الغربي لبغداد ، وقد اقام فيه الوكلاء والخدم ونقل اليه العقاقير وجعل فيه اربعة وعشرين طبيبا منهم ابو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس الذي كان يدرس الطب فيه ، وكان يجيد الترجمة عن السريانية وابو الحسن علي بن كشكرايا ، وكان اول امره في خدمة سيف الدولة الحمداني ونظيف الرومي ، وكان ينقل عن اليونانية الى العربية وابو الفرج بن الطيب وكان فيلسوفا عني بشرح كثير من كتب ارسطو في المنطق وكتب جالينوس في الطب ، وكان يدرس الطب في هذا البيمارستان وهو معاصر للشيخ الرئيس بن سيناء ومن تلاميذه : المختار بن الحسن وابن بدروج والهروي وغيرهم من اعلام الطب في الاسلام ، وتوفي سنة ٤٣٥ هـ .

ومما هو جدير بالملاحظة انه قد قام بادارة هذا البيمارستان على التعاقب جماعة من الاطباء غير المسلمين منهم ابو الحسن بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي ، وامين الدولة بن التلميذ المتوفى سنة ٥٦٠ هـ ، وابو بكر بن المارستانية المتوفي سنة ٥٩٩ هـ .

ويتضح من هذه القائمة مقدار عدم التعصب الذي كان سائدا في ذلك العصر (٧) ويعتبر هذا البيمارستان من اكبر الكليات الطبية في بغداد .. كذلك فانه ظل باقيا حتى الغزو المغولي سنة ٦٥٦ هـ ، فأصبح اثرا بعد عين وبعد ان خرج مجموعة عديدة من مشاهير الاطباء كان لهم مكانا للتعلم والعمل .

٣ ـ البيمارستان المنصوري الكبير بالقاهرة

انشاه الملك المنصور سيف الدين قلاوون من ملوك المماليك البحرية ، وقد تسمى ايضا بمارستان قلاوون كما اطلق عليه : دار الشفاء ..

ويذكر المقريزي : « انه في سنة ٦٨٣ هـ نجزت عمارة المارستان الكبير المنصوري والمدرسة والقبة ، ولما كملت عمارته وقف السلطان عليه من املاكه القياسر والرباع والحوانيت والحمامات والفنادق والاحكار وغير ذلك من الضياع بالشام ما يحصل ريعه غلات كثيرة في كل شهر ، وجعل اكثر ذلك على البيمارستان ثم القبة ، ولما تم ذلك ركب السلطان اليه وجلس به واعلن انه اوقفه على الملك والملوك والكبير والصغير والحر والعبد والذكر والانثى ، وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ، ومن مات جهز وكفن ودفن ، ورتب فيه الحكماء بأنواعهم المختلفة والفراشين لخدمة المرضى وخزائن وصيدليات للادوية التي توزع بالمجان على المرضى ... وجعل فيه مكانا لالقاء محاضرات في الطب ينتفع بها الطلبة واباح للمرضى في بيوتهم ان يطلبوا الدواء من البيمارستان ونظم ادارته تنظيما دقيقا بارعا (٨) .

لقد كان هذا البيمارستان اعظم الكليات الطبية وايضا المستشفيات خلال العصور الوسطى في مصر .. ولا شك في ان وجود مثل هذه المؤسسات الصحية والتعليمية والاجتماعية في هذا العصر وعلى هذا المستوى ليدعونا الى الاعزاز والاعتزاز بهذه الحضارة المثمرة .. الحضارة الاسلامية .

لقد كان هذا الرقي العظيم نتيجة طبيعية لما كان يحرص عليه الحكام في هذه المرحلة من التاريخ من العمل على زيادة دخل الرعية عامة حتى تمتع العامة والخاصة بدرجات متقاربة من رفاهية الحياة .

ولما عين مجلس الشرع الشريف بالقاهرة الامير عبد الرحمن كتخدا ناظرا على وقف المنصور قلاوون ، جدد الامير في سنة ١١٧٥ هـ البيمارستان المنصوري والمدرسة ، وممن قاموا بالتدريس فيه :

١ ـ الشيخ ركن الدين بن القوبع التونسي الاصل ، المولود في سنة ٦٦٤ هـ ، وكان رجلا واسع الثقافة يجيد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحديث والاصول والفقه والادب واللغة والعروض والشعر، اضافة الى الطب وكان يعتمد كثيرا في تدريسه على كتاب الشفاء لابن سينا وقد توفي سنة ٧٣٨ هـ .

٢ ـ عمر بن منصور بن سراج الدين البهادري القاهري الحنفي ، المولود سنة ٧٦٢ هـ ، وكان يشتغل بالفقه والعربية والطب وقام بتدريس الطب ايضا في جامع بن طولون وتوفي سنة ٨٢٤ هـ .

٣ ـ عبد الوهاب بن محمد الشاوي القاهري ، المولود بالقاهرة سنة ٧٦٦ هـ ، وكان طبيبا في امراض العيون ومحبا لطلابه خيّرا ذا ثروة لا ينتفع الا بالقليل منها ، وينفق ما تبقى في اوجه الخير وتوفي سنة ٨٥١ هـ .

٤ ـ مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري الطبيب وكان رئيسا للاطباء بدار الشفاء ومشيخة الطب بعد شهاب ابن الصائغ في مصر ، وقد ألف : قاموس الاطباء وناموس الالباء في المفردات ، ويرجح انه كان لا يزال على قيد الحياة سنة ١٠٤٤ هـ ، ولا يعرف تاريخ وفاته .

٥ ـ الشريف السيد قاسم بن محمد التونسي ، وقد تولى تدريس الطب بالبيمارستان ومشيخة رواق المقاربة بالازهر مرتين ، وقد توفي سنة ١١٩٣ هـ (١٧٩٧ م) ... وهو يعتبر آخر اطباء واساتذة البيمارستان المنصوري .. حيث أهمل هذا البيمارستان بعد وفاته (٩) .

ثانيا : المدارس الطبية النظرية :

مما لا شك فيه ان الطب كان يدرس نظريا في العديد من المعاهد كالمساجد التي كانت تدرس بها كافة العلوم الدينية والانسانية ما دامت لا تتعارض مع تعاليم الاسلام ، وقد ذكرنا آنفا ان عمر بن منصور البهادري المتوفى سنة ٨٢٤هـ كان يدرس الطب في جامع ابن طولون كذلك قام عبد اللطيف البغدادي بهذه المهمة في الجامع الازهر منذ اواخر سنة ٥٨٢ هـ .. وكان يستمر في مهمته من اول النهار الى الساعة الرابعة ووسط النهار .. واذا جاء الليل كان يحضر للقيام بهذه المهمة بدلا عنه قوم آخرون .. ويذهب هو للقراءة والمطالعة لنفسه (١٠) .

وكذلك كان محمد بن عبد الله المصري المتوفي سنة ٧٧٢ هـ يقوم بتدريس هذا العلم بالجامع الطولوني .

ولا يفوتنا ان نذكر في هذا المجال ان الطب ـ في هذا العصر ـ كان من العلوم الفلسفية او الحكمية .. حيث كان يقصد من هذه العلوم آنذاك كافة العلوم المادية والعقلية .

كان الكثيرون من الفلاسفة يهتمون بدراسة الطب ، فالفارابي تعلمه وان كان لم يمارسه اما ابن سينا فقد ذاعت شهرته فيلسوفا وطبيبا .

ولما كانت الحكومات الاسلامية السنية لا ترغب في دراسة الفلسفة فقد حرمت الدراسات الفلسفية من التشجيع والعناية .. فلجأ المشتغلون بها الى تدريسها في منازلهم لمن يرونه محبا للفلسفة .. وكان من الطبيعي ان تتخلل هذه الدراسة دروس في الطب النظري اي انها كانت بمثابة نوع من التعليم الخاص ، على ان البيئات الشيعية من العالم الاسلامي شهدت معاهد للثقافة الفلسفية . وظلت الدراسة الطبية النظرية تتوزع بين المساجد والدروس الخاصة حتى ظهرت المدارس وكان لها اثرها الكبير في تطور تدريس الطب ، فظهرت مدارس طبية على غرار المدارس الفقهية ومدارس الحديث ، وان كانت قليلة حيث لم تنل الانتشار الذي لقيته مدارس الفقه والحديث « ولعل ذلك راجع الى ان الطب من العلوم التجريبية التي لا تصلح امثال تلك المعاهد لدراسته دراسة علمية صحيحة ، ولذا ظلت البيمارستانات هي الكليات الطبية المفضلة » (١١) ، وكان منشأ هذا النوع من المدارس الطبية في بلاد الشام ولا يكاد الباحث يجد لها وجودا خارج الشام .. واهم مدرسة طبية نظرية فيه هي :

المدرسة الدخوارية بدمشق

اسسها الشيخ الامام مهذب الدين ابو محمد عبدالرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار الذي ولد ونشأ بدمشق ، « كان طبيبا لامراض العيون (كحالا)، واستاذا بالبيمارستان الكبير النوري وتتلمذ عليه العديد من الاطباء الدمشقيين وقد جعل داره مدرسة للطب ووقف ضياعا واماكن عديده وتوفي في صفر سنة ٦٢٨ هـ ، وقد تم افتتاح الدراسة الدخوارية في ١٢ ربيع الاخر سنة ٦٢٨ هـ (١٨ فبراير سنة ١٢٣٠م) فحضر الحكيم سعد الدين ابراهيم بن عبد العزيز والقاضي شمس الدين الخوايتمي والقاضي جمال الدين الخورستاني والقاضي عز الدين السيخاري ومجموعة من العلماء والفقهاء والحكماء ، وقام بتدريس الطب فيها الحكيم شرف الدين ابو الحسن الرحبي واستمر في اداء هذا العمل سنين وتوفي سنة ٦٦٧ هـ .

هذا وهناك العديد من الحكماء الذين قاموا بالتدريس في هذه المدرسة بعد الرحبي ، نذكر منهم :

الحكيم بدر الدين المظفر بن قاضي بعلبك الذي كتب له منشور من قبل الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين ممدود بن الملك العادل برياسته على سائر الحكماء في صناعة الطب وتعيينه مدرسا للطب في مدرسة الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المعروف بالدخوار سنة ٦٧٧ هـ .

ومنهم ايضا عماد الدنيسري ومحمد بن عبد الرحيم ابن مسملة كمال الدين الطبيب المتوفي (سنة ٦٩٧ هـ) ، وعز الدين بن السويدي الذي كان يتقن العربية ويجيد الشعر ايضا الى جانب قيامه بتدريس الطب في هذه المدرسة (١٢) .

هذا وقد اثبت نوبرجير وهو مؤرخ لعلم الطب : ان تنظيم المستشفيات هو احد المستحدثات الجميلة للثقافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفـــراغ

.. من انت ؟ لا طيب ولا امل ... ملل تثاءب ملاه الملل
شكوى من الدنيا ونعمتها ... وشجى ثقيل الوقع متصل
الورد في كفيك مكتئب ... والضوء في عينيك معتزل
ماتت على شفتيك ذابلة ... في صمتها الاحلام والقبل
تلك الخلايا جف ملمسها ... لا شمعها شمعا .. ولا العسل
يا غرسة ما اثمرت ثمرا ... يا فكرة اعيا بها الجدل
غنيت باسمك فانزوى نغمي ... حيران ضاقت دونه السبل
ذاك المر حسبته ظلا ... في الدمع يطفو فوقه طلل
ركد الخيال على جوانبه ... كالعنكبوت اصابه الشلل
حركته فانهال في شجن ... وتركته فخبا به الكسل
هذا الفراغ كأنه جمل ... لا تنتهي .. تفنى بها الجمل
.. وامر في عينيك .. لا صور ... تزهو .. ولا رؤيا .. ولا امل

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاسلامية (١٣) . ولم ينس العباسيون ان يدعوا الى عقد المؤتمرات الطبية التي كان يجتمع فيها الاطباء من كافة البلاد في موسم الحج حيث يعرض الاطباء نتائج ابحاثهم ، ويعرضون نباتات البلاد الاسلامية ويصفون خواصها الطبية واصبحت بغداد في الشرق من اهم مراكز الثقافة الطبية (١٤) .

وهكذا يتضح ان العرب والمسلمين كانوا يحتلون مكانا مرموقا في ميدان التعليم والثقافة الطبية ، وظلوا على راس المعرفة الطبية قرابة نصف قرن .

(١) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى: ص ١١٧ .
(٢) احمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الاسلام : ص ٩ .
(٣) المقريزي : ج ٤ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .
(٤) د. عبد الرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية .. ص ٥٦ ، نقله عن : مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد .
(٥) احمد عيسى : نفس المرجع ص ١٧٨ .
(٦) احمد عيسى : نفس المرجع ص ١٨٣ ، محمد عبد الرحيم غنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ، ص ١٢١ .
(٧) د. عبد الرحمن بدوي : نفس المرجع ص ٩٣ ، نقله عن مايرهوف ، نفس المصدر .
(٨) المقريزي : نفس المصدر ، ص ٩٩٨ ، محمد عبد الرحيم غنيمة ، نفس المرجع ص ١٢٣ .
(٩) احمد عيسى ، المرجع نفسه ، ص ١٦٦ ، محمد عبد الرحيم غنيمة ، المرجع نفسه ص ١٢٥ .
(١٠) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٤٧٥ .
(١١) محمد عبد الرحيم غنيمة : المرجع نفسه ص ١٢٦ .
(١٢) احمد عيسى : المرجع نفسه ص ٤٠ ـ ٤١ ، محمد عبد الرحيم غنيمة ، المرجع نفسه ص ١٢٨ .
(١٣) جاك . س. ريسلر : الحضارة العربية ص ١٩٦ .
(١٤) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي : ج ٢ ص ٣٥٠ .

جامعة المنوفية ـ مصر — احمد البهي الحفناوي

جئت في موكب من الخلد ضافٍ

لشاعر الاهرام
محمد عبدالغني حسن
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

القصيدة التي نظمها الشاعر لتلقى في المؤتمر العالمي للحضارة العربية الاسلامية بدمشق

صانك الله يا دمشق الحضاره ... جاءك الشعر باسطا اعذاره
ليت شعري ! اني رحابك مهوى ... لمشوق ؟ ام فسحة لزياره
شكر الله من اتاح لعودي ... ان يندي ما بينكم اوتاره
سفرتني اليك مصر فاضحيـ ... ـت سعيد الخطا بتلك السفاره
انت اوليتني من الفضل ما لا ... يبلغ الحمد والثناء قراره
لي في المهرجان مقعد صدق ... انا ـ والله ـ حامد آثاره
ان يكن خانني التدفق في الشعـ ... ـر فما زلت احمل القيثاره
فليخني القصيد ! ان اجتماع الشـ ... ـمل لهو القصيدة المختاره

يا حمى طبت في ذراه واحمد ... ت على وحشة الطريق جواره
جئت في موكب من الخلد ضاف ... اتخطى (الاهرام) او (سقاره)
في جلال من (الفواطم) طورا ... وجمال من (الفراعين) تاره
فاتح (القدس) عن يميني.. وخلفي ... وشمالي جيوشه الجراره
والنواصي من (آل ايوب) زحفا ... و (المماليك) سلطة وامارة
وامامي على الطريق اليكم ... كل امجاد امتي القهاره

جئت من قمة (المقطم) اجلو ... (قاسيونا) ، وبابه ، ومزاره
وارى المجد عالقا بثراه ... والحضارات تستثير غباره
وارى الدهر عاكفا في وقار ... مليا من جلالكم اسفاره

ايها المسعفي بالود ! شكرا ... ان رددتم الى ودادي اعتباره
شهد الله ما جفوت .. ولكن ... قد قضى الله بيننا اقداره
يا ديارا ودعتها ... وبرغمي ... كيف ينسى الحر الكريم ديارة
لا تزالين للمفاخر ركنا ... يا دمشق العلا ، وللعز داره

كل عام لنا اليكم سبيل ... تنتهي قطوفه وثماره
خاب من ظن واهما في اختلاف الر ... اي بابا الى الخلاف وشاره
جئت في المهرجان احمل وجها ... عربيا قد جملته النضاره
اسكب العطر بينكم من روايا النـ ... ـيل يهتز روضة معطاره
(بردى) يجتليه موقع غيث ... ويصافيه مزنة مدراره
حاملا نحوكم من (المجتمع الخا ... لد) احلى ود ، واصفى عباره
لغة الضاد وحدت مجمعينا ... فهي خمر على الشفاه مداره

مصر والشام من قديم بناءا ... ن استطالا مآثرا وجداره
حملا راية العروبة والاسلام ... في حكمة وحسن اداره
فالثقافات منهما مستقاة ... والحضارات منهما مستعاره
وهما في غد على ملك الدر ... ب يشقان فجره ونهاره
قد حملنا المجد القديم انتصافا ... واقتسمناه مكسبا وخساره

ومشينا على طريق المعالي ... خطوات فسيحة جباره
ونصبنا للساكنين دروبا ... واقمنا للحائرين مناره
والحظوظ التي اديرت علينا ... هي بالناس دائما دواره

انا في المهرجان استلهم الشعـ ... ـر لازجي عواطفي الفواره
في قيود (الخليل) احترم القيـ ... ـد ، ومن فنه اخوض بحاره
مرحبا بالجديد ان كان شيئا ... لا يضيع القديم او مقداره
قد حفظنا تراثنا .. فحفظنا ... رفرف المجد كله واطاره
من يضيع امسه اضاع بحق ... غده الحلو ، بل اضاع ذماره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

من أدب ابي حيان التوحيدي

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

اعرف استاذا كبيرا غزير المعرفة نافذ البصر قوي الملاحظة ، تحدث الي فيما يود ان يقرأ في ساعات صفائه ، فقال انه يطمح الى تلاوة نوع من الادعية البليغة، تكون مناجاة ضارعة يتقدم بها بين يدي ربه ، اذ انه قرا كثيرا من الابتهالات الذائعة ، فوجدها تعبر عن احاسيس البسطاء وقد كتبت بلغة اقرب الى الضعف منها الى القوة فهي لا تهزه وجدانيا كما تهز من يحفظونها من عامة الناس لذلك يتجه بالبحث عن ابتهالات ذات روعة ونفاذ .

قلت ان الذين يضعون الادعية الدينية يعلمون ان العامة من المسلمين يجدون فيها تنفيسا عن اشواقهم ومواجدهم ، ولن تصادف موقعها من هؤلاء الا اذا كتبت بلغة سهلة وتضمنت عواطف واضحة وحفلت بخواطر وثيقة الصلة باحاسيسهم الصريحة ، فما تريده انت من بلاغة النسج ، وعمق النظرة ، لا يجد مكانه من قبول الكثرة الداعية ، فاذا شئت لك ابتهالا لايخضع لمثلك الادبية فحاول ان تضع له انموذجا من بيانك فتستريح .

قال صاحبي في تواضع لا اريد ان تفهم عني جنوحا الى الترفع او المباهاة فيعلم الله ان هذا الترفع من امقت ما اكره من الصفات ، ولكن مناخي العقلي وافقي الروحي يأبيان علي كلاما ألمح فيه جوانب الضعف الادبي ، وانا بحاجة الى ابتهال بياني يشبع نوازعي ويرضي اشواقي انا مثلا مسلم واع ذو ثقافة متسعة ، واجد لدي جنوحا الى قراءة الاسلاميات في كل اتجاه من تشريع وسيرة وعقيدة وتاريخ وتراجم وما اكثر ما كتب في هذه الحقول المترامية الفيحاء ، ولكن نمطا خاصا من الكتابة الاسلامية يملأ عقلي نورا وقلبي نفاذا وبصيرة ! ذلك النمط اجده لدى القمم الفكرية من امثال عباس محمود العقاد افلوم انا ان اعرضت عن ذوي السطحية الهينة وعشقت ذوي الاعماق والاغوار !

قلت كلا يا اخي فكل ميسر لما خلق له ، واذا كنت تنشد النفاذ البصيرة من الابتهالات والنصاعة البليغة في الادعية فان حاجتك لدى ابي حيان التوحيدي .

اشرق وجه محدثي . وكأني ذكرته بعزيز اثير لدى عقله وروحه فطفق يقول :

اذا كتب ابو حيان في الابتهالات الدينية فما اظن كاتبا عربيا في عصره الزاخر بالاعلام يدنو من مستواه ، لقد كان الرجل زعيم الفكر العربي في عصره ، ولكنه كان مجحود النعمة محسود الموهبة فلقي من محن العداوة ، وغطرسة التكبر ، واستعلاء الادعياء ما صير حياته جحيما لا يطاق .

قلت وذلك السر الاول في روعة ابتهالاته وقوة ادعيته لقد سدت عليه منافذ الارض فاتجه الى ابواب الرحمة في السماء ! ما ظنك باكبر مفكر في عصره ، تسد في وجهه ابواب الرزق ، وتقام دون ضروراته الحوائل حتى يصرخ من اعماقه قائلا في فزع الحائر ولهفة المستجير .

« لقد فقدت كل مؤنس وصاحب ، ومرافق ومشفق، والله لربما صليت في الجامع فلا ارى الى جانبي من يصلي معي ، فاذا اتفق فبقال او عصار او نداف او قصاب ، ومن اذا وقف الى جانبي أسدرني بصنانه ، واسكرني بنتنه ، فقد امسيت غريب الحال ، غريب اللفظ ، غريب الخلق ، مستأنسا بالوحشة ، قانعا بالوحدة ، ملازما للحيرة محتملا للاذى يائسا من جميع من ترى .

ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في اوقات كثيرة الى اكل الخضر في الصحراء والى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة والى بيع الدين والمروءة والى تعاطي الرياء والنفاق والى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الالم » .

قلت ذلك واستشعرت ذلة النابغة المضطهد فوجمت وشملني اكتئاب لحظه محدثي فأراد ان ينقلني من حالة الى حالة ، فقال الا تحضر لنا شيئا من ابتهالاته اذ كانت فاتحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحديث ومدار النقاش .

وكان كلامه قد حرك نشاطي ، ودفعني الى ان اسرع باحضار « الاشارات الالهية » للنابغة البائس ، وان اقرأ منه كما اتفق قوله : « اللهم انا نسالك ما يسأل ، لا عن ثقة ببياض وجوهنا عندك، وافعالنا معك، وسوالف احساننا قبلك ، ولكن عن ثقة بكرمك الفائض وطمعا في رحمتك الواسعة نعم وعن توحيد لا يشوبه اشراك ، ومعرفة لا يخالطها انكار ، وان كانت أعمارنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة ، نسالك الا ترد علينا هذه الثقة بك ، فتشمت بنا من لم يكن له هذه اوسيلة اليك ، يا حافظ الاسرار ، ويا مسبل الاستار ويا واهب الاعمار ، ويا منشىء الاخبار ، ويا مولج الليل في النهار عد علينا بصفحك عن ذنوبنا ، وانعشنا عن تتابع صرعاتنا ،وحطة حالنا معك في اختلاف سكراتنا وصحواتنا وكن لنا وان لم نكن لانفسنا لانك اولى بنا ، واذا خفنا منك فأبرح خوفنا برجائنا فيك، واذا غلب علينا يأسنا منك ، فتلفه بأمل فيك » . الى ان يقول في حرارة عاطفة وقوة ايمان « حرام على قلب استنار بنور الله ان يفكر في غير عظمة الله ، حرام على لسان تعود ذكر الله ان يذكر غير الله ، حرام على نفس طهرت من ادناس الدنيا ان تدنس بشيء من مخالفة ، حرام على عين نظرت الى مملكة الله ان تحدق الى غير الله ، حرام على من تلذذ بمناجاة اله ان يناجي غير الله ، حرام على من وقع في فقه الله ان يعبد غير الله » (١) .

طرب الاستاذ لما سمع طربا امتع عقله وملأ وجدانه ، فقال انه ينشد امثال هذه الروائع اذ جمعت مع نضارة البيان قوة الفكر وحرارة العاطفة ، والتوجه بالسؤال عن ثقة بكرم الله، لا ثقة بمنزلة الداعي تفريق بين وجهين مختلفين والخوف من رد هذه الثقة مجلبة لشماتة قاسية يأباها المبتهل ، وقوله كن لنا وان لم نكن لانفسنا لانك اولى بنا اعتراف نفسي جدير بالقبول ، أما هذا التكرار المشبع في قوله حرام حرام حرام على اختلاف مدار المعاني وتنوع مجال الخواطر ، فمن أنفس ما تشرئب له نفس المؤمن المبتهل اشربابا يريح من برح سعيره ويهدىء من لواهب خوفه ويمد امامه بساط الامل مخضوضر الجناب عبق الرحاب !

سمعت هذا التحليل الكاشف من الاستاذ فدفعني الى ان اقول : ان صاحب هذه الابتهالات الحارة قد رمي بالزندقة وصيفت حوله الاراجيف ، وما ارتاح بعد وفاته من مذمة اللائمين اذ ظلت هذه التهمة تتقاذف سمعته على السنة اعلام كبار ساعدوا على اذكاء الضرام وامتداد الحريق فما تقول في ذلك ؟

قال صاحبي متئدا ان الاتهام بالزندقة ان جاز لاحد ان يفتريه في القديم كي تصدقه العامة دون تمحيص ، فما يجوز الآن ان يوجه الى متدين ورع زاهد كأبي حيان ، والدليل على ذلك صريح لا يحتمل اللبس ، فقد قرأنا من كتبه العديد الكثير فلم نجد في سطر واحد ما يؤخذ عليه ، بل وجدنا دفاعا حارا عن العقيدة ، ودعوة طيبة الى اسمى الفضائل وولوعا بالمثل العليا في العلم والسياسة والسلوك أيكون الرجل زنديقا ثم يكتب هذه الروائع الخالدة في باب الابتهال ؟ أيكون الرجل زنديقا ثم تكون له هذه الحرارة المتقدة في الدفاع عن المثل العليا ومكارم الاخلاق ، ايكون الرجل زنديقا ثم لا تند منه فيما اثر من مؤلفاته كلمة مريبة ، او غمزة مشبوهة ؟ ان كتب الرجل دليل قلبه ومفتاح شعوره ، وثمار تفكيره فاذا نطقه اجمل النطق وافصحه بما ينبىء عن ايمان القلب وطهارة الشعور واستواء التفكير فذلك كله صباح ينسخ ما تجمع من ظلام، وشمس تبدد غواشي الضباب !

ثم استطرد يقول : قد يكون ابو حيان ، وفي كتاب المقابسات بنوع خاص ـ قد تعرض الى سرد بعض الاقوال الفلسفية الشاذة التي تدور حول الكون والطبيعة والمبدأ والمآل ولكن هذه الاراء ليست له ولم تذكر عن وحيه بل انها تنسب لاصحابها ليرد عليها الكاتب او من يجمعهم المجلس العلمي من اساتذة ابي حيان وزملائه ، وليس شيء في ان تذكر راي المعارض ثم تكر عليه بالدليل، وهذا القرآن الكريم موضع القدوة ومناط الاحتذاء قد ذكر آراء المشركين والدهريين والضالين ليرد عليها باقوم حجة وانصع بيان ولكن اعداء ابي حيان قد عز عليهم ان يسبقهم في غزارة المادة ورصانة التفكير وعلو التحليق وبعد الغوص فما استطاعوا ان يسابقوه في مضماره الادبي السامق فهبوا ينسجون الاراجيف ، لقد كنت اتمنى ان يفرغ قلم كقلم ابي حيان لصياغة ابواب التشريع بما عرف من اقتداره وغوصه وارتفاعه واتساع اقطاره ! فيكون لنا منه ادب حي مستنير يقرأ كما تقرأ ارفع النماذج الادبية بيانا ، واقواها تعبيرا ، لقد قرأت له كلاما عن تحريم الخمر نسبة الى غيره كعادته مع ان الصياغة صياغته والحوك حوكه ، لا يمتري في ذلك عارفو طريقته ورواد منهله ! قرأت حديثه عن تحريم الخمر فتمنيت لو أتيح للرجل ان يكتب في ابواب التشريع بهذه الجهارة الجهيرة وهذا الرسوخ المتمكن وذلك التحليل الأسر المبين ، لقد قال ابو حيان فيما قال في ذلك واني لاحفظ حفظا فما تند عني لفظة تغيب .

قال ابو حيان والصوغ له وان نسبه الى ابي سعيد « اعلم انه لو كان المسكر حلالا في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان يجب على العاقل رفضه بحجة العقل والاستحسان فان شاربه محمول على كل معصية ، ومدفوع الى كل بلية ، ومذموم عند كل ذي عقل ومروءة ، يحيله عن مراتب العقلاء والفضلاء ويجعله من جملة السفهاء ومع ذلك فيضر بالدماغ والعقل والكبد والذهن ، ويولد القروح في الجوف ، يسلب شاربه ثوب الصلاح والمروءة

لاتنبت الحسنى سوى الحسنى

احسان ظنك بالانام فضيلة ... حسناتها تدنيك من حد السما
ان كنت تشكو من اساءة صاحب ... ما كان يقصد منك ان تتالما
فلكم اسات اليه انت ولم يلم ... وابت نبالة وده ان تعلما
والناس فيهم الف الف حمامة ... ان كنت بينهم تعاين ارقما
ولقد يكون الماء سيلا جارفا ... تعني نتائجه الدمار مجسما
ويكون ينبوعا يجود برفده ... فيطيب انعاشا ويخصب موسما
واذا دخلت الروض فاترك شوكه ... وانشق عبير زهوره كي تنعما
واصخ الى تغريد بلبله ولا ... تنظر الى حشراته متبرما
واذا فرضت على سواك عداوة ... تبريرها سبب ترجح مبهما
الزمته ان يتقيك بمثلها ... ففدا بلا داع عدوك مرغما
ان كنت ترثي للبريء يئن من ... جرح عراه حين واجه مجرما
او ما ترى بالقرب منه معزيا ... وحياله آس يعد المرهما
وهب الانام كما ظننت فكن لهم ... عرسا يطيل سرورهم لا ماتما
والشك مثل الذئب اذ آويته ... ان جاع ، من انيابه لن تسلما
ولقد يعود عن القساوة غاضب ... قابلته متلطفا متبسما
كم قاتل ان تلقه بتعطف ... القى اليك سلاحه مستسلما
هيهات يندم راحم متهلل ... ولكم تندم من قسا وتجهما
ومتى جبهت الحانقين برافة ... فجفاؤهم لا بد ان يتصرما
لاتنبت الحسنى سوى الحسنى ولا ... تهب الظنون سوى التشاؤم مغنما
ان كنت تعتبر الانام ابالسا ... امست حياتك بالشقاء جهنما

بوانس ايرس ـ الاجنتين — الياس قنصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمهابة ، حتى يصير بمنزلة المخبط المخربق ، يقول بغير فهم ويأمر بغير علم ويضحك من غير عجب ، ويبكي من غير سبب ، يخضع لعدوه ، ويصول على وليه ، ويمنع من يستحق الصلة ويبتذر في الموضع الذي يستحق فيه ان يمسك ، ويمسك في الموضع الذي يستحق فيه ان يبذر يصير حامده ذاما ، وافعاله ملاما ، عبده لا يوقره ، واهله لا تقربه ، وولده يهرب منه ، واخوه يفزع عنه ، يتمرغ في قيئه ، ويتقلب في سلحه ، ويبول في ثيابه ، وربما قتل قريبه وشتم نسيبه ، وطلق امراته ، وكسر آلة البيت ، ولفظ بالخنى ، وقال كل غليظة وفحش ، يدعو عليه جاره ، ويزري به اصحابه ، عند الله ملوم ، وعند الناس مذموم ، وربما تستوي عليه في حال سكره مخايل الهموم فيبكي دماء ويشق جيبه حزنا وينسى القريب ويتذكر البعيد ، والصبيان يضحكون منه ، والنسوان يغتلن النوادر عليه

ومع ذلك فبعيد من الله ، قريب من الشيطان قد خالف الرحمن في طاعة الشيطان ، وتمكن من ناصيته ، وزين في عينه اتيان الكبائر وركوب الفواحش ، واستحلال الحرام واضاعة الصلاة والحنث في الايمان سوى ما يحل به عند الافاقة من الندامة ويستوجب من عذاب الله يوم القيامة» .

هذه قطرات من صيب ! وليت شعري اي ادب فقهي تدخر لدينا كنوزه لو كان ابو حيان قد فرغ الى ايضاح العلل وتشريح المسائل وتعليل الاحكام وفلسفة البراهين !

قلت ان الدعوة الى قراءة كتب ابي حيان واجب ادبي والتزام فكري وسبيل الى كتابة دينية حية تغوص ما تغوص لتاتي بابدع الفوائد ، وانفس الاعلاق .

(١) رجعت الى كتاب الاستاذ الدكتور الحوفي عند كتابة هذا النص وان لم اجد الارشادات سعفتني .

المنصورة ـ مصر — محمد رجب البيومي



الدكتور فوزي عطوي

الوزير الأديب الدكتور محمد عبده يماني

بقلم الدكتور فوزي عطوي

* * *

كنا كلما وقعت ابصارنا على نفثة ادبية متواضعة ينشرها وزير او نائب او موظف كبير ، نترنح طربا وزهوا ، ونهمس في سر انفسنا : الحمد لله ، ان دنيا الفكر ما زالت بخير ، وان السياسة لم تفسد الادب ، وذلك خلافا لما زعمه امام الناثرين ابو عثمان الجاحظ .

ذلك ان معظم العاملين في مجالات الحكم والسياسة عامة توافقوا ، في مثل عقد ضمني غير معلن ، على اعلان الطلاق البائن ع كل ما له علاقة بالفكر والمفكرين ، ناهيك بالادب والمتادبين ، فاذا كانت لبعضهم في مطالع حياتهم محاولات نثرية او شعرية ، حاولوا ان يتنكروا لها ، وان يانفوا من تذكرها او من تذكر اخوان الصفاء في عهدها الباكر ، كانما لم يتناه الى سمعهم ، ذات يوم ، قول الشاعر الحكيم :

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا من كان يالفهم في المسكن الخشن

لكننا عندما نسمع ان رئيس جمهورية حكم السنغال قرابة عشرين عاما اعتزل الحكم بمطلق ارادته ، لكي يبرأ من السياسة ومداخلها ومخارجها فيعود الى عالم البراءة الفكرية الانسانية ، ليرتفع من جديد الى مستوى الشاعر الذي كان على الدوام يقترن بلقب « الرئيس » ندرك ان عالم الادب ، حقا ، هو في خير وعافية ، لان بهارج السلطة الى زوال ، ولان مجد الفكر لا يدانيه مجد الصولجان .

ثم عندما نعرف ان بين اعضاء بعض الحكومات العربية ، او على راسها ، ادباء وشعراء وعلماء افذاذ ، مثل محمد الغزالي رئيس وزراء تونس ، والدكتور غازي القصيبي والدكتور محمد عبده يماني الوزيرين السعوديين تترسخ قناعتنا بان امة العرب لن تسقط ، مهما تمادت بها الانتكاسات ما دام ان للفكر في دنياها مقاما اثيرا ، الى الآن .

هذه خطرات لهفى مرت ببالي ، وانا افرغ منذ ايام من مطالعة اربعة كتب ضخمة قيمة لوزير الاعلام السعودي الدكتور محمد عبد يماني الذي اصدر في مجلد واحد قصتين طويلتين احداهما « اليد السفلى » ، وثانيتهما « مشرد بلا خطيئة » ، ثم قصة ثالثة بعنوان « فتاة من حائل » سبقها كتاب علمي ادبي عنوانه « الاطباق الطائرة: حقيقة ام خيال ؟ » .

وللدكتور محمد عبده يماني كتب قيمة غير هذه ، نذكر منها : الجيولوجيا الاقتصادية ، والمعادلة الحرجة ، ونظرات علمية حول غزو الفضاء .

ولا ريب في ان عناوين كتب الدكتور يماني ، فيماعدا مجموعاته القصصية ، تنبىء عن اختصاص هذا الرجل الاكاديمي العالم الذي استطاع ان يجمع في نسق فريد بين معرفته العلمية المتعمقة ، واسلوبه الادبي الرشيق ، وثقافته الدينية السمحاء ، وان يوظف كتاباته ـ كل كتاباته ـ في خدمة الانسان ، تمجيدا لآلاء الخالق الديان، وتسبيحا بحمده ، وشكرانا لنعمته .

ولئن كان من حق الدكتور محمد عبده يماني علي ان اعترف بان هذه السطور العاجلة لا تستطيع ان تزعم لنفسها القدرة على الاحاطة بمجموعة مؤلفاته القصصية والعلمية الجديدة ، خصوصا وان طول عهدنا بالتاليف يسيغ لنا معرفة مدى الجهد المبارك المبذول في سبيل انجاز هذه المؤلفات ، فان من حق القارىء علينا وعلى المؤلف الوزير الاديب العالم ، ان لا يكون من شان مداخلتنا الادبية النقدية افساد متعة التذوق لكل جوانب المصنفات « اليمانية » الانيقة شكلا وموضوعا ، وغاية نبيلة .

ومن هنا اننا نكتفي بالاشارة الى العطر ينبعث من ثغور البراعم والازاهر ، لئلا يكون توغلنا في الروضة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السحرية الغناء التي اسمها « محمد عبده يماني » معطلا على الذائقة الادبية حقها في ارتشاف الاطايب الكاملة .

ولقد استوقفتني من قصص الدكتور يماني « اليد السفلى » ، و « مشرد بلا خطيئة » ، و « فتاة من حائل » تلك السطور الحيية المزوجة بتواضع العلماء الحق ، حيث ينفي المؤلف عن نفسه قدرة التفرغ لانتاج الاثر الادبي ، ويعفي نفسه من مهمة تقديم شخصيته للقارىء ، على الحقيقة والواقع ، كأنما لم يكن ناهضا بأقسى مهمة فكرية تناط اعباؤها بانسان ، حين يكون مؤتمنا على مقدرات وزارة ضخمة هي لسان الوطن ، وعينه ، ويده ، وسيفه ، وترسه ، ومجنه ، وسمعته كلها ، عنيت بها وزارة الاعلام .

وكم كنت اتمنى الا يكون هذا الكلام المخلص الصادق مسطورا في التنويه بانجازات وزير مسؤول ، لكن ما يبرىء كلامي من شبهة المجاملة ، انني لم يسبق لي ان تشرفت بمعرفة الوزير الاديب العالم شخصيا ، وان كان له من سمعته الطيبة ، وشهرته الواسعة ، ما يغنيه عن كل تعريف . وانما هي خواطر اردت لها ان تكون شهادة حق وتحية لرجل عرف كيف يقهر المشاغل اليومية لئلا تقهره المشاغل ، فوازى في قدرة وبراعة بين مسؤوليات الحكم ومسؤوليات القلم ، وكان في البداية والنهاية اديبا وزير او وزيرا اديبا ، ثم كان في الوزارة وفي الادب ، من ذلك الطراز النموذجي من رجالات العلم، في دنيا العرب ، وهو احوج ما تحتاج اليه هذه الامة الناهضة ، لكي تجدد عهدها الذهبي بنشر اشرعة الحضارة والمعرفة على آفاق هذه الدنيا المتعطشة الى عودة محمودة نحو القيم والمثل والمبادىء الانسانية النبيلة .

والوزير الاديب يعرف اكثر مما يعرف سواه ، ان التفرغ للاثر الادبي لا يعني ، ولا يستطيع ان يعني ، تخليا عن المسؤوليات الوطنية الجسيمة ، ذلك ان عهد الادب القابع في الابراج العاجية ، قد زال ، فضلا عن كوننا نشك اصلا في وجوده ، وان تجربة متعددةالجوانب ، وعلى مثل هذا المستوى الرفيع ، سواء في عهد النشاط الجامعي ، او في عهد مسؤولية وزارة الاعلام ، هي معين ورافد كبيران للنشاط الفكري المثمر الذي لا يبشر بالاراء والنظريات ، في اطار الفراغ والخواء ، وانما يرسي اسسها ويؤصل دعائمها ، على ضوء الواقع ، ومن خلال المعاناة الانسانية الاصيلة .

ومن هنا ان انصراف الدكتور محمد عبده يماني ، بين وقت واخر ، عن مشاغل الوزارة ، الى عالم الكتابة القصصية ، او البحث العلمي الرصين ، هو بمثابة السفر الى محطات المياه المعدنية ، شحذا للقرائح ، وانهاضا للهمم ، وتكريسا لمعنى التميز الانساني المرتبط بالقدرة على التعقل ، والاتقان والابداع .

وبهذا يحقق الاثر الفكري اهميته ومكانته ، ويستمد من تجربة صاحبه ومن معاناته العميقة الاصيلة ، كل حيويته وحركته ، فيشع اطلالات حضارية ، تنهل حينا من التراث ، وترد حينا اخر حياض الحداثة ، فتحقق الاصالة الفكرية وجودها ، ولا يفدو التجديد قفزا بهلوانيا في الهواء ، وانما يبقى لبنة تضاف الى لبنة ، في بناء فكري شامخ يبقي على الموكب الموصول في تاريخ حضارة الانسان .

واحسب المؤلف الوزير العالم قد وفق في « اليد السفلى » ، مثلما وفق في « فتاة من حائل » الى رسم الاطار الحقيقي لبعض المظاهر والعادات والتقاليد التي كانت شائعة في المملكة العربية السعودية ، والتي بدأت تتعرض لزحف التيارات الحديثة المادية والمعنوية عليها .

واذا كان المؤلف يعترف في « فتاة من حائل » ان مهمته متممة لما سبق ان بدأ به في « اليد السفلى » « من محاولة لاعادة تشكيل ملامح واقعية عرفتها او عايشتها او اطلقت عليها بشكل او بآخر » فهو يرى ايضا ان قصته تمثل جهدا يهدف الى رسم بعض صور المجتمع السعودي بوجه خاص، «في محاولة لسد جانب ولو يسير من الفراغ الذي نلاحظه في هذا اللون من العطاء الفكري في بلادنا » .

وهكذا ، فقد كان ـ على حد قوله ـ حريصا على ان يرسم ويسجل بعض الصور الغنية النابضة بالحياة ، في المجتمع ، « لا سيما وان بعضها آخذ في الاندثار مع هذا التطور السريع الذي اصبح يلتهم الكثير منها ، او يؤدي الى اضمحلالها ، لتخلفها صور اخرى عصرية ربما .. وجميلة ربما.. وضخمة ربما.. ولكنها ـ على اية حال ـ تختلف عن تلك الصور الاصيلة التي يحلو للبعض تسميتها بالتقليدية ، وهي صور عاشها اجدادنا وآباؤنا ، وعشناها نحن في جواري مدننا وازقتها .. »

واحب ، بعد هذا ، ان اعود الى « اليد السفلى » التي كانت محاولته القصصية الاولى وقد بداها ، منذ خمسة عشر عاما ، اذ نشرها صفحات قلائل في مجلة « الاذاعة » التي كانت تصدر في ذلك الزمان ، وما زال يعود اليها حينا بعد حين ، وتحت وطأة الالحاح الشديد من ذاته ووجدانه الى ان اكتملت عناصرها على النحو الذي نشرت فيه .

فقد ذكرني الدكتور محمد عبده يماني ، الوزير والمواطن السعودي الذي يصف اول اطلالة في الزيارة الاولى الى مكة المكرمة ، بالوصف المزوج بالتقوى الذي ذكره لي ابي ، بعد عودته من حجته الاولى ، منذ عدة سنوات ، من الديار المقدسة الى بيروت، اذ علق في ذاكرتي من حديث ابي كلام لا انساه ، وهو انه منذ وصوله الى الديار المقدسة ، وبدئه بشعائر الحج ومناسكه ، في عداد الحجيج ، لم يعد يذكر احدا من ابنائه او احفاده او انسبائه او اصدقائه ، وكل ما كان يذكره في تلك الايام المباركة انه ماثل بين يدي رب العالمين ، وانه يسير على

الدروب نفسها التي سار عليها منذ اربعة عشر قرنا نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام .

وقرات في « اليد السفلى » قول الدكتور محمد عبده يماني : « ورحنا نرتقي هضبة من تلك الهضاب المحيطة بالمدينة الطاهرة ، وما ان بلغنا اعلى الهضبة ، حتى استوقفني والدي ، ووضع يده على كتفي ، واشار بيده وهو يقول بصوت متهدج قد ظهر الخشوع ، مع التعب ، في كل كلمة من كلماته : « هذا هو بيت الله » ، ونسيت نفسي .. بل نسيت كل شيء .. نسيت الاهل الذين فارقتهم ، ونسيت اخوتي واصدقائي الذين خلفتهم في « بني فهم » (قريته) .. نسيت حياتي القصيرة كلها ، وترددي ما بين المزارع وبيتنا المتواضع هناك .. نسيت ذلك كله ، وما عاد في خاطري سوى مكةالمكرمة التي كنت اراها امامي والمسجد الحرام المبارك بمآذنه العالية ، وعمارته الشامخة، وبيت الله العتيق ـ وسطه ـ في مهابته وروعته .. وشعرت بروحي تشف حتى لكانها تحولت الى طائر سبقني الى ذلك المكان المقدس يرفرف حوله، وسيطر علي خشوع عميق ترقرقت له الدموع في عيني، واحسست بانني قد الفت المكان وهو على مرمى النظر مني ، وانا لما اخطر اليه بعد » .

وما كدت افرغ من هذه الكلمات المفعمة بالتقوى والايمان وصفاء السريرة حتى استعدت كلمات ابي ، ثم كلمات امي اثر حجتها معه في المرة الثانية ، وحملتني هذه الكلمات والذكريات الى بضع سنوات قلائل ، حين عقدت النية في عامين متتاليين ، وبمناسبة وجودي في مدينة جدة محاضرا ، على اداء مناسك العمرة في مكة المكرمة، فارتديت وبعض انسبائي في المدينة الساحلية ثياب الاحرام ، ورحنا في امسية ، بعد امسية ، نيمم شطر المدينة المباركة، مهبط الوحي ، وكعبة بيت الله العتيق ، وما احسبني شعرت بذلك الشعور الجميل الهادىء الهانىء الذي يشعر به الزاهدون العابدون المستغفرون ، من قبل ان ازور مكة المكرمة التي تعيش في ضمير كل مسلم ، فاذا بلغ رحابها الطاهرة احس انه جزء منها وانها جزء منه ، وادرك ان كل تفاهات هذه الدنيا ، وكل بريق امجادها والقابها وثرواتها لا تعادل لحظة واحدة من لحظات ذلك الوجود النوراني السمح الذي يغمر القلب والعقل والضمير ، في رحاب بيت الله العتيق .

ولربما غرتني مشاعر التقوى والايمان ، في صفاء نفس وخلوص نية ، يوم زرت ، قبل نكسة ١٩٦٧ ، رحاب المسجد الاقصى ومسجد الصخرة ، وكنيسة القيامة والمسجد العمري ، في القدس الشريف ، ثاني القبلتين المباركتين ، لكن شعور مكة المكرمة يبقى شعورا آخر ، لان طعم مكة هو طعم الجنة التي وعد بها الابرار المؤمنون .

ثم انتقل مع الدكتور محمد عبده يماني الى قصته « مشرد بلا خطيئة » المنشورة في جزء واحد مع قصة « اليد السفلى » ، حيث اطالع ما استوحاه الكاتب الوطني المنصف « من واقع الالم التاريخي الذي ليس له مثيل ، ذاك الذي عاناه ويعانيه اخواننا الفلسطينيون ، اصحاب فلسطين واهلها ، ومن التطورات التي طرات على القضية الفلسطينية »

وارجو ان لا اظلم المؤلف ان اعدت الى الاذهان تصريحه بان النماذج البشرية التي اختارها ليعرض فيها جانبا من مأساة المشردين بلا خطيئة ، ليست بعيدة ، في الواقع عن الحقيقة ، وانها موجودة فعلا بخيارها واشرارها على السواء .

وعلى هذا ، يرسم المؤلف لنا في مقدمة قصته بعض ملامح هذه النماذج البشرية :

« ١ ـ ان « ابراهيم » مثلا ، هو كل شاب فلسطيني وجد نفسه بلا بيت ولا وطن ومن غير ادنى خطيئة ارتكبها (ومن هنا عنوان القصة : مشرد بلا خطيئة) .

٢ ـ و « ام ابراهيم » هي كل ام فلسطينية ، عانت وتعذبت وكافحت وعاشت الاهوال كي تقيم اود ولدها واودها ، وتؤمن له اسباب الحياة في ظروف بالغة الصعوبة والقسوة ، في المخيمات .

٣ ـ و « نمر » هو كل رجل فلسطيني وعى الاحداث منذ وقوعها ، وعرف ابعاد المؤامرة منذ بدايتها ، فكان عليه ان يقاتل في جبهتين : جبهة الحياة ، وجبهة الجهاد .

هل اتمادى في الاقتباس ، بعد ، فاتمادى بذلك في ظلم المؤلف او اجتزىء قصته اجتزاء ؟

انني ارجو ان اعود مع المؤلف ، كما عاد بنا الى اصول القضية الفلسطينية العادلة ، بكلمات واضحة تعدى بها اطار الحبكة القصصية الفنية ، الى حد تسخير الفن القصصي لاجل اتخاذ الموقف القومي النبيل ، من قضية قومية وانسانية عادلة .

واصل الآن الى آخر الكتب الجديدة التي اصدرها وزير الاعلام السعودي الدكتور محمد عبده يماني عن « الاطباق الطائرة : حقيقة ام خيال » ، فتبهرنا في هذا الكتاب الرائع كلمات الاهداء الخلوقة التي تكشف عن اصالة الانسان ، ومعدن الخلق السري ، في الوزير الكاتب، اذ يتجلى وفاؤه في اروع صوره عندما يهدي كتابه « الى الرجال الذين تعلمنا منهم الاخلاق قبل العلوم ، والوفاء والصدق عند التعامل » ، ثم يخص بالذكر منهم استاذه اسحاق عزوز مدير مدارس الفلاح ، واساتذته في تلك المدارس ، بالتحية والاهداء .

يروي الدكتور يماني في المقدمة حكاية هذا الكتاب ، منذ ان رافق بعض رواد الفضاء الاميركيين الذين يحملون عينات من احجار القمر ، خلال زيارتهم للمملكة العربية السعودية ، الى ان ظهرت بعض الاطباق الطائرة في سماء الجزيرة العربية ، وحط بعضها على ارض الكويت منذ سنوات قلائل .

وبنتيجة الاحاديث التي جرت ، خلال زيارة رواد الفضاء للمملكة ، استكبر ان يكون انجاز الرواد الاميركيين والروس وليد جهودهم وحدهم ، فراح يتساءل عن اسباب تخلفنا كعرب ومسلمين عن تحقيق مثل هذا الانجاز ، وبالتالي احراز النجاح الذي احرزه غيرنا ؟

ويرى الدكتور محمد عبده يماني « ان ارتياد الفضاء ليس وليد يوم وليلة ، ولا عام ولا عدة اعوام ، وانما هو محصلة معطيات كثيرة ، منها على سبيل المثال ، ان سباق الاميركيين والسوفييت في مجال الفضاء هو ممارسة استراتيجية وسياسية اكثر مما هي ممارسة علمية .. فهي استعراض للقوة ، وتطوير للصواريخ الحربية والاقمار الصناعية واجهزة المراقبة والتجسس، بدليل ان دولا اخرى متقدمة لم تحاول الدخول في ذلك السباق ، كفرنسا واليابان والمانيا ، على علو كعبها في المجال التكنولوجي ، ووفرة مالها من الامكانات العلمية والمادية والبشرية » .

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٤٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٦ دراهم
دبي	٦ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٦٠٠ فلس
الاردن	٤٠٠ فلس
السعودية	٦ ريالات
اليمن	٦ ريالات
عدن	٦٠٠ فلس
مسقط	٦٠٠ بيسه
مصر	٤٠٠ مليم
ليبيا	٦٠٠ درهم
تونس	٦٠٠ مليم
المغرب	٦ دراهم

وكان المؤلف يوضح دائما « ان ما حققته العلوم الفضائية في ايامنا هذه قد اعتمد اساسا على جهود وانجازات سلفت ، قام بها علماء كبار ، بينهم ـ وهذا هو بيت القصيد ـ عدد من علماء المسلمين، وان السبق العظيم في تحديد معالم الاتجاه نحو غزو الفضاء وارساء قواعده الاساسية قد قام بنصيب وافر منه عدد من اسلافنا الكبار اولئك ، ممن بلغوا شاوا من التقدم العلمي لم يسبقهم اليه احد ، وحققوا بعبقرياتهم ومبادراتهم انجازات ، بعضها مما لا يتوصل اليه العلم الحديث الا بوساطة اجهزة وآلات وحاسبات في غاية الدقة والتعقيد والصعوبة » .

واذ راى الدكتور يماني ان القرآن الكريم كان منطلقا للبحث والدرس والتجربة والملاحظة ، لانه النور الذي اضاء قلوب علماء المسلمين ، فقد بدا ذهنه يتجه باستمرار الى وضع بحث يعرض فيه بعضا من هذه الحقائق الساطعة عما حقق علماء المسلمين وانجزوا في مجال العلوم التطبيقية وعلى هذا الاساس ، فقد جاء كتابه « الاطباق الطائرة : حقيقة ام خيال » نموذجا دقيقا للدراسة العلمية الجادة التي تؤكد الفكرة بالصورة والرسم ، ووقع في خمسة فصول بالاضافة الى المقدمة والتمهيد والخاتمة، اذ تحدث عن الظواهر الغريبة ، والكون الذي نعيش فيه ، والعلوم الكونية في الاسلام ، ودور اسلافنا في دراسة علم الفلك والفضاء ، وشواهد من التاريخ ، وانتهى الى عرض مختلف الآراء والنظريات حول حقيقة الاطباق الطائرة او زيف وجودها ، مؤكدا « ان من الصعب الاجابة على السؤال بنفي او اثبات ، وان التحدي العلمي المجرد بالمطالبة بتقديم الدليل الحسي لا يكفي لاقناع ملايين البشر في مختلف انحاء العالم ، ممن يتلقفون انباء الاطباق الطائرة بلهفة ، ويتناقلونها في حال هي بين القناعة والحيرة ».

★ ★ ★

وبعد ، فهل استطعت ان احيط بالفكر الموسوعي ، والعطاء الادبي والقصصي الناجح الذي اتحفنا به الوزير والقاص ، والاديب والعالم الدكتور محمد عبده يماني ؟

اعترف انني اجتزات اجتزاء ارجو ان لا يسيء الى انتاج المؤلف الكريم ، لكنني حرصت دائما على الوقوف امام مداخل الروضة الفكرية الغناء ، لكي اقرأ عناوين ازهارها ، واستاف بعض عطرها الشذي .

الم يقولوا من قبل : ان الكتب تقرأ من عناوينها ، وان الربيع ببعض العطر يختصر ؟!

فوزي عطوي

بيروت ـ شارع الجامعة العربية
بناية اسكندراني رقم ٢ ـ الطابق ٧

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ايليا حليم حنا

تجربتي مع الحياة

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

تمر السنون ويزداد رصيد الانسان من معرفة الحياة والناس ، ويصبح لديه ركيزة قوية نتيجة لتجاربه التي تبلورت ، واصبحت المحرك له في تصرفاته ومعاملاته وتعامله مع الحياة والناس ، وتصبح محورا ينطلق منه ويبني عليه.

توقفت على الدرب الطويل وعدت بناظري الى الوراء لارى كيف مضت رحلتي حتى الان .. احسست كما لو كنت اسير في حديقه زهورها متعددة الالوان والاشكال ، وفيها اشجار عديدة أنتجت لي ثمارا مختلفة المذاق ، منها الثمار الفجة والمرة والحلوة ، وفيها ايضا كثير من الاعشاب البرية التي ظهرت في عدة اركان منها . لم أزرع كل هذه الاشجار والزهور والاعشاب ... لقد زرع لي الكثير منها البستانيون الثلاثة : الوراثة والبيئة والاقدار ... لست ابن نفسي وحدها ، انني ابن لهؤلاء جميعا .

جئنا بالرغم منا ... ولقنا ما لم يؤخذ رأينا فيه .. وورثنا في اجسادنا وعقولنا الكثير الذي لا يمكن ان نتخلص منه الا بشن حرب داخلية على انفسنا التي تكونت ولم يكن لنا كل الفضل في تكوينها .

لقد ورثنا امورا بدائية كثيرة تكمن في اعماقنا ، ولكن لنا تراثنا ايضا من القيم الفاضلة والمثل الطيبة ، ويجب الا نغفل هذا في رحلة الحياة ... نستطيع ان نملك انفسنا بتنمية طاقاتنا الروحية ... هذه الطاقات الروحية تقوى وتشتد بالتأمل الواعي ، والثقافة الحية الشاملة ، والافادة من تجارب الحياة ، وبذل الجهد لتحقيق الذات الفضلى ... وعندئذ يمكن ان يعفى الانسان من نفسه البدائية . يقول (الكسيس كاريل) في كتابه (الانسان ذلك المجهول): « الذكاء والاخلاق كالعضلات والاعضاء تذبل من قلة التمرين، فبذل الجهد امر لا غنى عنه للانسان كي يبلغ غايته من الرقي والتهذيب » .

احبب الحياة بكل قوتك تمنحك الحياة سر قوتها ... وليس حب الحياة ان تغالي في حب ذاتك دون غيرها . حب الحياة هو حب كل ما فيها من جمال معنوي ومحسوس .. حب الحياة هو الانفتاح على كل ما في الدنيا من خير وجمال ... والقلب مركز الشعور الجميل النبيل والاحساسات الانسانية ... وهو مسؤول عن سعادة الانسان وشقائه ، عن بسمته وهمومه ، وفي هذا يقول (كوكتو): «غلطة زماننا اننا نفكر كثيرا ، ونترك مكانا ضئيلا للقلب » .

ماذا نمتلك اغلى من الحياة ؟.. اليس هذا الشيء الغالي جديرا بأن يعاش على اسس طيبة ؟!.. انها فن الفنون .. كيف لا نهتم بهذا الفن العظيم حسب خبرة الانسان وخبرة العصور ... كيف لا نتخلص مما يفقدنا استمتاعنا بها كأفراد وجماعات ؟!.. ما فائدة تجارب الانسان منذ ان دب على هذا الكوكب ان لم يفز بها في الحصول على حياة افضل واجمل ؟

يقول (الكسيس كاريل) : (تجديد نفوسنا يتوقف في الاغلب على الارتقاء بقوى العقل والخلق ، ونبذ طباع القطيع) ويقول الفيلسوف الانجليزي (برتراند رسل) : (من الناس من تهيأت لهم جميع الظروف المادية للسعادة من صحة ومال واولاد ، ولكنهم برغم ذلك في شقاء لانهم لا يعرفون كيف يعيشون) .

ادرت عيني في المواقف العديدة في رحلة حياتي ... قلبت دولاب الذكريات المدون في رأسي وقلبي واعصابي ، وتأملت تجارب العقلاء الذين مروا في الحياة قبلنا ، واستعدت اياما واحداثا وآلاما واحزانا وافراحا ، وقلقا ومللا ، وثورة وخوفا وفشلا ونجاحا ، وظروفا كانت اقوى مني . وعرفت ان الحياة الخالية من الصراع ليست موجودة في ارضنا ، وشقي من يسعى وراء حياة لا تشوبها الهموم ... وقد دلتني تجاربي وما شاهدته في حياة الناس ان سوء الحظ عنصر من عناصر الحياة ... والذي يحاول ان يعيش حياة لا يكدره فيها شيء انسان واهم يسعى وراء سراب وسرعان ما تفجعه الحياة . يقول (برودن) : (حياة الانسان حرب لا هدنة فيها) .

ويشجعنا العالم النفساني (هاري امرسون فوزدك)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على المضي في الحياة بصبر وعزم رغم احداثها وهمومها ـ بقوله : (لم يظهر على سطح الارض اروع من الذين كانوا سيئي الحظ . انهم مع ذلك رجال حقيقيون ، ذلك لان العامل الذي له قيمة في تجاربهم ليس هو ما يحدث لهم ، بل الطريقة التي يتلقون بها ما يحدث ، والكيفية الايجابية التي يواجهون بها الحياة) .

كثير من النفوس الكبيرة عاشت في عذاب ولقيت عناء طويلا ، ولكنها اهتدت الى نفسها وكيفت الحياة بارادتها . منطق الحياة يقول : اذا كبوت او سقطت انهض وابدأ من جديد ... شقي ، شقي من لا يمتلك القدرة على النهوض، من لا ينهض تدهسه الحياة بعجلاتها . يقول (كونفوشيوس) (ليست العظمة في ان لا تسقط ابدا ، بل في ان تسقط ثم تنهض من جديد) ...

لا بد من مواجهة كل ظروف الحياة باستجابة قوية وعزيمة صلبة ، وليس هناك طريق آخر لمن يريد الا تتوقف حياته ويقضى عليه بالشقاء الدائم .

لقد دلتني تجاربي في سني عمري على ان ما يسعدنا في الحياة او يشقينا فيها ، ليس ما تمنحه لنا الحياة ، ولكن ما نسبغه نحن عليها قد ينعش أرواحنا او يتعسها .. اننا نستطيع ان نغير اثر اية حالة بتغيير موقفنا منها ..

اصيب امريكي يدعى (ريتشارد ماكفيلي) بالشلل فجاة ووصل الى اسوا الحالات النفسية والعقلية ، وانقطع امله في الحياة .. اخذ يفكر في مصيره وتفجرت طاقاته الروحية فصحا وهو يقول (لن اتبرم بعدل الوجود ، ولن اركن الى اليأس .. انني ما زلت حيا ، ويجب ان افيد من حياتي .. ان الحياة في ويجب ان اكيفها بارادتي) .

لقد كان لوالدته الفضل في انقاذه من يأسه القاتل عندما قالت له (تستطيع يا بني ان تغير حالتك بتغيير موقفك منها .. ليس في هذه الدنيا من يرى ان الحياة جديرة بأن تعاش ، والامر يتوقف علينا اولا وآخرا ، فنحن الذين نستطيع ان نجعلها جديرة بأن نحياها بما تنطوي عليه نفوسنا من شجاعة) ..

ويضيف لنا (ريتشارد) ثمرة خبرته على الدرس الذي علمته له امه فيقول (ليست العبرة ان تكون الحياة طيعة بين يديك وانما العبرة في ان تجيد استغلال حظك السيىء) ويتابع (ريتشارد) حديثه فيقول : (بالرغم من الشلل الذي اصابني فانا رئيس مدرسة للاطفال ، ادرس فيها التاريخ وادرب التلاميذ على الالعاب الرياضية ! وقد اشتركت في وضع كتاب في الدراسات الاجتماعية ، ولي مقالات لا تنقطع في اغلب المجلات الامريكية ، وانا عضو في ست هيئات تعليمية ومتزوج ولي ولدان) .

الحياة ليست طريقا ممهدا مفروشا بالورود .. الحياة مشكلة .. تتطلب منا في كل لحظة الحكمة والتصرف الحسن لحلها والتخلص من تعقيداتها . انها لا تدوم على حال .. لها في كل دقيقة بل في كل لحظة حال ، اعماقنا تتأثر في كل ثانية بما يمر علينا او يحدث لنا .. الحياة اناء كبير يمتلىء ويفرغ كل لحظة ، فان لم نواجه هذا التقلب المستمر السريع ، فقدنا عقولنا وتلفت اعصابنا واصبحت حياتنا شقاء مقيما .

لا شيء يمكن ان يتحقق من غير محاولة .. لذا يجب الا يفوتك ادراك مدى امكانياتك ، وحدود طاقتك ، لتعمل على تكييف امانيك للاهداف المحتمل ان تصل اليها قدرتك .. وقل مع (نيتشه) (كل ما لا يقتلني يزيدني قوة) .

لا سعادة في الحياة بدون هدف نبيل تبذل كل جهدك لكي تصل اليه ، حياة بلا هدف واضح تمر ايامها ثقيلة متباطئة فارغة مسئمة ، نرضى فيها بكل شيء رضا الاستسلام ولا نكون سادة نفوسنا .. حدد هدفك الكبير ولا تتأرجح بين هدف وهدف ، فان هذا يبعث السأم واليأس في نفسك ، لا بد ان يكون لك قمة شامخة متفاوتة الارتفاع تتسلق اليها بعزم قوي ونشاط وتفاؤل وتعرف موضع قدمك وانت تصعد .. اذا بذلت غاية جهدك ولم تنجح ، فاعلم ان هناك جهدا اخر يجب ان يبذل ، ولا بد ان هناك اساليب اخرى يجب ان تتبعها لتبلغ المنتهى .

لا يعطل الانسان عن تحقيق هدفه الا التسويف والاسراف في الحذر ، فاذا قررت فامض ولا تتردد . لاتخف الفشل ، فان الخوف يحول بينك وبين الاقدام . الخير ان تجازف وتخطىء ثم تفيد من اخطائك ، هذا خير من ان تتردد ولا تعمل شيئا فيخمد عقلك وتشعر بعدم الرضا عن نفسك ، ويتبع هذا ان تشقى في حياتك .

الاقدام هو اول مراحل النجاح يفتح لنا عالما جديدا ويمدنا بالخبرات الجديدة التي تثري حياتنا ، افعل ما تعتقد انه حق ولا تخش شيئا . انك تبلغ مرتبة النمو الكامل عندما تضبط اعصابك وتمتلك زمام نفسك بعد الخطأ ، ثم تحاول ان تفيد منه .

سر النجاح في الحياة ان تتخذ موقفا ايجابيا ، لا تقف مترددا امام الباب الموصد بل فكر في طريقة تفتحه بها او في الوصول من باب اخر .. هذه هي لعبة الحياة التي تنسينا متاعبنا ، وندفن فيها آلامنا وهمومنا ، وتسلينا ونحن نسير في طريقنا المرسوم . حاول وانت تسير في هذا الطريق ان تضحك وتسخر من كل الحصى والشوك والغبار الذي تذهب فيه اقدامك .. ان قوى عجيبة كامنة فيك تبعث لتواجه التحديات وتدفعك فجاة بما يشبه المعجزة ..

والاشخاص المبتكرون الخلاقون هم ـ الى حد كبير ـ اولئك الذين يواجهون التحديات ، ومن يرفض التحديات لا يجد الحماسة ، ولا يحقق ذاته ، فالرجل الخامل الذي يجنح الى الدعة والراحة تكتسحه الاعاصير والرياح وتدوسه الارجل ، ويرى حياته عبئا ثقيلا ويحس بآلامه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بشكل قاتل ، لانه لا يبدد همومه في شيء بل يجترها ، ولا يشغله عنها شاغل ، وهو في ذلك أيأس خلق الله ..

اننا نسعد عندما نحس مقدرة كبيرة على الخلق وتتخلص نفوسنا من ضجرها ، ونكون اكثر حيوية وهذا هو سر تجديد الذات وما يجعل الحياة تضحك فينا . لقد صدق (فولتير) في قوله (الحياة طفل ينبغي ملاطفته حتى ينام) .. وهذه الملاطفة لا تكون الا بكشف القوى الكامنة فينا ، ومن هذه القوى الكامنة في اعماقنا تنبعث القوى الذهنية التي نسميها الهاما ، والحيوية الجبارة التي تدفعنا في طريق الحياة دفعا قويا ، والتي تدوس العقبات والمنغصات وتستهين بها بروح بطولية مزودة بكل مقومات المواجهة العنيدة اللذيذة ، ونشعر بنشوة النصر على التحديات ونستسيغ الكفاح ونرى كياننا فيه ..

هكذا نروض الحياة لنعيشها ، وبغير هذا يغرقنا الطوفان الذي تهدر فيه طاقاتنا ضياعا وقلقا وملا ويأسا.

اذا اوكل اليك امر فاتقنه ولا تتركه الا وانت تدرك تماما انك بذلت فيه اقصى ما يمكن بذله . لا اجد عيبا افظع من عيب الانسان الذي يؤدي عملا وهو يشعر انه كان في امكانه ان يؤديه على وجه خير مما اداه به . انها خيانة كبيرة للنفس الا نخلص في اظهار افضل ما يمكن ان تمدنا به قدراتنا ومواهبنا .. حرام ان يكون جوهرنا ذهبا صافيا ، ولا يبدو اكثر من حديد يعلوه الصدا .. اننا نسيء الى انفسنا ونسيء الى من يمكن ان نفيدهم عندما نقدم شيئا اقل مما يمكن ان تنتجه قدراتنا .

ان معظم الذين خلدتهم اعمالهم لم يكتفوا بالقشور من مواهبهم بل وصلوا الى اللب بالتعب والسهر والعرق والجهد المضني .. فضى (فرجيل) الشاعر الروماني سبع سنوات في نظم الفي بيت . وامضى (لقريطوس) حياته بأسرها في نظم قصيدة واحدة . وانفق الفيلسوف (لوك) ثمانية عشر عاما في تاليف (رسالة في الفهم الانساني) .. وكان (افلاطون) يمضي الاسابيع في اختيار كلمة واحدة .. وكان (اديسون) يقوم بآلاف التجارب ليصل الى نتيجة .. وكان (هول كاين) ينقح كل رواية يكتبها اثنتي عشرة مرة على الاقل !!

لقد بذل الخالدون مجهودا عنيفا ليبرزوا افضل ما يمكن ان تنتجه مواهبهم .. لم يتسكع هؤلاء على اعتاب الخلود بل دخلوا من الابواب التي هي العرق والجهد المضني والميل ، ولم يرضوا عن اي عمل عرفوا انه في قدرتهم ان ينتجوه على نحو افضل . وللرجل العادي اقول : النجاح يتطلب الخبرة والتعمق في دراسة العمل الذي تتخصص فيه .

كن امينا مع نفسك ولا تضيع قدراتك ومواهبك في قبور الكسل والعجلة . حاول ان تصل بحياتك الذهنية والوجدانية والانتاجية الى الافضل .. الحياة تافهة وضياع ان لم تكن خلقا واضافة وابتكارا .

الحياة شيء تافه ان لم تكن نموا مستمرا ، والانسان الذي لا ينمو عقليا ونفسيا وروحيا ليس كائنا حيا ، بل هو جماد ، او هو دودة داخل شرنقة او قوقعة ، والانسان لا يحيا بالخبز وحده ، بل بكل ما ينمي عقله ويسمو بوجدانه .. ويجعل كل يوم جديد يمده بفرصة مريحة لمسايرة الحياة على نحو افضل .

ان الرجل الذي لا يتوقف عن تثقيف نفسه يجد لحياته كل يوم طعما جديدا ، يرى العالم كله مفتوحا امامه، يجد شيئا جديدا يشغل فكره وقلبه ويفتح عينيه على حياة متجددة دائما ، فلا يشكو من السأم .. يجد دائما ما يثيره ويسترعي انتباهه ويمكنه من التمتع بالحياة في اية مرحلة من حياته ، ثقافته تنمي ذوقه وتمكنه من الحكم الصحيح على الاشياء والناس ، وتجعل تفكيره خلاقا حيا ..

والتفكير الخلاق كالشجرة المثمرة التي تنبت الثمر الشهي ولا تتوقف الا اذا شاخت ، والانسان بدون الثقافة الشاملة الحية يشيخ عقله ووجدانه ، وتضيق نظرته للحياة والناس . الثقافة هي المصباح القوي الذي يضيء اعماقنا ويرينا الصورة الحقيقية الواضحة للحياة فينا ومن حولنا ... هذه الثقافة البناءة الموحية هي الاداة الفعالة التي تمدنا بأجمل ما في الحياة ، واجمل ما في الحياة هو ان تعرف وتعمل وتسمع وتنظر وتحب . بدون العصارة الثقافية المحيية التي تغذي عقل الانسان ووجدانه يصبح لا فارق بينه وبين الجماد الذي لا ينمو ابدا وتدب فيه عوامل النقص والفناء .

ان الرجل الذي يحتفظ بقواه الجسدية ولا ينمي قواه العقلية والروحية ويغفل عن تربية وجدانه تربية انسانية ولا يدرب نفسه على السلوك البيئي السليم والضمير الحي ، يفقد الكثير من خصائص الانسان ان لم يفقدها كلها .. ما اعجز الانسان ان لم يستطع ان يرفع من قيمة نفسه ويصبح انسانا ، وما اتعس الانسان ان لم تكبر روحه وتتناقص شهواته .. انه لن يكون انسانا وفي هذا يقول (طاغور) شاعر الهند العظيم (الانسان اشد حيوانية من الحيوان ان لم يكن انسانا) .

الاغلبية الساحقة من الناس تنشد السعادة لنفسها فقط ، وهؤلاء لا يحققون لها الا الملل القاتل فان كل ما يحققونه يصبح شيئا عاديا بمجرد الحصول عليه .. السعادة الحقة هي ان نلمسها خارج انفسنا .. نسعد حقا عندما نجد خارج انفسنا مشاغل لها قيمة ننصرف اليها ، وعندما نعني بشؤون الناس ونحاول مساعدتهم او تخفيف آلامهم .. عندئذ يحس الشخص انه انسان ، وهذا اقوى واجمل شعور يثري حياته ويرفع من قيمتها امام نفسه وامام الناس ، ويجعل الحياة متجددة دائما وتزول عنها رتابتها .

ان هؤلاء الذين يركزون اهتمامهم في نفوسهم نماذج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للنمو الذي توقف .. لان تركيز الاهتمام في الذات من خصائص مرحلة الطفولة.. وكلما نضج الانسان ضاقت دائرة اهتمامه بنفسه واتسعت دائرة اهتمامه بالاخرين.. محاولة اسعاد الاخرين تجعلنا نحس بالرضا عن انفسنا وهذا الاحساس هو قمة السعادة .. فليس اقل من ان نجمع لانفسنا ثروة من لحظات السعادة ..

وقد فعل هذا (جيته) الذي كان دائما يؤمن بأن لا خلود للزمن ، وان الحاضر سرعان ما يصبح ماضيا .. كان يسترجع لحظات السعادة التي مرت به ويجعلها زاده اليومي . وهكذا عاش الكاتب الالماني الكبير (اميل لودفيج) وكان يؤمن ان السعادة هي مجموع اللحظات السعيدة التي رضي فيها عن نفسه . فالذي يتذكر هذه اللحظات الانسانية الرائعة يكون كمن اوتي ثروة في خزائن نفسه .

وليس العطاء من ذات الانفس هو العطاء المادي فقط. وفي هذا يقول (رالف والدو امرسون) : (ان الهبة الوحيدة هي التي تكون جزءا من نفسك) ان العطاء الانساني يفوق كل عطاء مادي في كثير من ظروف الحياة .. هناك البسمة الحلوة ، الكلمة الطيبة ، المشاركة النابعة من القلب ، الخدمة البسيطة التي تأخذ باليد ، الكلمة التي تقوي ، مساعدة الناس للخروج من مآزقهم .. تخفيف آلامهم وقلقهم .

كلمة طيبة في ساعة ضيق انسان وحيرته تنير مكانا مظلما في اعماقه وتخفف ضغطا خانقا يكاد يعصر قلبه .. في ساعة الضيق كلمة حلوة تعمل عمل السحر وتريح النفس مما يدميها .. تبرىء الجرح او على الاقل تساعد على التئامه .. الكلمة الحلوة تضاعف السرور ضعفين ولكنها تشطر الهموم شطرين .

ليست المادة هي كل ما يعطى ، ويحضرني في هذا مقال لكاتب لا اذكر اسمه ، قال : (اذا اومضت في راسي فكرة لتحسين منظر نافذة العرض في مخزن مجاور فانني ادخل واعرض اقتراحي على صاحبه . واذا وقعت حادثة وظننت ان رجل الدين يستطيع ان يستخدمها في عظاته كلمته بالتلفون وقصصتها عليه ، واذا قرات مقالا قد يود ان يقراه احد اعضاء مجلس الشيوخ بعثتها بالبريد اليه) . ويعقب على هذا بقوله (قد استفدت من صداقات كثيرة بهذه الطريقة) .

التقدير الانساني الودود ، والاهتمام والتشجيع ، كلها لا تحتاج الى مال نهبه .. يجب ان نعمل في التو على اخراج كل دافع طيب .. يجب ان نهذب حياتنا بأن نفعل يوميا شيئا طيبا .. ان كل عطاء يقدم للناس سواء كان عطاء معنويا او ماديا يدخل السرور الى النفس . لهذا يجب ان نسارع فان ما يدخل السرور على النفس يكون فوق كل حساب مادي او جهد يبذل .

ليتنا نستطيع اسعاد كل الناس كل الوقت . اعتقد ان الذي لا يحاول اسعاد من حوله حيوان مجرد من كل صفات الانسان .. انه مثار قلق ومتاعب لمن حوله ، يكمد نفوسهم ويكدرها بتصرفاته غير الانسانية ويجعل حياة الناس جحيما ، يبعد عنهم الراحة والاطمئنان ، ويشغلهم بوحشيته التي تبدو في الفاظه المؤلمة او تصرفاته المكدرة .. وهل يعتبر الواحد منا نفسه انسانا اذا كان من النوع الذي يلذ له ان يكدر صفو غيره او يسيئه ؟!

معظم منغصات الحياة وآلامها ونكباتها مصدرها هذا الانسان الذي تجرد من وداعة الانسان وطيبته ، والذي يبدو كحشرة مؤذية ، كعقرب يلدغ من يحتك به وينفث فيه سمومه . ما اجمل ان يكون الواحد منا عميقا في انسانيته ، يحاول دائما ان يسعد كل من يحتك به ... يجب ان نكون هذا الطيب الوديع في بيوتنا ، وفي اعمالنا ، وفي جميع معاملاتنا .. وعندئذ نسعد انفسنا ونحصل على راحة قلوبنا ..

ما جدوى الحياة ان لم تكن هذه الحياة حول الناس جميعا حبا وحنانا .. ان ارخص واحقر شيء في الحياة هو الكراهية .. لا تستطيع ان تسعد وانت تكره ، لقد صدق من قال ان الجحيم مكان خلا من المحبة .. الحقد اذا ملأ القلب يغلق كل سبيل نحو الاكتمال الروحي ... وهذا هو السبب في ان الاحقاد التي تستقر في الاذهان كثيرا ما تقضي على سعادة صاحبها ، وعلى نجاحه في الحياة، او على كفايته في عمله وتؤثر في صحة عقله وجسمه تاثيرا كبيرا .

كلنا في هذه الحياة في حاجة الى من نحدثه عن متاعبنا وهمومنا وآلامنا ، في حاجة الى الصديق الانسان والزوجة المخلصة او الزوج الوفي الامين .. اننا في حاجة الى القلوب الادمية الرحيمة المحبة .. التي تبدل ظلامنا نورا .. بدون هذه القلوب الرحيمة المحبة ، نحس باليتم النفسي والصدام الدائم مع الحياة ..

ان قمة النجاح في الحياة اكتساب الاصدقاء الكثيرين .. انني اعجب كثيرا بكلمة قالها (صموئيل جونسون) : (ان يوما لا اتخذ فيه صديقا لهو يوم ضائع من عمري) . ويعجبني ايضا ما قاله (هنري وارد بيتشر) : (اقم جبانة متوسطة الحجم كي تتسع لدفن اخطاء اصدقائك وسقطاتهم) .

انك لا تخلق الناس ، ولا تربيهم فخذهم كما هم ، وغض الطرف عما قد يبدر منهم ، والا فانك لن تحتفظ بواحد منهم . ولا تكلف الصديق بما تضيق ان يكلفك به . العيب فينا اننا نحب انفسنا كل الحب ولا نترك منه شيئا للغير ، وعندئذ لا نجد من يزاحمنا في حبها.

جدد حياتك من خلال تعرفك على اناس جدد ، حاول ان تفهم انماطا بشرية اخرى ، عقولا اخرى ، وجهات نظر اخرى ، وان ترى الحياة من خلال عيون اناس آخرين . لاشيء ينمي معرفة الانسان ووجدانه قدر الثقافة والاحتكاك بالعدد الكبير من الناس على اختلاف اعمارهم ، ومراكزهم الاجتماعية ، ومواهبهم وقدراتهم ، وتباين آرائهم ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي هذا يقول (بالمر) : (اعترف بالهزيمة حين القى من الناس من لا يسعني ان اتعلم منه شيئا) . هذا الاحتكاك الانساني دراسة بشرية عظيمة الاثر وثقافة حية فعالة .. انه دراسة حية تمكنك من ان ترى ما تحت سطح القلب البشري وتزودك بأفكار كثيرة مفيدة ، وتفتح عينيك على امور كثيرة كانت خافية عليك ، وتعدل الكثير من افكارك وتصرفاتك واتجاهاتك .. اثرها لا يقل عن اثر ما تقرأه في الكتب ان لم يفقه .

انك لا تستطيع ان ترى الحياة في حركتها الدائبة وتفهم الناس وتعرفهم جيدا ، وتحكم عليهم ، وانت تعيش مع نفسك بين جانبي خندق .. ان انسانا يعيش وحده في جزيرة بعيدا عن الناس لا يمكن ان يكون له ادراك ناضج.

كل مجتمع في العالم مكون من انماط عديدة مختلفة من الناس في قدراتهم وتفكيرهم وتصرفاتهم .. ولذا فاننا كثيرا ما نجد انفسنا مختلفين عن الاخرين ، او ان الاخرين مختلفون عنا .. هذا وضع طبيعي يجب ان تدركه جيدا .. لا تنفر من احد ولا تفرض عليه وجهة نظرك اذ يجب ان تسلم لكل فرد بحريته الفردية من غير نقد او تحامل .

استمع الى كل راي واحترمه حتى وان كان غير مقنع لك . لا تغضب اذا لم اومن انا بما تؤمن انت به ؟! انت ايضا لا تؤمن بما اومن انا به . لم التناحر والتنافر أو التعصب والقطيعة ؟

حاول أن تكون ودودا تشعر كل من تتعامل معه بأهميته ، ولن تعدم جانبا طيبا فيمن تعاشرهم ، تدخل منه الى قلوبهم . تجنب التحقير والتهكم والسخرية . كل انسان يمقت ان يشعره احد بالتفاهة والهوان . لا تجرح شعور احد ولا تسيء اليه . ان لم تجد ما تطري به الناس فلا تذمهم . لا تبخل بالكلمة الحلوة، قلها دائما ، قلها في كل وقت . انها في كل موضع من الحياة تعمل عمل السحر في نفوس كل من تحتك بهم حتى ولو في الطريق . ان الكلمات الحلوة كما يقول (جورج كرين) هي اقوى الدوافع لارادة الخير على هذه الارض .

لا تعامل كل الناس على انهم اهل منطق حتى لاتوقع نفسك في مضايقات وهموم انت في غنى عنها ، لان هناك نفوسا تملأها الاهواء والغرور والحماقة وتتحكم فيها آراء مسبقة لا يجعلهم ضيق عقولهم وضحالتها ينزلون عنها . لا تجادل هؤلاء او تحاول اقناعهم بغير ما استقر وجمد في عقولهم ، لانه لا ينفع معهم منطق . من المستحيل ان تقنع الجاهل والاحمق والمغرور وضيق الافق بالحجة .

دع كل يوم من الحياة يغسل مساحة اكبر من نفسك .. لقد خلقنا للشمس لا للمستنقع المظلم الذي تنعكس فيه اشعتها . في الحياة الكثير من صور الجمال الحسي والمعنوي ونحن لا نلقي اليها بالا ، لان اشياء كثيرة غير جميلة تشغلنا ، تشغل فكرنا وقلبنا ونظرنا .. اكثر تفكيرنا فيما لا يمت الى الجمال بصلة . اننا كما يقول (اردبس ويتمان) نقضي اغلب اوقات حياتنا نسدور في طاحونة فارغة، نأكل وننام ونذهب الى اعمالنا ولكننا كالنمل الذي يولد تحت الارض يعيش في الظلام وقل ان نعلم كيف يبدو الضوء .

وليت الامر يقتصر على افناء حياتنا في الامور اليومية العادية دون ان نمتع انفسنا بما في دنيانا من اشراق وجمال بل اننا نضع انفسنا في امور كثيرة صغيرة تافهة لا قلب لها ولا روح وتفقد انفسنا اللحظات التي نرى فيها الجمال والكمال التي نحس اننا نعيش فيها بكل جوارحنا . في سبيل لحظة من هذه اللحظات المشرقة في حياتنا .

يجب ان نضحي بآلاف غيرها من لحظات اجترار التوافه التي تشغل تفكيرنا كثيرا وتحطم اعصابنا .. انه سلوك ابله أن نغض الطرف عن كل ما في دنيانا من جمال ونشغل انفسنا وكل تفكيرنا بما فيها من منغصات . استمتع بحياتك .. استمتع بكل ما حولك من جمال .. درب نفسك على رؤية شيء جميل وفعل شيء جميل .. ان لم يكن الشيء جميلا فلا تصنعه ؛ وان لم يكن حقا فلا تقله .. تأمل شيئا جميلا كل يوم : زهرة ، سحابة ، نجمة ، فراشة .

اجلس على ضفة نهر او شاطىء بحر عند الغروب ، او حول غدير ماء تحيط به الاشجار تستمع الى طائر يغرد او ترى فراشة تدق بجناحيها الهواء او حشرة صغيرة تسعى في صمت بين ذرات الحصى والرمال ..

امنح نفسك بسحر الحياة الذي يحيط بك في كل حين.. تأمل الطبيعة تفهم منطقها وتجمل وجدانك وتكسبك صفاء النفس .. الطبيعة تحدث محبيها ، وتناجيهم وتسرفهم عن الماديات وتهيىء نفوسهم لتلقي درسها .. همسها الخالد في القلب يشعر الانسان بجلال الحياة وسعادة سماوية خالدة .. يا لها من لحظات سعيدة نعبر فيها كياننا الارضي ونستمتع فيها ببوارق خالدة من الراحة النفسية الصافية !!

في هذه الفترات الصافية الرائعة نعبر المشكلات وكل المضايقات ونعيش في شبه حلم روحي لا يعرف وزن المادة. في هذه الفترات نحس بكياننا الروحي بعيدا عن الاضطراب انه ظلم لانفسنا ان نهدر طاقاتنا الروحية ونفنى في سبيل غايات مادية وفي نزاعات بدائية .. ولا نعيش حياتنا .. نفقد صفاء نفوسنا ولا نتذوق الحياة في عمقها الجميل . وفي هذا يقول الفيلسوف الصيني (لين بوتانج) : (الا ما اقسى هذه الانسانية التي يكد فيها الانسان ويشقى ويقلق حتى يبيض شعره وينسى ان يستريح) . ما احوجنا ان نلتمس البهجة في ما يبهج العين والاذن ويهذب طبيعتنا البدائية العارية وغرائزنا البدائية المظلمة .

اننا في حاجة ـ كل يوم ـ الى لحظات صمت وتأمل ، لتعود الى الينابيع الصادقة التي تصدر عنها الافكار العظيمة السامية البناءة ... في ساعات الصمت الحي تستيقظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بصيرتنا وينفتح لنا عالم الخلق والابتكار . اننا في حاجة الى الصمت الخالق المبدع المليء بالتصورات التي توحي بها البصيرة الشفافة .. في ساعات الصمت والتأمل تحلق ارواحنا في عالم نوراني بعيدا عن تراب الارض . وفي هذا يقول (جيته) شاعر الجمال والحس الراقي والذهن المستطلع : (التأمل يقربنا كثيرا من نفوسنا ويمنحنا لحظات نجد فيها كثيرا من الشبع والري والظمأ للمزيد) ..

لا بد من لحظات الاشراق هذه لتوقظ فينا الفكر الجديد وتهيىء لنا التفكير الصادق العميق ، وتمنحنا الهاما جديدا ، وتفرغ اعماقنا من الامور التي اعتاد الناس الا يروا شاغلا لهم في حياتهم غيرها . ساعات الصمت تثري حياتنا الذهنية والوجدانية وفيها نستعيد ما احترق من طاقاتنا العقلية والنفسية.. في ساعات الوحدة والاستجمام والاسترخاء والتأمل الواعي تتفجر في عقولنا وقلوبنا اسمى الافكار واجمل المشاعر . كل الافكار العظيمة التي أضاءت للبشرية طريقها وليدة السكينة والتأمل .

حاول ان تصل الى ذاكرتك كل يوم بعض الافكار والكلمات الطيبة الموحية .. حكمة ، او مبدا نبيل او خبرة انسانية راقية ، تتأملها وتفكر فيها وتقلبها على وجوهها ، وانت في الطريق او وانت تنظر من النافذة او تحتسي قهوتك .. او وانت في خلوة بين احضان الطبيعة .. هذه الافكار السامية تضيء اعماقك وتستقر فيها لكثرة ما تتأملها وتعجب بها فتندس في عقلك الباطن وتصبح جزءا من تفكيرك وسلوكك .

ان شعرت ان الدنيا حولك فقدت بريقها ولا دفء فيها ، ابحث عن الحب وسط الزحام والضجيج فقد تجده عنده صديق او في هواية .

وان رايت الواقع مظلما فالخيال دواؤك . حاول ان تنظر الى ما وراء الستار والجأ الى عالم الامل والرؤى فترات قصيرة كفترات الاحلام ، تريح فيها نفسيتك وتخفف الضغط على اعصابك .. لتعود الى مواجهة موقفك بروية وهدوء .

وان ضاقت بك الدنيا وكان الموقف قاسيا فوق قواك وقد أعيتك كل الحيل فاللجوء الى الله ينجيك من اليأس والانهيار .. المهموم المكروب يشعر بالراحة عندما يصرخ من اعماقه بكل قوته قائلا (يا رب) . الق على الرب همك فهو يعولك ويمنحك القوة التي تنقذك من الظروف التي هي اقوى منك .

بالاضافة الى كل هذا ، يريحني كثيرا في وقت الازمات ان اقوم بعمل يدوي .. اصلح شيئا في المنزل .. ازرع او اروي او اصفر في حديقتي .. ارتب الكتب في مكتبتي .. ارجع الى اوراقي القديمة ، افرزها واتخلص مما لا فائدة منه .. وكثيرا ما الجأ الى دفتر مذكراتي ادون احساسي في الموقف الذي اعاني منه وكل ما يدور حوله من افكار وخواطر . دفتر مذكراتي له فضل كبير في اراحتي من عواصف اعماقي التي تهدأ كثيرا عندما افرغها على الورق .

وهناك شيء آخر ضروري ولا غنى عنه لحفظ التوازن العقلي والنفسي في حياة كل منا . الهواية . لا بد ان يكون لك هواية تمتص سأمك ومللك وتحتمي فيها من انواء الحياة.. الهواية تجعلك تشعر بالراحة النفسية وانت تعيش ساعاتها وقد ابعدتك عن مشاغل الحياة العادية وهمومها العارضة ، تحميك في شبابك ، وتقضي على مللك وتشغل وحدتك في شيخوختك ، لحظات ممارسة الهواية هي الحياة الطيبة المحبوبة الحافلة الغنية في حياة الانسان ، انها لحظات السعادة والراحة النفسية .. تبعدنا عن قلقنا ومللنا وهمومنا ونحن ننغمس فيها .. وتذهب بنا بعيدا عن مشاكل الحياة وهمومها ورتابتها . والهواية ليست فراغا بل هي لحظات خلق وابداع وانتاج محبوب..

انها شيء ايجابي نعمله ونرى له ثمرة كالكتابة والموسيقى واستنبات الازهار ، والعناية بالحديقة والرسم والاعمال اليدوية المختلفة ...

الهواية السلبية قد تبعد قلقنا وضيقنا لحظات ، ولكنها لا تغسل نفوسنا ، او تخفف من حدة همومنا ، كما يحدث في ممارسة الهواية الايجابية .. ما لعبت النرد او الورق مرة لاتخلص من ضيق اعاني منه الا أحسست به مكثفا بعد ان فرغت من اللعب ، وعلى العكس من هذا اندماجي في عمل يدوي او في الكتابة ، فانني اخرج بعد الفراغ منها وقد زال عني الضيق واحسست براحة نفسية غامرة .

سيطر على انفعالاتك الضارة بقدر المستطاع وشجع انفعالاتك السارة .. الحياة صراع مستمر وهي شاقة ومضطربة والفترات الهادئة فيها قصيرة ونادرة فاغتنم الساعة التي انت فيها .. لا سبيل لتهوين الخطب الا بعد فترة من الزمن . حاول ان تنسى بكل الطرق ولا تجتر همك .. وجه فكرك الى شيء آخر ينسيك همك او يخففه .

الذي يحتضن حزنه في قلبه يحرك بيده سكينا في جرحه ويجعله ينزف ولا يلتئم .. قد يكون انهماك المرء في عمله او اغراق تفكيره في شيء اخر كالهواية ـ مثلا ـ دواء مسكنا مخففا لحدة الهم .. ولكن قبل ان تسكن جراحك عليك ان تدرس اسبابها فقد يكون من الممكن تعديل سلوكك او تسلك طريقا آخر يخلصك من ضيقك او يجنبك الوقوع في مثل هذا الضيق .. ليست السعادة في المتعة وحدها وانما في الظفر .. في الانتصار على ما يعترض الطريق من منغصات وعقبات ..

في وسع كل انسان ان يحول كل سالب يصادفه في حياته الى موجب عندما يواجه الحياة مواجهة انشائية ايجابية .. وانسانية .. عش ودع غيرك يعيش ، فليس من المعقول ان تزرع حسكا وتجني عنبا .. لا يمكن ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعمل شيء من اجلك ان لم تفعل شيئا من اجل الاخرين.. من يزرع يحصد .. ومن يزرع الشوك لا يحصد الا شوكا يدمي يديه وقدميه وهو يحصده .

ليست الحياة شكلا ولكنها اسلوب في العيش .. استفد من الحقائق الثابتة في الحياة ولا تحد .. والعثور على الحقيقة ليس صعبا ولكن الصعب الا تهرب منها عند العثور عليها .. تذكر قولة (ديكارت) المشهورة : لا اريد شيئا سوى معرفة حقيقة الحياة التي علي ان احياها .. ولكن أتريد ان تصل حقا الى الحقيقة ؟! انها امامك وفي أعماقك وانت تتجاهلها .. الحقية التي يجب ان نتمسك بها وتظهر في كل سلوكنا هي (عش ودع غيرك يعيش) وهذا ينطبق على الافراد كما ينطبق على الامم . ولكن كيف تصل اليها وانت لا تريد ان ترى الا ما في عقلك وفي تصرفاتك وشهواتك الجامحة ؟!

يقول (الدوس هكسلي) اهرب من الحقيقة خوفا على نفسي واشفاقا عليها . ينفر الكثير من الناس عادة من التأمل في اعماق النفس .. انهم لا يريدون ان يزعجوا انفسهم بالمواجهة الصريحة .. انهم يعيشون بأخطائهم وما تعودوه .. لان في التغيير جهدا لا يريدون ان يبذلوه . انهم يرون انه من الصعب الخروج من الرداء النفسي الذي يرتدونه . والحقيقة ان كل انسان بداية اختيار حر مفتوح وفي استطاعته ان يصوغ مستقبله وفق ميوله البناءة وارادته الايجابية الفعالة التي يحركها الميل الكامن .

لا شيء على الاطلاق يمكن ان يحول بيننا وبين الصورة الفاضلة الواضحة لانفسنا الا العادات السيئة مثل الكسل وسلوك الطريق الهابط .. لن تكون ارادتنا واعية ونحن نهدر طاقاتنا الروحية وقيمنا العليا في بحار الشهوات والميول الحيوانية والمبادىء البدائية . الحياة لا تعطينا خير ما فيها بلا مقابل ، فنحن نحصد بقدر ما نزرع فيها وبقدر ما نبذل من جهد وكفاح وعزم ومثابرة وصبر ..

ان الاعمال العظيمة والنفوس الراقية التي رفعت من شأن الانسانية لم تكن الا نتيجة سلسلة من الجهود الدائبة والكفاح والمثابرة والتضحية . والانسان الراقي هو انسان يجوع عقله فيفكر ، ويجوع قلبه فيحس ، وتظمأ نفسه فيجاهد .. تتوقف النتائج الطيبة او السيئة على الوان سلوكنا ، وعلى كيفية استجابتنا لكل باعث من البواعث العاطفية والنفسية والاجتماعية التي تحرك حياتنا من السطح الهادىء حتى الاعماق الثائرة ..

الفارق بين الانسان العادي وبين صاحب القلب الكبير ليس فقط في المواهب والعقل ، ولكن قبل كل شيء في الاخلاق .. بغير حياة القيم الطيبة تلهب الجمرات المدخنة في اعماقنا فتصير لهبا حمراء متقدة تحرقنا أولا وتحرق الناس حولنا .. سبب ضيقنا في الحياة هو اننا نسير في مسارها الضيق الاسفل .. والذي لا يستطيع ان يجد ذاته الفضلى انسان ضل الطريق .. الذي يعيش لحاجاته الطبيعية ودوافعه الاولية انسان بدائي ، لا فارق بينه وبين الحيوان غير النطق .. بالارتفاع فوق ذواتنا نعبر طريق الحياة البدائية الوعرة ، ونحصل على قوة ذاتية نابعة من اعماق نظيفة ..

ليس راقيا من لا يدرب العقل والقلب على المرتفعات التي يصعد اليها لينعم بالنور الغامر والجمال .. اذا اردت ان تهرب من سجن الذات البدائية حاول ان تدرك ما هي الاشياء التي تجعل منك انسانا راقيا ، وضع قلبك فيها .. بغير هذا تنفق الحياة هباء منثورا في مستنقع الاوحال البدائية .. ان العيب فينا وليس في دنيانا ، والعالم عند كل واحد منا صورة لما يحويه عقله وقلبه ، وليس من جهد بشري طيب لا يحمل ثمرا طيبا .

استفد من حياتك الى اقصى حد ، واعصر برتقالتك الى آخر قطرة فيها .. فالحياة مهما طالت قصيرة .. متع نفسك ولكن ليس كما يتمتع البدائي الجاهل .. انشد الكمال وارتفع فوق الدنايا ، واقم جسورا فوق خطايا البشر واساءاتهم ، وكن انت افضل منهم .. جاهد لتكون انسانا حقا ، واجعل الحياة الراقية رسالتك .. لتكن حياتك انسانية ممتلئة ولا تكون الحياة موفورة ممتلئة الا بالعقل الناضج الواعي والقلب الكبير .. لتكن لك سحابة تصعد اليها لتحلق هناك مع فرحة الحياة النظيفة .. احبب الحياة الراقية وسوف ترد لك الحياة هذا الحب ..

لا تنسى ان لجسدك عليك حقا ، وحق الجسد عليك ان يكون صحيحا سليما يسكنه عقل سليم وقلب انساني تخلص من رواسب البدائية .. وبدنك لن يكون سليما الا اذا وفرت له جو الاطمئنان ، والبعد عن الاحقاد ، والضغائن ، والهم ، والقلق ، التي تسبب الكثير من ادوائه .. لا تستطيع ان تسعد روحيا وجسمانيا وانت تكره .. كل شيء يذوب في وهج الحب .. الانسان يتكون من عنصر الجسم وعنصر النفس وهما كيانه وقوام شخصيته ، وكل منهما يؤثر في الاخر تأثيرا كبيرا ..

وفي هذا يقول (الكسيس كاريل) : (اننا نحتاج الى تذوق الحياة وهذا يتطلب صحة البدن .. والصحة ليست مجرد خلو الجسم من الامراض .. انها نشاط لا يفتر ، واعتماد على النفس ، وقدرة على ان نكافح ونحب .. وليست هي القدرة على العمل فحسب بل هي تشمل ايضا قوة الاخلاق وحصافة العقل) .

واركان الحياة الموفورة بايجاز هي ان تقوم بعمل تجد فيه نفسك ، وان تجد شيئا تحبه ، واملا ترجو تحقيقه ، يستغرقك وانت تسعى اليه ، وان تجعل حياتك رسالتك تسعى ان تجعل منها شيئا راقيا ساميا .

عالمنا اليوم يعاني من صراع الانسان ضد الانسان ، ولا خير ولا راحة لنا في دنيانا ، الا بصراع الانسان مع ذاته للارتقاء بها .. هناك ازمة في المبادىء الاخلاقية وفي اهداف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحب العائد



عادت الي فعـاد الحـب والغزل ... فكل شيء امامي باسـم جـذل
حتى التراب الذي بالامس اسحقه ... اليوم يحلو لعيني، معشب خضل
غريدة الروض ما انشدت قافيـة ... الا وعطف الهوى من سكرها ثمل
ما غبت عن خاطري يا حلوتي ابدا ... ولم يغب عن فؤادي الوامق الامل
هذا الفؤاد الذي خلفتـه دنفـا ... لا النصح اسعفـه كلا ولا العذل
سرى غرامك في روحي وفي جسدي ... هيهات لي عنك يا كل المنى بدل
رسالة منك وافتني سعدت بهـا ... عقـود فـل ارى ام هذه جمل
ورغم كل جراح الصمـت نازفـة ... ما حادني عنك لا شغل ولا عمـل
مرت علي ليالي الهجـر كالحـة ... فكم ارقت الى ان ملني الملـل
على السرير همومي وهي مطبقـة ... كم قلبتني وكم ضاقت بي الحيل
جنباي قد اشفقـا ممـا اكابـده ... كانما فيهما الاشـواق تشتعـل
والله يا روح روحي ما سلوتك لا ... والف هيهات عنك القلب ينتقـل
عهد لعينيك مني لسـت اخفره ... انا الذي بوفائي يضرب المثـل

بغداد ص.ب ٤٦٧ — باقر سماكة

الحياة الصحيحة وفي قيمها ووسائلها ، ولا يجدي التشدق بالقيم فانه ـ كما يقول (جون كيتس) ـ لا يمكـن ان يصبح شيء حقيقيا حتى نجربه ـ والذي يفيد من تجارب حياته وحياة جيله وتجارب الاجيال السابقة يعرف ايـن يضع خطواته ويضمن الغلبة في ميادين الحياة المجاهـدة وتتكامل شخصيته ، وشتان بين مجرد الوجود وبين الحياة في ملئها وكمالها .. كثيرون منا في امكانهم ان يقلبـوا صفحة جديدة في حياتهم اذا استطاعوا ان يتخلصوا مـن الصفحات القديمة ليحققوا لانفسهم الذات المتطورة المدركة الفاضلة ، ويختاروا موقفهم في معركة الانسانية النبيلـة الراقية .. التي تقاس عظمتنا فيها بقدرتنا على اسعـاد الغير .

● عش انسانيتك في ملئها وارقى حالاتها الذهنيـة والوجدانية ..

● عش واستمتع ودع غيرك يعيش ..

هذا هو الطريق الامثل المؤدي الى السعادة الحقيقية.

القاهرة — ايليا حليم حنا

اليوم المدرسي الأول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم وليم سارويان
ترجمة حسني سيد لبيب

●

هو ولد صغير اسمه « جيم » . وهو الطفل الاول والوحيد للدكتور «لويس دافي » ، ٧١٧ مبنى « ماتي » . وكان اليوم يومه الاول في المدرسة ، ابوه فرنسي . كان ابوه فرنسيا ، ورجلا مكتئبا في الاربعين ، مما افعم صباه بالشقاء والتعاسة والطموح . ماتت امه : لقد ماتت عندما ولد « جيم ». وكانت « ايمي » ـ مدبرة المنزل ـ هي المراة الوحيدة التي ارتاح لمعشرها .

البسته « ايمي » ملابسه المدرسية واخذته الى المدرسة . « جيم » احب « ايمي » ، ولكنه لا يحبها لانها تاخذه الى المدرسة . قال لها ذلك . وطوال الطريق الى المدرسة يقول لها ذلك .

قال : انا لا احبك . انا لن احبك بعد الآن .

قالت المربية : وانا احبك .

قال : لماذا اذن تاخذينني الى المدرسة ؟

فيما مضى ، كان يسير مع «ايمي» متقدما اياها ، طوال الطريق الى حديقة « كورت هاوس » ، من اجل الفرقة الموسيقية مساء الاحد . اما هذا السير الى المدرسة فانه مختلف .

قال : لم ؟

قالت المربية : كل انسان يجب ان يذهب الى المدرسة .

قال : هل ذهبت الى المدرسة ؟

قالت « ايمي » : لا .

قال : اذن .. لماذا اذهب انا ؟

قالت المربية : انت ستحبها ؟

وسار معها صامتا ، ممسكا بيدها .. قال :

ـ انا لا احبك . انا لن احبك بعد الآن .

قالت « ايمي » : وانا احبك .

قال من جديد : اذن .. لماذا تاخذينني الى المدرسة ؟

ـ لماذا ؟

استطاعت المربية اخافة الولد الصغير ، ابان ذهابه الى المدرسة .

قالت : انت ستحبها . اعتقد أنك ستغني الاغاني وتلعب الالعاب .

قال : انا لا اريد ان اذهب .

قالت : سأحضر وآخذك بعد ظهر كل يوم .

اخبرها من جديد :

ـ انا لا احبك .

احست بأسى شديد من الولد الصغير الذاهب الى المدرسة ، ولكنها استطاعت ان تجعله يذهب .

كان مبنى المدرسة موحشا جدا بالنسبة لها وللولد . هي لا تحب ما يولد لديها مثل هذا الاحساس اثناء صعود الدرج معه ، وودت الا يذهب الى المدرسة . الصالات والغرف اخافتها واخافته ، ورائحة المكان ايضا . ولم يحدث ارتياح ما للمدير السيد « باربر » .

لم تسترح «ايمي» للسيد «باربر»

قال السيد « باربر » :

ـ ما اسم ابنك ؟

قالت « ايمي » :

ـ انه ابن الدكتور «لويس دافي» . اسمه « جيم » . وانا مربية الدكتور « دافي » .

قال السيد « باربر » :

ـ « جيمس » ؟

قالت « ايمي » :

ـ ليس « جيمس » ، فقط «جيم»

قال السيد « باربر » :

ـ وهو كذلك . اهناك اسم اوسط ؟

قالت « ايمي » :

ـ لا . هو اصغر من ان يدعى باسم اوسط . « جيم دافي » فحسب

قال السيد « باربر » :

ـ حسنا . سنختبر صلاحيته للصف الاول ، فاذا لم يحقق نجاحا فسنختبر صلاحيته لروضة الاطفال.

قالت «ايمي» : لقد طلب الدكتور « دافي » ان يلتحق بالصف الاول ، وليس روضة الاطفال .

قال السيد « باربر » : وهو كذلك .

فطنت المربية الى مبعث خوف الولد الصغير ، الجالس على الكرسي وقد حاولت ان تدعه يعرف مقدار حبها له ، وكم هي تأسف لكل شيء. ارادت ان تقول له شيئا مريحا عن شيء ما ، لكنها لم تستطع ان تقول شيئا . وقد كانت معجبة جدا بالطريقة التي نهض بها عن الكرسي ، ووقف بجانب السيد « باربر » ، استعدادا للذهاب معه الى الفصل .

وفي الطريق الى البيت ، اعلنت له عن اعجابها الشديد به .

كانت مدرّسة الصف الاول ، الانسة « بيني » متقدمة في السن ، ممصوصة العروق . كان الفصل مملوءا بالاولاد والبنات الصغار . للمدرسة طابع غريب وحزين . جلس عند نضد وانصت باهتمام .

سمع بعض الاسماء : شارلز ، ارنست ، الفين ، نورمان ، بيتي ، هاناه ، جولييت ، فيولا ، بولي .

اصغى باهتمام واستمع لما تقوله الانسة « بيني » .

ـ « هاناه وينتر »، ماذا تمضغين؟

فالتفت الى « هانـاه وينتر » باستحياء . واحب « هاناه وينتر »

قصة

من البداية .

قالت « هاناه » : لبان .

قالت الآنسة « بيني » :

ـ ضعيه في سلة المهملات .

وشاهد البنت الصغيرة وهي تمشي حتى مقدمة الفصل ، وتأخذ اللبان من فمها ، وتلقيه في سلة المهملات .

سمع الانسة « بيني » تقول :

ـ يا « ارنست جاسكين » ، ماذا تمضغ ؟

قال « ارنست » : لبان .

واحب « ارنست جاسكين » ايضا التقيا في فناء المدرسة ، والقى « ارنست » عليه بضع نكات .

كانت « ايمي » تنتظر في الصالة وقت انتهاء الدراسة . وكانت مكفهرة وحزينة كلما لمحت تلميذا ما ، الى ان شاهدت الولد الصغير . واندهشت لانه لم يتغير ، ولم يتضايق ، او ربما لم يصبح على قيد الحياة ، وفتك به تماما . لقد كانت المدرسة ، وكل ما يتعلق بها ، مخيفة جدا بالنسبة لها. امسكت بيده ، وخرجت به من المبنى يتملكها غضب وزهو .

قال « جيم » :

ـ ما الذي يلي التاسعة والعشرين؟

قالت « ايمي » : الثلاثون .

قال : وجهك قذر .

على مائدة العشاء ، جلس ابوه هادئا للغاية .

وفي الصباح ، طلب من ابيه شلنا.

قال ابوه: ماذا ستشتري بالشلن؟

قال : لبان .

اعطاه ابوه شلنا . وفي الطريق الى المدرسة ، توقف عند محل السيدة « ريلي » ، واشترى باكو « سبير منت » .

سأل « ايمي » : اتريدين قطعة ؟

قالت المربية : اتريد ان تعطيني قطعة ؟

فكر « جيم » في هذا لحظة، ثم قال: نعم .

قالت المربية : هل تحبني ؟

قال « جيم » : انا احبك . فهل تحبينني ؟

قالت المربية : نعم .

ـ وهل تحب المدرسة ؟

ـ لم يعرف « جيم » اجابة محددة لكنه عرف انه احب كل ما يختص باللبان ، و « هاناه وينتر » و« ارنست جاسكين » .

قال : لا اعرف .

سألت المربية : هل تغني ؟

قال : لا ، نحن لا نغني .

قالت : هل تؤدي العابا ؟



حسني سيد لبيب

★

قال : ليس وقت الدراسة . في الفناء يكون ذلك .

واحب كل ما يتعلق باللبان حبا شديدا .

قالت الآنسة « بيني » :

ـ يا « جيم دافي » ، ماذا تمضغ ؟

ـ ها ها ها ، شرد . ثم قال: لبان.

وخطا نحو سلة المهملات ، ثم عاد الى مقعده ، وشاهدته «هاناه وينتر» و « ارنست جاسكين » ايضا .

واعتبر ذلك افضل ما في المدرسة .

وبدا هذا الامر يتطور كذلك .

وصاح في فناء المدرسة :

ـ ماذا تمضغ ، يا « ارنست جاسكين » ؟

قال « ارنست جاسكين » :

ـ لحم فيل نيء . ماذا تمضغ يا « جيم دافي » ؟

وحاول « جيم » ان يفكر في الشيء الاكثر طرافة في المضغ ، فلم يهتد اليه

قال : لبان .

وضحك « ارنست جاسكين » بصوت اعلى من « جيم » ، الذي ضحك عندما قال له « ارنست جاسكين » انه يمضغ لحم فيل نيء .

انه من الطرافة الا تجد ما تقوله .

واثناء العودة الى الفصل ، لمح « جيم » « هاناه وينتر » في الصالة

قال : يا « هاناه وينتر » ، ما اشهر نوع تمضغينه ؟

وفزعت البنت الصغيرة . ارادت ان تقول شيئا لطيفا يعبر بصراحة عما احست به ، لما يقوله لها «جيم» عن الاسم ، ويسألها هذا السؤال المضحك مما جعله مثار سخرية . لكنها لم تجد شيئا لطيفا تقوله، فهم يتواجدون اغلب الاوقات في الفصل، حيث الوقت غير متسع .

قالت بانفعال محتد :

ـ توتي فروتي .

فيما يبدو ان « جيم » لم يسمع ابدا مثل هذه الكلمة الرائعة ، وظل يردد الكلمة بينه وبين نفسه طوال النهار .

قال : ماذا تمضغين يا « ايمي لارسون » ؟

وحكى لابيه كل شيء على مائدة العشاء .

قال : كان هناك تل . وفوق التل طاحونة . واسفل الطاحونة مرعى . واسفل المرعى مفتاح . ما هذا ؟

قال ابوه : لا اعرف ما هذا ؟

قال الولد : طا مر مفتا (*)

فرحت المربية .

قال « جيم » : طاحونة . مرعى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شادن

شادن هي حفيدتي من ابنتي رفيف ، في الثانية من عمرها ، وهي آية في الجمال وخفة الروح والذكاء ، وتعيش مع ابويهـا في القدس الحبيبة ، قلت فيها :

يا شـادن ! يـا ابهى الزهـر ... يـا وجهـا ازرى بالقمـر
يـا شمسـا ارسلـت الانوا ... ر الى لـبي ، والى بصـري
ففـؤادي ان ورد الشفتـين يزوغ القلـب عن الصدر
والطـرف اذا شهـد الخـدين ابى الا سـل النظـر
وعـدا ليشـم اريـج الور ... د ، وروحي تركض في الاثر
يا اعـذب صـوت في الدنيـا ... اذهلـت بـه سمـع الوتـر
وفتنـت البلبـل والحسـو ... ن وكل هـزار في الشجـر
واثـرت بـه بحـر الالهـا ... م ، فنور وحيك لي عمري
فكسفـت به غـزل الشعرا ... ء ، لحون الحب مدى العصر
ونسيبي فيـك غـدا تاجـا ... وحـروفي فيـه كالـدرر
وعصرت فتى صدري راحـا ... لك يا امـلي عصر الثمر
وصنعـت شفافي كاس هوى ... لك شادن يا هبـة القـدر
وشربت النخب ، وبي وجد ، ... في كـل مسـاء للسحـر
لو كان جنـاني في سقـر ... من هـم احمـر او كـدر
او يـأس ، في عينيـه بـدا ... شرر ينهـال عـلى شرر
او داء ، ليس لنـا امـل ... ان ننجـو فيه من الخطر
واتنـي شـادن مشرقـة ... لغدت فردوسـا لي سقـري
ما بنـت رفيـف غـير منى، ... قلبـي قـد نـال بها وطري

محمد العدناني

مفتاح . توتي فروتي .
قال ابوه : ما هذا ؟
قال : لبان . النوع الذي تمضغه « هاناه وينتر » .
قال ابوه: من تكون «هاناه وينتر»؟
قال : هي معي في الفصل .
قال ابوه : اوه .
وبعد العشاء ، جلس على الارض يلعب بالنحلة الصغيرة ذات الالوان الحمراء والزرقاء والصفراء ، والتي تزن اثناء دورانها حول نفسها. ورأى ان كل شيء على ما يرام . ما زال العالم شديد القتامة ، وان كان اللبان شيئا مسليا جدا ، وكذلك « هاناه وينتر » . وخطر على باله لحم الفيل النيء بابتهاج داخلي .
قال بصوت عال لابيـه الذي كان يقرأ جريدة المساء :
ـ لحم فيل نيء .
طوى ابوه الجريدة، وجلس بجانبه على الارض . وراتهما المربية جالسين جنبا الى جنب على الارض ، ولسبب ما انهمرت الدموع من عينيها .

(*) هذه الكلمة مشتقة من الحروف الاولى من الاسماء الثلاثة : طاحونة ومرعى ومفتاح. والكلمة هي المقابل العربي للكلمة الانجليزية التي اشتقها الكاتب من الاسماء الثلاثة في لغته الانجليزية . « المترجم »

حسني سيد لبيب

عبد الكريم بن ثابت :

القصيدة والحب والحرية

بقلم العربي بنجلون

* * *

في مدينة فاس ، عاصمة الثقافة بالمغرب ، برز شاعرنا الى الوجود ، فعب من مفاتن الحياة ، وثمل من غصصها .. فكانت شاعريته الفياضة تشدو بجمال بلاده ، وجمال الطبيعة وجمال الحرية الانسانية ، وانعتاقها من الاسر والقيود .

قال عنه الاديب المغربي عبد الكريم غلاب : « ملأت عليه حرية بلاده كل احساسه ، وكانت ملء قلبه وعاطفته ومشاعره جميعا ، وقد وزعت احساساته مع هيامه بالطبيعة والجمال ، فكان شاعر الحب ، وكان شاعر الحرية » . ولد الشاعر عام ١٩١٥ من اسرة ذات يسار ، وتلقى تعليمه الابتدائي بالمدارس الفرنسية سنة ١٩٢٨ ، لكنه تمرد عليها ليسعى بنفسه الى حلقات جامعة القرويين متطلعا الى دراسة اللغة العربية ، منكبا على الدواوين الشعرية ، يتغنى بقصائدها ، ويهيم في جمالها ، ويحفظ الكثير منها .

ويذكر الاستاذ غلاب في توطئته لديوان (الحرية) ، ان ابن ثابت تأثر بجولاته في الاحراش والسهول المحدقة بفاس ، حيث كان يقضي الايام والاسابيع متذوقا ، يتأمل البادية وما فيها من الحسان اللائي قال عنهن ابو الطيب المتنبي :

حسن الحضارة مجلوب بتطريبة وفي البداوة حسن غير مجلوب

وكان احب شيء اليه ان ينأى عن صخب الحياة بالمدينة ، ويلتجيء الى ركن قصي في مقهى قبالة نهر يتوسط حديقة (جنان السبيل) ، فيخلو الى الشعر يقراه ، والى الورق ينظم شعرا او يكتب مقالا نقديا او قصة ، وهذه الظروف طبعت شخصية ابن ثابت في ميعة شبابه .

الى وادي النيل

وقبيل الحرب العظمى الثانية ، هاجر الى القاهرة فيطلب العلم ، فالتحق بكلية الآداب ، وفيها تفتحت مداركه الثقافية والادبية ، والفى مجالا ارحب لينسلخ من قيود المجتمع التي تدجن الفرد ، وتعوق طاقته الابداعية عن التعبير الطليق من اصفاد التقليد . الا ان ابن ثابت ظل كسير النفس ، رهيف الحس ، يؤكد ذلك الكاتب السوري عبد المعين الملوحي بقوله : « عرفت عبد الكريم بن ثابت في القاهرة عام ١٩٤٣ . كنا طالبين في كلية الآداب ، وكنا نسكن في شقة تقع على سطح بناية عالية في الدقى ، كان يقضي اكثر فترات راحته في التامل ، وفي قرض الشعر ، يتكوم على نفسه ، ويسحب انفاسا من لفافته ، ويضع راسه على كفه ، وامامه قلمه وورقته ، ثم يختلس من حين الى حين فرصة من فرص الالهام ، فيسجل قصيدة بخطه المغربي الغريب ، كان رقيقا وكنت قاسيا ، وكان قليل الحركة وكنت دائم النشاط ، وكان مهذب الالفاظ وكنت شديد الكلام ، وكان يثير الذهول ، وكنت دائم اليقظة ، كان ما بيننا مختلفا من كل الوجوه ، ومع ذلك فقد اجتمعنا على صداقة صافية » ...

واقبلت محلة المطالبة بالاستقلال حوالي ١١ يناير ١٩٤٤ ، فكان ابن ثابت من اكثر شباب المغرب الذين ساهموا في تكوين (رابطة الدفاع عن مراكش) تحمسا لفكرة الحرية ، ومن الذين هيأوا المذكرة التاريخية التي عرضتها الرابطة على سفارات الحلفاء ، وقنصلية (فرنسا الحرة) بالقاهرة ، تلح على استقلال المغرب .

القدر بالمرصاد

وفي عام ١٩٤٥ احرز ابن ثابت على الاجازة في الادب من الجامعة المصرية ، ثم عاد الى وطنه ليشارك في تحرير شعبه ، ويشهد افراح الاستقلال السياسي سنة ١٩٥٦ .. عمل اثرها بالسلك الدبلوماسي كاتبا في السفارة المغربية بتونس ، لكن القدر لم يمهله حتى يرى انتاجه مطبوعا تتناوله الايدي . فقد عاجلته المنية يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٦١ ، الا ان هذا لم يحل دون ان تخرج اعماله الادبية الى النور .

لقد احس الاستاذ غلاب ان من غير الوفاء للادب العربي في المغرب ان تطوى هذه القصائد مع جسد الشاعر فجمع اشعاره المبثوثة في المجلات والجرائد المغربية ، ك (رسالة المغرب) و (العلم) و (دعوة الحق) وطبعها بين دفتي ديوان (الحرية) .

ولابن ثابت مؤلفات مخطوطة، منها مجموعة قصصية ومذكرات عن الحياة في المغرب، حرر كثيرا منها في الصحف المغربية ، باستثناء (حديث مصباح) الذي تضمن احاديث في الفن والادب والنقد والاجتماع .

وهذه الاحاديث تتطرق الى الحرية والفن ، فالفنان لا يمكنه ان يحيا بدون حرية ، هذه الحرية الشخصية التي لا تقيدها قيود : « الفنان الحر رسول حمل رسالة سماوية عن طريق الموهبة والالهام لادائها الى بني قومه بل الى الانسانية جمعاء » ، ان الذين يطالبون الفنان باجتناب هذا الشيء او ذاك لانهما من المثالب ، فانهم ـ في

نظر ابن ثابت ـ يقتلون الفن والفنان، وهم البلاء الذي يحل بالامة ، لانهم يطفئون نار الموهبة ونور الالهام .

ويرى ابن ثابت ان كل فن ينطوي عن الجمال ، وان كل فنان يحب هذا الجمال : « نحن نشعر اننا في حاجة الى من يقوي فينا الاحساس بالجمال ، ومن يطهرنا ويطلعنا على مناحي النقص في الطبيعة وهذه هي وظيفة الفنان »، كما يرى ان المراة ما زالت وستظل الى الابد الينبوع الاول للوحي والالهام والابداع الفني في شتى الوانه .

اصالة الشاعر

في متابعة مستوعبة لشعر ابن ثابت ، نعثر على نفثات انسانية خالدة تتخطى الحدود ، وحركات نضالية مثالية، وعاطفة قوية تنساب منها الرقة ، وشفافية تتجلى في هيامه بالمجهول البعيد الذي نعشقه ولا نحققه ، والذي نلمحه قريبا قريبا ، وبعيدا بعيدا ، كما تتجلى هذه الشفافية في التطلع الى الحرية ، والتخلص من اسار الزمان ، من قيد اللحظة ، وقيد القصور الانساني ، ملتزما بالهيكل التقليدي مع تلوين القوافي والاوزان ، مهتما بشكل واضح بايقاع الشعر الذي يوقعك في حبائله من اللحظة التي تطل فيها على الشاعر، فاذا انت اسيرها الذي لا يستطيع من اسرها فكاكا ، واذا انت الظامىء الصادي الى هذا المنهل الثر الجميل الذي يروي غلتك ، ولنصغ الى قصيدة (طيف) ، التي تشي بروحه العامة ، وموسيقاه العذبة ، وقدرته على التعبير بالكلمة المتالقة :

فتنتني كيف اتيت ... وتسربت لبيتي
انا فيه قابع كالهـ ... ـم حزينا منذ غبت
كيف يا (نينتي) جئت ... غرفتي . كيف حللت
خبريني يا ابنة النور ... أانت اليوم انت
هوذا قلبك الخافق ... بالخوف كما مي
آه منه وهو لا ينطـ ... ـق الا مثل جرس
خافتا يشكو لي ... المجهول في رقة همس
خبريني يا ابنة النور ... أانت اليوم انت
ثم مست شعر راسـ ... ـي فانتشيت
وتمليت عبيرا فاح ... منها فسكرت
ثم قالت : ايها الولهـ ... ـان ها اني اتيت

وشاعرنا بمناجاته (فينوس) ، يذكرنا بمناجاة لويس اراغون (الزا) ، ومناجاة محمود درويش (ريتا) ، تلك الحبيبة المشرقية التي تسكر برؤاها الافئدة ، ويعربد في وجنتيها القمر . لقد هام ابن ثابت بها حبا ، لكن الايام والمسافات طوت ما بينهما ، هي في المشرق كالطيف الحزين يذرع ، وهو في المغرب كئيب يقبع ، فارسل الى صديقه ليقول لها :

يا صديقي ، قل لفينوس : لقد كان وكنت
كان يشقى بك حبا ويرى العالم انت
ويرى فيك خلودا للمعاني كل وقت
يعرف الجنة والخلد اذا انت ابتسمت
ويرى الفيهب والسحر عميقا ان عبست
وتكبرت عليه فتمنعت وجرت
ثم اوقدت لهيب النار فيه وسخرت
كان يدعوك الى الوحدة روحا فابيت

شاعر الوطنية

ولن تتصل الاسباب بينك وبين الشاعر حتى تتبين فيه الانسان المفرط في رقته ، الحساس المرهف في حساسيته. وحسبنا ان نقف هنيهة عند (لك الله يا قلبي) ، ولهذه القصيدة حافز خاص حيث حدثت في عام ١٩٤٩ كارثة طائرة في سماء الباكستان ، ذهب ضحيتها ثلاثة من المناضلين، كانوا عائدين من مؤتمر وطني. هم : د.الحبيب ثامر من تونس ، وعلي الحمامي من الجزائر ، ومحمد بن عبود من المغرب . كانوا جميعا اعضاء في (مكتب المغرب العربي) بالقاهرة ، وتصعق نفس الشاعر ، ويرتعش وجدانه لهذا الخطب الجلل ، فاذا عينه تسفح الدمع سفحا ، واذا لسانه ينطلق بهذه القصيدة الرائعة :

الا خبروني ما دواء بكائيا ... وكيف ترى اسلو وانسى مصابيا
مصاب لو اني بعت نفسي رخيصة ... الى الموت ما الفيت بعض عزائيا
بكاء لو ان الله فجر اعينا ... على الارض كانت دمعة من مآقيا
لقد مات من كانوا مصابيح ليلنا ... وضم الثرى ـ واحسرتاه ـ الاماثيا

ولم يكونوا رفقاء حياة عادية ، بل كانوا رفاقا في المعركة :

وما انا ابكيهم رفاقا اصفتهم ... ولكنني ابكي الجهاد المثاليا
وما انا ابكيهم ضحايا تكلتهم ... وان كان هذا متلف النفس قاسيا
ولكنني ابكي نجوما تالقت ... ومغربنا الدامي يخوض الدياجيا

وشاعرنا ابن ثابت يحيا طي التاريخ ، يتاثر باحداثه ويتجاوب تجاوبا انسانيا عميقا مع البشرية في ملماتها وخيباتها وتقلبات حياتها . ففي قصيدته (القيد) يتحدث عن عدو الحرية الذي يكبل اليدين والقدمين ، ثم يتغلغل في الفكر والروح ليحجب عنهما النور وآثار الجمال والفنون فاين هذا القيد ؟ وهل تراه العيون ؟

يجيب ابن ثابت :

اتراه في يديا ام ترى في قدميا ... ذلك القيد الذي يضحك مني وعليا
ودموعي كلما ارسلتها من مقلتيا ... شرب الدمع ولم يروه دمعي ريا
اين ذاك القيد اين
اتراه اليوم عين ؟
كنت ملجئت الى الارض اغني للجمال ... ولقد كان بعيدا فوق آفاق الخيال
فتطلعت اليه ولمنيت الوصال ... واذا القيد ثقيل في فمي رغم الشمال
اين ذاك القيد اين ؟
اتراه اليوم عين ؟

ويراه في الفكر كما يراه في الروح :

هو في الفكر وقد ران عليه من زمان ... قبل ان يوجد انسي على الارض وجان
قبل ان نعرفه العز ومالقل الهوان ... قبل ان نعرف من نحن ولي اي مكان
هو في الروح التي ما عرفت قط السكينة ... هو فيها قبل ان تظهر في الارض حزينة

الرصيد الباقي

*

رصيدي من الايام بـــاق قليلـه ... فهل مصرف الايام يرضى باقراضي

ارى حاضري ما انفك يرجو زيادة ... ومن اين ، والاوراق في ذمة الماضي

يقرب مني مغرب الشمس مضجعي ... فهل بعد هذا اليوم تسعى لانهاضي

فيا عامي السبعين زدني هدايـــة ... فاني بما توليه من حكمـة راضي

وديع ديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو فيها قبل ان توضع في الجسم سجينة ... رابض فيها كليث ثائر يحمي عرينه

اين ذاك القيـد ايـن ؟

اتراه اليـوم عـين ؟

وفي قصيدة (ليل وصباح) نفحة من (ارادة الحياة) لابي القاسم الشابي ، فكلاهما تأثر بالمدرسة المهجرية ، لما في شعرهما من نزعة ذاتية تهفو الى الحرية المطلقة وتنفر من التمذهب وتدعو الى المحتوى الفكري الحر ، ولما فيه كذلك من لجوء الى التعبير الرمزي ، فابن ثابت يحثنا على الجهـاد :

.. وبعد زمان اطل الصبـاح ... كطفل على مهده يبسـم

كعذراء بين مروج البطـاح ... تتيـه وترقـص او تحلـم

كثغر الورود كخد الاقـاح ... على حزن صاحبك ينضم

ونادى المنادي الكفاح الكفـاح ... وداووا بـه ياسكم تسلمـوا

فما من سـلام وما من نجـاح ... بغير الجهـاد فلا تسامـوا

ويبدو ان الشاعر داخل الاطار الرومانسي ، اراد ان ينظم شعرا تأمليا في الحياة والموت والمصير ، لكنه كان لا يساير تأمله حتى النهاية . نجد هذا في (ليلة) :

لا تسلني كيـف كان الامـر اني لسـت اعـلم

كل ما اعـلم اني بـت في جـوف جهنم

وقضيت الليـل ، والليـل سعـير يتضرم

وعظـامي بلظى النـار وفيها تتحـطم

صائحـا يا رب مـاذا قد جنيت الليـل فارحم

تقفـز الاحـرف مـن فيـه شرارات تكـلم

قال لي : ربـك ادرى بـك يـا صاح واحكم

انـت منـه قـد طلبت النـار يومـا ، انت اظلم

او لم تسع اليهـا وتراهـا بـك اكـرم

فـذق النـار التي ابـيت اليهـا وتعـلم

فلعـل النـار تهديـك ، وهدي النـار اقـوم

هذه لمحات عن حياة وشعر الشاعر ابن ثابت ، الذي آمن بالله والجمال والحب والوطن ، وغنى بعاطفة مشبوبة تتخللها شفافية .

القنيطرة ـ المغرب — العربي بنجلون

اعلام الزركلي

بقلم وداد سكاكيني

* * *

وقع في يدي متأخرا الجزء الثالث من « الاعلام » في الطبعة الخامسة هذا العام ١٩٨٠ وبعد وفاة جامعه ١٩٧٦ .

واعلام الزركلي كما قال صاحبها اكثر من مرة جمعها من اسفار التراث مطبوعة ومخطوطة ، ومن اشتات الصحف القديمة والحديثة لتكون « قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين » وقد بدا الشاعر الثائر خير الدين الزركلي عام ١٩٢٧ هذا العمل الضخم ، مهدهدا به نقمته على اعداء بلاده عاكفا على تراث امته ، فكان كلما سنحت له الايام منصرفا الى العمل الذي وهب له علمه وجهده ، فهو بين اكباب عليه حينا وانقطاع عنه مضطرا ، وفي اثناء عنايته به ظهرت موسوعات ومصنفات في مثل موضوعه ومحتواه ، فكان لا بد لجامع الاعلام من الرجوع الى مطالعاته فيها « لتخليص منشوراته مما علق بها من خطأ او نسيان او هفوات وزلات » حتى جاءه الاجل في القاهرة حيث عاش اكثر عمره بعد هجران دمشق وتنقله في عمان الاردنية وفي السعودية وغيرهما .

وابى وفاء دمشق الا ان تقيم له حفل تكريم للذكراه في النادي العربي عام ١٩٧٧ .

ويبدو ان الطبعة الجديدة من الجزء الثالث الاخير وهي التي ظهرت بعد وفاته واشرف عليها قريبه الاستاذ سليم الزركلي قد اضيفت اليها زيادات من جامعها لم تكن فيما سبق منها فاحب القريب الكريم ان يقحم بين من بدات اسماؤهم بحرف الزاي بعد زكي الدين لمحة من ترجمة لصديقه الدكتور زكي المحاسني الشاعر الراحل ١٩٧٢ فقال الاستاذ سليم الزركلي في حاشية لهذه اللمحة « تفضلت بها ابنته السيدة سماء زكي المحاسني مديرة المطبوعات في المكتبة الظاهرية وانظر مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق وقافلة الزيت والاديب « والشعر العربي المعاصر » وقد نشرت هذه الترجمة كاملة في كتاب « تحية وذكرى » بعد وفاة المحاسني يرحمه الله .

على ان الامانة كانت تقتضي جامع الاعلام او ناقل اللمحة من الترجمة ان يثبتها كما جاءت وتلقاها منها ، فرقم الولادة ١٩٠٩ جعله ١٩٠٨ وخلط بين المطبوع والمخطوط من مؤلفات المحاسني ، كما اضيف الى هذا قوله : « وللمحاسني نظم في بعضه جودة ـ ديوان خ » ولم يكن المحاسني الشاعر قد جمع ديوانه او عرضه مخطوطا وانما كان الجامع او الناقل يتتبع شعره بمرارة ..

وممن جاء ذكرهم في الطبعة الجديدة من الجزء الثالث للاعلام : سلامة موسى الكاتب المصري الكبير ، فقد وصفه الزركلي بانه « مضطرب الاتجاه والتفكير ، وانه كان ... » ص ١٠٧ .

وجاء في ص ٢٤٣ ترجمة لعادل الغضبان قال فيها صاحب الاعلام : « متادب ، له نظم اكثره في المناسبات ، عمل في مطبعة دار المعارف ، سوري متمصر، حلبي الاصل.

وعادل الغضبان يرحمه الله كان شاعرا اديبا معروفا في حياته وآثاره ، وكان استاذا كبيرا في المعاهد العليا بمصر ورئيسا لتحرير مجلة « الكتاب » في الخمسينات ومستشارا لدار المعارف ثم مديرا لها في القاهرة حتى غاب عن الدنيا ، فهل كل عامل في المطبعة يكون من اشهر الرجال والنساء » في اعلام الزركلي ؟

وقال الزركلي في صلاح الاسير الشاعر اللبناني « متادب » له نظم من النثر المسجوع جمعه في ديوان سماه « الواحة » فكيف جعل للنثر المسجوع ديوانا وما سماه كتابا ؟!

وقال الزركلي واصفا صلاح لبكي الشاعر اللبناني « اديب لبناني له نظم ونثر في رسائل طبع منها « ارجوحة القمر » والارجوحة عنوان الديوان للشاعر لبكي .

ويرى القارىء ان جامع الاعلام على ذوقه كان سخيا في توزيع المواهب والمزايا على خاملين ليس لهم اثر يذكر ، ويضن بالحقيقة على بعض الموهوبين من الغابرين والمعاصرين

هذا قليل مما وقفت عليه من الحيف والتحريف في هذا الجزء من الاعلام ، وفيه كثير من الصفحات التي ازدهت بصور حكام وكبراء من الاحياء والموتى ملأوا سطورهم بالثناء على جهد الزركلي وعلمه ، ويبدو ان ما لقي من الثناء والتنويه بفضله قد حجب تبعات النقاد عن القراء فامن صاحب الاعلام جانبهم ، والحق ان جهده الضخم مشكور ومأثور ، لكنه ما خلا من تعسف وتهاون، اما وان صاحب الاعلام قد اعترف بانه كان يعيد النظر فيما نشر من اجزاء كتابه ليستدرك ما نبا من حكمه او رايه عن العد لوالسداد فان في وسع ناقد متمرس بالتراجم او موسوعي الثقافة ان يتناول هذا المرجع الكبير بالتحقيق والتمحيص كما صنع المحقق الثبت الدكتور علي جواد الطاهر في نظراته النقدية الى صفحات من « الموسوعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عيدي

*

ماذا اقول لمن يهنئني ... بالعيد ، ماذا ينفع العيد

ذهب الصبا ومضت مواسمه ... ما كان اقصرهن يا غيد

ما حاجة الشادي الى فنن ... اما استحال عليه تغريد

ضحك الربيع فلم يثر املي ... كم ضحكة للهم تجديد

هذي الخيوط البيض في شعري ... هي للصبا المزعوم تفنيد

بوانس ايرس ـ الارجنتين

زكي قنصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربية الميسرة » التي اعدها اعلام في المعرفة والنقد والتاريخ ، فرد الى الصواب ما اصابه من النسيان .

وما يزال الجامعي الكبير علي جواد الطاهر يوالي « تحقيقاته العرضية » في مجلة الاديب وكان لها الاثر البعيد في التصحيح والتسديد ، ولكي لا يشق على الدكتور جواد الطاهر وحده نقد الاعلام ففي طاقة امثاله من المحققين في اللغة والترجمة والمصادر ان يشاركوه وفي طليعتهم الاساتذة الثقات : محمد العدناني وعمر فروخ ويوسف اسعد داغر ومحمد عبد الغني حسن وغيرهم في البلاد العربية اذ يستطيع ان يتناول احدهم هذا الجهد الفردي الكبير في اعلام الزركلي بما ينبغي له من تقدير وتمحيص فيما تجافى عن الصواب ليبقى « قاموس التراجم » قويما سليما بين اشتات الموسوعات والمصنفات في مثل موضوعه ومحتواه ، وان في اهمال المعاجم الجديدة في اللغة والادب والتاريخ دون نقد وتصويب ضياعا للحقيقة واستهانة بتأليفها وجمعها ، وما كانت « الاديب » منذ ظهرت الا مرجعا وموضعا للقائمين بخدمة الضاد وتراثها وثقافتها .

ولعل الاستجابة لهذه الدعوة قريبة مستجبة .

دمشق

وداد سكاكيني



سعيد ابو الحسن

سيدان على القمم
سيرة ذاتية

بقلم سعيد ابو الحسن

* * *

(٢)

وروى لي والدي سيرة حياته بالتفصيل منذ ولادته حتى طفولتي .

ولد في مدينة السويداء حيث كان جدي يقيم في بيت يملكه هناك ـ ودخل مدرسة كانت لبعثة بروتستانتية فبرز في هذه المدرسة وكان الاول فيها حتى ان البعثة رشحته ليذهب ويكمل دروسه في مدرسة تابعة لها في زحلة ـ لبنان ـ غير ان جدتي مانعت في ذلك ورفضت خوفا من ان يقتل المسيحيون والدي ثأرا لحوادث ١٨٦٠ المشهورة . وهكذا وبسبب الخلافات الطائفية والخوف الدائم منها فقد والدي فرصته الكبرى في هذه الحياة وهذا هو السر في انه كان اكثر الناس تسامحا ، فكان له اصدقاء من جميع الطوائف ، وما كان يفرق في معاملته بين اي مواطن ومواطن .

وعندما انهى الصف الاخير في مدرسة السويداء، ترك المدرسة ، وخطر ببال جدي حينذاك ان يترك السويداء ويسكن في بلدتنا (عرمان) قريبا من اقاربه المقيمين فيها. فباع بيته في السويداء وهو بيت قديم فيه اعمدة رومانية ونزح .

وعرمان هذه القريبة من صلخد (صرخد التاريخية المشهورة) كان لها دور كبير في تكوين الحياة الشعبية في المنطقة كلها ـ فكانت تسكنها مجموعة كبيرة من الاسر المهاجرة من لبنان ، او حلب ، او راشيا ، او وادي التيم، او غوطة دمشق ، او منطقة صفد في فلسطين ، وكان لها شيخ ، مثل كل قرية ، من عائلة الاطرش ، ولكن هذا الشيخ كان من اقوى الشيوخ ، اذا تكلم باسم قريته ـ في العلاقات مع القرى الاخرى ـ وكان اضعف الشيوخ في علاقاته مع اهل القرية ـ وهو وضع عجيب شهدته مرات كثيرة في حياتي ـ بعد ذاك .

وشهد والدي وهو بعد ، صبي ، حدثا من اهم الاحداث التي سيطرت على تفكير الشعب وحياته وطبعت مستقبله وحددت رسالته الى الابد .

وهذا الحدث هو الثورة العامية ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨ (١٣٠٤ هجرية) . وقد كان لعرمان دور حاسم فيها ، وكان المؤتمر الاول والاهم لرجال العامية قد عقد في قرية خربة تملكها عرمان اسمها « المجدل » وقد سميت بسبب هذا المؤتمر « مجدل الشور » ـ اي مجدل الرأي او الشورى .

وكانت خلاصة الحركة العامية انها ترمي الى تملك الفلاحين للارض التي كانوا يزرعونها لحساب الشيوخ . فقد كان النظام الاقطاعي السائد يعتبر الارض وما عليها ملكا للشيخ وان جميع السكان ليسوا سوى فلاحين يقيمون في بيت لا يملكون منه سوى بابه الخشبي او الحجري (١) فاذا غضب عليهم الشيخ يحملون هذا الباب اذا كان من خشب ويرحلون الى قرية اخرى يطلبون جوار وحماية وسلطة شيخ آخر . وكان الفلاحون يستثمرون الارض لحسابهم ولكنهم يخضعون للسخرة : اي انهم يؤدون عملا جماعيا لمصلحة الشيخ ، ايام الفلاحة وايام الحصاد ـ ويقدمون للشيخ كل جدي من نتاج ماعزهم ، او خروف من نتاج اغنامهم . ولا يحق لهم اعداد القهوة وتقديمها للضيوف في بيوتهم . بل كان جميع الضيوف ضيوف الشيخ . والفلاحون يقدمون شيئا من الغلة في نفقات الضيافة ـ حتى الاعراس كانت تقام حفلاتها في بيت الشيخ ـ والنتيجة ان الفلاح لم يكن من مصلحته ان يغرس اي نوع من انواع الشجر ، لانه ليس مطمئنا الى بقائه . غير ان ذلك الوضع المزري الذي قبل به هؤلاء القوم الهاربون

من المذابح ، ومن الحروب الاهلية ، ومن عسف الامراء الشهابيين ، او الحكام الاتراك . اول سكناهم الجبل ، لم يعد من المعقول ان يقبلوا به وقد زال خوفهم ، ووعوا وضعهم السيىء ، وذكروا ما كان لهم ولاسرهم من مكانة في بلادهم الاولى ، حصلوا عليها بالجهد الدائم ، وبالعرق والدم المسفوحين بلا حساب . ولم يشاؤوا ان يظلوا مستسلمين الى مصير لا يتفق وابسط حقوق الانسان ولا يحقق تطلعا من تطلعاته . فثاروا وتمردوا واعلنوا استيلاءهم على الاراضي بالقوة ودارت بينهم وبين الشيوخ وانصارهم معارك دامية ، سقط خلالها اكثر من خمسين قتيلا . وكان لا بد للشيوخ من التوسط والقبول بحل يبقي لهم شيئا بدلا من فقدان كل شيء ، فاظهروا انهم فريقان، وتقرب احد الفريقين من رجال العامية وبواسطته قبل هؤلاء بأن يبقى للشيخ نصف ريع اراضي القرية (ثمنها) ما عدا الشيخ الذي تظاهر بالانضمام الى الثورة وهو شيخ عرى ، فقد ابقي له الريع كاملا مقابل هذا الانضمام الظاهري ومقابل ما كان بيته يتحمله من نفقات تجاه الدولة العثمانية التي كانت ترفض التعامل مع الشعب مباشرة بل تتعامل معه بواسطة شيوخه .

احدثت هذه الثورة التي استمدت اسمها من كومونة باريس هزة عميقة وحولت حياة السكان من طور الى طور (٢) . فقد انقلبت اغلبية السكان الى مالكين صغار يستثمر كل منهم ارضه بنفسه ، او بواسطة المرابعة ـ وتعارف الناس في قريتنا على تحويل قسم من الاراضي القسم المحيط بالقرية مباشرة ، ويدعى (الجدار) ولعله (جدار القرية اي حائطها ومحيطها) الى كروم ، وكان ذلك يحتاج الى تبديل في طريقة الاستثمار المتبعة آنذاك : فمجموع اراضي القرية كان يقسم الى عدد محدود من الاسهم كل سهم يسمى فدانا ـ وكانت هذه الاراضي توزع على اصحابها بمعرفة خبراء من اهل القرية اسمهم « القسامة » وهم نوع من المساحين بالممارسة. يستعملون في قياسهم الاراضي حبلا « مرسة » طوله خمسة وعشرون ذراعا ـ وكانت اعادة القسمة والتوزيع جائزة كل حين ، لان الملكية كانت تعتبر شائعة واعادة التوزيع تتيح لكل مالك ان يستفيد من استثمار ارض اخرى استثمرها غيره ـ ولكن الاهالي لم ينتبهوا الى مساوىء ذلك ، لم ينتبهوا الى ان اعادة القسمة من مصلحة المالكين غير المجتهدين ، من مصلحة المهملين الذين يأخذون بالقسمة ارضا استصلحها سواهم وهيأها لتعطي اكبر مردود . بينما يأخذ هذا العامل ارضا اهملها سواه وعليه ان يبدا جهده من جديد .

من هنا كانت للجدار او الجدار اهمية كبرى : لانه استثنى من اعادة التقسيم والتوزيع ، واعتبر ملكا ثابتا . فصار جهد صاحبه له ولورثته من بعده. وانشئت الكروم، كروم العنب، والاشجار الاخرى وبخاصة التين ـ واشتهر الجبل بعنبه اشتهارا واسعا منذ اوائل هذا القرن .

هذه الهزة العميقة اوقعت الرعب في نفوس الاقطاعيين القدماء ـ فلجأوا ـ كما هي العادة في كل زمان ومكان ـ الى الدولة العثمانية يستنجدون بها لاخماد ثورة الفلاحين ـ وقديما كان الاستعمار حليف الاقطاع مثلما كان الاقطاع حليف الاستعمار ـ .

سعى الشيوخ فاستقدموا جيشا تركيا لجبا ليعاقب الثائرين (٣) . وكان ظاهرا ان عرمان كانت هدف هذا الجيش . ولكنه لم يذهب اليها مباشرة ، بل رابط في السويداء ، وارسل نحو ١٤ جنديا بحجة المطالبة بضرائب او غرامات فاساء الجنود التصرف ووجهوا اهانة الى بعض الاهلين ، فانقض هؤلاء عليهم وحاصروهم داخل المضافة التي كانوا ينزلون فيها ، فاقفلوا الابواب على انفسهم واخذوا يطلقون النار من النوافذ ، فحفر الاهلون السطح وانقضوا على الجنود من فوق ، وقتلوهم جميعا، ما عدا واحدا كان من ابناء البلاد ، هرب واخبر المسؤولين في السويداء بما جرى .

ما ارويه من هذه النقطة فما بعد رواه لي والدي باعتباره كان حاضرا هذه المعركة ، وكانت اولى معاركه اذ كان عمره يومها (١٨٩٦) ثمانية عشر عاما . سار الجيش التركي من السويداء الى عرمان بطريق خراب عرمان ، وهو طريق يخرج من قرية الكفر ، فيمر بخراج سهوة الخضر ، حتى يدخل اراضي عرمان المسماة « الخراب » ـ وهذه الاراضي كانت في الزمان القديم كروما ذات جدران عالية من حجار البازلت . وداخل كل كرم اثار بيت الى (حوش) يتبعه معصرة عنب او زيتون، وقد ادى تنظيف الارض من الحجارة الى تكوين كومات كبيرة من الحجارة تدعى الواحدة منها (الرجمة وجمعها الرجوم) وتتخلل هذه الكروم اكوام ازلية من الصخور المتماسكة منذ ان قذفت بها البراكين من جوفها ، وتدعى الواحدة منها (خشمة وجمعها خشاع) (٤) .

كان الجيش يريد ان (يكبس) البلدة المجاهدة ، اي يفاجئها ليلا ليحتلها احتلالا سهلا . ولكنه تاه بين جدران الخراب وخشاعه ورجومه ، تاه ودار حوالي نفسه طوال الليل . وحين بزغ الفجر كان الفلاحون السارون لمباشرة اعمالهم في حقولهم ، قد وصلوا الى الخراب ، فلمح بعضهم طلائع الجيش اللجب ـ فعادوا وفزعوا (٥) القرية بكاملها. خرج كل قادر على حمل السلاح ـ ايا كان السلاح : البارودة ، او السيف ، او البلطة (الفاس) او الحربة او الخنجر ، وحتى العصا والمقلاع ـ وخرجت معهم النسوة (٦) تحملن الماء والزاد والسنة لا تكل عن الدعاء والتشجيع .

ولم ينس قادة المقاتلين ان يرسلوا مفزعا الى القرى المجاورة : صلخد ـ ملح ـ متان . وصل المقاتلون الى اقرب مكان من الجيش ، واشرفوا على طلائعه . فاذا

هـذه الطلائع ما تزال تدور ولا تدري من اين تنفذ الى طريق القرية ـ ووضع المحاربون خطة دفاعية هجومية استلهموها من واقع الجيش .

هناك كرم كبير واسع ـ يحيط به جدار عال متهدم اسمه ابو شبابيك ، يخترقه طريق زراعي من الشمال الى الجنوب ، ففي الجدار اذن ثغرة من الشمال واخرى مقابلة من الجنوب . احاط المقاتلون بالجدار واعدوا بواريدهم للاطلاق عبر الطاقات (الشبابيك) في صمت ، وقرروا الا تطلق النار الا بعد ان يبدأ احد المقاتلين الذي كلف مهمة قتالية سرية يعرفها هو وحده ، ويكون اطلاقه النار هو اشارة بالبدء بالمعركة . كان هذا المقاتل الموثوق بمتانة اعصابه ، وحسن تسديده ، يشرف على الثغرة الجنوبية من الكرم ، وقد دخلت طليعة الجيش الغازي ، وهي مؤلفة من الفرسان ، من الثغرة الشمالية ، وسارت طابورا طويلا داخل الكرم . ولما اصبح الفارس الاول (قائد الطابور) في الثغرة الجنوبية تماما، ويهم بعبورها، اطلقت الرصاصة الاولى فقتلت حصانه ، فسقط الحصان في الثغرة وسدها تماما ، بحيث تعذر على بقية الطابور ان تعبر ، ولا سيما انها ذعرت للمفاجأة ، واخذت عشرات الطلقات تنهال على الفرسان والجياد من كل صوب ، وكانت المسافة القريبة تجعل كل طلقة في فارس او في جواد ـ وارادت الطليعة التقهقر غير ان طريق العبور كان ما يزال مشغولا بالعابرين وحدث ذعر عام وبدأت معركة من انجح المعارك التي شاهدها تاريخ النضال التحريري بالوطن العربي ـ تدخل المشاة والمدفعية ، واشتد الضغط ـ والمهاجمون (ويقدر عددهم بأكثر من الفين) مسلحون باحدث الاسلحة ، والمدافعون مئات قليلة ، سلاحهم البارودة التي تحشى من فوهتها ، وسائر الاسلحة القاطعة التي سبق ذكرها. روى لي والدي قال : « كان في كل متراس مقاتلان ، احدهم يرمي ، بينما الثاني يكون قائما يحشو بارودته ـ فيتخذ هو وضع الرامي ويحشو الاخر بارودته ، وهكذا .. ».

وصمد اهالي عرمان ، ساعتين الى ثلاث ساعات ، صمود الابطال ، وعجز الجيش عن احراز اي تقدم ـ عند ذاك وصل اهالي صلخد ثم اهالي ملح ولدى وصولهم بادروا الى الهجوم فورا ، وبعدهم بقليل وصل اهالي غيرهما من القرى المجاورة ، وتحولت المعركة من الدفاع الى الهجوم وكان هجوما صاعقا رائعا ـ كانت مجزرة ابيد فيها هذا الجيش التركي ابادة تكاد تكون كاملة .

وكان سلاح الجيش ينتقل الى ايدي المقاتلين حتى اصبحوا جميعا تقريبا مسلحين بسلاح جديد لم يكونوا قد عرفوه من قبل. فهذه بنادق ومعها ذخيرتها، بنادق سهلة الحشو ، سهلة الاطلاق ، سهلة التصويب ، بعيدة المدى. ستظل معركة « خراب عرمان » مفخرة لعرمان وجاراتها، ومصدر الهام للمناضلين من كل جيل .

حينما وصلت انباء المعركة الى الباب العالي هزت اركانه هزا عنيفا ، فصدرت الاوامر بارسال جيش عرمرم بقيادة ممدوح باشا .

وكانت معارك هائلة . وكان احتلال من جديد ، وكان نفي لحوالي اربعمائة من المقاتلين من القرى المختلفة، وكان والدي احد هؤلاء المنفيين (المسركلين) ، وهذا هو السبب في ذكر هذه الحوادث في سيرة حياتي الشخصية ، ذلك ان هذا الحادث بالذات سيكون الحادث الذي سيقرر حياتنا كأسرة ، وحياة الاخرين من مواطنينا ، بالتأثير والتأثر المتبادلين . وكان ابرز المنفيين احد الشيوخ الذين اشتركوا مع الشعب في مقاتلة الغزاة وهو الشيخ ذوقان الاطرش والد سلطان الاطرش ، الذي سيكون له شأن ، اي شأن ، في مستقبل الثورات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي . *

نقل المنفيون في باخرة من بيروت الى طرابلس الغرب ـ وقد اصيبت الباخرة بعطل في عرض البحر ، فكادت تغرق ولم يقبل الباب العالي باعادة المنفيين بعد هذا الحادث الخطر ، بل اصر على اصلاح الباخرة في احد الموانىء ومتابعة الرحلة الى الميناء الليبي الجميل .

وبدأت شخصية والدي تتكون تكونا نضاليا ناضجا بفضل هذه الحوادث التاريخية : العامية ، معركة الخراب معارك الدفاع او الهجوم ضد حملة ممدوح ، الاسر ، النفي .

وفي عرض البحر ، بدأت تتكشف لعيني الشاب المقاتل ، المتعلم قليلا جدا ، حقائق لم تكن لتخطر ببال : هو لم ينس ان الجندي الذي نجا من معركة عرمان الاولى كان عربيا من ابناء البلاد ، وان هذا الجندي هو الذي ذهب الى السويداء ليستنجد ، ولم ينس كذلك ان هذا الجندي ذاته قد يكون بين طلائع الجيش التركي الذي ابيد في الخراب، ولكنه لم يكن يتصور ان بعض الرجال من طبيعتهم الانتهاز والخيانة ، حتى في ابان المحن والكوارث . ولا كان يتصور ان بعض الرجال يتعهرون في اقدس المواقف وبأشرف القضايا . قدر الاتراك ان يتخذوا لهم من بين المنفيين مخبرا يتجسس على رفاقه وبني قومه ـ وهذا المخبر سيكون وبالا على الكثيرين منهم طوال سنوات النفي الاربع .

اجل ـ لقد استمر النفي اربع سنوات ـ وزع المنفيون خلالها على قطعات الجيش العثماني المختلفة ـ وكان والدي فارسا في الآلاي السابع والثلاثين ـ ولكن وضع المنفيين بالجيش كان وضعا غريبا ، فليس لهم حق سائر الجنود ، وهم تحت المراقبة . ولكن يظهر ان توزيعهم على القطعات كان يسهل مراقبتهم ، ويفرقهم بعضهم عن بعض ، حتى لا يتمكنوا من اقامة حياة مشتركة، ولا يقوموا باية حركة .

ابرز الحوادث التي رواها لي والدي عن حياة المنفى ، بالاضافة الى حادث المخبر النذل ، ما يلي :

١ ــ كان الاتراك يحرصون على اذلال العرب بأي شكل ، ويخلقون بينهم وبين الالبان (الارناؤوط) عداوات وشجارات في كل مناسبة .

٢ ــ اسرع والدي الى المطالعة ، فتعلم اللغة التركية واصبح يتكلمها كابنائها ، بعد وقت قصير من استقراره في طرابلس ، وهكذا صار يدرك كل ما يدور حوله ، ويطلع على كل مؤامرة تحاك ضده وضد رفاقه .

٣ ــ رفض ان ينادى باسمه الطائفي ، فكان الاتراك ينادون المنفي من ابناء الجبل بقولهم (درزي فلان ..) وهذه طريقة للتفريق بين عربي وعربي اصبحت تقليدية لدى جميع المستعمرين ، والغزاة ، والامبرياليين ، رفض والدي هذا واجبرهم على مناداته بقولهم (عرب محمد ..)

٤ ــ اتاحت له اللغة ان يدخل في نقاش مع الاتراك حول ايهم افضل : العرب ام الترك ؟ وكان لديه جواب صاعق افحمهم وهو : « لو كان الترك افضل لجاء النبي تركيا . اما وقد جاء النبي عربيا فذاك يعني ان العرب افضل » هذه الطريقة في التفكير ليست عصرية ولا علمية . ولكنها كانت طراز التفكير آنذاك . وكانت بدايات سديمية غامضة لحركة القومية العربية ، داخل الامبراطورية العثمانية .

٥ ــ دار حديث بينه وبين عربي شيخ من طرابلس حول موقع الجبل ، وقربه او بعده من البحر ، وادهشه ان الشيخ كان يتحدث كأنه زار الجبل . ثم عرف من الشيخ ان هناك علما اسمه علم الجغرافيا وهذا العلم يعرف الانسان بأي بلد من خلال الكتب والدراسة . ولهذا كان والدي اول من طلب الى معلم في الجبل ان يأتي لولده بكتاب « جغرافيا » وهكذا كنت اول طفل في الجبل قرأ كتاب الدكتور فانديك في الجغرافيا .

٦ ــ دخل في معارك واشتباكات مع الضباط دفاعا عن الكرامة . وكان يراجع المشير القائد الاعلى ، بلا خوف ولا وجل ليشكو اعتداءات الضباط وظلمهم .

٧ ــ حاول الهرب مرتين باتجاه تونس وكان الاعراب يلقون القبض عليه ويعيدونه الى طرابلس .

٨ ــ سمع به ذوقان الاطرش فاستدعاه لزيارته ليتعرف اليه ، واثنى على سلوكه ، واطرى اعماله في جمع من رفاقه .

٩ ــ اتسع افق تفكيره وولدت في نفسه بوادر ثورة على واقع مجتمعه ، لا تقف عند حدود اقتسام الاراضي وتملكها ، بل تتعداها الى محاولة تغيير الواقع والسعي الى ما هو افضل : صار لا يقبل العادات والتقاليد قبولا اعمى ، بل يناقش صلاحها او عدم صلاحها . فهو لا يقبل بأن يصنف الناس حسب ميراثهم العائلي او المالي ــ بل يريد ان يكون للانسان تصنيف مستمد من نفعه للمجتمع، من عمله المنتج ، وخدماته المؤداة ، وهذا ادى الى الاكثار من اعدائه ومنتقديه ، حتى من بين اقاربه ــ فالثورة على العادات الموروثة تهدد ما يسمونه « المراكز المكتسبة » ، فشيخ كل عائلة يخشى ان ينكر حقه في مركزه ، اذا ظهر في عائلته رجل افضل منه مواهب ،وشيخ الضيعة ايضا ، وشيخ البلاد كذلك ، وهذا ينطبق على الحالة الزمنية انطباقه على الحالة الدينية . فالمراكز الدينية كانت تورث كالمراكز الزمنية، دونما نظر الى كفاية الوارث واستحقاقه: فما دام ابن فلان فهو يرث مركزه بلا جدال ولا منازعة .

١٠ ــ آمن بالعلم وبأنه الطريقة الوحيدة للخروج بالعرب من حالة التخلف الى حالة الحضارة ــ وكان همه ان يعلم اولاده . وسنرى كيف كان نجاحنا مصدر فرحه الاكبر ومثار اعتزازه الاول .

١١ ــ اصبح يكره القوالين غير الفعالين ، اصبح ثائرا على هذه الظاهرة الخطيرة في حياتنا المتخلفة ، وهي ان يقاس الانسان بكثرة كلامه وارتفاع صوته ، مع صرف النظر عن حقيقته ، وعن نوعية عمله وسلوكه . ولطالما عبر امامي عن كرهه هذا ، واحتقاره هذا النوع من الناس ، وابتعاده ، ما امكن ، عن مجالسهم ، وضياع الوقت معهم .

١٢ ــ وكردة فعل على ذلك ، آمن بالعمل وحده ، معتبرا اياه شرف الانسان وجوهره ــ رافضا ان يكون للانسان اي مجد او فخر الا ما حققه هو نفسه ، بعمله الدائب المخلص ، ونظافة يده وقلبه ولسانه. كارها جميع المظاهر والشكليات . ثائرا على الكذب والنفاق والتزلف . متذمرا مما كان يجري في مجتمعنا ، من هدر للوقت ، وتكريس لحياة الفراغ والبطالة .

١٣ ــ لم يقبل بأن يتزوج كما يتزوج سائر الناس بدفع المهر (الفيد) الى والد العروس ، وجعله يتصرف فيه وينفقه بلا هدف . بل اجبر والد العروس ــ جدي ، ان يعتبر هذا المهر حصة من راسمال يقدم والدي مثله ويقوم بالاتجار به بالاشتراك مع خالي ، الذي كان يومها في مطلع شبابه ــ وبهذا حقق اهدافا كثيرة : منها انه اعتبر الزواج رابطة تجعل من الاسرتين اسرة واحدة ــ وانه يحرص على رفع مستوى الاسرتين معا بلا تفريق بينهما ــ وانه يرى المال وسيلة لا غاية ، والعمل المشترك امرا ساميا ورابطة مقدسة ــ وكان عمله هذا في الواقع سببا في اسعاد الاسرتين .

كان سابقا زمانه ، وجعلنا سابقين زماننا ، فسبب لنفسه ولنا ، كما سببنا لانفسنا اعذب المتاعب ، واحلى انواع الكفاح : الكفاح الاجتماعي .

١٤ ــ كان يقول لي دائما : عش سنة واحدة حصانا ولا عشر سنوات كديشا ، وهو بذلك يعبر عن مبدا خطير: وهو ان الحياة ليست بعدد سنيها ــ بطولها ــ بل بمحتواها بمضمونها ، بما يحققه صاحبها خلالها .

(١) بيوت كثيرة قديمة البناء كانت ابوابها من حجر ، قطعة واحدة

اصابة عين



مرضت واصبحت ما بين بين ... من الموت بت على خطوتين

فسلمت امري وروحي لربي ... واني اليه رفعت اليدين

ولما رآني الطبيب تاني ... وقال .. المصاب من الفتنين

ولا شك ان الحبيبة مرت ... عليك .. وهذي اصابة عين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زحلة ـ لبنان

رياض المعلوف

تدعى «حلس» تدور حوالي محوّرين يدوران في نقرتين احداثا في العتبة تحت» وفي الحنت « فوق » .

(٢) الذي يظهر من شعر شبلي الاخرش انه حمل على الحركة العامية ورجالها حملة شديدة فشتم وهجا واقذع والتفسير الحقيقي انه كان يوالي اقاربه اولا وبساير العامية لعله يوجهها ويحرفها ولما عجز عن ذلك ظهر على حقيقته .

(٢) يعترف شبلي الاخرش في قصيدته المعروفة بالعامية :

الى ان الخلق عافت لحاها ... وصارت تطلب الدولة عليه

وقالوا اليقتلوا السبع المجنزر ... غير من اليموت بسم حيه

(٣) في اللغة (الخشمة جمع خشع) : الاكمة المتواضعة .

(٥) فزع ـ استنجد ، اهاب بالقوم ان يخرجوا للقتال (لغة عامية).

(٦) في هذه المعركة اشتهرت المجاهدة سعدى ملاعب .

دمشق

سعيد ابو الحسن

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

الموشحات الاندلسية ـ د. محمد زكريا عناني . الكويت ـ سلسلة عالم المعرفة (٣١) ، شعبان ـ رمضان ١٤٠٠ ـ يوليه (تموز) ١٩٨٠ .

١ ـ الكتاب مناسب للسلسلة التي صدر فيها ، وقد بذل المؤلف جهدا في الجمع والاستقصاء واودع كتابه من المادة ما يصعب ان تجدها في مؤلف آخر .

ولكن ، يبدو ـ وليس هذا من باب غمط جهد المؤلف ـ ان موضوع « الموشح » ـ في حدود المادة التي تيسرت منه ـ قد استهلك واستنفد نفسه وصار التاليف فيه ضربا من الاعادة والتكرار بانتظار اكتشاف جديد .

٢ ـ من المصادر المخطوطة للكتاب ما يحسن طبعه ، ومن ذلك : « الدر المكنون في سبع فنون (ولعلها في سبعة الفنون) لابن اياس ، وعقود اللآل في الموشحات والازجال للنواجي .

٣ ـ ذكر من المصادر المهمة : كتاب ابن سناء الملك : دار الطراز في عمل الموشحات ، تحقيق جودت الركابي ، دمشق ١٩٤٩ .

ومن النافع ان نشير الى ان الدكتور جودت الركابي اعاد الطبع (ثانية) ، دمشق ، دار الفكر ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧ « مع بعض التحقيقات الاضافية » .

٤ ـ هناك مطبوعات كنت آمل ان اراها بين مراجع المؤلف لاهميتها ، او استكمالا للقائمة . ومن هذه :

أ ـ بلاغة العرب في الاندلس ـ احمد ضيف، الطبعة الاولى ١٣٤٢ ـ ١٩٢٤ ، القاهرة ، ط ٢ ، القاهرة مطبعة الاعتماد ١٩٣٨ ـ ١٣٥٦ .

ب ـ نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ـ كامل كيلاني ، القاهرة ١٣٤٢ ـ ١٩٢٤ .

ج ـ الموشح في الاندلس وفي المشرق للدكتور محمد مهدي البصير ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨ .

د ـ نيكل (ا. لويس) : مختارات من الشعر الاندلسي ـ باشراف الدكتور عمر فروخ ، بيروت ١٩٤٩ .

وممن عرض للموشح الدكتور عمر الدقاق في فصل من كتابه ـ ملامح الشعر الاندلسي ، دار الشرق ، بيروت ١٩٧٥ .

٤ ـ جاء على ص ١٦٥ « وشاحون من القرن الثامن والتاسع الهجريين » : « ابو حيان اثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي المتوفى سنة ٧٤٥ ... »

وكنت اود لو اشير في الحاشية الى « ديوان ابي حيان الاندلسي » الذي حققه الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي . بغداد ، مطبعة العاني ـ

ويذكر ان المحققين عملا تكملة للديوان (ص ٢٤٩) احتوت ـ فيما احتوت ـ الموشحتين اللتين ذكر المؤلف مطلعهما ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

وتأتي اهمية الاحالة الى الديوان من ان الديوان يهيىء للقارىء مرجعا جديدا يجد فيه الموشحتين كاملتين (كما وصلتا الينا) مع عدد لا بأس به من مصادرهما .

والملاحظ ان المحققين (الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي) استغربا ص ٥٧ ، ٥٩ خلو « مخطوطة ديوان ابي حيان من هذا اللون من الشعر مع شهرة الرجل بالموشحات وهو الاندلسي الصميم » .

وقد يخف الاستغراب اذا علمنا ان مخطوطة ديوان التطيلي (ابي جعفر احمد بن عبد الله بن هريرة القيسي ت ٥٢٥) خلت من « الموشح » مع ان موشحاته اكثر عددا وانه اشهر من ابي حيان وهو صاحب « ضاحك عن جمان » وقد وجد له الدكتور احسان عباس (٢٢) موشحة الحقها بديوانه الذي حققه وصدر عن دار الثقافة ببيروت (مطبعة عيتاني الجديدة) ١٩٦٣ .

ويبدو لي ـ وربما بدا لآخرين ـ ان السبب يرجع في نظرة الناس ـ آنذاك ـ الى الموشح ، وهو ، في اقل تقدير ـ غير القصيد ، وانما يكون « الديوان » للقصيد فقط ..

ونذكر بهذه المناسبة ان ديوان ابن الخطيب (وهو صاحب : جاءك الغيث اذا الغيث همى » اقتصر على القصيد دون الموشح . ينظر : لسان الدين ابن الطبيب ـ ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام ، دراسة وتحقيق للدكتور محمد الشريف قاهر . الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٧٣ ـ ولم يستغرب الدكتور قاهر خلو الديوان من الموشح .

ولم يورد الدكتور عناني اشارة الى ديوان لسان الدين ابن الخطيب هذا ، حتى عندما عدد المطبوع من آثاره ص ١٧١ .

٥ ـ من الموضوعات الجديرة بالعناية والدرس موضوع المقابلة بين القصيد والموشح لدى شاعر واحد زاول الفنين او لدى عدة شعراء ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد ذكرنا ـ فيمن ذكرنا ـ ابا حيان ، والتطيلي وابن الخطيب .. ويمكن ان يضاف آخرون منهم ابن سهل .. ابن زهر الحفيد ويبدو انهم اشعر في الموشحات منهم في القصيد .

٦ ـ ورد رسم « التطيلي » مرارا علي التطليلي (ص ١٠٢ ، ١٠٣) ولا بد ان يعزى ذلك الى المطبعة .

٧ ـ ص (٣٠ ـ ٣٢) : « الخرجة .. والشرط فيها ان تكون حجاجية من قبل السخف ... » ولفظة الحجاجية « تشير الى شاعر بغدادي هو ابن الحجاج توفي سنة ٣٩١ هـ .. »

كان المناسب احالة القارىء ـ للتعريف بابن الحجاج، وايضاح سخفه بالامثلة الى الثعالبي في كتابه « يتيمة الدهر » ـ قسم العراق .

وابن الحجاج هو ابو عبد الله الحسين بن احمد ..

وقد جاء اسمه خطأ في الجزء الثالث من اليتيمة بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .. فقد ورد : الحسن ، وصحيحه : الحسين ..

٨ ـ ص ٣١ قال ابن سناء الملك « وقد تكون الخرجة عجمية اللفظ بشرط ان يكون لفظها ايضا في العجمي سفسافا نفطيا ورماديا زطيا » .

وقال المؤلف في الحاشية « لم نجد تفسيرا مقنعا لكلمة « نفطيا .. » .

وقد وردت في تفسيرها اقوال مختلفة ذكر المؤلف بعضها ، ولم يشر الى تفسير الدكتور جودت الركابي ليجمعها مع التفسيرات الاخرى ..

ولي في الموضوع خاطرة اعرضها هنا فقد تكون نافعة . وخلاصتها ان « نفطيا » هذه مصحفة او محرفة من « نبطيا » وكلمة « نبطيا » مناسبة جدا في ورودها مع « زطيا » .. بصدد اشتراط اللفظة العجمية غير العربية، او غير العربية الفصيحة .. ويلتقي النبط والزط في كثير من نقاط التعريف ببعد « لغتهم » عن العربية .

جاء في القاموس المحيط : « النبط جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين .. وهو نبطي .. »

وجاء في لسان العرب : « النبط .. جيل ينزلون السواد .. سواد العراق .. وفي كلام ايوب من القرية : اهل عمان عرب استنبطوا واهل البحرين نبيط استعربوا ... »

وعن الزط جاء في القاموس : « الزط بالضم جيل من الهند .. الواحد زطي » ، وجاء في لسان العرب « الزط .. جيل اسود من السند .. وقيل الزط السبابجة قوم من السند بالبصرة » .

ومن باب الفائدة ان سكان جزيرة العرب ـ في الوقت الحاضر ـ يسمون ما يسميه غيرهم الشعر العامي او الشعبي .. باسم الشعر النبطي . وفي عامية هذا الشعر ومخالفته الشعر المعرب ما يمكن ان يلقي ضوءا على المسالة ويجعلنا نميل ـ مع الادلة الاخرى ـ الى امكان ان تكون كلمة « نفطيا » مصحفة او محرفة عن « نبطيا » ـ ونرجو ان تصل الجهود الى نتيجة حاسمة ان لم تكن ملاحظتنا مقنعة .

٥ ـ ص ٦٦ « عبد الله بن المعتز (توفي سنة ٢٩٥هـ)» الصحيح ان ابن المعتز توفي (قتل) سنة ٢٩٦ ويمكن ذكر شهر ربيع الآخر للدقة ..

(٢)

بدائع البدائه لعلي بن ظافر الازدي (٥٦٧ ـ ٦١٣) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، سبتمبر ١٩٧٠ .

١ ـ ورد اسم كتاب للتنوخي حسب « فهرس الكتب » اربع مرات هي ص ٥١ ، ١١٢ ، ٢٩٤ ، ٣٤٧ ، هكذا :

أ ـ ص ٢٩٤ « وذكر القاضي ابو علي التنوخي في كتاب « النشوان » .. »

ب ـ ص ٣٤٨ « وقال القاضي علي التنوخي في كتاب « النشوان » .. »

ج ـ ص ٥١ « وذكر ابو عبد الله التنوخي في كتاب « نشوار المحاضرة » .. »

د ـ ص ١١٢ « وذكر القاضي ابو علي التنوخي في « النشوار » .. »

والصحيح في هذه الروايات المضطربة هو :

١ ـ نشوار المحاضرة وليس نشوان .. وهكذا ورد اسمه على «المطبوع» منه .

ب ـ ابو علي .. وليس « علي » او « ابو عبد الله»

ج ـ اسمه الكامل : ابوعلي المحسن (بتشديد السين وكسرها) بن علي بن محمد .. توفي سنة ٣٨٤ .

٢ ـ ينقل اخبارا عن « دمية القصر وعصرة اهل العصر للباخرزي » فيقول ص ٥٧ : « قال العميد ابو الحسن علي بن الحسن بن ابي طالب .. » ويقول ص ٨٥ « وذكر العميد ابو الحسين علي .. »

وص ١٥٠ ـ وقد ورد الرقم خطأ في الفهرس على انه ١٠٥ ـ « وروى علي بن الحسن .. » .. الخ ينظر فهرس الاعلام .

والملاحظ :

أ ـ ان علي بن ظافر الوحيد بين المصادر التي اعرفها الذي يصف الباخرزي (ص ٥٧ ، ٨٥، ٢٩٩) بالعميد . وصفة « العميد » تتصل عادة بالكتابة او التقدم «بوظيفة» الكتابة ، وما احسب الباخرزي ممن وصل الى هذه الرتبة او حصل على هذا اللقب ـ وكان الطغرائي قد عرف بها ـ فيما عرف به من القاب ورتب .

ب ـ ترد الكنية مرة (ص ٥٧) علي «ابو الحسن» ومرة (ص ٨٥) « ابو الحسين » . والصحيح هي الاولى:

« ابو الحسن » .

٣ ـ ص ١٠٧ « ونقلت من مجموع ابي المعـــالي الكتبي » .

وذكره المحقق في فهرس الاعلام تحت حرف الميم كما لو كان اسمه « ابو المعالي الكتبي » .

والصحيح ان اسم ابي المعالي الكتبي هو : ابـــو المعالي سعد بن علي بن القاسم .. الحظـــيري المعروف بالكتبي او دلال الكتب او الوراق ..

اما « المجموع » الذي نقل عنه فالمناسب ان يكون « زينة الدهر وعصرة اهل العصر » ـ وهو كتاب لم يصل الينـــا .

(٣)

احسان سركيس ـ الثنائية في الف ليلة وليلة . بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط ١ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ .

ا ـ ذكر المؤلف مراجع بحثه ص ٢٢٣ ، ولكنه لم ينص على الطبعة التي اعتمد عليها في دراسته « الف ليلة وليلة » .

ب ـ لم يذكر ـ بين مراجعه ـ كتابا رائدا مهمـــا في الدراسات الحديثة هو كتاب الاستاذ احمد حســـن الزيات « في اصول الادب » وقد ضمنه بحثه القيم عـــن الكتاب سنة ١٩٣٢ ..

ج ـ صدر ببغداد عن وزارة الاعلام ١٩٧٧ كتـــاب « الملامح السياسية في حكايات الف ليلة وليلة » تأليف احمد محمد الشحاذ ـ والاصل في الكتاب انه رسالة نال بها صاحبها درجة الماجستير من جامعة عين شمس في القاهرة .

د ـ ذكر المؤلف : « علي بابا » (ص ٢٢١ مثلا) على ان الحكاية مما ورد في كتاب « الف ليلة وليلة » ـ ففي اية طبعت وردت ؟

(٤)

تاريخ الموصل ـ تأليف ابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس ابن القاسم الازدي ت ٣٣٤ ، تحقيق دكتور علي حبيبه ، القاهرة ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ـ لجنة احياء التراث الاسلامي ـ الكتاب رقم ١٣ سنة ١٣٧٨ـ١٩٦٧ .

١ ـ ص ١٤٤ :

اريـــد حبـــاءه ويريـــد قتلي عذيرك من خليلـــك مـــن مـــراد

وفي الهامش : ينسب هذا البيت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي في العقد الفريد ١٤٢/١ ، ٧٦/٥ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٩٧/٢ ومقاتل الطالبيين ص ١٦٧ .

الرواية الصحيحة كما في مجموع هاشم الطعـــان : ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي . بغـــداد ـ وزارة الثقافة ١٩٧٠ ـ ص ٦٥ :

اريد حياته ...

وهكذا كنت احفظه .

٢ ـ هجا دعبل المأمون ص ٤٠١ :

ويسومني المامون خطـــة عارف او ما راى بالامس راس محمد ..

ويحيل في الهامش على الشعر والشعراء ٥٤٠ .

ونرجع الى « الشعر والشعراء » بتحقيق الشيـــخ احمد محمد شاكر ط ١٩٦٦ ص ٨٤٩ ونجد ما يؤيـــد الرواية ولكن الهامش يقول : « ابن خلكان « جاهـــل » و « الاغاني » .. « عاجز » . والعارف هنا بمعنى الصابر » وهي لدى ابن خلكان وفي الاغاني كما اشار الشيخ شاكر. اما الدكتور عبد الكريم الاشقر محقق شعر دعبل بن علي الخزاعي (١٤٨ ـ ٢٤٦) ، دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي ١٩٦٤ فيفضل (ص ٩٨) رواية :

ايسومني المامون خطـــة عاجز او مـــا راى بالامس راس (محمد)

واشار في الحاشية الى ان « بعض المصادر » ترويها ظالم ، جاهل ، حازم .

٣ ـ ص ٢٧٤ ، سنة ١٧٥ « وفيها عقد هارون لابنه محمد وسماه الامين وله خمس سنين فقال سلم الخاسر :

قد وفق الله الخليفـــة اذ بنى بيـــت الخلافـــة للهجـــان الازهر

وضبط « الهجان » بكسر الهاء . وقال في الهامش « .. في الاصل الخلافة والصحيح في تاريخ الطبري ٦١٠/٣ والهجان : البيض الكرام » .

ولا ينسجم تفسير الهجان بالبيض الكرام التي هي من الابل .

والصحيح ما جاء في القاموس المحيط : الهجان : الرجل الحسيب .. البين الكرم .. (وجاء فيه ابـــل هجائن : بيض كرام) .

٤ ـ ص ٨٠ خرج ابو حمزة (الخارجي) وهو يقول:

احمل راسي قد مللت حملـــه وقـــد ادمت دهنـــه وغسلـــه
الا فتى يحمـــل عني ثقلـــه

وفي الهامش : قال ص ١١٣ سئمت دهنه ، وقـــال صاحب الاغاني ان هذا البيت ارتجـــزت به ام حكيم الخارجية صاحبة قطري بن الفجاءة ١٥٠/٦ .

لم يلاحظ المحقق في رواية ص ١١٣ : «احمل راسا» وهي المناسبة بل انها كذلك في الاغاني ١٥٠/٦ .

والرجز في روحه انسـب ان يعزى الى امراة (ام حكيم) ، وهكذا كنت ارويه .. وهكذا ثبته الدكتـــور احسان عباس في كتابه « شعر الخوارج » موثقا بثلاثة مصادر .

٥ ـ عمل المحقق فهرسا للقوافي ، ولكن الابيات التي وضعها لحرف الهاء (ص ٥١٠) ليست هائية وانما هي ملحقة بهاء ، والقاعدة ان توزع على قوافيها الاصليـــة : اللام ، الميم ، النون ، الراء ، الهمزة ، الحاء ، الالف ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العين ، التاء ..

وكم يكون مناسبا لو استعان المحقق المؤرخ بمحقق اديب ..

(٥)

البنية القصصية في رسالة الغفران ـ تاليف حسين الواد، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥ ـ وهو بحث جامعي جرت مناقشته في جوان ١٩٧٢ باشراف الاستاذ توفيق بكار ومناقشة عبد القادر الهبري وصالح الفرماوي .

١ ـ البحث هيكلي (بنيوي) ولا يكتمل النجاح لمثل هذا البحث ما لم يقم على طبعة تامة التحقيق . وصحيح ان الباحث اعتمد على تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء (الدكتورة عائشة عبد الرحمن) لرسالة الغفران الذي صدر عن دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٠ ـ وهو خير تحقيق في حينه .

ولكن الذي حدث ان الدكتورة عائشة عبد الرحمن ظلت ترعى النص وتعيد النظر كلما جد لديها مصدر من « اصول لغوية وادبية » وقد صححت في ذلك امورا ذات بال في اقامة النص .. وتعددت في ذلك الطبعات .. والمفروض بالباحثين ان يرجعوا الى احدث طبعة تصدر (من احسن تحقيق) .

ولم يفعل السيد حسين الواد هذا .. ولنذكر ان الطبعة الخامسة من رسالة الغفران بتحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن صدرت عام ١٩٦٩ وكان المفروض بالباحث ان يصدر عن هذه الطبعة في الاقل ..

ولنذكر ان الطبعة الاولى صدرت وليس فيها « رسالة ابن القارح » ، وقد دخلت هذه الرسالة في تحقيق الدكتورة عائشة منذ الطبعة الثانية .

٢ ـ ومن تونس تأتينا كتابة جديدة للـ G ، فهم يكتبونها قافا وهكذا صرنا نكتب Goldmann على ثلاث صور :

غولدمان ، جولدمان ، قلدمان .. وكانت حلقة براغ : حلقة براق . اما في المغرب فيكتبونها كولدمان ـ بكاف عليه ثلاث نقاط ، ويفضل العراقيون كتابتها بالكاف ـ اي الكاف ذات الخطين .

٣ ـ ص ٥ ترجم المؤلف كلمة Communications ابلاغات ، ولكنه لم يترجمها ص ٦٦ وانما عربها : « كومونيكاسيون » .

٤ ـ ص ١٢ ترجم Conte بالخرافة ـ والاولى ان تترجم بالحكاية ..

٥ ـ ص ١٣، ١٤، رولان بارط ، محاولات نقدية : Essais Critiques ـ ليست هذه محاولات .. ورولان بارط اعلى من مستوى المحاولات . انها «مقالات نقدية » .

٦ ـ ص ١٦ « الشكلية وليدة تظافر مجهودات جماعة من الباحثين .. »

يبدو ان « املاء » المغرب العربي يكتب «تظافر» بالظاء ـ والصحيح ان تكتب « تضافر » بالضاد .

٧ ـ عرب ص ١٦ Tel Quel قال كال ـ والصحيح تل كل .

٨ ـ ترجم Poétique مرة (ص ٥) « انشائية » ومرة (ص ١٦) : علم الادب . وقد تكون الثانية اقرب الى الصحة .

٨ ـ ص ٤٥ « وفي الحقيقة فان المنطق حافل .. » ص ٨٤ « وفي الحقيقة فان ابن القارح .. »

لا موجب لهذه الفاء في « فان » .

٩ ـ ص ٤٨ «حديث امرىء القيس في دارة الجلجل» الصحيح في دارة جلجل .

١٠ ـ ص ٥٧ » نجد الشعر يتسبب في عدة اطنابات »

كذا جمع المؤلف اطناب وهو ما لم يرد في البلاغة العربية ، ولا موجب اليه .

١١ ـ ص ٦٥ « نواجه احداثا مصاغة » ـ الصحيح مصوغة .

١٢ ـ ص ٧٠ : سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا ابالك يسلم

الصحيح يسأم ـ وهو من الخطأ المطبعي ..

١٣ ـ ص ٧٨ « وبما ان الهيكلية « لا تقول بالاشياء» لتقول « بالعلاقات بين الاشياء » .

الصحيح : لا تقول .. وانما تقول ..

١٤ ـ ص ٨٣ « وصنف لا يجيب على اسئلة ابن القارح » .

الصحيح لا يجيب عن ..

١٥ ـ ص ٨٣ « الشماح » : الشماخ ـ والخطأ مطبعي .

١٦ ـ ص ١٥ « نظرا لتفاقم عدد المصنفات المشيدة بمزايا هذه الطريقة او المتعرضة لها .. »

صحيح ان التفاقم يستعمل لبيان الزيادة والكثرة .. ولكننا اعتدنا استعماله لدى الزيادة في السوء : تفاقم الخطر ، الوباء .. وهو ما لا يريده المؤلف .

(٦)

الادب الفارسي في العصر الغزنوي ـ الدكتور علي الشابي، تونس ، دار تونس للنشر ١٩٦٥ ـ في الاصل : اطروحة دكتوراه باشراف الدكتور ابراهيم امين الشواربي بجامعة القاهرة .

١ ـ ص ١٥ « وما ان وافى القرن الرابع حتى ساد التمزق » ـ بفتح همزة ان . والصحيح كسر الهمزة .

٢ ـ ص ٨٩ « الفردوسي .. نيف عن الثمانين ». والصحيح : على ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ـ هامش ص ٩١ « ملحمة همروس » .
لا موجب لهذه الكتابة الجديدة لاسم هوميروس .
٤ ـ ص ١٠٠ » ان مقربي الخلفاء (من المترجمين) .. لم يكونوا عرباء وان تفقهوا بالعربية » .
صحيح عرباء : عربا ـ ولعلها من الخطأ المطبعي .
٥ ـ ص ١٠١ » امتاز الشعر الفارسي عن الشعر العربي .. »
الصحيح : من
٦ ـ ص ٢٢٥ « تأثر منوجهري بخيالات الاعشى .»
لا موجب لجمع خيال هنا ، لا سيما لدى الحديث عن شاعر قديم كالاعشى ..
٧ ـ ص ٢٢٦ « .. معارضا بها مدحية للاعشى »
ليست « مدحية » من الاستعمال العربي ولو قال : مدحة ، او قصيدة مدح .. كان انسب .
٨ ـ ص ٢٣٠ « قول ابي الطيب المصعبي محمد بن حاتم .. :

ولا تكاد جيـاد تروي بغير صفير

هكذا وردت تروي بالياء والصحيح تروى بالالف .
٩ ـ ص ٢٣١ : قول ابي فراس الحمداني :

يطرزها فوس السحـاب باصفر على احمر في اخضر تحت مفيـض

الصحيح : مبيض ـ ولعله من الخطأ المطبعي .
على اني رجعت الى ديوان ابي فراس في طبعة دار صادر ـ بيروت التي تقول انها (روايـة ابي عبد الله الحسين بن خالويه) ١٣٧٩ ـ ١٩٥٩ فما وجدت البيت فيه ..
حقيقة الامر ان البيت لابن الرومي من قصيدة ضادية تجدها في المختارات التي عملها كامل كيلاني من « ديوان ابن الرومي » .
١٠ ـ ص ٢٨٤ « لم يصب برتولد .. تاريـخ الحضارة الاسلامية »
الصحيح : بارتولد .
١١ ـ ص ٣٢٥ في الحديث عن اسس منهج البيروني: جمع المادة « الح المؤرخ غير مرة على ان ينزه نفسه عـن العوارض المردئة لاكثر الخلق .. »
ربما كان الصحيح ـ او الصحيح من غير ربما ـ : المردية من اردى يردي .. فهي مردية : مهلكة .
١٢ ـ ص ٣٣٢ « وحين يطبق هذا المنهج المتكامل فانما ليصل الى تصوير الحضارة »
ليس التعبير من مألوف اللغة العربية ، وقد يكون المناسب ان نقول .. فانما يطبقه او يفعل .. ليصل او ـ وهو الاحسن .. وهو يطبق هذا المنهج المتكامل ليصل الى تصوير الحضارة .
١٣ ـ ص ٣٣٩ « هل ان الفارسية لا تصلـح الا للاخبار الكسروية والاسمار الليلية »
الصحيح حذف « ان » .

(٧)

جماليات الفنون ـ د. كمال عيد ، بغداد ، الموسوعـة الصغيرة (٦٩) ، ١٩٨٠

١ ـ ص ١٠ بلاهانوف G. V. Plehanov
الصحيح : بليخانوف Plekhanov
٢ ـ ص ١٩ « بومجارتن وكتابه .. (الجمـال) الذي الفه منذ مائتي عام »
الصحيح « منذ اكثر من مائتي عام (فقد كان التاليف سنة ١٧٥٠) .
٣ ـ ص ٢٦ « الاول يعزي نشوء الجمال الى الله »
الصحيح : يعزو بالواو مضارع عزا ، وليس بالياء .
٤ ـ ص ٥٢ « تشبيهات ومجـازات واستعارات وقطعات زائدة (Hyperbola) .. »
صحيح « قطعات زائدة » : مبالغـة (اوغلو) . والحديث حديث مصطلحات بلاغية .
٥ ـ ص ٩٧ « النثريات » ـ قالها في مقابل «الشعر» فالصحيح ان يقول : « النثر » فليس في العربية نثريـات وشعريات .
٦ ـ ص ١٢٤ » دي لامبرت D'Alembert
الصحيح : دلمبير لان التاء الاخيرة لا تلفظ .
٧ ـ ورد ص ١٣ « الصوت الرفيع يناسب اطفال»، واحسب ان « الرفيع » هذه في غير مكانها ، لان الصوت الرفيع يعني العالي ، المرتفع ، الجهير ، والمؤلف ـ كما يبدو ـ يريد غير ذلك ، او عكس ذلك . وربما كان الانسب لاستعماله : الرقيق ..

(٨)

الدكتور طه الحاجري ـ الجاحظ ـ حياته وآثاره، القاهرة دار المعارف ، مكتبة الدراسات الادبية (٢٨) الطبعـة الثالثة ١٩٧٦ .

١ ـ « الطبعة الثالثة » في مطبوعات « دار المعارف» لا تختلف ـ عادة ـ عن الطبعة الاولى . ولكن متى وقـع التاليف ؟ ومتى كانت الطبعة الاولى ؟ لا يمكن ان نعلم ذلك ـ هنا ـ على وجه الدقـة ، فلم تؤرخ المقدمـة (التصدير) التي هي مقدمة الطبعـة الاولى ، ولكن في المقدمة (وفي التعقيب ص ٤٥٣) ما يشير الى ان التاليف قد وقع سنة ١٩٤٦ وان الطبع قد وقع بعد (١٠٦) سنوات من التاليف اي حوالي ١٩٦٢ ـ لا ادري لم نتهاون بشأن اثبات سنة الطبع ، ودار المعارف معاتبة اكثر من غيرها .
٢ ـ وعد الدكتور طه الحاجري في ختام الطبعـة الاولى (ص ٤٥٣) باستئناف درس الجاحظ واستكمال « بحث نواحي شخصيته الادبية والعلمية » ـ وقد مضى على ذلك زمن طويل ولم يستانف درس الجاحظ .. وهو القادر .

٣ ـ لم يذيل الدكتور الحاجري كتابه بقائمة للمصادر والمراجع ..

٤ ـ قسم الحاجري حياة الجاحظ الى عهدين : العهد البصري والعهد البغدادي ، وذكر كتب العهدين وتحدث عنها واحدا واحدا فوقف عند (٣٣) رسالة وكتابا .. ولكنه لم يتحدث عن « البخلاء » فلا تجد له رقما بين هذه الكتب والرسائل .. فتعجب لانك تعلم ان الحاجري يعرف « البخلاء » تمام المعرفة ..

(٩)

البخلاء للجاحظ ، حققه نصه وعلق عليه طه الحاجري الاستاذ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٣ ـ ذخائر العرب (٢٣) .

١ ـ التصدير (المقدمة) غير مذيل بتاريخ ، ولكن المؤلف يقول في هامش الصفحة الاولى منه : « كان هذا عند اخراج هذه النشرة في طبعتها الاولى (سنة ١٩٤٨) » ولم يزد . ولكنا نعلم ان تلك النشرة الاولى لتحقيق البخلاء (١٩٤٨) صدرت بالقاهرة عن دار الكاتب المصري .

وتكون طبعة دار المعارف هذه نشرة ثانية ولم يشر المحقق الى اي تغيير اجراه فيها . ودار المعارف تعيد مطبوعاتها ـ عادة ـ كما هي ، اي انها تسحب نسخا جديدة عليها فالطبعة الثانية ـ على هذا ـ تعني عددا جديدا من الوف النسخ مطابقا للطبعة السابقة ..

وهكذا تكرر طبع « البخلاء » بدار المعارف حتى كانت الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٦ ، وستستمر على ذلك .. واحسب ان للدكتور الحاجري من الجديد ما يحسن ان يعيد بمقتضاه النظر في التحقيق القديم .

٢ ـ ص ٣٤ « فلم البث ان رايتها قد طلقت وتبسمت .. » ـ بتشديد اللام من طلقت.

ولا موجب للتشديد لان طلق ـ بضم اللام ـ ككرم .. وقد طلق من باب ظرف .

٣ ـ ص ١٠٩ « قال الاعشي : والبطنة مما تسفه الاحلاما »

صحيح ان القول ـ على صيغة المثل ـ للاعشى : ولكنه هنا ـ في البخلاء ـ ليس بيتا وانما هو مقطع من بيت . جاء في لسان العرب :

يا بني المنذر بن عبدان والبطـ ـنة مما تسفه الاحلاما

وكان مناسبا ان يشار الى ذلك في الحاشية .

٥ ـ ص ١٧٠ « رحا الدنيا »

صحيح ان الخطوط العربية القديمة اضطربت في كتابه الالف من مثل هذه الكلمة ، ولكن ما استقر عليه رسم الحرف العربي ان تكتب « رحى » ومثناها رحيان ، وقد قالوا « رحى العرب » . ولا تكتب « رحا » الا على اساس المد وحذف الهمزة من « رحاء » . وربما لم يكن موجب الى هذا .

او ان الاستاذ المحقق اراد اتباع قاعدة رسم الملفوظ .. او قاعدة الدكتور « طاها حسين » او انه ابقى القديم ـ الذي رآه في المخطوط ـ على قدمه .

٦ ـ ص ١٧٨ « مثل سم الخياط » بفتح السين

في مختار الصحاح « السم الثقب ومنه سم الخياط بفتح السين وضمها » وفي القاموس المحيط : « يثلث ».

وقد ورد في القرآن بفتح السين : « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط» ، ويقول الزمخشري وقرىء (في سم) بالحركات الثلاث .

٧ ـ ص ٢٩٥ « المسجديون »

نص المحقق على ورودها في البخلاء (٢٩) ، وهي كذلك . وربما كان يحسن ان يشير الى ان الجاحظ ذكرهم ـ او ذكر الكلمة ـ في كتابيه الكبيرين: الحيوان ، والبيان والتبيين .

٨ ـ ص ٣٤٥ « ابو الشمقمق : لقب الشاعر المغمور مروان بن محمد من اعظم شعراء عصره تعبيرا عن الفقر »

لعله لم يكن مغمورا في عصره .. ولكنه ظل مغمورا لدينا زمنا طويلا . اما يكفي شهرة في عصره انه كان ياخذ جزية من بشار بن برد (ينظر الاغاني ٣/١٩٤) قال ابن المعتز « شعر ابي الشمقمق كله ـ الطبقات ١٢٩ » ، والنوادر عامل كبير في الشهرة .

٩ ـ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ابو يعقوب الاعور (١٠٥) هو « ابو يعقوب اسحاق بن حسان بن قوهي الخريمي كما نبه محمد بن داود بن الجراح وشارح القاموس .. قال شعره الذي يفخر فيه بالصغد والذي نسب من اجله الى الشعوبية .. وقد عاش الخريمي الى ان شهد الفتنة التي كانت بين المأمون والامين .. »

أ ـ يرد ذكر الخريمي والاستشهاد بشعره لدى الجاحظ في كتابيه الكبيرين : الحيوان ، والبيان والتبيين. والجاحظ ياخذ عنه مباشرة ..

ب ـ لقد فخر الخريمي بالصغد ، والصغد قوم من الترك .. فهو ليس فارسيا .. والقصيدة لا تدل على شعوبية (تنظر) ثم من الذي نسبه الى الشعوبية ؟ وفي اي مصدر ورد ذلك ؟ لقد تهيا لي الالمام باكثر مصادر الخريمي فما رايت احدا نسبه الى الشعوبية ، بمن في ذلك ابن قتيبة الذي اورد القصيدة في الشعر والشعراء ، وتحدث عن الشعوبية كثيرا في « عيون الاخبار » .

ج ـ وقعت الفتنة سنة ١٩٧ هـ وقد عاش بعدها الخريمي غير قليل فلقد توفي سنة ٢١٤ .

١٠ ـ وفي فهرس المراجع ترد ملاحظات مرد اكثرها ان المؤلف يثبتها ويصفها كما كانت لدى الطبعة الاولى (او الثانية) من غير ان يغير فيها على مقتضى ما جد في المطبعة . ومن امثلة ذلك، والملاحظات الاخرى ..

أ ـ ص ٤٩٢ « البخلاء للخطيب البغدادي ، ابي بكر احمد بن علي . لم ينشر بعد . ومنه مخطوطة .. »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد طبع البخلاء للخطيب البغدادي ببغداد سنة ١٩٦٤ بتحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثة . ولكن الدكتور الحاجري لم يشر الى ذلك لانه ابقى فهرس المراجع على قدمه .. مع تعدد طبعات كتابه.

ب ــ ص ٢٩٤ « تاريخ بغداد لطيفور ابي الفضل احمد بن ابي طاهر الكاتب » .

الصحيح ابن طيفور لانه احمد بن ابي طاهر طيفور.

ج ــ ص ٥٠٤ « مجموع النقود العربية للاب انستاس ماري الكرملي ، طبع القاهرة ١٩٣٩ »

وفي ص ٥٠٨ « النقود العربية وعلم النميات للاب انستاس ماري الكرملي ، المطبعة العصرية بالقاهرة ١٩٣٩ »

ذكرهما المؤلف على انهما كتابان مستقلان وليس الامر كذلك لانهما كتاب واحد عنوانه : « النقود العربية وعلم النميات » والكتاب يحوي مجموعة مباحث عربية قديمة في النقود والسكة للبلاذري والمقريزي والذهبي وابن خلدون والقلقشندي . حققها .. الكرملي ..

د ــ « نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر .. القاهرة ١٩٣٢ .. »

كان هذا يقال قبل ان يكتشف السر ويعرف ان « نقد النثر » هذا ليس لقدامة وانما هو من كتاب « البرهان » لاسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب ــ وقد طبع مرتين في بغداد ١٩٦٧ ثم في القاهرة (؟) ــ وقد فصلنا ذلك في تحقيق سابق .

هـ ــ وملاحظات اخرى .. على الطبعات .. واسماء الكتب .. كالموازنة والاغاني ورسائل الجاحظ وشرح التبريزي « للمعلقات » (القصائد) ..

(١٠)

مختصر التاريخ ، تصنيف ظهير الدين علي بن محمد الكازروني . حققه وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد ، وضع فهارسه واشرف على طبعه سالم الآلوسي ، بغداد، وزارة الاعلام ١٣٩٠ ــ ١٩٧٠ .

١ ــ استاذنا المرحوم الدكتور مصطفى جواد حجة في التاريخ كما هو حجة في اللغة .. واذا وردت ملاحظة فهي على الكتاب وظروفه وقد طبع الكتاب بعد وفاته ، ولا يمكن ان تكون على المحقق الملامة .

٢ ــ ص ٢١٥ ــ ٢١٦ « سيف الدولة صدقة بن منصور » ..

وفي الهامش : «هو صدقة الاسدي الناشري مؤسس الحلة .. ولقب بملك العرب .. قتل في حرب بينه وبين السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٥٠٠ ذكره ابن الجوزي في المنتظم « ٩ : ١٥٩ » وابن الاثير في حوادث هذه السنة وابن خلكان ..»

لقد قتل صدقة سنة ٥٠١ فهو هكذا لدى ابن الجوزي وقال : « كان كريما ذا ذمام عفيفا .. كان عليه رقيبا من الصيانة .. » ولدى ابن الاثير : « .. في رجب قتل الامير سيف الدولة صدقة .. امير العرب . وكان قد عظم شانه وعلا قدره واتسع جاهه ، واستجار به ضعفاء الناس وكبارهم فأجارهم » ، ولدى ابن خلكان « .. كان ذا بأس وسطوة وهيبة ونافر السلطان محمد.. السلجوقي فتلاقيا عند النعمانية وقتل الامير .. يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة وقيل العشرين من رجب سنة احدى وخمسمائة وحمل راسه الى بغداد رحمه الله تعالى وذكر عز الدين ابو الحسن علي بن الاثير في استدراكاته على السمعاني في كتاب الانساب انه توفي سنة خمسمائة والله اعلم » . وقد راينا راي ابن الاثير صريحا في كتابه « الكامل » اذ ينص على « رجب ٥٠١ » ولعله اعتمد على الحافظة عندما ذكر سنة خمسمائة .

هذا وخير مصادر دراسة « صدقة » ما كتبه العماد الاصبهاني في نصرة الفترة (ينظر مختصرها باسم الزبدة للبنداري) والخريدة ــ وهو يذكر سنة ٥٠١ تاريخا لقتله .

ولئلا يفهم من كلام ابن خلكان ان السمعاني عرف بصدقة ، نقول انه لم يذكر شيئا عن صدقة وانما جاء كلام ابن الاثير في اللباب ٢٠٦/٣ من الزيادات على نسب « الناشري » : « قتله السلطان محمد بن ملكشاه في الحرة سنة خمسمائة » .

٣ ــ ص ٢٢٥ « لست بالراشد ان لم انتخي لهاشم عن حسبي ودِيني »
لم انتخي : لم انتخ .

(١١)

الحياة الادبية في الشام (في القرن الخامس الهجري) ــ تاليف دكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي ، عمان ، مكتبة الاقصى ١٣٩٧ ــ ١٩٧٧ ــ رسالة حصل بها المؤلف على الدكتوراه من جامعة القاهرة باشراف الدكتور حسين نصار ــ لم يخل اخراجه «الانيق» من الخطأ المطبعي والاخلال بفهرس للمحتويات .

١ ــ ص ٨ « ومن الجدير بالقول ان كثيرا من تلك النصوص وجدته مخطوطا ، فمن الدواوين الشعرية المخطوطة ديوان التهامي .. والمختار من زهديات لزوم ما لا يلزم وديوان ابي اسحاق الغزي الذي لم ينشر منه الا حوالي الف بيت ، وقد نشرها « رفيق الحليمي » مع بحث قدمه لجامعة عين شمس للحصول على الماجستير ».

أ ــ ديوان التهامي مطبوع ، وقد ذكر المؤلف الطبعتين في قائمته للمصادر والمراجع .

ب ــ لا قيمة للمختار من زهديات لزوم ما لا يلزم ــ

اذا كان اللزوم موجودا مطبوعا ..

ج ـ كلمتا « ينشر » و « نشرها » بصدد ديوان الغزي يعنيان يحقق ، وحققها .. لان الديوان لم يطبع .

٢ ـ يحيل المؤلف في صلب البحث الى ديوان الغزي كثيرا . فهو يحيل على عمل « رفيق الحليمي » أ لا ، وانما هو يحيل على ديوانه المخطوط بدلالة ص ٧٥٨ (المصادر والمراجع) فيذكر : ديوان ابي اسحاق الغزي ـ مخطوط على ميكرو فيلم بمعهد المخطوطات رقم ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩ـ واقل ما تعني هذه الارقام وجود ثلاث نسخ مختلفة من الديوان ، وهذا يقتضي ان يخصص الباحث النسخة التي يحيل عليها .

٣ ـ عد المؤلف من شعراء الشام في القرن الخامس « الغزي ابا اسحاق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الاشهبي المعروف بالغزي » .

هو غزي في مولده ونشأته وربما في اوائل شعره الذي لم يبق منه بيت واحد . هو شامي بهذا المعنى ، وقد ترجم له العماد الاصبهاني في مجلده عن شعراء الشام. ولكنه ليس شاميا في المهم من شؤون حياته حتى الممات وفي شعره الذي وصل الينا ، ومن هنا كان المكان الطبيعي لدراسته في « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم » حيث قاله هناك في اعلام هذه البلاد واحدائها . وانه ليبدو نشازا اذ يذكر مع الشعر الشامي . وكان اقل ما يستدعي منهج البحث النص على هذه الحال في المقدمة .

٤ ـ ص ٤١ « ولم يفت بعض الشعراء ان يمدح العلماء والفقهاء ، فأبو اسحاق الغزي يمدح « اسماعيل الطغراوي » فيشبهه ببقراط ، ويصفه بالرسوخ في العلم فيقول : »

يا واحد الدنيا ، وبقراط العلى جبل العلوم ، وفحلها الدهانا ..

أ ـ صحيح الطغراوي : الطغرائي ـ وهو ابو اسماعيل الحسين بن محمد بن عبد الصمد اكبر شعراء القرن الخامس ـ السادس (قتل سنة ٥١٥)

ب ـ وصفه ببقراط .. لانه من اعلام العلوم المنقولة (الكيمياء خاصة) وكان المناسب ـ لهذا ـ وصفه بهرمس لانه لم يكن طبيبا ليوصف ببقراط .

وثائية الغزي هذه احدى القصائد التي حشرت ـ خطأ ـ في ديوان الابيوردي ط . بيروت ١٣١٧ .

٥ ـ ص ٤٢ « الطغراوي » : الطغرائي .

٦ ـ ويقول الغزي ص ٤٢ :

ذاك علامة الزمان ومن ليس له غير نصرة العلم سؤل
وله في مقاوز الكتب خربت بلاغ عن نهجها لا يميل

أ ـ صحيح سؤل : سول (بالتخفيف) ، وخربت : خريت .

ب ـ في كتابة الاشطر تقسم « ليس » ، و«خريت» بين الشطرين لي س ، خر (م) يت

ج ـ في القاموس : الخريت كسكيت الدليل الحاذق

د ـ ما معنى بلاغ ؟!

٧ ـ ص ٩٥ ابن الخياط :

خذا من صبا نجد امانا لقلبه فقد كاد رياها يطير بلبه

الصحيح : رياه ـ وهو من الخطأ المطبعي .

٨ ـ ص ١٠٨ « الغزي .. يذم مدينة بغداد :

ان كنت سرت عن العراق مؤنبا حيا فلست بشاكر بغدادا
مصران لو مكث ابن مامة فيهما مقدار لحظة ناظر ما جادا

أ ـ صحيح حيا : جيا ـ وجي هي اصبهان او ـ لدى الدقة ـ احدى مدينتي اصبهان .

ب ابن مامة ـ كما في القاموس المحيط ـ كعب بن مامة جواد من اياد .

وهذه الدالية مما حشر خطأ في ديوان الابيوردي ط. بيروت ١٣١٧ ـ وقد وردت « جيا » فيه بالجيم .

٩ ـ ص ١٠٩ « ويهجو الغزي مدينة مرو ..

بخلوا بمروة وهز المروة اصبحت ماوى اللئام ومجمع اللوام

البيت غير موزون في صدره ..

١٠ ـ ص ١١٥ ـ ١١٦ :

سفر الربيع نقابه بيد الصبا عن منظر حسن كايام الصبا
لم يسحب ذيل السحاب وكمه الا تارح منهما جيب الربا

أ ـ وردت سفر بسكون الفاء والمناسب سفر بفتح الفاء ، ووردت « كمه » مجرورة والصحيح الرفع لانها معطوفة على « ذيل » الفاعل .

ب ـ الا تارح : صحيحها : الا تارج ، بالجيم .

ج ـ السربا : الربا .

والمقطوعة البائية مما حشر خطأ في ديوان الابيوردي ط . بيروت ١٣١٧ .

١١ ـ ص ١٢٩

لئن جلينا صروف الدهر اشطرها فكلنا بظروف الدهر جهال

صحيح جلينا : حلبنا ، وصحيح ظروف : صروف. واللامية مما حشر خطأ في ديوان الابيوردي ط بيروت

١٢ ـ ص ١٣٠ :

فاقضوا ماربكم عجلا انما اعماركم سفر من الاسفار

صحيح ماربكم : مآربكم بالمد .

١٣ ـ ص ١٣٠ ، الغزي :

وقد تصقل الضبات كل كليلة ويصدا حد السيف وهو مهند

أ ـ الضبات : الظبات .

ب ـ كل كليلة : وهي كليلة ـ وقد ورد البيت محشورا في ديوان الابيوردي .

١٤ ـ ص ١٩٨ ، ابن حيوس :

تخيفني الزمان بكل فن فما انفك في داء عضال

أ ـ تخيفني : صحيحها تحيفني (بالحاء) .

١٥ ـ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١

الى الله اشكو من اوام اسف بي على حوض آمال تشظى نصابيه
ومن عمر لو كان امرا معوضا الي انقضى باقيه او عاد ذاهبه

يقتضي بناء البيتين الرجوع الى الاصل ، اذ كيف تكون قافية البيت الاول : نصابيه ، وقافية البيت الثاني: ذاهبه .

وربما كانت قافية البيت الاول : ناصبه ـ مع تعديلات مناسبة . وربما كان صحيح « معوضا » بالعين: مفوضا بالضاد .

١٦ ـ ص ٢٩٨ : ابو العلاء ..

وما صح للعرء المحصل انه بكوفان قبر الامام يزار

الصحيح قبر للامام يزار

١٧ ـ ص ٣٢٠ ، الغزي لا يعترف بالشاعر العراقي « حيص بيص » اميرا للشعراء .. فيقول :

انا محيي رميم عظام المعاني خاتم الشعر غصة الجهال

أ ـ الصدر مضطرب ، ولعله : انا محيي رميم عظم المعاني ، وربما كانت المعالي بدلا من المعاني ـ على التصريع .. لعله ولربما .

ب ـ ما الرابط بين الغزي والشاعر العراقي حيص بيص ؟ عندما ولد حيص بيص (سنة ٤٩٢) كان عمر الغزي (المولود سنة ٤٤١) احدى وخمسين سنة، وعندما مات الغزي (سنة ٥٤٤) في الثالثة والثمانين من عمره ، كان حيص بيص في الثانية والثلاثين ـ هذا من ناحية السن ، اما من ناحية المكان فقد كان حيص بيص في العراق وكان الغزي (في الشطر الاخير من عمره) بعيدا عن العراق (وعن حيص بيص) ، كان في خراسان وكرمان واصفهان وفارس وخوزستان ..

واذا كان حيص بيص ـ على هذا ـ قد لقب بامير الشعراء ، فان ذلك يصعب ان يكون في حياة الغزي ، وكيف يلقب بامير الشعراء وهو في الثلاثين ؟!

المهم : لا علاقة تذكر ـ بمقتضى منهج البحث ـ بين الغزي مفتخرا بشعره (ولا نعرف تاريخ الفخر) .. وبين حيص بيص اميرا للشعراء .

ثم من لقب حيص بيص بأمير الشعراء ؟ ومتى ؟ وهل ورد في قصيدة الغزي ما يشير الى الشاعر او الى اللقب ؟ ان البيت الذي استشهد به المؤلف لا يخص شاعرا بعينه .

١٨ ـ ص ٣٨٧ ، الغزي :

لنقرطقن بنات اعرج بالقنا يوما تصير به الذكور اناثا
والطير يجمع جنسها اسم واحد ولقد تكون جوارحا ويعاثا

وهما البيتان اللذين يذكرهما في قصيدة اخرى .

أ ـ يعاثا : بغاثا .

ب ـ البيتان اللذين : البيتان اللذان .

ج ـ ورد البيتان متباعدين في التائية المار ذكرها المحشورة في ديوان الابيوردي ط. بيروت . ودرت فيه لنقرطقن : ليقرطقن ، ويوما : يوم (على انه فاعل)

١٩ ـ ص ٤٢٣ :

لو توسلت بالظبا والعوالي لسعى سلاهب كالسعالي

أ ـ البيت يستدعي الرجوع الى الاصل .

٢٠ ـ ص ٤٢٣ :

ومزايا حسن البوادي بواد بهلال في حلة من هلال

أ ـ ربما كان الافضل ان تكتب « بواد » على بوادي ليتم الجناس الذي ينشده الشاعر قصدا .

ب ـ من هلال : ربما كانت ابن هلال .

(١٢)

الطليعة الادبية ـ بغداد ، ايلول ١٩٨٠ ـ عدد خاص بالمسرح .

في مقال لمالين مككوكين ترجمه عبد الستار شويليه ص ١٩١ بعنوان « فن المسرحية » ورد : « المؤرخ الروماني بلوتارك » ـ والصحيح ان بلوتارك مؤرخ يوناني.

جامعة بغداد ـ كلية الآداب علي جواد الطاهر

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

الشاعر والحياة

*

لي ـ كانسان ـ يا اخي اخطاء ... وطموح ... وهمة شماء
اعبر العمر بين مد وجزر ... كشراع تلهو به الانواء
اكتم الدمع تحت جفني خوفا ... ان يراه في مقلتي الكبرياء
واواري عن العواذل حزني ... فهم ـ رغم حبهم ـ اعداء
ليس لي في الحياة غير صديق ... يلتقي عند نديه الشعراء
عالي ضيق الجوانب رحب ... ترتمي عنده الارجاء
وسمائي تالق الوحي فيها ... رترامت في ضفتيها سماء
اسكب الروح في الكؤوس واسقي ... ندماتي .. ان اخلص الندماء
ومن الصدر امنح الناس بعضا ... من فؤادي.. او من دمي انشاؤوا
فاحترام الحقوق اول درب ... سار فيها الى الدنى الاوفياء

يا اخي ، ان اردت مني احتراما ... كن وفيا .. ان الحياة وفاء
واحفظ العهد عن رضى وصفاء ... فحقوق الرضى يفيها الاخاء
وحذار الغرور ذلك داء ... ليس يشفيه ان تغشى دواء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انا لو عن جهل هضمت حقوقا ... لك.. فارفض..هل يستبيك الحياء
واذا شئت بعض حق فعاتب ... ربما كان في العتاب الصفاء
انت لما تنزل اخي وصديقي ... رغم انف الدنى .. علام الجفاء
لا يضير الاخوان مكر دخيل ... طبعه بين الاصدقاء عداء
فالماقي وان تمادى قذاها ... لا تواري صفاءها الاقذاء

انا لا اشتهي بقايا رغيف ... يتشهاه عن طوى الفقراء
ان بعض الفتات يشبع جوعي ... وهو جوع في الحالتين سواء
كلكم اخوتي وابناء امي ... صنعتنا من ضلعها حواء
ملهمي في معارج العمر قلب ... ضل عن فهم قصده الجهلاء

صاح لا تحسب الحياة خلودا ... ابديا ، فللحياة انتهاء
كيف نطوي في قبضة اللحم عهدا ... سنه الدهر .. وارتضاه القضاء
عزة المرء ان يكون صريحا ... لا يداني نقاءه الصرف ماء
لم يعد يجدي في الحياة خداع ... بعدما ساد عرشها الشعراء

فنزويلا — جورج يوسف شدياق



احمد حسين الطماوي

تحيتي لمجلة الأديب بمناسبة دخولها السنة الاربعين

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

تعتبر مجلة « الاديب » جامعة كبرى ، فيها الاساتيذ الكبار ، وفيها الناشئة الصغار ، الذين يلبثون فيها حتى يتسع فكرهم ، وتستطير شهرتهم ، ثم ينخرطون منها فيتركونها الى غيرها من المجلات والصحف الاخرى ، كصغار الطير تلوذ مستدفئة بحنان ابويها حتى اذا برز ريشها ، وهمت بالحركة واستطاعت الطير تركت عشها وحلقت على الافنان ، وقليل من هؤلاء الذين كبروا فيها، ظلوا على وفائهم لها ، وداوموا وصالها ، وامدادها بالمقال الجيد ، او القصيد الرائع ، او القصة الماتعة .

تعتبر « الاديب » من المجلات التي تحمل اسم منشئها ، ويعبر اسمها عن شكلها ومضمونها فهي مجلة تبحث في كل شيء ولكن قوامها الادب وفنونه ، ويعتبر صاحبها الاستاذ البير اديب هو هيئة تحريرها ، فهو رئيس التحرير ، ومصحح المادة ، ومحرر اخبار الادب والادباء فيها ، ومدير شؤونها التجارية من شراء ورق لها وتوزيع اعدادها .

وهي من المجلات القليلة في العالم العربي التي ظلت تصدر طيلة اربعة عقود متلاحقة بلا توقف او تعثر ـ باستثناء فترة الحرب الاهلية في لبنان ـ بجهود صاحبها وامكاناته دون معاونة حقيقية من احد ، فاي مجد لهيا ولمؤسسها . وهنا ايضا مناط اعجاب الناس بمنشئها ونظرتهم باكبار له .

صدر العدد الاول من الاديب في يناير ١٩٤٢ ، ونيران الحرب العالمية الثانية تاكل كل شيء ، وفي مثل هذه الاوقات توصد المجلات ابوابها ، وتقلل الصحف اليومية من صفحاتها لقلة الورق ، ولكن البير اديب بهمة الرجال استطاع اصدارها ، وتوفير ما تحتاج اليه من ورق وفكر ومطابع .

واذا كان لا بد ان نتطرق لموضوعات « الاديب » ونعرض لخطوطها العامة ، فاننا نقول انها التزمت منذ نشاتها بخطها القومي العربي ، لذلك لا تنشر فكرا يهاجم الاديان ، ولا تعرض موضوعا يخرب الاخلاق ، بل انها تعمق الاحساس بالعروبة ادبا وحضارة ، وفي هذا الشان نقرا فيها عشرات المقالات مثل « العرب بين الفلسفة اليونانية والادب اليوناني » لمحمود اللبابيدي ، « المعارف الطبيعية عند العرب في العصر الحاضر » لمحمد يحي الهاشمي ، « الحضارة العربية » لقدري حافظ طوقان « العرب في صقلية » لحسن دوغان ، « نهضة العرب » لعبد الوهاب عزام .

ومجلة الاديب بكل صدق مجلة حضارية تناقش قضايا الانسان ، وترتفع عن التعصب الديني ، والتحزب الطائفي ، لذلك نقرا على صفحاتها دراسات عن الاسلام ورجاله الافذاذ مثل مقال الاستاذ وديع فلسطين عن كتاب « ابو حنيفة » لعبد الحليم الجندي ، ومقال الدكتور عبد الرحمن بدوي عن كتاب « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » لمصطفى عبد الرزاق ، ومقال الاستاذ يوسف اسعد داغر عن القرآن الكريم متى طبع ومتى ترجمت معانيه ، ومقال لعنتر مخيمر عن كتاب « القرآن ونظرية الفن » لحسين علي محمد .. الى آخر ما يطالعه القارىء في اعداد الاديب القديمة والحديثة .

كذلك لا تتحيز المجلة لراي دون آخر ، فنراها تفتح ساحاتها للنقاش والجدال والعراك ، فلا تتبنى وجهة نظر بعينها في موضوع معين وتحول دون الرد عليها ، لذلك ترى « زاخرة » بالاراء التي يخالف بعضها بعضا، وبالافكار التي تتقادح فيها ، والاخطاء التي تصوبها لكتابها او لكتاب المجلات والجرائد الاخرى . وماذا تكون المجلة الجيدة اكثر من هذا ؟ وقد دارت على صفحاتها معارك فكرية اشترك فيها عبد الوهاب عزام والشيخ احمد رضا ، وعيسى اسكندر المعلوف وعمر ابو شقرا وعمر فروخ .. الى آخره .

وقد اهتمت المجلة بمستقبل العرب ، وتبين نبوءات كتابها ، وتصورهم للامور التي ستكون عليها البلاد في الايام التالية ، ومن بين هذه التصورات تطلعات مثالية ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واخرى واقعية ، ولكنها لا تقف فقط عند احداث الماضي، بل ترنو الى ما سيحدث في الغد . ونستطيع ان نقرأ صورة لتوقعات الكتاب من خلال هذه المادة الكبيرة التي عرضوها في مقالات تتناول كل المجالات والاتجاهات مثل « غدنا العلمي » لرئيف ابي اللمع ، « غدنا الادبي » لخليل تقي الدين ، « غدنا السياسي » لامين محمد ابو عزالدين، « غدنا التربوي » لجورج شهلا ، « غدنا الفني » لمصطفى فروخ ..

وفي مجال تشييد العمران والارتقاء بالاوطان اثارت المجلة على صفحاتها موضوعا هاما هو اثر المهنة في بناء الامة ، وعرضت افكار مجموعة من الرجال تختلف وظائفهم في مجتمعهم ، فوضح كل منهم اثر مهنته في تقدم امته ، واعلاء شانها ، وكان من هؤلاء المعلم والتاجر والمحامي ، والعامل ، والطبيب ، والرسام ، والكاتب ، فهذه المجموعة من المقالات معرض لآراء عدد من المتخصصين مثل قيصر الجميل وميشال شبلي ، والياس ابي شبكة ، ومحمد خير النويري ، ومصطفى العريس ، ومحي الدين النصولي ، وامين مشحور ، وروز غريب وعمر فاخوري .. وغيرهم.

والمجلة تعتز بالسابقين من اعلام الاداب العربية ، فتنشر عنهم الدراسات الجيدة ، بل انها في سنتها الثالثة عام ١٩٤٤ اصدرت عددا خاصا عن ابي العلاء المعري بمناسبة الذكرى الالفية على مولده ، فتتناول حياته ، وتحلل ادبه ، وتجلي عبقريته ، وتبرز افكاره ، ولا يقتصر دور « الاديب » على تقديم وجبات فكرية عن الادب القديم ورجاله ولكنها في مجال عنايتها بالشرق تبين اثر الفكر الاوربي الوافد على ادبنا العربي الحديث ، فتقدم في سلسلة مقالات ادباء فرنسا الذين يمثلون الحركة الفكرية بعد انهيار الامبراطورية النابليونية ، وما احدثوه من اثر في النهضة الادبية في بلاد المشرق من امثال اسكندر ديماس الاب ، وفكتور هوجو .. وغيرهما .

ولكن كم عدد الذين كتبوا في « الاديب » على مدى اربعين عاما ؟ مات منهم من مات ، وبقي على قيد الحياة من بقي . ان العد والاحصاء مرهق في هذه الحالة ، والاجدى ان نقول مع البير اديب ومن لم يكتب فيها ، لقد طالعنا العديد من المقالات والبحوث والقصص وا لقصائد لكبار الكبار مثل مقالة « التربية الكاملة للاديب » لتوفيق الحكيم ، ومقالة « غدنا الاقتصادي » لكمال جنبلاط ، وقصة « قبلة الساق » وغيرها لمحمود تيمور ، و« رسالة المراة العربية » لاحمد امين ، و « نهضة العرب » لعبد الوهاب عزام ، وقصيدة من خليل مطران الى صديقه صلاح الاسير .. فالمجلة ولا شك ملتقى الادباء الكبار منهم والصغار ، وهي من اجل هذا مرجع هام ، نرجع اليها عندما نترجم لادبائنا ، ونؤرخ لنهضتنا المعاصرة .

وقد ظل البير اديب زمنا يكتب افتتاحية اغلب الاعداد في موضوعات ادبية او علمية ، ويختتم المجلة بتدوين « مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر » وكان يتقصى في الباب الاخير انباء المعارك ويسجل اراء السياسيين اثناء الحرب الكبرى الثانية . اما افتتاحيات المجلة فقد كان يودع فيها خلاصة ارائه في ايجاز مفيد ، وتركيز شديد ، فيجمل القول في القضايا بالمعية واقتدار، ويمكننا التعرف على وجهات نظره المختلفة في الاداب واجناسها ومحاورها ، ففي افتتاحية عدد فبراير ١٩٤٣ نجد مقالا بعنوان « في الاداب العامة والخاصة » يتحدث عن وحدة الادب، فيربط بين الاداب العالمية والاداب الوطنية ويرى ان « الاداب الكونية وحدة لا تتجزأ » ، ومع ان لكل بيئة ادبها المعبر عن طبيعتها وتاريخها، الا ان هناك قدرا مشتركا من المفاهيم والاصول والاسس بين الاداب العالمية تلتقي عنده ، ويتاثر احدها بالاخر ، والبير اديب هنا يتحدث عن جوهر الادب المقارن دون ان يذكره بالنص ، وفي مقال اخر عن « الثقافة العقلية » يعرض لمظاهر القوة الذهنية التي تتمثل في « تحليل الموضوعات المركبة الى اجزائها البسيطة والوصول من النتائج الى الاسباب ، واكتشاف اخفى الفروق والمشابهات بين الاشياء وقراءة المستقبل من خلال الحاضر » . وهو هنا يدعو الى التحليل والتامل ، ويبين قدرات الذهن وامكاناته على التحليق في آفاق المعرفة ، والتعمق في مدلولات الاشياء لاكتناه اسرارها ، والغوص في اغوارها ، وما زالت الطريقة التحليلية من اهم مراحل البحوث لاظهار الخفايا ، وجلاء الغوامض.

على اننا نجد في افتتاحية السنة الرابعة خطة المجلة وتوضيح رسالتها ، يقول صاحبها « تكافح الاديب الابتذال الذي تروج له الصحافة الخفيفة بشتى وسائل الاغراء ، وتكافح العدوان الذي يرمي به العرب عن طريق الفكر باسم الامانة العلمية . فهي اذن تتلمس الادب الرفيع والثقافة العالية ، فتقدمهما على ايسر سبيل من نحو ، وتهدف الى قومية سليمة وعلى ضوء عقيدة استقلالية حرة وايمان عربي اصيل من نحو اخر » ..

وهذه الكلمات خير ما نختتم به الحديث في هذا الجزء من مقالنا عن مجلة « الاديب » وهي تكشف في وضوح الخط السامي الذي التزمته المجلة ، وسار عليه كتابها منذ انشائها وحتى اليوم .

★ ★ ★

ولد البير اديب في المكسيك في غرة يوليو ١٩٠٨ ، ولكنه نشا وتلقى تعليمه في مصر ، وقد هيأ له وجوده في القاهرة فرصة الاتصال برجال لفكر والسياسة فساهم في الحركة الادبية والصحفية وقد الفينا له قصة يبدو انها مترجمة بعنوان « القسم » في مجلة الرقيب عدد ١٩ يناير ١٩٢٨(١) وتتناول فيها حكاية جندي كان يعشق فتاة ، وعندما اراد الاقتران بها وحالت الحرب دون ذلك اقسم لها بشرفه الا يتزوج من سواها ، ويذهب الجندي الى القتال ، وتمر ليال كئيبة على الفتاة ، وينتهي بها المطاف الى احد القواد

حيث تعمل خادمة ، ويدخل الجندي في معركة مع العدو وينتصر عليه ، فيقيم له القائد حفلة راقصة للتعبير عن ابتهاجه بهذا النصر ، وتعجب ابنة هذا القائد بشجاعة هذا الجندي ويقرران الزواج ، وفي ليلة الزفاف تراه حبيبته (الخادمة عند القائد) فتقع مغمى عليها ، وعندما يعرف القائد وابنته حكاية حب الجندي والخادمة ، يأمر بزواجهما ، وتخلع ابنته ثوب عرسها وتلبسه لخادمتها ، وهكذا اصبح الجندي بعلا لحبيبته ، وبر بوعده ، ورفع شرف الجندية الذي اقسم به .

نشرت الرقيب هذه القصة وفي صدر الصفحة صورة الشاب البير اديب الذي كان يرسل باعماله الادبية في ذلك الوقت من الخرطوم . ولم تكن هذه المجلة هي الوحيدة التي كان يسجل فيها انتاجه الفكري ، فقد ساهم في الصفحة الادبية لجريدة « كوكب الشرق » لصاحبها احمد حافظ عوض ، ومجلة «الروايات المصورة» وقد ربطت بينه وبين المازني صداقة خالصة ، ويقول البير اديب انه عاون المازني عندما اصدر مجلته « الاسبوع » التي لم تعمر طويلا . ولما زار المازني لبنان عام ١٩٣٥ التقى الصديقان وعرض البير اديب انتاجه الادبي على صديقه فباركه .

ويتوقف نشاطه في مصر ويسافر الى لبنان عام ١٩٣٠ ، ويزمع اصدار صحيفة يطلق عليها اسم «البدائع» ولكن صديقه الاخطل الصغير يعرض عليه المشاركة في تحرير « البرق » فيقبل ، وتلفت المجلة نظر قرائها الى مساهمة البير في تحرير مادتها اعتزازا بمكانته عند القراء ، ثم يعمل سكرتيرا لتحرير جريدة « الشعب » التي كان يصدرها امين نخلة ثم يحرر في مجلة « المعرض » لصاحبها ميشال زكور ، ويمضي الرجل في الكتابة ويواصل العطاء فيشارك في تحرير مجلة « المكشوف » التي اسسها فؤاد حبيش ، ولكن كل هذا لم يحول تفكيره في اصدار مجلة يوجهها حسبما يريد ، وكان يشجعه امثال نقولا فياض ورئيف ابي اللمع على سلوك هذا المسلك ، واخيرا ينفرد باصدار « الاديب » ويحقق امنية قديمة طالما راودته والحت عليه الحاحا (٢) .

وقد عمل الاستاذ البير اديب رئيسا للقسم العربي في الاذاعة اللبنانية او محطة راديو الشرق ، ومن خلال عمله هذا مكن عددا من كبار الادباء العرب ليخاطبوا الجماهير العربية . ويحدثنا الاستاذ وليم صعب في احد اعداد « الاديب » بان البير كان اول من اوجد برنامج الربع ساعة في الاذاعة العربية ، وبالرغم من ان الحرب العالمية الكبرى الثانية كانت في اوج احتدامها والفرنسيون في لبنان والانكليز في فلسطين فقد تمكن « اديب » و « نويهض » من العمل لمصلحة لبنان وفلسطين والعالم العربي باضفاء الروح الوطنية الاستقلالية المتحررة على الاذاعتين (يعني محطة راديو الشرق التي كان يشرف عليها البير اديب والاذاعة الفلسطينية التي كان يعمل فيها عجاج نويهض) .

ومن ذكريات البير اديب الطريفة التي رواها لجوزيف ابو زيد اثناء عمله في الاذاعة انه عندما تقدم وديع فرنسيس للامتحان في الغناء والموسيقى ، اعجب بصوته وقبله ، وسماه وديع الصافي لصفاء صوته ، فصار هذا اسمه الذي يعرفه كل من يعجب بغناء مطرب المطربين او وديع الصافي .

وكان لخطه القومي العربي الواضح ان اعتقلته السلطات الفرنسية اثناء الحرب العالمية الثانية وحددت اقامته ، وبعد عدة سنوات من هذا الحادث اسس مع كمال جنبلاط « الحزب التقدمي الاشتراكي » كما تم اختياره ليكون امين سر « كتلة التحرير الوطني » .

وفي الوقت الذي اصدر فيه مجلة « الاديب » كان يزمع انشاء دار كبرى للنشر تضم مجلة اسبوعية وجريدة يومية ومؤلفات اخرى ، ولكن قلة الورق اثناء الحرب بدد هذا الحلم . بيد ان صاحب الاديب وفق الى اصدار « كتاب الاديب » وهو عبارة عن سلسلة كتب كان فاتحتها الكتاب الذي صدر عن المعري في ذكراه ، وتلاه صدور مجموعة من الكتب المترجمة والمؤلفة مثل « سارق النار » لخليل هنداوي و « لا هوادة » لعمر فاخوري ، و «ديغول الاديب » تاليف جان غوليه ، وديوان «الواحة» لصلاح الاسير .

وهذه الكتب لم تكن تصدر دورية، فكتاب الاديب لا يلتزم بزمن معين يظهر فيه ، ولكن النشر مرتبط بوجود الكتاب الجيد ، وهكذا ساهم « كتاب الاديب » في نشر الثقافة والنهوض بالفكر وتوسيع دائرته .

والبير اديب رغم الصعاب الراعبة التي لاقاها ، والايام الغالبة التي غالبها ، شق طريقه ، وتبوأ مكانته العالية بين رجال عصره ، وعندما ضاقت به الحال باع مكتبته بسعر زهيد ليواصل العمل ، ويصدر مجلته ، ورجل الفكر قد لا يحزنه بيع ملابسه ، بقدر ما يؤلمه بيع كتبه وهي حياته الوجدانية ومصدر سعادته ، ورغم ضعف بصره لم يقيده اليأس ويشل حركته وهو القائل :

واما نحن
فلا خوف على اوكارنا
من شتاء او خريف
نبنيها في بقعة الرجاء
حجرها من اكبادنا وافئدتنا
وجبلتها من طين الاماني .

وبعد هذا الجهد الكبير ، كان لا بد من موقف كريم، وكلمة شكر وعرفان لصاحب الفضل ، فكانت حفلة التكريم التي اقامتها له الصحافة اللبنانية ونقابة محرري الصحافة اللبنانية ورابطة الشباب المثقف في بيروت في ١٨-١٢-١٩٦٩ لمناسبة مرور ثمانية وعشرين عاما على

صدور الاديب وسطوعه ، اشاد فيها كتاب العربية بأحد بناة نهضتها ، وهداة فكرها ، وقد شاركت مصر في هذا التكريم باشعار للاستاذ محمد عبد الغني حسن ودراسة للاستاذ انور الجندي وكلمات تحية وتقدير للاديب وديع فلسطين . وفي هذا الحفل الميمون علق الدكتور شارل رزق وسام الارز الوطني باسم رئيس الجمهورية على صدر البير اديب فأدت لبنان شيئا من دينها لهذا الرائد العظيم.

اما اهم اعمال الاستاذ البير الادبية فهي مجموعة من الشعر المنثور اطلق عليها « لمن ؟ » وهذه التسمية ماخوذة من قطعة داخل الكتاب تحمل نفس العنوان، وهذه المجموعة نشرها او نشر معظمها في مجلة الاديب في بداية ظهورها ، وصدرت عن دار المعارف بمصر في ٢٩ فبراير ١٩٥٢ مزينة بعدة رسوم من ريشة فنانة اسمها شهرزاد.

وهذا الشعر المنثور الذي تخلص من قاعدتي الشعر الاساسيتين الوزن والقافية عرفته الشعوب الشرقية قديما من سريان وعبرانيين ؛ وامتد هذا اللون من التعبير حتى كتبه عدد من شعرائنا في العصر الحديث .

و « لمن ؟ » تتآلف فيه الالفاظ في ديباجة صافية وتحلق في جو الخيال الشعري ، وتصور الاحاسيس وتلقي الضوء على حقائق النفس ، وقد كتبت بعبارة رقيقة شاعرية فيها عمق فلسفي ، ولا تخلو عباراته من تنغيم موسيقي ، او رنين قافية سرعان ما ينقطع بعد ان يكون قد ترك في الاذان رنينا وطربا ، وفي النفس حركة واثرا .

ومن خصائص هذه المجموعة انها تغري بالقراءة ، وتبعث على المتابعة ، وتغرس بذور الفضيلة والمحبة والمعرفة في المرء ، وتجمع في ثناياها اضطرابات النفس والخاطر ، وايحاءات العقل والخيال ، وتبرز ما في الانسان من تناقضات في طبيعته وسلوكه من لطف وجلال ووجد وارتداد وخسران وفوز ورجاء .

قد حظيت هذه المجموعة بشهرة واسعة ، وفضلا عما كتب عنها من تحليل لها واعجاب بها فان بعضها ترجم الى عدة لغات اجنبية لما اشتملت عليه من الصور الدقيقة، والمعاني الواسعة وقد قال الاستاذ الاسماعيل عامود عن « لمن ؟ » : « ان الرمزية التي اعتنق مذهبها البير اديب هي رمزية غامضة لدرجة العماء » ولا زلنا نرفض الرمزية الغامضة المعتمة ، ونقبل الاشارة لان فيها ابانة واثارة ذهنية ، ولا ننكر ان في هذه المجموعة بعض الصور الرمزية المبهمة ، ولكن ليست كلها كذلك ، فان صورا كثيرة منها مشرقة صافية ، واذا كانت « غامضة لدرجة العماء » فكيف ابانت وافصحت وافادت ؟ ثم كيف تبينها وهي عمياء ؟ بل كيف استوحاها وافاد منها ، حتى اشاد بها واثنى عليها .

يقول تحت عنوان « الذوق الفني » :

لا وجود للجمال او للقبح
كل شيء في هذه الحياة
وليد العادة
ويشتق منها
نحن نعتاد القبح
ونعتاد الجمال
فليس للقبح والجمال بعد الالفة
مقياس او فارق

ففي هذه القطعة يخلع على احساسنا بالجمال طابعا سلوكيا يتمثل في تعودنا رؤية هذا الشيء جميلا او قبيحا، فنحن لا نقرر ان هذا الشيء جميل او قبيح لانه كذلك ، ولكن لاننا تعودنا ان نراه هكذا ، او نعرفه من خلال مفهوم معين ، اي اننا اذا ادركنا في الاشياء ما يتماشى مع عاداتنا ، ويأتلف مع ما الفناه فهذا هو الجميل ، واذا لم يكن كذلك فهو النقيض . وهي فكرة لا تخلو من علو نظر .

فاذا سحبنا هذا المفهوم على التذوق الفني للموضوعات او الاشياء المعروضة للنظر ، نفينا منها ما يتعارض مع سلوكنا باعتباره قبيحا ندينه ، وقبلنا ما يساير وجهة نظرنا المسبقة والمستقرة او ما تعودناه جميلا فنزكيه ونقبل عليه ، ونقنع الاخرين به .

حتى اذا تكررت الصورة التي الفت نفوسنا ان تراها جميلة ، ووصل التكرير الى مرتبة الرتابة ، ودرجة الملل ، ولم تعد خطوطها والوانها تبعث الحركة فينا ، ولم تقدر ان تفرض جمالها على ادراكنا الحسي ، نراها ذابلة ذاوية ، وفي هذه الحالة يمضي تأثيرها علينا فيبحث ذوقنا الفني عن موضوع جديد ليتخلص من الرتابة التي ادركته والبلادة التي افقدته قدرته وقوته على الاحساس بالاشياء .

وتتفق نظرة البير اديب في هذه الحالة مع القائلين من فلاسفة « علم الجمال » بانه ليس للجمال اي تواجد طبيعي ، ويذهب بعد ذلك كل منهم في طريقه .

هذا نموذج من مجموعة « لمن ؟ » كل واحدة منها جاءت بنظرة معينة ، ودلالة محددة ، وهذه النظرات الكثيرة ، والدلالات الواضحة ابتدعت من نفس واحدة ، دارة جائدة . وكل قطعة منها تمثل الحالة الشعورية التي تولدت منها ، واختار لها من الالفاظ الموحية ما يناسبها ويتلاءم مع طبيعتها ، واهتدى الى الشكل الفني الذي يخرجها فيه حتى تصير اكثر عطاء وغناء وقد يكون بعضها ارفع من بعضها ، وهكذا الفنان . وقد نتفق او نختلف مع المؤلف في معانيه او نتائجه ، ولكننا في جميع الحالات نطالع صورا فنية للحياة والناس والطبيعة كما رآها ووقعت في نفسه ، او كما رواها وحدثنا بها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصوح الروض

*

.. وصوح الروض مذ جفت حميانا ... وابعد الياس ندمانا وادمانا
وشردت شملنا هوج الرياح الى ... ان خيم التيه .. مذ تاهت مطايانا
واظلم الكون من حولي فلا الق ... للعقل وعيا .. وللفنان اوزانا
وامحل العصر من اصفى الرجال فما ... في الناس تلقى (نعيميا وجبرانا)
وودع الادب العالي مهاجره ... وغيب الجهل نقادا وفنانا
وامعنت كل آفاق الوجود بنا ... هدما وذلا وتفريقا وحرمانا
وافلست كل نهضات الحمى وغدت ... كل القضايا اقاليما وادیانا
وامحلت كل ندوات البلاد على ... ما في محافلها خايلت فتيانا
حتى الربيع الذي ازهاره عبقت ... في العود ندا وفي الاوراق ريحانا
شاخ الجمال بها واصفر اخضرها ... واصبح الزهر اشواكا وبلانا
والوعتي .. خفتت اصداؤها ومضت ... تبكي العناري بها .. ارضا وشبانا
حلت بها عاديات الدهر وانقلبت ... اعراسها تندب الاموات فرسانا
تحول العز يأسا والحياة ردى ... والشدو دمعا ـ وطير الروض غربانا
تفرق العرب وانحطت روابطنا ... واصبح الناس تجارا وعبدانا
تاكلت ما به الاحقاد من ادب ... وعاد للجهل يبني مثلما كانا

سان باولو ـ البرازيل
ص.ب ٥٥٨٥

ـ فارس بطرس

بيانه حتى جعلها تتراءى امامنا في هذه الصور الاخاذة ، والمشاهد الجذابة .

وبعد فهذه كلمة موجزة ، وتحية هادئة . وجب علينا توجيهها من مصر الى مجلة « الاديب » الشامخة وصاحبها في هذه المناسبة الجليلة .

(١) كان يصدرها في مصر جورج طنوس في الفترة من ١٩١١ـ١٩٢٨ .

(٢) مجلة الرابطة عدد ١٢٨ الصادر في ٦ـ١٠ـ١٩٧٩ .

القاهرة — احمد حسين الطماوي

على غير العادة تطايرت خطوات (عامر) المرحة بين دروب الكفر وهو يتشبث برسالة انيقة وصلته توا من مجلة (الفن الرفيع) تعلن فيها وباختصار متكبر ان قصته التي وصلتها جيدة ونشرها وشيك ..

امسك بالرسالة شعر بتيه غريب يطيح بتلك الوداعة الخامدة التي عاشها سنوات فوق طريق الكفر الترابية ، وبعدها لم يعد له حديث الا عن القصة الجيدة ، والنشر الوشيك ، والخروج من تحت طيات طين يبتعد اميالا واميالا .

وقبل شروق الشمس في يوم صدور المجلة كان (عامر) يأخذطريقه في الظلام الى المحطة البعيدة ليستقبل قطار الصحافة واطياف من سطور الرسالة تلوح له ، وتظلل خاطره ، وتخفف في رحلته من عناء ووحدة .

وبعد الظهيرة يعود منكسا، وداخل عينيه الضيقتين يبدو اثرا لحطم ، ومع تكرار رحلة ما قبل الشروق تحولت الرسالة الى ضباب باردكذلك الذي يلف اكشاك المحطة في ظلام الفجر ..

واخيرا .. وبعد تفكير انكمش واستطال عزم على السفر الى المجلة ذاتها ، وهناك ادرك ببساطة ان زيارة واحدة لا تكفي .

ـ صباح الخير ..

ـ

ـ اظنك تتذكر قصتي التي وعد رئيس التحرير بنشرها في العدد الماضي ، ثم ارجأها للعدد المقبل .

ـ اي قصة تعني ، انني لا اكاد اتذكر .

ـ قصة « الاماني الذبيحة » التي بعثت بها للمجلة منذ ..

ـ شهرين على ما اظن ، أليس كذلك ؟

ـ بل منذ عام على ما اعتقد .

ـ شهرين ، عام ، كلها مسائل نسبية .

ـ معك حق ، ولكنني اظن انها ستنشر كما وعد رئيس التحرير في العدد المقبل ، الا ترى ذلك ؟

ـ السر في ذلك عند الله والسيد رئيس التحرير .

ـ ولكنك سكرتير التحرير ، وامام ناظريك وعدني رئيس التحريربنشرها بعد ان امتدح موضوعها ، وراقه اسلوبها .

ـ لم اقل لا ، ولكن اغراء الاعلان الذي يدفع يفوق الرغبة في نشر قصة تكلف مالا ، ولا يقرأها احد ..

ـ ولكن رغبتي في نشر قصتي ، لا اقصد بها ادنى مقابل .

ـ ربما تكن هذه رغبتك ، لكن للمجلة رغبات اخرى .

ـ ماذا تعني ؟

ـ اعني ان قصتك بكل الاسف لن تنشر في عدد المجلة المقبل ، الاوراق

الأماني الذبيحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم محمد السيد سالم

●

امامي تقول ذلك بوضوح .

ـ لماذا ؟

ـ السر كما قلت لك عند الله ، ورئيس التحرير .

ـ ما دام الامر كذلك ، هل يمكن ان تسمح لي بمقابلة رئيس التحرير .

ـ غدا ان امكن .

قصة

ـ ارجوك ان تدعني اقابله اليوم ، لانني كما تعلم اتي اليكم من بعيد وزيارتي لكم تكلفني الكثير ، وقد سبق ان شرحت لك كل شيء .

ـ قلوبنا معكم والله يرعاكم .

اخيرا ، وبعد انتظار ممض امام الباب الكبير الذي تكسوه القطيفة الخضراء ، ويعلوه مصباح انطفأ بعد ان ظل يلتهب باللون الاحمر قرابة ساعتين ، مما احال المكان حوله الى ارهاب خفي وسكون قاتم ، سمح له سكرتير التحرير باشارة من اصابعه بالدخول .

تحرك الشاب بلا همة نحو الباب الكبير وهو يحس بعظام قدميه تنصهر وبشيء يتقلص في عظام راسه وجوف صدره . وحين وصل الى الباب الذي ازدانت جوانبه بالزهور الصناعية الصفر احس بهيبة ثقيلة تظلله من كل الانحاء .

وبأصابعه النحيلة ، واصابعه الهامدة طرق الباب، وما زالت شفتاه تتمتمان بالبسملة والحوقلة وما تيسر له من آية الكرسي .

ـ تفضل .

انفتح الباب ، وبعد خطوات خالها اميالا توقف حين تلقى رئيس التحرير على حين غفلة رنينا من الهاتف الوردي المجاور ، وبمجرد ان رفع السماعة انبعثت القهقهات الداوية والكلمات المرحة الصاخبة تقض مضجع الهدوء الذي كان يسود المكان منذ لحظة واحدة ، وكتمثال حجري وقف الشاب في منتصف الحجرة وقد خنقته الحيرة وجمده الارتباك .

ـ لا يمكن لناني ان تغضب من شوكت سامي ، لا يمكن ابدا .

ـ

ـ لا انكر اننا اتفقنا في هذه الليلة الا يصدر عدد من المجلة دون ان يحمل صورة لك ، او على الاقل خبر عنك ، لا انكر ابدا .

ـ

ـ كيف تفكرين هكذا يا ناني ، وانت خير من يعلم ان شوكت سامي

هو الصحفي الوحيد الصادق مع نفسه ، والملتزم دائما بكلمته .

ـ

ـ انها الظروف يا ناني.. ولاشيء غيرها اقسم لك .

ـ

ـ ها ها .. الراقصات بالفعل كثيرات ، لكنهن مهما كثرن فليس في الاوساط كلها الا فنانة واحدة في الرقص .. ها ها .. اسمها ناني .

ـ

ـ وهل تجرؤين على مخاصمتي بعد كل هذا الدفاع يا ناني .

ـ

ـ اراهن انك لا تقدرين على هجراني ، لا تقدرين ابدا .

ـ

ـ اقسم لك ان شوكت سامي كما هو ، والدليل على ذلك انني ومنذ اسبوع واكثر اكتب خصيصا من اجلك عدة مقالات مثيرة بعنوان « ناني .. النغم الراقص » وقد اضطرني عتابك اليوم الى كشف هذا الخبر الذي كنت اوده مفاجأة لك .

ـ

ـ لا .. سوف ابدأ بالنشر ابتداء من العدد المقبل .. هاها .

ـ

ـ آه منك ايتها القطة الخبيثة .. ها ها ها .

امتقع وجه الشاب وهو يقف في حصار الموقف وقد التوت اصابعه في خفيه تحك في توتر باطن كفيه اللذين يغسلهما عرق لزج ، تبعثر في راسه كل الكلام الذي اعتنى كثيرا قبل ان يدخل برصه على لسانه وتنميقه واصبح في وقفته الباردة خليطا مشوشا بكل الالوان والظلال ، ضل تفكيره وصار يعدو باضطراب خلف الفم الذي يقهقه تحت الشارب الرفيع ويتسكع ببلادة داخل الغرفة الكبيرة الفاخرة التي يبدو فيها الثراء علامة في الستائر الحريرية المسدلة ، والمقاعد الوثيرة التي تتسمر حول المكتب الزجاجي الرائع كحراس خاشعين ، وجهاز التكييف الذي يئز في عذوبة ، ويخلق حوله نسمات رقيقة لا يحسها الا عاشق يتمدد على رمال بحر .

ـ بالطبع يا ناني سوف ازين المقالات بصورك الفاتنة ، واخبارك الملتهبة .

ـ

ـ غدا يا ناني سوف يكون عندك مصور خبير بالصور الفنية ، واللقطات المثيرة .

ـ

ـ ها ها .. سأوصيه يا ناني، ولو ان من يصورونك لا يحتاجون لوصية .. ها ها .

ـ

ـ لان آلات تصويرهم كما يقولون تعمل من تلقاء نفسها حين تراك يا ناني .. ها ها

ـ

ـ نعم بكل اسف قرات هذا المقال الذي هاجمك يا ناني في مجلة (ضوء الشمس)

ـ

ـ عزمت فعلا على رد الصاع صاعين لكاتب هذا المقال ، وبكل العنف الذي تعرفينه عني ، لكني بعد تفكير وجدته اتفه من ان يستحق نيل هذا الشرف ..

ـ

ـ انها ليست اكثر من جليطة ، ونفخة كاذبة لا تقدم ولا تؤخر .

ـ

ـ ليس هو وحده يا ناني ، هناك كثيرون غيره لا يعرفون غير قتل المواهب ولا يتقنون الا خنق كل تفتح جديد .

ـ

ـ بالطبع هو يدرك قبل غيره ان المواهب رغما عنه لا بد وان تفرض نفسها وتحقق في النهاية المعجزات ، التجارب دائما تثبت ذلك .

ـ ها .. ها .. الم اقل لك منذ عرفتك يا ناني انك لست رائعة في الرقص فحسب بل في التفكير ايضا؟

ـ

ـ هاهاها .. ولكنك تعلمين انني عند هذا الحد اغرق في شبر ماء ها ها .

انتفض الشاب وهو يشعر في ورطته برعشة تداهمه داخل ثيابه ، وتحت طيات جلده ، فالكلام منذ وقوفه فوق السجادة التي غاصت به لم ينقطع .

اراد الانسحاب ، لكنه لم يعرف كيف يتخلص من هذا المازق الذي بلل بالعرق كل جسده ، تململ في وقفته ادار وجهه كي يبدو على الاقل انه لا يسمع ما دام لا يرى ، احيانا يحدث ذلك . وعلى الفور ارتطمت انظاره المضطربة بلوحة كبيرة ملونة تحتل الحائط الايمن لفلاح يجلس وحيدا على حافة ترعة هادئة وهو ينفخ في ارغول ، وفي الخلف تتوارى من بعيد بيوت قرية وادعة تستقبل في سكون بوادر ليل رمادي ..

تأمل اللوحة ، انغمس بكيانه في خطوطها الناعمة ، وسرعان ما استلقى بخياله المكدود على حافة الترعة جوار امتداد الارغول ، وعيناه تسبحان عند السحاب الداكن الذي كان يحسه كرذاذ دمع حزين .

ـ الى اللقاء يا ناني ..

وضع السماعة مكانها وهو يغالب بقية ضحكة راحلة ، والتفت فراى الشاب متسمرا .

ـ تفضل بالجلوس يا اخ .

جلس الشاب على حافة الكرسي الوثير ، وعيناه في خفية تثقبان الفم المطبق والشارب الدقيق ، والوجه الوردي اللامع .

ـ هل من خدمة يمكن اؤديها لك .

ـ علمت ان قصتي ألتي ..

.. بتر رئيس التحرير باقي الحديث الذي يصدر في فحيح حين ابتسم في هدوء متزن ومد يده الناعمة لينزع (سيجارة) من علبة ذهبية تلوى بريقها على وجهه .

ـ اي قصة تعني ؟

ـ قصة (الاماني الذبيحة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حبي الغريب

رميت فاقصدت المرام مولعا ... وجربت نزع السهم لكن تمنعا

جذبتك يا خلي ولست بناثلي ... فليتك لم تفتح لسهمي موقعا

طريقة ابصاري لكل جميلة ... كما لو بها حقا تعلقت مولعا

انا يا خليلي لست اعشق مرة يظل شراع الحب عندي مشرعا

سواحل حبي لا حدود لافقها ... فكل شراع فيه يحتل موضعا

وأطري وأغري بالغرام سفائني ... لافخر دوما ان بشطي تهجعا

وكل اليف جئته لأودعا ... ينوح ويرجو ان احن وارجعا

انا كلما جاءت الي جديدة ... يصير فؤادي للالوف موسعا

واما تولت عن حياتي حبيبة ... اقاسي فراغا يعتريني مفجعا

فان كنت لا ترضى الفراق فمرحبا ... وإن ترضَ توجدلي بغيرك مطمعا

الرياض ـ السعودية

خالد مصباح مظلوم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبمجرد ان استقر الاسم في اسماعه تهللت اساريره من جديد ، وعادت قهقهاته تحيل المكان الى صخب ..

ـ او لم تجد عنوانا جنائزيا غير هذا العنوان لقصتك يا صديقي ؟

ـ لم اجد غيره مناسبا لقصتي التي سبق ان اعجبتك يا سيدي ، ولهذا ارسلت لي ..

ـ اعرف ما تقول ، وآه منكم ايها الادباء المتعجلون .

ـ سبق لك يا سيدي ان وعدتني بنشرها ، بنفس عنوانها .

ـ ورغم هذا يؤسفني ان ظروف المجلة لن تسمح بنشر قصتك قبل شهرين او ثلاثة على اقل تقدير ..

ـ سيدي ..

ـ مع الف سلامة ايها الاخ الاديب .. الف سلامة .

ومضى الشاب صامتا ، وكل جسده يرتعش بعاصفة بكاء صامت.

القاهرة

محمد السيد سالم



● المجد المنحوت ـ رواية ـ تاليف عبد الحميد الانشاصي ـ ١٧٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والشباب في عمان بالاردن ـ مطابع دار الشعب (؟)

● الشباب ، دراسات ولقاءات ـ تاليف احمد محمد جمال ـ مصمم الغلاف هشام ابو عودة ـ منشورات المكتبة الصغيرة في الرياض الكتاب رقم ٣١ ـ مطبعة الروضة في جدة بالسعودية .

● هذه بنزرت ـ تاليف رشيد الذوادي ـ ٢٤٠ صفحة ـ منشورات جمعية صيانة مدينة بنزرت ـ طبع الشركة التونسية لفنون الرسم بتونس .

● شجرة الحلم ـ شعر ـ حسين علي محمد ـ تقديم الدكتور علي عشري زايد ـ الاخراج الفني والرسوم لفتحي احمد ـ ٧٤ صفحة ـ سلسلة كتاب المواهب رقم ٢ ـ يصدرها قطاع الاداب الهيئة العامة للفنون والاداب ـ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة) .

● رستم كيلاني لمحات من حياته وادبه ـ اعداد صبري السيد ـ مصمم الغلاف والمشرف الفني وجدي عبد المنعم ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة العالمية بالقاهرة .

● المشي على الورق ـ تاليف بطرس حبيقة ـ ١٧٢ صفحة ـ مطبعة البولسية في جونية بلبنان .

● يوميات اكرم زعيتر : الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ ـ ٦٦٠ صفحة يضاف اليها مجموعة من الصور التذكارية ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت ـ سلسلة الدراسات رقم ٥٥ ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● معجم الاخطاء الشائعة ـ تاليف محمد العدناني ـ طبعة ثانية منقحة ـ ٣٦٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة لبنان ـ طبع في لبنان ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فتح القدس ـ تاليف عجاج نويهض ـ ٨٨ صفحة ـ منشورات فلسطين المحتلة ـ (لم يذكر اسم المطبعة ولا اين صدر) .

● بروتوكولات حكماء صهيون ـ تاليف عجاج نويهض ـ الطبعة الثانية ـ المجلد الاول ، الجزء الاول والجزء الثاني ـ ٣٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات فلسطين المحتلة ـ مطابع الكرمل الحديثة (؟) ـ (لم يذكر اين صدر) .

● بروتوكولات حكماء صهيون ـ تاليف عجاج نويهض ـ الطبعة الثانية ـ المجلد الثاني ، الجزء الثالث والجز الرابع ـ ٣٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات فلسطين المحتلة ـ (لم يذكر اسم المطبعة ولا اين صدر)

● الاطباق الطائرة ، حقيقة ام خيال ، تاليف الدكتور محمد عبده يماني ـ ١٩٢ صفحة ـ مزين بالرسوم واللوحات العلمية ـ حجم كبير ـ المطابع الاهلية للاوفست في الرياض بالسعودية .

● فتاة من حائل ـ رواية سعودية ـ تاليف الدكتور محمد عبده يماني ـ ٣٦٢ صفحة ـ حجم كبير ـ المطابع الاهلية للاوفست في الرياض بالسعودية .

● اليد السفلى ـ مجموعة قصصية ـ تاليف الدكتور محمد عبده يماني ـ ٣١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ المطابع الاهلية للاوفست في الرياض بالسعودية .

● مصطلحات للارصاد الجوية ـ اعدها مجمع اللغة العربية الاردني ـ شارك في وضعها الدكتور نعمان شحادة مدير الجامعة الاردنية والدكتور علي ابراهيم عنيدة مدير ادارة الارصاد الجوية ورفيق جميل شاكر مساعد مدير ادارة الارصاد الجوية ـ ٣٨ صفحة ـ ورفيق كبير ـ منشورات مجمع اللغة العربية الاردني ـ مطبعة شوقي معيدي في عمان بالاردن .

● ذكريات صحفية خلال ٥٠ سنة ـ تاليف فايق الخوري ـ ٢١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ

● قصائد حب وغضب ـ شعر ـ ابراهيم ياسين ـ تصميم الغلاف جادو احمد ـ الخطاط : حليم ـ ٩٦ صفحة ـ مطبعة الاحسان بدمشق

● قصص عربية واساطير عجيبة ـ تاليف الدكتور داهش ـ ٢٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ دار النشر المخلق للطباعة والنشر في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● يوميات الخليل سنة ١٣٦٣ للهجرة ـ بقلم خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي ١٨٩٥ ـ ١٩٥٩ ـ شرح المخطوطة وحققها وقدم لها عدنان مردم بك ـ ٢٣٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● المسرح الرومي ، مأساة الحلاج : دراسة تحليلية لمسرحية الحلاج للشاعر المسرحي عدنان مردم بك ـ تاليف علي المصري ـ ١٦٤ صفحة ـ منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● صفحات من تاريخ الاسلام والمسلمين في بلاد السوفيات ـ تاليف الشيخ طه الولي ـ ٢٧٢ صفحة ـ مع عدة صور ـ حجم كبير ـ منشورات دار الفكر الجديد ببيروت ـ مطابع شركة تكنوبرس الحديثة لبنان .

● من اجلها ـ مجموعة شعرية ـ سلمان هادي الطعمة ـ ١١٠ صفحات ـ حجم كبير ـ ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعه ـ مطبعة الارشاد في بغداد .

● سفر الجنون ـ مجموعة شعرية ـ عبد اللطيف المسلاتي ـ الغلاف والرسوم الداخلية للفنان جمعة الترهوني ـ ٩٠ صفحة ـ منشورات المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية .

● فيلسوف ـ تاليف محمد حسن فقي ـ اللوحات والغلاف من اعداد بيار صادق ـ ٨٢ صفحة ـ سلسلة المكتبة الصغيرة رقم ٣٢ ـ مطابع الروضة في جدة السعودية .

● رباعياتي ـ شعر ـ محمد سعيد العامودي ـ تقديم عبد العزيز الرفاعي ـ الغلاف واللوحات من اعداد هشام ابو عودة ـ ١١٤ صفحة ـ السلسلة الشعرية رقم ٣ ـ مطابع الروضة في جدة السعودية .

● كشاف ببيلوغرافي لمجلة الدارة من ربيع اول ١٣٩٥ حتى رجب ١٤٠٠ الموافق من مارس ١٩٧٥ حتى يونيه ١٩٨٠ ـ اعداد دارة الملك عبد العزيز بالرياض ـ ١٢٤ صفحة ـ وقسم باللغة الانجليزية في ١٨ صفحة ـ مطابع واعلانات الشريف بالرياض.

● الكتاب العربي في لبنان ـ منشورات جديدة ١٩٨٠ ـ اعداد النادي الثقافي العربي في بيروت ـ ٢١٢ صفحة ـ صدر في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيبقى الضوء مشعاً على منارة الأديب

بقلم الدكتور فوزي عطوي

★

لاول مرة ، منذ اربعين عاما ، تصدر « الاديب » من غير مكاتب «الاديب» !

فما كادت اسرة هذه المجلة التي حملت عن الامة العربية هموم ثقافتها وحضارتها تحتفل بالعيد الاربعين لصدورها ، حتى قهرتها ارادة المؤامرة الكبرى التي تحاك ضد لبنان ، على ان تجد نفسها ، بين ليلة وضحاها ، مهجرة من احب الرحاب اليها ، بعد ان تمادى القصف العشوائي من كل مكان ، على حدود التماس بين منطقتي بيروت الذبيح ، فكان نصيب مكتب منشئها ومنزله : قنابل وشظايا ورصاص قنص بالعشرات والمئات ، وكان نصيب مجموع الوثائق والرسائل الادبية الخاصة بمنشىء « الاديب » التعرض ليد التناثر والضياع .

واذا كانت الشدائد هي محك ارادة الرجال، فاشهد صادقا انني لم ار اصلب من البير اديب ارادة ، ولا اشد منه عودا ، ولا اصدق منه عزيمة على مواصلة الكفاح ، من اي موقع الفى نفسه فيه ، وهو الذي لم ترهبه حراب السنغاليين ايام الانتداب ، ولا اضعفت نفسه مغريات المتسلطين على شعبه ، ولا فت في عضده ظلام السجون ، ولا اغرته بهارج الدنيا بكل المناصب والمراتب ، على سمو ما بلغه من المناصب والمراتب .

عندما هرعت بمعية معالي الصديق الاستاذ اكرم زعيتر الى منزل الاستاذة الجامعية ندى البير اديب ، في منطقة الحمراء ، لمعانقته وتهنئته والسيدة الفاضلة زوجته بنجاتهما من الموت المحقق الذي بقي يحوم حولهما طوال عشرة ايام ، وهما يعانيان ذروة ما يعانيه انسان يضطر للنوم ، جالسا على كرسي ، في زاوية غير آمنة من زوايا المنزل ، ويكتفي من الغذاء بكسر من « التوست » بعد ان سدت في وجهه كل سبل الامن والحصول على الطعام ، اقبل علينا البير اديب اقباله على ابن حبيب له ، وقال وهو يختنق في عينيه دموع كبريائه الجريح :

ـ اخيرا ! استطعت ان اراكم ! ولكن .. واحسرتاه، لقد ضاعت « الاديب » .. لقد ضاعت « الاديب » !

ولاول مرة في تاريخ علاقتي البنوية بهذا الانسان الكبير الذي يخمل على منكبيه هموم خمسة وسبعين عاما من عمره المديد ، اصرخ في وجهه ، وقد اجتاحني انفعال شديد :

ـ اتسأل عن « الاديب » ، وقد تهدم بيتك ، وكدت تفقد حياتك وحياة زوجتك وابنتك هدى وكدت تخسر اسرتك وكل احبائك ؟

فقال في هدوئه وحزنه وشفافية نفسه :

ـ لكن خسارتي تكون اعظم الخسارة ان فقدت اسرتي الكبرى ، على امتداد الوطن العربي الكبير ، وفي كل مكان على وجه الارض يلسن فيه انسان بلغة الضاد ، « فالاديب » بيتي و « الاديب » مكتبي ، وكتاب «الاديب» وقراؤها اسرتي ، فاذا ضاعت « الاديب » كان ذلك هو الضياع الاكبر !

وقلت له ، وقد استعدت بعض هدوئي :

ـ ان الذي استطاع ان يصدر « الاديب » ، وان يعنى بكل صغيرة وكبيرة من شؤونها ، وان يحفظ لها مستوى فكريا رفيعا طوال اربعين عاما من الزمان ، لايعجز عن استئناف المسيرة ، رغم الظرف القاسي الذي تمر به والذي لا يستطيع احد ، مهما تكن عاطفته ، ان يخفف عنك بعض غلوائه او ان يشاطرك بعض معاناته !

وقال البير اديب : « وهذا ، بالتحديد ، ما عقدت العزم عليه » . وقد صح عزم الرجل ، وها هو العدد الجديد الذي اجيز لنفسي بتسميته « العدد الاول » ، بعد التجربة القاسية التي اودت بكل ما يملكه البير اديب من منزل ومكتب ، ولكنها عجزت عن المساس بشموخه ، وصلابته ، وكرامة نفسه .

اما وهذه هي الخطوط العريضة التي ترسم جوانب ضئيلة من التجربة ـ المأساة التي تمر بها « الاديب » منشئا، واسرة، ومجلة صامدة صابرة مصرة على الاستمرار لئلا يقال ان المدافع استطاعت ان تخرس الاقلام في لبنان، ولئلا يقال ان الكلمة لم تقو على المضي في تحدي ارادة البنادق ، فقد بقي ان نشرك في همنا جميع الاصدقاء والاحباء المعنيين « بالاديب » والحريصين مثلنا على مواصلة مسيرتها الثقافية الحرة ، في وقت يثور التساؤل فيه عن مدى خطورة الازمة الثقافية في دنيا العرب .

ان كتاب « الاديب » ، وشعراءها ، وقراءها ، ومشتركيها من افراد ومؤسسات ، مدعوون جميعا ، وبكل صراحة وصدق ومن دون ادنى مواربة او تعمية ، الى ابداء الراي فضلا عن اسداء المعونة ، في الاسلوب الشريف

الكفيل بالابقاء على مجلة « الاديب » منبرا ثقافيا حرا، غير مرتهن لجهة سياسية، وغير مرتبط بالتزامات عقائدية، عدا الالتزام الحر بكل المعاني السامية التي يمليها ايماننا بالاديان السماوية السمحاء ، وبالاخلاق الكريمة التي ارسى الرسول العربي الكريم ، صلوات الله عليه ، كل مدلولاتها وقيمها عندما اكد للناس ان بعثته اليهم كانت من اجل اتمام مكارم الاخلاق .

و « الاديب » تعرف انها تقف اليوم ، وفي ظروف بالغة الصعوبة ، وقفة غير متكافئة في سوق المنافسة التجارية مع معظم المجلات الثقافية ، وعلى الخصوص تلك المجلات التي يقل ثمن بيع العدد الواحد منها عن سعر الكلفة لانها مدعمة من وزارات ومؤسسات حكومية قادرة على الانفاق عن سعة ، وعلى تحمل الخسارة المادية بهدف الاسهام في النهضة الثقافية المعاصرة .

وتعرف « الاديب » ايضا ان المنافسة غير المتكافئة لا تقتصر على ناحية الدعم المادي الحكومي ، بل تتعداه الى الموارد المشروعة التي تقوم عليها كل مجلة ، ورغم ان امتياز اصدار مجلة « الاديب » هو امتياز سياسي وثقافي معا ، الامر الذي كان يكفل لها عددا ضخما من الاعلانات التجارية لو ان موادها تعنى بالشأن السياسي ، فان البير اديب ، انسجاما منه مع الرسالة الثقافية التي اخذ على نفسه عهد النهوض بها ، منذ ان كان فتى في عمر الاماليد يراسل الصحف من السودان والقاهرة وبيروت ، الى ان اصدر مجلته الرائدة ، لم يرض « للاديب » ان تنحرف عن المسار الثقافي ، بعد ان كان من امر السياسة في دنيانا العربية ما كان ، وهذا ما يفسر اقتصار مواردها الاعلانية على اعلان واحد ، او على اعلانين في احسن الاحوال .

لكن « الاديب » تعرف انها ، في مجال المنافسة الادبية ، تحرز قصب السباق ، لا انتقاصا من الزميلات العربيات على امتداد الدنيا العربية ، وانما اعتزازا بصداقاتها الادبية التي كفلت لها استقطاب غالبية الاقلام المعاصرة التي لم يحجب ثمراتها الطيبة عن « الاديب » كل الاغراءات المادية التي تقدمها وسائل الاعلام الاخرى ، رغم ان « الاديب » لا تدفع ، ولا تستطيع ان تدفع مكافآت ولو رمزية عن ثمرات اقلام كتابها وشعرائها . واني لعلى يقين ، وبما اعرفه من غيرة البير اديب وحماسته لحملة الاقلام ، بأن « الاديب » كانت وستظل تطمح الى يوم تستطيع فيه ان تسهم في تأمين المستوى المادي اللائق للمفكرين الذين امنوا للادب المعاصر مستواه اللائق .

ولعلي اسيغ لنفسي ان ادلي بدلوي ، فيما ارتقب من اسهامات الزملاء والاصدقاء الغيارى على « الاديب » فأتصور ان الاقتراح الذي كنت كتبته منذ عشر سنوات في جريدة « الحياة » اللبنانية (ونقلته الاديب في حينه) ودعوت فيه الى تحويل مجلة « الاديب » من اطار الجهد الفردي الى اطار العمل المؤسسي ، ما يزال في نظري هو



الاقتراح الاكثر ملاءمة ، وفي الظروف الحاضرة على وجه الخصوص .

واذا قبل البير اديب بهذا الاقتراح ، يكون قد احتفظ بحقوقه المادية في امتياز « الاديب » (وهو كما قدمنا امتياز سياسي ثقافي) وهذا اقل ما يستحقه موظف من مرتبات تقاعدية عندما يبلغ الثالثة والستين من عمره ، فكيف بالبير اديب الشاعر والكاتب والوطني المكافح الذي لا يعترف بعمر تقاعدي ، رغم ما يعتري بصره من ضعف، وما يتحمله باستمرار من خسائر مادية فادحة اضطرته ذات يوم ، الى بيع مكتبته الثمينة من ادارة الجامعة الاميركية في بيروت ، لاقالة عثرة مجلة « الاديب » .

لكنه ، بالمقابل ، يكون قد خفف من مرهقات العمل اليومي المضني ، واكتفى بالاشراف العام على المجلة ، وخفف بالتالي من مرهقات التكاليف الطباعية الباهظة التي تركض صعودا ، اذ يشاركه في تحمل هذه التكاليف من يقبل على المساهمة في المسؤولية المؤسسية المشتركة، وان كنت اعرف سلفا ان البير اديب لن يستطيع الاكتفاء بالاشراف العام ، حرصا منه على فعالية العمل الفردي ، لانه يردد امامي على الدوام قول احد علماء الادارة ، على سبيل التظرف : « ان افضل اللجان هي اللجنة المكونة من شخص واحد » !

ولعلي اتصور ـ على رغم صعوبة التحقيق ـ امكانية التدعيم الرسمي اللبناني لهذه المجلة ، من غير ان يحول ذلك دون تدعيم سائر المجلات الثقافية الاخرى ، لكن الظروف اللبنانية الراهنة تجعلني اتصور ، بواقعية اكثر ، امكانية التدعيم الرسمي العربي لمجلة « الاديب » التي لم يعرف المفكرون العرب سفيرة انصع منها وجها او انظف منها يدا ، او اصفى منها فؤادا ، لتمتين الاواصر فيما بينهم ، وتوثيق عرى التعاون فيما بين اقطارهم .

ولعلي اتصور ايضا ، امكانية زيادة الاقبال على الاشتراك في المجلة ، والاعلان فيها ، ومناصرتها المادية والمعنوية ، وايصال صوتها الى كل قارىء عربي ، فالميزانية الشهرية او السنوية التي يطلب رصدها لشراء «الاديب»

أهكذا ؟



اهكذا يا حبها ترحل ؟ تتركني وحدي ولا تحفل
تغادر الجرح على نزفه ؟ بقسوة تمشي ولا تسأل
تمر قربي دونما لفتة ؟ ونار وجدي لم تزل تشعل
يا حسرة الماضي . وازهاره في جنة الاحلام هل تذبل
اعوامنا مرت بآمالنا نبني قصورا حسنها مذهل
اهكذا في لحظة تنطوي كل حكايانا ولا تخجل
نجومنا كم نورت افقنا اهكذا نجومنا تأفل
آمالنا كانت كاعمارنا اهكذا الآمال تستاهل
يا حبها يا عالما خالدا اجواؤه الاجمل فالاجمل
زرعت في روحي رياض الهوى جذورها في اعظمي توغل
فجرت في عمقي عيون المنى ينساب منها جدول جدول
ما كان في الحسبان يا واحتي ان تتركيني من دمي انهل
ما كان في ظني ان تقتربي مني كاني عابر مهمل
ان كان هذا منتهى حبنا فلتسقط الدنيا وما تحمل

الجفر ـ السعودية

علي دمر

لا تتجاوز على الاطلاق ثمن كيلو واحد من التفاح ، في الشهر الواحد !

هل اردد هنا ما كنت اؤكد عليه ، على الدوام ، فاذكر بأن هذه الامة لا تستطيع الى النهوض سبيلا ، ما لم يرصد افرادها في ميزانيتهم للكتب والمجلات الفكرية مثل ما يرصدونه للطعام والشراب ، وما لم تصبح في كل بيت مكتبة لا تقل اهمية عن مطبخه ؟!

وبعد ، فان البير اديب ، وقد خسر كل شيء سوى قلمه وكرامته ، مصر على مواصلة القتال من اجل بقاء « الاديب » ، سفارة للعرب ، ومنتدى لفكرهم ، وواحة لشعرهم ، ومرآة لنهضتهم وحضارتهم .

فهل نقاتل مع البير اديب ؟

ام نتخلى عنه ، ونحن في اشد الحاجة الى ابقاء الضوء مشعا على منارته ؟

اما نحن ، اسرة « الاديب » فقد قررنا ان نقاتل مع البير اديب حتى النهاية !

لقد قررنا لمجلة « الاديب » ان تبقى منارة للفكر والعرفان !

فوزي عطوي



الدكتور محمد رجب البيومي

شذور عن ابراهيم بن أدهم

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

حبب الي ان اكتب عن ابراهيم بن ادهم معنى قوي في حياته ، اذ ان هذا المتصوف الذائع الاسم القوي الهيبة ، لم يكن يفهم من التصوف غير ما يفهم المؤمن الباسل المكافح ، فهو ان اعتزل النعمة والامارة زهدا عن مغريات الابهة والنعيم ، فلم يعتزل الكفاح اللاغب في ميدانه الاحمر الرهيب ، اذ راى ان يكون جنديا غازيا في سبيل الله ، وقد جاءت شهادته في معركة الجهاد دليلا على ان التصوف الحق هو التصوف الايجابي الذي يقتحم اللجج ، ويخوض الغمرات دفاعا عن المبدأ ، ونصرة للحق وليس هو التصوف الانسحابي الذي يرى الانزواء والتواكل سبيل الولاية والانجذاب فذلك ما يبرأ منه من اشربوا روح اسلام وادركوا الخالص الاصيل من لبابه الصادق !

وها أنذا ابسط الحديث عنه مجاهدا مكافحا ، وعاملا اجيرا ، وشهيدا مطهرا من هؤلاء الذين يستبشرون بنعمة من الله وفضل اذ صاروا احياء عند ربهم يرزقون.

روت كتب المتصوفة عن ابراهيم بن ادهم اسطورة جذابة ، فقد جعلته اميرا من اعرق بيوت الملك بفارس تحيط به ابهة السلطان وجلال التاج ، ويسير في موكب فخم وحوله الفرسان والحراس ، وقد اشتغل بمباهجه وملاهيه عن شؤون الملك ومشاغله ، فما تفقد كتيبة زاحفة وما اسكن ثورة هائجة ، بل كان يتقلد سيفه ويهيىء اقواسه ونباله ويركب جياده السريعة ، ثم يتوغل في البيداء الشاسعة ، ليصارع الآرام والوعول ويتعقب الثعالب والوحوش ، فاذا اتعبه الصيد واضناه الكر والهجوم ، نصبت له خيمة مطرزة ، وتجمع حوله اصدقاؤه وندمانه ، فسمعوا اعذب الالحان ورقصت امامهم القيان حتى اذا قضوا اربا من الراحة والمتعة رجعوا الى « بلخ » في موكب حاشد وجمع عظيم .

وشاءت الاسطورة ان تقول انه خرج يوم جمعة الى الصيد ، وحوله حاشيته في يوم مجموع له الناس ، وكان مؤذن الجمعة ينادي الى الصلاة ، فما اهتم بفريضة ربه ومضى الى ملاعبه يترنح فوق جواده ، والناس يتهامسون في غضب عن هذا الخليع الماجن الذي يجيب داعي الشيطان في وقت تتفتح فيه ابواب الرحمة في السماء ، ويمضي الفارس الى صيده فيصرع الظباء ويتوغل في الغابات متحرشا بوعوله ويعافيره ، حتى اذا بلغ منه الجهد مبلغه ركن الى صخرة عالية فجلس يستريح منفردا عن اصحابه، واذا هاتف يملأ عليه سمعه وينابيه : « يا ابراهيم ما لهذا خلقت . يا ابراهيم ما بهذا امرت ... افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون » ثم ينقطع الهتاف وقد تغلغل صداه في اعماق الامير الفارس فغير مجرى حياته تغييرا حاسما ، وحول افكاره من طريق الى طريق، فرجع الى حاشيته منكسرا ذليلا ، وودع رفاقه توديعا حارا ، وهام على وجهه يضرب في فجاج الارض وتتقاذفه المطارح النائية ، ووجد راعيا للغنم فخلع عليه حلته الجميلة وقد رصعت بخالص الذهب ، وزينت بأنضر اليواقيت ، واخذ منه كساءه الصوفي الخشن ، وعصاه الخشبية الطويلة ومضى يطوف بالارض زاهدا متورعا ، فحج البيت الحرام ، وطوف بالعراق والشام ، والقى مواعظه الدينية المؤثرة ، وصحب الائمة من الفقهاء والعلماء حتى وافاه الاجل وقد بلغ من الورع والتصوف والمحبة مبلغا يضعه في قمة الزهاد وذروة الناسكين .

تقول كتب المتصوفة هذه الاسطورة ، وينلقها كاتب عن كاتب مضيفا اليها ما يسمح به خياله من تهاويل ، وقد يستعين بأبيات شعرية يزعم ان ابراهيم قراها على جدار او قبر او نظمها في سكرة هيام ، ويجيء المستشرقون فيبحثون هذه الاسطورة ويتساءلون ، هل كان لعائلة ادهم سلطان في امارة بلخ ؟ وهل عرف تاريخ الفرس احدا من ملوك هذه العائلة سواء « ببلخ » ام غيرها من المقاطعات .

فاذا صمت التاريخ عن الاجابة الشافية حكموا ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه الاسطورة قد صيغت على منوال قصة « بوذا » اذ فر من سلطانه وترك الامارة والقصر لينشر مذهبا ويملأ قلوبا، ثم يتوسعون في ذلك فيعقدون صلة وثيقة بين التصوف الاسلامي والتصوف الهندي، ويردون كل زهد في الاسلام الى عناصر اجنبية طرأت عليه وأثرت فيه دون ان يكون منبعها الاصيل كتاب الله وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم .

ويمضون في طريقتهم الى ابعد مدى فيقرنون الشبيه بالشبيه، ويلائمون بين تنسك « بوذا » الهندي وعزلة ابراهيم الفارسي .

ولئن ثبت للباحث في تاريخ المتصوفين تأثر بعضهم بمذاهب صوفية لا تنبع من الاسلام ولا تتصل بأسبابه في شيء فان هذا البعض لا ينتمي اليه ابن ادهم في قليل او كثير ، فقد كان بعيدا عن احوال الجذب والتواجد والهيام ، ولم يتطرق الى البحوث النظرية كما فعل الحلاج والسهروردي وابن عربي بل كان تصوفه زهدا خالصا يترسم فيه مبادىء الاسلام ؛ فهو يتمسك بالنصوص القرآنية ويروي الاحاديث النبوية ، ويصدر تعاليمه لمريديه في نطاق قرآني تدعو اليه الفطرة الاسلامية وتتقبله العقول في غير عناء كبير .

اما نشأة ابراهيم فيمكننا بمراجعة الروايات المختلفة في تاريخه وترجيح ما تقوم عليه الادلة الوثيقة ان نجزم بأنه عربي قح ، نشأ في سلالة عربية خالصة ، فحين زحفت الجيوش الاسلامية في فتر متعاقبة الى خراسان وتم فتحها على يد الاحنف بن قيس ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ، اخذت الاسر العربية تنزح الى هذا الاقليم الخصيب ، وتنشر بذراريها في بلاد ما وراء النهر ، ومن هذه الاسر الكثيرة اسرة الصوفي الزاهد ابراهيم بن ادهم بن منظور بن زيد بن جابر التميمي العجلي ، فقد نزح اجداده الى بلخ في وقت يتعذر تحديده ووجدوا من رخاء العيش ما مكن لهم في الثروة فرزقوا نصيبا موفورا من المال ، ونشأ ابناؤهم نشأة مترفة ناعمة فوجدوا القصور والضياع والعبيد ، وغمروا انفسهم بالمتاع والبهجة ، وكان والد ابراهيم رغم ثرائه الواسع صالحا خيرا يتبع العباد والزهاد ويحج البيت الحرام في اكثر الاعوام ، وقد اورث فتاه ابراهيم مالا طائلا وجاها مديدا فترعرع في افياء النعيم ، وصحب مطارف البهجة في شبابه ، ثم اذن الله له بالفوز فطاف عليه طائف من تنسك والده وتقواه ، ثم اتسع في زهده شيئا فشيئا حتى تيقن ان المال ظل زائل ومشغلة للنفس ، فعزف عن بريقه الخادع ، واحتقر ما يغرق فيه من متعة وجاه ، ثم تجرد عن الزينة والزخرف بعد ان فكر ودبر ، واستأذن اباه في الرحيل عن خراسان الى العراق ، وكانت اشواقه تدفعه الى مكة مهبط الرسالة فترك العراق الى ام القرى ووجد بها كثيرا من ائمة الفقه والحديث والتصوف ، فاصطحب الفضيل بن عياض وسفيان الثوري ومالك بن دينار وغيرهم ممن لقيهم في رحلاته الكثيرة حتى امتلأت نفسه اطمئنانا وسكينة ، وافعم قلبه نورا وعرفانا .

ولم يكن ابراهيم بدعا في تنسكه ، فقد كان معاصره شقيق البلخي ذا دنيا واسعة وجاه عريض ، فاعتزل الثروة والضياع وتكلم في التصوف والزهد وكان احدهما اقتدى بصاحبه ، وهما من بلدة واحدة ، فسار على منواله مما يعز وجوده بين ارباب الثراء .

ولقد كان لابراهيم رسالة خالدة تكشف حقيقة الزهد وتقربه مثالا ملموسا للجميع ، فقد زهد زهدا خالصا فيما يملك ، ولم يكن كهؤلاء الذين يتظاهرون بالورع ولو برقت لهم الحياة بشعاع كاذب لاندفعوا في تيارها الخادع .

وقد كان من تمام رسالته ان يأكل من عمل يده ، فلا يدع نفسه عالة على عشاقه ومريديه ، وقد اشتغل بستانيا اجيرا يكدح يومه الطويل ليقتات من طريق حميد، وهنا يظهر تأثره بتعاليم الاسلام ، فهو دين عملي ينبذ التواكل ، وليست فيه رهبنة تدفع صاحبها الى العزوف والانطواء لذلك نجد ابن ادهم يتشدد في تحري المكاسب والمآكل ويرسل وصاياه الكثيرة فيقول : « اطب مطعمك ولا عليك الا تقوم الليل او تصوم النهار » ، كما كان يرفض رفضا باتا اية هدية تقدم اليه لما يندرج تحتها من معاني التواكل والخنوع ، ولو فهم الناس الزهد كما فهمه ابراهيم لعطف الغني على الفقير بما يزيد عن حاجته ، ولاجتهد الفقير في تحصيل رزقه دون ان يمد يده لانسان، وبذلك يستشعر معاني العزة والكرامة ويعيش في ملأه عالي الراس مرتاح الضمير .

وقد تنبه الى ما انتشر لدى المتواكلين من انقطاع للعبادة وانتظار للعطاء ، فعد ذلك تسولا سافرا تنأى عنه الرجولة ويمقته الاسلام ، فقال : « المسألة مسألتان: مسألة على ابواب الناس ، ومسألة يقول الرجل فيها الزم المسجد وأصلي وأصوم وأعبد الله ، فمن جاءني بشيء قبلته ؛ فهذه شر المسألتين » ، وهذه النصيحة الحازمة تفضح هؤلاء المترهبين في دين لا يعرف الرهبنة ، فهم شر من المتسولين لانهم يسترون تسولهم البغيض بستار من التبتل والعبادة ، مع ان الاسلام يرى في سعي المؤمن لرزقه من طريق الحق عبادة خالصة يكافأ عليها بالمثوبة عند الله، ولن يضير المسلم ان يكون فقيرا كادحا ، وانما يضيره ان يتصيد المال دون جهد يبذل او سعي يتاح ، ونحن لا ندعو غنيا الى اعتزال ماله كما فعل ابن ادهم ، ولكننا نتخذه مثلا لقوة الارادة وكبت الاهواء وخذلان النفس في مضمار عنيف تتجاذبه المطامع والمغريات ، كما يصور لنا هوان المال وضعته لدى النفوس النبيلة ، فلا تتكالب عليه في عنف او تبخل بحق الله فيه ، ومن يدري لعل ابن ادهم قد تخلص من ثروته لوجود شبهة في عقله ، من طريقة

أوقدت روحي

عفوا ، انا ما خنت عهد حبائبي ... حتى تموت براحتيك رغائبي
اغريت افلاكي ببدر راقص ... في حقلك الزاهي برفق ترائبي
كم ذا اداري البين منك بادمع ... حرى ، تذيب الثلج بين ذوائبي
اشكو اليك الاين يرقص في النهى ... لما جعلت الحزن طي حقائبي
اودعت نفسي في يديك ، فقدتها ... للتيه في بيداء ذات نوائب
والصبح في عينيك ضم قصائدي ... وانا عيوني غابة لشوائب

* * *

اوقدت روحي في صراطك راضيا ... يا قاتلي .. بل يا الذ مصائبي
خذ خافقي نغما لقلبك ، انه ... من دون همسك هائم بخرائب
فالنبض فيه غدا يرتل آهة ... في عمرك اللاهي بعمري الذائب
يا منتهاي ، وسدرة الخلد ، التي ... اسري لها ببراق شوق لاهب
ان كان زهر عواطفي متوهجا ... فالنار تلبسني كثوب سائب
او تفتقدني بالنداء ، فانني ... ارنو اليك ، ولست عنك بغائب
لا غادر الاصباح وجهك في الورى ... يا ذابحا نجمي وشوق ركائبي

مراكش ـ المدينة ـ المغرب
ص.ب (٤٦١)

احمد بلحاج آيت وارهام

جمعه ، فحسم الشك باليقين .

ولم يطل مقام ابراهيم بمكة فارتحل ثانية الى العراق وقابل ابا جعفر المنصور ببغداد ووعظه في غلظة ، ثم توجه الى الشام واتخذها موطنا دائما ، ولكن لواعج الحنين كانت تعصف به الى موطنه بخراسان ، فيسائل اصحابه عن بلخ ويرحب بمن يفد اليه من فارس ، وما زالت الاوطان مألف القلوب اذا شط المزار .

كانت اقامة ابن ادهم بالشام خيرا وبركة على اهل مدينة صور ، فقد خالطهم وصادقهم واندمج في مجتمعهم يشير بالراي ويقدم النصيحة وينبسط اليهم في شؤون الحياة، حتى جن به العامة وعظموه تعظيما كبيرا ، ورووا عنه الكرامات الكثيرة ! وهي في كثرتها الزائدة تدل على سمو قدره ، وارتفاع اوجه ، ونحن حين نروي احداها كنموذج مفرد لا نؤكد وقوعها الجازم ، بل نستدل بها على مكانة صاحبها في القلوب ومنزلته بين الناس .

حكى ابن عساكر عن بعض رواته قال : بينما انا ببلخ اذا شيخ وقور حسن الطلعة جميل الهيئة اخذ منظره بقلبه فدعوته الى الطعام فاتى فقلت له من اين اقبلت قال: من وراء النهر ، قلت واين تريد ، قال الحج ، قلت أفي هذا الوقت ؟ وكان اول ايام ذي الحجة ، فقال : يفعل الله ما يشاء ! فقلت الصحبة ، فقال ان احببت فموعدك الليل ، فلما جاء الليل قدم الي وقال قم باسم الله، فأخذت ثياب سفري وقمنا نمشي كأنما الارض تجذب من تحتنا، ونحن نمر على البلدان ويقول هذه مدينة كذا ، وتلك مدينة كذا ، فاذا كان الصباح فارقني وقال موعدك الليل فاذا جاء الظلام عاد وفعل مثل ذلك حتى انتهينا الى مدينة الرسول ثم سرنا الى مكة فجئناها ليلا وقضينا الحج مع الناس !! ثم رجع الى الشام في امد يقصر عن مدة ذهابه! وانا اتعجب له .

هذا ـ وقد كان الاوزاعي امام اهل الشام يكبر ابراهيم ويشيد بلباقته ويعجب باندماجه في قومه وخبرته النفوس ودعوته الى الله بالحكمة والقدوة ، فهو المثل الحميد لصاحب الورع في الاسلام ، وقد كان حبه لله حبا اسلاميا خالصا يبرا مما اختلط بالتصوف بعد ذلك من مذاهب فلسفية حلولية واتحادية ، فهو شبيه في زهده وعبادته بالحس البصري ورابعة العدوية واضرابهما ممن خلص لهم الزهد الاسلامي خلوصا طاهرا ، فطريقتهم الى الله كتابه الواضح وهدي نبيه الكريم .

وكان ختام حياته مقطعا رائعا لجهاده الكريم ، فقد اغار الروم على بعض الثغور الاسلامية فحمل سيفه وارتحل الى الميدان ، ذائدا عن ممالك الاسلام ، وصمد للكفاح حتى رزق الشهادة في معركة حامية سنة ١٦٠ هـ ، وحزن عليه المسلمون حزنا شديدا فحملوه الى (صور) ودفن بموضع يختلف المؤرخون في تحديده ، وقد حكى ابن بطوطة انه زاره في مدينة (جبلة) وقد اقيمت حوله زاوية يعمرها الصالحون ، كما رثاه ابن اخته محمد بن كناسة الكوفي رثاء حزينا يرسم شمائله ويبكي جلاله الصريع .

المنصورة ـ مصر

محمد رجب البيومي

زكي قنصل يبكي اخاه الياس

لم يغب ، رغم بعده ، عن عياني ... انه بين مقلتي وجناني
كيف انساه وهو بعض وجودي ... وانا بعضه ، فهل ينساني
لست ابكيه ، فهو عندي حي ... وسيبقى .. فكيف يبكيه فان
لم يزل بسمة على شفة الشعر ... وعطرا على فم الريحان
لم يزل صوته يرن باذني ... وصداه يجول في وجداني
لم يزل ظله يفيء دربي ... وشذاه يموج في اردانـي
لم تزل كفه تلمس كفي ... اين في الناس مثلنا اخوان
لكانا لم نفترق ، وكانا ... لم نشد في التراب بيض الاماني
قد نشانا معا رفيقي طريق ... وجنينا ازكى وانكى المجاني
واقتسمنا حلاوة العيش حينا ... وعرفنا مرارة الحرمان
لم نغص في الحرير ، لكن رضينا ... بقليل من نعمة الرحمان
ليس من يسكن القصور سعيدا ... رب كوخ اعز من ايوان

★ ★ ★

ما اختلفنا في الراي الا حسمنا ... ترهات الخلاف بعد ثوان
كل ما بيننا مزاح بريء ... حين في الساح يلتقي البطلان
قاد في زحمة الحوادث خطوي ... وبجفنيه في الخطوب حماني
ان يطب للنفوس شدوي فمنه ... هذه الطيبات من الحاني
واذا استعذب النادامى شرابي ... فلاني اصطب مما سقاني
واذا صفقت لشعري قلوب ... فلاني اقتبست منه بياني
بتعاليمه اهتديت ، وماجت ... من معانيه في قريضي معان
ان يعبني على اعترافي دخيل ... قلت يا صاحبي رفعت مكاني
هب تجنى على اخيه هزار ... اي شان للبوم والغربان
جمعتنا الارحام قلبا وروحا ... ما اعتراه من الزمان اعتراني

★ ★ ★

خسيء الموت .. لن يكون سبيلا ... لفراق ما بين جفن وثان
اتحداك يا رزايا ، فثوري ... ان درعي صلابة الايمان
هاك صدري ، فامطريه نبالا ... لن تنال النبال من عنفواني
ما تعودت ان اعفر هذا ... الوجه الا للواحد الديان
سقط النسر من علاه ولكن ... سوف تبقى ذكراه ملء الزمان
سالتني محافل الشعر عنه ... فاحتبست الجواب في اجفاني
يعجز النطق ان يصور جرحي ... اين أين الكلام من احزاني
كيف انعى لها اخي وحبيبي ... ليته قبل نعيه قد نعاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كيف انعى الى الرياض شذاها ... كيف انعي الهزار للاغصان
كيف انعى الى السماء الثريا ... كيف انعي الندى الى الاقحوان
كيف انعى الى القريض فتاه ... والى الفكر توام ((الريحاني))

★ ★ ★

خذلتني الدموع لكن قلبي ... قد بكاه بكل احمر قان
كم عيون تبكي بغير دموع ... وعيون تبكي بلا اشجان
عفو ذكراك يا اخي ان تلجلجت ... بقولي ، فقد قطعت لساني
لفني الليل بالدخان ، فاني ... ينفذ النور من خلال الدخان
كان ظني ان الحياة ربيع ... فيه من كل نعمة زوجان
فاذا بالرياح تقصف اغصاني ... ويمشي الفناء في ريعاني
كل الحاني استحالت نشيجا ... داو جرحي ببلسم السلوان
كل الواني استحالت سوادا ... هل يعود البهاء للالوان
كل ازهاري استحالت هشيما ... كيف عاش الشتاء في بستاني
كل انواري استحالت ظلاما ... كيف جاء الظلام قبل الاوان
سوف يلقاك في الخلود رفاق ... سبقونا . فصف لهم ما نعاني
مزقت شملنا صروف الليالي ... عبثا يامن النوى توامان
البروج التي بنوها تهاوت ... لم يدم من بناتها فاعلان
واللواء الذي حموه طواه ... غائل من طوارق الحدثان
هان شأن البيان بعد ازدهار ... حين راجت بضاعة الهذيان
وغزتنا من كل حدب وصوب ... ترهات الافكار والاوزان
كان للشعر دولة ، ثم مالت ... شمسها للغروب مع جبران

★ ★ ★

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا اخا الروح قد تركت نوادي ... القوم ولهى منهارة الاركان
فقدت ((قسها)) فهل من بديل ... كلما اقبلت على مهرجان
كنت تسقي النفوس خمرا حلالا ... هي بنت السماء لابنت حان
تعتلي منبر الكلام فتسري ... كهرباء الحماس في الابدان
نبرات كانهن هدير الرعد ... ياتي بالعارض الهتان
واندفاع في الذود عن حرمات ... الحق يقذي بصائر الطغيان
وهجوم على الخيانة يصمي ... سهمه كل مارق خوان
ومعان تميس في حلل الوحي ... وتختال في بديع المباني
تارة كالعقاب توغل في الجو ... وطورا تنساب كالكروان
تسمع الاذن من كلامك سحرا ... وترى العين ثورة البركان
سرت في الشعر تحت ظل ((المعري)) ... واخذت البيان عن ((لقمان))
لم تثر بالجديد لو لم يشوه ... كل ما ينتمي الى عدنان
ليس يعلو بغير سعي بناء ... احسن الا ءاجر ساع وبان

★ ★ ★

قيل زدنا فقلت اني لأخشى ... كبوة الفكر او عثار اللسان
لم يكن في الرجال ضخما ولكن ... كان بالروح فارس الفرسان

كان طـودا من الجهـاد رفيعـا ... وكتابـا منهـب العنـوان
ضـم في نفسه النقائـض شتى ... ادب في قسـاوة في حنـان
فهو بـين الصحـاب طفـل بريء ... ظاهر النفس من هـوى وهـوان
وهـو بـين الذئـاب ليث جريء ... نابـه في قراعهـم نابـان
لم يكـن ليلـه لقصـف ولهـو ... كان سعيـا لخدمـة الاوطـان
يعلم الله كـم بـكى لأساهـا ... وشكـا وجـده ، وكم ابكـاني
وطنياتـه عصـارة نفس ... انفـت من عبـادة الاوثـان
الزعامـات للـزوال ، ويبـقى ... الشعب حيـا على مدار الزمـان
لم يميـز في حبـه بـين مصر ... وعـراق وجلـق وعمـان
كل دار للضاد ، مهمـا تنـاءت ... داره ، او مـلاذه الروحـاني
كرس العمـر لليراعـة والحـرف ... فـادى رسالـة العرفـان
لا يلمـه على العزوبـة نـاع ... هل تلاشت حريـة الانسـان
كتبـه ولـده ، سيخلد فيهـا ... انهـا حنطـة بغـير زؤان
انشـد الشام الف بيـت وبيـت ... كـل بيـت اعـز من نيشـان
كـم وَلـودٍ من الرجـال تمنى ... لو قضى عمـره بـلا ولـدان

★ ★ ★

يا شقيقي ، ومـا ذكرتـك الا ... ثـار وجـدي ، ودمدمت احزاني
حـار بالمـوت والحيـاة ضميري ... فاغثـني برايـك النـوراني
.
.
ايظل الضعيـف عبـدا ضعيفـا ... ام يعـود الرجـاء للعبـدان
انا في حـيرة ، فيا رب عفـوا ... نجـني مـن خطيئـة الكفـران
هذه يـا اخي قصيـدة عمري ... من عيـوني اعتصرتهـا وجنـاني
لن تـراني اقـول بعـدك شعـرا ... مرح الروح ضاحـكا ، لن تـراني
القـوافي ماتـت على زفـراتي ... ايعـود الجـواد للميـدان

★ ★ ★

يا رفاق الطريق هاضـت جناحي ... غائـلات الردى ، وهـدت كياني
كل يـوم يطوي التراب حبيبـا ... ظالما قـد رعيتـه ورعـاني
النـوى والحمـام عاثـا بقلبي ... كيف انجـو من حملـة الطوفان
كلما نمـت هاجمـاني باحـلامي ... وان مجـني الكـرى هاجمـاني
مـا تكاد الدمـوع تنشـف من ... جفني حتى تعـود للجريـان
ملأ الخلد اصدقـائي واحبـابي ... فوا خجلتـاه مـن ((رضـوان))
يا رفـاقي ان لم تداووا جـراحي ... مـت في غربتي وفي تحنـاني
اتـاسى بكم ، فـلا تتركـوني ... انتم مفزعي ، وانتم سنـاني
لست ارجو الصديـق في فرحـة ... النصر ، ولكن في كربـة الخـذلان
قـد خسرنـا اخـا عزيزا علينـا ... وربحنـا جيشـا من الاخـوان

بوانس ايرس — زكي قنصل

الطريق إلى السعادة

« لبرتراند راسل »

ترجمة جرجس عبده

* * *

كانت العادة السائدة بين الاخلاقيين الجادين لاكثر من الفي سنة اعتبار السعادة من الامور المنحطة التي لا تستحق الاهتمام . فالرواقيون ظلوا لعدة قرون يهاجمون ابيقور الذي دعا في تعاليمه الى الحياة السعيدة . فقالوا ان فلسفته كانت فلسفة خنزيرية . واظهروا فضيلتهم السامية بافتراء الاكاذيب الشنيعة عليه . ومنهم كلينت الذي اراد اضطهاد اوسطارخوس لدفاعه عن النظام الكوبرنيخي الفلكي . ومنهم ماركس اوراليوس الذي اضطهد المسيحيين ، واشهرهم سينكا الذي ايد شناعات نيرون وجمع ثروة واسعة واقرض النقود لبوديشيا بفوائد باهظة اضطرتها الى التمرد .

ويكفي هذا عن القدماء . فاذا تخطينا الالفي سنة التالية نصل الى الاساتذة الالمان الذين ابتدعوا النظريات المنكوبة التي ادت الى سقوط المانيا ودفعت بقية العالم الى حالته الخطرة الراهنة ، وكل اولئك الرجال المثقفين قد ازدروا السعادة ، كما فعل مقلدهم كارليل الذي لم يمل من مطالبتنا بانه ينبغي ان نتجنب السعادة من اجل النعمة . وقد وجد النعمة في نواح غريبة ، كمذابح كرومويل في ايرلنده ، والتعطش الدموي الغادر لفردريك الاكبر ، وفظاعة الرئيس ايار في جامايكا .

والواقع ان احتقار السعادة هو في العادة احتقار لسعادة الاخرين من الناس ، وتنكر رشيق لكره النوع الانساني . وحتى عندما يضحي انسان تضحية صادقة بسعادته الخاصة من اجل شيء يظنه انبل ، فهو اقرب الى ان يظل حاسدا لاولئك الذين يتمتعون بدرجة اقل من النبل ، وهذا الحسد غالبا ما سيجعل اولئك الذين يظنون انفسهم قديسين قساة ومدمرين . واهم الامثلة في عصرنا الحاضر على هذه العقلية هم الشيوعيون .

واصحاب النظريات التي تدور حول ما ينبغي ان تكون عليه حياة الانسان يميلون الى تجاهل حدود الطبيعة . فاذا كانت طريقتك في الحياة تشتمل على دافع متوتر دائما نحو غرض سام حددته انت ، فالغالب ان هذا الغرض سيصبح كريها بسبب الجهود التي يتطلبها ، فالدافع الذي نتجاهل مخارجه السوية سيجد مسارب اخرى ، وربما على الرغم منه ، فاللذة التي حرمت نفسك منها تماما سوف تنفصل عن مجرى حياتك الرئيسي ، وستصبح مستهترة طائشة . ومثل هذه اللذة لا تجلب سعادة ، ولكن يأسا شديدا ليس الا .

ومن الامور الشائعة بين الاخلاقيين انك لا تستطيع الحصول على السعادة بسعيك اليها . ولا يصدق هذا الا اذا سعيت اليها بدون حكمة . فالمقامرون في مونت كارلو يسعون وراء المال ، ومعظمهم يفقدونه بدلا من الحصول عليه ، ولكن هناك طرقا اخرى للسعي وراء المال تنجح غالبا . وهكذا الشأن في السعادة . فاذا سعيت اليها بشرب الخمر فانت تنسى الدوار . وقد سعى ابيقور اليها في مجتمع طبيعي واكتفى في غذائه بالخبز الجاف مصحوبا بقليل من الجبن في الاعياد . واثبتت طريقته نجاحها في حالته ، ولكنه كان ذا شجاعة فائقة ، ومعظم الناس يحتاجون الى شيء اقوى . فبالنسبة الى معظم الناس اذا لم يكن السعي الى السعادة مصحوبا باشياء اخرى فهي من الامور النظرية البالغة التجريد التي لاتصلح ان تكون قاعدة شخصية للحياة . ولكني اعتقد ان اي قاعدة شخصية في الحياة تختارها يجب ان لا تكون متناقضة مع السعادة ، الا في الحالات البطولية النادرة .

ويوجد الكثيرون جدا من الناس لديهم الظروف المادية للسعادة ، وهي الصحة والدخل الكافي ، وهم على العكس غير سعداء تماما . وهذا صحيح في امريكا بصفة خاصة . وفي هذه الحالات يبدو ان الغلطة لا بدان تكمن في اتباعهم لنظرية خاطئة عن كيفية المعيشة . ومن بعض النواحي يمكننا ان نقول ان اي نظرية عن كيفية الحياة خاطئة . فنحن نظن اننا اكثر اختلافا عن الحيوانات مما نحن عليه في الحقيقة .

فالحيوانات تعيش على الغريزة ، وهي سعيدة طالما كانت الظروف الخارجية ملائمة . فاذا كان عندك قطة فهي ستستمتع بالحياة اذا وجدت الطعام والدفء وفرص النوم على الوسائد في بعض الليالي . واحتياجاتك اكثر تعقيدا من احتياجات قطتك ، ولكن اسسها ما زالت في الغريزة . وفي المجتمعات المتحضرة وخصوصا المجتمعات التي تتكلم الانجليزية كثيرا ما تنسى هذه الحقيقة .

فالناس يضعون امامهم هدفا ضخما ثم يقمعون كل الدوافع الغريزية التي لا تخدم هذا الهدف . فرجل الاعمال قد يكون من شدة الاشتياق لتحقيق الثراء بحيث يضحي بصحته ومباهجه الخاصة . وعندما يصل الى الغنى في النهاية ، لا تبقى له لذة سوى ان يدفع غيره من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الناس بحثهم على الاقتداء بمثاله النبيل . والكثيرات من السيدات الثريات وان لم تمنحهن الطبيعة اي متعة ذاتية لتذوق الادب والفن يملن الى التظاهر بالثقافة ، وينفقن الساعات الطويلة المملة في تعلم انسب ما يمكن ان يتحدثن به عن الكتب الجديدة المألوفة . ولم يدر بخلدهن ان الكتب تؤلف لمنح البهجة لا لتصيد المناسبات للتظاهر العفن بحداثة النعمة .

واذا نظرت حولك الى الرجال والنساء الذين يمكن ان تسميهم سعداء ، فسترى انهم يشتركون جميعا في امور معينة . واهم هذه الامور نشاط يمكن الاستمتاع به لذاته في معظم الاحيان ، وهو بالاضافة الى ذلك يبني بالتدريج شيئا يسرك ان تراه يتحقق في المستقبل . فالنساء اللواتي يجدن لذة داخلية في العناية بابنائهن (والتي لا تجدها النساء المتعلمات خصوصا) يمكن ان يحصلن على هذا النوع من الرضا بتكوين اسرة . والفنانون والمؤلفون ورجال العلم يحققون السعادة بهذه الصورة اذا بدا لهم عملهم جيدا . ولكن هناك صورا متواضعة كثيرة من نفس هذا النوع من المتعة . فالكثير من الرجال الذين يقضون حياتهم العملية في المدينة يكرسون اجازاتهم الاسبوعية للدأب البريء الاختياري في تعهد حدائقهم ، وعندما يأتي الربيع يستمتعون بمسرات خلقهم للجمال .

ومن المستحيل تحقيق السعادة بدون نشاط ، ولكن من المستحيل ايضا تحقيق السعادة اذا كان النشاط مفرطا او من نوع منفر . فالنشاط يكون ملائما متى كان موجها بوضوح شديد الى غرض مرغوب فيه ولا يتعارض في ذاته مع الميل . فالكلب سيطارد الارانب الى حد الانهاك التام وسيكون سعيدا طوال هذا الوقت ، ولكنك اذا وضعته في طاحونة واعطيته غذاء جيدا بعد نصف ساعة ، فلن يكون سعيدا حتى يحصل على الغذاء ، لانه لم يكن مشغولا بنشاط طبيعي في هذه الاثناء .

ومن متاعب عصرنا ان المجتمع الحديث المعقد ليس فيه سوى قليل من الامور العملية الواجبة لها صفة الصيد الطبيعية . والنتيجة المترتبة على ذلك هي ان معظم الناس في جماعة ذات تقدم صناعي عليهم ان يبحثوا عن سعادتهم خارج العمل الذي يكسبون منه رزقهم . واذا كان عملهم مرهقا فستميل لذتهم الى ان تكون ذات طابع سلبي . ومشاهدة مباراة في كرة القدم او الذهاب الى السينما يترك القليل من الرضا بعد انتهائه ، ولا يشبع الدوافع الخلافة ادنى اشباع . ورضا اللاعبين القائمين بالنشاط من نوع مختلف تماما .

والرغبة في الظفر باحترام الجيران والخوف من ازدرائهم يدفع الرجال والنساء (وخصوصا النساء) الى طرق من السلوك لا يحث اليها اي دافع تلقائي . والشخص الذي يكون دائما « مضبوطا » يكون في الغالب مملا . ومما يحز في النفس ان نشاهد الامهات يعلمن اطفالهن قمع فرحة حياتهم ليكونوا كالجراء الهادئة حتى لا يظن بهم الناس انهم ينتمون الى طبقة اجتماعية اقل مستوى مما يحب اهلهم ان يظهروا به .

والسعي الى النجاح الاجتماعي في صورة الجاه او القوة او كليهما هو اكبر عقبة امام السعادة في مجتمع متنافس . ولست انكر ان النجاح عنصر في السعادة — وعند بعضهم انه عنصر مهم جدا . ولكنه لا يكفي بذاته لارضاء معظم الناس واشباع ميولهم . فقد تكون غنيا ومحلا للاعجاب ، ولكنك اذا لم يكن لك اصدقاء ولا اهتمامات ولا متع ذاتية بعيدة عن المنفعة ، فستكون تعيسا . والحياة من اجل النجاح الاجتماعي هي نوع من الحياة طبقا لنظرية ، وكل حياة تسير على نظرية انما هي حياة جافة كالحة .

فاذا شاء رجل او امراة موفور الصحة ولديه ما يكفل له الغذاء ان يكون سعيدا ، فثمة حاجتان قد تبدوان للنظرة الاولى متضاربتين . فهناك اولا الحاجة الى اطار ثابت يدور حول غرض مركزي ، والشيء الثاني هو ما يمكن ان نسميه الحاجة الى « اللعب » ، او بعبارة اخرى الاشياء التي تؤدي من اجل المرح او اللهو ، لا التي تؤدي لخدمة غرض جدي . والاطار الثابت لا بد ان يكون مشتملا على دوافع ثابتة حسنة ، اي تلك التي ترتبط بالاسرة والعمل . فاذا اصبحت الاسرة مصدرا للكره ، او اصبح العمل مضايقا مزعجا بصورة مستمرة ، فلن يعودا مبعثا للسعادة ، ولكن من الافضل تحمل الاحساس العابر بالكره او المضايقة الوقتية متى كان الشعور بهما غير مستمر . وهما خليقان بان لا يكون الشعور بهما مستديما اذا امكن الاستفادة من الفرص الملائمة للعب .

وفي رايي ان موضوع السعادة كله قد عولج في شيء كثير من التهيب . فقد ظن الناس انهم لا يمكن ان يكونوا سعداء بغير نظرية في الحياة . وربما احتاج الذين اعترفوا بنقص سعادتهم لسيرهم وفقا لنظرية رديئة ، الى نظرية احسن تساعدهم على الرجوع الى الشقاء ، كما تحتاج بالضبط الى دواء مقو متى كنت مريضا . ولكن اذا سارت الامور سيرا طبيعيا سيكون الانسان سليما بدون مقو وسعيدا بدون نظرية .

والامور البسيطة هي التي تفيد حقا . فاذا كان رجل مغتبطا بزوجته وابنائه ، وناجحا في عمله ، وواجدا المتعة في تعاقب الليل والنهار ، والربيع والخريف ، فسيكون سعيدا مهما كانت فلسفته . ومن الناحية الاخرى اذا كان يجد زوجته كارهة وضجيج اولاده غير محتمل ، ومحل عمله كابوسا مطبقا ، واذا كان في اثناء النهار يحن الى الليل ، وفي الليل يئن توجعا وهو يتوق الى رؤية نور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتر في سكون الليل

هنا في الركن وحدي صاحبي المختار سهدي
وامين السر شعري ولباب السر وجدي
غارق لا اطلب النجدة والامواج تردي
بين عيني شريط العمر في قيظ وبرد
ورغاء النوء في فكري يدوي في تحد
عائد من كل سهل طالع في كل نجد
وسكون الليل حولي وحنين الصب عندي
يا لشوقي فاض وجداني بما اخفي وابدي
هذه الصحراء قدامي وليست ذات حد
وارى الدامساء في جزر جرى من غير مد
وسماء تخطف الابصار في برق ورعد
والعطاشى كلنا في محنة من غير ورد
رحل السارون قبلي ومضوا من غير رد
في طريق ليس فيه مرشد في الدرب يهدي
يا حبيبي اين مني الدار ، كيف الاهل بعدي
قد اتينا دون قصد وسنمضي دون قصد
وقطعنا الدرب والمامول في قرب وبعد
لم نبلغه وما زلنا نعاني في التصدي
كلما يغري بوصل لم نفز الا بصد
كم جنينا الشوك لم نظفر بغل او برند
ينقضي العمر ولا نكسب ما في العمر يجدي

عصيفرة ـ تعز ـ اليمن
ص.ب ٤٨٠٦

علي محمد لقمان

النهار ـ فعليه بتغيير غذائه ، او اتباع رياضة اوفق ، او ما الى ذلك .

فالانسان حيوان ، وسعادته تعتمد على وظائفه الفسيولوجية اكثر مما يطيب له ان يظن . وهذه خاتمة متواضعة ، ولكني لا استطيع ان اكون رافضا للايمان بها. فانا واثق ان رجال الاعمال السعداء سيزيدون سعادتهم بالسير ستة اميال كل يوم اكثر مما يحتاجون الى تغيير ملحوظ لفلسفتهم لزيادة سعادتهم . واتفق ان كان هذا هو راي جفرسون الذي بكى على الحصان لهذا السبب . ولقد خانته اللغة اذ لم يستطع التنبؤ بالسيارة .

القاهرة

جرجس عبده

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

قضايا افريقية ـ د. محمد عبد الغني سعودي ، الكويت، سلسلة عالم الكتب (٣٤) ذو القعدة ، ذو الحجة ١٤٠٠ هـ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠

١ ـ ص ١٤٣ « لدى شعب اليوربا في غربي نيجيريا .. الاساطير ، والقصص ، والفوازير ، والامثال ، والحكم والتعاويذ والدوبيت .. »

الفوازير عامية محلية لا تليق بالكتاب . ولدينا « الالغاز » يمكن ان تقرب من المطلوب . واقرب فعل فصيح من « فزر » : حزر « والحزر التقدير » ومن يدري فقد تكون فزر بمعنى فسر في الاصل وان فزورة كانت فسورة اي ما يطلب فسره وتفسيره (بوجه من الوجوه).

٢ ـ ص ١٤٦ « ولعل الشعر هو اكثر الضروب الادبية دراسة في الادب السواحيلي .. ويحمل بحران من بحوره الاربعة اسماء عربية وهي المشاري والرباعي .. الشعر السياسي .. الذي يطلق عليه المشاري .. مجاله المناقشات والمجادلات .. »

ليس المشاري والرباعي من البحور العربية (المعروفة) واذا كانت « الرباعية » من اشكال النظم (العربي) ، فما اعرف للمشاري مكانا في العروض العربي .. وربما اللغة الفصيحة .

٣ ـ ص ١٤٧ « وقد استعملت السواحيلية الحروف العربية في كتابتها اول الامر ، ورغم استعمال الحروف اللاتينية في كتابتها الان فان الالفاظ العربية واضحة فيها مثل :

Adabu = الاخلاق
Hadithi = قصة
Safari = رحلة .. »

كان المناسب ان يختار المؤلف الكلمات العربية التي تقارب في حروفها حروف العربية ـ السواحيلية في هذه الكلمات فيختار للاولى « الادب » ولا بأس في ان يضع الاخلاق بعدها بين قوسين للتفسير ، وللثانية : « حديث » وللثالثة : « سفرة » ..

٤ ـ ص ١٥١ « جزيرة جربا » ، ص ١٥٢ « جزيرة جربة » .

هكذا وردت برسمين مختلفين ، الثاني منهما (جربة) هو الصحيح . جاء في معجم البلدان لياقوت ط. صادر ١١٨/٢ « جربة بالفتح ثم السكون .. قرية بالمغرب .. وقد روي جربة ايضا بكسر الجيم ، وقيل هي جزيرة بالمغرب من ناحية افريقية قرب قابس يسكنها البربر وقال ابو عبيد البكري : وعلى مقربة من قابس جزيرة جربة .. اهلها .. خوارج » .

لم اجد في كتاب البكري : « معجم ما استعجم » شيئا عن جربة في حرف الجيم ، ولا في حرف القاف ..

٤ ـ ص ١٦٨ « ان اقدم حضارة .. في العالم اجمع كانت حضارة افريقية ، وهي الحضارة المصرية القديمة ».

سألت الدكتور سامي سعيد الاحمد الاستاذ بقسم التاريخ في كلية الاداب بجامعة بغداد ، وهو متخصص بالتاريخ القديم فكان مما قال : ربما كان ـ في السابق ـ خلاف في اقدم حضارة ، ووجد من قال انها المصرية ، ولكن ـ الان ـ لم يعد مجال للاختلاف والنقاش فقد ثبت بما لا يقبل الجدل ان الحضارة العراقية القديمة اسبق من المصرية ، اسبق كثيرا ، بعدة الوف من السنين اربعة او خمسة ..

(٢)

يونس بن حبيب ـ تاليف الدكتور حسين نصار ، القاهرة، دار الكاتب العربي ، مارس ١٩٦٨ (سلسلة اعلام العرب ـ ٧٥)

١ ـ لم الاحظ فيه ما ذكره الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب في بحثه « رواة اللغة والادب في العصر العربي الاول في تونس » المنشور في كتاب « الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين » القاهرة ، ١٩٦٢ . قال الاستاذ عبد الوهاب ص ١١ « وكان ليونس اتصال كبير بآل المهلب في البصرة وله اختصاص زائد بيزيد بن حاتم ، فلما تولى امارة افريقية وفد عليه فيمن وفد .. »

٢ ـ ص ٣٩ « واشتهر من تلاميذه في الادب والاخبار ابو محرز خلف بن حيان الاحمر ، وابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي » .

ذكر هذا الخبر واحال على المزهر ٢ : ٤٠٦ ، ولم تكن بالمسألة حاجة الى احالة ، واذا كان لا بد فقبل المزهر مصادر ومصادر .

ثم قال : « ونظرة واحدة في كتاب طبقات فحول الشعراء للجمحي ، وفي الاخبار التي اوردتها في دراستي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه كافية لتبين قدر دين الرجل لاستاذه » .

ومعلوم ان الاسم الصحيح الحقيقي لكتاب الجمحي هو « طبقات الشعراء » وليس « طبقات فحول الشعراء» .

وصحيح ان كتاب الدكتور نصار يدخل في سلسلة اقرب ان تكون للثقافة العامة ، ولكن « دراسته » لا تظهر دين الجمحي ليونس لان هذا الدين ضائع في ثنايا الكتاب، وكان المناسب وقفة خاصة عنده .

(٣)

المعجم العربي ـ د. حسين نصار ، بغداد ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ـ ٨٠ ، تشرين الاول ١٩٨٠ .

١ ـ كان بهذه الحلقة حاجة الى مقدمة ـ ولو في صفحة واحدة . عن الدراسات الحديثة للمعجم العربي ويكون بين هذه الدراسات ـ وفي مقدمتها ـ كتاب الدكتور حسين نصار : « المعجم العربي : نشأته وتطوره » في جزءين .

ولا بأس بعد ذلك ، ان يعلم القارىء ، من طلاب الثقافة العامة ، ان هذا الكتاب الصغير الذي بين يديه خلاصة ـ ولنقل سريعة ـ لذلك الكتاب الضخم الذي طبع مرتين ، كانت الاولى بالقاهرة ١٩٥٦ وقد ورد عليها: « طبع على نفقة سماحة السيد حسن شربتلي » ، وكلمة « سماحة » في غير مكانها الاصطلاحي ، لانها تقال للكبار من رجال الدين والسيد شربتلي رجل مال (ودولة) ، والمعتاد في بلاده (السعودية) ان يجاملوا (يعظموا ويكبروا) امثاله بكلمة « الشيخ » .

اما الطبعة الثانية فسنة ١٩٦٨ ، القاهرة ، مكتبة مصر .

(٤)

امين الخولي ـ مناهج تجديد (في النحو والبلاغة والتفسير والادب) ، القاهرة ، دار المعرفة ، الطبعة الاولى سبتمبر ١٩٦١ .

١ ـ ص ٢٦٩ « التفسير » ، وفي الذيل : « كتبت هذه المادة لدائرة المعارف الاسلامية ، حين لم يف الاصل بالمراد » .

أ ـ كتبت .. ونشرت .. في الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية .

ب ـ ونشرت ـ كذلك ـ في كتيب خاص اطلعت عليه عام ١٩٤٨ وكان مطبوعا قبلها .

٢ ـ ص ١٠١ « المبرد ت ٢٨٣ هـ »

الصحيح ٢٨٦ هـ ويرد عام ٢٨٥ هـ ـ ولا موجب في مثل هذه الاحوال الى اثقال « التحقيقات » بالمصادر ، لان صاحبها لا يثبتها قبل التثبت بالرجوع الى اكثر من مصدر مؤتمن كابن خلكان في القدماء والزركلي (ط ٤) في المحدثين .

٣ ـ ص ١٠٥ « كتاب البديع لامير المؤمنين عبدالله ابن المعتز ت ٢ ، ٣ ق » . و «ت» تعني « توفي » .

الصحيح ت ٣ ق . لقد توفي ابن المعتز في القرن الثالث ، توفي (اي قتل) سنة ٢٩٦ هـ .

٤ ـ ص ١٢٠ « .. في البيان والتبيين يقول : ـ « ان معمرا ابا الاشعث قال لبهلة الهندي ايام اجتلب يحيى بن خالد اطباء الهند مثل فلان وفلان : ما البلاغة عند اهل الهند ؟ قال بهالة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة .. » واحال على البيان والتبيين ١ : ٧٥ ـ ط السندوبي .

في تحقيق الاستاذ عبد السلام محمد هارون ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨ ، ١ : ٩٢ :

أ ـ « قال معمر ، ابو الاشعث : قلت لبهلة ، هو بهلة ، اما بهالة فخطأ مطبعي .

ب ـ فلان وفلان : في الاصل « مثل منكة وبازيكر ، وقلبرقل ، وسندباد وفلان وفلان .. »

٤ ـ ص ١٣٤ « ابو هلال العسكري ـ ت ٣٦٥ » ص ١٣٥ « ابن الاثير ضياء الدين ت ٦٧٣ » .

ابو هلال ت ٣٩٥ ، ابن الاثير ٦٣٧ (والخطأ مطبعي وقد ورد صحيحا ص ١٦٣) .

٥ ـ ص ١٣٧ « نقد الشعر ، ونقد النثر : لقدامة، ونسبة الاول اليه اثبت من نسبة الثاني ، وكلاهما مطبوع ... »

هذه مسألة فرغ منها ، واشرنا ـ ونشير ـ اكثر من مرة اليها ، ولم تعد مسألة اختلاف او ترجيح . لقد ثبت ان « نقد النثر » ليس لقدامة ، وان الذي طبع منه ليس الا جزءا من كل . وقد طبع نقد النثر هذا ـ فيما بعد ـ مرتين باسمه الحقيقي : « البرهان في وجوه البيان » لمؤلفه الحقيقي ابي الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، ينظر تحـ د . مطلوب ، ود. الحديثي ، بغداد ١٩٦٧ .

٦ ـ ص ١٣٩ « الجامع الكبير لابن الاثير .. وهو مخطوط بمصر » .

طبع الكتاب ببغداد سنة ١٩٥٦ بتحقيق د. مصطفى جواد ود. جميل سعيد .

٧ ـ ص ١٥٠ « البديع لامير المؤمنين عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٣١٠ هـ » : المتوفى سنة ٢٩٦ هـ .

(٥)

رواية اللغة ـ دكتور عبد الحميد الشلقاني ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ .

١ ـ ص ١٢ « جورجي زيدان » : جرجي زيدان. وكذلك ص ١٢٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

٢ ـ ص ٣٩ « قال كعب :

فمن للقوافي شانها من يحوكهـا اذا ما ثوى كعب وفوز جرول

وردت « شأنها بالهمزة » ، والصحيح شانها بغير

همزة وعلى اختلاف في المعنى .

قال الاستاذ محمود محمد شاكر في تحقيقه « لطبقات .. الشعراء » : « .. شانها .. خطأ صرف . وشانها جاء بها شائنة معيبة .. »

٣ ـ ص ١٩٤ ـ ١٩٥ « الخليل .. انشأ يقول :

ابلغ سليمان اني عنك في سعة ... وفي غنى غير اني لست ذا مال
سخي بنفسي اني لا ارى احدا ... يموت هزلا ولا يبقى على حال

واحال على ٣١ اخبار النحويين البصريين .. للسيرافي ط. الحلبي ١٩٥٥ ـ وقد وردت « هزلا » بفتح الهاء .

في اخبار النحويين البصريين ط . بيروت الكاثوليكية « سخا بنفسي اني .. » بفتح همزة اني ـ وهو الصحيح، وفي طبقات النحويين واللغويين للزبيدي « ابلغ سليمان اني .. سخى .. انى » وفتح اني الاولى والثانية هو الصحيح ومثله معجم الادباء ط . المأمون ٧٦/١١ .

وفي وفيات الاعيان تح. د. احسان عباس ٢٤٦/٢ « شحا بنفسي .. يموت هزلا .. » بضم الهاء . ولسان العرب يفتح الهاء ويضمها . ومن يدري فقد يكون الضم اولى فيها وفي الهزال ؟

ووردت « في سعة » : « في دعة » في احدى مخطوطات وفيات الاعيان .

(٦)

مدخل الى تاريخ الاغريق وادبهم وآثارهم ، تاليف ا. بتري ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، الموصل ، مؤسسة دار الكتب بجامعة الموصل ١٩٧٧ .

١ ـ ص ٣٤ « ان طبقة الرجال الذين سميوا بالسفسطائيين .. يمكن وصفهم بالفلاسفة العمليين » .

سميوا : سموا .

٢ ـ ص ١٠٢ « الثقاة » : الثقات .

٣ ـ ص ٩٥ عيد « بيثيا » وردت ص ١٠٢ « عيد باناتينا » .

٤ ـ ص ١٠٨ « وصلت الينا سبع مسرحيات من تاليف اسخيلوس هي : المتضرعون .. اغاممنون ، كيفوري، اويمنديسن ، والمسرحيات الثلاثة الاخيرة هي الثلاثية الوحيدة التي وصلت الينا .. »

ا ـ المتضرعون : المتضرعات .

ب ـ المسرحيات الثلاثة : المسرحيات الثلاث .

٥ ـ ص ١٠٨ « سوفوكليس .. ادخل اسلوب الثلاثية التي تكون فيها كل مسرحية مستقلة عن المسرحيتين الاخريتين » .

الاخريتين : الاخريين .

٦ ـ ص ١١١ « ارسطوفانيس .. وصلت الينا مسرحياته احدى عشرة وهي .. الغيوم .. »

ترجمت هذه المسرحية الى العربية باسم السحب ، وتحدث عنها المتحدثون باسم السحب ايضا .. حتى صارت « السحب » علما لها .

٧ ـ ص ١١٦ « هذه الخطب جزء لا يتجزء » : لا يتجزأ .

٨ ـ ص ١١٨ « ارسطو .. اشد مؤلفاته بالادب هما البلاغة ورسالة في الشعر »

الاولى ترجمة « البلاغة » بفن الخطابة او صناعة الخطابة ، وقد ترجمت الى العربية بالخطابة اكثر من مرة .. آخرها واتمها ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي .

والاولى بترجمة رسالة الشعر ان تأتي «فن الشعر» او صناعة الشعر ، وكثرت ترجمته الى العربية بفن الشعر

٩ ـ في « عربية » الترجمة خطأ غير قليل في كتابة الهمزة واستعمال حروف الجر كأن يقطع الهمزة الموصولة ويقول ميز عن بدلا من ميز من .. وغير ذلك مما كان يمكن تجنبه في يسر لو عرض المترجم عمله على عارف بالعربية .

(٧)

البير كامو ـ بقلم كونر كروز اوبراين ، ترجمة عدنان كيالي ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، سلسلة اعلام الفكر العالمي المعاصر ، ايار ١٩٧٢ .

١ ـ ص ٥ « في السابع من تشرين الثاني ١٩١٣ وفي قرية موندو بالقرب من مدينة قسطنطينة الجزائرية ولد البير كامو .. »

أ ـ قسطنطينة ترجمة « حرفية » للفظ الفرنسي ، اما الجزائريون انفسهم فانهم يلفظونها ويكتبونها على : قسنطينة .

ب ـ البير لفظ صحيح لان « التاء » الاخيرة من رسم الحروف الفرنسي Albert لا تلفظ لدى الفرنسيين ، ويخطىء من يكتبها « البرت » على انها اللفظ الفرنسي ، وقد وقعت الترجمة في هذا الضرب من الخطأ ص ٩٥ ، وعادت الى الصواب ١٤٦ ـ ١٥٠ ، وكان رسم عنوان الكتاب صحيحا .

٢ ـ ص ٦ ـ « ويبدو ان اول عهده بالالتزام السياسي يعود الى عام ١٩٣٣ عندما انضم الى حركة امستردام ـ بليبل المناهضة للفاشية والتي اسسها هنري باربروس ورومين رولاند » .

ا ـ باربروس : باربوس .

ب ـ رومين رولاند : رومان رولان

٣ ـ ص ٧ « رئس بعثة ثقافية الى الجزائر .. واسس فرقة مسرحية .. وزودها بأول رواية من تاليفه .. » عام ١٩٣٥ .

ا ـ صحيح رئس : راس .

ب ـ رواية : الاحسن ترجمتها بما استقر عليه المصطلح العربي : مسرحية .

٤ ـ ص ٨ « وفي عام ١٩٣٨ وضع روايته الثامنة « كاليغولا » .

المناسب ان تكون مسرحيته الثانية ، وتنظر ص ٩، ٨١، ٩٦، ١٤٧ .

٥ ــ ص ٨ « حالة الفقر المدقع الذي تعانيه ولاية « القبيلي » في الجزائر .. »، ص ١٦ ــ القبيلي، صحيحها القبائل ، والقبائل يتوزعون على اكثر من ولاية ، وليس في الجزائر ولاية باسم : ولاية القبائل ، وانما فيها منطقة ..

٦ ــ ص ٩ « انجز في عام ١٩٤٩ مسرحية «كاليفولا» ورواية « الغريب » .

كاليفولا من الخطأ المطبعي ، صحيحه كاليغـولا ، وكذلك ص ٣٨، ٤١ .

٧ ــ ص ١٦ « ان الجناح اليساري وحتى الشيوعيين منهم ، شاركوا دون وعي او قصد منهم في فرضيات الاستعمار الذي رفضوه بوعي منهم .. »

الصحيح : وحتى الشيوعيون منهم .

٨ ــ ص ٤٦ « افسح المجال » : فسح .

٩ ــ ص ٨٦ « قصيدة بيتس القصيرة « اليوم العظيم » .. »

لعله بيتس .

١٠ ــ ص ٩٦ « جاسبرز وهيدغر وكيرغارد في رواية اسطورة سيزيف »

ا ــ جاسبرز : ياسبرس، لانه الماني Jaspers

ب ــ اسطورة سيزيف ليست رواية وانما هي كتاب يقوم على مقالة فلسفية طويلة .

١١ ــ ص ٩٨ « لا يؤيد الكاتب فيها سارتر في اي واحد من وجهات النظر »

في اي (او اية) واحدة من وجهات ..

١٢ ــ ص ١٠٣ « في ايار ١٩٤٥ وقعت في الجزائر ولا سيما في منطقة ستيف اضطرابات محلية : وتولى سلاح الجو والمدفعية البحرية قمعها بوحشية .. » ص١٠٤

ستيف : الجزائريون يلفظونها ويكتبونها سطيف ، وقد اصدروا طوابع عليها كلمة « سطيف » .

١٣ ــ ص ١٠٥ « في الترة ١٩٥٢ ــ ١٩٥٤ ــ اي في الفترة التي سبقت مباشرة اندلاع نيران الحرب الجزائرية ــ كتب كامو ست قصص جمعت فيما بعد في مجلد واحد سمي « المنفى والملكوت » ..

مجلد : كتاب . وكان المترجم تقيد بالترجمة « الحرفية » للكلمة الفرنسية Volume ، على حين توحي الكلمة العربية (مجلد) بالضخامة في الحجم وما كانت « المنفى والملكوت » كذلك .

١٤ ــ ص ١١٢ « الرواية » : القصة (القصة القصيرة) ، ص ١٢٢ « يلاحظ هنا ان تركيب الرواية هنا شأنه شأن تركيب روايات كامو الاخرى في مجموعة « المنفى والملكوت » اشبه ما يكون بالحلم » : روايات : قصص ...

١٥ ــ ص ١٤٤ « بحازي » : مجازي ، والخطأ مطبعي .

(٨)

كتاب نقد النثر لابي الفرج قدامة بن جعفر .. ، بيروت ، المكتبة العلمية ، دار الكتب العلمية ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ . يطلب من احمد الباز ، دار الباز ، مكة المكرمة .

الكتاب طبع بالاوفست للطبعة المصرية التي فات اوانها وثبت خطؤها ، لان المطبوع هذا ليس الكتاب كاملا وانه ليس لقدامة ، وقد طبع ــ بعد الطبعة المصرية تلك ــ مرتين كاملا باسم « البرهان في وجوه البيان » لاسحاق ابن وهب ..

(٩)

ببلوغرافيا العصر الجاهلي ــ تاريخه وادبه ــ بقلم الدكتور عفيف عبد الرحمن ــ جامعة اليرموك الاردن ص ص ٢١٥ ــ ٢٦٠ من مجلة المورد البغدادية ، العدد الثالث من المجلد التاسع ١٤٠٠ ــ ١٩٨٠ .

جهد المؤلف واضح ، ولكنه وسع الميدان وشعبه فكان طبيعيا ان يلاحظ عليه المرء امورا غير قليلة في المنهج وفي المادة ، ولسنا بهذا الصدد ، وانما :

١ ــ ص ٢١٩ ، « الاصمعي « فحولة الشعراء » تحقيق س. توري ، دار الكتاب الجديد ــ بيروت .. »

التحقيق نشره اصلا المستشرق ش. توري في مجلة جمعية المستشرقين الالمان عام ١٩١١ ، وعنها استلت دار الكتاب الجديد العمل ونشرته سنة ١٩٧١ ــ وذكرت ذلك في المقدمة . واسم المستشرق « تشارلس .. »

٢ ــ ص ٢٢١ « ابن عبد الله : الحسن ــ آثار الاول في ترتيب الدول ، القاهرة ١٣٠٨ هـ »

ابن عبد الله ليس لقبا يعرف به ، وانما هو العباسي، وللكتاب طبعة في القاهرة بولاق ١٢٩٥ هـ ، واخرى على هامش كتاب السيوطي « تاريخ الخلفاء » القاهرة ، الميمنية ، ١٣٠٥ هـ .

ونقول بعد هذا ان الكتاب ليس المصدر الذي يذكر ويؤكد بين مصادر الشعر الجاهلي وتاريخه .. لانه مصدر اسلامي ، يعنى بالنظم الاسلامية واخلاق الملوك والرعية « والشريعة الاحمدية » ، مدحا وثناء واطراء لسلطان زمانه الملك « المظفر » .. وقد شرع المؤلف في تأليفه سنة ٧٠٨ .

٣ ــ ص ٢٢٢ « آل نبهان ، خليفة بن حمد ــ التحفة النبهانية في تاريخ جزيرة العرب »

جاء في معجم المطبوعات العربية : « الشيخ محمد بن الشيخ خليفة بن حمد النبهاني الطائي المكي ، المدرس بالمسجد الحرام ــ التحفة النبهانية في امارات الجزيرة العربية ، الجزء الاول ،مط. الاداب ، بغداد ١٣٣٢ ص ١٤٤ » ــ وسيأتي كلام عليه .

٤ ــ ص ٢٢٤ « جباروك ، مصطفى عبد اللطيف ــ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحياة والموت في الشعر الجاهلي »

صحيح جباروك : جياووك ـ وليس الخطأ بالياء مطبعيا كما يوضح ذلك التسلسل الهجائي لان جياووك ورد قبل «الجبوري» .

٥ ـ ص ٢٢٥ « الحلبي ، داود ـ تطور الادب العربي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي بغداد ١٩٦٨ .. مع الادب القديم .. »

الصحيح : سلوم ، داود . ويذكر له (بالاشتراك): « معجم لغات القبائل » جزءان وطبع له في الكويت «دراسة اللهجات العربية القديمة » ١٩٧٥ .

٦ ـ ص ٢٢٠ « جب ، هاملتون ، دراسات في حضارة الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٤ » .

ليس للكتاب علاقة بالباب الذي ورد تحته : « المصادر » فهو ليس مصدرا اي كتابا قديما ..

وليس هو مرجعا للادب الجاهلي ، فما فيه منه شيء يذكر ، وهذه هي موضوعاته : التاريخ الاسلامي في العصور الوسطى ، في النظم والفلسفة والدين ، دراسات في الادب العربي (بدء التأليف النثري ، نشأة الانشاء الادبي ، في الادب العربي الحديث) .

ومما ذكره تحت « المصادر » : نزهة الالباء ، وقال: ابن الانباري ، والصحيح الأنباري ، وذكر طبعتين مصريتين ولم يذكر تحقيقا للدكتور ابراهيم السامرائي طبع في بغداد مرة ١٩٥٩ وفي بيروت مرة ١٩٧٠ .

ثم انه ـ قبل ذلك ـ ليس مصدرا واجب الذكر من مصادر العصر الجاهلي .. وذكر مثله يستدعي ذكر عشرات من نظائره .

٧ ـ ص ٢٢٢ « المعري .. رسالة الغفران ، دار المعارف بمصر ١٩٥٠ .. »

الاولى هنا ، ذكر اسم المحققة الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، وقد ذكر المؤلف كثيرا من اسماء المحققين لدى ذكره كتبا اخرى .

ثم ان عام ١٩٥٠ هو تاريخ الطبعة الاولى .. وقد اجرت المحققة عليها تعديلات واضافات في الطبعات التالية ومنها في الطبعة الثانية ـ مثلا ـ تحقيق رسالة ابن القارح ، ومناسب ان تذكر هذه الطبعات او اخر طبعة منقحة لدى عمل البيلوغرافيا ، كأن تكون الطبعة الثالثة او الرابعة او الخامسة او السادسة ..

٨ ـ ص ٢٣٥ « الهاشمي ، محمد علي . المراة في الشعر الجاهلي بغداد ١٩٦٠ . عدي بن زيد ، حلب ١٩٦٤»

الصحيح ان الكتابين لمؤلفين مختلفين يوحدهما اللقب « الهاشمي » الاول علي زين العابدين الهاشمي وهو عراقي ، والثاني سوري .

٩ ـ ص ٢٣٩ « شاكر ، محمود محمد . الشعر الجاهلي ، مجلة العرب ، السعودية .. ١٩٧٥ . قصيدة تأبط شرا في رثاء قريب له .. مجلة المجلة المصرية » .

وهذان ـ كذلك ـ كاتبان مختلفان يوحدهما « شاكر ، محمود محمد » .

١٠ ـ ص ٢٥٦ « طبقات الشعراء لابن سلوم ، نشره دلافيدا (الايطالي) مجلة الدراسات الشرقية ١٩١٩ » .

دلافيدا لم ينشر « طبقات الشعراء » وانما كتب « تعليقا » على تحقيق « طبقات الشعراء » الذي عمله « هل » وطبعه في ليدن ١٩١٣ ـ ١٩١٦ ثم أعادت طبعه على الاوفست دار النهضة العربية ببيروت د. ت.

١١ ـ ص ٢٦٠ « نيكلسون .. القسم العباسي ».

لا موجب لذكر « القسم العباسي » وموضوع البيلوغرافيا : الجاهلي .

١٢ ـ لم يذكر في الرسائل الجامعية : لهجة تميم لغالب فاضل المطلبي ، بغداد ١٩٧٨ .

١٣ ـ التعقيبات يمكن ان تكون كثيرة .. منها انه لم يذكر لتاريخ الامم والملوك للطبري ص ٢٢١ طبعة اوربا (في الاقل) ، والمفروض بالبيلوغرافيا ان تستوفي. وعن الشعر والشعراء ص ٢٢٢ لم يذكر ط. اوربا ، وط. دار الثقافة (وغير صحيح ان يذكر اسم عبد السلام هارون على انه شريك لاحمد محمد شاكر في تحقيق طبعة دار المعارف بمصر لكتاب ابن قتيبة ، لا في طبعته الثانية ولا الاولى). ومثل ذلك قل في طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٢٢ (ولكن ما الحاجة الى طبقات الشعراء لابن المعتز وهو قائم على المحدثين (العباسيين) وربما كان ذكر كتاب البديع اولى) ، ومثل ذلك اليعقوبي ص ٢٢٣ .

ولدى ذكر الجبوري (يحى) ص ٢٢٩ وذكر كتابه لبيد ، ذكرت ط ١٩٦٢ وهي ليست شيئا بالنسبة لطبعة اخرى فيها دراسة مجددة ـ وهي رسالة جامعية (للدكتوراه) ، بغداد ، مكتبة الاندلس ١٩٧٠ .

وفي الكلام على شرح التبريزي للمعلقات كان لا بد من ذكر تحقيق الدكتور قباوة . ويمكن ان نضيف هنا «شرح الاشعار الستة الجاهلية » للبطليوسي ، وقد صدر الجزء الاول منه ببغداد بتحقيق ناصيف سليمان عواد ١٩٧٩ .

وهناك ميدان مكمل لا يستغنى عنه في الدراسة الجاهلية هو ميدان المعجمات اللغوية كالصحاح والمحيط والتاج واللسان .. ، وميدان معجمات المطبوعات كمعجم سركيس .. والمعجم الخاص ببلاد معينة مثل معجم كوركيس ..

وتبقى بمسألة النص على عدد اجزاء الكتاب لديه حاجة الى تدقيق . يقول مثلا : « البستاني ، بطرس ، ادباء العرب ٣ اجزاء » ولا اهمية للاجزاء الثلاثة في بليوغرافيا العصر الجاهلي لان الاهمية تقع في الجزء الاول فقط . وقل مثل ذلك في « زيدان ـ تاريخ اداب اللغة العربية . ٤ اجزاء » .

وهناك كتاب صدر في بيروت في طبعة تجارية اسمه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا تستهيمي أطماعي

قلبي يكاد يطير من اضلاعي ... شوقا اليك ، وانت بين ذراعي
ارقصته بحديثك العذب الذي ... كلماته شعرية الايقاع
انا لو ضممتك في حنايا مهجتي ... لا ينتهي شوقي ولا اطماعي
احبيبتي : ان الوفاء سجية ... لي في الهوى، والصدق بعض طباعي
هذا فؤادي من خلال قصائدي ... تبدو مشاعره بغير قناع
اني اتخذتك ملهما ، توحين لي ... شعري ، وليس للذتي ومتاعي
فرفعته بفتونك السامي الى ... اوج الجمال ، وقمة الابداع

العراق ـ بغداد ص.ب ٢٢٠٣٨ — محمد جواد الغبان

« الادب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي » للدكتور ج. هيوارث دن ـ كنت اود ان يتطرق المؤلف الى ذكره وامتحانه .. ومحاولة اعادته الى اصله ، فاني في شك منه كبير !!

ومن مواد الببليوغرافيا (ترى اما كان مناسبا ان نوجد لها اسما عربيا نصطلح عليه ، كالمكتبة ..) ما ورد ناقصا كأن المؤلف لم يصل الى اكماله ، ومن ذلك ص٢٢١ « السلمي ، عزام بن الاصبغ (ت ٢٧٥ هـ) اسماء جبال تهامة » وكما له « .. كتاب اسماء جبال تهامة ـ وسكانها تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، مط. امين عبد الرحمن ١٣٧٣ » .

ومنه ص ٢٣٠ « حمزة ، فؤاد ـ قلب جزيرة العرب » ومن تمام المعلومات ان تاريخ مقدمة تأليف الكتاب مكة ١٢ ربيع الاول ١٣٥٢ ـ ٥ مايو ١٩٣٣ ، وقد اعيد طبعه سنة ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨ .

ولقد ذكرنا تصحيحا لما ورد ص ٢٢٢ « آل نبهان ، خليفة بن حمد ، التحفة النبهانية في تاريخ جزيرة العرب» ونزيد ونؤكد هنا ان ليس لخليفة بن حمد كتاب بهذا الاسم ، وانما الكتاب لابنه محمد واسم الكتاب الكامل : « التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية » وهو اثنا عشر جزءا ـ ينظر عنه عمر عبد الجبار ، دروس من ماضي التعليم ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥ .

.. ان الكتب التي صدرت في الحجاز ونجد ولها علاقة مباشرة (او غير مباشرة) بتاريخ الجاهلية وادبها .. كثيرة ، اكثر مما نتصور ، نذكر منها على سبيل المثال ـ اخبار مكة للازرقي ، واخبار مدينة الرسول لابن النجار، تحقيق النصرة للمراغي ، التعريف للمطري ، شفاء الغرام للفاسي ، العقد الثمين له ، .. ومؤلفات حديثة كثيرة في مقدمتها صحيح الاخبار لابن بليهد (طبع مرتين) ، ومؤلفات الشيخ حمد الجاسر ومجلته (العرب) والمعجم الجغرافي الذي يشرف عليه .. ومؤلفات الاستاذ عبد القدوس الانصاري ، ومجلته العريقة (المنهل) .. ثم مجلات كليات الاداب ، والدارة .. قد تكون بالسعودية حاجة الى وقفة خاصة وبحث خاص ..

واعتذار المؤلف عن صعوبة حصر « المقالات » مقبول لدى الضرورة القصوى لانه يمكن ان يكون عملا مستقلا قائما بنفسه . واقرب ما يمكن ان اضيفه هنا بحث للدكتور محمد مهدي البصير بعنوان « اعشى بكر » تضمنه الاصدار الخاص من مجلة كلية الاداب بجامعة بغداد لمناسبة « اربعينية البصير » ، العدد الثامن عشر ١٩٧٤ ص ص ٢٠ ـ ٢٨ .

آمل ان يكون عمل الدكتور عفيف عبد الرحمن منطلقا لاستكمال المكتبة الجاهلية ، ولا بد لذلك من تضافر الجهود وليلاحظ ان عمل الدكتور عبد الرحمن قد سبقته محاولة ـ فاته ان يشير اليها ـ هي محاولة الدكتور صالح احمد العلي في كتاب « الادب العربي في آثار الدارسين » الذي عملت على تأليفه الجامعة الاميركية في بيروت ، وقد صدر عام ١٩٦١ عن دار العلم للملايين .

بغداد ـ الجادرية — علي جواد الطاهر

شواعر من الأندلس

بقلم عبد الغني العطري

* * *

حفظ لنا التراث العربي ، كثيرا من روائع ادباء الاندلس وشعرائه الخالدين . واحتل هذا الادب مكان الصدارة في المكتبة العربية . ولكن ادب المراة الاندلسية وشعرها ، ضاع في المغرب ، كما ضاع من قبل في المشرق ، ولم يحفظ لنا تاريخ الادب الاندلسي سوى النذر اليسير من الشعر ، وغير ابيات ومقطوعات ومتفرقات .

لقد قالت المراة العربية الشعر ، ولعلها لم تكن اقل شانا من الرجال في هذا المضمار ودليلنا على ذلك قول ابي تمام : « لم انظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة » . وكذلك ما روي عن ابي نواس انه قال : « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امراة ، منهن الخنساء وليلى » . فاين ذهب هذا الشعر ؟ واين اين اختفت هذه الكنوز ؟ لقد طوتها يد الايام دون ريب ، مع ما طوت من آثار واشعار ، وحكم ومخطوطات لا حصر لها.

وشعر المراة محصور اكثره بين الغزل والرثاء . وهذان اللونان من الشعر يعبران عادة عن عاطفة مشبوبة يلهبها الحب والوجد ، او تثيرها الفاجعة والدموع . والمراة شديدة التاثر بالحب والفاجعة . اما الوصف والمديح والهجاء ، وفنون الشعر الاخرى ، فيكاد يكون ما وصلنا من شعر المراة فيها اقل من النادر .

وفي الاندلس ، وطن السحر والجمال ، ظهر الى الوجود عدد من الشواعر ، نبغن في قو ل الشعر ، وبرعن في هذا الفن ، ولكن شعرهن ضاع وعفت عليه يد الزمن ، وبقيت لنا اسماء قليلة وابيات ومقطوعات يسيرة ، ونتف واخبار لا تعطي سوى صورة باهتة مشوشة عن شعر المراة الاندلسية . ومن خلال هذه الاسماء والمقطوعات ، والنتف والاخبار ، سنحاول ان نلقي بعض الاضواء على لشعر الاندلسي عند المراة :

ابرز من نعرف من شواعر الاندلس ولادة بنت المستكفي ، فقد ولدت وعاشت وترعرعت في احضان الملك، كما عرفت بالجمال وخفة الروح ، ونشأت في مهد الدلال، ونبتت نبتة الملوك ، واتقنت اللغة والادب وقول الشعر . وتعتبر ولادة من مفاخر الاندلس . قال ابن بشكوال صاحب كتاب الصلة : « كانت ولادة اديبة شاعرة ، جزلة القول ، حسنة الشعر ، تناضل الشعراء ، وتساجل الادباء ، وعمرت ولم تتزوج ، وتوفيت سنة ٤٨٠ . كان ابوها المستكفي قد بايعه اهل قرطبة ، لما خلعوا المستظهر، وكان خاملا ساقطا ، وخرجت هي في نهاية من الادب والظرف ، حضور شاهد ، وحرارة اوابد ، وحسن منظر ومخبر ، وحلاوة مورد ومصدر .

وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار الصبر ، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر ، يعشو اهل الادب الى ضوء غرتها ، ويتهالك افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها . تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم انساب ، وطهارة اثواب . عشقها ابن زيدون ، شاعر الاندلس الاكبر وهام بها اي هيام وقال فيها معظم شعره في الغزل . ويروى انها زارته ذات يوم ، فلما همت بالانصراف انشدته هذه الابيات ، التي تروى ايضا لابن زيدون ، وقد وردت في ديوانه المطبوع :

ودع الصبر محب ودعك ... ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على ان لم يكن ... زاد في تلك الخطى اذ ودعك
يا اخا البدر سناء وسنى ... حفظ الله زمانا اطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم ... بت اشكو قصر الليل معك

ويروى ان ابن زيدون بعث اليها ذات يوم بهذه الابيات :

الا هل لنا من بعد هذا التفرق ... سبيل فيشكو كل صب بما لقي
وقد كنت اوقات التزاور في الشتا ... ابيت على جمر من الشوق محرق
فكيف وقد امسيت في حال نؤية ... لقد عجل المقدور ما كنت اتقي
تمر الليالي لا الصبابة تنقضي ... ولا الصبر من رق التشوق معتقي
سقى الله ارضا قد غدت لك منزلا ... بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

فاجابته ولادة بقولها :

لحى الله يوما لست فيه لالتقي ... محياك من اجل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة ... واي سرور للكئيب المؤرق

ومن قولها :

ترقب اذا جن الظلام زيارتي ... فاني رايت الليل اكتم للسر
وبي منك ما لوكان بالشمس لم تلح ... وبالبدر لم يطلع، وبالنجم لم يسر

وكما عرف عن ابن زيدون حبه لولادة ، عرف عن الوزير ابن عبدوس حبه لها ايضا ، ومنافسته له على قلبها ، الامر الذي دفع به الى القاء ابن زيدون في السجن، كي يصفو له الجو ، وتخلو له الساح .

واتهمت ولادة بالتبذل ، وقيل انها كتبت على كميها عن يمين وعن شمال قولها :

انـا والله اصلـح للمعـالي وامشي مشيتي واتيـه تيهـا
امكن عاشقي من لثم ثغري واعطي قبلتي مـن يشتهيهـا

على ان تهمة التبذل هذه ، مشكوك بأمرهـا ، لان الشعراء يقولون ما لا يفعلون ، وبدليل قول ابن زيدون عنهـا :

وغـرك مـن عهـد ولادة سراب تـراءى وبـرق ومـض
هي المـاء يابى علـى قـابض ويمنـع زبدتـه من مخـض

فكيف تكون ولادة ، سليلة المجد والشرف ، والاديبة الاريبة ، والحسناء الشاعرة ، خليعة ماجنة ، مستهترة ، تمكن اي عاشق من لثم ثغرها ، وتعطي القبلة من يشتهيها؟ كيف تكون كذلك ، وقد شبهها ابن زيدون بالماء الذي يتعذر على احد امساكه ؟

وبقيت ولادة على ولائها لابن زيدون الى ان فرت من قرطبة الى اشبيلية .

ولولادة ايضا شعر ماجن ، وهجاء مقذع لابن زيدون بعد ان هجرته وتحول قلبها عنه .

★ ★ ★

ومن اديبات الاندلس وشواعرها « حمدة » ويقال لها حمدونة بنت زياد المؤدب ، وهي من وادي آش احدى مدن الاندلس . قال ابن المقري في نفح الطيب :

هي خنساء المغرب وشاعرة الاندلس دون منازع .

ومن منظومها ـ وقد خرجت مع نساء الى واد ، نهـره منقسم الجداول بين الرياض ، فنضون ثيابهن وسبحن في الماء وتلاعبن :

ابـاح الدمـع اسراري بـواد بـه للحسن آثـار بـواد
فمن نهـر يطـوف بكـل روض ومـن روض يـرف بكـل واد
ومن بـين الظبـاء مهـاة انس سبت لبي وقـد ملكت فـؤادي
لها لحـظ ترقـده لامـر وذاك الامر يمنعني رقـادي
اذا انسدلت ذوائبهـا عليهـا رايت البـدر في افـق السواد
كان الصبـح مات له شقيـق فمن حـزن تسربـل بالسـواد

★ ★ ★

ومن شواعر الاندلس عائشة بنت احمد القرطبية ، ويروى انه لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها فهما وادبا وشعرا وفصاحة . دخلت على الملوك ومدحتهم، وماتت وهي عذراء سنة اربعمائة للهجرة ، ويصفها ابـن سعيد الرحالة في كتابه « المغرب في اخبار المغرب » بأنهـا من عجائب اوانها . وابو عبد الله الطيب عمها . ولو قيل انها اشعر منه لجاز . دخلت على المظفر بن المنصور ابن ابي عامر ، وبين يديه ولده فارتجلت :

اراك الله فيـه مـا تريـد ولا برحـت معاليـه تزيـد
فقـد دلـت مخايلـه علـى مـا تؤملـه وطالعـه السعيـد
وكيف يخيـب شبـل قد نمته الى العليـا ضراغمـة اسـود
فسـوف تـراه بـدرا في سمـاء مـن الجـلي كواكبـه جنـود
فانتـم آل عامـر خـير آل زكـا الابنـاء منكم والجـدود
وليدكـم لـدى راي كشيـخ وشيخـكم لـدى حـرب وليـد

ومنهن ايضا « نزهون الغرناطية » من اهل المئـة الخامسة . وقد وصفها صاحب كتاب « المسهب » « بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة ورواية الشعر والامثال. مع الجمال الفائق والحسن الرائق » . يروى انها كانت تقرأ مع ابي بكر المخزومي الاعمى ، فدخل عليها ابو بكر الكندي ، فأخذه جمالها فقال يخاطب المخزومي :

لو كنت تبصر من تجالسه ..

فأفحم وأطال الفكرة، فما وجد شيئا، فقالت نزهون:

لقـدوت اخـرس مـن خلالـه
البـدر يطلـع مـن ازرتـه والغصـن يمـرح في غلالـه

ومن شعرها :

لله در الليـالي مـا احيسنهـا ومـا احيسـن منهـا ليلـة الاحد
لو كنـت حاضرنا فيها وقـد غفلت عين الرقيب فلم تنظـر الى احد
ابصرت شمس الضحى في ساعدي قمر بـل ريم خازمـة في ساعدي اسد

★ ★ ★

ومن شواعر الاندلس ، زوجة قاضي « لوشـة » احدى مدن الاندلس . ويقال انها فاقت العلماء في معرفة الاحكام والاقضية ، حتى لقد كتب اليه احد اصحابـه مداعبـا :

« بلوشـة » قاض لـه زوجـة واحكامهـا في الورى ماضيـة
فيا ليتـه لم يكـن قاضيـا ويا ليتهـا كانـت القاضيـة

فارتجلت الشاعرة حين اطلعها زوجها القاضي على الابيات :

هـو شيـخ سـوء مـزدري لـه شيـوب عاصيـة
كـلا لئـن لـم ينتـه لنسفعـن بالناصيـة

★ ★ ★

ومن شواعر الاندلس ايضا «قسمونة بنت اسماعيل» وكان ابوها شاعرا ، وقد عني بتأديبها . قال ابن المقري : وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها . قال لهـا يومـا ابوها ، اجيزي :

لي صاحب ذو بهجة قد قابلـت منهـا بظهـر واستحلت جرمها

فقالت :

كالشمس منها البدر يقبس نـوره ابـدا ويكسـف بعـد ذلك جرمها

فقام كالمختبل وضمها اليه ، وجعل يقبل رأسهـا ويقول : انت والعشر كلمات اشعر مني ، ونظرت في المرآة فرأت جمالها ، وقد بلغت اوان الزواج ولم تتزوج فقالت:

ارى روضـة قد حـان منها قطافها ولست ارى خدنـا يعد لها يـدا
فوا اسفا يمضي الشباب مضيعـا ويبقى الذي ما ان اسميـه مفردا

ومن قول قسمونة بنت اسماعيل في ظبية كانـت تحت يدها :

يا ظبيـة ترعى بروض دائمـا اني حكيتـك في التـوحش والحور
امسى كلانـا مفردا عن صاحب فلنصطبر ابدا على حكم القـدر

هذه لمحة عن بعض ما وصل الينا من شعر المراة العربية في الاندلس . ولو وصل الينا هذا الشعر كله ، لكان دون شك ثروة تضاف الى المكتبة العربية وتملأ فيها فراغا كبيرا ، وتعطي للادب العربي عامة الدفء والحرارة وتبعث فيه النشاط والقوة والطرافة .

دمشق عبد الغني العطري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يوسف أسعد داغر عالم مات وقلم البحث في يده

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

في عام ١٩٤٩ وكانت الحياة في لبنان الشقيق تسير سيرا متفاوتا بين الجمود والحركة ، وبين الحرية والمحافظة ، وبين التطلع نحو الشرق العربي ، والرجوع الى الصلات التي تربط لبنان بالغرب .

كانت الثقافة العربية اللبنانية في حيرة من امرها ، فهي لم تستقر على نهج واحد ، ولا خط واضح . بعض اصحابها ودعاتها يريدون ان يتحرر لبنان من كل ما له صلة بالغرب ، وان يضع كل ما لديه من امكانيات في تعريب المنهج والدراسات الغربية ، وان يسعى في نقلها الى اللغة العربية .

بينما اخذت افكار المعارضين تنشط في عودة السفينة الى مراسيها الاولى ، وان لا تبحر صوب البحار العربية وموانئها المفتوحة لاستقبال الاخوة الاشقاء .

وكانت هناك طبقة من المثقفين اللبنانيين قد تميزوا بالمحايدة . فلا هم اصحاب الفكرة العربية الشرقية الخالصة ولا هم بذوي النزعة الغربية الاوروبية المتحمسة لانهم على قاعدة القول المشهور : (خذ الحكمة من اي وعاء خرجت) .

وكان من جملة اولئك المثقفين العاملين في حقل المعرفة الانسانية العصرية المرحوم الصديق الاستاذ الدكتور يوسف اسعد داغر (١٨٩٧ ــ ١٩٨١ م) . الذي تثقف بالثقافة اللبنانية العربية القروية وكان يرحمه الله ــ محبا للغة العربية وتراثها الغني المعطاء ، ومعتزا بلبنانيته وما فيها من عبقريات ونبوغ في الوطن والمهاجر متمسكا بدينه وعقيدته ، مترجما لعدد كبير من ابناء وطنه الكريم في كتبه (مصادر الدراسة الادبية) ما بين ١٨٠٠ ــ ١٩٧٢ م .

قال : « قد يستكثر البعض ممن ضاقت صدورهم وازورت نياتهم مستعظمين النسبة العالية التي تصيب لبنان من بين الادباء والمفكرين الذين ترجمنا لهم في هذا الجزء من (مصادر الدراسة الادبية) فيرموننا بالعصبية الاقليمية الضيقة والاثرة وبالمحاباة والخروج عن الصدد».

واردف قائلا :

« وقد فات هذا البعض على ما يبدو معرفة تاريخ النهضة الادبية والفكرية والعلمية في هذا الشرق العربي ، كما جهلوا او تجاهلوا الدور القيادي الذي لعبه اللبنانيون في حركة البعث الادبي ، في العالم العربي » .

ثم قال :

« لقد سار اللبنانيون في طليعة المفكرين العرب في هذا كله ، وامدوا الاقطار العربية في مجالات القومية ، وفي مجالات الادب ، والفن ، والعلم ، والصحافة ، والتاريخ والجغرافيا ، والمسرح ، والطباعة ، والتربية والتعليم ، والفهرسة العلمية ، وغير ذلك من النشاطات الفكرية » .

ان المنهجية العلمية التي سار عليها المرحوم الدكتور يوسف اسعد داغر ، هي منهجية العلم الاوروبي المتطور الذي درسه وعاشه يوم ان كان طالبا في (باريس) يدرس اللغة والادب والتوثيق لمدة سنتين . وعند عودته الى بلده العزيز سنة ١٩٣١ ، قرر ان يعمل عملا نافعا لابناء العربية .

قال : « لقد عقدنا العزم على ان نقوم لدى عودتنا الى الوطن ببعض الشيء في سبيل لغتنا المباركة وآدابنا الغنية ، وهي آداب وافرة المحصول ، ضخمة الانتاج بين طارف وتليد » .

اما عن كيفية خدمة هذه اللغة الاصلية ، وما فيها من ثروة كامنة . فقد اختط لنفسه منهجا علميا . وهو ان يضع لها (فهارس ميسرة على النمط الغربي) . وصرف في ذلك كما قال ــ رحمه الله ــ عشرين سنة ما بين ١٩٣١ ــ ١٩٥٠ م يوم ان اصدر الجزء الاول من كتابه الموسوعي (مصادر الدراسة الادبية) .

لقد وجد الدكتور داغر ، أن ابناء الغرب تقدموا على ابناء الشرق بالترتيب ، والدراسة العلمية مع النظرية، وعدم الالتفات الى التقليد المميت . بل الاخذ بالتطور العلمي والنواحي العملية .

لقد وجد ان الطالب هناك يحمل الشهادة الجامعية وهو واقف على قدميه امام مشاكل الحياة ومصاعبها ، وانه يطبق النظريات بالعمليات . ويعيش في مختلف الاوضاع والبيئات . وان سر تلك القوة الحاصلة لدى المتخرجين والمثقفين والدارسين والعاملين في محيط الغرب انما يكمن في الاسرة ، والمدرسة ، والاستاذ ، ومعرفة المنهج العلمي السليم ، وطرق البحث العصرية ، والافادة من قيمة الوقت ، الذي يهدر في بيئاتنا الشرقية والعربية .

لقد بهر الغرب الاستاذ داغر ، بما فيه من كثرة النوادي والمكتبات والمجامع والمعارض والفهارس والادلة، والبرامج واللوائح . « كل هذا تشويقا للطامع بالمعرفة البشرية ، الطامح الى استجلاء آفاقها ، واستكناه مكنوناتها » .

لقد اعطى الدكتور يوسف داغر ، الاهمية الكبرى للمكتبة ولامناء المكتبات . فقد وصف عمل (المكتبة)

بقوله : « ان عمل المكتبة هو في الدرجة الاولى عمل ثقافي تربوي عظيم الاثر جليل الحظ ، اذ القصد منه امداد الزوار واهل البحث بأصول المعرفة عن طريق المصادر العلمية والاستعلامات » .

اما عن القائم عليها ، فقد وصفه بقوله : « بأنه معلم ، ومرب ، ومرشد ، ودليل الى مواطن العلم ، يهبط بالطالب الى حياضه النضرة ممسكا بيده برفق ولين » .

★ ★ ★

ان اهم ما قام به الاستاذ المرحوم الدكتور يوسف اسعد داغر ، هو انه يسر المعلومات المبعثرة عن الشخصيات والمواضيع المتناثرة في بطون المجلات والصحف والمصادر والمراجع المختلفة زمنا ومادة . وقدمها مرتبة سهلة لينة ناضجة للباحثين والدارسين بحيث انك اذا اردت معرفة دقيقة عن اهم الكتاب والادباء والعلماء والشعراء العرب في ماضي قرونهم ، او في دنيا حاضرهم ، ترجع الى مؤلفاته النفيسة . ومن اهمها مجلدات (مصادر الدراسه الادبية) وهي :

الكتاب الاول

الذي صدر عام ١٩٥٠ في لبنان ـ وهو يتناول مناهج التعليم الرسمية في لبنان ، سوريا ، العراق ، مصر .

من العصر الجاهلي ، الى عصر النهضة . وطريقته العلمية تسير على النهج الاتي :

١ ـ اسم الشاعر او الاديب وسيرته .
٢ ـ سنة ولادته ـ ووفاته بالهجرية والميلادية .
٣ ـ الاصول القديمة التي تناولته باجزائها وصفحاتها وطبعاتها .
٤ ـ الكتب التي ضمت فيها بعض الابحاث عنه .
٥ ـ مؤلفات تناولته بالبحث .
٦ ـ مقالات المجلات العربية .

هذا وقد احتوى الكتاب على ١٠٠ ترجمة .

الكتاب الثاني

من هذه السلسلة هو الفكر العربي الحديث في سير اعلامه الراحلين ما بين سنة (١٨٠٠ ـ ١٩٥٥) وقد ضم بين صفحاته ٢٠٦ تراجم .

وطريقته في هذا الكتاب تختلف عن الكتاب الاول . فهو احيانا يؤرخ حياة الكاتب او الشاعر بالايام والاشهر والسنين ، ولادة ووفاة ، ان وجدها . ويجعل خطته على الصورة التالية :

١ ـ من هو ؟ صفات وخصالا واوصافا وثقافة وعلما وادبا .
٢ ـ مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة .
٣ ـ مصادر ومراجع عنه .
٤ ـ مقالات المجلات العربية .
٥ ـ كتب خاصة به .
٦ ـ كتب تناولته بالبحث .

وقد طبع الكتاب في لبنان ، ونشرته جمعية (اهل القلم) في لبنان سنة ١٩٥٦ وكان الاستاذ داغر احد اعضاء مجلس ادارتها .

ومما ورد في مقدمته قوله :

« حاولنا في تركيز شخصية الاديب الذي نترجم له تعيين ما برز من صفاته وخصاله واوصافه ومناقبه وعلاقاته بمجتمعه ، والصلات التي ربطته بمعاصريه والعوامل الحضارية ، والتيارات الثقافية والادبية والعلمية والسياسية والفنية والدينية التي انطبع بها وتفاعل معها. ثم ذكرنا بشيء من التفصيل مراحل حياته البارزة والصوى التي قطعها في تحصيله واهم الاعمال التي ميزت مختلف اطوار حياته » .

واستمر يقول :

« وهذا الفهرس هو الاول من نوعه واكمل ما يظهر من هذه الفهارس على الاطلاق في هذا العصر ، في العالم العربي والغربي ، يعطي جدولا كاملا باسماء الكتب التي وضعها اعلام الفكر العربي ممن ترجمنا لهم في تضاعيف هذا الكتاب او كانت مصدرا من المصادر الاولية لدراستهم دراسة علمية » .

وقد اشار الاستاذ داغر بانه اغفل دراسات المستشرقين وابحاثهم المتعلقة بالشخصيات الادبية والعلمية التي ضمتها موسوعته الكبيرة والتي تجاوزت اعدادها ١٠،٠٠٠ مصدر اذ وعد باصدار مجلد خاص بها .

وقد كان يطمح الى اصدار اجزاء من هذه المعلمة تتعلق بالمرأة العربية وكبار المستشرقين والفنون الادبية العامة من نقد ، وصحافة ، وقصة وغيرها .. وهو في كل هذا لم ينس شريكة حياته السيدة الفاضلة (ام فؤاد) اذ اهداها كتابه « اعترافا بعميم فضلها ، وبالغ اثرها » .

الكتاب الثالث

وهو عن الفكر العربي الحديث في سير اعلامه، وصدر بقسمين وضم تراجم المشاهير من رجال الفكر العربي في اغلب اقطار الوطن العربي من محيطه الى خليجه ما بين سنة (١٨٠٠ ـ ١٩٧٢) وهذا الكتاب كان قد صدر من منشورات (الجامعة اللبنانية) واحتوى على ٥٤٠ ترجمة . وقد ذكر عن عملية الانتقاء التي قام بها في تأليف كتابه هذا فقال :

« وعملية الاصطفاء التي قمنا بها لهذه الدراسات لم تأت اعتباطا ، ولم نرتجلها ارتجالا . فنحن ندرس وننقب وننخل ونحقق ، ونستقرىء ونغربل ، كتب النقد وآراء الناقدين للكتب التي تلفظها المطابع يوما بعد يوم في جميع انحاء العالم العربي . ولم يكن لشعورنا او لميلنا الشخصي اي دور في عملية الانتقاء هذه فاقتصر عملنا منها على ما فرض نفسه بنفسه » .

وللاستاذ المرحوم الدكتور داغر كتاب قيم وهو (فهارس المكتبة العربية في الخافقين) الذي نشره في لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سنة ١٩٤٧ .

وقد تناول فيه فهارس المكتبة العربية في الشرق بقسم المطبوعات ، وقسم المخطوطات ، في خزائن الوطن العربي ، والعالم الاوربي اضافة الى بحث عن الاستشراق وابرز رجاله، وفهارس المجلات الاستشراقية. مع الاشارة الى اسماء الصحافيين والكتبيين والمستشرقين . وجعل من أبحاثه الجديدة باب المحفوظات الشرقية ـ مع ذكر فهارس الاداب العالمية .

آخر مؤلفاته المطبوعة

اصدرت له وزارة الاعلام العراقية ببغداد عام ١٩٧٨ آخر مؤلفاته المطبوعة وهو كتاب (معجم المسرحيات العربية والمعربة ١٨٤٨ ـ ١٩٧٥) .

وقد احتوى على اسماء ٣٦٠٠ مسرحية عربية او معربة ظهرت في مختلف اقطار العالم العربي . كما تحدث فيه المؤلف عن النواحي المسرحية التالية :

١ ـ فهارس المسرح العربي .
٢ ـ معلومات حول مسرح خيال الظل .
٣ ـ جولة حول تاريخ المسرح العربي في الوطن العربي .
٤ ـ شروط التاليف المسرحي .
٥ ـ المسرحيات العربية مرتبة عناوينها قاموسيا .
٦ ـ فهرس اعلام المؤلفين والمترجمين .
٧ ـ فهرس المسرحيات العربية ـ النثرية والشعرية
٨ ـ فهرس الاجواق والفرق التمثيلية والمسارح في الوطن العربي .
٩ ـ فهرس كواكب المسارح التمثيلية من ممثلين وممثلات .
١٠ ـ فهرس المجلات العربية التي استقى منها مراجعه .

اما مقدمة كتابه هذا فقد جاءت استعراضا لما قام به وسعى اليه من جمع المتفرق ، وترتيب المجمع ، مع شكره وتقديره لمن اسهم معه في اعداد الفهارس والمواد المشتمل عليها الكتاب .

ولم ينس توجيه التقدير الى وزارة الثقافة والفنون في الجمهورية العراقية التي قامت بنشر معجمه النافع .

هذا وقد تركنا تحليل مؤلفاته الاخرى الى مجال آخر وفرصة مناسبة .

نشاطه العلمي وسياحاته وصلاته

لقد كان الاستاذ يوسف اسعد داغر نشيطا ـ ساح في اغلب البلاد العربية ـ منها العراق ، مصر ، سوريا ، السودان ، ليبيا ، المغرب ، الكويت .

وسافر الى الولايات المتحدة حيث يعيش بعض ابنائه الاطباء هناك . ولقد اشتغل في تنظيم عدة مكتبات شرقية واوروبية واميركية . وافادت المجامع والجامعات من خبرته العلمية في عالم التوثيق والفهرسة والمخطوطات والتراجم . كما كانت له صلات علمية واخوية بكبار النقاد ، والعلماء ، والادباء في الوطن العربي .

كان عاملا محبا مخلصا لعمله . تعارفت معه سنة ١٩٤٩ وهو في منصب امين دار الكتب اللبنانية . وجدته رجلا طوالا ابيض البشرة ، اشقر الشعر ، بهي الطلعة ، دائم البسمة . له عينان خضراوان حادتان ، وجسم ريفي متين يحمل طابع ابناء القرية اللبنانية التي وصفها الناقد الساخر المرحوم الاستاذ مارون عبود في كتاباته ومؤلفاته الطريفة .

لقد كان يوسف اسعد داغر يمتلك جسما شامخا ، وروحا قوية ، لا تعرف المهادنة مع الكسل . ولا تلتفت يوما الى التعب ، فهو يسخر من قوة الشباب اليوم ، ويعتبرها قوة لا تقاوم المرض والنصب . بينما هو ظل كالسنديانة الجبلية القوية التي تهزأ ببرد الشتاء، وبحرارة الصيف ، وبريح الخريف ، وتظل مورقة دائمة الخضرة كأيام الربيع .

ان متانة قوته كانت مستمدة من متانة قوة الجبل اللبناني ، الذي يلتفت الى عواصف الاحداث ، ويهزأ بقوى التحدي .

اما كيف انهد هذا الجبل الشامخ ، من القوة ، والارادة ، والصبر ، والمثابرة ، والسهر ، والنشاط ، فهو يعود الى ما اصاب نفسه من الالم ، وروحه من التوجع ، على وطنه لبنان . فهاجر الى الولايات المتحدة في (ميرلاند) ثم عاد اليه يتوسد تربته الزكية . وقد وصف لي باحدى رسائله العزيزة ما حل به وبداره وبالسيدة المحترمة زوجته (ام فؤاد) ، يوم ان هاجمتهم عصابة سالبة ناهبة ساخرة بالقيم والعلم والاخلاق ، وبالكرامة وحرمة البيوت ، واحترام الافاضل والعلماء ، الذين لا يملكون في دنياهم الا الكتاب والقلم والقرطاس ، ومحبة البحث ، وخدمة الفكر الانساني في جميع ميادينه ، ومختلف عصوره . ولا اتجاوز الحقيقة ان قلت ان موت المرحوم الاستاذ داغر كان سببه (الهم) الذي اصابه لما حل به وبأهله وداره ، وما يجري في ساحات بلده الكريم لبنان مما يدمي القلوب ، ويهز المشاعر ، ويجري الدموع!! ورحم اللـه شاعر العروبة ابا الطيب المتنبي في حديثه عن (الهم) بقوله :

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

★ ★ ★

كانت له مراسلات اخوية مع اغلب العراقيين الافاضل امثال الاستاذين كوركيس عواد وميخائيل عواد، والدكتور علي جواد الطاهر ونخبة من الادباء والعلماء في البلاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربية الاخرى . كما له صلات ودية وعلمية مع اغلب المستشرقين ، وامناء المكتبات في دنيا المشارق والمغارب من صفوة المفهرسين والوثائقيين عربا كانوا ام اجانب مستعربين . ومع المعاهد والمجامع والاندية العلمية في الشرق الاوسط ، او في جامعات فرنسة وانكلترة واسبانيا ، واميركا ، وغيرها من دول العالم .

واشاد بفضله وعرف بمؤلفاته عدد من الكتاب المؤلفين والادباء العرب ، وثمنوا جهوده العظيمة في حقل المكتبات والفهرسة والتوثيق العلمي ، حيث انه كان من رواده والداعين اليه والمحبين له ، والمتحمسين لاعداد جيل عربي طالع ، يحمل الاختصاص والشهادات العلمية فيه ، من معاهد عالية ، تعد وتحضر نخبة من الشباب للغد القريب ، المتجدد المتطور .

★ ★ ★

اننا اذ نفقد الان الاخ الصديق المحبب الى النفوس ، العامل في سبيل المنهجية العلمية ، وطرائق البحث الحديث الاستاذ الدكتور يوسف اسعد داغر ، انما نفقد رجلا كانت له اياد غر مشرقة في امداد الباحثين والمؤلفين والادباء والكتاب والصحفيين بما يحتاجونه من غذاء المعرفة ، وطعام الروح . واننا لنرجو ان تطبع مؤلفاته ، وتحفظ مكتبته من الضياع ، وتعلق صورته في دار الكتب الوطنية اللبنانية بجوار استاذه المرحوم العلامة فيليب دي طرازي والعلماء الذين احبهم وترجم لهم وعرف بمقامهم العلمي ، وكشف الغبار عن اسماء مؤلفاتهم ، وبين مضامينها ومظانها .

ولا ادري هل ان وزارة التربية اللبنانية تبخل على المرحوم داغر بهذه الالتفاتة المتواضعة والتقدير الواجب والتكريم المستحق ؟!

واختم هذه التحية العطرة لروحه السمحة الطيبة وهي زهرة من ازاهير مودته وتكريمه لي يوم عودتي من انهاء دراستي الجامعية في اسبانيا سنة ١٩٥٨ ورجوعي للوطن الغالي العراق قائلا له : انك لن تموت يا (ابا فؤاد) ما دامت آثارك العلمية باقية ، وما دام عملك النافع يمد اهل البحث والعلم بكل ما هو جدير بالاعجاب والتقدير .

اما انتم يا اهل الفقيد الكريم ، ويا اخوته واحبابه ، فلكم ما تعتزون به من آثاره المطبوعة ، والمخطوطة التي تبعث الافتخار في النفس والخلود في الحياة .

من آثاره المطبوعة والمخطوطة

عندما صدر اول كتاب للدكتور يوسف داغر واطلع عليه المؤرخ اللبناني المهاجر الاستاذ العلامة المرحوم فيليب حتي في جامعة برنستون الاميركية قال فيه :

« انها اوسع محاولة علمية في الشرق لتنسيق النتاج الفكري العربي يقوم بها فرد مستقل » . ودعا الدول العربية والهيئات الثقافية « ان تتبنى هذا المشروع الفذ لاتخاذ الوسائل التي تؤمن نشره والانتفاع به » .

الف الدكتور الفقيد داغر باللغة العربية والفرنسية العديد من الكتب ، في باب الفهارس والمعاجم ، منذ عام ١٩٣٧ . ومن هذه الآثار المطبوعة والمترجمة :

١ ـ قاموس فرنسي ـ عربي .
٢ ـ فهارس المكتبة العربية في الخافقين .
٣ ـ دليل الاعارب الى علم الكتب والمكاتب .
٤ ـ مصادر الدراسة الادبية في اربعة مجلدات .
٥ ـ تاريخ الحضارات العام في سبعة مجلدات .
٦ ـ معجم الصحافة اللبنانية .
٧ ـ معجم المسرحيات العربية والمعربة .

اضافة الى الكتب التي اعدها للطبع منها :

٨ ـ الادباء والمفكرون الاحياء في العالم العربي اليوم في ثمانية اجزاء .
٩ ـ الادب النسائي في لبنان .
١٠ ـ التراث اللبناني في اجزاء متعددة وفي لغات مختلفة .
١١ ـ فهرس الكتب العربية المترجمة عن اللغات الاجنبية .
١٢ ـ تاريخ الاسلام المسلسل بالعربية والفرنسية .
١٣ ـ تاريخ الكنيسة المسلسل .
١٤ ـ تاريخ العالم المسلسل .
١٥ ـ معجم الاختراعات والاكتشافات العلمية عبر الاجيال مرتبة على الحروف الهجائية مع ذكر الاختراع او الاكتشاف ومخترعه ، وتاريخ الاختراع وجنسية المخترع .

الى غير هذا من المواد والموضوعات الجديدة المفهرسة المنظمة التي تغني اصحاب البحث والدراسة عن التنقيب والتنقل واضاعة الوقت في تقليب الصفحات ، او مراجعة الكتب والصحف والمجلات .

لله من جهود عظيمة ! ومن نفس كانت صابرة عالمة عاملة !

اهم المصادر والمراجع

(١) مصادر الدراسة الادبية ـ الجزء الاول ـ صيدا ـ لبنان ١٩٥٠ .
(٢) مصادر الدراسة الادبية الجزء الثاني ـ بيروت لبنان ١٩٥٦ .
(٣) مصادر الدراسة الادبية الجزء الثالث ـ بيروت لبنان ١٩٧٢ .
(٤) فهارس المكتبة العربية في الخافقين ـ بيروت لبنان ١٩٤٧ .
(٥) معجم المسرحيات العربية والمعربة ـ بغداد العراق ١٩٧٨ .
(٦) مجلة الاديب في بعض سنواتها المتفرقة .
(٧) رسائل اخوية بيني وبينه .
(٨) انطباعاتي الشخصية .

جامعة بغداد ـ كلية الاداب **محسن جمال الدين**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور احمد الحفناوي

من حواضر الاسلام :

مدينة القيروان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم الدكتور احمد الحفناوي
مدرس التاريخ الاسلامي في جامعة المنوفية

* * *

يعتبر عقبة بن نافع الفهري من اكابر التابعين وافاضلهم ، وقد اشترك في حملة عمرو بن العاص على مصر ، وكان عمرو يقدر بلاءه ويرفع منزلته ، ويثق في كفايته الحربية، ولذلك عهد اليه بفتح المناطق الداخلية من اقليم برقة ، فنجح في افتتاح فزان وزويلة ، واصبح ما بين برقة وزويلة ملكا للمسلمين ، وقبل ان يعود عمرو الى مصر تركه اميرا على برقة وطرابلس ، فظل عقبة مقيما ببرقة حتى سنة ٢٨ هـ (٢) عندما قابل عبد الله بن سعد عند قدومه الى برقة في طريقه لغزو افريقية ، ولكنه ـ اي عقبة ـ لم يشترك مع عبد الله بن سعد في حملته هذه ، وفضل البقاء في برقة ليراقب اهالي هذه البلاد ويؤمن مؤخرة الجيش من اي هجوم يقوم به الروم او الافارقة . .

ولا شك ان عقبة اكتسب خلال هذه السنين التي قضاها في برقة خبرات افريقية واسعة نتجت عن تجاربه الكثيرة في محاربة البربر واحتكاكه بسكان البلاد ، وقد كسب الاسلام بجهوده مكسبا كبيرا : فقد كان قوي الايمان بدينه ، شديد الحماسة لنشره ، وكان لذلك اعمق الاثر في فتح برقة حيث لم تفتح حربيا فحسب ، ولكنها فتحت دينيا ايضا ، وانتقل سكانها الى الاسلام . واستطاع عقبة بفضل سعيه الى الاستشهاد في سبيل الله ان يكون لنفسه اسطور دينية عاشت منذ الفتح العربي لهذه البلاد حتى عصرنا الحاضر .

ولما عزل معاوية بن ابي سفيان معاوية بن حديج عن ولاية افريقية ، استعمل عليها عقبة بن نافع ، وسير اليه عشرة آلاف فارس دخل بهم افريقية من برقة وانضم اليه من اسلم من البربر فكثر جيشه وازداد جمعه .

على ان استعمال عقبة على افريقية سنة ٥٠ هـ ـ على ارجح الاقوال ـ لم يتم الا بعد ان غزا بأهل مصر الروم في البحر سنة ٤٩ هـ وكان معاوية بن حديج قد عاد الى مصر بعد ان ترك بسرت فرقة من الجيش المصري لدعم النفوذ الاسلامي في طرابلس ، وقد استخدمهم عقبة معه في تلك الحملة البحرية ، واشترك معه من التابعين : ابو عقيل زهرة بن معبد التميمي وابو عبد الرحمن الحبلي واسماعيل بن عبيد الله وابو ليلى دجين بن عامر الحجري الذي شهد حروب عقبة كلها في افريقية والمغرب .

وقد اوضحت رواية ابن عبد الحكم خط السير الذي اتخذه عقبة بجيشه الى افريقية ، فذكرت : « ان عقبة جانب الطريق الاعظم واخذ الى ارض مزاته ، فافتتح كل قصر بها ، ثم مضى الى صفر فافتتح قلاعها وقصورها، ثم بعث خيلا الى غدامس ، فلما انصرفت اليه خيله سار الى قفصة فافتتحها وافتتح قصطيلة .

ويبدو ان عقبة تجنب السير في الطريق الساحلية التي تربط سرت بقابس لكثرة الحصون في هذه المنطقة مما سيؤدي بالطبع الى اعاقة مهمته الى جانب انه اراد ان يباغت الافارقة باقتحامه بلادهم قادما من داخل الصحراء قبل تهيئتهم لدفعه ومقاومته ، « ويعتقد ان السبب الاخير هو الذي دفعه الى التزام الطريق الداخلية » (٣) .

وقد رأى عقبة لضمان استمرار فتح هذه البلاد على العرب ضرورة انشاء قاعدة عربية اسلامية فيها يكون بها عسكرهم واهلهم واموالهم وفي ذلك ينسب ابن عذارى الى عقبة قوله : « ان افريقية اذا دخلها امام اجابوه الى الاسلام ، فاذا خرج منها رجع من كان اجاب منهم لدين الله الى الكفر ، فأرى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة تكون عزا للاسلام الى آخر الدهر (٤) .

وقد سبقه الى هذه الفكرة معاوية بن حديج الذي

سبق ان اختط القيروان بموضع يعرف بالقرن ، ولما رآه عقبة لم يعجبه (٥) .

اما المالكي فقد ذكر ان معاوية بن حديج اختط مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة للقيروان ، واقام بها مدة اقامته في افريقية (٦) .

ويغلب على الظن ان عقبة عدل عن اتخاذ قيروان ابن حديج (او مدينة ابن حديج) لانها في موضع غير مأهول ولا معمور ويبدو ان ابن حديج اختار لمدينته هذا المكان لقربه من البحر حتى يتيسر للمسلمين الجهاد ، وقد غزا بالفعل صقلية ، اما عقبة فقد كان له رأي مختلف ، وهو ان تكون قاعدة المسلمين في افريقية مدينة برية حماية لها من اساطيل الروم وحتى يمكنهم (اي المسلمين) التأهب لمدافعة الغزاة لو ان قاعدتهم في الداخل ، وهكذا كان موقع القيروان يمتاز ببعده عن البحر ... كذلك كان يمتاز بكثرة مراعيه ... وهما صفتان لا بد من توافرهما في بناء المدن (٧) .

ولقد تأثر عقبة في اختياره لموقع القيروان بما تعرضت له الاسكندرية سنة ٢٥ هـ من نكبات بسبب الغزو البيزنطي لها من البحر وكان ما يزال يتذكر الجهد الكبير الذي بذله عمرو بن العاص لاستردادها ، وليس بغريب ان يكون لذلك الحادث اثره العميق في اختيار عقبة لموقع القيروان ، فقد كان واحدا من قواد عمرو ثم انه كانت تربطه به صلة قرابة (٨) .. وان كان يؤخذ عليه انه في اختياره لموقع قيروانه لم يراع الا البعد عن البحر وتوافر المراعي دون ان يتنبه الى امر هام هو الماء والمزارع .. مما ادى الى تعرض القيروان للخراب اكثر من مرة .. ولولا صفتها الدينية ووجود مسجدها الجامع لكانت قد بادت واندثرت (٩) .

ذكر ابن عبد الحكم : ان عقبة ركب والناس معه حتى اتى موضع القيروان اليوم ، وكان واديا كثير الشجر، كثير القطف ، تأوي اليه الوحوش والسباع والهوام ، ثم نادى بأعلى صوته : يا اهل الوادي ارتحلوا رحمكم الله فانا نازلون ، نادى بذلك ثلاثة ايام فلم يبق من السباع شيء ولا الوحوش والهوام الا خرج ، وامر الناس بالتنقية والخطط ونقل الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله الى مكان القيروان اليوم وركز رمحه وقال هذا قيروانكم .. كما يذكر رواية اخرى تقول : انه نادى ثلاث مرات بدلا من ثلاثة ايام (١٠) ، ولم يخرج عن المؤرخين في الاخذ بهذه الرواية ـ مع بعض التحريف ـ الا المالكي الذي ذكر انه : « كان في موضع القيروان حصن لطيف للروم يسمى قمونية ، وكان فيها كنيسة وفيها السواريتان الحمراوان اللتان هما اليوم في المسجد الجامع .. كانت عليهما حنيتان مبنيتان اقامتا الى ايام زياد الله بن الاغلب فهدمهما زيادة الله وحملهما الى المسجد الجامع ، فجعلهما في المكان الذي هما فيه اليوم » (١١) .

اما الواقدي فقد ذكر : ان موضع القيروان كان كثير الاشجار فاقترح اصحاب عقبة عليه ان يحرقوه بالنار ويبنوا فيه المدينة فقال لهم : يا قوم ، ان الوحوش والهوام ودواب الارض كثيرة بهذا المكان واخاف ان احرقها بالنار فيحاسبني الله عز وجل عليها ، ولكن اذا كان آخر النهار انادي في الموضع بأعلى صوتي : ايتها الوحوش الساكنة في هذا المكان ارحلي منه فاني اريد حرق اشجاره بالنار لان المسلمين يريدون ان يبنوا فيه بلدة لتستقر فيها رحالهم ونساؤهم وفي آخر النهار نادى عقبة رضي الله عنه في الوحوش بالارتحال فما اتم النداء حتى رفعت الوحوش اولادها في افواهها من غزلان وذئاب ونمور وغيرها ، وبقي ينتظر خروجها مدة ثلاثة ايام لم يكن داب الناس فيها الا الفرجة واللعب ، فلما كان اليوم الرابع امر بالنار فاطلقت فأكلت الاشجار عن آخرها (١٢) .

وقد ذكر بعض الباحثين : ان خروج الوحوش والهوام جاء نتيجة للحريق الذي اطلق في الموضع لتنظيفه من الاشجار قبل البناء .. وان هذا امر طبيعي يحدث عندما تلتهم النيران بعض الغابات ، فتفزع حيواناتها ، وقد يفر بعضها وهو مشتعل فيتسبب في زيادة الرقعة المنكوبة بالحريق وهذا ما نظنه تفسيرا مقبولا لاصل الاسطورة (١٣) .

ولا شك في اننا نؤيد هذا الراي اعتمادا على ما ذكره الواقدي وايضا ما ذكره ابن الاثير وابن عذارى (١٤). اتم المسلمون تنقية الموقع من الاشجار وشرع عقبة في اختطاط دار الامارة والمسجد الجامع ، ولكن لم يقم به اي بناء .. وكان يصلي في ارضه دون ان يكون قد اقيمت فيه جدران ، وقد اختلف الناس في تحديد الاتجاه الصحيح للقبلة ، باعتباره اول المساجد الجامعة في هذا القطر المفتوح ، وباعتبار قبلته الانموذج الذي يمكن ان تحتذيه سائر محاريب المساجد الجامعة في بلاد افريقية : « فأقاموا اياما ينظرون الى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشارق الشمس ، فلما رأى امرهم قد اختلف بات مغموما ، فدعا الله عز وجل ان يفرج عنه ، فأتاه آت في منامه فقال له : اذا اصبحت فخذ اللواء في يدك واجعله على عنقك ، فانك تسمع بين يديك تكبيرا لا يسمعه احد من المسلمين غيرك ، فانظر الموضع الذي ينقطع فيه التكبير فهو قبلتك ومحرابك ، وقد رضي الله لك امر هذا العسكر وهذا المسجد وهذه المدينة وسوف يعز الله بها دينه ، ويذل بها من كفر به ، فاستيقظ من منامه وهو جزع فتوضأ للصلاة واخذ يصلي وهو في المسجد ومعه اشراف الناس ، فلما انفجر الصبح وصلى ركعتي الصبح بالمسلمين اذا بالتكبير بين يديه ، فقال لمن حوله : اتسمعون ما اسمع؟ فقالوا : لا فعلم ان الامر من عند الله فأخذ اللواء فوضعه على عنقه واقبل يتبع التكبير حتى وصل الى موضع المحراب ، فانقطع التكبير فركز لواءه ، وقال : هذا

محرابكم ، فاقتدى به سائر مساجد المدينة (١٥) .

وهكذا يحاط تركيز القبلة على يدي عقبة بما يشبه الاساطير ، وبحسم الموقف ازاء تحديد القبلة ، اقبل المسلمون على بناء المسجد الجامع وعلى تشييد دورهم ومساكنهم بالقيروان ، وقد ذكر المالكي : « ان اسماعيل ابن عبيد الانصاري وعبد الله بن الزبير وابو عبد الله علي بن رباح وابو رشيد حنش وزياد بن انعم السفياني قد ساهموا في بناء المسجد الجامع ، واسسوا دورا ومساجد نسبت اليهم (١٦) .

امتلأت القيروان بالعديد من المنشآت وشد الناس اليها الرحال وانتجعوها من كل مكان ، واتسعت بالاسواق والمرافق ودامت حركة البناء فيها نحو خمس سنوات ، فاكتملت عمارتها سنة ٥٥ هـ ، وبلغ عدد دورها في ذلك الوقت نحوا من ثلاثة عشر الفا على ما يقول ـ ابن عذارى ـ وهو قول مبالغ فيه .. وكانت المدينة في بداية نشأتها قاعدة حربية ومركزا توجه منه الغزوات الى المناطق المواجهة لها .. وكان عقبة اثناء عمارته لها يغزو السرايا، ودخل الكثير من البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين وامنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها (١٧) .

وكانت القيروان مسورة بسور من اللبن هدم زمن زيادة الله بن الاغلب ، واقيم عليها سور تراب بعد ذلك ..

وقدر للقيروان ان تصبح حاضرة المغرب الاسلامي كله في عصر الخلافة الاموية .. الى ان انشئت فيه امارات مستقلة في ظل خلافة بني العباس .. فكانت في هذه الفترة : « اعظم مدينة بالمغرب واكثرها تجارة واموالا واحسنها منازل واسواقا ، وكان فيها ديوان جميع المغرب واليها تجبى اموالها وبها دار سلطانها (١٨) .

وقد وصفها الادريسي في القرن الخامس الهجري بقوله : « ومدينة القيروان ام امصار وقاعدة اقطار واعظم مدن المغرب قطرا واكثرها بشرا وجباية وانفقها سلعة وانماها ربحا واجهرهم عصبانا (١٩) .

لقد كان لتأسيس القيروان اثره في ظهور افريقية كولاية من اهم ولايات الدولة العربية الاسلامية ، فتطلعت اليها انظار الطامعين في ولايتها .

واذا كانت القيروان مدينة بنشأتها الى عقبة بن نافع، فان هشام بن عبد الملك الاموي يرجع اليه الفضل في وضع نظام مبانيها .

وعلى مر الايا م تطورت حركة العمران في القيروان تطورا ملحوظا ، واصبحت بعد اعوام اهم مدن المغرب وتحولت الى حاضرة سياسية هامة ، بلغت اوجها الحضاري حين كانت عاصمة لثلاث دول من اشهر دول المغرب العربي في القرون الوسطى : دولة الاغالبة ، ودولة الفاطميين ، ودولة الصنهاجيين ، ولم يمض وقت طويل حتى اتسعت المدينة فبلغت مساحتها نحوا من ١٣٦٠٠ ذراع ، ثم عني بها امراء الاغالبة الذين اتخذوها حاضرة لما استقر بهم الامر في المغرب الادنى اواخر القرن الثاني الهجري فجددوا بناء الجامع القيروان ووسعوه واقاموا به فسقية الاغالبة .

لقد كانت للقيروان ابواب كثيرة بلغت اربعة عشر بابا ـ على ما ذكر البكري الجغرافي ـ من اشهرها : باب تونس ، وباب ابي الربيع ، وباب الحديث ، وباب النخيل وباب القلالين ، وباب الامام سحنون ، وباب مسلم ، وباب الاصرم .

وتاريخ القيروان مرتبط بتاريخ مدن ثلاث اخرى شيدت في ضواحيها ، وشهدت ازدهارا لم تشهده مدن اخرى في تاريخ المغرب الاسلامي في العصور الوسطى ، وقد اندثرت آخر مدينة منها في منتصف القرن الخامس الهجري ـ اي بعد انقراض دولة الصنهاجيين ـ ولم يبق منها الا اخبارها في إسفار التاريخ وهذه المدن هي : العباسية ورقادة وصبرة (٢٠) .

وقد اعتنى بالقيروان العديد من المؤرخين والجغرافيين والرحالة يشهد ذلك هذا الثبت الحافل بأسمائهم واسماء مؤلفاتهم :

ـ ابن عبد الحكم المصري : فتوح مصر والمغرب .
ـ الاصطخري : مسالك الممالك .
ـ المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم .
ـ البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب .
ـ ابن حوقل : صورة الارض .
ـ اليعقوبي : كتاب البلدان .

انتقل الفاطميون الى مصر وتركوا المغرب لبني زيري الصنهاجيين ، وكان اول من تسلم الحكم منهم زيري بن مناد وتلاه ابو الفتوح يوسف ، ثم تبعه ابو الفتوح منصور ابن ابي الفتح يوسف ـ وكان من اذكى امراء الدولة ـ فقد بدا يعمل على الاستقلال بالمغرب بعيدا عن نفوذ الفاطميين، وحين توفي تولى مكانه ابنه ادريس الذي كثرت في عهده الاضطرابات السياسية في المغربين الاقصى والاوسط ، مما فتح الباب امام الانقسامات التي ساعدت فيما بعد على سقوط دولة بني زيري .

وعقب وفاته سنة ٤٠٦ هـ تقلد شؤون الدولة ابنه المعز ، ولم يكن يتجاوز وقتها ثمانية اعوام ، ولما كبر رفض الدعاء للخليفة الفاطمي سنة ٤٣٧ هـ وبايع الخليفة العباسي ابا جعفر القائم بأمر الله : « ولا شك ان قطع العلاقات بين الزيريين والفاطميين كان له اثره الخطير سياسيا واقتصاديا على المغرب بوجه عام وعلى القيروان عاصمة المغرب العربي آنذاك بوجه خاص (٢١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقال : « ان المحرك الاول والمتسبب الرئيسي في هذا التخريب هو ابو محمد الحسن بن علي اليازوري وزير الفاطميين ، والذي كان فلسطيني المولد ، فقد استغل سوء العلاقات بين المعز الصنهاجي والفاطميين ، واتصل بقبائل بني هلال التي كانت مقيمة في صعيد مصر ، ودفعهم الى الذهاب الى الشمال الافريقي واعطاهم الكثير من الاموال ووعدهم بالمساعدة وقال لهم : « سرحتكم لجواز النيل ، واعطيتكم ما يملكه ابن باديس العبد الآبق ، فخرج الهلاليون واستولوا على اكثر المدن الافريقية ، وحاصروا القيروان شهورا وافسدوا ضواحيها ، واستولوا على رقادة ، واتجهوا الى سوسة والمهدية وتونس .. وتمكنوا اخيرا من دخول القيروان وتحطيم معالمها ونهبها ومات من سكان المدينة اعداد ضخمة وفرت اعداد اخرى بعد محاولة السكان الدفاع عن مدينتهم ، وهكذا تغيرت القيروان بعد وقوعها في قبضة الهلاليين ، فأصبحت مدينة متواضعة داخل سور متهدم بعد ان كانت مركزا صناعيا هاما ومزدهرا .

ومع تلك المحن عاشت القيروان بفضل قدسيتها وتاريخها العظيم ، وبفضل ما تبقى من آثارها وفي طليعتها: المسجد الجامع الذي تعتبر مئذنته (صومعته) من اهم معالم تونس الاسلامية على ان اهم ما يشاهد اليوم في القيروان :

- مسجد ابن خيرون : ذو الثلاثة ابواب الذي يرجع تأسيسه الى القرن الثالث الهجري .
- مسجد سيدي عبيد الغرياني : الذي يرجع تأسيسه الى القرن العاشر الهجري .
- زاوية سيد الصاحب : التي شيدت على ضريح ابي زمعة الصحابي .
- فسقية الاغالبة : التي بناها ملوك بني الاغلب .
- اسواق القيروان .

(١) القيروان : لفظ فارسي دخل العربية ويعني مناخ القافلة وموضع اجتماع الناس في الحرب وفي اللغة مكان السلاح ومحط الجيش

(٢) ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة : ج ٣ ص٤٢٠.

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب : ص ٦٤ .

(٤) د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير : ج٢ص١٩٨.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب في اخبار المغرب : ص ١٩ .

(٦) ابن عبد الحكم : نفس المرجع والصفحة .

(٧) المالكي : رياض النفوس: ص٦٠ - ابن خلدون: المقدمةص٣٤٧

(٨) كان عقبة ابن خالة عمرو .

(٩) د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير : ج٢ ص٢٠٢ .

(١٠) ابن عبد الحكم : نفس المرجع : ص ٦٦ .

(١١) المالكي : نفس المصدر : ص ٢١ .

(١٢) الواقدي : فتوح افريقية : ج ١ ص ٣٠ .

(١٣) د. سعد زغلول عبد الحميد : فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والاسطورة الشعبية : ص ٣٠ .

(١٤) ابن الاثير : اسد الغابة : ج ٣ ص ٤٢١ ، ابن عذارى : نفس المصدر : ج ١ ص ٢٠ .

(١٥) الدباغ : معالم الايمان في معرفة اهل القيروان : ج ١ ص٩.

(١٦) المالكي : نفس المصدر : ص ٧٠، ٧٧، ٨٣ .

(١٧) ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ص ٢٣٥ .

(١٨) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٤ .

(١٩) الادريسي : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ص ١١٠ .

(٢٠) د. الحبيب الجبخاني : القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية ص ٦٠ .

(٢١) د. عبد الرحمن زكي : مدائن اسلامية : ص ١٢٠ .

قسم التاريخ - كلية التربية
جامعة المنوفية
مصر - شبين الكوم
دكتور احمد البهي الحفناوي

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٤٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٦ دراهم
دبي	٦ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٦٠٠ فلس
الاردن	٤٠٠ فلس
السعودية	٦ ريالات
اليمن	٦ ريالات
عدن	٦٠٠ فلس
مسقط	٦٠٠ بيسه
مصر	٤٠٠ مليم
ليبيا	٦٠٠ درهم
تونس	٦٠٠ مليم
المغرب	٦ دراهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسماء بنت أبي بكر الصديق في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر

بقلم سكينة الشهابي

* * *

حين نذكر الدور الكبير الذي قامت به المراة في مناصرة الدعوة الاسلامية نذكر اسماء وحين نذكر واجب الام المثالية نذكر اسماء ، وحين نذكر الزوجة المثالية التي تقاسم زوجها شظف العيش ، وتتحمل معه مسؤوليات الحياة القاسية ، وتصبر على طباعه العسرة تطالعنا صورة اسماء .

واذا كان حظ هذه المراة من الحياة مكفهرا عابسا فقد كان حظها من الخلود كبيرا ، فلم يبخسها التاريخ حقها ، ولم يضن عليها مسجلو هذا التاريخ بالمكانة التي يحق لها ان تتبواها .

ولعل اسماء بنت ابي بكر من النساء القلائل اللواتي سطر التاريخ اسماءهن بأحرف من نور ، لقد خصها تاريخنا العربي بمكانة لا تضاهى ، واقتطع لها اسطرا واسعة في صدر صفحاته ، فلم يبق منا عربي لا يعرف اسماء ، تركزت هذه المعرفة في رؤوس الخاصة ، وتغلغلت في قلوب العامة ، وتفشى شعور غريب بين النساء : من ارادت ان تقترب من المعنى المثالي للمراة فعليها ان تتشبه بأسماء .

هذه المراة الكبيرة ترجمها ابن عساكر في تاريخه الكبير ، وهو الرجل الذي لم يكن التراث بالنسبة له كتبا قليلة يبني عليها بحثا ، لقد كان يغرف من بحر زاخر خلفته الحضارة العربية قبل ان تمتد الى هذه الحضارة يد العبث والتلف والضياع ، كانت مئات الكتب ترفده في تأليف الترجمة الواحدة ، وبقدر ما كان بحر التراث متلاطما بين يديه كان هو يحسن الغوص والانتقاء ، فحفظ لنا صفحات مشرقة ملونة من كتب لم نعد نعرف عنها سوى الاسم ، وربما ضاع اسم بعضها من دائرة معارفنا .

★ ★ ★

يعرض علينا ابن عساكر بمنهجيته المعروفة اخبار اسماء ، ويتناول مادة هذه الاخبار من كتب معروفة مألوفة ، واخرى حال بيننا وبين الوصول اليها التلف والضياع ، فكانت تقول المصنف منها بالنسبة لنا كالقطع الثمينة التي تحتفظ بها دور الآثار وهي جادة في البحث عن قطع اخرى لتضمها الى بعضها وتعيد بناء اثر مفقود تضعضعت مادته وبقيت صورته ماثلة في الاذهان .

جمع ابن عساكر اخبار اسماء من نيف وعشرين كتابا ، نصف هذا العدد من الكتب المعروفة المألوفة والباقي بعيد عن الايدي ، لانه احد اثنين : مخطوط في مكتبات بعيدة ، ومفقود لا نعلم عنه شيئا ، ونقوله من هذه الكتب المفقودة ذات اهمية كبيرة .

وكان اسلوبه في ترجمة اسماء ذلك الاسلوب الذي الفناه في التاريخ كله ، انه يعرض مادته عرضا حياديا يجمع فيه الخبر ليؤلف من ذلك فكرة يريد التعبير عنها ، ولا يطل علينا بوجهه ابدا فيما يعرض من اخبار اللهم الا ما يكون في بدء الترجمة ، فقد عودنا ان يسمي لنا المترجم ويذكر روايته : عمن روى ومن روى عنه ، ويلمح بما سيفصل في خبره من نقول .

ولعل في استعراضنا لاخبار اسماء ما يوضح لنا المنهج الذي اتبعه المصنف في هذه الترجمة خاصة وفي الترجمات عامة .

يضع ابو القاسم بين يدي الترجمة هذا التعريف بأسماء :

١ ـ « اسماء بنت عبدالله ابي بكر الصديق بي ابي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، ذات النطاقين التيمية ، زوج الزبير ابن العوام ، وام عبد الله بن الزبير ، واخت عائشة الصديقة . وامها قتيلة بنت عبد العزي بن عبد اسعد بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ـ ويقال قتلة ـ لها صحبة ، وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث » ، يعدد ابن عساكر بعدها اسماء من روى عنها من الصحابة والتابعين . ويذكر شهودها اليرموك .

ولو تأملنا هذه التقدمة الموجزة وقرانا اخبار اسماء في تاريخ دمشق لوجدنا لكل عبارة يسوقها في هذه التقدمة تفصيلا في اخبار تروى من طرق تكون كثيرة حين يكون للفكرة اعتبار اجتماعي او ديني ، وقليلة في غير ذلك ، فالاخبار المصدرة بأسانيدها تفصيل لما اوجز المصنف ، وبسط لهذا الالماع الذي عرضه علينا بما يشبه المقدمة .

٢ ـ يستفتح ابن عساكر نقوله من المصادر برواية اسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويختار حديثا اخرجه مسلم في صحيحه ، ولكنه لا يرويه من طريق مسلم وانما من طريق البغوي ، وهذا ما سار عليه الحافظ فهو يشير الى طرق الكتب الصحيحة ويروي من غيرها ، ومن الكتب الستة يختار مسند احمد فيروي من طريقه الكثير . كان هذا الحديث الصحيح الذي اخرجه ابن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عساكر : قالت اسماء بنت ابي بكر ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « اني على الحوض انظر من يرد علي منكم ، وسيوجد اناس دوني فاقول : يا رب مني ومن امتي ؟ فيقول : ما شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على اعقابهم (١) » ، ويخرج ابن عساكر حديثا اخر من رواية اسماء تستفتى فيه في متعة الحج فتقول : قد رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها .

ولا يطيل الوقوف في مسند اسماء يكتفي من هذا المسند بثلاثة احاديث ينتقل بعدها الى شهود اسماء اليرموك .

٣ ـ وكأن شهودها اليرموك يأتي في الدرجة الثانية بعد روايتها عن النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا فان المصنف ينقل عن خليفة بن ضياط ما رواه ابو واقد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو ممن شهد اليرموك ـ قال ابو واقد : ـ « وكانت اسماء بنت ابي بكر مع زوجها في خبائها فسمعتها تقول للزبير : ان كان الرجل من العدو ليمر يسعى فتصيب قدميه عروة اطناب خبائي فيسقط على وجهه ميتا ما اصابه السلاح » .

بسبب هذا الخبر دخلت اسماء تاريخ دمشق فاليرموك قريب من دمشق والرجل يترجم كل من سكن دمشق او حلها ، او اجتاز بنواحيها .

ومثل هذه المرأة القوية الشجاعة كنا نتوقع ان نسمع عن خوضها المعارك الى جانب الرجل . ولو فعلت لما صمت التاريخ ولحدثنا كما حدثنا عن نسيبة وغيرها ، ولكن اسماء لم تفعل ، وربما كان سبب احجامها غيرة الزبير الشديدة التي سيحدثنا عنها المؤرخون .

٤ ـ ويهتم ابن عساكر بتحقيق اسماء الصحابة وكناهم وانسابهم ، ويجعل ذلك في الدرجة الثالثة بعد الرواية والمشاهد ، وهكذا فان المصنف يستعرض معنا ما جمعه من اخبار اسماء مراعيا في ذلك منهجا سار عليه في التاريخ كله . وتكون جولته في نسب اسماء واسعة ونقلب معه في تفصيل هذا النسب كتبا نعرف وكتبا لا نعرف ، ونسمع في الموضوع اخبارا مليحة واشعارا جميلة فيتجدد نشاطنا ويبعد عن نفوسنا الملل .

وكأن اوسع كتاب فصل في نسب اسماء هو : « نسب قريش للزبير بن بكار » ، ونقول ابن عساكر كانت من اجزاء لم تصل الينا من هذا الكتاب القيم ، ولذلك فانها على جانب كبير من الاهمية لاننا نسمع فيه من تفصيلات النسب ما لا نسمعه في غيره ، ولان الكتاب ليس كتاب نسب فقط فهو كتاب ادبي في الدرجة الاولى ، وفيه نجد قصة اسماء كاملة : نسبها وخبرها مع امها قتيلة ـ او قتلة ، ونزول القرآن في ذلك ، وقصة الغار .

ومما تفرد الزبير بنقله من نسب اسماء : « وام قتلة صرم بنت خلف بن وهب بن حذافة بن جمح . وامها ليلى بنت عبد اسعد بن جحدم بن امية بن ظرب بن الحارث بن فهد . وامها اياس بنت اهيب بن حذافة بن جمح ، وامها ام راشد برة بنت عمران بن مخزوم ، وامها تحمد بنت عبد بن قصي ، وامها سلمى بنت عامرة بن عمير بن وديعة ابن الحارث بن فهر ، وامها هند بنت عبد الله بن الحارث ابن وائلة بن ظرب بن عدوان ، وائلة بن ظرب اخو عامر بن ظرب حكم العرب الذي يقول فيه ذو الاصبع العدواني :

ومنا حكم يقضي فلا ينقض ما يقضى

وفي خلف بن وهب يقول ابن الزبعري :

خلف بن وهب كل آخر ليلة ابدا يكثر اهله بعيال
سقيا لوهب كهلها ووليدها ما دام في انيابها الذيال
نعم الكهول كهولهم وشبابهم صيابة ليسوا من الجهال

ولعل هذا الجزء من النسب ، وهذا الشعر المستملح يأتي من الاهمية بمكان ، لا للقارىء المستمتع وانما للباحث المدقق الذي قد يمضي الايام وهو يفتش عن كلمة في نسب فلا تسعفه المصادر ، ويأتي ابن عساكر ليقدم له مادة غنية ثرة من كتب لم تعد في متناول الايدي .

ولا خلاف بين المصادر في مولد اسماء ووفاتها وسنها وزواجها وابنائها ، ولكن خير من يحدثنا عن ذلك بتفصيل ووضوح ابو نعيم في معرفة الصحابة (٢) « كانت تحت الزبير بن العوام فولدت له عبد الله بن الزبير عروة والمنذر ، ثم طلقها فكانت عند ابنها عبد الله ، كانت اخت عائشة لابيها ، وكانت اسن من عائشة ، ولدت قبل التاريخ بسبع وعشرين سنة ، وقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين ، وولدت لابيها الصديق يوم ولدت وله احدى وعشرون سنة ، توفيت اسماء سنة ثلاث وسبعين بمكة بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بأيام ، ولها مائة سنة وقد ذهب بصرها .. »

وتحدثنا المصادر التي ينقل منها ابن عساكر ان الزبير تزوج اسماء بمكة ، ولكنها لا تذكر تاريخ هذا الزواج ، ولعل ذلك كان قبل الهجرة بفترة قصيرة ـ هذا اذا قدرنا ان عبد الله بن الزبير كان اكبر ابناء اسماء ، وقد اجمعت المصادر الموثوقة على انه ولد عام الهجرة ، لكن شيئا من الرغبة في البحث والاستقصاء يراودنا حين نقرا ما ورد في تاريخ دمشق نقلا عن الطبقات (٣) ، وهو ان اسماء ولدت للزبير « عبد الله وعروة والمنذر وعاصما والمهاجر وخديجة الكبرى ام الحسن وعائشة » ، وليس بين هؤلاء الابناء من عرفته المصادر وتحدثت عنه بعد عبد الله (٤) غير عروة (٥) ، وولد عروة سنة (٢٢ هـ)، ثم ان الزبير طلق اسماء ، ولا نعرف على وجه الدقة متى كان ذلك ولكن ما نقله ان عساكر من الطبقات قد يلقي ضوءا على هذا التاريخ .

« .. ناهشام بن عروة ان الزبير طلق اسماء فأخذ عروة وهو يومئذ صغير » . والمتأمل في هذه الاخبار يخيل اليه ان عروة كان آخر ابناء اسماء فقد طلقها الزبير بعد

ان تقدمت بها السن كان عروة صغيرا وولد عروة سنة ٢٢ هـ فكان سن اسماء يوم ولدت عروة ٤٩ عاما فمن المستبعد ان تكون انجبت بعد عروة ومن المحتمل جدا ان تكون ولدت المنذر وعاصما والمهاجر وخديجة الكبرى وام الحسن عائشة في هذه الفترة الممتدة بين ولادة عبد الله وعروة ، واظن ان الزبير بن بكار سيفصل في ذلك تفصيلا كبيرا ولكن المصنف لم يحفل بذلك التفصيل لانه لا يفيد كثيرا في اطلاعنا على ما اراد ان يجلوه لنا من اخبار اسماء.

٥ ـ وينلقنا المصنف من اخبار نسبها الى الاحاديث التي وردت فيها تسمية الرسول لها ذات النطاقين ولا احد يجهل قصة الهجرة ، ولا احد يجهل دور اسماء في اعداد سفرة الرسول صلى الله عليه وسلم وان اسماء لم تجد ما تربط به هذه السفرة فشقت نطاقها باثنين ، فربطت بواحد السقاء وبواحد السفرة فلذلك سميت « ذات النطاقين » . وتأنس بأخبار هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم متصلة يرويها ابن عساكر وغايته من ذلك ان يبين لنا دور اسماء في خدمة الرسول وصاحبه وهما في الغار ، بل ان في بعض جوانب هذه الاخبار ما يبين لنا موقفها الحكيم الشجاع في مناصرة الدعوة ورد كيد المشركين . روى ابن عساكر من طريق ابن اسحاق (٦) عن اسماء بنت ابي بكر ، قالت : « لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ومعه ابو بكر ، حمل ابو بكر معه جميع ماله ـ خمسة آلاف او ستة آلاف ، فأتاني جدي ابو قحافة وقد ذهب بصره فقال : ان هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه ، فقلت : كلا يا ابه قد ترك لنا خيرا كثيرا ، فعمدت الى احجار فجعلتهن في كوة في البيت ، كان ابو بكر يجعل ماله فيها ، وغطيت على الاحجار بثوب ، ثم جئت به فأخذت بيده فوضعتها على الثوب فقلت : ترك لنا هذا ، فجعل يجد مس الحجارة من وراء الثوب ، فقال : اما اذا ترك هذا فنعم . ولا والله ما ترك لنا قليلا ولا كثيرا » .

وقد يأخذ منا الضحك حين نجد من لا يفقه معنى تسمية اسماء ذات النطاقين فيعير بها ابنها عبد الله ، وحق لعبد الله ان يسخر منه وان ينادي من يشاركه هذه السخرية : روى ابن عساكر من طريق احمد بن مروان الدينوري (٧) كما روى من طريق ابن سعد ـ وهذا لفظ ابن سعد : عن هشام بن عروة قال : نادى رجل من اهل الشام : يا ابن الزبير ، يابن ذات النطاقين : يعيره بذلك . فمشى ابن الزبير نحوه وهو يقول :

وعيرها الواشون اني احبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
فان اعتذر منها فاني مكذب ... وان تعذر يردد عليها اعتذارها

انا ابن ذات النطاقين ، هلم الي ! »

واذا كان ابن عساكر لم يعودنا سماع صوته الا فيما حفظ او روى فان اقحام خصوم عبد الله سيأتي في خبرين يرويهما احدهما يدل على قوة ايمان اسماء بالله والثاني على تلك المكانة التي كان يخصها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم روى ابن سعد ان اسماء بنت ابي بكر الصديق كانت تصدع فتضع يدها على راسها وتقول : بذنبي وما يغفره الله اكثر .

ومن طريق الاصم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زارها في مرضها وعلمها دغاء تدعو به (٨) ، ولا اظن ان المصنف يحتاج ان يقول لنا بعد ما قدم من اخبار واحاديث : انظروا الى سفاهة هذا الرجل وجهله ، اترونها اما يعير بها ابنها ؟!

٦ ـ هذه الصحابية الجليلة كانت زوجا لصحابي جليل هو الزبير وما على المؤرخ الامين الا ان يحدثنا عن اسماء الزوجة بعد ان عرفنا دورها في مناصرة الدعوة وتثبيت اركان الاسلام .

كانت حياة اسماء مع زوجها الزبير صورة للكفاح القاسي المرير ، تزوجها وهو لا يملك شيئا غير فرسه ، فكانت تقاسمه شظف العيش في تلك البيئة الفقيرة : تعلف فرسه وتكفيه مؤنته ، وتسوسه ، وتنقل النوى على راسها، وتدقه ، وتستقي الماء ، وتخرز القرب ، وتعجن ، حتى اذا شاهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم والنوى على راسها واراد ان يخفف عنها وان يحملها معه على ناقته استحيت وخافت غيرة الزبير فلم تركب .

ولم يكن الزبير حسن المعاشرة لاسماء فقد كان شديدا قاسيا. روى ان ابن عساكر من طريق ابن سعد(٩) ان اسماء كانت تحت الزبير بن العوام ، وكان شديدا عليها، فأتت اباها فشكت ذلك اليه ، فقال : يا بنية ، اصبري فان المراة اذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة . وكانت اسماء تحتمل ما تحتمل صابرة ، حتى اذا احست بما يضيق عنه صدرها اشتكت الى ابيها ، وكان الاب العظيم يطلب منها ان تطيع زوجها ، ويأبى ان يظهر امامها عواطف الابوة ، حتى اذا ولى فاضت الدموع على خديه مدرارا ويحدثنا ابن عساكر من رواية ابن صاعد ، « قال : مر ابو بكر باسماء ابنته وهي تقود فرسا للزبير الى الغابة تحتش عليه وقد حملت ابنها عبد الله ، فلما راته استغاثت به فقالت : ارسلني احتش على فرسه ،وتحمحم الفرس فانسل ، فأخذني ، وضربني ، فقال : اتقي الله واطيعي زوجك ، مرتين ، حتى لما ادركته رقة الوالد حرك فرسه فولى واني لاسمع نشيج بكائه رحمة الله عليه » .

كان ابو بكر حريصا على الزوج الصالح لابنته ، وقد عمل جهده لاستمرار هذه الحياة الزوجية واعطى ابنته خادما تكفيها مؤونة الفرس .

ولكن هذه المراة التي انجبت الشجاعة والعلم ، وعلمت ابناءها معنى الرجولة ، يطلقها الزبير بعد ان تجاوزت سن الخمسين ويأخذ منها ابنها عروة ـ وكان صغيرا ـ فتعيش بقية حياتها مع ابنها عبد الله . هذه

المراة التي اعزها الاسلام ورفع مكانتها لم توفر لها قسوة الرجل حياة مطمئنة وابت طبيعة الزبير التي نفرت منه النساء كما يحدثنا التاريخ الا ان تتغلب وعجز صبر اسماء عن الاحتمال فطلقت من اجل سبب صغير ، لقد كان الزبير يضربها فاستغاثت بابنها عبد الله ، واقبل عبد الله ليغيث امه غير مبال بيمين ابيه وتحذيره .

لم يتحقق ما علل به الاب الصالح ابنته فقد قتل الزبير وعاشت اسماء بعده حياة جديدة لا على امل ان يجمع الله بينهما في الآخرة فقد كانت مطلقة ، ولم يذكر مصدر من المصادر ان الزبير اعاد زوجته ولم يذكر ابن عساكر شيئا من خبر الزبير مع اسماء بعد ان روى لنا قصة طلاقها . ولكننا نقرأ في العقد الفريد ابياتا قالتها اسماء في رثاء زوجها ، فكيف فات المصنف رواية مثل هذه الابيات وهو الذي عرفناه ولوعا بجمع الاخبار حريصا على اقتناص النادر الغريب منها ، قال صاحب العقد (١٠)

« قالت اسماء بنت ابي بكر ذات النطاقين ترثي زوجها الزبير بن العوام ، وكان قتله عمرو بن جرموز المجاشعي بوادي السباع ، وهو منصرف من وقعة الجمل:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم الهياج وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
ثكلتك امك ان قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

لقد ابت اسماء الوفية الا ان تخص ابا ابنائها بعد ان قتل بأبيات مؤثرة تناسب ما كان يتصف به من شجاعة .

واذا كان ابن عساكر قد غفل عن هذا الخبر وهذه الابيات فانه قد اطرفنا بأخبار اخرى من حياة اسماء والزبير برزت فيه صفية بنت عبد المطلب ام الزبير .

لقد كان بين اسماء وصفية بنت عبد المطلب ما بين الكنة وحماتها ، وروى لنا ابن عساكر نقلا عن الزبير بن بكار جانبا من تلك المعاتبات التي تصل احيانا الى درجة الغضب بين الزبير وزوجته وامه ويسمعنا بتلك المناسبة شعرا جيدا لصفية تعاتب به ابنها ، وانا انقل الخبر لان هذا القسم من كتاب الزبير لم يطبع والخبر طريف (١٠) .

.. عن عروة قال « جرى بين صفية بنت عبد المطلب وبين ابنها الزبير بن العوام عتاب في امر زوجته اسماء بنت ابي بكر فسمعت الذي جرى بينهما من ذلك خديجة بنت الزبير ، وهي جارية صغيرة ، وكانت تكون مع جدتها صفية ، فقالت لامها : يا اختاه ، لاي شيء اشتكيت جدتي حتى اشتكت الى ابي ؟ فلم تزل بها اسماء حتى اخبرتها الخبر ، فضجت اسماء من شكوى صفية لها ، وتعذرت منه ، فبلغ صفية ما كان منها فغضبت وقالت للزبير : يكون بيني وبينك شيء ، فترفعه الى امراتك وتؤثرها علي ؟ فقال ـ وهو لا يعلم من نقل الحديث ـ : لا والله يا امتاه ما فعلت . فازدادت غضبا . وكان غضبها ما لا يطاق ، فاندفعت تقول :

وعالجت ازمان الدهور عليكم ... واسماء لم تشعر بذلك ايم
فيكثر ان عوفيتم وسلمتم ... سروري واني ان مرضتم لادزم
وتؤثر اخرى لم تلدك على التي ... لها الحق يثنوه فصيح واعجم
فلو كان في الكفار زبر عذرته ... ولكن زبرا ايها الناس مسلم

وعلم الزبير من خرج الخبر ، فقال لها : يا امتاه ، التي خرج الحديث منها ابنتك خديجة قالت : كذاك ! لا تدخل علي خديجة ابدا » .

هذه قطعة من الجانب القلق الذي يمثل حياة اسماء في بيت الزوجية ، ولا نستطيع ان نفسر ذلك الا بما عرف عن الزبير من العنف والقسوة ، ويخيل الينا ان صفية كانت تزيد نار هذه الخلافات اشتعالا فلم تكن تستطيع ان تزن تلك العلاقة بينها وبين ابنها وكنتها بميزان طبيعي حكيم لقد حرصت على ولدها فارادته لها وحرصت اسماء على زوجها فارادت ان تستأثر به . هذا ما نستطيع ان نستنتجه من القصة السابقة ان لم نضف اليه اسبابا خاصة اجتماعية لم تصل الينا .

٧ ـ ويقلب ابن عساكر صفحة الحياة الزوجية بهمومها ومشاكلها لينقلنا الى عقل اسماء ودينها ، والى تلك الصفات الخلقية التي ميزتها عن غيرها وجعلتها تزن عباراتها بميزان المواعظ والحكم وجعلتنا نشعر بالسمو والصفاء في قول اسماء وفعلها ، بل اننا لنحس ونحن نقرأ اخبارها بخوف شديد من الله ورغبة صادقة في التقرب اليه في القول والعمل ، وحرص على التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم . حدث وهب بن كيسان قال : « سمعت اسماء بنت ابي بكر قالت : مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا احصي شيئا واكيله فقال : « يا اسماء لا تحصي فيحصي الله عليك » ، فما احصيت شيئا بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندي ولا دخل علي وما نفذ عندي من رزق الا اخلفه الله» ويقودها عقلها وتمسكها بالسنة الى هذه الحكمة تأمر بها بناتها : روى البغوي عن هشام بن عروة قول اسماء : « يا بناتي تصدقن ، ولا تنتظرن الفضل ، فانكن ان انتظرتن الفضل لم تجدنه ، وان تفقدن لا تجدن فقده » .

كانت اسماء اذا كريمة سخية وكان ذلك الكرم طبيعة في نفسها وسنة سارت عليها ، ومن غير اسماء يعرف الاثر ويحسن التمسك به . وينقل لنا ابن عساكر مقارنة عبد الله ابن الزبير بين جود اسماء وجود عائشة قال (:) « ما رايت امراتين قط اجود من عائشة واسماء . وجودهما مختلف : اما عائشة فكانت تجمع الشيء الى الشيء ، حتى اذا اجتمع عندها وضعته مواضعه . واما اسماء فانها كانت لا تدخر شيئا لغد » .

ومما حدث به التاريخ عن اسماء انها كانت من اعبر الناس للرؤيا اخذت ذلك عن ابيها واخذه عنها سعيد بن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المسيب ، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على رجاحة تفكيرها وصفاء نفسها . ويقترن صفاء النفس عندها بالزهد والورع ، روت فاطمة بنت المنذر عن اسماء بنت ابي بكر : انها كانت تمرض المرضة فتعتق كل مملوك لها .

هذه اسماء بنت ابي بكر عقل وحكمة ، وجودوسخاء وزهد وورع .. يضاف الى ذلك كله شجاعة كبيرة حدثت فاطمة بنت المنذر ان اسماء بنت ابي بكر اتخذت زمن سعيد بن العاص خنجرا للصوص ، وكان استعروا بالمدينة فكانت تجعله تحت راسها .

وماذا عن خلق اسماء بعد ان عرفنا خلقها ؟ كان ابن عساكر لم يعثر من ذلك على شيء عند المؤرخين ولكنه وجد من تحدث عن لباسها فاذا هي حسنة الهندام ، واذا ابناؤها يرثون ذلك عنها. روت فاطمة بنت المنذر قالت(١٣) « ما رايت اسماء لبست الا معصفرا حتى لقيت الله ، وان كانت لتلبس الثوب يقوم قياما من التعصفر ، وكان عروة ابن الزبير تعصفر له الملحفة بالدينار » . وربما اوحى لنا صمت المؤرخين عن الاشارة الى خلقها بأن اسماء لم تكن على جانب من الجمال ، وربما اوحت لنا بعض الاخبار بذلك (١٤) .

٨ ــ اما عن فصاحة اسماء وقوة حجتها وبلاغتها فالحديث يطول والامثلة كثيرة واما عن صبرها فقد راينا منه نماذج في حياتها مع زوجها الزبير وكذلك نجدفي موقفها من مقتل عبد الله يوم فضلت له الموت بعزة على الحياة بذلة شجاعة ما بعدها شجاعة والاخبار في ذلك كثيرة ومتواترة . روى البيهقي (١٥) من طريقه قال : « لما قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير دخل الحجاج على اسماء بنت ابي بكر وقال لها : يا امه ان امير المؤمنين اوصاني بك فهل لك من حاجة ؟ فقالت : لست لك بأم ، ولكني ام المصلوب على راس التينة ، وما لي من حاجة ولكن انتظر حتى احدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اني سمعته يقول : « يخرج في ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فقد رايناه ــ تعني المختار ــ واما المبير فانت . فقال لها الحجاج : مبير المنافقين » . ولا اظن ان التاريخ حدثنا عن امراة بلغت مائة سنة تستطيع ان تفحم خصمها بمثل هذه الحجة . وبمثل هذه الجراة والقوة وهي ثاكل ، ولعل القارىء لاخبار اسماء ولاخبار ابنها عبد الله (١٦) يستطيع ان يجد من التفصيل ما لا استطيع ايجازه بهذ ه الاسطر ، واكتفي بهذا الخبر الذي نقله المصنف من مسند الهيثم بن كليب الشاشي (١٧) عن ذي نوفل العريجي ان الحجاج لما قتل ابن الزبير صلبه على عقبة المدينة فمر به ابن عمر ، فوقف عليه ، فقال له : السلام عليك ابا خبيب ، ثم قال : اما والله لقد نهيتك عن هذا ــ ثلاثا ــ اما والله ما علمت ان كنت لصواما قواما وصولا للرحم ، وان امة تكون انت اشرهم لامة صدق ، فلما بلغ ذلك الحجاج امر به فطرح في مقابر اليهود ثم ارسل الى امه ان تأتيه . فأرسل اليها : لتأتن او لابعثن اليك من يسحبك بقرونك حتى يأتيني بك . فأرسلت اليه والله لا آتيك حتى تبعث الي من يسحبني بقروني ، فلما راى ذلك لبس سبتيه ثم خرج يتوذف اليها حتى دخل عليها فقال : كيف رايتني صنعت بعبد الله ؟ قالت : رايتك افسدت عليه دنياه وافسد عليك آخرتك . وقد بلغني انك كنت تعيره بابن ذات النطاقين ، وقد والله كنت ذات النطاقين ، اما احدهما فنطاق المراة التي لا تستغني عنه ، واما الاخر فاني كنت ارفع فيه طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام ابي ، فأي ذلك ويل امك عيرته به .. » . لقد اوردت الخبر بطوله لكي اقارن بين موقف الرجل وموقف المراة الرجل الصالح اللين عبد الله ابن عمر ، والمراة الشجاعة الصلبة اسماء بنت ابي بكر وكأني اجد خلاصة تلك المعركة الكبرى التي دارت رحاها بين بني امية وابن الزبير لخصتها اسماء في جملتين قصيرتين تجمعان البلاغة كلها : « افسدت عليه دنياه وافسد عليك آخرتك »، انه تحليل للواقع بعيد عن هيجان العاطفة ، وحرارة الثكل ، ولا ادري كيف كانت هذه المراة تستطيع ان تحكم قوة ارادتها وتتحدث بمنطق الحوادث حين تمرد الواقع المرير امامها على كل منطق ، ونقلب اخبار اسماء وابنها فتزداد الحقيقة في نفوسنا استقرارا

لقد صدق التاريخ في الحديث عن بطولة هذه المراة ، وصورها فاحسن التصوير وجاء ابن عساكر فاقتطف كثيرا من الاخبار حتى اذا جال جولته في استعراض المصنفات ، انتهى منها جميعا بحقيقة واحدة وهي ان اسماء بنت ابي بكر كانت تتحلى بشجاعة نادرة وصبر لا حدود له وجراة على قول الحق وفصاحة في التعبير عنه، وكان ميزان ذلك كله ايمان قوي ملأ قلبها وعقلها فكبح جماح العواطف ورجح في نظرها الباقي على الفاني فكان ذلك المنطق الذي وجهت به ابنها ، وكان ذلك التقبل للنتائج التي افزعتنا ولم تفزعها . ونستطيع ان نجد خلاصة لما تقدم في هذا الحوار بينها وبين عبد الله (١٨) قال عروة : « دخلت انا وعبد الله بن الزبير على اسماء قبل قتل ابن الزبير بعشر ليال وانها وجعة . فقال لها عبد الله : كيف تجدينك ؟ قالت : وجعة ، قال : ان في الموت لعافية ، قالت : لعلك تشتهي موتي فلذلك تتمناه . فلا تفعل ، فالتفت الي عبد الله فضحك ، وقالت : والله ما اشتهي ان اموت حتى تأتي على احد طرفيك : اما ان تقتل فاحتسبك ، واما ان تظفر فتقر عيني بك » . بمثل هذه الارادة القوية كانت تقرر الامور وهي المراة العليلة ابنة مائة سنة . واذا كان قد عمي منها البصر فلم تضعف فيها قوة البصيرة ، ولم يهن جسمها ، ويكفيني من قوة بصيرتها ما اصابت به ابن عمر حين اراد ان يصبرها (١٩). قال ابن عمر : فاتقي الله وعليك بالصبر فقالت : وما

يمنعني وقد اهدي راس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل » .

٩ ـ ويستعرض ابن عساكر معنا الاخبار التي ستتحدث عن اسماء في ايامها الاخيرة او وهي ابنة مائة سنة ، فاذا الكثير منها يقول لم يسقط لها سن ولم ينكر الناس من عقلها شيئا . وقد راينا مصداق ذلك في الاقوال التي نقلها عنها المؤرخون اثناء الفتنة وبعد مقتل عبدالله، وتتواتر الاخبار انها هي التي حنطت ابنها وكفنته . ويتفرد خبران احدهما رواه المصنف من طريق الهيثم (٢٠) ابن كليب يقول فيه صاحب راية الحجاج انه دخل مع الحجاج على اسماء حين صلب الحجاج عبد الله « فاذا امراة قد كبرت وعميت وعرض بها صمم » ، والاخر بمعنى هذا الخبر رواه المصنف من طريق ابي زرعة (٢١) فهل تم ذلك في هذه الايام القلائل التي عاشتها اسماء بعد دفن ابنها عبد الله ؟ ربما كان ذلك لان ما اجمعت عليه المصادر وما نقلته من اقوالها حين قتل ابنها وحين صلب يتعارض مع مضمون هذين الخبرين .

١٠ ـ ولم يبق على المصنف الا ان يحدثنا عن وفاة اسماء وعن سنها يوم ماتت وعن الايام التي مكثتها بعد قتل ابنها وما اوصت به .

هناك اجماع بين المؤرخين على أن اسماء توفيت سنة ٧٣ هـ وانها لم تمكث بعد قتل ابنها الا مدة قصيرة، وكان الاختلاف في تحديد هذه المدة فمن قائل انها كانت اسبوعا ، ومن قائل اكثر او اقل ولكن احدا لم يقل ان حياتها طالت بعده كثيرا ، ولعل ما قاله ابن سعد نقلا عن ابن عمر كان اطول مدة ذكرها المؤرخون لحياة اسماء بعد وفاة عبد الله : « وامه يومئذ حية ثم توفيت بعد ذلك بأشهر » .

اما وصية اسماء فكانت : « اذا انا مت فاغسلوني وكفنوني وحنطوني ، ولا تذروا على كفني حنوطا ، ولا تدفنوني ليلا ، وفي رواية ولا تتبعوني بنار (٢٢) .

وبعد لقد استعرضنا مع ابن عساكر حياة اسماء بنت ابي بكر الصديق ذات النطاقين ، وام الرجلين الكبيرين ، استعرضنا شخصية اسماء المسلمة والفقيهة والزوجة والام والحكيمة . وبعد هذه الجولة لا يسعني الا ان اقول :

ليت دمشق امتدت فشملت اطرافها كل العالم الاسلامي اذا لحفظ تاريخ دمشق كل ما ضاع من اخبار النساء ان ما نجده متفرقا في بطون الكتب نتفا مبعثرة يجمعه ابن عساكر في تاريخه فيغنينا عن تقليب الصفحات، واستعراض المصنفات ، ويكفينا مؤنة البحث والاستقصاء. كل ذلك من غير ان يفرض علينا رايا او يشعرنا باتجاه معين ينتمي اليه في تفكيره ، وكانه يقول لقارئه : هذا ما كتبه المؤرخون قبلي فقارن وتأمل واستنتج .

* لم اشا ان اترجم لابن عساكر ، ولا ان اعرف بتاريخ دمشق لاعتقادي ان الذين سيقراون هذا المقال يحتفظون في ذاكرتهم بمعلومات كافية عن هذا المؤلف وتاريخه .

(١) التاريخ ١٩١ ب (ظاهرية م ١٩) .
(٢) منه قطعة مخطوطة في المكتبة الظاهرية انظر (حديث ٣٤٤).
(٣) انظر تاريخ دمشق ق ١٩١ ب والطبقات ٢٥٠/٨ .
(٤) نحن نقول هذا ونسب قريش لم يعرف منه القسم المتعلق بالزبير وابنائه بعد .
(٥) انظر تاريخ دمشق ١٩٣ ب والطبقات ٢٥٣/٨ .
(٦) انظر تاريخ دمشق ١٩٢ ب وسيرة ابن هشام .
(٧) كتابه المجالسة توجد اقسام منه مخطوطة .
(٨) انظر تاريخ دمشق ١٩٢ ب .
(٩) انظر الطبقات ٢٥١/٨ ، وابن عساكر ١٩٣ أ
(١٠) انظر ٢٢٥/٣ .
(١١) التاريخ ١٩٣ ب .
(١٢) انظر التاريخ ١٩٤ أ .
(١٣) تاريخ دمشق ١٩٤ ب .
(١٤) انظر خبر دخول مسلم القري عليها في ص ١٩٠ ب من التاريخ
(١٥) انظر تاريخ دمشق ١٩٤ ب .
(١٦) انظر المطبوع من تاريخ دمشق ص ٤٧٠ ومابعد « عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد » .
(١٧) انظر التاريخ ١٩٥ أ .
(١٨) التاريخ ١٩٤ ب .
(١٩) تاريخ دمشق ١٩٥ ب .
(٢٠) انظر التاريخ ١٩٥ ب .
(٢١) انظر التاريخ ١٩٦ أ .
(٢٢) التاريخ ١٩٦ أ .

دمشق — سكينة الشهابي

في مطلع كل شهر
اطلبوا
الأديب
من الباعة والمكتبات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عيسى فتوح

الجسور الأدبية التي نحتاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عيسى فتوح

* * *

من المعروف ان الشعراء العرب في الاندلس كانوا ينظرون الى شعراء المشرق نظرتهم الى الاساتذة والمعلمين، يحاولون دائما النسج على منوالهم وتقليدهم في الافكار والصور والمعاني واسماء المدن ، فسموا دمشق وحمص وقنسرين وفلسطين ، وكان ابن زيدون يلقب ببحتري المغرب ، وبن هاني بمتنبي المغرب ، ولم يكتفوا بذلك ، بل كانوا يغيرون على معانيهم التي طرقوها، كابن دراج القسطلي الذي كان مولعا بتتبع المتنبي وتقليده ، واقتفاء اثر الشريف الرضي وابي نواس .

وعندما غادر العرب الاندلس نهائيا عام ١٤٩٢ ، حل قسم كبير منهم في المغرب ، ولذلك لا تزال الكنى نفسها ، كبنجلون وبنميمون ، وبنشقرون ، معروفة في المغرب ، حتى ان فن الزخرفة والعمارة والهندسة ، انتقل كليا من الاندلس الى المغرب ، ونستطيع ان نقول بشكل عام ان حضارة العرب في المغرب لم تكن الا امتدادا لحضارتهم في الاندلس ، او هي صورة عنها طبق الاصل .

ان ادباء الاندلس لا يزالون حتى اليوم يشعرون بهذا التوق الكبير الى عقد الصلات الطيبة بأدباء المشرق ، لاحساسهم بأنهم يعيشون في عزلة عنهم ، بسبب موقع بلادهم المتطرف ، ووضعها الجغرافي كآخر دولة عربية في الارض الافريقية ... وعندما زرت مدينة سبتة المغربية في شهر حزيران ١٩٨٠ ، التي تسيطر عليها اسبانيا ، شعرت بأن اللغة العربية هناك تكاد تلفظ انفاسها الاخيرة، بالرغم من وجود عشرين الفا من السكان العرب ، فقد اوشك هؤلاء ان يذوبوا في بوتقة الحياة الاسبانية ، وتندثر لغتهم ، اذ لا مدارس الا الكتاتيب ، ولا كتب ولا صحف ، ولا مجلات ولا تخاطب حقيقي باللغة العربية .

كنت احسب وانا في اسبانيا ، انني سأجد في سبتة من اتحدث معهم باللغة العربية ، الفصحى على الاقل ، ولكن املي خاب ، لان اللغة الاسبانية هي السائدة والمنتشرة والمستعملة في الحياة اليومية حتى بين العرب انفسهم .. ولما عدت الى دمشق عقدت العزم على ان امتن صلاتي وعلاقاتي الثقافية بأدباء المغرب الشقيق ، وقد التقيت بعدد منهم في مؤتمر الادباء الثاني عشر الذي عقد في دمشق بين ٢٣ ـ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٩ ، كأحمد السطاتي ، ومحمد برادة ، وادريس الناقوري ... لتزداد معرفتي بوضع الادب المغربي ، واطلع على اهم قضاياه الراهنة. وفعلا نشأت بيني وبين الادباء احمد السطاتي ، ومصطفى المهماه ، وعبد القادر الادريسي ، والعربي بنجلون مراسلات غايتي ان اتعرف من خلالها على الحركة الادبية في المغرب التي بدأت مع الاستقلال عام ١٩٥٦ ، فقد استطيع ان اعوض بهذه المراسلات الادبية عن الكتب والمجلات والصحف المغربية التي لا اثر لوجودها في مكتباتنا على الاطلاق ، وهكذا استطعت ان اجني بعض المعلومات التي كنت اسعى اليها وابحث عنها ، كما يسعى اليها ويبحث عنها كل قارىء او كاتب في المشرق العربي .

كانت معظم الرسائل التي وصلتني تنصب وتصرعلى ضرورة قيام تلاقح ثقافي بين الادبين المشرقي والمغربي ، وتؤكد على دور المجلات الثقافية في كلا القطرين ، والمهمة التي يجب ان تضطلع بها ، لمعالجة قضايا الادب الراهنة وطرح المشكلات التي يعاني منها ، والتعريف بأبرز الكتاب الذين يساهمون في الحركة الادبية في كلا القطرين ، والوقوف على نشاطاتهم من خلال هذه الدوريات والصحف والمؤلفات .

يقول لي الاستاذ العربي بنجلون في رسالته المؤرخة

في ٢-١٠-١٩٨٠ : « لقد اكدت لي رسالتك الماضية تلك العلاقة الوطيدة بين المشرق والمغرب العربيين ، وبالرغم من العامل الجغرافي والعوامل الاخرى التي تحفر الاخاديد بيننا ، فان تاريخنا ومصيرنا المشترك ، ولغتنا العربية ، وقيمنا واحاسيسنا النبيلة ... كل ذلك يصل بعضنا ببعض ، ويمتن الاواصر ، وليس ادل على ما اقول من اللبنات الاولى التي يرصها اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، وتتجلى بنوع خاص في اصدار كتب ومجموعات قصصية وشعرية لادباء من سائر الاقطار العربية، وعلى سبيل المثال اشير الى محمد زفزاف ، ومحمد اديب السلاوي ، ومبارك الدريبي ومصطفى يعلى ، ومحمد الطوبي . بل ان الدهشة لتأخذني كلما تذكرت اول ديوان شعري موريتاني صدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية تحت عنوان «مختارات من الشعر الموريتاني المعاصر » وهو يتضمن نتاجات شعرية لتسعة من شعراء موريتانيا ... »

وفي رسالته المؤرخة في ١٨-١٠-١٩٨٠ يقول : « .. لقد تعرفت من خلال بعض المجلات السورية كالمعرفة والموقف الادبي على نخبة من كتاب سورية ، وصار القارىء المغربي يتتبع كل ما يصدر لحنا مينه ، وهاني الراهب ، وجورج سالم .. لكن اود ان اعرف القارىء السوري شيئا عن ادبنا المغربي ، ولا يغرب عن البال انه ادب وليد ، يعود الفضل في تكوينه الى الشرق العربي الذي تعهد ثلة من ادبائنا بالصقل والتشذيب ، هؤلاء الادباء الذين نقلوا الى التربة المغربية بذور الفن القصصي والمسرحي والنقدي كعبد الكريم غلاب ، وعبد الكريم بن ثابت، وعبدالمجيد بنجلون، وابراهيم السولامي، ومحمد بن ابراهيم المراكشي وغيرهم .. فأنبت هؤلاء جيلا يقود الحركة الادبية باصرار وثبات » .

« اما فيما يتعلق بالنشر ، فان عندنا عددا كبيرا من الجرائد والمجلات التي لا تقف حجر عثرة في سبيل الكتابة بل تفتح ابوابها لكل التيارات الادبية والمذهبية ، وترحب بكل الآراء ، بالرغم من تناقضاتها ، وتخصص صفحة ادبية يومية ، او ملحقا ثقافيا اسبوعيا ، فمن الجرائد مثلا :

الانباء ، البيان ، العلم ، الميثاق الوطني ، الرأي ، المصباح، المغرب ، المغرب الملاحظ ، المحرر ، النسب ، صوت الامة، الخنساء ، الحركة ، الاتحاد الوطني ، الآباء ، الميثاق ، النور ، تطوان ، اللواء ... ومن المجلات : دعوة الحق ، المناهل ، الارشاد ، المشروع ، الاساس ، الجماعة ، الثقافة الجديدة ، الزمان المغربي ، المدينة ، الايمان ، البعث الثقافي ، البحث العلمي ، المجلة الفلسفية ، المحاماة ، القضاء ، المبادىء ... وهكذا نلاحظ ان الكم يستوعب كل الكفاءات الادبية ويزيح عائق النشر .. »

لقد ارسل لي الاستاذ احمد السطاتي رئيس تحرير مجلة « اقلام » هذه الدورية منذ عدة اشهر ، فكانت نافذتي الاولى على النتاج المغربي في الشعر والقصة والرواية والمسرح والنقد، وهي مجلة لطيفة صغيرة الحجم، لكنها مليئة بالابحاث الجادة ، والموضوعات القيمة ، تصدر في عشرة اعداد سنويا عن دار النشر المغربية في الدار البيضاء ، كذلك ارسل لي الصديق الاستاذ مصطفى عبد السلام المهماه مجلة (الارشاد) التي يراس تحريرها ، وتصدر شهريا عن مديرية الاوقاف الاسلامية ، وكتابين له هما « المجتمع الاصيلي والمسرح » ، و « المرأة المغربية والتصوف » .

اما العربي بنجلون الذي يعتبر من اكثر الباحثين اهتماما واطلاعا على قضايا الادب والصحافة في المغرب خاصة والوطن العربي عامة ، فقد ارسل لي مجلتي « الزمان المغربي » وهي مجلة ادبية فصلية صدرت عام ١٩٧٩ ، مديرها سعيد علوش ، ورئيس تحريرها بنسالم حميش ، و « الثقافة الجديدة » ، وهي مجلة شهرية تصدر موقتا اربع مرات في السنة ، اسسها محمد بنيس عام ١٩٧٦ ، وتتألف هيئة تحريرها من محمد البكري ، ومصطفى المسناوي ، وعبدالله راجع .

ولم يكتف الصديق بنجلون بهذه الهدية ، بل قدم لي مشكورا طائفة من الكتب القصصية والشعرية والمسرحية والنقدية التي صدرت في المغرب ، اذكر منها : المصطلح المشترك لادريس الناقوري ، ووجه في المرايا لاحمد زيادي، واللعنة والكلمات الزرقاء للصغير ادريس ومودن عبد الرحيم ، وانياب طويلة في وجه المدينة لمصطفى يعلى ، ووادي المخازن لحسن محمد الطريبق ، ونار تحت الجلد لاحمد بنميمون ، والحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية الزعيم علال الفاسي لعبد الحميد المرنيسي .. وآمل ان اتناول هذه الكتب بالتعريف والنقد قريبا .

انني اثني واشجع على قيام مثل هذه الصداقات الادبية التي تربط بين الادباء في مختلف ارجاء الوطن العربي ، على ان يعرف كل اديب بنتاج زملائه في القطر الآخر ، ويتبادل معهم الرسائل والكتب والمطبوعات التي صدرت حديثا ، ليكون هناك نوع من التكامل الادبي ، فالادباء قادرون قبل السياسيين ومنظري المبادىء على صنع دولة الوحدة التي يسعى اليها العرب ، كل العرب .

دمشق — عيسى فتوح

عميد الصحافة الأدبية البير أديب

بقلم محمود الحسنية

* * *

حمدا له سبحانه وتعالى ، عما قدم لك ، من عون ، وقوة، ويسر من سبل ، وطاقات ، لتستمر في تأدية مهام رسالة الصحافة الادبية .

حمدا له ، لانه حماك ، ووقاك ، من شر كاد يكون جسيما ، في فترة عصيبة ، رهيبة ، استهدفت لبنان ، وجميع الآمنين ، والمؤمنين ، وعرضه ، معهم ، لرصاص طائش ، وغدر جائر ، عبر مؤامرة مدمرة ، قذرة .

حمدا لك سيدي ، لانك النافع بالعلم والعمل ، الكريم الذي يغرف من بحر ادبه ، كل ماجد امثل .

حمدا لك ، لانك بارادة العباقرة ، وطول اناة المؤمنين ، وصبرهم ، استطعت ان تتخطى عاديات الزمن، وتسلك الطريق القويم ، حيث لم تسع في يوم من ايام الحياة ، وراء شهرة ، او كسب مادي ، بل آثرت الحفاظ على ادب العلم ، دون المال ، وهو الاعلى والابقى . واجهدت النفس على هذا العطاء الادبي ، السخي ، الذي جمع رجاحة العقل ، ورقي الفكر وثراء المادة في الكلمة النزيهة ، المدركة ، عبر فلذاتك الثلاث .

تعهدت الفلذة الاولى والثانية، بحنان الابوة الصالحة، التقية ، النقية ، الهادية ، فنشأتا على خطى خلقك القويم، وادبك الجم، وتعهدت الفلذة الثالثة بالتبني واعطيتها الجهد، والحدب والرعاية، وذوب العينين، والراحة والسهر، والصحة فكانت « الاديب » المجلة الرائدة ، مميزة النهج ، والسيرة، والمستوى ، منذ نشأتها في ١-١-١٩٤٢ مستقطبة باصالتها ، الادب الرصين ، وهذه النخبة الكريمة من ادباء العالم العربي ، حيث رياضها الادبية ، انفاس شذى، من العطر الفواح ، يتهافت اليها عشاق الادب ، وطلابه ، بعد ان لمسوا ان رائدها ، وقائد مسيرتها ، فتح بابها ، وباب صدره الرحب لكل وافد آبل . ولا غرو ، فهو الذي صح فيه قول الامام علي ، حين تكلم عن اهل الفضل ، انك ترى لاحدهم : « قوة في دين ، وحزما في لين ، وايمانا في يقين ، وحرصا في علم، وعلما في حلم ، وقصدا في غنى .. وتحملا في فاقة ، وصبرا في شدة ، وطلبا في حلال ، ونشاطا في هدى ، وتحرجا عن طمع » .

وهذا ما ينطبق على خلالك الحميدة ، من خلال تسع وثلاثين سنة ، قضيتها في خدمة الرسالة ، اذ كنت الحريص ، على كل ذلك ، في نهج الحياة ، ومواكبة العمل. مما جعل « الاديب » ، المجلة الرائدة ، تتمتع بثقة ادباء الامة العربية ، من المحيط الى الخليج ، وفي دنيا اغترابهم، لانها ثابرت على استمرارية النهج ، والاسلوب ، والصورة والمستوى ، كما ثابرت ان تكون ، مجلة كل مواطن ، من هذا الوطن العربي الكبير ، ان دخول « الاديب » في عامها الاربعين ، هو مدماك حضاري ، يضعه عميد الصحافة الادبية ، البير اديب ، ومن أجدر منك بهذا اللقب ، وعطاؤك الادبي ، يزداد زخما ، يوما بعد يوم ، كانه ينبوع غزير ، يتدفق من ينابيع جبالنا الخضراء ، احس هديره، بكل ذرة من كياني ، واراه يروي المتاهات .

انك جدير بهذا اللقب بعد البذل الذي كاد ان يكون معجزة في طول هذه المسيرة الادبية كما كان جديرا به ، داود بركات ١٨٧٠ - ١٩٣٣ حين لقب بشيخ الصحافة بعد جهد صحافي ، لا سيما في رئاسة تحرير الاهرام طوال ثلاثين سنة .

وآمل ان يكون ذلك في حفل تكريمي ، يشارك فيه ادباء «الاديب» .

عفوا اذا خاطبتك بلغة ، فيها من الاثرة ، والمحبة ، وانت الذي اخذت بيدي ، الى مناسك رياضك الادبية ، كما كان يأخذ بيدي ، في الثلاثينات ، معلمي المرحوم نعوم افرام البستاني ، يدنيني منه ، ويصعدني الى طاولته ، في مدرسة « الاخوة المريميين » بدير القمر ، لاعرب لرفاقي طلاب الشهادة الابتدائية ، كلما من نهج البلاغة ، الذي كان يحفظ ، اكثر خطبه ، عن ظهر قلب ، مرددا : على مسامع طلابه : « عليكم بهذا الكتاب الثمين، اذا اردتم ان تتمكنوا من لغتكم » . فقد كان طيب الله ثراه لغويا ، ضليعا ، ذواقة ادب ، راوية شعر ، قلما ذكر امامه بيت من الشعر ، دون ان يذكر قائله ، ومناسبته ، ويردفه بالبيت الذي يليه ، بالاضافة الى انه كان قبل التعليم ، صحافيا ، وقد اصدر جريدة سماها « دير القمر » .

التشابه قريب ، كلاكما من بلدة عريقة ، عزيزة ، كانت لفترة مشرقة ، من تاريخنا ، عاصمة لبنان ، وامير لبنان آنذاك ، الامير فخر الدين المعني الكبير ، الذي امتدت سطوته من عرب بستان حتى عريش مصر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اجل سيدي ، ان حياة العباقرة ، ليست ملكا ، او حقا مقدسا لهم ، بل هي ، ايضا لمجتمعهم ، ولهذه الانسانية المعذبة ، التي كثر فيها الذئاب ، وسقم معها الضمير ، واصبح الانسان يبصر بغريزته ، وانانيته ، وجشعه ، لذا كانت حياتهم الخاصة ، جزءا من هذا الدور الكلي ، الذي يتفاعل لينعم الفرد ، بقسط من الحرية ، والعدالة ، والرقي ، وفي ذلك قال نيتشه ، بنزعة فردية ، سأحيا ، واشبع غرائزي ، واتحرى عن الخير ، بارادة قوية ، حبا بالحقيقة ، حيث من يريد ان يتذوق السعادة ، ويلمس الجمال ، لا بد ان يكون قد مر بطريق الجلجلة ، طريق الآلام ، اذ كل ارتجاج في ناحية، يقابله ارتجاج في ناحية اخرى ، وعلى المرء اذا اراد ان يحقق ما يذكر وما يدوم ، من اثر طيب ، عليه ان يطلبه بعزم ، وثبات ، لان الثبات هو سر الانتصارات الكبيرة ، وهذا ما سيتحقق ان شاء الله بالعمر المديد .

لقد كان للعلامة ، اللغوي ، الشيخ ابراهيم اليازجي ١٨٤٧ ـ ١٩٠٦ الفضل الاول ، في اطلاق اسم « المجلة » في عالم الصحافة العربية ، بينما كان يحررمجلة «الطبيب» للدكتور جورج بوست ١٨٣٨ ـ ١٩٠٩ في عام ١٨٨٧ . بالاشتراك مع كل من الطبيبين خليل سعادة وبشارة زلزل . ولك نظير ذلك الفضل ، في عالم الصحافةالادبية. من خلال منبرك الرفيع ، المطل على دنيا العرب ، عبر « الاديب » فضل لم يسبق اليه احد ، فقد ثابرت . على اصدار المجلة الغراء ، طوال تسع وثلاثين سنة بمفردك ، في احلك الايام والمحن ، منافحا ، مكافحا ، بالنفس

المستعدة، دائما ضمن مشيئة الخالق ، وحققت الكثير من الابداع الفكري ، في رسالة الادب ، فكنت الاول ، في هذا المضمار الادبي ، في عالمنا العربي ، فضلا عن انك جعلت « الاديب » مرجعا ، يؤرخ لكل الفنون الادبية ، ومنازع الفكر الحديث . وغدا ، عندما يكون لنا تاريخ حديث للصحافة العربية ، مكملا ، لتاريخ الفيكونت فيليب دي طرازي ١٨٦٥ ـ ١٩٥٦ ، سيشرق وجه لبنان ، في تاريخ رسالتك كما اشرق بالصحافيين ، اللبنانيين الاوائل ، وبصحفهم الطليعية ، ويذكرك باكبار مع الخوري وحديقة اخباره (١) ، والشدياق وجوائبه (٢) ، والبستاني وجنائه (٣) وقباني وثمرات فنونه (٤) ، وتقلا واهرامه(٥) وصروف ومقتطفه (٦) ، وسركيس ولسان حاله (٧) ، والدنا وبيروته (٨) ، وزيدان وهلاله (٩) ، والبحيري وطرابلسه (١٠) ، ومكرزل وهداه (١١) ، واليسوعي ومشرقه (١٢) ، وناصر الدين وصفائه (١٣) ، واليازجي وبيانه وضيائه (١٤) ، وعقل وبيرقه (١٥) ، وطباره واتحاده (١٦) ، والعريس ومفيده (١٧) ، ورضا ومناره (١٨) ، والزين وعرفانه (١٩) ، ومع كوكبة اخرى من الاعلام غير منسية .

(١) خليل الخوري ١٨٣٦ ـ ١٩٠٧ اصدر « حديقة الاخبار » اولى الصحف العربية سنة ١٨٥٨ واسس المطبعة السورية .

(٢) احمد فارس الشدياق ١٨٠٤ ـ ١٨٨٨ اصدر « الجوائب » في الاستانة سنة ١٨٦٠ .

(٣) المعلم بطرس البستاني ١٨١٩ ـ ١٨٩٢ اصدر « الجنان » بتاريخ ١ـ١ـ١٨٧٠ .

(٤) الشيخ عبد القادر قباني ١٨٤٨ ـ ١٩٣٥ اصدر « ثمرات الفنون » سنة ١٨٧٥ .

(٥) سليم تقلا ١٨٤٩ ـ ١٨٩٢ اصدر « الاهرام » سنة ١٨٧٥ بالاشتراك مع شقيقه بشاره .

(٦) يعقوب صروف ١٨٥٢ ـ ١٩٢٧ اصدر « المقتطف » سنة ١٨٧٦ بالاشتراك مع فارس نمر ، ومكاريوس شاهين .

(٧) خليل سركيس ١٨٤٢ ـ ١٩١٥ اصدر « لسان الحال » سنة ١٨٧٧ واسس معها المطبعة الادبية .

(٨) محمد رشيد الدنا ١٨٥٧ ـ ١٩٠٢ اصدر جريدة « بيروت » سنة ١٨٨٦ .

(٩) جرجي زيدان ١٨٦١ ـ ٢١ـ٨ـ١٩١٤ اصدر الهلال سنة ١٨٩٢ .

(١٠) محمد كامل البحيري ١٨٥٦ ـ ١٩٢٠ اصدر جريدة «طرابلس» سنة ١٨٩٢ مع مطبعة البلاغة .

(١١) نعوم مكرزل توفي سنة ١٩٣٢ اصدر جريدة « الهدى » بتاريخ ٢٢ـ٢ـ١٨٩٨ .

(١٢) لويس شيخو اليسوعي ١٨٥٩ ـ ١٩٢٧ اصدر « المشرق » سنة ١٨٩٨ واسس المكتبة الشرقية .

(١٣) علي ناصر الدين اصدر « الصفاء » بتاريخ ٢٢ـ٢ـ١٨٩٨ .

(١٤) الشيخ ابراهيم اليازجي ١٨٤٧ ـ ١٩٠٦ اصدر مجلتي البيان ، والضياء .

(١٥) الشهيد سعيد عقل ١٨٨٨ ـ ١٩١٦ اصدر «البيرق» سنة ١٩١١ .

(١٦) الشهيد الشيخ احمد حسن طبارة ١٨٧٠ ـ ١٩١٦ اصدر « الاتحاد العثماني » بتاريخ ٢٢ـ٩ـ١٩٠٨ .

(١٧) الشهيد عبد الغني العريسي ١٨٩١ ـ ١٩١٦ اصدر «المفيد» سنة ١٩٠٩ .

(١٨) محمد رشيد رضا ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥ اصدر مجلة « المنار » سنة ١٨٩٨ .

(١٩) الشيخ احمد عارف الزين ١٨٨٤ ـ ١٩٦٠ اصدر مجلة العرفان سنة ١٩٠٩ .

بيروت ـ المزرعة ـ شارع زريق محمود الحسنية



سعيد ابو الحسن

ميدان على القمم
سيرة ذاتية

بقلم سعيد ابو الحسن

✿ ✿ ✿

(٣)

طفولة ودراسة واحتلال

حين بلغت الخامسة من عمري قادني والدي الى المدرسة التي تقدم وصفها ووصف نموذج من معلميها . وكنت كلما كبرت ادركت اكثر فاكثر ما كان يدور حولي ـ فقد لاحظت مثلا ـ ان بعض معلمينا لم يكن نشاطه يقتصر على التدريس ، بل كان يستقبل رجالا ليكتب لهم حجبا ليتوفقوا في حبهم ـ وكان بين هؤلاء ـ بخاصة ـ شاب علقت صورته في ذاكرتي وهو يتلوى ويتاوه ، ويستغيث بالمعلم : انها لا تستجيب له فيريد ان تفعل بواسطة الحجاب ، ـ وهذا الشخص كنت اراه في مناسبات اجتماعية متنوعة وانا شاب وكهل ، ولم اره مرة الا ذكرت حالته المضحكة تلك ـ ولم ادعه يشعر بذلك ، ما زال حيا حتى كتابة هذا الفصل ، ومع ذلك فهو لا يدري انني ادري .. مسكين .. الا ان هذا لم يمنعه ان يكون محاربا شجاعا ، وان يصاب بكسر احدى ساقيه في احدى المعارك المقبلة .

سأروي الحوادث من الان فصاعدا بترتيب ازمنتها ـ فمن الان فصاعدا صرت واعيا وذاكرتي تسجل كل شيء . وكانت العادة عندما يحفظ التلميذ كتابا ان يكتفه المعلم ويسير مع التلاميذ وراء المكتوف في موكب متجهين نحو منزل اهل المكتوف ، وهم يغنون طوال الطريق :

يا مين يفك المكتوف ويعمل معنا المعروف

وعند وصولهم يستقبلهم والد التلميذ عند بوابة الدار ، ويقدم للمعلم اكرامية يدسها في يده ، ويمد يده فيفك ابنه ويقبله .

والمقصود بفك المكتوف هو دفع الاكرامية ـ ثم يدخل الجميع الى المنزل حيث يقدم لهم المحلى (وهو الرز المطبوخ بالسكر والقرفة ، او بالدبس العنبي والقرفة وفوقه طبقة من الجوز في كلتا الحالتين) او السليقة وهي القمح المسلوق الممزوج بالسكر او الدبس والمغطى بالجوز ايضا ، حفلة لطيفة على ما فيها من بدائية وبساطة لانها كانت تحفز كل تلميذ على ان يكون هو المكتوف التالي وتسعد الابوين ايما اسعاد .

كنا في المدرسة ذات يوم واذا بالمعلم يستقبل شيخ القرية وبعض وجهائها ويدور بينهم حديث ـ ثم ينصرفون فيخبرنا المعلم بأننا سنذهب غدا الى الخراب لاستقبال جنرال فرنسي قادم من السويداء ـ لقد تبدل الزمن فجأة فاذا نحن التلاميذ الصغار نقوم بدور غير دور الدراسة : سننتظم صفوفا ونستقبل فاتحا ، غازيا ، اجنبيا . لم نكن نعي آنذاك عام ١٩٢٠ ما دار في ميسلون ودمشق ـ وكيف ندري ونحن على مسيرة ثلاثة او اربعة ايام من دمشق ولا جرائد ولا راديو ولا هاتف ، ولا سيارات ، حتى ولا طرق ممهدة ؟

ومنذ الصباح الباكر بدانا نسير باتجاه الخراب ـ طريق السويداء القديمة التي سلكها الجيش التركي اكثر من مرة ، وسلكها حينما ابيد في الخراب ، هذه الطريق ذاتها يسلكها الان غاز جديد . وصلنا الى موقع على مسافة نحو ثلاثة او اربعة كيلومترات من القرية ووقفنا بانتظار الزائر المنتظر . لم يبق رجل في القرية : كلهم خرجوا للاستقبال . لم يكن لديهم من الوعي ما يسمح لهم بالتمييز بين الفاتح وا زائر ، بين استقبا ل المحتل الجديد او الفرجة على رجل اجنبي يأتي البلاد لاول مرة . لقد ارتدى كل واحد اجمل ثيابه ، وتزاحموا بالاكتاف ، ولا يتقدم واحد منهم واحدا وضعه العرف الاجتماعي امامه . الشيخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الطليعة ، ثم رؤساء العائلات ـ وترتيب كل منهم معروف مكان ختمه على الورقة معروف (عندما تنظم مضبطة او عريضة جماعية يختمها وجهاء القرية فكل واحد يختم في الموضع المخصص له والذي كان مخصصا لابيه وجده من قبله) وعندما يصطفون في حفل ، او يدعون الى التحلق حول الطعام ، نهذا الترتيب محفوظ : بمعنى انه لا يحق لاحد ان يتقدم قبل ان يمر اصحاب الاختام ـ هذا كان منتهى المطامح ..

وصل القائد المنتظر على صهوة جواده بلباسه الاصفر (الذي تعلمنا فيما بعد ان اسمه الخـــاكي او الكاكي) وقبعته المستديرة ذات الواقية الامامية ، وعلى كميـــه وحوالي قبعته اربع او خمس شرايط مذهبة ـ اشقـر اللون مديد القامة . وكان يرافقه رجل مدني عرفنا انـه الترجمان وعدد من الجنود ـ وعند وصولهم ترجلـوا وتسابق الرجال الى مصافحة القائد ـ وبدأ مرافقـوه يوزعون صورة الجنرال غورو ـ واهم ما عرفناه يومها ان الجنرال غورو بطل ، وانه اكتع ، وان يده المفقودة فقدها في احدى المعارك مع الالمان . نحن الاطفال كان كل همنـا من الاستقبال الفرجة ، وكل مكسبنا الصورة . واستأنف الزائر ومرافقوه السير نحو القرية ، والاهلون وراءهم ، ونحن وراء الجميع ، ولم ندرك بعد هذا شيئا مما جرى او يجري ـ فالشيخ ورؤساء العائلات وحدهم يستقبلون ، ويجاملون ، ويتزلفون . والمواطن العادي ما يزال بينـه وبين الاهتمام المباشر بشؤون بلده وشجونه مسافة طويلة لن يجتازها الا بنضال وتضحيات ..

ولا يفوتني ان اسجل هنا ـ فقد لا تتاح لي الفرصة مرة اخرى لافعل ـ ان ازياءنا تلك الايام كانت اقرب الى ازياء البداوة المتطورة المترفة : فالرجال بالكوفية والعقال، والجبة الجوخ المطرزة بالبريم الحرير الذي قد يكون مذهبا او مفضضا . فوق القمباز او الصاية وهي كالقمباز لكن من قماش اخف ، والشروال (السراويل) ، وتحت الكوفية والعقال الشعر الطويل المتدلي حتى الكتفين مضفـورا (جدايل) او محلولا ، والعيون السود الواسعة يزيدهـا الكحل الاسود (الاثمد) اتساعا ويعطيها جمالا وحشيـا يصل احيانا حد اثارة الرعب .

اما نحن الاطفال فنرتدي هذه الازياء ذاتها ، ما عدا العقال فلا نبدأ نلبسه الا بعد ان نبلغ الرابعة عشرة او الخامسة عشرة . والكوفية تتراوح بـين الشاش الابيض العادي مغموسا باللون النيلي (الازرق) او بلا غمس ، والشاش الاسود الذي يولع به بعضهم ، والحرير الابيض او السكري المهدب .

ويشذ عن هذا الزي العام زي الرجال المتدينين ، او الذين لهم صلة بالدين : فهؤلاء حليقو الرؤوس تمامـا ويلبسون عمامة بيضاء مكورة فوق طربوش مغربي ، بـلا كوفية تحتها اذا كانوا قد بلغوا منزلة رفيعة في التدين ، وفي هذه الحال لا بد من لحية وشاربين تترك على طبيعتها، ومن العار ان يمسها مقص ، ما عدا منطقة العنق تحـت الذقن كان قسم منهم يحلقه بالموسى ، وهذه العمليـة تدعى «الحنجرة» اي حلاقة الشعر النابت بجوار الحنجرة وتطور هذا مع الزمن فصار يمكن ان يكون المعمم من هذا النوع بشاربين بلا لحية . ويأتي بعدهم في المنزلة الذين يلبسون العمامة فوق الكوفية ، او الكوفية فوق العمامة (والعمامة يلازمها الطربوش المغربي في جميع الاحوال) وهؤلاء بعضهم ملتح وبعضهم بشاربين فقط .

وفي الدرجة الثالثة من المتدينين يأتي الذين يلبسون فوق رؤوسهم الحليقة طاقية بيضاء تعلوها كوفية ، وتعلو الكوفية عصابة تعقد من امام ، شبيهة بالتي نراهـا في الرسوم على بعض المصريين . ولكن المصريين يلبسونها فوق الطاقية وبدون كوفية ـ وهؤلاء كانوا بشاربين بلا لحية ، لان ترك الشاربين كان الزاميا لجميع الرجال ، ومسهما بأي شكل عيب ، والتعريض بهما عيب والقسم بهما اعظم قسم من يحنث به يفقد احترامه بين الناس .

والاسم الشامل الذي يطلق على الذين لهم صلـة بالدين « العقال » بينما يطلق على البقية وهم الاكثريـة اسم « الجهال » ـ والعقال يستحيل عليهم التدخـين والتلفظ بأية لفظة نابية ، بينما الجهال لا شيء يمنعهم من التدخين ـ اذا شاؤوا ـ على ان التدخين كان نادرا حتى بين الجهال في ايامنا تلك ـ والصدق اكبر مزية يتحلى بها « العقال » حتى انهم لا يقبلون ان يحلفوا ولا يمكـن ان تسمع احدهم يقول « والله » وذلك تكريما لاسم الجلالة من جهة ، وعلى افتراض ان الصدق عندهم مسلمـة لا تحتاج الى دليل ، من جهة اخرى .

والعمل المتواصل ديدن الجميع : اشرف الاعمـال العمل الزراعي ، الارض الطاهرة الوفية تعطيها حبـة فتردها لك عشرا او عشرات ، وتودعها نواة مغلقة فتردها لك شجرة وارفة الظل يانعة الثمار . الا ان الاجتهـاد والمثابرة كانا متفاوتين : فقد تكونت بعد الحركة العامية طبقة من المالكين المتوسطين او الصغار اصابت من الثروة حدا جعلها تترك العمل للمرابعين والاجراء ـ امـا هي فتفرغت للراحة واستقبال الضيوف ، والقيام برحـلات الى القرى المختلفة لزيارة الاقارب ، او اقارب الاقارب ، او الاصدقاء ، لمجرد قضاء الوقت تارة ولمناسبات الفرح، او العزاء ، او حل المشاكل تارات اخرى . وهذا يؤدي الى تعطيل للعمل في طول البلاد وعرضها ، يرافقه تبديد للثروة في استهتار وعدم شعور بالمسؤولية لا مثيل لهما ـ ويرافقه حب للظهور قتال ، وتمسك بالقشور فتـاك ، وثرثرة وافتتان في اساليب الحديث والحوار لقتل الوقت وكسب الشهرة الفارغة ، مما سيجيء وصف بعضـه في تضاعيف هذا الكتاب .

لنعد ـ بعد هذه المعترضات ـ الى حيث وصلنا من

استقبال اول ممثل للدولة الفرنسية المنتدبة ـ والذي يتعلق بي انا من هذا الامر هو افتتاح المدرسة الرسمية في قريتنا بعد ذلك بسنة او سنتين ـ لقد جاءنا استاذ من قبل الحكومة يرتدي اللباس الاوروبي ويدرسنا العربية والفرنسية ، بل الاصح يدرسنا كل شيء بالفرنسية . واللغة العربية لغة ثانية تدرس كلغة فقط ـ اما العلوم كلها فكانت بالفرنسية : التاريخ ـ الجغرافيا ـ الحساب ـ والحديث بالفرنسية كان يتدرج من الالزامية المتساهلة حتى الالزامية المؤيدة بالعقوبة عند المخالفة . وصارهنالك شارة Signal وهي كناية عن قطعة خشبية بحجم حجرة الدومينو ، يعطاها من يقترف مخالفة النطق بلفظة عربية ، ويصبح همه ان يتخلص منها فيعطيها مخالفا آخر وهكذا .

ولكننا في الواقع كنا متعطشين للعلم ، وجاءتنا الفرصة فاقبلنا عليها نغتنمها ولا نضيع الوقت ـ وما كنا لندرك ابعاد السياسة ، وما كانت سننا ولا وعينا الاجتماعي المحدود ، ليسمحا لنا بالتمييز بين نظام حكم وآخر ، ولا بين احتلال واستقلال . ولا سيما اننا لم نكن نرى في القرى غير مدير الناحية ، وهو احد زعماء قريتنا، وحرسه المؤلف من خمسة وعشرين خيالا يرتدون لباسا عربيا موحدا من الكوفية والعقال ، وجبة الجوخ المطرزة، الى الجزمة الخيالية الحمراء ذات (الكعب) الحديدي ، والشرابة الكبيرة الملونة المقصبة ايضا . فهم على جيادهم كانهم صور بديعة متحركة ، ببنادقهم الالمانية او العثمانية الجديدة ، واذا ساروا فتسمع لاعقاب جزماتهم صوتا رتيبا يرافقه هزات الشرابة يمينا وشمالا وصعودا وهبوطا كانت هذه المناظر تثير فضولنا واعجابنا ،وندرك ان وراءها مالا يدفع ونفوذا يصنع . ولكننا لم نكن قد بدانا ندرك ابعاد قضيتنا القومية ، فذلك الادراك سيجيء مع الزمن.

كنا في المدرسة اجيالا متفاوتة : كان هنالك من هم اكبر مني بسنوات ، ومن هم في عمري ، ومن هم اصغر ـ ونظمت الصفوف في المدرسة ، بعد ان جلبت لها مقاعد خشبية ، وصار الاستاذ يجلس على كرسي وراء طاولة ووراءه السبورة (اللوح الاسود كما كنا نسميه انذاك) ـ وكنت الاول في صفي ، ولولا سني لكنت الاول في الصف الاول ، ولكن ذلك سيجيء في اوانه .

وكان المعلم ذا نفوذ واسع في القرية ، لا يقتصرنفوذه كمدرس ، بل يتدخل في الشؤون العامة والخاصة ، يوجه ينبه ، يزور ويزار . وكان آباؤنا يتسابقون الى دعوته الى بيوتنا لتناول الطعام ، وكان حين يجيء يحمل معه قطعة من الشوكولاتة للاطفال في البيت .

واخذنا ندرك انهم جعلوا من جبلنا دولة سموها « دولة جبل الدروز المستقلة » وهكذا اصبح « جبل حوران » « جبل الدروز » بقدرة الحكومة المنتدبةوالموالين لها من الزعماء ـ والخمسون الف من السكان ، دولة، مرتبطة بالمفوضية العليا الفرنسية في بيروت مثلها مثل بقية الدويلات السورية . وجرى الاحصاء العام واعطينا تذاكر نفوس (هوية) باسم الدولة الجديدة . ونصبوا شيخ قرية عرى ، سليم الاطرش حاكما للدولة البدعة واعطوه لقب «امير» وقبل ذلك لم يكن في الاسرة الطرشانية اي امير ، بل كان كل شيخ قرية منهم يحمل لقب «شيخ» فقط فيقال « الشيخ فلان » او « فلان الشيخ » بتقديم الاسم او اللقب لا فرق ، وحمل بعض الشيوخ لقب باشا او بك اطلقه عليهم الاتراك او الحكم الفيصلي ، وتدرج الناس في عهد الفرنسيين فاطلقوا لقب «بك» على الشيوخ وعمموا هذا اللقب فاطلقوه على كل زعنفة من زعانف رؤساء العائلات .

بدات حياتنا في المدرسة تنتظم شيئا فشيئا ـ صارت الحصص معروفة ، والمواد المقررة ايضا ، وصار يتخلل وقت الدراسة وقت للراحة ، ودخلت في حياتنا دروس الرياضة البدنية ، والالعاب ، وكرة القدم ، فضلا عن تطوير العابنا القديمة ، مثل كرة اليد (الطابة) ، وسباق العدو ، والسبركة (١) ، والكعاب (٢) ولعبة الكلة (الماز) (٣) ، والفشك (٤) ، والدوش (٥) وسواها ، وكلها تنتج قوة البدن ودقة الحركات والاصابة . وكانت الامتحانات تجري دوريا كل ثلاثة اشهر ، ثم في نهاية العام الدراسي ، وتوزع الجوائز على المتفوقين ، والجوائز كانت من الكتب الفرنسية المصورة على الاغلب ، ولكن لباسنا ظل على حاله ، ظل اللباس التقليدي ، كلباس اهلنا ، ما عدا العقال ، وتطورت هيئة الراس فاصبح الشعر يقص ولا يترك منسدلا او مضفورا كما كان في الماضي ، وبدانا نعتني بالنظافة والمظهر اكثر فاكثر . وبدا بعضنا يسير مكشوف الراس ، وهذه بادرة نظر اليها باستهجان بعض المتزمتين في القرى .

والحدث البارز في حياتنا الدراسية ـ الى جانب ذلك كله ـ كان يوم تقرر اشتراك تلاميذ المدارس في احتفالات عيد الاستقلال . حدد العيد في الخامس من نيسان من كل عام . وكانت الحكومة تلزم الاهالي جميعا بالذهاب الى السويداء للاشتراك في الاحتفالات : فتزحف البيارق وتحتها رجال القرية جميعا حاملين السلاح ، هازجين ، مرتدين اجمل ملابسهم ـ وكانت تنصب الخيام وبيوت الشعر الواسعة ، بمعدل بيت على الاقل لكل قرية، فضلا عن الخيام المزركشة الاخرى ـ السرادق ـ التي ينصبها الشيوخ البارزون لاستقبال كبار الرسميين .

وكان التزاحم في الكرم على اشده ، فهذا شيخ مشهور بالكرم ينحر كذا من الذبائح يوميا ويسكب السمن حتى يسيل في ساقية ، وذلك يملأ حلة كبرى (خلقين) من الشراب (ماء وسكر وليمون مصبوغ بمادة ملونة) فيشرب المارة من هذا الشراب طوال يومهم ، وتدور المقارنات ، والتفضيلات ، وتنقل الشائعات ، وتولد

الخصومات ، ثم المعارك ثم المصالحات ـ ثم ... ثم اجنبي خلق هذا كله ليضحك ، ويلهو ، ويطمئن دولته الى ان شعبا يلهو بهذه التوافه ، وله هـذه المظاهر من التخلـف

المزري ، لا يخشى جانبه ، وسيبقى خاضعا راضيا بنعمة الحكم الاجنبي الى الابد . فالحكم الاجنبي يضمن له موارد لهذا الترف السافر ، ويحميه من ردات الفعل الممكنة . وما دام يشجعه ، ويصفق له ، ويقره على عاداته ، ويفرح بتخلفه ، فهو نعم الصديق ونعم المتفهم لواجبه ...

وكان يوم : قيل لنا : « اعدوا لباسا من الخـاكي لانكم ستشتركون في احتفالات العيد هذا العام » . وكان ذلك في عام ١٩٢٤ ـ وجلب القماش والخياط المناسب واعد اللباس الشبيه بالعسكري ، وشعرنـا لاول مرة في حياتنا بالنشاط والاستعداد للحركة ـ وكان اللبـاس فضفاضا بعض الشيء ، فالخياط كان على عجلة من امره ولم يكن من الخياطين البارعين ، ومع ذلك فقد كان هذا حدثا بارزا في حياتنا ـ واخذنا نتباهى بلباسنا الجديـد الذي ارتديناه للاستعراض ، قبيل سفرنا الى السويداء ببضعة ايام . وكان السفر الى السويداء سيرا على الاقدام اذ لم يكن هناك سيارات ولا وسائل نقل اخرى ـ ولنـا اسوة برجال القرية الذين يسـيرون تحت بيرقهم على الاقدام ايضا . والمسافة بين عرمان والسويداء تبلغ نحوا من خمسة وثلاثين كيلومترا عن طريق الخراب ـ الكفر ـ الرحى ـ السويداء ـ واذا كان الرجال يقطعونها في يوم واحد فنحن الصغار يجب ان نقطعها في يومين ـ والكفر هي منتصف الطرق فيجب ان نبيت فيها ـ ونزلنا ضيوفا على شيخ القرية ، الشيخ اسعد مرشد . وقد اعد لنـا عشاء كاننا ضيوف كبار ولا سيما ان معلمنا معنا ، وان تلاميذ الصف الاول كانوا كبارا وان لباسنا الخاكي يوحي بالهيبة والوقار . وكان تلاميذ الصف الاول هم العرفاء ، وكل فريق منا يعرف عريفه ـ وتحضرني هنـا ذكرى لا ارى بأسا في ايرادها لانها تدل على انني بدأت اخـرق العادات والتقاليد غير المعقولة منذ صغري : فحين كنـا متحلقين حوالي المنسف نتناول طعام العشاء ، شعـرت بالظمأ ونظرت حوالي فلم اجد ماء ، وكنت خجولا فلم اجد من المناسب ان اطلب الماء من احد المضيفين (المعازيب) كما تقضي العادة ، فقمت لاشرب من الطاسة الموضوعة على حافة خابية الماء ، وكان يترتب على قيامي عن الزاد الا اعود اليه ، حسب العادة ، فقال لي العريف : « كل واشبع ؛ لماذا قمت ؟ » فقلت له : « انني قائم لاشرب ، ولم اشبع بعد ، وسأعود الى مكاني هذا استأنف الاكل » ـ فدهش الحاضرون جميعا لان مثل هذه الجراة في الزمان والمكان الذين جرت فيهما تعد ثورة اجتماعية ..

لم اشأ ان اسخر انسانا ليجلب لي الماء ولكني لم اجبن فأبيت جائعا من اجل ارضاء عادة سخيفة ..

وحينما وصلنا ، في صباح اليوم التالي ، الى قريـة الرحى على بعد خمسة كيلومترات من السويداء تقريبـا ، لم يكن بيرق بلدتنا قد وصل بعد ، فوقع المعلم «الحصيف» في حيرة : هل يتابع السير بنا الى السويداء فندخل وحدنا بدون البيرق ، ام ننتظر البيرق لندخل معا؟ وبدلا من ان يتخذ قرارا راى ان يرسل تلميذين يسألان الحاكم الفرنسي رايه في الحل المناسب . ووقع الاختيار علي وعلى رفيـق لي باعتبارنا اقدر الجميع على التكلم بالفرنسية . وذهبنـا سيرا على الاقدام الى السويداء ، ووصلنا الى « بيـت » عرمان ، فوجدت خالي هناك . وطلبت اليه ان يرشدنا الى مكان الكابتن كاربيه ، فقال لنا انه يتناول طعام الغـداء على مائدة احد الشيوخ في خيمة مجاورة . وقـادنا الى تلك الخيمة : ودخلت وكأنني دخلت الى عالم آخر . فهنا على مائدة مستطيلة ، امامي عشرات من الضباط والمدنيين والسيدات يتناولون الطعام ويشربـون ـ فتقدمت الى كاربيه ، وسلمت عليه ، وسألته عما يجب ان يفعل معلمنا (الذكي) واجابني ، في لطف ، بأنـه ليس من الضروري انتظار البيرق ، فليدخل التلاميذ وسيلتقون بالبـيرق في السويداء بعد وصوله اليها ، خلال هذا الحوار القصـير كانت عيون الموجودين جميعا مركزة علي ، ودهشوا لهذا « الصغير العرماني » ـ حسب تعبـير كاربيه ـ الذي يتحدث بلغة فرنسية سليمة ـ ويظهر انني كنت صبيـا لا بأس بشكله ، فاذا الايـدي تتلقفني ، وتتجاذبـني السيدات لتهنئتي مصافحة باليد ، وتقبيلا على الجبين او الخد ، واذا انا اخرج من تلك المقابلة شخصية ذات شان ، واذا كل البلدة تتحدث عني .

وعدنا الى الرحى ، ثم عدنا من الرحى الى السويداء مع المعلم والتلاميذ ، بعد ان ابلغنا الاستاذ نتيجة سفارتنا وهكذا كان من نصيبي ونصيب رفيقي ، الذي ظل صامتا يتفرج فقط ، ان نسـير عشرة كيلومترات زيادة على المسافة التي سارها الجميع . ولكن مكافأة احرى كانت تنتظرني .

ففي الايام التالية برد الجو واخذ الثلج يتساقط ، وكنت سائرا في الشارع اعدو باتجـاه المخيم ، حينما فوجئت بكاربيه يناديني من على الرصيف بقوله « ايهـا الصغير العرماني » فالتفت اليه وكان قد اخذ يعـدو باتجاهي ، وتناولني بين يديه وادخلني دكانا على ناصية الشارع وطلب الى صاحب الدكان ـ وكان اسمه حبيب ـ ان يقدم لي شرابا يدفئني . فقدم لي شرابا اخضر اللون حين جرعت اول جرعة منه عرفت انه من النعناع وشعرت بالحرارة تنتشر في كيـاني كله . وحينما خف تساقط الثلج شكرت الحاكم وصاحب الدكان وودعتهما وانصرفت ـ وكان هذا اول عهدي بالحاكم الذي سيكون المسبـب المباشر لثورة ١٩٢٥ .

لعله من المناسب ان اشير هنـا الى انني حضرت

احتفالات العيد مرة اخرى في نيسان ١٩٢٥ ، ولان الثلج كان يفاجيء المحتفلين اكثر الاعوام فقد قرروا تغيير موعد العيد الى الصيف او الخريف ، وستعلن الثورة في تموز ١٩٢٥ ولن نتحدث عن هذا العيد مرة اخرى ، فيكفينا من المساخر مسخرة واحدة ..

ولكن لا بد لي هنا من وقفات خارج حياتي المدرسية وقفات في حياتي كانسان ـ واكتشافاتي لما حولي من حقائق الحياة .

ففي عام ١٩٢٣ او ١٩٢٤ كان قد توفي شيخ قرية متان مصطفى الاطرش ، وكان الرجل مشهورا بجراته ومعاركه التي خاضها ، واشترك في مأتمه الالوف المؤلفة جاؤوا من كل حدب وصوب : من لبنان ـ من دمشق ـ والغوطة ـ من اقليم البلان ـ وجبل الشيخ ـ والجولان ـ من كل قرى الجبل ـ واشترك الرجال والنساء ، وذهبت والدتي مع الذاهبات وكنت معها ، وكانت جدتي لامي ايضا ، ولا ادري من كان من افراد العائلة : ففي هذه المناسبات تفرغ البيوت وتتوقف الاعمال ويتجلى التخلف في ابشع مظاهره .

كأن الحياة تتجمع في حادثة وفاة ، وكأن الذي لا يحضر المأتم ليس جديرا بالحياة . ونزلنا ضيوفا على احدى عمات والدتي المتزوجة في متان من رجل من عائلة قطرب ، وكان وصولنا مساء فالمسافة بين القريتين اثنا عشر كيلومترا ، وفي صباح اليوم التالي شهدنا الحشد الهائل : وفود لا حصر لها تأتي وتقدم التعزية بالصوت الجهوري والف عبارة من الالسنة تدل على البراعة في الكلام اكثر مما تدل على صدق العاطفة ، وتحضر الجماهير من لبنان وهي تردد ندبها وتنظم هذا الندب المليء مبالغة وبلاغة . « وابو علي » كنية المتوفي ، تتردد على جميع الالسنة ومن جملة المشاهد التي لفتت نظري خروج فرس المرحوم في مأتمه ، الفرس مزينة وعلى مقدمة سرجها صورة للمرحوم ، يؤطرها سيفان متصالبان ، يمسك بكل واحد منهما رجل ، يسير بمحاذاة الفرس من احد جانبيها ، ويقابله زميله من الجهة الاخرى ، والفرس تسير وهي تحرك رأسها ، وقد رشوا الفلفل في عينيها لتسيل دموعها وتظهر وهي تبكي فارسها ـ الانسان ذو العواطف الزائفة يزيف عواطف الحيوان كذلك ـ ..

ومشهد آخر لفت نظري ايضا وهو وصول سيارات وكانوا يسمونها بالاسم الفرنسي اوتوموبيلات ، وكانت من نوع الفورد ذي الخيمة . ولكن مشاهدتها لاول مرة كانت حدثا بالغ الاهمية .

كانت السيارات تحمل الرجال الرسميين الفرنسيين القادمين من السويداء . وانتهى المأتم ، وعدنا ادراجنا بعد ان ازعجنا بيت عمة والدتي ، واهملنا بيتنا ، وتكون لدي اشمئزاز من المآتم ، ومن هذه العادة السخيفة ، وهي اهمال الاحياء من اجل الاموات ، ورافقني هذا الاشمئزاز طوال عمري: وتصورت وراء هذا الحادث عادات مستحكمة متحكمة طاغية ، لا يناقشها احد ولا يفكر في نفعها او مضرتها احد . خلقها الاقطاع ، وفرضها على المواطنين ، وقد تخلصوا من الاقطاع ، ولم يتخلصوا من هذه العادات وهي من صنعه ومن مبررات وجوده ، ومن اسس نظامه : كنت اشاهد الاطفال الرضع على اكتاف امهاتهم والذباب على وجوههم وداخل محاجر عيونهم الدامعة العمشاء المصبوغة بالاحمر الزاهي ، وهو لون قطرة شعبية يسمونها الدودة . والام لا تهتم بالطفل بل تكتفي بأن تضع بين يديه قطعة من الانابيب الملونة (وهي من السكر المسكوب بشكل مستطيل كالاصابع) تذوب وتسيل ملء كفيه ، وفوق راس والدته ـ وهو على كتفها ـ والذباب يجد لنفسه مرتعا خصبا من السكر الذائب الوسخ ، وفي الوجه والعيون الملطخة بالسكر وبالوسخ ايضا ـ كل هذا من اجل ان تشترك الام المحترمة في مأتم لا علاقة لها به من قريب او بعيد . وستظل المآتم سببا رئيسيا من اسباب التخلف في بلدي زمنا طويلا طويلا ..

(١) السبركة (سين مشددة مكسورة وباء مكسورة وراء مشددة مكسورة) لعبة تقوم على اساس جماعي : فهناك حجر كبير وسط الساحة اسمه حجر السبركة . يحرسه احد اللاعبين ويهاجمه اللاعبون من جميع نقاط الدائرة المحيطة الواسعة (دائرة الساحة) ـ يهاجمه لاعب من هنا ولاعب من هناك ، ويحاول المهاجم وضع قدمه على حجر السبركة وهو يصيح (سبركة) ، فاذا فعل ذلك دون ان يصده حارس السبركة يكون هو الرابح ويتولى بدوره حراسة الحجر ـ والا فيستمر اللعب حتى ينجح مهاجم آخر وتستمر اللعبة ساعات ويتبدل الحراس واحدا بعد واحد الى نهاية اللعب (حين يتعب الجميع) ـ ويكون صد الحارس للمهاجم بان يمسه بقدمه ولا يجوز استعمال اليدين لا من قبل المهاجم ولا من قبل المدافع .

(٢) العاب الكعاب كثيرة ومعروفة ، تستخدم فيها كعاب الذبائح من الغنم والماعز بعد تنظيفها ، وتقوم على اساس ان يربح اللاعب كعاب خصمه ، او يخسر هو كعابه ، ولها قواعد متعددة يعرفها الناس.

(٣) كذلك العاب الكلة (الدحل او الماز) فهي معروفة وتقوم على اساس الربح والخسارة مثل الكعاب .

(٤) الفشك لعبة تقوم على اساس وضع الفشك الفارغ منتصبا واصابته بالكلة او الدحل او الماز وهو كرة زجاجية ملونة معروفة ومن اصاب الفشكة ربحها ، ويقدر الربح والخسارة بمقدار عدد الفشك الذي يكسبه او يخسره اللاعب .

(٥) الدوش حجر مستدير منحوت مرقق وسعه وسع الكف تقريبا وتقذف به كرة حجرية من بعيد حتى تدخل الكرة في حفرة صغيرة معينة ، والربح او الخسارة يتوقفان على النجاح في ذلك او عدمه .

السويداء ـ سورية **سعيد ابو الحسن**

لبنان وحدائق صمتي

●

مي ناصر بدوي

●

الدار البيضاء ـ المغرب



ترحل الطيور عن تربتي ..
ذاك البوح بابي ..
هذا النهر دمعي
ذاك الصمت موتي ..
للوجه بابان ودمعتي ..
تمور .. وتمور في داخلي ..
يراقص اليأس مهجتي ..
أسأل ماذا هنالك يا قدري ؟
ادق بابه يوما وشكوتي
كانت ايام مضت وغربتي ..
عادت الذكريات تسألني ..
الا تحفظين عهدا وانت التي ..
يتململ الصدق في صدرها
وصدري ..
قلت لاطرق الباب
وحدائق صمتي ..
هذه الحديقة يوما بوردة شيعتني ..
ببسمة ود .. رشفتها .. رشفتني .
تقدمت خطوات لم يعرفني ..
ساءلته .. ما بالك ؟ هل نسيتني ..
نظر الي حائرا
قائلا : اعذريني ..
فالذاكرة .. خانتني ..
قلت انا ابنة الجنوب
أتذكرني ..؟
أم ان موج الغرب عن شرقي اقصاني ؟
اختاه .. لا تعتبي ..
لا تلوميني يا ابنة الجنوب
على الدروب انتظري ..
قالها مبتسما ..
الحزن لون مقلتيه ومقلتي ..
حزينـة انـا ..
قلتها وليلي ..
امتداد النهار يغتالني ..
ابتلاجة الفجر تشيعني ..
ثم يأتي الصباح
اراه كالجزار يقتلني ..
اسمع صوتا ..
يهتف انهضي ..
أتقدم خطوات .. للشمس يقدمني
ترى احواري مع نفسي .. ؟؟
أم معك يا لبنان
يا قدري .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قراءة غير رمزية لـ «لمن ؟»

بقلم الدكتور جورج ديمتري سليم

* * *

لالبير اديب (١٩٠٨ـ) مجموعة صغيرة من الشعر الطلق الرمزي عنوانها « لمن ؟ » ، ظهرت في فبراير (شباط) ١٩٥٢ عن دار المعارف بمصر (١) .

قرات هذه المجموعة مرات ومرات . قراتها مرات قراءات رمزية ، وقراتها مرات اخرى قراءات غير رمزية. كلما رجعت اليها في قراءاتي الرمزية فجرت في ذهني صورا جديدة لانهائية لانها مضغوطة غاية الضغط ، مشحونة اشد الشحن ، على طبيعة الشعر الرمزي الحق . يكفي ان نتذكر هنا ما كتبه علي احمد سعيد (ادونيس) (١٩٣٠) عن الرمز . قال :

« حين لا ينقلك الرمز بعيدا عن تخوم القصيدة ، بعيدا عن نصها المباشر ، لا يكون رمزا . الرمز هو ان يتيح لنا ان نتأمل شيئا آخر وراء النص . فالرمز هو ـ قبل كل شيء ـ معنى خفي وايحاء . انه اللغة التي تبدأ حين تنتهي القصيدة ، او هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة . انه البرق الذي يتيح للوعي ان يستشف عالما لا حدود له ، لذلك هو اضاءة للوجود المعتم واندفاع صوب الجوهر » (٢) .

اما وهذه هي حال الرمز ، فلست احب ان ابتعد بالقارىء عن تخوم « لمن ؟ » لاحلق به بعيدا في عالم هو عالمي انا الشخصي ، لا عالم اديبالشعري ، بل احب ان اقترب بالقارىء من عالم « لمن ؟ » محاولا التركيز على بعض افكار اديب كما دونها هو في ديوانه في بعض مراحل حياته ، فهذا في الحقيقة اجدى واوقع .

ليس مصادفة ان تكون قصيدة « حياتنا » افتتاحية « لمن ؟ » ، فالحياة هي الفكرة الاساسية الوحيدة التي شغلت البير اديب ، وظلت دون غيرها من الافكار ماثلة امامه . انها المحور الذي حوله يدور الديوان .

هذا ما قادتني اليه قراءة احصائية كمية لـ « لمن ؟ » لقد ترددت كلمة « حياة » ١٩ مرة في ٩ قصائد ، فحازت بذلك على المرتبة الثانية في قائمة الفاظ « لمن ؟ » بعد الفعل « قال يقول » الذي تردد ٢٢ مرة في ١١ قصيدة نائلا المرتبة الاولى (٣) .

يقول اديب عن حياتنا في « حياتنا » :

« حياتنا ، شباب وفكر اخضر
وعواطف من عمل الربيع
وقلوب من ندى الفجر
نجمعها ونغسل بها ارض الازقة
او نروي بها رمال الصحراء .
هي ليلة ، ثم ضحاها
واذا الزوبعة تذهب بنا
فتأخذ معنا كل احلامنا وامانينا .
ونحن على قدم من الهاوية او اقل
ما زلنا نؤسس ، ونبني ونقيم .
فما اسخفنا الا نجعل ايامنا ابتسامة
ونقيم علينا ربا
يعرف كيف يجعلنا نبتسم حتى لانفسنا » .

هذه هي حياتنا ، فقد العقل فيها ، وتغشت الرؤيا ، وصم السمع ، وتملكت الاهواء ، وساد سوء التفاهم ، وتسلط اليأس ، وحطت الجهامة ، وانعدم الايمان . حياتنا جعلناها حياة قحل ، حياة هدر ، حياة موت . فليتنا نرجع عن تهورنا وننصت ، فقد

« انشدتنا الحياة ربيعا
زاخر الالوان المتعة ، فياض الاماني
فتندى الزهر باكسير الحياة
وانشدتنا الشعر ، فجر النفوس
فماد الكون » .

بهذا يذكرنا اديب في « انغام والحان » .

وليتنا نبصر كالاعمى الذي « يبصر دنيا الاماني والحياة » ـ في القصيدة نفسها .

ثم ليتنا نشحذ حواسنا التي تثلمت لنخرج من تلك « الوتيرة البليدة » التي اهلكتنا ، والتي يشير اليها اديب في « الذوق الفني » بقوله :

« كل شيء في هذه الحياة
وليد العادة ويشتق منها .
نحن نعتاد القبح
ونعتاد الجمال .
والعادة
وليدة الوتيرة الواحدة المتكررة
تدور على نفسها وتدور
فتألف الدوران على العادة
ونألف نحن دورانها
فكأنها مستقرة لا تدور » .

ويا ليتنا ننفض عنا رداء النوم ونصحو فـ « في الحياة

غفو كثير » ، كما ينبهنا اديب في « سراب » .

وفي قصيدة « طفل كبير » يقدم لنا اديب ـ ببساطة متناهية وحكمة ـ مسرحية الانسان كاملة ، كما نمثلها منذ الخليقة . يقول :

« حياة المرء اربعة فصول
تمثل الطفولة البريئة
والشباب الضاحك
والرجولة العاملة العابسة
والكهولة الهادئة .
ويسدل الستار بعد كل فصل ثم يرفع
الا في الفصل الاخير
وقدلا يرفع بعد الفصل الاول او الثاني او الثالث
وقد يرفع مرة في الفصل الاول
فلا يسدل الا في الاخير » .

وبقدر ما في « لمن ؟ » عن حياتنا نحن ، بقدر ما فيها ايضا عن حياة البير اديب نفسه ـ وبكل صراحة . يقول في « حياة » :

« اموت صامتا
كما عشت صامتا
غريبا عن الناس
غريبا عن اهلي
غريبا عن نفسي .
كلمتي ؟
احتضرت في حلقي معي
بعد ان عاشت في فؤادي معي
اموت وانا لم استطع ان الهب بها شفتي
اموت غريبا
كما عشت غريبا
في دنيا الحشرات » .

يكفي ان نقرأ القصيدة السابقة لنحس بشدة الوحشة التي عاناها الشاعر زمنا في حياته العامة والخاصة وان نقرأ من « شرود » الابيات التالية لنرى ذلك الضياع الروحي الذي احاط به :

« هات من عينيك ، هات
فقد اضعت الحياة
ضم راسي لصدرك
نامت على شفاهي الصلاة » .

على ان اديبا ما كان ليستسلم الى هذه الحالة البشعة بعد ان احنكته التجارب ، مرها وحلوها . فقد استطاع من تحطيم القيد المريع ، ومن الفرار من السجن الكريه ، ومن الاقبال على الحياة . وعن هذا يقول في « لنفسي وللناس » :

« لا يعرف هذه الدنيا
الا من كثرت لديه مفاجآت الحياة المختلفة
فازدوجت شخصيته
واصبح يعيش عيشتين
لنفسه وللناس » .

وفي قصيدة « يتيم » يقول :

« حدثتني امي عن كبريائها
فعركتني الحياة بكبريائي .
ترى من انا ؟ من اكون ؟ »

ويردف سؤاله هذا بجواب يوضح شأنه في الحياة ، وموضعه في الوجود :

« لست ادري .
شبح قال لي : خطى الى المجد علياء .
انا قوي الرجاء .
صهرتني الحياة
فخرجت شموخ الانف ، كسير الفؤاد
انا المجد التليد
انا انطلاق الرجاء » .

ويضيف في « انا » فيقول :

« كاني في زحمة الدنيا
اسير انا تهالك من جراحه
يلف بمطرفه الانيق امانيه العذاب
ويعثر في الخطو من اتراحه .
كلما ارسل الطرف بعيدا
شد على الانين بوشاحه .
انا كالاسد الجريح
ان ارسل الصيحة
ارتعدت فرائص الغاب
وجلجلت بنواحه » .

وتحاوره نفسه مرة ، وتجيبه على سؤاله اياها « من انت ؟ » فتقول له على لسان « متمردة » ـ وكأنها تعبث به :

« انا جبار من نار ونور
(قلبي) عبد لعقلي
ايماني اقوى من الوله
لا ابالي باللين ، يقيني جلمد صلد
عرفت اهواء الناس فأشفقت واستخففت » .

ولا يرتاح اديب الى لهجة نفسه الساخرة ـ ان النفس لأمارة بالسوء ـ فيعيد عليها السؤال بقوله « من تكونين ؟ » ، فترد :

« انا رجاء احلامك ، وعفو الخاطر الشريد
ومنى الديم الحالمة ، وامل اليائس الطريد
وري الظامىء العنيد
ورؤيا اشياء هي بعد في مجاهل التكوين
انا صخرة تتكسر على اقدامها كبرياء اللهب
انا اليقين الباطل ! » .

وهنا تتوقف نفسه عن الاسهاب عن نفسها لتسأله بدورها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« فاما انت ، فمن تكون ؟ »
فيجيب اديب :
« انا عابر سبيل
انا الكريم الضنين
انا الظامىء المرتوي
غفوة الامس ويقظة صداه البعيد
انا مرآة النفس الفاضحة ، وكبرياء السنين
انا العارض القابض
انا صمت الشكاة وبكاء المكابرين
انا دمعة العيون الجامدة ، ورجفة قلوب المائتين
انا لك قدر ما تهزئين » .

واخيرا يقول اديب وهو في « قلق » :
« متعب انا ، يا اختاه
مسح جبيني المجد
واظلم عيني الضياء
من قارورة النفس وهبت امتي
كما يهب الحكماء
فانا ان اعط
تجمد الدمعة في اعين الكرماء
انا ان اخف
فلا خوف الظمأ ولا الكساء
انا ان اخف
فمن عقوق امتي وجحود البلهاء » .

لقد استولت فكرة الحياة على البير اديب استيلاء كليا ، فتسربت الى آثاره الادبية العامة والخاصة ـ تسربت الى اشعاره ومقالاته ، كما تسربت الى رسائله الشخصية . ولعلي لست بخارج عن موضوع « لمن ؟ » اذا اوردت للقارىء اسطر من رسالة مؤرخة ١٥ آب (اغسطس) ١٩٣٧ كتبها البير اديب الى صديق له ، واختار هذا الصديق ان يفشيها في مجلة « الصباح » الدمشقية . كتب اديب :

« رأيت كثيرا ، و « عشت » كثيرا ، وانغمست في صميم الحياة فخبرتها على اشكالها والوانها المتعددة ، وتذوقت حلوها ، وذقت مرها ، فاكتفيت .. ان الحياة اكسبتني من تجاربها مقدارا ... وان لي في الحياة هدفا . وقد استطيع التأكيد فأقول سوف اعمل ليومي وغدي ، ولجسدي وعقلي ، وللناس ولنفسي في كثير من الاتزان وعلى ضوء الهدف ونور المرمى وصبوة الغاية » (٤) .

ولست اجد للختام انسب من الاقتطاف من « لمن ؟ » فاردد مع « الظمآنة » هذه الابيات المستقبلية الآملة :

« وبينما يرسل الفجر من ثغره قبل الوداع
على بقايا العتمة الحائرة
يفتح نسيم الشروق البليل الابواب والنوافذ
وهو يسبح بانشودة الحياة » .

(١) تقع المجموعة في ١١٨ صفحة . وقد نفدت هذه الطبعة ، ولم تطبع ثانية على ما يظهر . ويلاحظ ان معظم قصائد المجموعة ـ ان لم يكن كلها . سبق نشرها في مجلة « الاديب » قبل جمعها في الديوان . هذا واذ نان تاريخ نشرها في المجلة ـ اعني الاربعينات ـ ليس هو حتما تاريخ نظمها كلها ، فقد يرجع نظم بعضها الى الثلاثينات .

والى القارىء تلك القصائد التي وقعت عليها في مجلة «الاديب»، حسب ظهورها في المجلة ـ في ما تيسر لي من اعداد المجلة هنا في واشنطن.

١٩٤٢ : انغام والحان (يونيو) ، الظمآنة (اغسطس) ، عروس الليل (سبتمبر) ، اشباح من الناس ، حسن تفاهم ، طفل كبير (اكتوبر) .

١٩٤٣ : انا وانت (في الديوان بعنوان « سوء تفاهم ») (يناير)، نغما (ابريل) ، متمردة (يونيو) ، بيننا (يوليو) ، شاعر (اغسطس)، الاوكار (سبتمبر) ، النقد الاول (اكتوبر) ، سراب (نوفمبر) .

١٩٤٤ : سهرة (يناير) ، حياتنا (مارس) .

١٩٤٦ : مجدلية (ابريل) .

١٩٤٨ : قلق (يوليو) ، انا (اغسطس) .

(٢) « زمن الشعر » ، طبعة ثانية منقحة ومزيدة . بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٨ ، ص ١٦٠ .

(٣) الى القارىء الترددات العشر الاولى وكلماتها مرتبة ترتيبا تنازليا . مع ملاحظة ان (ف) هو اختصار لكلمة فعل (بكسر فسكون) .

٢٢ : قال (ف) . ١٩ : حياة ، كان (ف) . ١٧ : شيء . ١٦ : فجر (بفتح الفاء) ، ليل . ١٤ : راى (ف) ، صدى، نفس . (بسكون الفاء) . ١١ : ارتوى (ف) ، قلب ناس . ١٠ : شرب (ف) ، طفل (بكسر الطاء) ، عاش (ف) ، قدم (بفتح القاف والدال) . ٩ : احد، الله ، مات (ف) ، مر (ف) . ٨ : اشباح ، شاب ، غد ، غريب ، يوم . ٧ : اول ، جسد ، دنيا ، رجاء ، صومعة ، عاد ، (ف) عبق ، كثير ، ماض ، واحة .

(٤) نقلتها « الاديب » عن « الصباح » الدمشقية في عدد ديسمبر ١٩٤٢ ، ص ٥٦ .

واشنطن — جورج ديمتري سليم

اشتركوا في مجلة
الاديب
تساهموا في نشر الثقافة

انفجار

عبد الله السيد شرف
مصر

لا .. لا تقولي عهدنا
لا .. لا تعيدي ذكر ماضي حبنا
انكرته .. فلتحملي وزر البعاد
وجحدته .. واليوم قد اضحى رماد
لا نور لا احلام تجمعنا
على الدرب الطويل
لا اغنيات حافلات بالهناء اذى الخميل
الامس مـات
وكفنته الاغنيات
ودفنته في الصدر
ذكرى للاماني الباسمات
فابكي عليـه
تنـــدمي

*

انت التي حرمته اسباب النجاة
انت التي حطمته رغم الهناء
اسرفت في الهجران وانقطع الرجاء
فاذا بكيت اليوم حق لك البكاء
واذا شكـوت
فليس في قلبي رثاء
انـا قد نسيتـك
فابتغي غيري عزاء
قد باعدتنا الكبرياء
فاذا هتفت بعهدنا
وذكرت ماضي حبنـا
فلسوف تسخر منك افواج الطيور
الهاتفات بحبنا عند الغدير
ولسوف تنكرك الزهور
فلقد مضى العهد الذي
قد صنت فيه هوى طهور
او تذكرين
او لم نعش عمرا على العهد المكين

*

او لم احطك بشوق ايامي الدفين
واليوم .. قد كبر الصغير ..
فلا عذاب ولا عتاب
حطمت قيثاري وقد ضاع الشباب
واليوم يا حبي الذي ولى وغاب
لا تذكري الماضي فقد حم الغياب
ونسيت عهد غرامنا
وجحدت ذكر ودادنا
فاذا ذكرت اليوم ماضينا السعيد
وذهبت تحتجين بالحب البعيد
فلسوف اسخر منك بل من عهدنا
ان جئت يوما كي تثيري ذكر ماضي حبنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاشارات والخصيصة الاشارية

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

(الاشارات) انواع ، وهي اما طبيعية ، مثل القرائن ، والاعراض ، والمشهديات ، او اتفاقية ، مثل العلامات الاشارية المصطلح عليها ، وهي ما يسمى بـ (الرموز) ، بالمعنى العام لكلمة : رمز ..

ونحن نطلق تعبير (اشارة) على اية علامة ، او شيء يتحليان بخصيصة اشارية ، طبيعية او اتفاقية ، خفية او جلية ، مثل اشارات القرائن ، والاعراض ، او العلامات التي لانظمة الاتصال الاشاري ، ومنها النظام اللغوي ..

وقديما اطلقت الاشارة على (الايماء) ، والذي يترجم (بجيست) اي الحركة الدالة بأحد اعضاء البدن، اليد ، الرأس ، العين الخ .. ويفهم من شروح (الجاحظ) للدوال على المعنى (١) وهي :

اللفظ ، والاشارة ، والعقد ، والخط ، ان (الاشارة) هي الايماءة باليد ، او الرأس ، او الحاجب .. او ايضا لي الثوب على مقطع جبل تجاه عين الناظر .. الخ ..

ثم استعملها المفكرون ، والبلغاء ، بمعنى منبه يدل على المعاني الرهيفة .. كما في لغة الفارابي ، ثم ابن سينا ، او الجرجاني ، ثم السكاكي ، وغيرهم كثير ..

واليوم ، اذ تدعو الحاجة الى تحديد المصطلح ، يمكن الانطلاق من المعاني المعجمية (أشار) ، و(أشر) في (اشارة) و (مؤشر) ، ثم علم في (علامة) ، ورمز في (رمز) الخ ..

ونحن كي نظهر الفارق بين الطبيعي والاتفاقي من الاشارات ، قلنا نجعل (اشارة) تشمل كل انواع الاشارات الطبيعية والاتفاقية ، ثم نجعل (علامة) هي الاشارة المصطلح عليها ، او التي هي غير مسوغة طبيعيا واصطلح عليها ..

وهو ما سرنا عليه في شروحنا للاشارات ، ومنها (رمز) .. وهو ما نسير عليه في الدراسات الدلالية ، ومقصدنا توضيح حقيقة (الخصيصة الاشارية) للاشكال والاشياء .. اهي شيء طبيعي ، ام شيء توضع عليه ، ثم ما تؤول اليه في التعبير الابلاغي كافة ..

بيرس

وقد عمل (بيرس) في اواخر القرن التاسع عشر على ايجاد نظرية عامة للاشارات ، تكون بمثابة علم كلي لها ، فقسم الاشارات الى عشرة اصناف ، تحت بعضها اصناف فرعية ..

كان بيرس ذريعيا من رواد الذريعية ، ومنهجيتها .. ان حقيقة الشيء في نظره هي الفكرة التي تقدمها عن هذا الشيء آثاره المحسوسة ، وتميزها بالتالي وفق دلالاتها العملية (٢) ..

الا انه كان ايضا رجل منطق ، وكان يؤثر (المنطق) على اي بحث ذريعي ، او دلالي ، او علامي .. ومن هنا عمله على ربط العلامية Sémiotics بالمنطق ، واعتبار المنطق مجال العلامية الصرف ..

ان بيرس في دراسته للاشارات يراعي عاملين هامين :

احدهما، هو : عامل الطابع الطبيعي، او الاصطلاحي للاشارة ..

والآخر ، هو : عامل التفسير لها ، اي فهمها من قبل المتعامل معها ..

واهم الاشارات ، في نظره، ثلاث : الرمز بالمعنى العام اي الاشارة المصطلح عليها ، والايقونة ، اي الصورة او الشكل المشهدي ، والقرينة ، وهي في نظره ما يلفت الانتباه ..

وفي نظره أن (الرمز) بالمعنى العام ، تعود خصيصته الاشارية الى المفسر ، ومعرفته المصطلح عليه ، قال (٣) :

ـ الرمز اشارة او علامة تفقد خصيصتها الاشارية اذا لم يوجد المفسر ، وتلك هي حال العلامات اللغوية ، والتي تدل على ما تدل عليه فقط ، من واقعة انها نسبت اليها هذه الدلالات التي لها .

ولذلك هو يقابل الرمز بالايقونة ، ثم بالقرنية :

(الايقونة) ، هي صورة مشهدية للاشياء ، هي نسخة عنها ، او مخطط هندسي لها ، وتظل لها خصيصتها الاشارية ، رغم ان موضوعها يمكن ان يكون غير موجود..

واما (القرينة) ، فهي في نظره كل ما يلفت انتباهنا ، او يستفزنا ، وهي تفقد خصيصتها الاشارية اذا لم يكن موضوعها موجودا .. ولكنها لا تفقدها اذا لم يوجد المفسر ..

مثل ذلك شكل الشجرة ، او الطائر في دلالتهما على الثروة النباتية ، او الحيوانية .. انهما ايقونتان ، اي صورتان مشهديتان لموضوعات يفهمها الناس ، رغم عدم وجود هذه الموضوعات ..

في حين ان (الدخان) في دلالته على النار ، او التعتعة في الكلام في دلالتها على السكر ، فانهما قرينتان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لموضوعيهما ، وهما دالتان سواء وجد المفسر ام لم يوجد.

وكذلك هي الحال بالنسبة للاعراض Symptômes المرضية ، او الحوادث التي تنبىء بحدوث شيء في المستقبل ، فهي قرائن ، وهكذا دواليك ..

دي سوسور

ونظرية الاشارة عند (دي سوسور) تقوم في الاساس على تحليل النظام اللغوي ، والعلامات اللغوية .. فقد تمثل دي سوسور (اللغة) نظاما اشاريا ، يتحكم بتمفصلات الكلام ..

ان (الكلام) هو مظهر الاستعمال الفردي للغة ، معجميتها وسننها ، مفرداتها وتراكيبها .. والاساس في ذلك هو الوحدة التمفصلية Articules ، والتي اعتبرها دي سوسور علامة لغوية ..

ان كل وحدة تمفصلية (٤) من هذه التمفصلات علامة لغوية ، وهي تتمايز عن غيرها صوتا ومعنى ، بفعل الفروق التي لها مع غيرها .. انها في نظره ثمرة تقاطع الاصوات مع المعاني ، وهو تقاطع يتحكم به النظام اللغوي ككل ...

ومن حيث ان هذه الوحدة التمفصلية لا تتطابق بالضرورة مع (الكلمة) .. اذ يمكن ان تكون حرفا ، او مقطعا ، فقد اعتبرها كعلامة ، هي وحدة صرفية ، نحوية، مورفيم .. ولكن ليس بالامكان عزل الصوت عن الفكرة فيها ..

العلامة اللغوية عند (دي سوسور) اذن كيان ذو وجهين (٥) .. فهناك باستمرار عبر التمفصلات الكلامية مادة صوتية تتعلق بها مادة فكرية .. الا ان ذلك شيء اتفاقي ، وغير مسوغ ، ويتحكم به النظام اللغوي وحده .

وهذا معناه ان العلامة اللغوية صورة صوتية تدل على (تصور) .. وقد سمى دي سوسور الصورة الصوتية بـ (الدال) ، والتصور بـ (المدلول) Signifié ، والدلالة هي اقتران الدال بالمدلول ، الصورة الصوتية بالتصور .

ان العلامة اللغوية عند دي سوسور : اتفاقية خطوطية ، فوارقية (٦) .

ـ اتفاقيتها ثمرة الاصطلاح ، اذ العلاقة بين الدال والمدلول فيها غير مسوغة ، وانما هي مجرد تواضع اجتماعي .

ـ وخطوطيتها ثمرة تسلسلها طولانيا في مساحة الزمان الواحد .. كل لحظة في هذا التسلسل لا تسمح بتغيير فعل صوتي واحد ..

ـ وفوارقيتها ثمرة التقابلات ، والتي لكل علامة لغوية مع غيرها في النظام اللغوي الواحد ..

العلامة اللغوية اذن (قيمة) ، اكثر منها دلالة معجمية (٧) .. والنظام اللغوي سلسلة من الفروق الصوتية تقترن مع سلسلة من الفروق الفكرية ..

الرمز

وقد استعمل (دي سوسور) الرمز بمعنى اشارة ، او علامة ، ثم نوه بأن في الاستعمال تساهلا ، لان الرمز يحوي على بذرة صلة طبيعية بين الدال والمدلول ، اما اقتران افكار ، او علاقة بين العالم المادي والعالم الاخلاقي ، او قوة ايحائية ، او صوفية (٨) الخ ..

وبالفعل راينا ان الوقائع في الطبيعة تتكلم ، كما ان الاحداث فيها تتكلم .. ولذلك يؤثر التسويغ الطبيعي للاشارة في استعمالاتها ، فتكون شارة ، او شعارا ، او رمزا لفكرة .. على ما بين هذه الاشارات من فروق ، واختلافات ..

واليوم للرمز معنيان : عام ، وخاص .

بالمعنى العام ، (الرمز) اشارة اصطلح عليها ، وقد تكون مسوغة ، او غير مسوغة ..

وبالمعنى الخاص ، هو اشارة هي شيء حسي يشير، او يرمز الى شيء معنوي ..

ويعرف قاموس اوكسفورد (الرمز) العام بأنه :

ـ شيء يمكنه ان يكون بديلا ، او تمثيلا ، او دالا على شيء آخر ، وذلك ليس بموجب مشابهة حرفية ودقيقة بينهما ، وانما بموجب ايحاء غائم وعام ، او علاقة عرضية او اصطلاحية كالاحرف ، والاشكال ، والاشارات المصطلح عليها (٩) .

ثم ان العادة جرت منذ (هيجل) حتى دي سوسور والى يومنا هذا ، ان نعتبر (الرمز) بالمعنى الخاص شيئا حسيا يشير الى ، او يرمز حالة معنوية ..

وهو مضمون تعريف قاموس اللغة الفرنسية ، والذي اقرته الجمعية الفلسفية الفرنسية ، وهو :

ـ الرمز شيء حسي معتبر كاشارة الى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس ، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين الشيئين احست بها مخيلة الرمز (١٠).

ونحن نعرف الرمز بانه تثبيت للواقع ، مع ملاشاة مرموزه .. وهو تعريف ينطبق على المعنيين ، اي الرمز كاشارة هو علامة اصطلح عليها ، او الرمز كمشهدية ، هي صورة حسية ترمز بالحسي الى المعنوي (١١) ..

الظاهرة الاشارية

ان الاشارات موجودة في كل مكان حولنا في المجتمع ، وفي الطبيعة .. وان الانظمة الاشارية شيء مألوف ، نتفاهم ونتعامل بواسطته ، او على الاقل نرد عليه ، ونفتكره ..

و (الظاهرة الاشارية) شيء من الحياة ، والى الحياة .. وسواء هي طبيعية او اصطلاحية ، بسيطة او

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معقدة ، فهي من الحياة ، واليها ، وتعاملنا معها شيء حياتي ايضا ..

وكان دي‌سوسور يبشر بعلم العلامات، السيميولوجيا والذي تمثله فرعا من (علم النفس الاجتماعي) ، وبالتالي علم النفس العام ، يدرس الاشارات ، وانظمتها في قلب الحياة الاجتماعية ..

وقد عمل بيرس على ايجاد نظرية عامة للاشارات ، فخدم ما اسماه بـ (العلامية) السيميوتيك ، وهي في نظره تضم اقساما ثلاثة : الذريعية ، والدلالية ، والتركيب ..

وقد اقتفى العديد من العلماء ، والمناطقة خطوات (بيرس) الرائدة في ذلك ، ومنهم (١٢) : موريس ، وكارناب ، وسميث ، وبار هيليل ، وغيرهم ..

ان (موريس) هو الذي عمم هذا التقسيم الثلاثي للموضوع العلامي ، فأشاعه ، واتجه فيه اتجاها سلوكيا صريحا ..

في حين ان (كارناب) اصطنع فيه حساب القضايا، والمحمولات .. في اتجاه منطقي ، رياضي صريح ايضا ..



اشتركوا في مجلة

الآداب

تساهموا في نشر الثقافة

ناهيك بـ (العلامية الادبية) التي رافقت الدراسات البنيوية للادب ، وخدمها عديدون ، منهم : بارك ، وجريماس ..

وينوه بيير غيرو في كتابه : ـ علم العلامات ـ ، بدراسة بارك لسيرازين ، بلزاك ، فيقول (١٣) :

ـ ان بارك يظهر كيف ان النص يولد العديد من قراءات يدعم وجودها مجموع سنن فيه متراص بعضها فوق بعض ، حيث يسمع صوت او صدى التجريب ، والحقيقة ، والعلم ، والشخص ..

ثم يضيف : ـ ان موضوع النقد هو تحرير النص من قيوده ، وغلائله ، ليعيد له انسيابه الدلالي ، وذلك باعادة بناء سننه ، ودلالاته ، والتي هو يستند اليها ..

وسنتابع الشروح لذلك كله في اعداد مقبلة ، باذن الله ، فالى اللقاء .

(١) الدوال في نظر الجاحظ اربعة اقسام ، وهي لفظ ، وخط ، وعقد ، واشارة ، الحيوان ، ج ١ ص ٢٣ . وهي تترتب تبعا لصلتها بالحواس : اللفظ للسمع ، والاشارة للبصر ، والعقد للبصر واللمس، ثم هي تترتب ايضا تبعا لما تملؤه من حيز زماني او مكاني ، اقصاه مدى الصوت ، ومنتهى البصر بالنسبة الى اللفظ ، والصوت ، والاشارة ، واما ما نزح من الحاجات فلا سبيل الى التفاهم فيه غير الكتابة . ـ نفس المرجع ، ص ٤٥ ـ ٤٧ .

(٢) تجد في قاموس الفلسفة ، باشراف انطوني فلوي ، لندن ١٩٧٤ ، تعريفا بفلسفة بيرس ، واجتهاداته في العلامية ، والمنطق ، ص ٢٤٥ .

(٣) هذه القطفات من مجموعة اعماله .. راجع كتاب عدنان بن ذريل : ـ اللغة والاسلوب ـ ، نشر اتحاد الكتاب العرب ، بدمشق ١٩٨٠ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٤) محاضرات علم اللغة العام ، لدي سوسور ، مع دراسة نقدية لدي مورو ، باريز ١٩٧٦ ، ص ١٢٩ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٩٩ .

(٦) المصدر المذكور ، ص ٩٧ وما بعدها ..

(٧) نفس المصدر ، ص ١٥٥ وما بعدها ..

(٨) المصدر المذكور ، ص ١٠١ .

(٩) نقلا عن علم العلامات ، لمارتينيز ص ٧٠

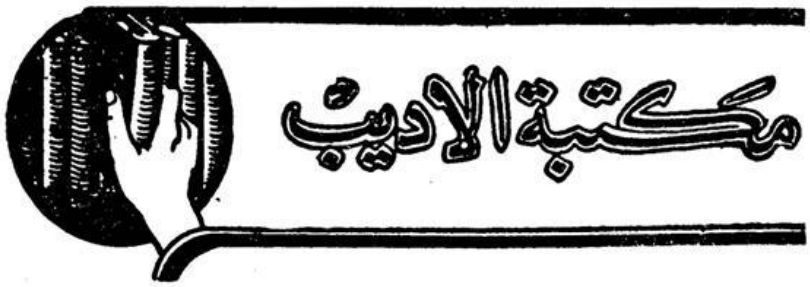
(١٠) ونشرت المناقشات في مجلتها ، مارس ـ ابريل ١٩١٧ .

(١١) راجع كتابنا اللغة والاسلوب ، السابق الذكر ، ص ١٢٧ وما بعدها .

(١٢) تجد تفاصيل هذه الموضوعات في كتاب مبادىء علم الدلالة، لليونس ١٩٧٨ ، ص ٩٤ وما بعدها .

(١٣) علم العلامات ، لغيرو ، ١٩٧٧ ، ص ٩٥ .. وشكرا والى لقاء ..

دمشق — عدنان بن ذريل



الحركة الشعرية في ضفة الاردن الشرقية

تأليف الدكتور عيسى الناعوري ـ منشورات وزارة الثقافة والشباب
مطابع دار الشعب في عمان ـ ٢١٠ صفحات ـ آب ١٩٨٠

صدر عن وزارة الثقافة والشباب في الاردن كتاب « الحركة الشعرية في ضفة الاردن الشرقية » للدكتور عيسى الناعوري ـ ٢١٠ صفحات من القطع الكبير ـ ويضم ثلاثين شاعرا ليس بينهم اية شاعرة، وقدوضع في الاصل بتكليف من دار « بغدله » اليوغسلافية التي ارادت نشر ستة كتب في الشعر العربي : الاول الشعراء المغرب العربي كافة ، والثاني لمصر والسودان ، والثالث لسورية والعراق والاردن ، والرابع للمملكة العربية السعودية والخليج ، والخامس لشعراء فلسطين ، والسادس للشعر العربي القديم ، فالكتاب اذن هو حصة الاردن من تلك السلسلة ، ولم يشأ المؤلف ان يصدر هذا الكتاب باللغة اليوغسلافية ، ولا يصدر مستقلا بلغته الاصلية ، وفي بلده العربي الاصلي .

تحدث الدكتور الناعوري في المقدمة التي احتلت احدى عشرة صفحة عن تاريخ تأسيس المملكة الاردنية الهاشمية سنة ١٩٢١ على يد الامير عبد الله بن الحسين الذي كان اول من رعى الحركة الشعرية واحتضنها لانه كان اديبا وشاعرا ، وفي بلاطه نشأت الحركة الادبية في شرقي الاردن ، وكثيرا ما كان يتطارح الشعر ويتساجله مع شعراء الاردن ، والشعراء الوافدين الى الاردن من الاقطار العربية كفؤاد الخطيب ـ شاعر الثورة العربية ـ وشبلي الملاط ومصطفى وهبي التل وعبد المنعم الرفاعي ، وعمر ابي ريشة ، ووديع البستاني ، وعبد المحسن الكاظمي وغيرهم ... ومن هذه المجالس الادبية في رعاية الامير ، انطلقت الحركة الادبية الشعرية في الاردن وراحت الصحافة اليومية والاسبوعية تنشرها وتوسع آفاقها ، وتردد اصداءها .

وعندما حدثت النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، وتدفقت على الاردن افواج اللاجئين الفلسطينيين ، احتضنهم الاردن وساوى بينهم وبين اهله في الحقوق والواجبات ، وتبنى قضيتهم ، وحفظ لهم الضفة الغربية حتى عام ١٩٦٧ ، وكان الاردن يتألف من الضفتين معا ، ومن شعراء هذه الفترة ـ اي قبل النكبة ـ الدكتور صبحي ابو غنيمة ، وحسني فريز ، وحسني زيد الكيلاني ، وشكري شعشاعة ، ومحمد الشريقي ... وقد حمل هؤلاء الشعراء الرواد وغيرهم هموم القضية الفلسطينية ، كانت هذه المأساة مصدرا غنيا للادب الاردني بشعره ونثره ، ويؤكد المؤلف ان النكبة الفلسطينية كانت اهم الاسباب في تحويل الادب والشعر في الاردن الى الواقعية ، وفي ظهور دعوة الالتزام بشكل حاد ، لكي ينال الادب مجندا لخدمة القضية التي لم تعد قضية الفلسطينيين وحدهم ، بل قضية العرب اجمعين .

وبما ان جيلا جديدا من الادباء والشعراء قد نشأ في ظروف المأساة الاليمة والتشرد ، وفي جو الثورات والانقلابات العسكرية المتلاحقة في الوطن العربي ، فقد اصبحت السياسة هي التي توجه الادب وتقود الشعر والحياة كلها في تيار عنيف ، وحرفت الشعر عن طبيعته الفنية وسخرته للسياسة ، فعلا صوت الشعر السياسي الذي يصب براكين حقده ونقمته على الاحتلال .

والحقيقة التي يريد الدكتور الناعوري ان يقررها هي ان الادب الصحيح والنقد السليم لا يعيشان الا في ظروف الاستقرار السياسي والاجتماعي ، وهو شيء لم يتوافر بعد في العالم العربي ، ولن يتوافر قبل ان تجد القضية الفلسطينية حلا عادلا يؤمن للفلسطينيين الاستقرار على ارضهم ، وفي دولة خاصة بهم .

ولا يفوته ان يوجه في كتابه شيئا من النقد لبعض المجلات الاردنية ، وللملاحق والصفحات الثقافية في الصحف لان اغلب ما تنشره هو للاجيال الجديدة ، ومن الشعر المتحرر من الوزن والقافية في الغالب ، والمشحون بالغموض والرمزية والتعقيد .

ويرى ان الواقعية والرومانسية تغلبان على الشعر الاردني ، حيث تسود الاولى في الشعر العاطفي والوصفي ، وتسود الثانية في الشعر الوطني والسياسي والاجتماعي . وهناك ظاهرة الشعر الشعبي العامي الذي انصرف الى التعلق بالارض والقرية والحياة الريفية والانسان الريفي ، ومن شعرائها احسان الفرحان ، ونايف ابو عبيد ، وموسى الازرعي ، وقد لقيت مجموعاتهم الشعرية اصداء طيبة في الصحف والاذاعة ولدى القراء ، والملاحظ ان جميع هؤلاء الشعراء الشعبيين من ابناء منطقة واحدة هي الشمال الاردني ، ومن قرى متقاربة ، ولهم جميعا لهجة عامية واحدة .

اما الشعراء الذين تحدث عنهم ، واختار نماذج من اشعارهم فهم : الملك عبد الله بن الحسين ، مصطفى وهبي التل ، الدكتور صبحي ابو غنيمة ، محمد الشريقي ، الشيخ نديم الملاح ، شكري شعشاعة ، عبد المنعم الرفاعي ، حسني قريز ، عيسى الناعوري ، رفعت الصليبي ، حسني زيد الكيلاني ، محمود الروسان ، محمد سليم الرشدان ، حسين خريس ، يوسف العظم ، سليمان المشيني ، اديب عباسي ، جميل دياب ، تيسير السبول ، ابراهيم العجلوني ، خالد المحادين ، علي الزعبي ، نايف ابو عبيد ، مهنا ابو غنيمة ، خالد الساكت ، مصطفى زيد الكيلاني ، هايل العجلوني ، حامد الزغول ، ادوارد عويس ، الشيخ رشيد زيد الكيلاني ، وكلهم من ضفة الاردن الشرقية ، وممن استوطنوا الاردن قبل المأساة من ابناء فلسطين ، فاصبحوا من ابناء الضفة الشرقية انتماء ، وكذلك بعض من استوطنوا الاردن من العرب واصبحوا من اهله منذ عهد الامارة ، كمحمد الشريقي ، وهو في الاصل من اللاذقية في سورية ، وقد لقي المؤلف عناء في الوصول الى بعض الشعراء ، لانهم لم يتركوا دواوين مطبوعة، واذا هو لم يتمكن من الاحاطة الكاملة بكل شعراء ضفة الاردن الشرقية فحسبه انه مهد الطريق لمن سيأتي بعده ويكمل النقص .

تقوم الخطة التي اتبعها المؤلف على سرد حياة الشاعر ، وتعداد آثاره المطبوعة ، وذكر بعض خصائص شعره بشكل خاطف وسريع ، فقد كانت غايته التأريخ قبل النقد ، ثم اثبات المختارات ليكتشف القارىء بنفسه مميزات كل شاعر بمفرده ، ويكفي انه وضع مفاتيح الحركة الشعرية في الاردن بيد القارىء اليوغسلافي ، الذي وضع الكتاب من اجله ، ثم اضاف للطبعة العربية بعض الشعراء ، ليكون وافيا وجامعا الى حد ما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد دابت جميع دول العالم على اصدار مثل هذه الكتب التي تضم نخبة من الشعراء البارزين ، مع مختارات لهم ، لتعطي القارىء غير المتخصص فكرة عامة عن سير الحركة الشعرية او القصصية واشهر اعلامها ، ولكننا في الادب العربي نفتقد مثل هذه الكتب الوثائقية الجيدة ، بالرغم من الحاجة الماسة اليها لتعريف القارىء الاجنبي بادبنا واشهر اعلامه ، وحبذا لو اقتدت كل دولة عربية بهذا العمل ، فعمدت وزارات الثقافة ، او اتحادات الكتاب فيها الى تكليف من تثق بقدرتهم ليقوموا بمهمة الانتقاء واختيار النماذج الشعرية او القصصية الجيدة ، وطبعها في كتب مستقلة .

واذا كان لا بد من الاستشهاد ببعض ما اختاره الدكتور الناعوري من اشعار بدقة وذوق ، فان قصيدته « اخي الانسان » التي ترجمت الى عدد من اللغات كالايطالية والروسية والرومانية ، هي خير ما يتمثل به ، لانها نالت شهرة واسعة ، بما تضمنته من افكار سامية ، وقيم انسانية رفيعة ، ومبادىء مثالية . يقول فيها :

اخي في العالم الواسع ، في المغرب والمشرق
اخي الابيض والاسود ، في جوهرك المطلق
امد يدي ، فصافحها ، تجد قلبي بها يخفق
بحبك يا اخي الانسان !!

★ ★ ★

احبك دون ما نظر الى لونك او جنسك
واكره من يبث الحقد في نفسي وفي نفسك
لترقص انت في بؤسي ، وكي ارقص في بؤسك
ونشقى ، يا اخي الانسان !

★ ★ ★

اخي ، ماساتنا ليست سوى من صنع ايدينا
فمن اطماعنا العمياء سودنا لياليا
ومن احقادنا الصماء هدمنا تآخينا
فرفقا يا اخي الانسان !

★ ★ ★

لقد جئنا الى الدنيا معا لنعيش اخوانا
ونسعد بالحياة معا ، احباء واعوانا
ولو شئنا جعلنا جنة الفردوس دنيانا
فهيا ، يا اخي الانسان !

★ ★ ★

دع الاطماع والاحقاد ، لا تجعل لها شانا
فلن تسعد بالاطماع ، او تعلي بنيانا
ولن تمنحك الاحقاد في دنياك سلطانا
فدعها ، يا اخي الانسان !

دمشق — عيسى فتوح

★ ★ ★

من اجلها

ديوان لسلمان هادي الطعمة ـ ١١٠ صفحات ـ ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعه ـ صدر في اخر ١٩٨٠

من اجلها .. ديوان شعر للشاعر العراقي سلمان هادي الطعمة ، صدر في نهاية سنة ١٩٨٠ ، وقد ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعه . يقع الديوان في ١١٠ صفحات من القياس الوسط ، ويضم بين ثناياه (٧٢) قصيدة ومقطوعة تشمل الموضوعات الاتية :

١ ـ في الغزل ٢٤ قصيدة ومقطوعة .
٢ ـ في الوصف ١٧ قصيدة .
٣ ـ في الوطنيات ١٠ قصائد .
٤ ـ في الرثاء ٩ قصائد .
٥ ـ في المديح والترحيب ٨ قصائد .
٦ ـ في الحنين الى ربوع الذكريات ٣ قصائد .
٧ ـ في الشعر التعليمي قصيدة واحدة فقط .

والديوان هو الثالث من اصدارات سلمان الشعرية والسادس عشر في سلسلة مؤلفاته منذ اكثر من ربع قرن .

من خلال عرضنا للاغراض الشعرية التي تطرق اليها شاعرنا في ديوانه هذا يتوضح لنا ان قصائد الغزل اخذت المساحة الاكبر من الديوان ، اذ ان نسبتها ٣ر٣٣٪ من مجموع القصائد وتلتها قصائد الوصف ، ونسبتها ٦ر٢٣٪ ثم الوطنيات فالمراثيات فالمديح والترحيب فالحنين الى ربوع الذكريات وقصيدة واحدة في الشعر التعليمي .

اذن فالغزل والوصف كانتا الصفتين الملازمتين اللتين تميزان الديوان ، فشاعر كسلمان لا بد له ان ينوع في قصائد ديوانه ، اذ انه فضلا عما يمتلكه من حس مرهف كاي شاعر يمتلك الاصالة ، فانه كثير الاسفار ، وكمحصلة ، كثير الاصدقاء ، على امتداد الوطن العربي. وهذا هو السبب الاقوى في تنويع قصائد الديوان ، في الوقت نفسه تحدث عن ربوع ذكرياته في ذلك الوطن العزيز واصفا معالمه وابرز سماته العمرانية والحضارية . كما انه مدح ورحب باصدقائه الكثر المنتشرين هنا وهناك من وطننا العربي لدى ورودهم عليه ، ورثى اولئك الذين كان لهم فضل في جانب او اخر ، على نقاء اللغة العربية والحفاظ على صفاء اللفظ العربي من خلال اعمالهم الادبية والوطنية .

ولا بد له ، كشاعر ، ان يحب ، فوصف من يحب بقصائد رائعة ذات ايقاع موسيقي اخاذ .

ولو اردنا ان نستعرض قصائد الديوان ، بحثا وتحليلا ، لتطلب منا افراد صفحات تفوق صفحات الديوان نفسه ، ولكننا ، ونحن نعرف به ، سنشير الى ما تميزت به تلك القصائد ، حسبما بدا لنا ، وباختصار على امل ان نوفق لدراسة الشاعر دراسة شاملة من خلال مؤلفاته مستقبلا .

ان ما تميز به الشاعر في قصائد (من اجلها) اهتمامه بالامور التالية :

١ ـ حبه للارض العربية : وتتجلى هذه الميزة من خلال قصائده الوصفية كقوله في قصيدة (لبنان) :

ايه « لبنان » يا رفيف الاماني — كل ما فيك ملهم الشعراء
انت لحن على الشفاه رقيق — يلهب السحر والهوى في دمائي
ونسيم الصبا على سفح « صنين » — نشيد يموج بالاغراء
والترانيم في « العرائش » تنسا — ب لتروي عن ذكريات لقاء

وكقوله في قصيدة (سامراء) :

ام الحضارة يا منارا شع في — اوج العلى والمجد عن بغداد
لا زال سفرك بالفخار مشيدا — يطا الزمان معزز الاوتاد

٢ ـ كان يمزج بين الرثاء وحب الوطن وبين المديح وحب الوطن، فمن الاول يقول في رثاء الشاعر الكربلائي عباس ابو الطوس :

ووهبت عمرك للاباء فلا ترى — للضيم ظلا في بلاد الضاد
عباس يا لحنا يطوف مزمجرا — في كل شبر من ربوع بلادي
ما هدك الظلم المريع ولا خبت — لك جذوة من جائر جلاد

على اني آخذ عليه تكرر الضاد في البيت الاول والجيم في البيت الثالث مما اثقلا البيتين . وعن الثاني يقول وهو يحيي مؤتمر الادباء العرب الخامس المنعقد في عام ١٩٦٥ :

انتم بنـاة الفكر في هـذا الحمى ومنابـع بسنى الحجى تتفجـر
بكم المواطـن تستعين اذا طفى خطـب ولف الشرق غيـم اكـدر

٣ ـ سجل في بعض اشعار الديوان موقفا ثابتا ، مما يدلل على عدم تأرجحه ونبذه للوسطية كقوله :

وللشعـوب طريـق ما بـه وسط اما الحيـاة واما العيش كالحجر

٤ ـ الى جانب اهتمامه بالمحتوى ، كان يعنى بالشكـل بنفس عنايته بالمحتوى . فكان كثيرا ما يعنى بالصورة كقوله :

عبـاس يا القـا بداجيـة السرى يا نفحـة عبقت بحضـن الوادي

وكقوله :

قد اتخذت ركنا قصيـا لتحتسي سلافا .. كطير يحضن الورد في وكر

كما كان يعنى بموسقة الكلمة كقوله :

وبفصن القد ولثم الخـد ونشر الند اهدهده
حـب بالدل وهجر الوصل بجوف الليل تبـرده

ليس ذلك حسب ، انما اختار لقصائده ـ وبخاصة الغزلية ـ القوافي الرشيقة الاوزان الراقصة كقوله :

يا صبـوة في خـاطري يـا بـوح زهر عاطر
وثغـرك الحـلو اشتهـاء للقـاء ... غـابر
وشعـرك النـاعم يغشـاه خيـال الشاعـر

٥ ـ وفي السياق العام كان ينشر الحكمة هنا وهناك في ثنايـا قصائده كقوله وهو يخاطب المرحوم مصطفى جواد :

ان الزمـان كما عهدت نوائـب وصروفـه تؤذي النفـوس وتؤلم

ويخاطب الصديق بقوله :

وان رمت ان تحظى سموا ورفعة فليس سوى مسعاك يمتلـك الابا

٦ ـ كان يكثر من استعمال الطباق دون اغراض وتكلف كقوله :

احـلال تسبـين عقـلي ولبـي وحـرام عـلى المحب الرضاب

فهو قد طابق بين الحلال والحرام مطابقة بديعية جميلة . ومثلها كثير في ثنايا الديوان .

٧ ـ وبفعل كتاباته النثرية الفولكلورية وتأثره بالبيئة الكربلائية قد نثر في بعض ابياته شيئا من الاعتقادات كقوله :

فهويـت نسرا شامخـا ولطالمـا تهوي النسور (بنظرة الحساد)
ويعيـث في جنباتـه مستعمـر قـد لاح ما بـين المواطـن غولا
واعصر روحي و (حظي) سراب ويضني فـؤادي اسى مثقـل

اذ ضمن البيت الاول الاعتقاد بالعين الحاسدة والثاني بوجود الغول والثالث الايمان بالحظ .

٨ ـ ان غزل سلمان ينقسم في الديوان الى قسمين :

الاول تقليدي ، كما في قصيدتي (ليل الصب) و (رشيق القد) اذ حاكى فيهما شعراء الاندلس في الشكل والمضمون .

الثاني حقيقي ، نابع عن معاناة وتجربة ، كما في سائر قصائده الغزلية . وفي الاخص قصيدته (ميعادي معها) الذي يقول فيها :

ما اجمـل الوعـد الذي بيننـا يقطـر بالطيـب وبالعنبـر
كم ضمنـا الليـل بأغراسـه اضمامـة العقـد الى الجوهر
وكم سهرنـا وعشقنـا الرؤى تحـت ظـلال الشجـر المثمر

وما دمنا في غزل سلمان الذي هو الصفة المميزة للديوان كما اسلفت ، نجد ان ثمة سؤالا يطرح نفسه وهو : هل ان سلمانا كان يحب حقا ؟ انني اعتقد ان قائل قصائد الديوان الغزلية كان يحب ويعنف ، ولكنه ظل بعيدا عمن يحب ، لا يملك حولا ولا قوة غير ذلك المناوح الداخلي الذي ظهر في قصائده الغزلية على الاطلاق ، فهو من اول قصيدة يعلن عن هويته وتورطه بهذا الحب الخاسر ، ويظل يشكو ويتوجع من جراء التباعد الذي بينهما ويدعو ويتوسل ان تطل عليه ولو كفراشة وتمنحه ولو قبلة واحدة وتسمعه ولو كلمة مهموسة . ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق . فلنسمعه يقول في اول قصيدة :



الاديب

لا تقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٥٠ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٣٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ١٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ٢٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir. 223819
☎ المنزل : ٢٢٥١٣٩ Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ـ١١

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

ألبير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنفسي من قبلة حائره تضم شفاهك يا ساحره
عزفت لقلبك لحن الوفاء واحرقته في سعير الفداء
وقلبي يحن الى موعد لقانا به كلقا البعد
فنكشف عن حبنا السرمدي واهنا بلقياك حتى الغد
الام التناني وهذا الجفاء يثير بنفسي الاسى والبكاء

ويعتمل المنلوج في نفسه حتى اخر قصيدة في الديوان ، اي على امتداد فترة زمنية طولها ٢٣ عاما . اذ ان القصيدة الاولى تحمل تاريخ ٢٣-٢-١٩٥٤ بينما تحمل الاخيرة تاريخ ٤-٧-١٩٧٧ وهو يقول فيها :

كيف انساك والحنين بقلبي يتلظى ومهجتي ظمياء
كيف انساك تملكين فؤادي اذكريني ان غنت الورقاء
احمليني على ذراعيك طفلا دغدغته انامل ملساء
كم تقولين عن قريب لقانا وبه سوف تكشف الغماء

ولكن نداءه ظل يدور في شباك الامنيات لا غير .

ذلك هو سلمان الطعمة في شعره .وبقي ان نقول انه في الغزل اقوى منه في الوصف وفي الوصف اقوى منه في الرثاء وفي الرثاء اقوى منه في الترحيب والمديح وفي هذا اقوى منه في الوطنيات .

وفي المحصلة انه يقف في قصائده الغزلية الى صف شعراء الغزل القدماء والمعاصرين المشهورين .

وقد شممت في اغلب غزلياته رائحة عمر بن ابي ربيعة وابي نواس والقباني ، والاخير كان حضوره اكثر من زميله في اغلب قصائده من حيث الشكل والمضمون .

ارجو له التوفيق في اعماله الادبية اللاحقة ولديوانه الرواج وسعة الانتشار .

كربلاء ـ العراق — علي كاظم الفتال

★ ★ ★

١ ـ العروس الشاردة

شعر : عبد الله السيد شرف ـ ٤٠ صفحة من القطع الصغير
منشورات « اصوات » ـ اكتوبر ١٩٨٠

ديوان صغير الحجم من الشعر المنطلق يقدم لنا شاعرا أصيلا ونشكر « اصوات » التي بدأت تعرفنا على شعراء جدد ، منهم هذا الشاعر الرقيق ، الذي يكاد ديوانه الصغير ان يكون سيمفونية حب مختلفة النغمات .

يقول في قصيدة « لا تغضبي » :

لا تغضبي
ان قلت قد نسيت فكذبي
ان الزمان معذبي
واخاف ان يعديك حظي فاهربي

ويقول في قصيدة « لا تصدق » :

حدثوا
ان فؤادي لم يعد يذكر عهدك
لا تصدق يا حبيبي
لم ازل احفظ ودك
انت في قلبي نشيد
يا نعيمي
انت وحدك
رغم بعدي ، ان روحي
لم تزل يا حلو عندك
لا فؤادي عنك يسلو
لا ، ولن اعشق بعدك .

ويقول في قصيدة « وحبك منتهى عمري » :

اذا ما سرت عند النيل في اشراقة الفجر
واسمعك النسيم العذب انغاما من الطهر
وغنى الطير الحان الهوى العذري
فبوحي
ليس غير الحب والاشواق في صدري
وقلبي ما يزال يحن رغم سحائب الضر

وفي كل هذه القصائد نرى شاعرا رقيقا يغني الحب عندما يسر ، وعندما يتعذب ، وعندما يرق ، وعندما يقسو ..

وقد قدمت « اصوات » كما قال الشاعر حسين علي محمد على غلاف هذه المجموعة ، شاعرا طيبا ، نرجو له دوام التوفيق .

★

٢ ـ ثلاثة وجوه على حوائط المدينة

شعر : حسين علي محمد ـ ٣٦ صفحة من القطع الصغير ـ كتابات الغد ـ مايو ١٩٧٩ ـ القاهرة

هذا هو الديوان الثالث للشاعر حسين علي محمد ، ويضم تسع عشرة قصيدة نشرت فيما بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٧٨ ، ويضم هذا الديوان بواكير الشاعر الشعرية ، وفيها قصيدته « رسالة من آنسة » التي نشرت عام ١٩٦٧ في مجلة « صوت الشرقية » وهي اولى قصائده التي كتبها في الشكل الحر ـ شعر التفعيلة ، ويبدو انه كان متأثرا بنزار قباني ، تقول ابيات القصيدة :

ماذا ؟ انتكر حبنا
والليل يعرف همسنا
والناس .. كل الناس ..
عشقوا مثلنا
ماذا اذن ؟
والفل اينع عندنا
والرب بارك عهدنا
والان .. تنكر حبنا
ماذا اذن ؟
همساتك السكرى ستهديها لمن ؟
للخادم المسكين
اعرفه انا
ليقول لي ..
مولاي سافر من زمن
فاموت حيرى يائسه
ستقول عني :
يا لها من آنسه
لكنني
اهواك يا من تنتظر موتي انا
ما زلت ارعى حبنا
من يوم ان احببتني
والان ...
الان قد حطمتني

ولكن الشاعر في قصائده الاخيرة التي نشرتها « روز اليوسف » مثل « فاتنة الحفل » والتي نشرتها « الاديب » مثل « العاشق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والوردة » والتي نشرتها « البيان » مثل « هذا ما حدث لي امام قبر امي » والتي نشرتها « الوطن » العمانية مثل « القنديل » نلاحظ استكمال ادوات الشاعر ، بعد ان خط له اسلوبا معينا في الشعر تمتزج فيه الدراما بالشعر باللغة البسيطة المؤثرة . يقول في مطلع قصيدة « صفحات من كراسة الشيخ الذي كفر » :

في هذا الزمن الوغد
سافرنا من سنوات عشر
سافرنا . والعشاق كثيرون
والزاد قليل
والسفر طويل
من منكم يخلع من عينيه طيور الرؤيا
يقذفها في ارض الاوهام
من منكم يغرس اشجار الاحلام
فالناس نيام ...

ولقد نشر الشاعر في هذا الديوان رباعية واحدة بعنوان « نهر البلادة » يقول فيها :

يا صديقا باع في الدنيا رشاده بقروش اللاعين الطغاه
كيف اجتاز انا نهر البلاده وصديقي البوم في الفجر نعاه

وانا اعرف ان للشاعر تجربة طويلة مع الرباعيات ، وانه كتب اكثر من مائة رباعية نشر جزءا كبيرا منها في (الثقافة الاسبوعية) الدمشقية عام ١٩٧٧ ، فعله يصدر هذه الرباعيات قريبا في احد اعداد « اصوات » .

بقي ان اشير الى شيء هام هو ولوع شاعرنا بكتابة القصائد القصيرة المركزة ، التي يعتبرها د. علي عشري زايد مزية له مفتقدة في غيره من ابناء جيله ، واقدم هنا في نهاية هذه الكلمة قصيدتين قصيرتين نالتا اعجابي ، وقد نشرتا في صفحتين متتاليتين .

يقول في قصيدة « كلمة » (وهذا نصها الكامل المنشور في ص ١١):

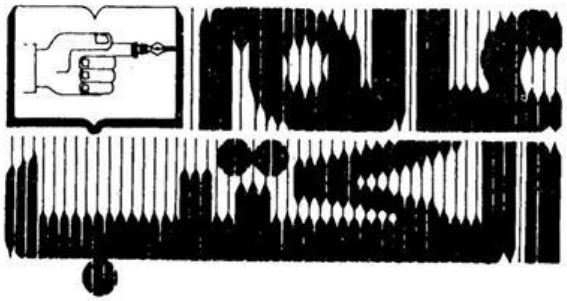
نطقتها في اول الكلام
ارسلتها من صدري المقبوض في الزحام
وقلت : كوني دفترا للحب والاحلام
ومعجما للوجد والغرام
وما ظننت انها
تكون سلما
للقهر والسكون والظلام
وما ظننت انها تكون غايتي
في آخر الايام .

ويقول في قصيدة « عبر الاموات » (وهذا نصها الكامل المنشور في ص ١٢) :

في عنبر الاموات
كانت القصيدة الجديدة
على لسان الوردة الملقاة
تحت الشرفة الوحيدة .
وحينما تنفست باول الحروف
كان الليل في شراسة عنيدة
يجرجر الاصحاب
والزنابق السوداء
ترقب المجهول في تعاسة بليدة .

ان حسين علي محمد شاعر له اسلوبه الخاص ، وهو واحد من طليعة الشعراء الشبان في مصر القادرين على صياغة القصيدة الجديدة في صدق وحنكة ومهارة ، ونرجو ان نقرأ له باستمرار .

القاهرة — ماهر احمد علام



مجلة فصلية متخصصة
تهتم بالكتاب وقضاياه

المؤسسان :
عبد العزيز الرفاعي
عبد الرحمن المعمر

رئيس التحرير :
يحيى محمود ساعاتي

هذه المجلة للمشتركين فقط
لكي تشارك أرسل ١٠٠ ريال
عن سنة كاملة على العنوان التالي

دار ثقيف للنشر والتأليف
الرياض - ص.ب ١٥٩٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

حديث عن مصارع جبار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

كان العباس بن الوليد بن عبد الملك يتوجه الى قصر الخلافة لمقابلة شقيقه يزيد بن الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين فراى بباب القصر رجلا اسمر عملاقا ذا راس ضخم ، ومنكب عريض ، وان لحمه ليتكتل على جسمه ، فتتخيل حين تراه أنه قطعة هائلة من الجبل تجري فيها الروح وتدب بكيانها الحياة ..

فسأل في خشية عن هذا الاسمر المخيف فقيل انه فارس الصحراء هلال ابن اسمر فقال العباس ولماذا قدم الى امير المؤمنين ؟ فقال صاحب الحرس لقد علم الخليفة بفرائه المدهشة فاحب ان يراه وكتب الى عامله فبعث به الى دمشق ليحقق مطلب امير المؤمنين .

فسكت العباس ولم يتكلم ثم تقدم في صمت حتى اخذ مجلسه ـ دون استئذان ـ في جوار اخيه ، وابتدا يقول في تبرم ظاهر : لد كنت يا يزيد تعيب على سلفك الوليد بن يزيد انقطاعه عن شؤون الخلافة وانصرافه عن المظالم الى جماعة من دوي البطالة واللهو يشربون الخمر وينشدون الشعر ، فكيف تنصرف انت الى ما انصرف اليه الوليد ، وتبعث الى المدينة متصيدا شذاذ الافاق ، وصعاليك البداة لتقضي معهم يومك الطويل دون نظر الى ما يقع على كاهلك من اثقال وصعاب :

فابتسم يزيد بن الوليد في دهاء وقال يستعطف اخاه اراك لا تزال على دابك في ازدرائي وتهجيني ، واني لاتحمل منك جميع ما تقول .. وقد ذهب مصرع الوليد بذكره ولكنك دائما تعيرني به وكاني ارتكبت حدثا هائلا حين اعلنت الثورة عليه ، وسعيت في مهلك مستهتر خليع .

فقال العباس في غضب : لن اغتفر لك هذا مهما اغتفره الناس ، فقد فتحت بثورتك الظالمة باب المروق والعصيان في بني مروان ، ولست آمن من ان ينتقض عليك في لحظة من اللحظات ، فيجمع الى خلعك الكتائب والجيوش واذ ذاك تشرب من كاس ارغمت على احتسائها سواك .

فقال يزيد ملاطفا : رفقك يا اخاه فانا اعلم انك بايعتني مكرها غير طائع ولولا ما اضطرك اليه الجميع من مبايعتي لتفرقت الكلمة وتحزب الناس ، وانا اناشدك الله والرحم ان تعفو عما سلف ، فقد كفى ما كان ..

فاطرق العباس اطراقة الحزين ، ثم قال في حزن : لقد اضطررت امام الناس ان اتناسى جريرتك الشائنة .. ولكني مضطر الى نصيحتك بأن تقلع عن ذوي البطالة واللهو ، وتنظر في اعمال الخلافة ومصاعب الدولة ، ليطمئن الى عهدك العرب والمسلمون .

فقال يزيد في ابتسام : ان عين الغضب نائمة يا عباس . علم الله اني اصل الليل بالنهار في استطلاع الشؤون ، وتصريف الامور ، حتى عرف العرب عني كل محمدة تمدح ، ومضى بمثلهم الشارد يقول : الناقص والاشج اعدلا بني مروان ..

فتاوه العباس تاوهة متبرمة وقال : خدعتك الالفاظ يا يزيد .. ولقد كان من قبلك من الخلفاء يمدحون فلا ينخدعون ، بل ان معاوية بن ابي سفيان كان يسمع الثناء فيستشف من خلاله قوارص الهجاء ، ثم يميل الى الاغضاء .. وانت فيما ارى يغرك المديح الزائف والثناء الخداع .. يا يزيد .. لست اغشك ولكن انصحك .. واني اخوك .

فقال يزيد في سهوم : اذكر لي شيئا اغضبك مني اليوم لنضعه على بساط النقاش ..

فرفع العباس راسه وقال هذا الصعلوك الذي بعثت اليه ، لتنصرف به عن شؤون الخلاف فيسمعك القصص وينشدك الاشعار .. وكانك صاحب رواية واخبار لا مصرف دولة وارواح ..

فنظر الخليفة الى اخيه ـ وهو يحاول ان يكتم ما اثار حديثه في نفسه من امتعاض ثم قال في أدب ودود :

ان الرجل الذي تعنيه فارس بطل من فرسان الصحراء ، وقد نقل امير المدينة الي عنه من غرائب القوة وعجائب البسالة ما احببت به أن اراه . وانا لا اصاحب المخنثين والخلعاء او استطيب الكؤوس المترعة من الشراب او استقدم المحصنات والمنتهكات كما كان يفعل الوليد .. فماذا تقول في خليفة يعلم عن احد رعاياه ضروبا من الفتوة والبطولة فيستدعيه ويعرف له حق التضحية والاستبسال؟ فتراجع العباس متأثرا .. ثم قال لئن كان ما تقول من امر الرجل فاني احب ان استطلع انباءه معك .. فارى اي خارقة نادرة يأتي بها هذا المصارع العملاق ..

فتهلل وجه الخليفة في بشر ثم صفق بيده . واذن لهلال في الدخول لساعته ومثل الفارس بين يديه في ثبات واعتداد ..

فقال يزيد في تخابث : ما اندفاعك الي الشر يا هلال؟ فقد اثرت النفوس واضرمت الاحقاد ، فابتسم العملاق الضخم، فظهرت اسنانه متراصة حادة كأنها تشي بالنهش والافتراس ، وقال في صوت اجش : اي شر تعني يا امير المؤمنين ؟

فقال يزيد مسرعا ، لقد نقل الي امير المدينة انك هجمت على العبد الرومي شجيم ووضعت راسه بين ابهاميك فسقط على الارض مغشيا عليه في ذهول ..

فنظر هلال نظرة فاحصة ، وقال او لم يسرد عليك الامير قصة شجيم بالتفصيل ؟ علم الله انني كنت راغبا عن الصراع .. ولكن الوالي قد اضطرني اليه ، فاكرهت على المبارزة وانتقمت للعرب من هذا الجبار .. فتبسم العباس بن الوليد ، وقال لهلال : سألك امير المؤمنين ان تذكر كل شيء بالتفصيل ، فكيف تميل الى الاجمال كيف رايت شجيما ونازلته بمشهد من الناس ..

فقال هلال في اعتداد .. لقد قدمت الى المدينة ذات مساء فلم ازل اضع عن ابلي وعليها احمال التجار حتى اخذ بيدي ، وقيل لي : اجب الامير ، فقلت لهم ويلكم ابلي واحمالي ، فقيل لا بأس على ابلك واحمالك ، وانطلق بي حتى ذهبت فسلمت ، ثم قلت للوالي جعلت فداءك ابلي وامانتي ، فقال نحن ضامنون لها حتى نؤديها اليك ، قلت فما حاجة الامير الي ؟ فقال ارايت هذا الرجل الاصفر ، واشار الى انسان جواره ، فما رأيت يا امير المؤمنين قط اشد خلقا منه ولا اغلظ عنقا ، وما ادري اطوله اكثر ام عرضه .. ثم تابع الوالي يقول ان هذا العبد ما ترك بالمدينة عربيا يصارع الا صرعه ، وقد بلغني عنك قوة ، فاردت ان يجري الله صرع هذا العبد على يديك فتدرك ما عنده من اوتار العرب فقلت للامير اني تعب نصب جائع ، فان رأى الامير ان يدعني اليوم حتى اضع عن ابلي واؤدي امانتي واريح يومي هذا ثم اجيئه مع الغد فليفعل ، فقال لاحد اعوانه ، انطلقوا معه فاعينوه ففعلوا جميع ما امرهم به وبت ليلتي تلك باحسن حال شبعا وراحة وصلاح امور ، فلما كان من الغد قدمت وشددت بعمامتي وسطي ، وجاء العبد فجعل يدور حولي ويريد ختلي وانا منه وجل ، ولا ادري كيف اصنع به ثم دنا قريبا فشج جبهتي بظفره شجة نالت مني اصعب منال فغاظني ذلك ، فجعلت انظر ما اقبض منه، فما وجدت شيئا اصغر من راسه ، فوضعت ابهامي في صدغيه ، واصابعي الاخرى في اذنيه ثم غمزته غمزة صاح منها تتلتني فتلتني فصفق الحاضرون من شهود الاعراب ووجهاء المدينة ، وقال الامير مبتسما ، اغمس راس العبد في التراب ، فقلت له : ذلك علي ، فغمست والله رأسه في الثرى ووقع مغشيا عليه حتى ضحك الوالي وامر لي بجائزة وكسوة وانصرفت ..

فضحك يزيد مرتاحا وقال في احتيال : كأنك يا هلال تسلك مسالك صعاليك العرب من قطاع الطريق ومغتالي الارواح .. فتعيد سيرة تأبط شرا وعروة ابن الورد ومالك بن الريب .

فتجهم هلال تجهما صار به وجهه قطعة من الليل وقال في غضب :

لست صعلوكا ولا قاطع طريق يا امير المؤمنين وانما انا اعرابي اسير وراء ابلي ، واذهب بما عليها من السلع الى اصحابها فاعيش باجر النصب والتعب والكلال ..

فقال العباس ان مثلك في قوته وباسه لا بد ان يتجبر على الناس ، فيخيف الآمن ويقطع السبيل في صحراء تيهاء ذات مناذر وشعاب ..

فنظر هلال نظرة الواثق المعتز وقال : شهد الله لم ابدأ احدا بشر ما دون ان اجد منه العدوان .. وكم مر بي من اناس فاستخفوا بمرقدي وانهالوا علي بالسياط .. واذ ذاك اعمد الى الانتقام .

فقال يزيد في عجب : يضربك الناس بالسياط .. ومن يقدر على ذلك ؟ فاجاب هلال في ثبات : ولعينيه بريق آخذ كاد يفزع له يزيد في مجلسه لولا ما حوله من حراس يمتشقون السيوف ويصوبون الرماح .

كنت يوما بالصحراء وقت الظهيرة وقد احتدمت الهاجرة احتداما يشوي الوجوه ويكوي العظام فعمدت الى عصاي وطرحت عليها كسائي واحتميت بالظل ، فمر بي رجلان احدهما من بني تغشل والاخر من بني نعيم وهما اشد بني تميم بأسا وعراما ومعهما اثواط من تمر هجر ، فحين وقع نظرهما علي ناديا : يا راعي الابل اعندك شراب تسقينا قلت وانا نائم لا اتحرك ، عليكما الناقة البيضاء فانيخاها فان لبنها كثير فاشربا ما بدا لكما ، فقال احدهما : ويحك ايها العبد انهض فاتنا باللبن فقلت اذهبا لتشربا ، قال احدهما : انك يا ابن اللخناء لغليظ الكلام ثم فاستقنا ثم دنا مني وجاء الاخر فقال مثل قوله ودنا فلا

والله ما اكترثت، وتقدم احدهما فاهوى علي ضربا بالسوط فتناولت يده وانا نائم ورميتها تحت يدي ، وضغطتها ضغطة صاح منها صارخا ونادى صاحبه ادركني فقد فتلني .. فدنا يصنع ما يصنع فأخذت يده وفعلت بها ما فعلت باختها ثم اخذت برقبتيهما اضكهما ضكا لا يستطيعان ان يمتنعا منه فقال احدهما انت هلال ولا يفعل ذلك سواه . قلت انا هلال فطفقا يبكيان فرحمتهما وتركت لهما العنان ..

فضحك يزيد بن عبد الملك ثم نظر الى اخيه العباس في تطلع وقال يخاطب هلالا والله لجدير بك ان تسمى اسد الصحراء . ولكن ماذا تصنع بها اذا طال عليك النهار ، ولج بك الصمت فلم تر من تأخذ معه بأطراف الحديث ..

فقال هلال في ادب : ان الشعر رفيقي المؤنس يا امير المؤمنين فانا احفظ القصائد الطويلة واتلهى بانشائها اذا انفردت دون الناس .

فقال العباس في عجب : يا سبحان الله . إيمكن ان يحفظ هذا الاصم الاصلد رقائق الاشعار وطرائف الاراجيز .

فنظر اليه هلال نظرة ناقمة كاد العباس يتحسس منها ريح الخوف لولا انه في مجلس امير المؤمنين ثم قال في اعتداد : احفظ الشعر ايها الامير وانظمه فيذيع بين الناس ..

فقال العباس في دهشة : وشاعر ايضا .. هذا شيء عجيب .. الم يقل امير المؤمنين انك تسلك مسلك عروة بن الورد وتابط شرا ومالك الريب وكلهم شعراء .

فرد هلال في حزم : اسلك مسلكهم في الفتوة والبسالة ونظم القصائد ورواية الاشعار ولا اسلك مسلكهم في السطو والاغتيال ونهب الطريق ..

فضحك يزيد وقال هو ما تقول يا هلال فاسمعنا بعض ما نظمت من المديح ..

فاطرق هلال راسه وقال في ادب : اصدقك القول يا امير المؤمنين اذا اعلنت اني لم انظم بيتا واحدا في المديح فلست علم الله من الذين يتخذون الشعر مطية كسب وآلة استجداء ولخير لي ان اكون ابكم اعجم من ان اجعل لساني منكسرا ذليلا يستجدي المال ويتكسر للعطاء ..

فرفع العباس راسه في بشر وصاح حياك الله من شجاع ذي همة واعتلاء .. علم الله ما تأثرت بشجاعتك كما تأثرت بنفسيتك .. ولانت خير من يستدعيه امير المؤمنين من اقاصي الارض فيجزل اليه العطاء .. ويفسح له المكان .

فضحك يزيد ثم قال يخاطب العباس : كانك لم تعد تزعم انني استدعي شذاذ الافاق وانهج نهج المتبطلين .

فقال العباس ان كان زائروك من معدن هلال . فاهلا بالزائرين .

فرفع امير المؤمنين راسه الى هلال وقال لقد اسديت الي ايها الرجل يدا بيضاء اذ كنت سببا في ارتياح اخي العباس وانشراحه وساكافئك بما لا يندرج في حسبانك من الاعطيات .. فاهلا بالعباس ومرحى برضاه ..

قال العباس في ابتسام وديع : اشهد لقد سررت بمجلس امير المؤمنين .

فقال يزيد متهللا ، ازد سروره يا هلال وساعفيك من رواية الشعر ، وانشاده كما تحب ، فات لنا من نوادر بسالتك ، ولن يطول بك الحديث .

فشخص هلال الى يزيد في اعتداد ثم مد بصره الى العباس كمن يشكوه في صمت دون ان يبين .. واندفع يقول :

ذهبت مع صديق لي الى خيام بكر بن وائل وقد لفحنا وعطشنا ، واذا نحن بفتية شباب عند بئر لهم وقد وردت ابلهم ، فاستهولوا مرآي واستفظعوا خلقي وقامتي وقام رجلان منهم فقالا : يا عبد الله هل لك في الصراع فقلت في حياء : انا الى غير ذلك احوج ، فقالا وما هو ؟ قلت الى لبن وماء فاني لغب ظمآن ، فقال احدهما لست بدائق من ذلك شيئا حتى تعطينا عهدا لتجيبنا الى الصراع اذا شبعت وروبت فقلت في هدوء انا ضيف غريب والضيف لا يصارع مضيفه ورب منزله ، وانتم مكتفون من ذلك بما اقول لكم فاعمدوا الى اشد فحل في ابلكم واهيبه صولة والى اشد رجل منكم ذراعا فان لم اقبض على هامة البعير وعلى الرجل فاعلموا انكم صرعتموني اذا لم افعل ، وان فعلته فان الصراع مع احدكم ايسر من ذلك .. فعجبوا كثيرا من قولي .. ثم اشاروا الى فحل في ابلهم هائج صائل فاتيته واخذت بهامته وضغطتها ضغطة ثقيلة جرجر الفحل منها واستحدى ورغا ثم قلت من شاء فليمد الي يده فادخلها في فم هذا الفحل .. فلا والله ما تجرا احد وصاح الناس تنكبوا هذا الشيطان فما سمعنا هذا الفحل يجرجر قبل اليوم ..

فنهض العباس يقول في ابتسام تنكب يا امير المؤمنين هذا الفحل فما خلع قلبي لحديث كحديثه .. ثم استأذن ومضى فصفق يزيد فاحضر صاحب خزانته وامره ان يحمل هلالا من اعطياته ما يطيق .

فتبسم خازن المال في ادب وقال مخاطبا يزيد لئن حملته ما يطيق ، ليحملن جميع ما في الخزانة يا امير المؤمنين ..

فعجل هلال يقول متضاحكا لا باس على الخزانة يا امير المؤمنين فساحمل منها دون ما اطيق ، وانصرف بسام الثغر ظاهر الارتياح ..

المنصورة ـ مصر — محمد رجب البيومي



احمد حسين الطماوي

مرآة الحسناء

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

مرآة الحسناء اسم مجلة نسائية اصدرها في القاهرة الصحفي القديم سليم سركيس وجعلها مرآة تنظر فيها الحسناء الشرقية لتقوم بمادتها ما اعوج فيها ، ويرخص الفساد في عينها ، وتنهض على مبادىء قويمة . واذا كانت المراة قد عالجت مظهرها ، فانها لا تزال في حاجة الى اصلاح مخبرها . لذلك فالمجلة توجه النصح اليها لعلها تتجاوب مع اول نقد يوجه لها ، فتروع من هول الصورة التي هي عليها ، وتتبرم ساخطة على ما هي ماضية فيه ، وكائنة به ، وتنحى ما ران على جوهرها . ان تحرر المراة من كل اصيل لا يعتبر خلاصا لها ، واستجابتها لنزواتها ومجافاتها لكل موروث ، وحرصها على كل جديد لا يعني انها حرة . ولكن تحرر المراة الحقيقي فانما يكون عندما تدرك مسؤوليتها وتتبصر بحقيقتها ، وتتصرف في ضوء هذه المعطيات .

ومرآة سركيس تنظر فيها الفتاة لا لترى وجهها الجميل ، ولكن لتبصر اعماقها وتدرك ابعاد نفسها ، وتتعرف على ما تجهله من امورها ، فتعدل من سلوكها ، وتسمو فوق حاجاتها العاطفية ، وتعمل على رسم صورة اجمل واوفى لها بما تستفيده من توجيهات المجلة . « فمرآة الحسناء » تؤثر في روحها قبل ان تبين لها ما يحتاجه وجهها ، وتستميلها الى الفضائل قبل ان تجعل يدها تمتد الى الاصباغ والمساحيق .

* * *

مجلة « مرآة الحسناء » نصف شهرية صدرت في نوفمبر عام ١٨٩٦ ، وجعل سركيس صاحبة امتيازها سيدة تدعى « مريم مزهر » وهو اسم وهمي ، والسبب في تسمية صاحب المجلة الحقيقي لهذا الاسم المستعار يرجع الى ان السلطات العثمانية كانت تحول دون دخول صحفه الى ممالك الدولة لما فيها من طعن ضد الخلافة العثمانية حتى قال عنه السلطان عبد الحميد « انه خائن للدولة والامة وحكم عليه بالاعدام » فرأى ان ينسب امتياز مجلته الى « مريم مزهر » ليتسنى لها دخول الاقطار الواقعة في دولة السلطان ، وكان له ما اراد . والغريب ان هذه المجلة تقع في فهرس الدوريات العربية التي تقتنيها دار الكتب تحت رقم ١٩٧ دوريات باسم مريم مزهر ، رغم ان سركيس افصح عن حقيقة الامر في عدد مارس ١٩٠٧ من مجلته « سركيس » وفي عدد اكتوبر ١٩٢٤ من مجلة « المراة الجديدة » لصاحبتها جوليا دمشقية وبين الاسباب التي دعته الى ذلك .

وقد كان سركيس يرمي ايضا من اطلاق هذا الاسم النسائي على مجلته ، الى تشجيع المراة الشرقية على الكتابة في الصحف والمجلات . ذلك ان حياء الشرقيات يحول دون ظهورهن على صفحات الجرائد وكانت الواحدة منهن تقول « لتبدأ واحدة قبلي فاتبعها » لذلك كان سركيس يكتب في « لسان الحال » بعض المقالات بتوقيع « مريم مزهر » .

ولكن كيف تلقت المجلات « مرآة الحسناء » في حينها ؟

ان المجلات المعاصرة لم تقتنع بان مريم مزهر هي صاحبة المجلة ومحررتها ، ولم يخف على اصحابها اسلوب سركيس وطريقته في الكتابة وتفننه في اخراج المجلات ، وتجديده في الابواب والموضوعات التي تشد القراء وتجذبهم اليها ، فقالت مجلة المقتطف : « تلقينا العدد الاول والثاني من مرآة الحسناء ، وهي مجلة ادبية عائلية فكاهية يحررها ويديرها حضرة الكاتب المتفنن سليم سركيس » وقد سارع سركيس في العدد الرابع من مرآة الحسناء الى نفي هذه الانباء على لسان « مريم مزهر » وامعانا في اخفاء اسمه ، انتهز فرصة مقتل شاب لبناني يدعى اسكندر مزهر وصور للقراء انه شقيق صاحبة المجلة وبين فجيعتها في مصرع اخيها . وقد صدق القراء الخبر فارسلوا ببرقيات التعزية لصاحبة المجلة لمشاركتها في احزانها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأصلت المجلات الكتابة لتكشف للجمهور حقيقة الامر فبعثت مجلة « الثريا » في عددها الصادر بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٨٩٦ بكتاب مفتوح الى صاحبة المجلة جاء فيه : « ... اني ارى من وراء ستر مخباك يدا خشنة تخط لك سطورا ملؤها تحامل على بنات جنسك وازدراء بهن ومما يثبت لي ما تعاملين به نفسك من صفة التذكير احيانا من غير قصد منك » وهكذا سارعت المجلات في اذاعة الخبر الصحيح ، ونبهت القراء الى ان وراء هذا الاسم النسائي رجلا كبيرا ، وعلى اية حال فقد اشادت الصحف والمجلات بقيمة المجلة وضخمت من فائدتها ، واعلت من قدرها ومما قالته صحيفة « الرائد المصري » في عددها الصادر بتاريخ ٣ نوفمبر ١٨٩٦ : « مهما كانت صفة صاحب او صاحبة هذه الجريدة الجديدة فانها تدل على ان لادارتها قوة في توليد المواضيع المختلفة وقد اطلعنا على العدد الاول فاذا به على نسق الجرائد الافرنجية التي من نوعها ، وهي تكثر من ذكر الحب والزواج ولكن الحب الشريف الواجب ان يكون مما يدل على ان يد المحرر او المحررة مدفوعة بعواطف سكرى بهذا الحب الطاهر » .

وكان سركيس يتلقى كل ما يصل الى المجلة باسم مريم مزهر من رسائل وحوالات باعتبار انه وكيل ادارة المجلة ، وقد ساعده في هذا يوسف سابا (باشا) وكيل مدير البريد بعد ان اطلعه على الحقيقة ، وصدر من هذه المجلة (٢٣) عددا وتوقفت .

ومن عجيب الصدف ان شابا من البرازيل يعشق مريم مزهر على السماع وعرض عليها الزواج في خطاب ، واهم شيء ذكره سركيس في هذا الشان قوله : « وربما جاء زمن يليح فيه غيري سر اسماء كاتبات كثيرات يظن الناس اليوم انهن موجودات حقيقة ، واذا كان لهن حقيقة وجود فهناك سر ذلك ان الاسم اسم امراة والعمل عمل رجل » .

ومما يجدر ذكره ان الاستاذ انور الجندي اشار في كتابه « صفحات مجهولة من الادب العربي المعاصر » الى كتابات كان يحررها رجال وتنسب الى اسماء نسائية ، ومن ذلك ما كتبه التابعي بامضاء « حكمت ف » في مجلة روز اليوسف عام ١٩٢٤ ، وما دبجه يراع حافظ نجيب باسم « وسيلة محمد » وغيرهما وهذه الامثلة تجعلنا نعيد النظر في الادب النسائي لمعرفة الدخيل من الاصيل .

مرايا المجلة او ابوابها

فاذا تطرقنا الى ابواب المجلة او مراياها الفينا بابا باسم مرآة القرائح وكان ينشر فيه محاسن الاداب ، وباب مرآة الكتاب ليذيع من خلاله اعمال المؤلفين ويناقشها ، وباب مرآة تبادل الافكار ويعقد فيه مناظرات وموازنات لمختلف الاراء ، وباب مرآة العرائس والحفلات وهو باب جديد في صحافتنا الادبية والنسائية ، وقد نجد في الصحف الاخرى حديثا عن الافراح ، ولكن لا نجد بابا ثابتا في مجلة يتناول هذا الغرض . وكان يصف فيه اهم حفلات الزواج والمراقص واندية الطرب في المدن العربية الكبرى، ويتوسع في وصفها وذكر من حضروها من الجنسين ولا يخلو حديثه من الغمز واللمز فينتقد اداب السلوك في هذه الحفلات ، ويمتد الانتقاد ليشمل الملابس وموائد الطعام . وقد عرض لاحتفالات تمثل الاسر المسيحية واليهودية بزواج ابنائهم ، ويرينا في هذا الباب مختلف العادات والتقاليد وكثرة النفقات والهدايا والمظاهر ، والملابس الفاخرة التي ترتديها النساء للفت الانظار وجلب العيون حولها . وهذه الاحاديث تعتبر دراسة اجتماعية ميدانية لظاهرة كانت قائمة ولا تزال الى يومنا هذا ، وقد اهتم الدارسون بهذا المظهر الاجتماعي وافاضوا في الحديث عنه لاهميته . ولم يقف سركيس عند حفلات الزواج ، وانما تجاوزها الى ذكر الحفلات العابة فوصف احتفال جمعية نهضة النساء الخيرية في بيروت (عن طريق مراسل له) وحفلة الجمعية الاسلامية وعرض للمحاضرات التي القيت في هذه المناسبة وناقش مضمونها ، وصور بقلمه البليغ الليلة الراقصة التي اقامتها زوج كرومر في الوكالة البريطانية والتي ظهرت في الحفل وقد « كلل شعرها المرتب تاج من الماس الثمين البراق وازدان عنقها بعقد لؤلؤ يقال ان قيمته لا تقل عن ١٦٠٠ ليرا » وسرد اسماء الذين حضروا هذه الحفلة من الوجهاء والاعيان وتناصل الدول والسفراء والوزراء . وهذه المادة التي اثبتها في مجلته تدخل في دراسة الادب والتاريخ والاجتماع .

وكان سركيس يهتم بملابس النساء في باب « مرآة الازياء » فيصف كل جديد في « الموده » ويقارن بين الازياء الفرنسية والانجليزية ، والتعديلات التي تتم على الزي عندما ينتقل من بلد الى اخر ، وينتقد الشرقيات عندما يقلدن الاوروبيات دون اجراء تغيير على الازياء مما جعل للمجلة قارئات كثيرات . وقد قال سركيس عن مجلته « وكانت لها منزلة لدى السيدات لانني افردت فيها بابا لوصف ملابسهن والازياء وصفا تقصر عنه ابرع الخياطات» وقد صدق فيما قال .

ومن الابواب الاخرى في المجلة البد التي كان يكتبها عن شهيرات النساء، ومشاهير الرجال وباب اداب السلوك والصحة والجمال . وكل هذه الابواب تتعلق بالمراة وتتناول قضاياها الحضارية وسعيها الى التحرر .

وسركيس يعرف كيف يجلب القارئات الى مجلته، ويقربهن منها ، فيزعم ان الفتاة الجميلة هي التي تحرص على النظر في المرآة لتشاهد محاسنها ، اما الفتاة القبيحة فانها تخشى الوقوف امام مرآتها . واخيرا يقرر ان « كل فتاة لا تشترك في مرآة الحسناء ، لا تكون بالطبع حسناء لانها قد تخاف ان تطالع فيها ما يشعرها بجهلها اما الفتاة الادبية المهذبة فانها تقبل كل الاقبال على هذه الجريدة

لانها ترى في صفحاتها مثـــال الادب الكامن في قلبهـــا وعقلها » .

وبهذا الاسلوب الطريف والساخر يستحث كل فتاة على اقتناء مجلته والنظر فيها حتى لا تصبح في عين نفسها غير حسناء ، وتخشى اتهام سركيس لها بالقبح . ولكنه يهدىء من روع الانثى غير الجميلة ، ويهون من وقـــع حديثه على قلبها وسمعها بتحسين قصده من كلامه بتوجيه نداء الى كل حسناء في آدابها وليس في وجهها فقط على اقتناء مجلته :

وواضح ان هذا الحديث ليس كله دعاية او اعلانا عن « مرآة الحسناء » ولكن الغاية منه ان تزهـــو المرأة بمعارفها لا بجمالها ودلالها ، وتسمو بذكاء عقلها لا بالتياع عواطفها وتوهج اشواقها ، وتقوى بسحر خيالها لا بسحر عينيها وبارق ثغرها ، ويتصل هذا الكلام بتهذيب نفوس القارئات ودعوته لهن بالتمسك بالفضائل ومقاومة الانحراف وليس عبثا ما ذكره في مجلته عن العقوبات التي كان ينزلها القائمون بالامر في مصر القديمة بسمل عين الرجل الخائن، وعند الرومان بجدع انف المرأة الخائنة ، ونشر ما نظمه طانيوس عبده في هذا الشان :

فلو وصلت شرائعهم الينـا ... على ما نحن فيه من الجنون
لاصبحت النساء بلا انوف ... واصبحت الرجال بلا عيون

ولاجل هذه الغاية الاخلاقية وتمامها فانه يدعـــو الادباء ان يوجهوا مؤلفاتهم الى تهذيب النفوس والارتفاع بها ، وقد انتقد رواية « مروءة الغانيات » التي الفهـــا اسكندر دوماس وعربها شكري يوسف الخوري . لان مؤلفها اكثر من وصف مشاهد العشق والغرام ، ورأى ان معظم الروايات الفرنسية لا تخلو من ان الكونت فلان احب زوجة فلان . « مع ان الاليق بتهذيب الاخـلاق ان يكون الحب بين غير المتزوجين ، ولكن كتاب فرنسا يرغبون المواضيع المهيجة وقد لا تكون دائما مرضية للمتهذبات ». ولعل كاتب الادب الجنسي الفاضـح يتورع عما يكتب ، ويعرف ان ما يكتبه ليس ادبا هاديا هادفا يعمـــل على اصلاح الفساد وتلطيف الشمائل والخصال .

وعلى طريق دعوة الانثى للتمسك بالاداب والفضائل يذكرهن بهدية البابا التي يمنحها لاحدى النساء الكريمات الممتازات ، المتعلقات بالدين والحياة الروحية .

وقد توسع سركيس في انتقاد المرأة ، وبين خطـر اهتمامها بالمظاهر اكثر من الحقائق والدخائل ووجه اليها اللوم لاهمالها عقلها ، حتى ان بعض النساء انتقدن كتاباته في هذا المجال .

ويمضي الرجل في تعليم الفتاة الشرقيـــة الاداب الاجتماعية ويحتال عليها في تلقينها هذه الاداب التي تعلي من قدرها في مرحلة دقيقة من حياة نساء ذلك العصر الذي يعتبر فترة تحول المرأة من الجمود الى التحرر ، وفي مثل هذه الفترات قد تتمادى المرأة في تصرفاتهـــا وتطلعاتها بدعوى الحرية ، ومشاركة الرجل في كل ما يقوم به من أعمال ، ومجاراته في كل شيء .. الى اخر ذلك.

ويلتفت سركيس الى نقطة نفسية وعضوية ولها علاقـة بوضع المرأة في الهيئة الاجتماعية فيربط بين الضحـــك بصوت مرتفع وتجعيدات الوجه (او بين الضحك وجمال المرأة) فيشير عليها بالا تستغرق في الضحك بصـــوت صاخب (وهي فتاة) لان الضحك يوسع الفم ويصغـر العين .. والعين الصغيرة غير جميلة والفم الكبير قبيح » . ويذكرها بقوانين الجمال في كتب الانجليز التي تقضي بأن تبتسم الفتاة لا ان تضحك ، واذا ضحكت فلتضحك بعينها لا بفمها . وسواء اصدقت هذه النظرة السيكولوجيـــة والبيولوجية ام لم تصدق ، فان سركيس كان يقصد الى احتشام المرأة وعدم تبرجها ، وخروجها على المألوف من العادات الشرقية .

المحادثات الصحفية

وقد اجرى سركيس في هذه المجلة عدة احاديث مع مشاهير العصر من النساء والرجال في الباب الذي اعده لهذا العمل واطلق عليه « مفاوضة هذا العدد » . اما الذين تفـاوض معهم او سجل آراءهم ، قبل ان يشيع هـــذا اللون في الصحافة العربية فمنهم العالم مثل شبلي شميـــل ، والشاعر مثل احمد شوقي ، والمترجم مثـــل سليمان البستاني ، والطبيب مثل امين الخوري ، والاميرة مثـل نازلي فاضل .

وكان ينتهز الفرص لاعداد هذه المقابلات ، واجراء المفاوضات ، ولا يبالي بمشقة السفر في سعيه وراء هؤلاء حيث تكون اقامتهم. فعندما زارت الشاعرة وردة اليازجي الاسكندرية ذهب الى لقائها ، وحين قدوم السيدة مريم قرينة اسكندر فرج الله طراد المحامي من الاستانة توجه اليها في الاسماعيلية ليسألها عن حقوق المرأة العثمانية بمقتضى قانون الدولة ، والتي صرحت بـ « ان الحريـــة الاساسية المعطاة للمرأة في الشريعة الاسلامية تزيد عـلى حرية المرأة الغربية » . وفعل نفس الشيء عنـد مجيء سليمان البستاني من الاستانة ليقيم في القاهرة . وهكذا لم يقصر في اداء واجبه الصحفي او الادبي او الاجتماعي لتنويع مواد مجلته والرقي بها .

وقد كشف سركيس اشياء جليلة وهامة في هـذه اللقاءات تهم مختلف الطوائف ومنهم رجال الادب ، ففي حديثه مع وردة اليازجي يوضح لنا ان هـــذه الشاعرة نظمت الشعر وهي في الثامنة عشرة من عمرها ، ويذكر علاقتها بكتاب عصرها من امثال السيدة « كاتبة بسترس» و « عائشة التيمورية » و « نازلي فاضل » وقد وصفت السيدة وردة مجلس ابيها ناصيف اليازجي وصفا دقيقا يعطينا صورة حية لبعض نواحي حياة هذا العالم الكبير قالت : « كان يجلس على مرتبة ، والكتب منثورة من حوله ودواته فنجان زجاجي في علبة خشبية بسيطة وامامه

منقل النار وادوات القهوة وعلبة الدخان والشبق ممدودا وعدة من هذا النوع الى جانبه ، وكان لا يسمح لاحد ان يكنس غرفته خوفا على أوراقه المنشورة في كل مكان . وكانوا يقولون له كيف تقيم وحدك كل النهار في هذه الغرفة فيجيب « كيف هذا ومعي جماعة الشعراء » .

وفي حديث آخر مع سليمان البستاني مترجم الالياذة ، بين لنا لماذا قام هذا الشاعر بترجمة اشعار هوميروس ؟ والسبب كما جاء على لسان البستاني ان العرب ترجموا علوم اليونان ولم يترجموا شعرهم الذي يمثل اخلاقهم وتاريخهم . وفي هذه المفاوضة القى البستاني ضوءا كاشفا على عمله الكبير الذي كان يتهيأ له ويعده للظهور ، وقد نشر سركيس في مجلته عدة مقاطع من الالياذة قبل ان تطبع ويقراها الناس ، فكان هذا بمثابة سبق ادبي من ناحية واعلان عن عمل جليل من ناحية اخرى .

على ان سركيس الذي أجرى احاديثه مع هؤلاء المشاهير لم يفته ان يفاجيء القراء بمحادثات فكاهية تكشف عن بعض نقاط الضعف في المجتمع وتعمل على تلافيها ، ومن هذا الحوار الذي أجراه مع الاوسطى ابراهيم العريجي الذي ينتقد فيه الاسرة التي تترك أولادها في الشوارع يلعبون ويمرحون ويتعرضون للاصابة من عجلات العربات ، ويوجه العريجي نقدا اخر للحكومة لضيق الطرق وبروز خطوط الترام مما يعطل عربته عن السير و « الحكومة صماء » .

الادب والفن

ومع ان « مرآة الحسناء » كانت تهتم في المقام الاول شؤون المراة ، وتعنى بقضاياها ، وتعلن ما يعتمل في طواياها ، وتقدم لها الادواء الناجعة ، فانها لم تغفل الاداب والفنون ، فجابت ميدان القصة ، ونشرت رواية « قلب المراة » من تاليف هنري ود التي تصور فيها عواطف امراة سيطر عليها الشك فراحت ضحيته . كذلك كانت المجلة تزين صفحاتها بمنتجات شعرية من الشعر القديم والحديث لتفكه به النفس ، وتحرك من خلاله الخاطر ، وتدل على حسن الاختيار ، ودقة الذوق فقد نشرت المجلة قصائد لنجيب الحداد وشوقي وحافظ وطانيوس عبده والياس فياض ، بل اننا وجدنا فيها قصيدة من نظم حافظ ابراهيم بعث بها الى محمد المويلحي ليبث مثبتة في ديوانه الذي جمعه احمد امين والابياري ومطلعها :

اوشك الدهر ان يصيح وتفسي بين هم وبين ظن وحدس

والقصيدة احدى خمريات حافظ ، وتمثل احد جوانب ادبه وشخصيته .

ولا يفوت صاحب مرآة الحسناء ان يعرض للفنون المسرحية في مصر ، فيتناولها ويوجه اليها الانتقاد الذي هو بمثابة النصيحة والارشاد ، فقد عاب على اصحاب المراسح تمثيل الروايات الحزينة التي تكثر فيها المواقف الاليمة ، والمشاهد الدامعة . بينما سكان مصر لا يلذ لهم الا الروايات التي تفجر ضحكاتهم . وهو انتقاد يدل على تفهمه للروح المصرية المحبة للمرح والفكاهة والطرب والسخرية . ولكن لا يعني هذا ان المصريين لا يعرفون المواقف الجادة ، ولا يهتمون بالامور الهامة . واذا كان في آدابهم قدر من الفكاهات والنوادر التي تعمل على صفاء الحس ، فان في تاريخهم الانتفاضات الكبيرة ، والثورات العظيمة ، والحروب الدامية .

وتشيع في المجلة روح الفكاهة المتمثلة في كثير من مادتها وابوابها ، وهي صفة لازمت سركيس ، وصاحبت مجلاته التي اصدرها طيلة حياته ، واننا عندما نطالع مجلات سركيس تحصل على الفائدة ، ونحس بالمتعة في نفس الوقت ، وهي مزايا جمة قلما تتيسر عند كثير من الكتاب او الصحفيين ، وليس كل اديب ـ مهما كان على قدر من العلم والتمكن ـ عنده القدرة على خلق الفكاهة واشاعة المرح ، وابداع النادرة التي تسري عن خاطر القارىء ، وتطربه ، وتجدد نفسه . ومن الفكاهات التي اوردها سركيس تحت عنوان « في اللوكاندة » حوار بين والد وولده :

الولد : علمتني يا ابي ان اضع قطعة واحدة من السكر فقط في فنجال الشاي واراك الان تضع ٥ قطع .

الوالد : تفعل ذلك في منزلنا اما الان فنحن في اللوكاندة خذ من القطع قدر ما تريد .

او هذا الحوار بين شاعر ومحرر :

شاعر جديد : ماذا اعمل لاصير شاعرا عظيما .

محرر الجريدة : أول كل شيء يجب ان تموت لان جميع الشعراء العظام ماتوا .

الاعلان

وانه من واجبنا ان نقف عند شيء له اهميته الكبرى في الصحافة وهو « الاعلان » عن سلعة مثلا . والاعلان له اشكال مختلفة ، ولكن اكثر الصيغ ذيوعا واستعمالا في الاعلان عن شيء هو استخدام فعل الامر في حث الناس على اقتناء شيء بعينه او الاستمتاع به وتفضيله على سواه ، وقد تطور الاعلان ومر بمراحل كثيرة اخرها ما نشاهده في الاذاعة المرئية عندما نرى ـ احيانا ـ اثنين يتحاوران ليكشف كل منهما عن قيمة ما يعلن عنه وبيان اوجه مزاياه ، واهميته ، للفت انظار الناس اليه ، والحض على شرائه واستعماله . وقد شد انتباهنا طريقة سركيس في الاعلان عن محل تجاري في مصر جعله على النحو التالي :

« بين شاب وخطيبته » :

مريم : لا تكلمني يا ابراهيم من الان فصاعدا .

ابراهيم : ولماذا يا سيدة الملاح واي ذنب جنيت .

مريم : رايتك بالامس في المرقص واقفا مع الانسة

طيوف على الجفن

*

طرقت قلوبكم بابا فبابا ... فمن اصغى الي ..؟ ومن اجابا
بعثت اليكم قلبي رسولا ... وقد حملته روحي الكتابا
وددت لو ان نفسي قيد كفي ... لكنت منحتها لكم ثوابا
اذود بذوب قلبي عن حماكم ... وادفع عن مطارحها المصابا
واسفح دونكم ماء الحنايا ... واسقيكم ندى عمري مذابا
وانثر في دروبكم عيوني ... لتهديكم .. اذا شئتم ايابا
اليكم يا احبائي بقلبي ... يريد الى صدوركم اقترابا
خلقت من التراب كما خلقتم ... فكيف اليوم احتقر الترابا
وكيف اليوم انسى وجه امسي ... ايغفر لي ..؟ اذا ما الامس آبا
وكيف اشيح عن زمن تقضى ... فؤادي ، والفؤاد ذوى اكتئابا
واعرض عن صحابي بعد هجري ... وهم كانوا وما زالوا الصحابا
تمر طيوفهم دوني الهوينا ... وقد تخذت لها قلبي جنابا
تؤوب لتستريح على جفوني ... وتسقي مقلتي مني عذابا
تذوب صبابة نفسي وتسقي ... وقلبي من عذاب الهجر ذابا
هناك على مسارح ذكرياتي ... تسنمت الطفولة والشبابا
وعشت مع الصحاب نعي عمري ... ابادلهم محبتهم حبابا
وما ادركت ان العمر يمضي ... وان الدهر يأخذنا غلابا

فنزويلا — جورج يوسف شدياق

هيلانه وقد اشرق وجهك فرحا كانك تعجب بجمالها فاكلتني الغيرة . .

ابراهيم : اخطات يا عزيزتي فانما اعجبني ثوبها الحريري والخروجات الجميلة فاجبت ان آتيك بنظيره وسألتها من اين اشترتها فقالت انها من المخزن الشهير المعروف بوادي النيل في الموسكي لصاحبه الخواجه خليل نعمه منصور .

فان هذه الطريقة التي عرفها واستخدمها سركيس من ثمانين سنة هي احدث ما تفعله شركات الاعلانات المتخصصة وباحدث الوسائل . بل ان سركيس يجعل من هذا الاعلان التجاري قطعة ادبية تمثيلية تقوم على الحوار الفني بين اثنين ، كل عبارة تكشف عن معنى جديد ، ويستخدم فيها كلمات قليلة واضحة المراد ، ومثل هذه الاعلانات تبين لنا ذكاء سركيس وقدراته المختلفة وسعة حيلته ، وتنوع اشكال التعبير عنده .

والمجلة تكاد تكون كلها من اعداد سركيس ، ومن وحي خاطره ، و « مرآة الحسناء » بعد كل ذلك خفيفة لطيفة ، لا تفارقها الفكاهة الماتعة ، ولا تخلو منها الحكمة والفائدة وتزخر بمادة تهم المراة والاديب ، فلا جرم ان اتخذتها الانثى مرآة تنظر فيها ، وانيسة لها في مجالسها ونواديها ، وليس ببعيد ان يرجع اليها الباحث الادبي ، فيستقي منها معارفه ، ويهتدي بموضوعاتها في كتاباته .

القاهرة — احمد حسين الطماوي



جعفر الخليلي

الأربعون من عمر الصحافة الأدبية

اربعون عقدا في حساب الحقيقة

بقلم جعفر الخليلي

* * *

العدد لغة هو ما يعبر عن المعدود دون اقل زيادة او نقصان ، وعلى هذا فان الاربعين لا تكون تسعة وثلاثين فما دون ، ولا واحدا واربعين فما فوق ، وهذا ما تقول به اللغة ، لغة جميع العالم ، وليس اللغة العربية وحدها، ولكن الواقع كثيرا ما ينير هذا المفهوم ويخالفه مخالفة كلية ولا سيما في اعمار الاعمال الجبارة التي طالما تقطع بضع سنوات بسنة واحدة او سنتين بسبب ما تبذل من جهد وتتكلف من مشقة ، ولذلك كانت السنة من العمل الجبار في الظروف القهارة تعد بسنتين وثلاث واكثر وربما بعقد من السنين .

ومن هذا الحساب ، وهو حساب صحيح لا غبار عليه تأتي سنو اعمار الصحافة ، والصحافة الادبية بصورة خاصة وفي الشرق العربي بصورة اخص وهو الذي تكثر فيه المثبطات ، والعراقيل ، والغمط ، والاهمال .

وهذا (الاديب) اديب الصحافي الكبير اللامع (البير اديب) قد قطع اليوم اربعين سنة من عمره في حساب الزمن ، واربعين عقدا في حساب الواقع ، يقف اليوم وقد بلغ النضج بحساب الزمن على ما تباني عليه ، اسلافنا القائلون ان التجارب ، والحوادث ، والوقائع لتجعل العقل في اجتياز الاربعين متكاملا ، ناضجا ، والحق ان عقل (الاديب) كان ناضجا متكاملا منذ اول انشائه ولكنه جاء اليوم ليقول للذي لم يعترف بامكان التكامل قبل الاربعين ، لقد جاء (الاديب) ليقول لاولئك انه قد بلغ هذا الحد وهو موشك على تجاوزه وشاهده الشاعر الذي يقول :

وماذا يبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعينا

اما كيف قد جاوز هذا الحد ؟ وكيف قطع هذه السنين العجاف ؟ والهموم التي ركبته ؟ والالام التي عاناها في سبيل بقاء هذه الصحيفة او قل المدرسة خفاقة الراية ، موصولة الاخر بالاول فهذا ما لا يعرفه ولا يعرف حتى بعضه الا الذين مارسوا هذه المهنة مهنة المتاعب بروح مثل روح البير وهمة مثل همته ، وقد اتيح لهم ان يعايشوا هذه السنين مثلما عايشها (الاديب) وكانت حصيلتهم كحصيلة البير اختلالا في الصحة ، وعذابا للروح ، وتجرعا لمرارة الصبر مع فقدان الذخيرة من المال الذي لا يقوم شيء بدونه ، وسهرا متواصلا ، ولكن (للصبر حدود) كما تقول اغنية ام كلثوم ، وقد تجاوز والله صبر البير الحدود ويا ليته حين بلغ الاديب الاربعين كان كمن بلغ النهاية وكمن قالوا اذ قالوا :

(والقت عصاها واستقر بها النوى) .

ولكن طريق الادب ليس له نهاية ، وهو حلقات متسلسلة ، اذا قدرنا ان نعين تاريخ الحلقة الاولى من سلسلة الادب العربي فلن يكون بمقدورنا ان نحدد اخر حلقة من هذه السلسلة ، واذا آمنا بان للعالم بداية فليس من السهل ان نؤمن بان له نهاية ، والادب ، او الصحافة الادبية انما هي مرآة هذا العالم وما يختزن من افكار ، وآراء ، وصور للفن ، والمحبة ، والخير والشر ، وقد كانت الاديب طوال عمرها البالغ اربعين عقدا في حساب الحقيقة المرآة الصافية الاديم التي عكست للانسانية كل الصور الفنية الجذابة الساحرة التي غرست في النفوس الطيبة والمحبة ، والذوق ، والادب الحق ، وكانت منبرا لاكابر الشعراء ، والخطباء ، والكتاب ، وعليها تأدب المتأدبون وصار للكثير منهم شأن في دنيا الادب فاذا بهم كتاب المعين ، وشعراء لامعون ، ونقاد ماهرون .

صحيح ان (الاديب) قد كرم من قبل ، وقد سمع (البير) ما قالت اهل المعرفة عنه وعن مهنة المتاعب التي اختارها لنفسه ولقي من ورائها اشد ما يلقى المعذبون ، اقول صحيح ان (الاديب) قد كرم من قبل ، ولكن التكريم الحق يجب ان يكون في هذا اليوم : هذا اليوم

من أمس

يا رحمة الله على امس — بالسعد وافاني وبالنحس
امس الذي خفد ندي الضحى — اسلمني للهم والبؤس
فحاضري ـ وقيت ـ مر الجنى — وكاس حران الصدى كاسي
تخايبت القوم فلا راحم — كانهم ليسوا من الانس
واستوحش الناس فلا سامر — اصفيه بعض الشيء من همسي
يا رحمة الله ، اما نفحة — جف ربيعي وذوى غرسي
عللت نفسي والمنى ضلة — وضفقة لبيعة وكس

* * *

حيتك مني يا رحاب الصبا — نجوى مشت في طيها نفسي
علالة بل صلوات على — امس الهوى ما طلعت شمسي
واليوم ما لي غير ميت الرجا — اصبح في هم كما امسي

* * *

يا رحمة الله على امس — وطيب عهد اللهو والدرس
ويا صحابي يا رفاق الصبا — اين زمان الطيش والباس
لله ايام لنا غضة — طافت بنا وادعة الانس
عمي صباحا يا رحاب الهوى — هل غير نجوى لاخي ياس

بغداد — ابراهيم السامرائي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي تكامل فيه نضج الاديب لتجاوزه الاربعين ، وجاء بالمعجزة الكبرى للداب ، والجهد ، والصبر على المكاره في سبيل الادب واهله ، وانا اعترف ان النخوة العربية بدات تختضر ان لم تكن قد ماتت بسبب طغيان المادة التي جرفت بتيارها الكثير من المزايا ولكني مؤمن بان الادباء الخلصاء من اللبنانيين لم يموتوا ولم يحتضروا وان عليهم المعول في الدعوة الى تكريم الاديب التكريم اللائق بالمجاهدين العاملين في خدمة الناس ، وانما اخص بدعوتي ادباء لبنان لا لجدارتهم فحسب وانما لان الحمل الثقيل لا ينهض به الا اهله فكيف وهذا الحمل اخف من زغب الطير ومن نسيم الصيف في لبنان .

وهذا التكريم ـ اذا ما تم ـ انما هو تكريم للادب ، ولاهل الادب اكثر مما يكون تكريما لالبير نفسه ، ويودي لو تقرا كلمتي هذه وزارة الاعلام والثقافة اللبنانية فاني احسن الظن بها باعتبارها الجهة التي عليها المعول في خدمة الثقافة والادب ، وما هي الثقافة والادب اذا لم تكن (الاديب) احدى مراياها التي تعكس لنا كل ما في دنيا العرب من الروائع ، اطال الله عمر صاحبها ، واخذ بيده ووفقه في اداء هذه الخدمة من جميع وجوهها .

نزيل سوق الغرب ـ لبنان — جعفر الخليلي

اذكار

نعمان ماهر الكنعاني

•

رب اني طال تذكاري ... لفواياتي واوزاري
قبل ان اخشى من النار ... رب اخشى ان تقاضيني
بصدود سوف يشقيني ... آه من خوفي وافكاري

رب اني خائف قلق ... من جفاء حبله رهق
مد ليلي الفكر والارق ... لم لم اسمع لايماني
لم لم افطن لعصياني ... اذ دعاني الطيش والنزق

رب اني ضقت بالنعم ... للذي زلت به قدمي
انا ارضي قسوة الالم ... تحتويني والاسى الطاغي
ما اعتراضي اذ انا الباغي ... بك ربي كل معتصمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سورتي كانت بلا لين ... وجماحي غير مأمون
كنت اجري وهو يدعوني ... فاذا العصيان في سرف
لا يبالي اللوم في التلف ... كان ـ ويحي ـ مارقا طيني

ما دنا شك لمعتقدي ... او سمعت الريب من احد
ان ايماني بلا عقد ... انني راض بتقليدي
معرض عن كل تفنيد ... مهتد بالنص في رشدي

ان ذكرت الزيغ اضطرب ... وبصدري خافق يجب
ويقين هامس حدب ... في عميق النفس يخبرني
ان ماحي الذنب يعرفني ... انا غب الاثم ارتهب

سرت في درب الخطيئات ... لا ارى غير الملذات
ثم قالت لي زلاتي ... بعد عهد طال وا اسفا
كم مروق بت مقترفا ... اي غبن في معاناتي

كل عبدي انني بشر ... لا نبي حين اعتذر
انما قد نالني الاشر ... وطريقي كان متسعا
فجرت خيلي به سرعا ... ذاك امسي ايها الذكر

يا اله الصفح خذ بيدي ... قد دعاني مرهق الجلد
لشكاة قط لم تجد ... غيرك اللهم من هادي
مد لي كفا لاسعادي ... في الذي توليه من مدد

رب اني لم يـزل طمعي ... غير مامـون ولا ولـعي
وكثيرات عـرى البـدع ... عند تفسـير الربـات
يـا كنـوزا للقناعـات ... ايـن درب الزهـد والورع

يا نجـوم الليـل يـا قمـر ... كـم جميـل عندك السهر
كلما جباشت بي الذكـر ... ايقظـت للوجـد احساسي
بشعـور الذنـب ، والآسي ... خشيـتي لـه تعتـذر

اسـال الغفران مجتهـدا ... بصنيـع قـد يفيد غـدا
والامـاني لم تكـف يـدا ... تقتضيني النفـع والضرا
شان دنيا الناس ، هل تبرا ... مـن صراع يحمـل اللدا

قال بعض الناس قـد عذلا ... وتناسـوا عهدنـد جهـلا
اسني الغفـران قـد مثـلا ... في حديـث بشـه نـاس
ام خيـالات ووسـواس ... رب لطفـا يشمـل الوجلا

لست ادري كيـف تنظرني ... انمـا ادعـو ويطمعـني
انني مـا حدت عن سنن ... قـد حواهـا لـوح فرقاني
وبهـا ارواء وجـداني ... كل ذنبي كان مـن بـدني

عشـت دهري دون اذعـان ... لسوى الرحمـن ذي الشان
فاذا مـا رابني جـاني ... اوعـات اني في السماء يـد
في حماهـا الامـن والايـد ... فيـذود الريـب ايمـاني

لم يكن يـاسي بـلا امـل ... رغـم طـول العهد في الزلل
فلذنـوبي نزرة الثقـل ... هكذا تبـدو لاحصـائي
ام خـداع فيـه اغـراني ... يـا الهـي ملـني جـدلي

لم تزل دنيـا الفواجـات ... لي بهـا بعض الصبابـات
ادريهـا بالمعانـاة ... آه كم القى بهـا عنتـا
اتـرى الاغـواء قـد ثبتا ... بي فلم تقلـع ضـلالاتي

فاذا فكـرت في الرسـل ... وبمـا بشـوا مـن الامـل
وبما جاءوا مـن المثـل ... لاح لي من (احمد) قبس
قـال كم للصفـح ملتمس ... فرصـدت العفـو في زللي

وبنفسي هاتـف الورع ... لم اكـن فيـه بمصطنع
فطـرة تسمو على البـدع ... لم افلسفهـا على دخـل
شان ذي زيف وذي دجـل ... ربما تجـدي لدى الجـزع

رب انـي طـال تذكاري ... رب اني غيـر مختـار
لذنوبي هـل تقـاضيني ... عفـوك اللهم ، يرضيـني
منـك ايمـاء لاعـذاري ... بغداد ـ الاعظمية ـ الصرافية

نعمان ماهر الكنعاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

محمود محمود ـ اعلام من العصر الحديث ـ القاهرة ـ مكتبه الانجلو المصرية ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ ١٩٥٠

١ ـ ص ٣٤٢ ـ ٣٥٣ (مونتيني) : « اديب فرنسي عاش في القرن السادس عشر ولم يخلف لنا سوى كتاب واحد ، وذلك هو « المقالات » وكانه يصب نفسه صبا في هذا الكتاب الفريد الذي كان يدبج سطوره عفو الساعة بغير نظام او ترتيب ، يرسل خواطره ارسالا كلما يدفعه الى ذلك حادث يصادفه او كتاب يقراه .. لفظ نفسه الاخير في بيته الى جوار زوجته وابنته » .

توفي مونتيني في ١٣ ايلول ١٥٩٢ ولم تكن له ابنة تخلفه ، فقد ماتت بناته الست في حياته : الاولى ماتت وعمرها شهران ، الثانية عاشت ٤٥ سنة لم تكن خلالها على حال جيدة من الصحة ، الثالثة ماتت وعمرها سبعة اسابيع ، الرابعة ثلاثة اشهر ، الخامسة شهر واحد ، السادسة بضعة ايام .

اما هذه التي عاشت بعده فهي ماري دكورنه ابنة له بالتبني وقد تعرفها خلال اقامة له بباريس سنة ١٥٨٨ ، وارتبط اسمها بطبعة « المقالات » التي صدرت ـ باشرافها ـ سنة ١٥٩٥ معتمدة على النسخة التي اعدها المؤلف في سنواته الاخيرة منقحة مزيدة . وقد ظلت هذه الطبعة مدة طويلة تعد خير النصوص ثم اتضح ان الانسة كورنه قد تصرفت في التحقيق فرجع المحققون الى النسخة المخطوطة الاصلية المحفوظة في مكتبة بوردو واخرجوها في طبعة جديدة ..

٢ ـ قال المؤلف في « تقديم » كتابه : « وقد ذيلت الكتاب بمقال يحوي خلاصة راي ماثيو ارنولد الاديب الناقد الانجليزي في كتابه السير ، كتبه في صورة خطاب وجهه الى كتاب التراجم » .

ينتهي الكتاب في حديثه عن « الاعلام » ص ٣٥٣ ، وتبدا الصفحة التالية هكذا : الى كتاب التراجم .

(هذا خطاب مفتوح يوجهه الكاتب الانكليزي هافلوك اليس الى كتاب التراجم) . ثم تاتي ترجمة الخطاب ، والكلام الوارد فيه قيم ، ومنه : « ليس المترجم بالمؤرخ » والمقصود بالمترجم هنا هو كاتب الترجمة اي السيرة « لان معالجة الترجمة تختلف تمام الاختلاف عن معالجة التاريخ » بل « انه كلما ازداد تاهيل الكاتب للعمل الاول قل تاهيله للعمل الثاني » ..

الخطاب قيم .. ولكن مؤلف كتاب « اعلام من العصر الحديث » لم يشرح لقرائه العلاقة بين اسم «ماثيو أرنولد » الوارد في « التقديم » واسم « هافلوك اليس » الوارد على راس التذييل .

٣ ـ ص ٣٦٢ « ... اهم خدماتكم هي ان تحدثونا لا عن عمله ، ولكن عن الظروف التي تم فيها العمل » .

التعبير العربي المقبول هنا : ليست اهم خدماتكم ان تحدثونا عن عمله ..

٤ ـ ص ٣٦٨ « تحسون احساسا غريزيا » : الصحيح : غريزيا .

(٢)

الدكتور زكي نجيب محمود ـ قصاصات الزجاج ، القاهرة ، دار الشرق ، مطابع الهيئة المصرية ١٩٧٤ .

١ ـ « الاهداء : الى نفسي .. التي تعاني من جدها العاثر .. »

٢ ـ « كلمة اولى : في هذا الكتاب مجموعة مختارة من مقالات كتبت كلها قبل ثورة ١٩٥٢ ، اذ كتبت في الفترة التي امتدت من اواخر الثلاثينات حتى اول الخمسينات ، .. كتبت هذه المقالات في ذلك الزمن البعيد لكن كاتبها .. اوهمته نفسه المغرورة ان يعيد نشرها في جيل جديد ، لعلها تجد اليوم اهتماما لم تجده بالامس » .

وتتوالى المقالات التسع والاربعون ..

ويود القارىء لو احتفظ الكاتب للقارىء وللدارس بتاريخ نشر كل مقالة ومكان نشرها .. ولكنه لم يفعل .

ويود كذلك لو ان الكاتب اشار في مقدمته القصيرة الى مجموع سابق له من المقالات « الادبية » اصدره عام ١٩٤٧ (القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر) بعنوان « جنة العبيط او ادب المقالة » والملاحظ انه احتفظ لاهداء « القصاصات » سنة ١٩٧٤ باهداء « جنة العبيط » سنة ١٩٤٧ ، سبع وعشرون سنة ونفسه تعاني من جدها العاثر .

ويود كذلك لو اشار في مقدمته القصيرة الى ان الاثنتي عشرة مقالة الاولى من كتابه الجديد كانت قد

وردت في كتابه القديم على اختلاف قليل في التسلسل ، واى بين هذه الاثنتي عشرة مقالة المنقولة ما كان عنوانا للكتاب الاول (جنة العبيط) وما صار عنوانا للكتاب الثاني (قصاصات الرجاج) واما العشر الباقية فهي : البرتقالة الرخيصة ، ذات المليمين ، خطيب هايد بارك ،.. في سوق البنال ، بيضة الفيل ،.. الدقة الثالثة عشرة ، شعر مصبوغ ، تجويع النمر ، الكبش الجريح ، حكمة اليوم .

ويود لو ان المؤلف نقل الى الكتاب الجديد ـ اذ نقل ما نقل ـ مقدمة الكتاب القديم في « ادب المقالة » لروعتها في بابها وليطلع عليها من الشباب من صار صعبا عليه ان يطلع على كتاب جنة العبيط .

ويذكر ان العقاد كتب عن « جنة العبيط » مقالة نشرها في مجلة الرسالة ٢ـ٨ـ١٩٤٨ بعنوان « ادب المقالة » لم يتفق في جملتها مع زكي نجيب محمود في مفهوم « المقالة » نقد كان محمود اميل ـ ان لم يكن متعصبا ـ للمقالة الابداعية الانشائية القادر عليها (وعلى غيرها) ، وكان العقاد اميل ـ ان لم يكن متحيزا للمقالة الفكرية ، التعليمية التي لا يكاد يقدر على غيرها ، وكان ايسر ما قاله ، واصحه : « ان المقالة انواع وليس بنوع واحد » . ولم يكن زكي نجيب محمود ليجهل ذلك ، ولكنه كان يتحدث ـ ويدعو ـ الى نوع واحد .. ـ ينظر مما طبع للعقاد ـ « آراء في الاداب والفنون » ، القاهرة ـ بيروت ، الهيئة العامة ، د. ت ، ص ٢٦٦ ـ ٢٧٠ .

(٣)

الشعر والشعراء ، طبقات ، لابن قتيبة ، الطبعة الاولى ، قسطنطينية ١٢٨٢ .

اعادت احدى دور النشر طبعه مصورا (مؤفستا)، عالم الكتب ، بيروت ، د. ت (وصل الى بغداد ١٩٨٠).

لم يعد لهذه الطبعة العتيقة قيمة علمية بعد طبعة اوربا ، وطبعة دار الثقافة ببيروت معتمدة على ط . اوربا بل بعد تحقيق الشيخ احمد محمد شاكر في القاهرة ، ط٢ دار المعارف ١٩٦٦ ـ ١٣٨٦ .

يا حبذا لو قامت اعادة الطبع (والتصوير) لدينا على اساس علمي ، علما ان تحقيق شاكر قد اعيد طبعه ثالثة (تصويرا) القاهرة ، دار التراث العربي ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .

(٤)

نماذج من القصة الجزائرية المعاصرة ـ الجزائر، منشورات آمال ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، مديرية الانتاج ، مطبعة احمد زبانة . د.ت (١٩٨٠؟) .

في القصة الاولى : الاصوات بقلم عمار بلحسن :

١ ـ ص ٧ : « تلك جميل خيول الرجال » : الصحيح ، ذلك .

٢ ـ ص ١٤ « فيها دفيء نقر » : الصحيح ، دفء.

٣ ـ ص ١٤ « في احدى قصور برلين » : الصحيح، في احد قصور ..

٤ ـ ص ١٥ « الصندوق الاحمر الذي تخبىء فيها وثائق .. » : فيه .

٥ ـ ص ١٦ « لا يملكون لا سطح ولا باب » : لا سطحا ولا بابا .

٦ ـ ص ١٧ « ثلاث نوادي » : ثلاثة .

٧ ـ ص ١٧ « العمال يبكرون .. حتى لا يضيعون اماكن شغلهم » : حتى لا يضيعوا .

٨ ـ ص ١٨ « جمع حوالي الفين عامل » : الفي عامل ، او الفين من العمال ..

٩ ـ في القصة ذات الـ ١٢ صفحة ، عددت ست مرات « فقط » اكثرها في مبتدأ جملة ، وليس في ذلك شيء من اساليب العربية ..

١٠ ـ ص ١٦ « زيت رديئة » : رديء .

١١ ـ ص ١٠ « عندما يصل الجابي ، نحسبه نسرا يريد بلب كل ما نمسكه في ايدينا .. ليأخذه اليه .. ». ما المقصور بـ : يريد بلب ؟

وبعد

فاقل ما كان يجدر بالكاتب ، ان يتنبه اوليات اللغة العربية في المؤنث والمذكر ، والعدد والمعدود ، والناصب والمنصوب ، والمضاف والمضاف اليه .. ـ وهي ليست بالمادة الصعبة على طالبها .

هل يستطيع فرنسي ـ مثلا ـ ان يقدم على كتابة قصة ، يطمح الى ان يكون قاصا .. قبل ان يتعلم اوليات لغته ؟ لا . فلم تقدم نحن ؟

ثم كان عليه أن يعرض عمله على عارف باوليات اللغة العربية ، ليؤنث له المؤنث وينصب المنصوب ..

ثم ان آمال مسؤولة كذلك .. فهل يصدر ، في العالم ، في فرنسا مثلا ، كتاب في سلسلة ، وعن هيئة وفيه من الخطأ النحوي ما في « الاصوات » مثلا .. و «الشركة الوطنية للنشر » مسؤولة .. لان الخطأ قد يحسب عليها.

هذا ، وليست الظاهرة خاصة بالجزائر .. وانما هي ، لسوء الحظ ، في كل مكان ، في القاهرة كما في بغداد ؟!

(٤)

المغامرة المعقدة (.. في الفن الروائي ..) ـ محمد كامل الخطيب ـ دمشق ، وزارة الثقافة ١٩٧٦ .

١ ـ ص ٤٠ « وبدهي ان .. » تكررت ص ٧٩ ، ١٣٩ .

الصحيح : وبديهي .

٢ ـ ص ٤١ « وهكذا فان الغرب بدا هذه المرة يتثبت مواقعه .. »

الصحيح : .. يثبت .

٣ ـ ص ٧٤ « فنيا ، وقعت الرواية .. ضحية

انقطاع النفس الروائي » .

ص ٧٦ « اعطت البرجوازية المحلية اقصى مـــا تستطيع .. »

ليس التعبير « فنيا » و « اجتماعيا » من طبيعة البناء العربي للجملة المفيدة .

٤ ــ ص ٨٩ « هي سيرة مصاغة روائيا »

الصحيح : مصوغة .

٥ ــ ص ٩٢ « بعد دستة اعوام من نشر عصفور من الشرق ، فان الحكيم سوف ينشر « زهرة العمر » ..

التعبير ليس عربيا ، الفاء لا موجب لهـا . سوف ينشر : نشر ..

٦ ــ ص ٩٩ ــ ١٠٠ « ان اشارتنا هذه لا يمكن ان تجعلنا نعطي الرواية الابعاد والرؤية اللتين يعطيها لهـــا بعض النقاد »

يعطيها لها : يعطيهما اياها . والتعبير ، بعد ذلـك مضطرب .

٧ ــ ص ١٤١ « .. ولاظهار تاريخ الجزائر ككل »

ثقيلة هذه الـ « ككل » التي اكثر منها الكتـــاب المعاصرون .. ويمكن ان نقول : لاظهار تاريخ الجزائـر كـلا ...

٨ ــ ص ١٤١ « مصائر جديدة »

الصحيح : مصاير .

٩ ــ في اسم الكتاب غموض ، وهو في الاصل عنوان « رواية .. للكاتب السنغالي « حميد وفان » ترجمة : مجرم نسيم ، اصدار الهيئة المصرية ١٩٧٥ » . وقد وضع المؤلف عنوانا شارحا تحت « المغامرة المعقـدة » فقال : « مقدمة في تاريخ العلاقة بين المجتمع العربي والغرب كما يظهرها الفن الروائي في نشوئه وتطوره » .

(٥)

هذا هو الحب ، تاليف ستندال ، ترجمة صوفي عبدالله . كتابه الهلال ، ربيـــع الاول ١٣٩٨ ــ مارس ١٩٧٨ . القاهرة .

١ ــ تصرفت الترجمة بالعنوان ، لان الاسم الاصلي للكتاب هو De l'Amour اي « عن الحب » .

٢ ــ تصرفت في تبويب الكتاب لان المؤلف عقده على كتابين : اول وثان ، وانه جعل الفصول متوالية متسلسلة وكانها في كتاب واحد ، بين هذه الفصول القصير والقصير جدا والمعتدل وقد بلغ مجموعها ستين فصلا ــ وليست كلمة « الفصل » هذه مما وضعه المؤلف في كتابه وانمـا ذكرناها هنا لحاجة اليها لدى الكلام على الترجمة ، اما المؤلف فقد إقام كتابه على افكار تقصر او تطول يفصـل احداها عن الاخرى برقم روماني ،يضـــع تحت الرقم الروماني عنوانا للفقرة مرة ولا يضع مرات .. وبلغت هذه الارقام ستين رقما .

اما المترجمة فقد جعلته كتابا واحدا واختصرت في « الفصول » وجمعت ــ كما تشاء ــ فجاء كتابها في تسعة عشر فصلا .

٣ ــ لا تكاد تبلغ الترجمة العربية نصف المـــادة الاصلية (الفرنسية) ، فقد جاءت في (١٦٢) صفحة من الحجم الصغير على حين بلغ الاصل (٢٥١) صفحة اكبر حجما واصغر حرفا .

٤ ــ كان للاصل ثلاث مقدمات كتبها المؤلف في (١٦) صفحة اكتفت المترجمة منها بصفحة واحدة .

٥ ــ كتب على الغلاف الاخير من كتاب الهلال :

ا ــ « ستندال امير من امراء النثر الفرنسي .. »

والواقع ان مكانته ــ او مكانة نثره ــ عالية في تاريخ الادب الفرنسي ، ولكن القوم هناك لا يعنون بمنح الالقاب .. ويا حبذا لو عرفنا الناقد الفرنسي الذي منح هـذه الامارة ؟ حبذا .. لو وجد هذا الناقد ؟

ب ــ « .. هذا الحب كان محور حياة الناس منذ نصف قرن » .

ولا بد من ان يكون قد وقع خطا مطبعي صحيحه : « منذ قرن ونصف القرن » لان ستندال الف كتابه سنة ١٨٢٢ .

٦ ــ ما ضر لو ذكرت المترجمة موقفها من الكتاب في المقدمة، فذكرت تصرفها فيه ؟

(٦)

العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢ ــ ١٩٣٢، تاليف احمد رفيق البرقاوي ، بغداد ، دار الرشيد ١٩٨٠

١ ــ نفهم من المقدمة ان الكتاب رسالة علمية جرت باشراف الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى .

٢ ــ بذل المؤلف جهدا في الرجـــوع الى المصادر ــ ولكننا نعجب من انه لم يرجع الى مصدر مهم جدا هـو « تاريخ القضية العراقية » لمحمد مهدي البصير . ترى كيف يتحدث باحث عن ثورة ١٩٢٠ واختيار فيصل ملكا ومعاهدة ١٩٢٢ .. من غير ان يرجع الى هذا الكتاب ، فضلا عن ان يكون بين مصادره مراجع من درجة ثانية او ثالثة .

(٧)

مدخل الى تاريخ الرومان وادبهم وآثـارهم ، تاليف آ. بتري . ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، الموصل ، مطابع جامعة الموصل ١٩٧٧ .

١ ــ ص ١٠١ « كانت حركة احياء المعرفة في القرن الرابع عشر » ، ص ١١٨ .

الذي صار مصطلحا في مقابلة هذه الترجمة : عصر النهضة او الحركة الانسانية ..

٢ ــ ص ١٠٣ « لم يصل الينا من هذه الملحمة الا نتفا » ، ص ١٠٥ .

الصحيح : نتف .

٣ ـ ص ١٠٤ « .. بل ود قبل .. » .
الصحيح : بل قد قيل ..

٤ ـ ص ١٠٤ « وكل ما وصل الينا من مؤلفاته هي ست من ملاهيه ، التي يتفق النقاد على انها تتصف بسلامة ما تحتويه .. »

التعبير العربي المقبول هو : .. الادبية ست من ملاهيه يتفق النقاد ..

٥ ـ ص ١٠٤ « نذكر كل من .. » : نذكر كلا من.

٦ ـ ص ١٠٤ « في حقل الساتورينا الاصلية . فان اول مؤلف بارز .. هو كيوس لوسيليوس .. »

التعبير العربي المقبول هو : ان أول مؤلف بارز .. في حقل الساتورينا الاصلية هو كيوس لوسيليوس ..

او : كيوس لوسيليوس اول مؤلف بارز ..

٧ ـ ص ١٠٦ « شيشرون .. ربما كانت الخطب القضائية اكثر ملائمة له »

الصحيح : ملاءمة .

٨ ـ ص ١٠٨ « لوكريتيوس .. في الطبيعة .. اعظم تصيدة تلقيئية .. » ، ص ١١٠

اعتدنا استعمال « تعليمية » ترجمة لديداكتيك وصار الاستعمال مصطلحا او كاد ، فلا موجب للتلقينية .

٩ ـ ص ١٠٩ « وكان وزيره سند كبير .. » : سندا كبيرا .

١٠ ـ ص ١١٠ « هوراتيوس .. في الشعر .. » : فن الشعر

١١ ـ ص ١١٢ « في اربع كتب » : اربعة كتب .

١٢ ـ ص ١١٢ « مكائد » : مكايد « خمسة عشر جزء » : جزءا .

١٣ ـ ص ١١٦ « درس البلاغة على يد احد مدرسي البلاغة في روما » : الخطابة .

١٤ ـ ص ١١٨ « كان ينشر الانتاج الادبي للمرة الاولى عن طريق القراءة العلنية ثم يأخذ المؤلف نتاجه الى احد الناشرين الذي يقوم باعداد طبعه او نسخه .. »

الصحيح ـ هنا ـ ان يقال : كان المؤلف ينشر .. وتعدل الجملة على هذا . ولم يكن للطبع وجه في العهد الروماني .

(٨)

محمود تيمور ـ اتجاهات الادب العربي في السنين المائة الاخيرة . القاهرة ، مكتبة الاداب ومطبعتها ١٩٧٠ .

١ ـ فيه غير المقالة الاولى التي صارت عنوان الكتاب : عائشة التيمورية ، شوقي والمسرح ، حافظ ، طه حسين ، توفيق الحكيم ، العقاد ، محمد فريد ابوحديد عزيز اباظة ، خليل مردم ، محمود طاهر لاشين ، محمد السباعي ، زكي مبارك ، اسماعيل مظهر ، صديق شيبوب ، مندور ، الخولي ، مراد كامل ، دور الادب في المجتمع ، كيف اصبحت قصصيا ـ على سبيل الذكرى والاعجاب ونهج المقالة التي تريد ان تكون خفيفة الظل .

٢ ـ ص ١٤ ، استعمل « المقاليون » لكتاب المقالة.

٣ ـ ص ١٦ ـ ١٧ « ان احدى دور الكتب العامة في الشرق استطاعت احصاء عشرة آلاف قصة بين طويلة وقصيرة ترجمت الى العربية قبل الحرب العالمية الاخيرة » .

٤ ـ ص ١٥ « .. عصر النهضة .. » ص ٢٠ « ولقد كانت هذه السنوات التي قوي فيها تعرف الادب العربي الى القصص الغربي امتدادا لعهود سياسية من الضغط والاضطهاد عانت فيها الامة مرارة التحكم الاجنبي ، فسادت موجة من المشاعر الحزينة تعبر عن المسكنة والانكسار ، وانست النفوس الى الاسترسال في الحديث عن مآسي الحب والفقر والعادات وآثار التخلف الاجتماعي .. » ص ٢٢ « وفي مستطاعنا ان نتبين في الادب في تلك الفترة سمات « الرومانسية » ص ٢٣ « الدافع اليها ما ضاق به المجتمع العربي من كبت وحرمان وضغط سياسي وركود اجتماعي ، وضعف في المستوى العلمي والاقتصادي ، فتاقت النفوس الى تنفيس وترفيه ، بالاسترسال في متع الخيال ، انهيمان مع العواطف الملتهبة ، فرارا من جفاف الواقع وجموده ، وانسا برحيق الاوهام في كؤوس من ذهب وهاج .. » ـ من امثلته ص ٢٠ ـ ٢١ « المنفلوطي » . ثم ص ٢٣ « هبت ـ على الادب العربي في الشرق ـ .. نفحات ادب عربي رومانسي ايضا من وراء المحيط » اذ « نشا ادباء ـ عرب ـ تأثروا بالحياة الغربية وآدابها ، واعتملت في نفوسهم مشاعر الغربة والحنين الى الاوطان .. الشعر المنثور .. جبران والريحاني ونعيمه وايليا ابو ماضي .. »

٥ ـ ص ٣٢ « ومما يذكر للصحافة انها هي التي ازدهر في حقلها ذلك الفن الكتابي الذي اطلق عليه اسم « المقالة » ، فكانت اشبه بالرئة التي تعين على التنفس في يسر ، وجد الكتاب والادباء فيها مجالا للافصاح عن خواطرهم والتعبير عن افكارهم ، واصبحت « المقالة » غذاء سهل الاعداد على الكاتب سهل الهضم على القارىء» .

٦ ـ ص ٣٢ « ويعتبر الربع الاول من القرن العشرين في حياتنا الادبية مرحلة حرث وتخطيط والقاء للبروز المختلفة ، وتعهد لها بالسقيا ، وتجربة لنباتها في حقول الاذهان .. »

يمكن ان تكون البزور بالزاي صحيحة ، ويمكن ان تكون خطأ مطبعيا محتمل الورود على لسان الطباع المصري صحيحه : البذور . البزر : حب جمعه بزور ، والبذر حب جمعه بذور . ولكن البذور اكثر ورودا على اقلام الكتاب ..

٧ ـ ص ٤٥ « .. قصة « المستضعفين في الارض » الدكتور طه حسين .. »

يقصد : « المعذبون في الارض » .

٨ ـ ص ٤٧ « يتوثب الى الامام بخطا فساح » .. كذا كتب جمع الخطوة . وكذا ورد مرسوما في القاموس المحيط . والمشهور في رسمه : خطى ، وكذا ورد في مختار الصحاح . وفي كتابة تيمور تسهيل لباب صعب من ابواب رسم الحروف (الاملاء) .

٩ ـ ص ١٠٩ « كتب الرجل القصة على تخالف نطاقها : طويلة وقصيرة ، وعلى تعدد نوعها : تمثيلية وغير تمثيلية .. ودبج الفصول في نقد الحياة والمجتمع ..»

ا ـ كثيرا ما ترد « التمثيلية » لدى تيمور على انها قصة .. ومع القصص . تنظر ص ٢٠٢ « ولقد كتبت القصة قصيرة ومطولة ، وكتبتها للقراء وللمسرح » ، وتنظر ص ١٠٨ « اهل الكهف » .

ب ـ يقصد بالفصول ـ هنا ـ المقالات .

١٠ ـ ص ١١٨ « والعقاد .. كان من الفاقهين لعلوم العربية التي لا يعنى بها الا اهل الاختصاص .. »

المستعمل : الفقيه والفقهاء ..

١١ ـ ص ١٥١ ـ ١٥٧ « محمد السباعي » .

ورد هذا الكلام في الاصل مقدمة لكتاب ضم مقالات لمحمد السباعي نشر بعنوان « مشاعر وافكار » .

١٢ ـ ص ٢٠١ « ولم اكن ابالي هذا من الاصدقاء» .

لا ابالية ، الواردة هنا هي الصحيحة ، ولكن الذي شاع لا ابالي به .

١٣ ـ ص ٢٢ « سمات الرومانسية مع اختلاف دوافع توافرها في الادب العربي » ص ١٦٧ « البحوث التي توفر عليها زكي مبارك .. »

كثر في لغة العصر الحديث استعمال توفر يتوفر توفرا متوفر ، ولا احسب اني رايتها مستعملة في نص قديم . ثم جاء اللغويون المحدثون فقالوا : الصحيح : توافر يتوافر توافرا ، متوافر .. وما احسبني رايت هذا الاستعمال في نص قديم .

ويقول الدكتور ابراهيم السامرائي : المستعمل : وفر عليه حقه توفيرا .. استوفاه ، وتوفر عليه رعى حرماته . هم متوافرون اي كثيرون ، وفر الشيء كثره .. جعله وافرا .

١٤ ـ يا حبذا لو ثبت تيمور ـ وهو الدقيق ـ تواريخ المواد واماكن نشرها قبل ان يتكون منها هذا الكتاب .

(٩)

بين آمو ـ داريا وجمنا ـ بقلم ارنولد توينبي ، ترجمة حسين الحوت ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة من الشرق والغرب ، مختارات الاذاعة والتلفزيون د.ت . يفهم من مقدمة المؤلف انه قام بهذه الرحلة لزيارة المنطقة سنة ١٩٦٠ .

ما ضر لو ان المؤلف عرض عمله على عارف باللغة العربية وعارف بالجغرافية العربية ؟

١ ـ ص ١١ الهلينية : الهلينية .

٢ ـ ص ١٩ « ان جغرافي العرب القدماء يتبعون الاغريق في تقسيم الارض الى سبعة اجواء » .

ان الجغرافيين العرب قسموا الارض الى سبعة اقاليم .

٣ ـ ص ٢١ « كابول » الصحيح كابل ، وقد وردت ص ٢٥ صحيحة : كابل .

في معجم البلدان : « كابل بضم الباء الموحدة ولام.. في الاقليم الثالث » .

٤ ـ ص ٥٥ « قندوهار » الصحيح قندهار ، وقد وردت ص ٥٦ صحيحة : قندهار .

في معجم البلدان : « قندهار بضم القاف وسكون النون وضم الدال مدينة في الاقليم الثالث » .

٥ ـ ص ٦٦ « هيرات » وتتكرر ..

الصحيح : هراة . في معجم البلدان « هراة بالفتح مدينة .. من امهات مدن خراسان » .

٦ ـ ص ٦٧ « اذكر لك المسجد الجامع .. والمئذنتان اللتان ترتفعان » : والمئذنتين اللتين ..

٧ ـ ص ٦٨ « القيشاني » : القاشاني نسبة الى قاشان « والعامة تقول : القاشي » ينظر معجم البلدان .

٨ ـ ص ٨٠ « في وسط هذا الشد والجزب » : الجلب ، وهو من خطأ الطابع المصرية (واللبنانية) .

٩ ـ ص ٩٣ « ولا يفوتني هنا ان اسجل حادثان لا يزال اثرهما قويا في نفسي . اولاهما .. »

الصحيح : اسجل حادثين .. اولهما ..

١٠ ص ٩٤ « احدى عشر قرنا » : احد عشر .

١١ ـ ص ١١١ « عندما تعبر الكوبري المعلق .. » الجسر ، فلا تليق كلمة كوبري بالترجمة الفصيحة .

١٢ ـ ص ١١٣ « ان تقدير المسجل كان خاطئا » : مخطئا .

١٣ ـ ص ١١٤ « اصبحت جزء منها » : جزءا .

١٤ ـ ص ١٤١ « بلوخستان » وتتكرر .. الصحيح بلوجستان ، ربما نسب اليها ببلوشي .

١٥ ـ ص ١٤٤ « قوم يعيشون في القفر فينتزعوا منه شعرات الصوف وسنابل القمح » .

الصحيح : فينتزعون .

١٦ ـ ص ١٤٢ « لقد نقشت الاسمان في ذاكرتي »

الصحيح : الاسمين ، ما لم يكن شيء من خطأ مطبعي في الكلمة كان تكون الاسماء !

١٧ ـ ص ١٤٥ « رؤياها سوف تكون انذار لي » : انذارا .

(١٠)

مختارات جرجي زيدان ـ جرجي زيدان . دار التراث ، بيروت ، د.ت .

١ ــ واضح ان هذه الطبعة اعادة (مصورة) لطبعة مصرية سابقة . ولكنها لم تشر الى ذلك .

نرجع الى الطبعة السابقة : مختارات جرجي زيدان دار الهلال بمصر١٩٢٧ فنلاحظ ــ فيما نلاحظ ــ ان طبعة بيروت حذفت من البداية صفحة فيها كلام على الطبعة الاولى : مقدمة الطبعة الاولى : « هذه مجموعة مقالات لمؤسس الهلال رحمه الله .. وقد اختار هذه المقالات مؤسس الهلال نفسه وكان عازما على اصدارها في كتاب فعاجلته المنية قبل ان يتاح له ذلك .. »

صدرت الطبعة الاولى ــ اذا ــ بعيد موت المؤلف (توفي جرجي زيدان في ٢١ يوليه سنة ١٩١٤) ــ ولد سنة ١٨٦١ .

ومقدمة الطبعة الثانية : « صدرت الطبعة الاولى من هذه المختارات في ثلاثة اجزاء . وقد رأينا عند اعادة طبعها ان نختصرها في مجلد واحد شامل لاحسن ما نشر في تلك الاجزاء الثلاثة » .

حذفت طبعة بيروت هاتين المقدمتين ، وحذفت معهما المقالة الاولى : « حاجتنا الكبرى » ص ١ــ٧ عن «الهلال» سنة ٢٢ ــ ولم تشر الى ذلك ، ولم تنص على تاريخ الطبع ويبدو انه جرى في الستينات .

٢ ــ نقرأ اليوم هذه المقالات المختارة على مدى اكثر من عشرين سنة من عمر الهلال مبتدئة بالاحدث منتهية ــ على وجه التسلسل ــ بالاقدم نراها عتيقة ، اعتيادية ، ميسورة ، محتواها لعامة الناس ، وليس لمبناها حظ من الجمال الادبي .. فهي تعليمية لعصرها مضمونا وشكلا .. داعية للاصلاح الذي يقتضيه المجتمع آنذاك مع حس وطني انساني يميل مع المظلوم على الظالم ومع الفقير على الغني .. ــ فهي ــ اذا ــ جزء من التاريخ ، يرجع اليها من اراد الوقوف على اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين (صدرت الهلال في سنة ١٨٩٢) في فكره وقضاياه العامة وما يشغل المثقفين .. فيعرف من الامر غير قليل ويحمد للكتاب سهرهم وحرصهم على توفير اسباب النهضة ورعاية الاخلاق للفرد والمجتمع .

٣ ــ ونص هنا على المقالين الاخيرين ــ فيما يتصل باهتمامنا الادبي ــ : « التاليف في اللغة العربية » . « اللغة العربية الفصحى واللغة العامية » ، وقد كان المؤلف ــ كما هو طبيعي ــ مع الفصيحة داعيا اليها ، مقابلا بينها وبين العامية ، ذاكرا العوامل التي تخدمها ، وقد اثاره الى الكتابة في هذا الموضوع محاضرة القاها المستر وليم ولكوكس دعا فيها الى اغفال الفصيحة واحلال العامية (المصرية) محلها ــ نشر زيدان مقالته في السنة الاولى من « الهلال » .

ولمقال « التاليف في اللغة العربية » اكثر من اهمية ، منها دعوته المبكرة الى ما نسميه ــ اليوم ــ منهج البحث ، وعزوه التأخر في التاليف الجيد الى نقص « التدرب على البحث والتنقيب والقياس والاستنتاج » ، ومع انه اشار الى ما للعرب القدماء من « القدح المعلى في هذا الباب » مكتفيا بالاشارة عما بسطه في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » .. فانه قال : « لكن لكل عصر نسقا في التاليف يلائم اهله . فنسق هذا العصر يختلف عن نسق القدماء مثل اختلاف سائر احوالنا عن احوالهم . ونحن في هذه النهضة عولنا في اقتباس العلوم الحديثة على اصحاب هذه المدنية فنقلناها عنهم ، ولهم طرق في التاليف يحسن تحديها لما فيها من التمحيص والترتيب والتبويب » .

وعاد الى الثناء على « المصادر العربية » وما يمكن ان يوجد فيها من حقائق « غير ما يستفيدونه من طرق التعبير والالفاظ الوضعية فيستعينون به على تقديم اسلوبهم عند نقل ذلك العلم عن المصادر الافرنجية » .

وقد ربط زيدان بين منهج البحث وسلامة اللغة بل انه جعل اللغة جزءا من المنهج « فعلى من يعمد الى التاليف ان يحافظ على ملكة اللسان العربي ويتجنب التعبيرات الافرنجية ولا يتم ذلك الا بمطالعة الكتب العربية الخالية من شوائب العجمة » .

واداه هذا الباب الى الكلام على « الاسلوب » وكلامه رائد في بابه قدم له بقوله : « يقسم الانشاء الى قسمين كبيرين : انشاء علمي ، وانشاء ادبي . ولكل منهما فروع يستخدم كل فرع منها في موضوع دون الآخر » ثم انتقل الى « الاسلوب » فقال :

« اذا تصفحت كتابا ثم نظرت فيه نظرا عاما مؤلفا من شيئين متباينين هما موضوعه ولغته او اسلوبه او هما معناه ولفظه . فالموضوع او المعنى هو الغرض الذي يريد المؤلف ايصاله الى ذهن القارىء ، واما الاسلوب فهو الآلة التي يستخدمها في ايصال ذلك الغرض . فاذا عمد جماعة الى التاليف في الثورة العرابية مثلا ، كان غرض كل منهم بيان تلك الثورة بما تقدمها ودعا اليها من الاسباب ، ثم ما توالى من حوادثها الى انقضائها وما نجم عنها من العواقب السيئة او الحسنة . فاذا قرات كتاب كل منهم على حدة رأيتهم يختلفون في كيفية تادية تلك الحوادث وترتيبها باختلاف ما يعلمه كل منهم او ما فطر عليه من طرق التعبير . وظهر لك تباين في اساليب التاليف وان يكن الموضوع واحدا . وقد تستحسن اسلوب بعضهم وتستهجن اسلوب البعض الاخر وهو الفرق بين ملكات الانشاء في الكتاب » .

وهو يرى ان الانشاء « ملكة غريزية » .. « ولكل كاتب اسلوب خاص به يمثل سلسلة افكاره يعبر عنه الافرنج بقولهم Style وهو الذوق او النفس في اصطلاح الكتاب ، فالكاتب يمتاز بذوقه ويعرف به ، ومن عانى الكتابة ودرس اذواق الكتاب سهل عليه تمييز الكاتب

بمجرد مطالعة ما يكتبه .. يقول الفرنسيون

«Le style c'est l'homme»

اي ان الاسلوب يمثل كاتبه » .

٤ ـ رسم هرقل ص ٢٩ : هركليس . وردت ص٢٥ صحافي ، ص ٣١ تلبك . ص ٧٦ الحماة (ام الزوج) . ص ١٩ « الوجدان : شعور الانسان بوجوده وبما يحيط به » . ص ١٦٥ استنجده . ص ١٢٩ بؤرة : « مدينة السلام بؤرة التمدن». ص١٠٧ انشئوا «رسم الحروف على الطريقة المصرية ، فلم يرسمها : انشاوا » . ص ١٦٧ ، ١٧٨ الادبي بمعنى الاخلاقي . ص ١٨١ « حقائق هامة » ص ٢٥ ، ١٨٥ « المقالة » ، ص ١٨١ « العصري » . ص ١٨٨ « الجامعة العربية » (فيما يقابل في ايامنا الوحدة العربية او ما يقرب منها) . ص ٨٩ « يكاد لا يجد » (بدلا من لا يكاد يجد) . ص ٨٦ ، ٨٧ «الناموس» فيما يقابل القانون . ص ٨٦ ، ٨٩ ، ١١١ ، ١٢٢ « الهياة الاجتماعية » بما يقابل ما نستعمله اليوم للمجتمع . رسمت الهياة مرة اخرى على « الهيئة » ص ١٦٨ .

يمكن ان يخدم التنبيه الى هذه الكلمات .. الدارسين ، من اللغويين خاصة ، الذين يبحثون في تطور الاستعمال .. وتاريخ المصطلح .

واستعمل ص ١٨٧ كلوب وكان نادي لم تكن ، و « القى .. خطبة » ويريد محاضرة ، وكتب الانجليزية بالكاف ولم يكتبها بالجيم على الطريقة المصرية .

٥ ـ من الاستعمالات التي شاعت في عصر زيدان كلمة « بدهي » الواردة ص ١٨٢ وهو خطأ صحيحه : بديهي ونجد عند غير زيدان طبعي الخطا بدل طبيعي الصحيح . وقد سالت الدكتور مهدي المخزومي عما يكون وراء الخطا فقال : ان القاعدة في النسبة على ما كان على وزن فعيلة مثل بديهة وطبيعة ان يكون على وزن فعيلي

اي بديهي وطبيعي ، الا ما كان اسما علما فياتي النسب حينئذ على فعلي ، فالنسبة الى المدينة : المدني والى بجيلة : بجلي . ويفهم من هذا ان القوم في عصر زيدان عمموا قاعدة النسب الى العلم على ما ليس بعلم ..

٦ ـ ومن التعبيرات الخطا ما جاء في « المختارات » ص ١٨٧ : اشار باغفال الفصحى واستبدالها باللغة العامية . والذي علمنا اياه استاذنا الدكتور مصطفى جواد ان الباء تدخل على « المستبدل » اي : استبدال العامية بالفصحى .

ومثل ذلك قل فيما ورد على الصفحة نفسها : « الامة الانكليزية .. استفادت فائدة كبيرة باغفال اللغة اللاتينية .. واستبدالها باللغة الانكليزية » والصحيح : استبدال اللغة الانكليزية باللغة اللاتينية لان اللاتينية هي المدفوعة .

وكذلك قوله على الصفحة نفسها ايضا : « ان الانكليز باستبدالهم اللغة اللاتينية باللغة الانكليزية قد استبدلوا لغة اجنبية بلغة وطنية » والصحيح : ان الانكليز باستبدالهم باللغة اللاتينية اللغة الانكليزية قد استبدلوا بلغة اجنبية لغة وطنية » .

اذا علمنا ان هذا وقع في السنة الاولى من « الهلال » (١٨٩٢) عرفنا شيئا من تاريخ شيوع الخطا .

بغداد ـ الجادرية

علي جواد الطاهر

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة



الدكتور فوزي عطوي

الحرب والحب في شعر فوزي عطوي

بقلم الدكتور عيسى الناشوري

* * *

القوافي المبحوحة

لبنان جريح ، تنزف دماؤه منذ اكثر من ست سنوات ، ولا يزال لون الدم والدمار يجلل يومه ، ويصبغ الامل في غده .

لبنان نازف ، والعرب يتفرجون ، والاساة عنه نائمون ، واسرائيل تقطع اوصاله في الجنوب ، ويهدد حياته في بره وبحره وسمائه .

لبنان الجمال الازلي شوهته الحرب الطاحنة ، واضاعت جماله ، وليس من يرحمه : لا من اهله ، ولا من جيرانه ، ولا من اشقائه .

ترى الى متى ستطول محنته ، والى متى يظل العرب نائمين عن مأساته ، شامتين بشقائه ؟ والى متى ستظل ارضه مباحة ، وسماؤه وبحره ؟ والى متى ستظل النيران الحاقدة تفتك بأبنائه وتدمر بيوته ومنشآته ، وتعطل الحياة في شرايينه .

* * *

رجعت الى ذهني صورة لبنان الجريح الممزق المشوه هذا ، وانا اقرأ ديوان الشاعر فوزي عطوي : « القوافي المبحوحة » وقلت في نفسي : هل بحت قوافي فوزي عطوي او تجرحت الا من جراح لبنان ؟

هل ينسج الحب من شعري مائده والحزن يرمضني ، قلبا ووجدانا ؟

وكيف لا يبح الشعر ولا يتجرح في حنجرة بلبل من بلابل الارز ، وعندليب من عنادل الشاطىء الازرق الساحر ، وهو يرى العام تلو العام في ارضه الذبيح ، والدم يتلو الدم مطلولا ولا من يرحم الشباب تطحنه الحرب ، ويلوكه الحقد الاسود ؟

ستة اعوام ، وها هو العام السابع يتلوها ، ولا بصيص امل في ان يندمل جرح في لبنان ، او يعود العمران الى القصور والى البيوت التي صارت اطلالا تنعب عليها البوم ، وتنعق غربان السوء والشؤم ؟

قل للاشقاء يولونا اخابعهم ويمنعونا سلاح الحقد والصلف
نريد من يد سمحاء تنقذنا لسنا نريد تصاريحا على الصحف

رويدك ، يا شاعري ويا شاعر الجراح ! الا تنتظر ممن تدعوهم بالاشقاء هذا الذي تطلبه منهم ؟ فلو كانت لهم قلوب تعرف الاخاء ، لما منعوه عن لبنان في محنته .

ان كل ما لديهم هو السلاح يضعونه بسخاء في ايدي المتحاربين ، وهو تصاريح الصحف التي تعالج الجراح بالكلام .

وما دام الامر كذلك ، فماذا يبقى لابن لبنان الذي يحب ارضه ، ويحب ابناء ارضه ، غير الاسى والدموع ؟

وطني اغفر لي نحيبي وترق للجفن السكوب
لم تبق لي غير الدموع تقمص في الهدب الكئيب
ضيعت اغنية الجمال وادت اشذاء الطيوب
كفنت بالموت الربى مرابع الحلم الخلوب
وكفرت بالقيم العلى وسخرت بالخلق الرحيب
وعميت الا عن خطوب ساعيات للخطوب
وعن المآسي الراقصات على مناحات الشعوب
السلوم يا وطني اذا تاهت خطاي على الدروب
ومضيت استقي سراب الوهم والامل الكذوب

ولكن مصيبة لبنان ليست كلها من الخارج : الخارج ازم النار ، وراح يتسلى برؤية الحريق ، ولكن النار اشتعلت من الداخل ، ومضت تطعم الحاسد وتشمت العدو ، وابناء لبنان لا يجتمعون ليرابوا الصدع ويردوا كيد الحاسدين الى نحورهم ، وشماتة الحاقدين الى صدورهم . ابناء لبنان راضون بجراح لبنان ، وتمزيق لبنان ، والمزيد المستمر من جراح لبنان ومن تمزيق لبنان:

نهشوك يا وطني ، ولم نعوزهم اشداق ذيب

فتلوك ، ما رفعت لهم عين على وقع الوجيب
فبرابع الحلم النضير حرائق الحقد الرهيب

حزن فوزي عطوي على مأساة لبنان هو حزن الندى على الزهرة الذابلة ، وحزن البلبل الفريد على الغصن المجرد من نضارته واوراقه ، وحزن الحديقة على ازهارها وورودها التي سقطت اوراقها الحلوة ، معفرة بالتراب !

واليوم لم تلتئم في الارض موسنة الا لتبكي بلواهـا وبلوانـا

ومن اعماق قلبه ، يهتف بأبناء لبنان ، لبنان المجد المضيع :

لبنان ، لبنان ! ما للنار تلتهمها فدائف الحقد طفيانا وعدوانا
ما للطوائف تخزي امر خالقها فليس تعرف انجيلا وقرآنـا
واخجلة الدين اذ تجار هيكله يردون باسمك ابناء واخوانـا
إانت لبنان ؟ يا مجدا نفيعـه ما كان اقساك في الدنيا واشقانا

ماساة لبنان اخت ماساة فلسطين ، وقد وقعت المأساتان ، والعرب عنهما في شغل شاغل بالخلافات تؤجج نيرانها هنا وهناك ، والخصم وحده يسرح ويمرح في الميدان شامتا، مستفيدا من جميع الخلافات التي لاتنتهي.

وهل سيقف الامر عند ضياع فلسطين ولبنان ؛ اذا استمر الحال هو الحال ؟

ليت قومي يستفيدون من العبر !

وبعد ! في المقدمة التي كتبها الشاعر فوزي عطوي لديوانه هذا الذي صدر عام ١٩٧٩ ، يقول الشاعر : «لعل من مفارقات هذه الايام الحزينة في تاريخ لبنان وفلسطين والامة العربية جمعاء ، ان يتسلل هتاف شجي من خلال ضجيج القذائف وانين الضحايا ، فيقول للناس : هاكم ديوان شعر فاقرأوه ! ولكن متى عرف الناس ان هذا الذي بين ايديهم انما هو بعض تجسيد لمواقف انسانية وقومية تجلت بازاء انين الضحايا وضجيج القذائف ، ادركوا ساعتئذ ان هذا اوان الشعر المغموس في آهات هذه الامة » .

فالديوان اذن ليس كلاما منظوما ، ولكنه جراح ويحترق بمأساتهما معا . وقد عبر الشاعر عن كل ذلك تفور ولهيب يندلع من قلب يحب لبنان ، ويحب فلسطين، اصدق تعبير وانبله .

الموج في جزيرة العيون

ونمضي مع ديوان « الموج في جزيرة العيون » الصادر عام ١٩٨٠ عن دار الرازي في بيروت للشاعر والمحامي الشاب فوزي عطوي ، وقد كتبت صفحاته بخط اليد الرقعي الجميل ، وكل كلمة فيه مشكولة شكلا يكاد يكون تاما ، حتى عناوين الفهرس ، وخصص ريعه لجمعية الصليب الاحمر اللبناني، مثلما خصص ريع ديوان « القوافي المبحوحة » لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني .

على الغلاف الاخير ، اقرأ تعريفا بالشاعر ليس فيه تاريخ ميلاده ، ولا فيه شيء عن دراسته ، ولا عن عمله ، ولا عن انتاجه الادبي ، وما اصدره من دواوين . ولكن فيه بعض التعريف بالشاعر من خلال ادبه فقط . وفي هذا التعريف اقرأ ما يلي :

« فوزي عطوي وحده رابطة . فان فيه من الحيوية الدفاق ما يكفي لاتيان العمل الكبير . فهو الشاعر ، والكاتب ، وابن المجتمع ، ورجل القانون . اذا خلا لناظم فالثورة فيه ، والرقة فيه ، وفيه الاطلالة الميسورة على الوجود . واذا قعد لكتابة ، فبشراسة المقتنع يكتب وبعناد المؤمنين . واذا وقف لخطابة ، فكأن سحبان مر من هنا . . وفوزي عطوي يمثل جيلا من المعاناة ، جيلا من الثورة الرافضة بتعقل ، ويتطلع الى مناظرة القمم ، وليس كالقمم ما يستهوي الطامحين .

* * *

اترانا عرفنا فوزي من خلال هذا الذي اقتبسه ههنا من خطبة المحامي عصام كرم في الاحتفال بتقليد فوزي وسام الارز الوطني ؟

ليس هذا كافيا ، ولا نرضى بأن يكون كافيا . فنحن لا نصدق الا اذا وضعنا اصابع في مغارز المسامير ، وفي نتحات الجراح النازفة ، لنقيس مدى عمقها ، وحرارة الدم المنبجس منها . عند هذا فقط نصدق . وهذا ديوان فوزي عطوي الجديد امامنا ، وكله قصائد حب ووجد ، وقصائد رقة واناقة ، يبدو لنا من خلال قراءتها ان فوزي شاعر انيق رقيق حقا . ولكن ما هو اهم من الرقة والاناقة ، ان فوزي « شاعر انسان » تترقرق الانسانية في ثنايا شعره، ومن خلال ابيات الغزل والحب في قصائده.

القصيدة الاولى في الديوان الجديد عنوانها « اليوم عدت اليك » ويستهلها الشاعر بقوله :

اتصدقين بانني اكتب ما كان قبل اليوم لا يكتب
ارجعت لي ينبوع رقتـه ورجعت من سلسالـه اشرب

الغزل والحب من الاشياء المألوفة جدا في الشعر ، ولا يكون الشعر شعرا حتى يكون عاطفة تنشال ، وحسا يتوقد ، وسلسالا يترقرق . ولكن الحب لا يكون جميلا وفاعلا ومؤثرا حتى يكون هو « الانسان » وهو « حس الانسان » .

ومن خلال نجوى الحب الحنون ، نقرأ قول الشاعر في ثنايا القصيدة عينها :

انسيت اني الحلم اذ ارضى وباني الغفران اذ اغضب
واحرقتني من نفسي الولهى واشتويتي من قلبي الطيب

الحلم في الرضى ، والغفران في الغضب : هذا المعنى جميل وجديد في شعر الغزل ، لانه يصدر من قلب « انسان » لا من عاطفة عاشق ولهان . وانا افرق كثيرا بين قلب « الشاعر والانسان » وقلب « العاشق الولهان » ولا ادخل في التفاصيل وفي بيان الفوارق ، لانني احسها

بعمق ، ولا احب ان اسيء الى قدسيتها بتمييزهما بالالفاظ .

يعود الشاعر شاعرا عاشقا كغيره من العاشقين ، حين يختم قصيدته بقوله :

اليوم عدت اليك لا تسلي هل بعد لي من جبنا مهرب
ما ضاع منا لم يكن عمرا ايام ذاك العمر لا تحسب

ان هذا من كلام الشعراء العشاق ، ومن الغزل المألوف . واما « الحلم في الرضى ، والغفران في الغضب» فشيء آخر .. هو الحب ، ولكنه فوق الغزل والعشق. وليس من الحتمي ان يخلو كل غزل مألوف من الجمال والرقة ، ومن جدة العبارة واناقتها . تظل الرقة ، ويظل الجمال والاناقة حين يعرف الشاعر كيف يعبر عن عاطفة وعن تجربة حية ، بالعبارة الشاعرة ، وباللفظة الشاعرة .

وفوزي عطوي غني بالشاعرية ، حسا وعبارة ولفظة

* * *

في القصيدة الثانية من الديوان ، وعنوانها « الوتر القدسي » يقول الشاعر مناجيا من يحب :

هل كان نيسانا ايماءة عبرت هل كان غيمة صيف ضمها الفق
ام كان نيسان فوق الحرف نكتبه وكان فوق جبين النجم يأتلق

ليس هنا غنى في الشاعرية فحسب ، ولكنه الغنى الذي ترافقه الاناقة ، وتهدهده حلاوة الموسيقى . والاناقة وموسيقى ايضا قول الشاعر في ختام القصيدة :

غنيت اشرف الحاني ، فكل سنا اضحى من الوتر القدسي ينبثق
ما كان للفجر ان يجتاحه غسق وبعد لم يرتسم في الفقه شفق

في بعض الاحايين ، وانت تقرأ الشعر ، لا تقف لتسأل عن تركيب العبارة وما يمكن ان تحمله الالفاظ من معنى كبير او صغير لانك تحس المعنى في اعماقك ، ولا تبحث عنه في التركيب وفي الالفاظ : انانة العبارة. وموسيقيتها تخطفك من صيغة الكلمات ، وتسيك تركيب العبارة ، فلا تعود تذكر ان جميع الالفاظ موجودة في بطون القواميس . فالقواميس مقابر للالفاظ الجامدة ، في حين ان الالفاظ هنا ترقص وتغني للحياة :

اين فن حبي لحن ذائب في كياني : يا فما يهفو لفم

هنا نداء من لون جديد ، وطعم جديد : « يا فما يهفو لفم »، فيه الحنان ، وفيه الرقة ، وفيه الغنى الموسيقي ، وفيه الخيال الملون الموهوب المترف . وهذا البيت من قصيدة « الحزن والقيثارة » ، وفي هذه القصيدة عينها ، يقول الشاعر :

يا التي لم تهو الا قممي لست القاك على غير القمم
ان حبيبك الحب مثلي نغما اين لي مثلك في الحب نغم

ومن جديد ، نعود الى الانسانية والى الخلق الناعم في الشعر ، فاذا نحن مع الشاعر في قصيدته « اضراب على الورق » حيث يقول :

يا علبة الروح لو احزنت اغنيتي ما كنت احقد ليس الحقد من خلقي

في هذا البيت الصغير الكبير تجتمع ميزتان شعريتان لطف الصورة ورقتها في « احزنت اغنيتي » ونبل الخلق في عجز البيت كله . والشعر والحقد ضدان لا يجتمعان: الشعر حب واحساس انساني ، والحقد ظلم وسواد في النفس يترفع عنهما الشعر ، ويأباهما خلق الانسان .

وفي قصيدته « كرامة المهزوم » يقول الشاعر :

انا ما رجعت الى رحابك شاكيا متعثرا في حبي المتهدم
لكنما نبل القلوب يصونها فترى الوفاء احق بالتكريم
غيري ينافس او يناقش في الهوى ولقد يبوح بانة المحروم
اما انا ، فلقد حفظت عن العلى الا ابيع كرامة المهزوم

الحب لا ينسى النبل ، ولا الوفاء ، ولا الكرامة ، وكلها مجتمعة في اربعة ابيات من قصيدة واحدة ، لتبدل على ان هنالك انسانا ، قبل الحب وبعده .

* * *

ومرة اخرى نعود الى العبارة الموسيقية التي تدغدغ الحس ، فنقرأ قول الشاعر في قصيدته « انا ربيعك » :

انا ربيعك لم يدفأ لنا حلم لو لم تديمي على اعطافه اللهبا
اما عقدنا على نيسان عمر هوى لا رق نيسان لولاه ولا عذبا
ما نغمة الحب الا دفء اغنية تأدب الحب اذ رقرقتها طربا
نثرت بعض شموخ الحب في نغمي فرحت انثر في الحاني الشهبا

لن امضي مع الديوان الى نهايته ، فهذه قصة تطول ، وبعض ابيات الديوان يدل على جميع قصائده ، احلام هوى ، واحاسيس دافئة ، ونغمات موسيقى ، وزخات من انسانية ونبل .

هذه خلاصة ديوان « الموج في جزيرة العيون » الذي تفضل الاخ الشاعر فوزي عطوي فاهدى الي نسخة منه ، من لبنان الجريح ، وتكرم الاخ الكبير الاستاذ اكرم زعيتر فاوصلها الي كدأبه في ان يمتعني باكرم الهدايا .

وشكرا لاكرم . وشكرا لفوزي على الهدية الشعرية الرقيقة !

عمان ـ الاردن — عيسى الناعوري

اشتركوا في مجلة

الآداب

تساهموا في نشر الثقافة



ايليا ابي ماضي

مع أبي ماضي في قصيدته الدمعة الخرساء

بقلم الدكتور متولي محمد البساطي
مدرس الادب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

قصيدة « الدمعة الخرساء » احدى قصائد ديوان « الخمائل » لايليا ابي ماضي . وقد تناول فيها حادثة انسانية تمثلت في موت صبية في ريعان شبابها ، وما اتصل بذلك من التفجع عليها والنواح والعويل . واتخذ الشاعر من الحادثة منطلقا الى عدة محاور كبيان اثر الحادثة على النفس الانسانية وعلى الوجود المحيط بها ، حيث الارتباط القوي بين النفس والوجود الخارجي ، كما انطلق الى معراج التأمل والنظر في الحياة ونهاية الانسان. وفي خلال ذلك يعرض لعاطفة الحب ، ويتناولها تناولا شاعريا فلسفيا وهو يبدا القصيدة بقوله :

سمعت عويل النائحات عشية ... في الحي يتعث الاسى ويشير
يبكين في جنح الظلام صبية ... ان البكاء على الشباب مرير
فتجهمت وتلفتت مرتاعة ... كالظبي ايقن انه مأسور
وتحيرت في مقلتيها دمعة ... خرساء لا تهمي وليس تغور

وبعد ان ذكر الحدث صور ما اصاب فتاته من التجهم والتلفت والارتياع ، وما تبعه من ظهور دمعة خرساء في مقلتيها ، واتخذ من « الدمعة الخرساء » عنوانا للقصيدة .

ويخيل الينا ان تلك الدمعة الحائرة الخرساء انسان له احساس وشعور الى جانب ان الانسان في موقف المفاجأة والروع لا تخرج حالته عن حالة الدمعة في عيني هذه الفتاة من التحير اولا ثم الصمت الذي يجعله هو والاخرس سواء .

ويقدم الشاعر لصوره الخيالية بصورة واقعية كانت هي الاساس الذي بنى عليه تأملاته ، وهي صورة مستمدة من البيئة الشرقية التي تطالعنا في شعره بصفة عامة ، فالبكاء على الميت بالصورة الواردة في البيتين الاول والثاني من اجتماع النائحات وعويلهن والتفجع في مرارة على من مات في ريعان الشباب وميعة الصبا ذلك مظهر من مظاهر الحياة الشرقية لا الامريكية حيث كان يقيم في مهجره . ويربط صورة الفتاة في ارتياعها بصورة الظبي وقد احيط به فلم يستطع مهربا ولا نجاة ، وهي صورة فيها حيوية الى جانب ما تحمله من ايحاءات .

واستطاع الشاعر ان ينقل اهتمامنا من الحدث الاول وهو موت الصبية الى حالة اخرى استأثرت فيها فتاته باهتمامنا ، لان تصوير الفتاة بالظبي وقد احيط به يبرز الرعب والفزع الذي استولى على الفتاة ، ثم يضيف الى الصورة السابقة صورة اخرى تبرز الفتاة في حالة من الذلة والانكسار والتخاذل امام احداث الحياة :

فكأنها بطل تكتنفه العدى ... بسيوفهم وحسامه مكسور

واشتركت الصورتان في ابراز الوجوم الذي يخيم على الثلاثة ، فالبطل في حالته والظبي في حالته كلاهما صامت واجم يفيض وجومه على الكون من حوله ، ويلف مظاهره ، فتتساوى الالوان والاشكال ، والانسان في هذه الحالة يفقد القدرة على الاحساس بالكون من حوله بعد ان فقد القدرة على النطق والتمييز بين الاشياء :

وجمت فامسى كل شيء واجما ... التنور والاطلال والديجور
الكون اجمع ذاهل لذهولها ... حتى كأن الارض ليس تدور
لا شيء مما حولنا وامامنا ... حسن لديها والجمال كثير

لقد كان الشاعر في البداية يمزح ويضحك مع فتاته فانقلب شعوره الى الحزن والتجهم نتيجة لانقلاب شعور الفتاة ، وظل الشاعر في القصيدة يتأرجح ما بين عاطفتي الحزن والسرور وعلى الرغم من ان حالة السرور والابتهاج هي التي جمعته بفتاته ثم طرأت عليها الحالة الاخرى نجد الشاعر في بداية القصيدة لا يشير الى ذلك ، وانما يقرع الاسماع بالفاظ وعبارات تحمل طابعا قاتما : عويل النائحات ـ عشية ـ الاسى ـ يبكين في جنح الظلام ـ بكاء ـ مرير ـ تجهمت ـ تلفتت مرتاعة ـ دمعة خرساء . ثم يختم المقطع الاول من القصيدة بقوله :

كانت تمازحني وتضحك فاتنى ... دور المزاح فضحكها تفكير

طهر الحب

تمايل الزهر نشوانا بنشوتنا ... كانما عب بعضا من حبانا
وراحت الطير تلهو حول هالتنا ... جذلى تشاركنا الحان نجوانا
ولاح بالافق نور ليس يدركه ... الا محب غدا بالله هيمانا
لما طوتنا تباريح مولهة ... تاججت قبلا تحتار تهتانا
ادركت اني وطهر الحب يجمعنا ... برغم طيني غدوت الان انسانا

حلب ـ ص.ب ٥٦١٧ ... انور عدي

فيشعر المتلقي بوقع المأساة عليهما ، وهو بهذا يفيدنا ان حالة السرور والابتهاج انزاحت الى خلفية الصورة وحل مكانها حالة من الحزن والانقباض ، فيكون موقف الشاعر وفتاته من الحياة انعكاسا لهذا الشعور .

وكان تأثير الفتاة الحزين على الشاعر من جانبين : من شكلها الواجم ومن حديثها الذي يفيض المآ وحسرة . وجاء انطباعه متفقا مع كل من الجانبين ، فالفتاة عندما رجعت صار كل شيء واجما ، وصار كل شيء ذاهلا لذهولها . وعندما اختلطت عليها الامور فلم تدرك الحياة حكمة ، وغابت عنها الحقيقة لانها رات حياة الانسان تنتهي في لحظة ويصير الى التراب لتموج فيه ديدان الثرى عندئذ يأتي فكر الشاعر انعكاسا لهذا المفهوم حين يقول عقب انتهاء حديثها :

وتوقفت فشعرت بعد حديثها ... ان الوجود مشوش مبتور

وبدو شعره وكأنه فرشاة يغمسها في عواطف الفتاة لصور لنا عاطفته هو ، وبذا اتحدت العاطفتان وامتزجتا.

وعندما صور الوجود جميلاً كي يصرف الفتاة عن خواطرها الحزينة القاتمة ادرك ان ذلك علاج موقوت لان فتاته ادركت قيمة الحياة في انها غرور ، ولذا يرجع مرة اخرى ليذكرنا بأن شعوره ما زال هو شعور الفتاة ، وانه ما زال ينظر في نفس الاتجاه، لقد عادا اخيرا يضحكان ولكن الضحك امر ظاهري يخفي وراءه احساسا بالحزن والمرارة.:

فتبسمت وبدا الرضا في وجهها ... اذ رافقها التمثيل والتصوير
عالجتها بالوهم فهي قريرة ... ولكم افاد الموجع التخدير
ثم افترقنا ضاحكين الى غد ... والشهب تهمس حولنا وتشير

وبعد فراقها وجد نفسه وحيدا قد اطبق عليه الضيق وكاد الليل يكتم انفاسه :

لكنني لما اويت لمضجعي ... خشن الفراش علي وهو وثير

ويبلغ الضيق مداه فيصرخ في ضجر مستبطئا ضوء الصباح :

يا ليل اين النور اني تائه ... مر ينبثق ام ليس عندك نور

ويخيل الي ان الشاعر في هذه القصيدة كان يهدف الى امرين :

الاول : ان يسري عن الفتاة ، باظهار الجانب المشرق للحياة ، لتعود الى مزاحها وضحكها .

الثاني : ان يقف وقفة تأملية امام احداث الحياة وحقائقها . وكانت نتيجة هذا التأمل ان الحياة التي تنتهي في لحظة لا تستحق ان يوجد من اجلها الانسان وهذا هو راي الفتاة السابق عندما اعتراها الحزن والوجوم بعدما طرق سمعها عويل النائحات حيث قالت :

اكذا نموت وتنقضي احلامنا ... في لحظة والى التراب نصير
غير الذين منا الالى لم يولدوا ... ومن الانام جنادل وصخور

وهذه النهاية التي انتهى اليها الشاعر تتفق مع الاتجاه العام في القصيدة وهو التبرم والضيق . اما النظرة الباسمة المتفائلة فانها تأتي في المقام الثاني عندما يسرح الشاعر طرفه في مجالي الطبيعة مصورا حسنها بريشته البارعة حيث نجد روح ابي ماضي الشعرية التي يغلب عليها المرح والتفاؤل والتمتع بالحسن والجمال مع التجاوز عما في الحياة من المكاره والمنغصات :

فاجبتها لكن لديدان الثرى ... اجسامنا فان الجسوم قشور
لا تجزعي فالموت ليس يضيرنا ... فلنا اياب بعده ونشور
انا سنبقى بعد ان يفنى الورى ... ويزول هذا العالم المنظور

ولقد كان للوراثة دورها هام في هذا الاتجاه حيث يقول عن قومه :

انا من قوم اذا حزنوا ... وجدوا في حزنهم طربا

كما يبدو من رثائه لابيه انه كان بشوشا مقبلا على الحياة ، وفي هذا يقول عنه :

وكنت ترى الدنيا بغير بشاشة ... كارض بلا ماء وصوت بلا لحن

واكد ذلك طبيعته التي تنزع الى حب الطبيعة والتغني بمظاهرها ونزعته الانسانية ، ولذا نراه في شعره محبا للحياة ومحبا للناس جميعا . وقد جمع في هذه القصيدة فلسفته في الحياة ونظرته الى جانبيها .

وعندما نرى نزعة الحزن تسري في تضاعيف القصيدة فاننا بذلك نطلع على الجانب الاخر من نفسية الشاعر .

وقد غذى نزعة الحزن عنده الروح الرومانسية التي كانت تسري في شعراء الرابطة القلمية ، وهو احد الاعمدة التي قامت عليها تلك الجمعية الادبية ، والتي كان لها اثر بعيد المدى في الادب العربي شعره ونثره .

المنصورة ـ مصر ... متولي محمد البساطي



سعيد ابو الحسن

سنديان على القمم
سيرة ذاتية

بقلم سعيد ابو الحسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

(٤)

في تلك الفترة الممتدة من ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥ وفد وباء الجدري . ووباء الجدري كارثة مخيفة ، كنت ارى آثارها في الوجوه الكثيرة المنقوشة من الاجيال السابقة ، فمن ينجو من الموت لا ينجو من التشويه . ولا ادري كيف تيسر تعليم تلاميذ المدارس ، تلقيحهم ضد الجدري ، ولا ادري لماذا لم تقم الحكومة بتلقيح الجميع ما دامت تملك اللقاح ـ هذه المشكلة لا اعرف كيف حدثت . كل ما اعيه منها هو ان اربعة من اخوتي : اخوين واختين اصيبوا بالجدري وانا حصلت على اللقاح لانني تلميذ ، وكنت لهذا السبب اقوم بخدمة اخوتي المصابين المعزولين في الغرفة الشمالية الشرقية من بيتنا ، فاقدم لهم الطعام او بعض الخضر ـ ولا طبيب هناك ولا من يطببون ـ وكانت لي اخت هي التي ولدت بعدي مباشرة . كنت احبها كثيرا ، فهي شريكة العابي ، وهي صديقتي ، وهي خصمي عند اللزوم . وكانت آية في الجمال والذكاء .

وكان لا بد من ضحية تخرج من دارنا ـ فكانت هي الضحية ، توفيت وكانت اول صدمة عاطفية حزينة عميقة في حياتي . لقد بكيتها وكان بكائي اياها عن بكاء العمر كله ـ اذ انني نادرا ما بكيت بعد ذلك .

ونجا اخوتي الثلاثة الاخرون : الاخت بتشويه ذهب بجمالها ورونقها ، والاخوان بلا اي اثر للجدري تقريبا ـ وعدم اصابتي لانني طعمت ضد الجدري على الرغم من احتكاكي باخوتي المصابين ، جعل اهلي وغيرهم يؤمنون باللقاح الوقائي ضد الجدري ، وبدا شعاع من العلم يتسلل الى العقول التي كانت تنسب كل شيء الى القضاء والقدر ..

قضية ثانية كانت تزعجني في قريتنا ـ في بلادنا عموما ـ هي كثرة الولادات ، فكل سنتين تقريبا كان يولد لي اخ او اخت ، وكانت والدتي المرهقة باعمالها المنزلية ، ترهق اكثر فاكثر بالارضاع وزيادة المسؤولية ، وكانت المراة التي تلد تقضي اربعين يوما نفساء ، لا تقوم خلالها بأي عمل تقريبا ـ والتي تعمل خلال ذلك للطفل الوليد وللبيت هي الداية المرهقة التي تقوم بالتوليد وبكل الاعمال الاخرى ـ وكان كل طفل ولد على يدي داية يدعوها « ستي » بعدما يكبر . ومصيبة المصائب هي ان طعام النفساء خلال الايام الاربعين مكون من الثوم وحده ؛ اكداس من الثوم تقشر وتطبخ مع البيض واللحم المقدد ، او اللحم الطازج ، وتتناولها النفساء ، ويتناولها معها كل افراد العائلة ، لعدم وجود من يطبخ لهم طبخا خاصا بهم ؛ ورائحة الثوم تملأ البيت وتملأ فضاء القرية ، وهم ينسبون اليه فضائل لا تحصى ، وانه هو الذي يقي النفساء جميع الامراض ، لفقدان الطب والاطباء . والى جانب الثوم المزعج ، كان هناك شراب حار لذيذ يدوم اربعين يوما ايضا : هو المغلي ، او شراب خليط من البهارات : الزنجبيل مع القرفة مع الخولنجان ، مع اليانسون ـ وكانت هذه البهارات تدق وتغلى في ابريق كبير من الفخار وتقدم للنفساء والزائرين في طاسة يرش فوقها الجوز الابيض الممتاز طبقة كثيفة ، ويؤكل الجوز ويشرب المغلي باللعقة : لونه عنبري مشوب بالبنفسجي ورائحته عطرة وطعمه لذيذ ـ فكانت لذة المغلي تنسيني ازعاج الثوم ـ وكان الزوار الذين يأتون للتهنئة بالمولود ويشربون المغلي (ينقطون) المولود بوضع بعض النقود في طاسة المغلي بعد ان تفرغ ـ وكثيرون منهم لم يكونوا يفعلون ذلك ، اما لكونهم اقارب ، واما لانهم لم يسبق ان نقطوا من قبل اهل الطفل .

وكنت الاحظ ان والدي ـ بحكم عمله بالتجارة ـ يغدق على بيتنا بحبوحة نحسد عليها : فالبهارات يجلبها

من دمشق بكمية كبيرة ـ والجوز بالصناديق ـ والبرتقال والتفاح بالصناديق ، والكمك الشامي والحلويات الشامية الاخرى كذلك .

كان بيتنا بعيدا عن القرية واقعا الى الشمال منها ، فوق هضبة صخرية ، تحيط به الكروم وثلاث برك احداها امام بيتنا تماما اسمها بركة « ام خرج » لكونها مؤلفة من قسمين كانهما عينا الخرج ، وبركة «منيفة» وهي عميقة مستديرة وتستعمل مياهها للشرب ، وهي شمال غرب بيتنا و «بركة الغنم» وهي غربي بركة منيفة تفصل بينهما طريق عالية . وعلى جدار بركة الغنم الغربي اشترى والدي كرما ، وعلى جدارها الجنوبي يقع بيدرنا ـ ثم اجرى عملية تبادل مع احد شيوخ القرية فاعطاه كرما لنا يقع شرقي البلدة وهو اقرب الى داره واخذ منه كرما يجاور كرمنا .

وكان جمع الكرمين على هذا النحو واسمهما معا « كرم الفضيلي » ، نسبة الى امير عربي كانت آثار قصره تظهر قريبة من هناك ، كان ذلك اهم عمل يقوم به والدي في ترسيخ حياتنا الاقتصادية الى جانب اهتمامه الكبير بتربية المواشي : الغنم والماعز . وهذه المواشي ، كانت توضع لدى رعاة من البدو مقابل حصة من النتاج كما تقدم باستثناء عدد من الماعز ، كان يبقى حوالي القرية ، ويؤخذ منه الحليب واللبن والسمن اللازمة للعائلة ـ الى جانب البقرات التي كانت تعيش في البيت عيشة الدلال والترف .

وكانت العادة في القرية ، لتجميع الحليب والاكثار من السمن ، ان تجرى عملية مقارضة بين النساء ، فتأخذ ربة البيت حليب المتقارضات معها اسبوعا او اسبوعين ، وتعطيهن حليبها مثل هذه المدة ، ويخططن بالكلس الابيض على الحائط كميات الحليب العائدة الى كل من المتقارضات ـ لان ذلك كان قبل عهد الكتابة لدى النساء .

وكنا ننعم بانواع من اللبن لذيذة نظيفة تغري بالاكثار منها : فالى جانب اللبن الخاثر (الرائب) كان هنالك لبن الظرف (وهو الذي يحفظ في جلد نعجة نظيف يغرز الماء والمصل من مسامه ويغسل بالماء ويكون معلقا ليسهل غسله باستمرار ويكون لبنه بين الرخاوة والشدة اقرب ما يكون الى ما يدعونه « اللبنة » في لبنان ودمشق) ـ وكان هنالك اللبن (القنبريس) حسب لفظنا ، ولعله الانبريس او اللنبريس حسب لفظ المدن ـ وكان يصنع من الحليب الموضوع في جرة كبيرة يضاف اليه الملح ، ويفرز ماؤه من ثقب في مقدمة الجرة السفلى ، مسدودة بعود صغير ، ويفتح هذا الثقب بصورة دورية فينزل منه الماء المتجمع في اسفل الجرة ، ويتحول الحليب الى لبن لم اذق بعد تلك الايام ، اطيب منه . وتغسل الجرة باستمرار من الخارج ويرفع ما يعلو وجهها من قشرة تتكون من تفاعل الملح بالحليب ـ ويكون فم الجرة مغطى بقطعة من الشاش الابيض ، تغسل باستمرار ، وتعاد الى مكانها ربطا حوالي عنق الجرة . ولبن الكيس وهو اللبن الخاثر يوضع في كيس ليتحول الى « لبنة » .

كل هذه الانواع من اللبن يكون زبدها فيها ـ وهناك اللبن القطيع هو جامد اللبن المسحوب زبده ـ المخيض او الشنينة ـ وهذا النوع من اللبن كان يحفظ في جرة ويغطى بالزيت ، كما هو احيانا ، ومقطعا الى كرات صغيرة ـ زناكل ـ اكثر الاحيان . ومنه يصنع الكشك ـ الاقط ـ وهو اللبن المجفف تحت الشمس .

اما الكشك فيصنع اما من اللبن الرائب واما من الحليب والملح يمزج به البرغل ويغطى ويبقى عدة ايام حتى يتخمر ، ثم يعرض للشمس حتى ييبس ويطحن ويصبح جاهزا للطبخ .

بعدما تملك والدي الكرم الموحد الكبير ـ الفضيلي ـ اخذ اهتمامه يتحول من التجارة الى الزراعة ـ وصار شغلنا الشاغل تمزيل الكرم من الحجارة ، وبناء جدار من حجر البازلت يحيط به من جميع الجهات لحمايته من الحيوانات ومن السارقين .

وكان الخطر الذي يتهدد نشوء الكروم والبساتين عندنا هو البدو ـ فالبدوي يكره ان تسيج الارض وان تتحول من مراع الى كروم وبساتين ـ فالمرعى في متناوله ولمصلحته ، اما الكرم والبستان فليس له فيهما نصيب ـ وهو يميل الى التخريب ، وحتى بعدما يصير الكرم كرما ، يعدو عليه ويسرق من نتاجه ، ويحاول ان يزعج صاحبه ، طمعا في ان يجعله يتخلى عنه ، ليعود مرعى مرة اخرى : صراع بين الحضارة والبداوة يظهر ان امتنا مرت به مرات عديدة في تاريخها الطويل .

كنا نذهب جميعا الى الكرم ومعنا طعامنا وشرابنا ـ ننقل الحجارة ونناولها والدي وهو يبنيها صفا صفا ، وهكذا شهورا وشهورا متتالية حتى يقوم جدار كامل يستغرب الانسان ان يكون قد بناه رجل واحد بمعونة اهل بيته . وكان القسم الاول من الكرم مغروسا عنبا مثمرا ، اما القسم الثاني فقد غرس والدي قسما منه وابقى القسم الاخر صليخا لزراعة الحبوب والخضار والبقول . ولما صار القسم الثاني مثمرا عاد فجدد القسم الاول مستبدلا باغراسه اغراسا جديدة .

وبعد بناء الجدار والغرس تحول الى ازالة الصخور من الارض ـ فقد كانت صخور كثيرة منغرسة في انحاء مختلفة من الكرم ، وكان يقتلعها بالمخل (العتلة) وكثيرا ما يجزئها ، يكسرها ليسهل عليه اقتلاعها ، وذلك حفرا بآلات البناء المعروفة ، ثم يدق فيها الاسافين حتى تنفلق ـ وكان لديه من آلات البناء : المهدة ـ والشاقوف ـ والبيك ـ والترابيك وكان يلفظ الترتبيك ـ والبيك مدبب بسيط اما الترابيك فمدبب مضلع (له اربعة اضلاع كما يدل عليه اسمه بالفرنسية) . وكانت هذه

الالات قد تركها لوالدي البناؤون الشويريون (من الشوير في لبنان) الذين بنوا لنا القسم الحديث في بيتنا وهو كناية عن غرفتين بينهما ايوان مفتوح ، مع مطبخ ودرج سماوي يصعد الى السطح ، واصبح سطح القسم القديم متصلا بسطح القسم الحديث ، فصار المنزل من المنازل شبيه الكاملة في قريتنا .

ولكي اكمل تقريبا رسم وضعنا ، ونحن على ابواب الثورة ، لا بد من ذكر بعض الحوادث البارزة في هذا المجتمع المتحرك كان اسم اللجاه ، ومعركة اللجاه ، وحرب اللجاه ، يدور على الالسنة ـ واعرف ان حملة شنت على اللجاه من قبل اهل الجبل لان عرب اللجاه قتلوا بعض اهل الجبل ، وسمعت عن معركة (محجة) ولكنني في الواقع لا استطيع ان اميز بين ما عرفته بالتذكر وما عرفته من خلال السماع والمطالعة بعد ذلك ـ ولهذا لا اقف كثيرا عند معركة اللجاه او محجة وآسف ان تكون معارك العرب الداخلية من جملة اسباب ضعفهم ومعوقات وحدتهم .

انما اذكر حادثة اخرى ـ داخلية ـ هي معركة صلخد . فقد اقتتل اهالي صلخد فيما بينهم : آل الشوفي (الشوافنة) وانصارهم من جهة ، وآل الشومري والجرمقاني وانصارهم من جهة اخرى . وقد ترتب على ذلك جلاء او اجلاء آل الشوفي عن صلخد ، التي فقدت ما يقرب من سبعين قتيلا . وقد رايت عددا من شبان آل الشوفي في بيتنا يقيمون مدة ويسهر عندنا اقاربنا واصدقاؤنا احتفاء بهم ، وينتقلون من بيتنا الى بيوت اقاربنا او اصدقائنا ـ وحينما يحدثون والدي يقولون « يا خالي » وهو كذلك ـ ثم بحثت عن ذلك فعرفت ان والدتهم من آل الصغير ، من عرمان ، وباعتبار ان آل الصغير وآل المتني في عرمان هم من عائلتنا وقد تبدل اسمهم خلال رحيلهم من لبنان الى حوران ، نسبة الى جد صغير لفت النظر بصغره المفرط بينما اهله مشهورون بالاجسام الطويلة العامرة ، ونسبة الى المتن الذي نحن منه ، فاصبح كل واحد من آل الشوفي كأنه ابن اخت كل واحد من آل ابو الحسن ـ او الصغير ـ او المتني ـ وعادات وارتباطات عشائرية طالما قرأنا عنها في كتبنا .. وعرفت عددا من فرسان قريتنا المشهورين لمناسبة هذه السهرات .

وكنت أرى في بيوتنا ضيوفا من آل ابو راس ، من الرحى ، واسأل عن سبب قدومهم فأعلم انهم يسعون الى الصلح بين عائلتنا وآل نصر في نجران ـ لماذا ؟

لان احد افراد عائلتنا ـ سعيد الصغير ـ في السويداء قتله رجل من آل صلاح الدين ـ وهؤلاء يمتون بالقربى الى آل نصر ، وتقاليد الاخذ بالثار كانت تقضي بأن يذهب رجال العائلة المسلحون فيداوروا (يرصدوا حسب التعبير الحديث) بيوت آل نصر في نجران ، ويضعوا علامات داخل بيوتهم ، ترمز الى مقدرة المداورين على قتلهم لو شاءوا ، فكانوا يضعون الفشك في اجران القهوة (المهابيج) او تحت راس الرجال النائمين ، او يطلقون بضعة عيارات نارية باتجاه بيوت معلومة ، ويعودون على خيولهم ليلا الى عرمان ـ اكثر من مائة كيلو متر ذهابا وايابا كانوا يقطعونها كل مرة . والعائلة الموتورة التي لاتدار الوائرين تفقد اعتبارها بين العائلات . وكان آل ابو راس مشهورين بمزايا القضاة العشائريين ، مشهورين بحل المشاكل ، ولذلك كانوا يزورونا وظلوا كذلك حتى حلت المشكلة وعقدت الرابة ، راية الصلح .

في تلك الايام ايضا كان والدي قد صفى شركته التجارية مع خالي وانصرف اكثر فاكثر الى العمل الزراعي ـ كما اسلفت ـ وفي احد الايام فوجئنا بزيارة رجل من قرية مجاورة عليه هيبة ووقار ـ ولا اذكر اسمه بسبب ما سيأتي من حوادث . جاء هذا الرجل وعرض على والدي ان يشاركه في تجارة وقال لوالدي : «ان استقامتك المشهورة تغني عن كل اعلان ـ ولذلك ارى ان تضع ما سارسله اليك من بضاعة في احدى غرف بيتك وسترى انك تبيع وانت في المنزل ، تبيع بالجملة لتجار المفرق وتبيع بالمفرق عند اللزوم . واقتنع والدي وقبل بالشركة او وقع في الفخ ـ كما سنرى ـ وما لبث ان جاءت قافلة جمال محملة بضائع كدسها والدي في غرفة بيتنا الشمالية الشرقية التي كانت تمتاز بأن لها بابا الى الخارج وبابا الى الداخل بطريق الايوان ـ واخذ يمارس عمله التجاري الى جانب عمله الزراعي ـ وقد اغراني مرة ما فيها من التين المجفف فاخذت منه بضع تينات واكلتها من دون استئذان والدي وانقضى عمري كله وانا متحرج من هذا العمل ولم اغفره لنفسي ـ مع انني متأكد من انني لو سألت والدي ان يعطيني تينا لاعطاني الكيس كله وحاسب شريكه به ـ فضلا عن ان التين الطازج كان يحيط بدارنا ويملأ كرمنا . ولعل هذا من العلامات البارزة في نوعية اخلاقي ـ الم يقل لي والدي : « الصدق اولا والصدق آخرا ، والامانة من الصدق » .

ليس من اجل هذا اذكر هذه الشركة ـ بل من اجل شيء آخر : فقد كان والدي يستوفي ثمن البضاعة ـ كما كانت العادة الغالبة آنذاك ـ اشياء عينية : كالسمن والحبوب والصوف ـ وكان يرسل ما يتجمع لديه الى شريكه ويسجل ما يرسله في دفتر ذاكرا التاريخ وعدد العبوات واسم الناقل صاحب الجمال ومقدار الاجرة المدفوعة له . وفي احد الايام قدم الشريك المحترم ليطالب والدي بثمن البضاعة : فاستغرب والدي وفتح الدفتر واخذ يقرأ للشريك الكميات المرسلة وما يقابلها من ثمن بتاريخ الارسال .

وصعق والدي لانه تكشف له ان هذا الشخص المتزيي بزي رجال الدين ليس سوى محتال كبير ـ وادرك سر عرضه الشراكة عليه وتساهله المبدئي ، ورفضه ان

ياخذ اي توقيع مقابل بضاعته مكتفيا بتلاوة الفاتحة . وكان لا بد من مقاضاته . فرفع الدعوى عليه ، او رفعها هو على والدي — لا اذكر ذلك — لدى المحكمة البدائية بالسويداء — وكان رئيس المحكمة السيد علي عبيد الشاعر الثائر المعروف ووالد الصديق الشاعر الاديب الاستاذ سلامة عبيد — وبعد عدد من الجلسات وسماع الشهود من الذين قاموا بنقل العينيات وتسليمها الى الشريك ، اصدر رئيس المحكمة قرارا لصالح والدي ، وكان قرارا مشهورا تحدث عنه الناس طويلا لطرافة الدعوى وندرتها في بلاد اشتهر اهلها بالصدق والاستقامة . وظلت صورة رئيس المحكمة العادل الذي وصفه لي والدي تداعب خيالي حتى سعدت بمعرفته بعد ذلك بنحو عشرين عاما ورويت الحادثة للاستاذ سلامة عبيد بعد ذلك بسنين كثيرة .. اما الشريك فسيجيء يوم ارد له فيه (الجميل) وانقذ من براثنه صديقا كان قد اوشك ان يقع بينها ..

تلك الايام ، ١٩٢٤ و ١٩٢٥ كنا نسمع همسا بما يقوم به الحاكم كريبه من مقاطعة الزعماء وعزلهم عن الشعب ومن سجنه للذين لايتقيدون بالمقاطعة، وتسخيرهم للعمل في رصف الشوارع والطرقات ، وتكسير الحصى الذي يفرش فوق الحجارة المرصوفة ، وفرض الغرامات الباهظة ، واتيان الاعمال المنفرة المختلفة ، وحضرت كولد طلعة ، اجتماعا كان يتحدث فيه رجل يرتدي اللباس المدني ويسمونه « الرحالة » ، ولم أدر ان هذا الرجل هو الذي سأقرأ كتبه كبيرا — حنا ابي راشد .

وكنا خلال العطلة الصيفية نساعد اهلنا في اعمال الحصاد ونطارة الكروم نهارا ، وانام مع والدي في الكرم ليلا وقد تولدت بيني وبين الكرم رابطة روحية عميقة فكنت الجأ اليه ، واناجيه واتعرف الى دواليه واحدة واحدة ، حتى صار في مستطاعي ان اعرف نوع العنب من ورق الدوالي : فهذا احمر وهذا اسود وهذا سلطي او عجلوني ، وهذا عاصمي وهذا بلدي وهذا دربلي ، وهذا شموطي ، وهذا قاصوفي وهذا حلواني وهذا خلري (خضري) او ممسك الخ ..

ومن الحوادث المؤثرة في حياتي ، ما لقيته من عطف بنت صغيرة من عمري او تصغرني قليلا — فكانت تهتم بي تتسقط اخباري من اخيها او من غيره ممن يرافقونني الى المدرسة او الى اي مكان آخر .

كنا طفلين في تفكيرنا وتصرفاتنا ، نحلم بالمستقبل البعيد ، نحلم بان نصبح شخصيتين بارزتين في القرية ، وليس امامنا يومذاك افق اوسع من افق القرية — لقد علمتني تلك الفتاة معنى الطهر والبراءة ، علمتني كيف يستمد الانسان القوة والطموح والمثابرة والاصرار على النجاح ، من رابطة روحية ، تقوم بينه وبين انسان آخر ، يتفاهمان ، يتحابان واذا كل شيء بينهما مشترك ، واضح نقي ، يحفز الى تخطي العقبات ، وتسلق الذرى ، نحو الهدف الاسمى ، نحو الكمال المطلق ، والجمال المطلق . بنت الجيران هذه ما انفككت اذكرها بالخير وساظل حتى اخرج من هذه الدنيا ولا سيما ان ظروف وفاتها وافتراقنا سيأتي ذكرها في هذه الذكريات في وقت حدوثها .

وكانت هناك مناسبات تلعب فيها تمثيلية العريس والعروس — تلتقي مجموعة من البنات ومجموعة من الصبيان وينظمون مسرحية عريس وعروس — يقع الاختيار على العروس اولا، وتكون عادة اجمل الموجودات. والعروس تختار عريسها — وتمثل حفلة عرس كاملة ، غناء وضرب دفوف ، وانتقال من نقطة نسميها بيت والد العروس ، الى نقطة اخرى نسميها بيت والد العريس ، وتزف العروس الى العريس ، فياخذ بيدها ، ويجلسها الى جانبه بعض الوقت ، ويتحلق الاخرون في دبكات واهازيج جميلة ، ثم ينصرف الجميع وينتهي دور العروسين : بهذه الجلسة المشتركة ، في جو مرح — وكان ذلك يترك بعض الاثر في النفوس الحساسة ، فانا كنت اشعر نحو من تنتقيني عريسا لها — وما اكثر ما كان يحدث ذلك — بشيء من الخجل ، فينصبغ وجهي بالاحمر ، ووجهها كذلك كلما جمعتنا احدى المصادفات . وكان ذلك يثير شيئا غير قليل من الحسد والغيرة في نفوس بعض الرفاق ، ممن لا يقع عليهم الاختيار . فتحدث بيننا مشاحنات ، ومشاجرات ، وتهديد ، ووعيد ، ومقاطعة كثيرا من الاحيان .

وكنت اسهر بين الرجال عندما يكون لدينا ضيوف: لوجود الضيف يستتبع دعوة عدد من الرجال ، من الاقارب والجيران والاصدقاء ، وبعد تناول العشاء يمتد السمر حتى ساعة متاخرة من الليل ، وتدور الاحاديث حول المشاكل اليومية : الموسم ، المطر ، التعدي على المزروعات ، حالة الكروم ، ظهور انواع جديدة جيدة من العنب او البطيخ او غير ذلك ، وقد يتخلل ذلك رباب وشعر شعبي عن الحرب والحب ، والاخلاق ، او قراءة قصص عنترة ، وبني هلال ، والملك سيف بن ذي يزن ، والسندباد (من الف ليلة وليلة) .

وتدور الاحاديث عن معارك الجبل ضد البدو في سبيل الاستقرار والامن ورد الغزوات ، وقطع دابر السلب ، والنهب ، ولا سيما الاعتداء على الكروم والمزروعات ، وسلب المواشي بطريقة النزو المعروفة . وعن معارك الجبل ضد الاحتلال العثماني ، ووصف البطولات الخارقة الفردية والجماعية . وكلما بدأ متحدث حديثه عن احدى المعارك جاء بالضرورة على ذكر المغزع الذي يجيء باعلى صوته طالبا النجدة . وكيف كان يخاطب القوم بالسؤال التالي : « وين راحوا النشامة ؟ » — « اين راحوا الشجعان » — « النشامة وين راحوا ؟ » — « مرخصين الروح مهبين الريح وين راحوا » — « اين راحوا الذين يرخصون ارواحهم ويجعلون الريح تهب في

الاتجاه المناسب » ـ والناس يجيبونه : لعينيك يا صابح. النشامة جوك يا صابح . (جاؤوك) (٢) .

ولا بد ان يجيئوا بخاصة على ذكر النار الموقدة فوق القمم : نار الحرب ، وهذه النار يقصد بايقادها ايصال الانباء الخطيرة باسرع وسيلة ممكنة ، في عصر ما قبل اللاسلكي والهاتف ووسائل الاتصال العصرية المتطورة الاخرى .

ففي اقل من ساعة توقد النيران على قمم : جبل الشوف ، جبل الشيخ ، تل القليب (في جبل حوران) فاذا كل البلاد التي يقيم فيها بنو معروف قد اخطرت بالحادث الداهم ، واتخذت استعداداتها في عفوية تكونت وسط التجارب والمحن .

وهكذا كانت النيران على القمم ، الهم المقيم لكل مواطن في هذه الديار ، يرقب رؤيتها باستمرار، ويستجيب لها ترمز اليه بلا تردد ، ويتحمل مسؤوليته بلا تذمر . انه الواجب ، الواجب الوطني القومي ، واجب الرجولة تجاه ذاتها وتجاه الحياة التي لا تصبح مستحقة الا بهذا التحفز الدائم وهذه الهمة المستنفرة ابدا .

من خلال تلك الاحاديث التي كنت اصغي اليها واستوعبها صرت اعرف كل شيء عن قريتي وتاريخها المشرف ، وعن عائلاتها ورجالاتها : عرفت تفاصيل معركة الخراب المشهورة ومعارك ممدوح التي سبق ذكرها ، وعرفت تفاصيل معارك اقرب عهدا منها وهي معارك عام ١٩١٠ المعروفة بحرب سامي باشا (سامي باشا الفاروقي قائد الجيش التركي في تلك الحرب) . عرفت مثلا ان بيرق عرمان (ويكنى بالبيرق عن مجموع المحاربين من القرية الذين يسيرون تحت راية حربية واحدة اسمها البيرق) هو الذي دهم جيش سامي باشا الفاروقي الذي كان معسكرا في قرية الكفر يستعد لغزو عرمان دهمه بهجوم مفاجيء ساعة العشاء ، فافسد على الجيش عشاءه ، واوقع في صفوفه خسائر فادحة فضلا عن الرعب والذعر اللذين استوليا على الجنود . وكيف انتقم الجيش عندما استولى على عرمان فيما بعد فاستدعى ثلاثة من آل صيموعة (وهي العائلة التي يتوارث ابناؤها حمل البيرق في عرمان جيلا عن جيل) واعدمهم رميا بالرصاص ونكل بالاهلين تنكيلا طورانيا جديرا بآل (ارطغرل) . وعرفت ان اهلنا استبدلوا بسلاحهم القديم الذي كان يحشى من فوهته ، والذي استعملوه طوال القرن التاسع عشر ، سلاحا جديدا له فشكة جاهزة تلقم امام المغلاق وتطلق في سهولة ويسر واسم السلاح الجديد المرتيني او الباليكي او بارودة ام زر ـ وقد شاهدت هذه الانواع الثلاثة خلال طفولتي في ايدي رجالنا حتى بعدما حلت البنادق الالمانية (الماوزر) ، والعثمانية (العصملية المعدل) محلها ، خلال الحرب العالمية الاولى .

ومن الاشياء الطريفة التي سأعرفها فيما بعد ان مصطفى كمال ، اشترك في معارك سامي باشا في الجبل ، وكان برتبة نقيب ، وهزم في احدى هذه المعارك . وهذا يدل على اتساع تفاعل الاحداث الثورية وتداعيها وتأثيرها في كيان الدولة المحتلة ، حتى لتضطرها الى استخدام كل قواتها للتغلب عليها .

عرفت المزيد من التفاصيل عن طريقة والدي في معالجة الامور وحسمها . عرفت انه كان قد تبنى مواقف محددة من كل مسالة ، وان هذا كان يسبب له مضايقات، ويخلق له خصوما حتى بين الاقارب الاقربين ، ولا سيما الذين لم يكونوا قد قراوا شيئا ، ولا سافروا ، ولا خالطوا الناس خارج محيطهم القروي الامي الضيق .

كان ـ مثلا ـ اذا التقى احدا من مواطنيه خارج الجبل لا يقبل ان يعامله على اساس مركزه التقليدي الموروث في القرية ، بل يعامله على اساس انه شخص عادي لا يعرف كيف يجب ان يتصرف في معاملة الناس . ويقوده ويفرض عليه طريقته في التعامل : طريقة الرجولة والاستقامة والصدق والكرامة . وحدثني عن طرائف حصلت بينه وبين اصحاب « الاختام » في القرية الذين كانوا لا يكترثون له ولامثاله من غير طبقتهم، ما داموا داخل جدران القرية وامام معارفهم واهلهم واقاربهم فيها ، حتى اذا وجدوا انفسهم مع ابي خارج هذه الجدران جعلوه قائدهم ورائدهم حتى يعودوا الى القرية ، فتعود حياة النفاق والتزييف والمظاهر الكاذبة ، الى السيطرة .

كان يكره الظلم ايا كان نوعه ومصدره ، وينتصر للمظلوم دونما نظر الى انتمائه الطائفي او الاقليمي ينتصر له حتى على ابناء قريته وطائفته وعشيرته .

فقد حدث مرة ـ على سبيل المثال ـ ان مدير ناحية تركيا في صلخد كان له عميل في قريتنا سلطه على الاهلين من الحضر والبدو ـ فصار يأمر وينهي . يفرض الاتاوات على الجميع ـ وفي يوم من الايام جمع ابل عشيرة من عشائر البدو ـ رعاة الجبل ـ وحبسها في ساحة واسعة رافضا اطلاقها الا مقابل دفع مبلغ كبير ، ولم تكن العشيرة مذنبة في شيء : فلم تعتد على مزروعات ولا على حمى (٣) ـ وكانت ضوضاء النوق وصراخ اصحابها واستغاثاتهم تشق عنان السماء ، ولا من يجرؤ على التوسط ولا من يجرؤ على مجرد السؤال . وجاء وجهاء العشيرة الى والدي فاستنجدوا به ـ وشرحوا له الموقف على حقيقته، وحينما اقتنع بأن القصد هو الابتزاز دون سواه قال لهم : « اتبعوني » وسار امامهم حتى اتى موقف الابل ، وخاطب الغاصب في حزم ، طالبا اليه ان يخلي سبيل الابل فورا ـ فرفض مشيرا الى ان « سعد الدين » مدير الناحية التركي يدعمه . فتقدم والدي منه فهم الغاصب بأن يضربه بعصا من لوز تنتهي بكرة ويدعونها (الدبسة) فانتزعها والدي منه وصفعه على جبهته صفعة قوية تركت جرحا مكان

الى شاعرة شكلي

فيثارة الشعر انغاما والحانا ... وآية الفن ابداعا وتبيانا
وايكة الادب الممتد وارفها ... كانه وارف الفردوس فينانا
غريدة الروض يا قمرية صدحت ... فهيجت في صميم القلب اشجانا
اليس يكفيك يا خنساء انك قد ... ذوبت قلبك آلاما واحزانا ؟
فكم صبغت قوافي الشعر قانية ... من الجراح وكم فجرت بركانا ؟
كنت الوفاء بمنيا لا وفاء بها ... وكنت في صفحة الاخلاص عنوانا
اليس تكفيك آهات قد انتزعت ... من الشغاف وقد قرحت اجفانا ؟
اليس يكفيك ان النوم يغمر من ... قد فارقوا غير طرف ظل سهرانا ؟
فلست وحدك في الدنيا التي فقدت ... حبيبها فبكت سرا واعلانا
فكم سقينا كؤوس الحزن مترعة ... وكم فقدنا حبيبا عز فقدانا ؟
وكم سهام الردى هدت اضالعنا ... وحطمتها وريب الدهر ابكانا ؟
والله ننزف حتى الروح اجمعها ... لو كان يرجع هذا النزف موتانا
ان الذي هون البلوى وخففها ... من ثقلها ووجدنا فيه سلوانا
بان مسرى الاتى للقبر قد رحلوا ... برغمنا انه لا شك مسرانا
فالعمر يجري الى ما لا رجوع له ... وسوف يجرفنا الاعصار طوفانا

بغداد ـ ص.ب ٤٦٧ — باقر سماكة

الاصابع الاربع ، وانطلق البدو بابلهم وهم فرحون يهزجون « راية البيضا تنشى محمد » واحتفظ والدي بالدبة للذكرى ، وظلت لدينا طوال وجودنا في القرية ـ ولجأ الرجل الى سعد الدين التركي . ولكن والدي شرح لهذا الاخير بلغته ما كان من امر « زلمته » فاقتنع . ولا سيما انه راى آثار الجرح في الجبهة وهي اقوى وسائل الاقناع في ظل قانون الغاب ..

اتحدث فقط عن الامور التي حدثت قبل معايشتي لوالدي . اما التي حدثت بعد ذلك فستأتي في مكانها من هذه الذكريات .

(١) المرحوم هو والد الاستاذ سعيد الصغير الاديب المؤرخ المعروف وقد سمي باسم والده لولادته بعد مقتله .

(٢) وصلت هذه الامور في كتابي « بنو معروف بين السيف والقلم »

(٣) الارض الحمى ـ الممنوع رعاية الواشي فيها مدة من الزمن .

السويداء ـ سورية — سعيد ابو الحسن



الياس ندور

الشاعر الياس ندور يعزف لحن الماضي

بقلم عيسى فتوح

* * *

كما عاش الشاعر الياس ندور حياته بعيدا عن الاضواء ، لا يساهم في الحركة الادبية الا من بعيد ، كذلك رحل عنا بصمت دون ان تذكر الصحف خبر وفاته على الاقل ، فلم يكن حظه في موته بأفضل من حظه في حياته . لقد قضى نصف قرن يعلم اللغتين العربية والفرنسية في طرطوس ، يثقف الاجيال وينير عقولها جيلا بعد جيل ، يقرأ ويكتب ويصحح ويذيب صحته بين المحابر ومنابر التدريس ، واصلا ليله بنهاره ، ولما وافته المنية لم يتطوع احد من اصدقائه وتلامذته الكثيرين للكتابة عنه .

لم اكن اعرف الكثير عن حياة الشاعر المرحوم الياس ندور ، وقد التقيت به مرتين او ثلاثا في مقر اتحاد الكتاب القديم وتحدثت اليه ، ولما نويت الكتابة عنه ، ذهبت الى ذاتية الاتحاد لاطلع على محتويات اضبارته ، لعلها تمدني ببعض المعلومات ، واقرأ فيها سيرة حياته بقلمه ، كما هو مفترض ، فلم اجد فيها للاسف غير اخراج عن قيد نفوسه ، وسجل عدلي (لا حكم عليه) وغير طلب قدمه عام ١٩٧٢ لاتحاد الكتاب يقول فيه انه تقاعد من وظيفته في التعليم ، ويضع نفسه تحت تصرف الاتحاد للعمل في مجلة « الموقف الادبي » .. بالاضافة الى صورتين فوتوغرافيتين !

كل ما استطعت ان اعرف انه ولد في قرية «ساعين» بمحافظة طرطوس عام ١٩١٢ ، ودرس في اللاذقية حتى حصل على اهلية التعليم الابتدائي ، وكتب بالعربية والفرنسية ، ومارس التعليم بهما في ثانويات طرطوس حتى عام ١٩٧٢ ، حيث احيل الى التقاعد ، فانتقل الى دمشق مع اسرته . وانه بدا ينشر كتاباته في الثلاثينات ، عندما كانت الحركة الادبية لا تزال في بداياتها ، ثم توقف واعتزل الحياة الادبية ، مقتصرا على النظم والترجمة دون النشر ، فكانت حصيلته الشعرية ديوانا واحدا فقط صدر عام ١٩٧٩ بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب ، اسماه « لحن الماضي » وضم ستا وثلاثين قصيدة ، انتقاها من رصيده الشعري ، فقرت عيناه بهذا الديوان قبل ان يغمضهما الموت ، وغمرت الفرحة نفسه بمولوده الوحيد الذي انتظره طويلا ، وقد اهداه الى جميع الذين احبهم : زوجته وابنائه ، اهله وانسبائه ، صديقاته واصدقائه ، زميلاته وزملائه ، طالباته وطلابه .

تدور قصائد الشاعر في الديوان حول الوصف والغزل والطبيعة والوطنيات ، وجميعها تقريبا عمودية على ابحر الخليل ، باستثناء قصائد قليلة جدا ، كقصيدة « من منقذي » وقصيدة « الى ابنتي » اللتين حاول ان يجدد فيهما في الشكل فقط ، اما معانيه وافكاره فظلت كلاسيكية عادية وكذلك صوره وتشبيهاته والفاظه وتعابيره يقول في قصيدة من منقذي :

عيناك وارتعش الفؤاد
ورحت في عينيك
عبر الومض ، عبر الرعد
اغرق
واعب خمرهما ، اسافر فيهما
اسعى الى المجهول
والاحلام زورق .

وكثيرا ما كان يهتم بوصف المرئيات والالوان والروائح والمشمومات ، فهي تعكس رهافة احساسه ، وسرعة تاثره ، وشفافية طبعه ، ومرونته في الاستجابة ، كما في وصفه نحلة رآها في احد البساتين فراح يقول فيها:

حطت على روض مع المشرق تستاف عرف الظل والزنبق
تختار ضرب الزهر مجنونة بالاحمر القاني وبالازرق
والابيض المعرس في فجره والاصفر المفرورق الانيق
والقاتم المرشوش يزهو على عريشه المنتظم الشيق

وهو كشاعر نبت في الريف ، وعاش في كنفه طفولته وفجر شبابه ، لا بد الا ان تستوقفه مناظره الخلابة ، وحياة الفلاحين والرعاة فيه ، ينهضون مع الفجر ، ويخرجون الى الربى والوهاد ، ليزرعوا ويحصدوا ويغنوا ويعيشوا مع الطبيعة الخيرة المعطاء ... فلنسمعه يخاطب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الراعي وكلبه النشيط الامين الذي يلعلع القطيع المشتت هنا وهناك :

قسر ونيسدا وراء القطيسع ... بتسوب يهل اريج الربيع
وكلسب ولي ذكي سريسع ... ينط شمالا جنوبا امسام
يلملسم اشتسات هذا الزحسام

لم يقطع الشاعر المرحوم الياس ندور صلته بقريته الوادعة التي تنام وتصحو على كتف الجبل ، بل ظلت تلوح لناظريه كلما شط به النوى واقصاه البعد ، يحن الى امسياتها الدافئة ، وصباحاتها الندية ، ومياهها العذبة ، وطيورها المغردة ، ونسائمها المعطرة ، وبيوتها المبعثرة كانها قصيدة غزل فيقول :

يا حسنهسا قريتنسا ... مزروعسة في الجبسل
كنجمسة معلوسة ... عسلى جسدار الازل
او عش نسر راصسد ... طريسدة في زحسل
مسساؤها زبرجسد ... وفجرهسا من عسل
ومسساؤها مجسرة ... من كوثسر مسلسل
وريحهسا فاغمسة ... بعنبسر ومسنعل
ودورهسا منظومسة ... قصيسدة للغسزل

وتؤلمه مشكلة الفلاح المضطهد في ريفنا ايام الاقطاع ، فهو يتعب كثيرا وينال قليلا ، يجسوع ليطعم السادة ، ويعرى ليكسو الاغنياء ، ويزرع ليحصد المستغلون زرعه ويجنوا ثمرة اتعابه ، فيخاطبه قائلا :

سمائك هذي الارض تزدهسا كبرا ... فتمرع خيرا والربى جنة خضرا
وتقري جياع الكون خبزا وصحة ... وتكسوهم دفئا وانت الذي تعرى
فيا لك من شهم رحيسم فؤاده ... يطارحنا حبا ، فنطرحه قسرا

وتهتز مشاعره الوطنية في قصائد مثل : « مجد العروبة » و « الفدائي » و « ثورة لاجيء » و « عاش الفداء » ، وينتفض كبرا وبثور غضبا على المستعمر الفرنسي الذي ضرب دمشق ، وجعلها طعمة للنيران عام ١٩٣٥ ، بأمر من القائد الفرنسي اوليفا روجيه ، فهبت دمشق لتنتقم وترد كرامتها المهدورة ، وتستعيد مكانتها تحت الشمس :

هبسبت دمشسق فوا دمشسق ... وصوت جلق كيف يهسدا
ومشت لنصرتنسا الاشاوس ... من عرين العرب اسدا
قسدت بواكسير الشهسادة ... في فم الاحسرار شهسدا
اللة اكبسر لم نسراع ... لسالب الاقسداس عهسدا
تسأبى العروبسة ان تسذل ... وان تسسام الخسف عمدا

ويتفطر قلبه الما على اللاجئين الفلسطينيين الذين تشردوا تحت كل كوكب ، لا مأوى لهم غير خيام مرقعة بالية من الخيش المهزق . انهم في نظره وصمة عار في جبين الانسانية ، ولطخة سوداء لن تزول الا بعودتهم الى ديارهم المغتصبة . ويستغرب كيف تستباح ارضهم وتنتهك حقوقهم ، ولا يهتز ضمير العالم ؟ يقول على لسان احد اللاجئين :

البسرد يفسدع اوتسادي ... والريسح تخلخسل اوتسادي
والمساء المنهمسر الجسادي ... يغسرق بالرعسدة اولادي

ويصف الخيمة الذليلة فيقول :

يسا دار النفسى يسا داري ... يا دار الخيسش المشسدود
يا صرحسا يبنى من عادي ... عسار الانسسان المطسرود

ويصل به المد القومي ، والغضب الوطني الى حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ ، فيعجب ايما اعجاب بنورنا الابطال الذين حققوا المعجزات، فتهاوت الطائرات الاسرائيلية على ايديهم كما الفراش ، ويفخر باولئك الجنود الذين عرفوا كيف يسددون صواريخهم الى قاذفات العدو بدقة واحكام ، فتراءت شعلا ملتهبة فوق ارضنا الابية :

نسورنا تقص في الضحى جدائل الغيوم
تخاصر الغمام في مسيرها الى النجوم
صاروخنا يطارد المراج والفانتوم
يروض المسافة البعيدة البعيدة
وتغتص الطيسور في اعابهسا بشر

ولم يكتف الشاعر الياس ندور بهذا ، بل احتضن مأساة المذبين والمضطهدين في المجتمع العربي ، ووقف الى جانبهم ، وآلمه بؤسهم وشقاؤهم ، وكان الصوت الذي نطق بما كانوا يعانون من قهر وذل وعسف ومرارة ، وقد جسد هذه الوقفة ـ القضية في قصيدته «صرخة البؤس» فقال :

يا سرير الاسى عرفتسك دومسا ... ناشرا سر غيبتسي وحضسوري
باكيسا ان بكيت دون دمسوع ... شاكيا ان شكسوت دون شعور
تملا الدار انسة وجشيا ... ترى انت مولسع بالجشسر
ام تعلمت ان تكون رحيمسا ... يسوم اليت ان تكسون سميري
بمريض يموت دون عسلاج ... وفقير يموت دون مجسير
وايسامى مشردات بسواك ... ويتسامى على حصير حقسير
وضعيف تدوسسه رجسل بساغ ... وغريسب مشرد معسسور
وكريم يصونه كسف هسات ... ويريه يسدان دون نصسير
آه لو كنت يا نجي بساطسا ... او غطساء لنسازح مقسرور

كان الشاعر الياس ندور شاعرا انسانيا ، طيبا ، متواضعا ، ابيا ، كريم النفس ، رفيع التهذيب ، عالي الإخلاق ، محمود السيرة ، يحب الناس على اختلاف نزعاتهم وميولهم ، لا يفرق بين مخلوق وآخر ، يتمنى لو يعم الصفاء والاخاء والسلام شعوب الارض جميعها . يقف الى جانب الفقير والمظلوم ، وينصر الضعيف والمسحوق ، يسعده ان يكون مخدة لرأس متعب ، ولقمة في فم كل جائع ، ولعبة يلهو بها كل طفل محروم ..

لقد ضمن قصيدته « الى ابنتي » وهي آخر قصائد ديوانه « لحن الماضي » هذه الامنيات العذاب ، فكانها كانت وصيته الاخيرة قبل موته ، ورسالته الى الانسانية فلنسمعه يقول فيها :

احب ان اذوب في محبة البشر
احب ان ارافق الغريب في السفر
ان امسح الدموع من محاجر اليتيم
واجعل الحياة في رحابه نعيم .
واخرج السجين من غياهب السجون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أغاني المساء

جن المساء فكل نجم شارق ... امسى يشع والدجنة ماحي
لم انس ليلا قد كلفت بسحره ... والبدر اشرق بالسنى اللماح
والروضة الغناء ازهر دوحها ... ستظل منبت نرجس واقاح
والطائر الصداح في وكناته ... يشدو بلحن كواعب وملاح
والنهر سلسال بربا مائه ... يجري بكل عشية وصباح
الحب شاع بشاشة وطلاقة ... جذلان يعبق بالشذى الفواح
ولكم هبطنا في المراعي والربى ... لنشم عطر الفل والقداح
ولرب فاتنة تجلى نورها ... وضح الصباح بوجهها الوضاح
هيفاء نافرة اخالها ... كالزهر فاح بنشره الفياح
كلف الفؤاد بها كصب هائم ... بين الحقول القيح والادواح
قد اصبح القلب المتيم هيكلا ... للحب للاشواق للافراح
كفي الملام فلست اشكو مثلما ... يشكو الجوى قلب الغريم اللاحي
اصليت قلبي بالنوى وباضلعي ... نار تشب بفؤدي ورواحي
هذا ربيعك رائع متهلل ... يحلو لعين المستهام الصاحي
والقلب مجروح يبيت مسهدا ... وتظل تنزف بالدماء جراحي

كربلاء ـ العراق

سلمان هادي آل طعمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانشر السرور في القلوب والعيون
احب ان اكون
دعامة المظلوم والفقير
وناصر الضعيف في كفاحه المرير
احب ان اصير
حشية لراس متعب اسير
او لقمة
لشدق جائع كسير
او جرعة
لحلق ظامىء مسعور
او دمية
في حضن طفلة يتيمة
تهزني ذراعها
في نشوة عظيمة ..

وبعد فاذا كان الشاعر الياس ندور لم يكثر من النظم ، وكانت حصيلته ديوان « لحن الماضي » فقط ، فعذره ان مهنة التعليم الشاقة قد امتصت خصوبته ، وجففت اعماقه ، وقضى على منابع الالهام في نفسه، بما تقتضيه من تكرار واجترار ، وحياة مع الصغار ، وانحدار الى مستواهم العقلي وتبسيط المعلومات لهم ، فكيف يستطيع والحال هذه ان يطير على اجنحة الابداع ، ويحلق في سماوات العبقرية ، وحسبه انه ادى رسالته كشاعر ومعلم على اكمل وجه ، وخرج عدة اجيال لهذا الوطن تؤمن بالعروبة والقومية ، فمات قرير العين، راضي النفس مطمئنا .

(١) الكلمة التي القيت باسم اتحاد الكتاب العرب في حفل تابين الشاعر الياس ندور عضو الاتحاد .

دمشق ـ قصور ـ كزبري ٤٨

عيسى فتوح

ترددت قليلا عند الباب.. ونظرت في ساعتي فوجدت انه ما يزال امامي بعض الوقت حتى ميعاد المكتب ، وكانت دقات الجرس ما تزال تدق وكانها تدعوني للدخول .. فلبيت

الواقع ان مكتبي بحاجة الى بعض الكراسي وسجادتين.. وربما وجدت ضالتي في هذا المزاد بسعر اقل من المحلات ..

يا..ه ، ما كل هذا .. موبيليات كثيرة .. كثيرة بدون نظام ، وتحف عديدة معلقة بدون ترتيب تابلوهات على كل حائط ونجف في كل مكان وسجاد يغطي كل شبر من الارض ، ليت المزاد يبدا بالسجاد اولا .. اذ انني لن استطيع البقاء هنا اكثر من ساعة .. ربما لا يباع فيها ربع اثاث غرفة واحدة اذا استمر المزاد بهذا البطء .. دقائق كثيرة تمر قبل ان

يدق الدلال بمطرقته فتنتقل ملكية شيء من شخص الى اخر ، وتضيع فرص ويبتهج مزايد .. ويندم اخر وصوت الدلال ومطرقته لا يكفان .. بيانو الماني .. طاقم فضية ، فازة كريستال ، آه هذه السكرتيرة الحريمي الانيقة .. ما اجملها لولا انه لا حاجة بي اليها .. ماذا افعل بها وانا اعيش وحيدا .. ترى ماذا تحتفظ السيدات في مثل هذه القطع الصغيرة ، صاحبة هذه السكرتيرة بالذات .. ماذا كانت تحتفظ فيها.. خطابات غرامية ؟ ان شكلها الجميل الدقيق لا يوحي لي بغير ذلك ، ولكن كيف هانت على صاحبتها ولها ما لها من ذكريات . بل كل قطعة من هذا الاثاث الفاخر لا بد لها في نفس اصحابها ذكريات .. فكيف يتخلون عنه هكذا ؟!

ولكن هل كان الانسان وفيا لاخيه الانسان حتى انتظر منه الوفاء للجماد ؟!

على انني لا يحق لي ان اتكلم بهذه المرارة .. انها لم تعاهدني قط على الحب ولم تعدني ابدا بالوفاء .. من اول الامر صارحتني بانها تحب شخصا اخر.. وانهما متفاهمان على الزواج.

اوه .. هذه سجادة ، ولكن لا .. انها كبيرة جدا .. لا اظن انني في حاجة الى واحدة في هذا الحجم ، ان مكتبي صغير وحجرة الزوار اصغر.. آه هذه السجادة .. انها صغيرة مناسبة تماما .. وبدا اول المزايدين مائتين وخمسين جنيه .. وخمسة وخمسين . وسبعين .. يا للهول انها عجمي .. لا لا داعي .. من غير المعقول ان افرش سجادة عجمي من اجل ان يدوس عليها الشيخ عبوض ابو عوضين عندما يشرف مكتبي كي ارفع له قضية على المدعو حمزة عبد المقصود لانه سرق من ارضه كوزين ذرة عامدا متعمدا ...

وطارت السجادة الثانية من يدي ايضا .. فعلمش خيرها في غيرها ..

ما أحلى الرجوع إليه

بقلم السيدة احسان كمال

*

واوقف الدلال المزاد لفترة راحة ، وقمت انا اتجول بين المعروضات .. لا شك ان اصحاب هذه الاثاثات اغنياء فانها كلها ثمينة للغاية .. ترى هل كانوا سعداء بكل تلك الرياش والتحف ؟ والان ماذا حدث .. بودي ان اعرف شعورهم وشعور ربة البيت على الخصوص وهم يبيعون اثاثها



ـ اثاث عرس لم يمض عليه كثيرا كما يبدو عليه ـ في المزاد العلني ، اكاد اوقن بان ربة هذا البيت تفرط في اثاثها وهي مغلوبة على امرها .. وان الغلطة وسوء التدبير مرجعهما الى زوجها ، فان السيدة .. اي سيدة تعتز باثاثها جدا ولا تتخلى عنه الا للضرورة القصوى لدرجة انهم يشبهونهن بالقطط من حيث كونهن عشاقا المكان .

مسكينة المراة .. الرجل يخطىء وهي تدفع الثمن .. على انه ربما لم يكن في الامر خطأ او ثمن .. ربما يبيع هؤلاء السكان اثاثهم ليشتروا خيرا منه .. او ربما كانوا مسافرين وصاحبة الاثاث بهذا السعر جد سعيدة .. الا ليتهم يكونون كذلك حقا ..

وحاولت ان ابدي الملل الذي احس به واقطع الوقت حتى يعرض شيء اريده .. فنقلت انتباهي من قطع الاثاث الى وجوه الحاضرين محاولا ان استشف من وجوههم وملابسهم الاشياء التي يريدون شراءها من هذا المزاد ..

هذه الفتاة الصغيرة لا ريب انها عروس ومعها والداها ، وفجاة سمعتها تتحدث بصوت عال ..

انتم كنتم بتقولوا نشتري نجفة ولا تابلوه بس .. مش نجيب الجهاز كله قديم . آه ما اذكاني .. انني اصلح محللا نفسانيا مهولا .. ولكن لا داعي ، خلي الجماعة بتوع علم النفس يكلوا عيش .. واغراني ذلك النجاح على تكرار المحاولة . هذا الرجل الذي يلبس في يديه خاتمين غريبي الشكل وفي ربطة عنقه دبوس على هيئة جمران وعصا من الابنوس لا ريب انه من هواة التحف القديمة، وهذا المعلم الضخم الجسم والشوارب لا ريب انه غني حرب راي احد خيرانه الكويسين يقتني ثلاجة كهربائية فاراد هو الاخر ان يحصل على مثلها، وهذه السيدة الانيقة التي تحاول ان ترى وجهها في كل مرآة او لوح زجاجي تمر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

به لتصلح خصلات شعرها .. انها لن تشتري شيئا قط .

وهذا الافندي الذي يمسك في يده مسبحة ويمضي يتمتم في سره .. يخيل الي انه لا يوجد سوى سجادة صلاة .. وهذه السيدة السمينة .. اراهن ان شيئا لن يلفت نظرها سوى الطقم الصيني والسرفيس ، وهذا الرجل الاصلع ذو النظارات السميكة والذي يجلس بعيدا سارحا في دنيا اخرى لا يعرفها سواه .. لا اظن انه سيزايد على اي شيء خارج حجرة المكتبة اما هذا الذي يدندن وهو يهز راسه منسجما فلا بد انه اتى وراء البيانو ..

اما هذه السيدة التي يكاد يغلبها النعاس فربما اشترت حجرة النوم!! وهذه الفتاة .. اوه نفس الفتاة الاولى العروس ، وكانت ما تزال ثائرة :

ـ انا عارفة ان العفش جديد ولوكس وبتاع عروسة ، ولكن وجه شؤم .. شوفوا صاحبته جرى لها ايه ؟

يا ترى صحيح جرى لها ايه ؟ تركت وجوه المشترين وعدت افكر في سيدة هذا المنزل .. لست ادري لماذا ، فلتكن حزينة متألمة لضياع عفشها ولكن ما شاني انا ؟ ، لقد اتعبت راسي من التفكير .. وكذلك تعبت قدماي من اللف .. سابحث عن مقعد استريح عليه حتى يستانف المزاد .

وفي غرفة الصالون وجدت المقعد .. هناك على المنضدة كانت مطفأة صغيرة بها اعقاب سجاير تحكي قصة الزائر الاخير .. او ربما كانت الجلسة الاخيرة لرب المنزل .

يحسن بي ان اقوم .. انني لن اجد اشياء متوسطة تصلح لمكتب ، وانا بالطبع لا .. يا الهي .. من هذه السيدة ؟ هل تكون هي ؟ نعم انها هي .. هي بكل تأكيد .. ماذا اتى بها يا ترى وماذا تريد من هنا ؟ ولكن .. انني لم ارها بين المتزايدين في الصالة ولا بين المعاينين في اي غرفة اخرى .. يبدو انها ... هل هذا معقول ؟ ولكن ماذا يعني جلوسها حزينة ساهمة في فستان بسيط اقرب الى الملابس المنزلية وليس معها حقيبة يد سوى انها هي فعلا ربة هذا المنزل ؟

هذا غريب جدا .. هل هناك فعلا ما يسمونه بالحاسة السادسة ولهذا كنت مهتما بأمر ربة البيت كل هذا الاهتمام ؟

واذا ففؤاد كان كما سمعت عنه فعلا والا فما الذي اوصل اثاث منزلهما الى يد الدلال ؟.. مسكينة عايدة .. قلبي معك يا عايدة .. هل يحق لي يا ترى ان اذهب اليها واحدثها ، ولكن ربما ظنت انني اشمت بها ، او ربما لم تكن تريد ان تراني اطلاقا .. انني لم انس اخر مقابلة لي معها .. كانت مقابلة عاطفية للغاية .. غضبت مني اشد الغضب حين حذرتها من فؤاد واخبرتها انه مدمن مراهنة وان القمار في دمه، وانه في الغالب لا يريد الزواج منها الا طمعا في مالها .

ولكن هل تظل غاضبة مني حتى اليوم .. وبعد ان تأكدت من انني لم اكن اكذب عليها عدت اراجع نفسي، من اين لي ان اعرف ان الامور كانت كما صورتها . آه .. يودي ان اعرف حقيقة ما حدث ولكن هل يليق ان اسالها ؟.. في هذه اللحظة دخل احد الخدم ليخبر سيدته انها مطلوبة للتليفون وانتظرت حتى قامت ثم اسرعت خلف الخادم .. واستطعت ان اكسب ثقته بعلبة من السجاير.. فعلمت منه ان تصوري كان في محله، وزاد عليه ان سيده قد اختفى تماما قبل توقيع الحجز على المنقولات .

يا للذل .. اتركها وحيدة ؟.. اين ذهب .. آه لو استطعت العثور عليه . ولكني لا اريد قط ان اعثر عليه .. فمن مصلحتي ان تظل عايدة وحيدة .. وفي هذه اللحظة دارت معركة بين قلبي وضميري الذي احتج بانني شرير كبير لانني اريد ان تبقى عايدة وحيدة ، ودافع قلبي عن نفسه :

ـ ولكن ما ذنبي انا .. هذا حدث وحده دون ان اتمنى حتى حدوثه .. وعلى فرض انني تمنيت ذلك فهل انا القدر حتى تنفذ كل رغباتي ؟

ـ مجرد سرورك لاحزان عايدة جرم ..

ـ وماذا تساوي بضع قطع من الاثاث ؟

ـ انت تعلم تماما انني لا اتحدث عن الاثاث .. فهي حزينة لفراق فؤاد .. فؤاد الذي تعلم جيدا كم تحبه .

ـ هل تظن انها ما زالت تحبه حتى الان ، وبعد كل الذي حدث .. الا تعلم ان الحب الكبير قد ينقلب الى حقد كبير بسبب تصرفات كهذه ؟

ـ ربما

ـ بل انني واثق .

ـ ولكن ..

ـ صه ..

عادت عايدة فصاح قلبي في ضميري ان اسكت ولا تزد ، ولست ادري هل صمت فعلا ام عاد يتحدث ولكني انا الذي لم ارد سماعه .. اعرت كل اسماعي وعنايتي واهتمامي لدقات قلبي وهي تهتف من جديد بالاسم الحبيب . هي ايضا قد عرفتني .. انها تبدو كما لو كانت تريد ان تحدثني ولكنها تعود وتعدل .. في كل مرة تنظر الي ارى في عينيها كلاما تريد قوله لي .

ترى هل اكتشفت الان انها كانت مخطئة اذ رفضتني واستمعت لنداء قلبها الذي غرر بها .. هل تريد ان تقول ليتني سمعت كلامك ؟ وهل تقبلني الان اذا كررت طلبي ليدها ؟ شجعتني نظراتها على ان اذهب اليها، فلو كانت تضيق بمحادثتي كما اخشى لما عادت الى الصالون والمنزل كبير كما رايت :

ـ مساء الخير يا عايدة .. هانم

ـ مساء الخير يا سعد ولا عايزني انا كمان اقولك يا استاذ سعد .

ـ انا آسف يا عايدة .. اصلها كانت مفاجأة لي اني اقابلك بعد الغيبة الطويلة دي .

ـ الدنيا كلها مفاجآت .. لكن انت المسؤول عن الغيبة الطويلة دي .. كان ممكن نبقى اصدقاء وانا فعلا كنت محتاجة لك جنبي يا سعد .. لانك مخلص وانسان !.

وخشيت ان يسارع قلبي فيتفاءل ويبني القصور في الهواء .. فنظرت الى عينيها احاول ان اقرا فيهما ما تعني .. ولكن لم يكن فيهما تعبير ما .. كانتا ساهمتين كانها كانت تنظر بهما الى لا شيء .. طال حديثنا وهي تتحاشى ان تلتقي عيناها بعيني .. وتهرب بنظراتها الشاردة الى لوحة صغيرة معلقة فوق راسي .. لست ادري لماذا .. اننا كنا زملاء بالجامعة .. فمن غير المعقول ان يكون ذلك حياء مني ، كما انها لم ترتكب في حقي ذنبا يجعلها تخجل من مواجهتي فلكل انسان الحق في ان يحب من يشاء ، ولكن ربما كانت هي تظن في نفسها انها اساءت الي ... مع انها لم تفعل وحتى اذا كانت فعلت فقد نسيت انا كل شيء .

كم تمنيت ان اقول لها ذلك حتى تترك خجلها وتنظر الي . ولكني لم اكن متأكدا من سبب شرود نظراتها ، في اول الامر ظننت انها تنظر معجبة الى لوحة رائعة .. فالتفت برأسي بحركة لا شعورية وسارعت هي تقول :

ـ دي لوحة ..

ولم اكن قد رايتها جيدا فقلت لها:

ـ دي لازم لوحة ثمينة .

ـ ثمينة ؟! ابدا ، اللوحة الكبيرة اللي قدامك دي هي اللي ثمينة صحيح ـ وكنت قد رايتها طبعا .. كانت لوحة رائعة حية لرسام مشهور ـ اما دي فلوحة تافهة .

ـ اصلك كنت باصة لها على طول

قالت بدهشة :

ـ انا ؟.. ولا كنت شايفاها خالص .

وكنت قد تمكنت من رؤيتها .. فوجدتها فعلا محاولة رديئة لرسام مبتدىء .. وقلت لها :

ـ دي يظهر اللي رسمها واحد هاوي .

ـ فعلا .. وهي مكنتش تصلح ابدا للصالون لولا انه هو اللي كان راسمها .. فؤاد .

وعدت انظر الى اللوحة بدهشة .. كانت تمثل كوخا صغيرا يقبع كالعش وسط حديقة واسعة غناء وتحت خميلة ظليلة بها تجلس امراة تتسم في سعادة وخلفها رجل يحيطها بذراعيه في حنان ، وعلى مقربة منهما يلعب طفلان في براءة الملائكة .

وقالت في تهكم ساخر :

ـ دي كانت اول هدية قدمها لي .. وقاللي ان دي احلامه مرسومة على الورق ..

ثم اردفت بمرارة :

ـ حتى ريشته كانت خدامة زي الغاظه ..

واردت ان امتحن عواطفها فقلت وكانني اواسيها :

ـ مين عارف .. يمكن يندم على الطريق اللي كان ماشي فيه ده ويبعد عنه ..: وترجموا لبعض تاني وانتفضت عايدة كان حية لدغتها وقالت وهي تنظر الي بحدة واستنكار وعتاب بالغ :

ـ انا .. ارجع له تاني ؟!.. انا .. انت بتقول ايه يا سعد .. انت اتجننت .. ده انا دلوقت اتصور العمى ولا اتصوروش .

وسكتت قليلا وهي تلهث وتلتقط انفاسها ثم استانفت تقول :

ـ انا دلوقت كرهته .. كرهته .. ولا يمكن ارجع له تاني ولو شنقوني.

وسكتت مرة اخرى وهي تضغط شفتها السفلى باسنانها كانها تحاول ان تمنع الدموع التي كانت تلمع في عينيها من السقوط .. واحترمت آلامها فلم اتكلم ، وساد الصمت بيننا برهة حتى قطعته هي فجاة وكانها تحاول تغيير الحديث :

ـ انت مكنتش عارفني ولا ايه ؟

ـ ازاي بقى ؟!

ـ ولا يمكن كنت لسه زعلان مني وعشان كده مكنتش عايز تكلمني .

ـ انا ازعل منك يا عايدة ؟.. انا ؟.. انتي مش عارفة انا كنت بايا.. باعزك قد ايه ؟

ـ دا كان زمان .

ـ وايه الصلة بين الزمان وبين العواطف ؟

ـ تفتكر كده ؟ ، ده انت اثرت موضوع كنت بافكر فيه من شوية وما قدرتش اوصل لراي تفتكر يا سعد ان الحب ما بيموتش .

وخفق قلبي بعنف وكانه يريد ان يقفز من صدري ليرتمي تحت قدميها حتى تتاكد ان حبي لم يمت ؟

ـ الحب مش ممكن يموت يا عايدة .. اذا كان حب حقيقي صادق .

ـ طبعا انا باتكلم عن الحب الحقيقي الصادق .. فيه ناس بيقولوا! ان الزمن والفراق يقدروا يمحوا الحب من اي قلب مهما كانت قوة الحب ده .

وقلت بحماسة شديدة :

ـ ابدا .. ابدا .. لا فرق الايام والسنين ولا فرق البعد والاميال يقدروا ينسوا المحب المخلص في حبه.

ـ مش متصورة .. انت نسيت انهم بيشبهوا الزمن بالنبار اللي بينطي الاحزان والافراح والامال .. وكل شيء .. لحد ما يدفنها .

ـ كل شيء جايز .. الا الحب .. واذا كانوا بيشبهوا الزمن بالنبار فهم كمان يشبهوا الحب القوي بجمرات النار .. وجايز النبار يغطيها لكن عمره ما يطفيها .. واول حاجة تنفخ الرماد ده زي مقابلة الحبيبين بعد غياب طويل مثلا .. يرجع النار تتوهج اكثر من الاول .

وتنهدت عايدة تنهيدة حارة وهي تقول :

ـ لكن ساعات بيبقى فيه ظروف تانية مش بس تخلي الواحد ينسى

اللي بيحبه.. لكن تخليه كمان يكرهه .. اذا كان حبيبه ده ظلمه واساء اليه .

ـ مش معقول ابدا .. ده مـا يقاش بيحب ، الا اذا كان بيحب نفسه ، اللي بيحب عمره ما يفتكر اساءة حبيبه .. والعكس دايما بيحاول يلتمس له الاعذار .. وربما اقنع نفسه في بعض الاحيان ان هو اللي غلط في حقه !!

ـ تفتكر كده يا سعد ؟

ـ مش بافتكر .. ده انا متاكد .

ورفعت الي وجهها وقد شاعت فيه لاول مرة ابتسامة الارتياح وهمست لي :

ـ ما تتصورش قد ايه ريحتني واسعدتني واحييت الامل في قلبي.. يا سعد .

يا الله .. لقد كدت اقوم من مكاني لاقبل يديها واهتف بها.. وانتي اللي احييتي قلبي من تاني .. هل كانت تظن ان حبي لها قد انتهى .. انها اذا لم تكن تعرف قدر هذا الحب بالضبط .. ولكني اقنعتها بصدق عاطفتي وحماس مرافعتي .. انني محام ناجح .. لقد كسبت القضية .. اهم قضية في حياتي .. قضية قلبي وحب عمري .

في تلك اللحظة سمعنا اصوات الدلال والمزايدين تقترب فعادت تبتسم لي وهي تهز رأسها باستخفاف وتهمس كانما لنفسها :

ـ ياخدوا كل حاجة .. ما عدش يهمني ..

بدا الدلال بالنجفة ثم بالسجادة.. ورست كلتاهما على مزايد ثري ولا شك .. فقد عرض فيهما ثمنا باهظا ، ثم بدا الحاضرون يزايدون على طاقم الصالون نفسه وتخطي الرقم الخمسمائة جنيه عندها لاحظت التغير الكبير الذي طرا فجاة على عايدة.. زاغت عيناها وتقلصت يدها على ظهر احد الكراسي واصفر وجهها ونضح بقطرات من العرق ، وارتعشت شفتاها وخيل الي انها ستسقط مغشيا عليها .. ، اسرعت اليها لاسندها فبادرتني بلهفة :

ـ انا عايزة منك معروف يا سعد .. يا ترى تقدمه لي ؟

ـ طبعا يا عايدة ... ولو طلبتي روحي .

ـ متشكرة يا سعد .. انا عارفة انك صديق مخلص .. كريم .. اسمع . فيه حاجة هنا في الفيلا تهمني جدا .. اكثر من المفش ده كله .. حاجة غالية علي جدا .. اغلى من عيني ! حاجة مفيا لي اني حافقد روحي لو فقدتها ، وزي ما قلت لك عائلتي كلها خارج القطر الايام دي . وما كانش فيه وقت استنجد بواحدة صاحبتي .. وكمان ما هانتش علي كرامتي .. وانت الوحيد اللي تقدر تنقذ لي الحاجة دي من ايدي المزايدين .. وفي اقرب فرصة حاسدد لك الدين ده .. الدين المادي طبعا .. لكن حا افضل طول عمري مديونة لك بجميل ما اقدرش اوصفه لك .

ـ بس كده يا عايدة !.. كنت عايز اقدم لك خدمة اكبر من كده .

ـ دي اكبر خدمة ممكن ان حد يقدمها لي .

وفي تلك اللحظة خرق اذني صوت مزايد يعرض في طاقم الصالون سبعمائة وخمسين جنيها ولم يقف المزاد عنده بل استمر الرقم في الارتفاع ، وقلت لعايدة وقلبي واجف

ـ لكن دنا ما معايش ربع المبلغ ده دلوقتي .. هم اظن ما بيقبلوش شيكات لكن انا حا اعمل اخر جهدي

ولكنها قاطعتني وهي تضحك :

ـ لا ما تخافش .. الحاجة اللي با اقولك عليها حايكون تمنها رخيص جدا .

ـ طيب ايه هي عشان ادخل المزاد اول ما تتعرض .

ـ اللوحة ذي ..!!

وزاغت عيناي بين اللوحتين متجاهلا اشارة راسها وانا اسالها ببلاهة :

ـ اي لوحة ؟..

تمنيت ساعتها لو ان سمعي وبصري اصابهما خلل مفاجيء فنقلا الى طلبها مغلوطا ولكنها كررت اشارة راسها باصرار هادىء :

ـ اللوحة دي ..!! ، اللي رسمها نؤاد لاحلامه .. واحلامي ..

اكتشفت ساعتها انني في مرافعتي البليغة لصالح الحب كنت اقصد حبي لها وكانت هي طيلة حوارها تقصد حبها لفؤاد .

حين كنت اغادر الفيلا مررت بالصالة ، وكان احد الحاضرين يعبث بمفاتيح الراديو محاولا ان يديره ليختبره قبل ان يزايد عليه.. وفجاة انطلق صوت نجاة الصغيرة الجميل .. او اللي كان جميلا في نظري حتى نصف ساعة مضت .. ولكنه في هذه اللحظة بدا لي وكانه المطارق تدق راسي وهي تكرر : ما احلى الرجوع اليه .. ما احلى الرجوع اليه .. اليه .. ما احلى الرجوع اليه .

القاهرة احسان كمال

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الأديب

من الباعة والمكتبات

عندما يصبح الريف بطلاً لمجموعة قصصية

بقلم ابراهيم سعفان

* * *

اذا نظرنا في الساحة الادبية نجدها زاخرة باسماء قصاصين من الادباء الشبان الذين يغلون الحياة الادبية بانتاجهم فيجذدون شبابها ويثيرون فيها النشاط والحيوية وهؤلاء الشبان اثبتوا قدراتهم الفنية التي تبشر بمستقبل زاهر للقصة .

ومن هؤلاء الشبان القاص عبد العزيز الشناوي وهو يكتب القصة القصيرة بقدم ثابتة تدل على تمكنه من فن القصة .. بعيدا عن التاثر بالاخرين .. فانتاجه يحمل سماته الفنية وتفرده والشناوي قاص له فكر يوظف فيه لتوصيله دون ان يطغي هذا الفكر على الناحية الفنية ولكنه يفهم جيدا تلك المعادلة التي يقع فيها بعض ادبائنا عندما يتعرضون لقضية فكرية ولقد استطاع ان يحفظ التوازن في قصصه بين الفكر والفن فاستنقذ قصصه من الهتافية والمباشرة التي تضعف العمل فنيا ، واستنقذها ايضا من الجفاف الفكري الذي يصيب بعض الاعمال التي تتعرض لمعالجة القضايا الفكرية .

واذا نظرنا في انتاجه القصصي نجد انه تناول العديد من الجوانب :

١ ـ الجانب الفكري .
٢ ـ الجانب الاجتماعي .
٣ ـ الجانب الانساني .

وهو في ذلك كله لا يوقف شخصياته موقف المتفرج على الاحداث . فهي لا تعيش خارج الاحداث بل تعيش داخلها بقلبها وعقلها .

وشخصياته تصور الانسان بقوته وضعفه ولذلك فقد تزل وتسقط ولكن لانها لم تفقد بعد القوام الانساني الذي يشكل وجدانها وهو الدين فانها ما تلبث ان تعود الى وعيها وتتخلص من ضعفها . ولذلك فهي شخصيات تنبعث تصرفتها من داخلها نتيجة تكوينها الثقافي ونتيجة لعاداتها وتقاليدها الموروثة ، ونتيجة للوجدان الديني الكامن في اعماق كل انسان يصحو في اوقات الازمة فينقذ الانسان ويصحح له مساره الحياتي .

ومما يميز اعمال الشناوي اختياره قصصه فهو يستمدها من البيئة التي يعيش فيها .. فهو يقيم في المنصورة ويخالط قراها ، ولذا نجد معظم احداث قصصه تدور في القرى وتتناول عاداتها وتقاليدها . وهو لا يهتم فقط بتقديم القرية من حيث هي منازل ، ولكنه يهتم بتقديم انسانها بعقله وقلبه .

واهم ما يلفت النظر انه دائما يرجع الى الفطرة او العادات والتقاليد ليجد فيها الخلاص ، وهو لا يقع في نطاق محلية الاحداث ولكنه ينطلق بها الى العالم الذي يهم الانسان عامة ويتمثل هذا في جميع القضايا التي عالجها سواء اكانت فكرية او اجتماعية او انسانية وهنا نتكشف ادراك الشناوي التام بوظيفة القصة ومن تخاطبهم

فاذا نظرنا الى القصص التي تعالج القضايا الفكرية نجد انه اتخذ موقفا ايجابيا فبين رأي الانسان في القرية فيها وكيفية رفضه للافكار الملحدة المخربة لروح الانسان، واختياره لانسان القرية بالذات اختيار للانسان عامة لانه يمثل الجانب الفطري في الانسان الذي يرفض الاشياء وفقا لعادات وتقاليد ومكونات دينية واجتماعية لعبت دورا كبيرا في تشكيله فهو يقول من خلال شخصياته ان الانسان على ارضنا انسان له دين يقف حصنا منيعا لحمايته من السقوط فهو الملجأ الوحيد الذي يلجأ اليه الانسان عندما يغفو من سنات الانحلال الخلقي او الفكري

ففي قصة « الزير » يطارد اهل القرية بطلها لانه شرب من الزير الاحمر ويحاول ان يبين لهم انه شرب دون قصد .. دون ان يعرف صاحبه .. ولكن تحاصره العيون باللوم .. الشيخ زيدان يطرده من العمل .. حاول ان يثبت حسن نيته ولكن دون جدوى قالوا له اتريد ان تكون مثل سعداوي الذي لبس الكوفية والجلباب والحذاء وخسر نفسه واهله هرب من زوجة ابيه التي تنتظره بالعصا .. ظل يجري ويجري .. دوى اذان الظهر ملأ سماء القرية .. وجد نفسه في الوسماية امام المسجد .. اسرع نحو الباب المفتوح .

فالقصة رمزية تتناول الشيوعية . وتبين انه لا مكان

فالقصة رمزية تتناول الشياعية . وتبين انه لا مكان لها في مصر لاننا شعب متدين يرفض الالحاد ، ولهذا فبطل القصة في النهاية يرفض ان يستسلم للافكار الملحدة وهذا اعتقاد راسخ واصيل من والده . الذي اخذ على نفسه ان يسحق كل ثعبان او بيض ثعبان حتى لا يخرج منه ثعابين اخرى اذا عثر على بيضة ثعبان يسحقها بحجر .. اذا تركها سيخرج منها ثعابين .. تزحف .. تملأ الحقول .. تتسلل الى القرية . تبث سمومها في الطعام وتلدغ الاطفال .

وفي قصة « الضفادع » يناقش ايضا قضية الافكار الملحدة . فالضفادع تملأ الفضاء بنقيقها الصاخب المقلق الذي يغطي على صوت امام الجامع وهو يلقي خطبة الجمعة .. ولكن هذا النقيق ما هو الا اصوات جوفاء سرعان ما قضي عليها .. وعلا صوت نقيه المسجد فوق هذه الضوضاء الكاذبة .

ان الشناوي في هاتين القصتين قد تناول قضية فكرية تهم كل انسان وتنقل جزءا من تفكيره . وبذلك استطاع ان يخرج من نطاق بيئته الى نطاق ارحب واوسع مما يعطيها صفة الاستمرارية لخروجها من دائرة المناسبات الضيقة .. لقد اثبت انه لا مكان للافكار الملحدة على هذه الارض الخضراء المروية بماء الدين واذا انتقلنا الى الجانب الانساني في قصصه نجده يتناول هذا الجانب على ثلاثة مستويات .

الاول : علاقة الفرد باسرته . الثاني علاقته بالقرية. الثالث : علاقته بنفسه .

فعبد القوي في الطيور المهاجرة عامل الترحيلة الذي يهد جسمه المرض ولكنه مضطر الى العمل ليوفر لقمة العيش لاولاده .. رغم هذه الظروف القاسية ورغم قسوة الخولي عليه ، وطرده من العمل . وفشله في الحصول على النقود ليحقق مطالب اولاده .. رغم هذه الظروف القاسية .. يرفض ان يأكل لقمة العيش من حرام . فيعيد ساعة الخولي التي سرقها في لحظة ضعف .. ويصحو ضميره .. يستيقظ في نفسه كل ما تعلمه من والده ومن امه من قيم خلقية ترفض ان يأكل لقمة العيش من حرام .

وهذا التصرف الايجابي نتيجة كما قلنا .. لقيمه الدينية التي تعيش في وجدانه والقيم الخلقية التي تعلمها .. وهذا ما عدل سلوكه .. وحوله من انسان لص الى انسان نظيف . لقد تذكر كلمة محمود افندي ابن العمدة .

ـ تظل تعمل طوال النهار تحت الشمس وتأخذ عشرة قروش ؟ اجر تافه .

ـ لكنه يرضيني .. المهم ان تكون لقمة العيش حلال .

لقد استخدم الكاتب المؤثرات الخارجية لتوقظ ضميره .. وتنقذه من الهوة السحيقة التي سقط فيها .. فلم يكتف الكاتب بمحاصرته بكلمات عبد القوي ، ولكن يحاصره بمؤثر اخر وهو العامل الديني .. ينفجر في نفسه الصراع بين الحلال والحرام : ترامى الى سمعه صوت المؤذن يؤذن لصلاة العصر .. اقتحمت بصره مئذنة الجامع بضخامتها تفجر في صدره ينبوع الرهبة .. كيف فعلت ذلك على اخر الزمن ؟ صحيح انني مريض وصاحب طورة اولاد .. لكن الحياة تسير .. طول عمري رجل شريف .. كيف تمتد يدي على حاجة غيري ؟

نجح الكاتب في تفجير الصراع داخل عبد القوي بهذين المؤثرين .. الصراع بين الخير والشر .. بين قيمه الدينية والاخلاقية التي تربى عليها والشر الذي يأكل كل شيء في لحظة ضعف .. صراع بين السقوط والصعود الى قمة الشرف والمحافظة على سمعته وسمعة اولاده .

والعامل الديني يلعب دورا كبيرا في اعمال عبد العزيز الشناوي .. فشخصياته وان كانت تتعرض للسقوط سواء بقصد او بغير قصد .. فالله سبحانه وتعالى يقول « وهديناه النجدين » والله سبحانه يفجر في الانسان عنصر الارادة فيصل بنفسه الى الطريق المستقيم دون مساعد .

والشناوي متدين استطاع ان يستغل هذا التصوير القرآني للانسان استغلالا فنيا في ابراز صراع الانسان عندما يقع بين اختيارين ولان شخصياته كما قلت مؤمنة فانها سرعان ما تعود الى طبيعتها السوية .. عندما يتفتح قلبها ويهتدي الى طريق الدين طريق الخلاص .. فانها سرعان ما تجد الخلاص وراحة البال .. ويتمثل هذا في قصة « الطيور المهاجرة » التي عرضناها وقصة «الزير» و « الضفادع » ففي هذه القصص نجد شخصياتها تعود الى الطريق الصحيح والامان النفسي عندما تلجأ الى الجامع . واذا كان عبد القوي يمثل صورة صراع الانسان مع نفسه وبين الخير والشر فان بطل قصة « السمك يعيش على الارض » تمثل علاقة الانسان باسرته .. فهي تدور حول اخوين احدهما فقير والاخر غني .. وكل منهما يعيش بمفرده .. وترى الاخ الغني يسيء معاملة اخيه رغم خدمته له .. فلا يساعده ماديا ليخفف عنه قسوة الحياة .. لقد نسي ايام كان في الجامعة .. كنت اسافر الى القاهرة احشر نفسي بين الكتل البشرية .. اجلس تحت الاقدام . احمل اليه سلة الخبز المرحرح والارز المعمر .. و .. وعندما يعود الى القرية اسرع الى المحطة .. احمل على كتفي جقيبته التي لا يستطيع حمار العمدة حملها .

ورغم هذه القسوة والجحود من جانب الاخ الغني الذي بلغ من القسوة ان يحاول حرمان اخيه من ايجار مكتب البريد ليفوز هو بالايجار .. رغم هذا كله فعندما يتعرض الاخ الغني للاعتداء من زهران واولاده تجد اخاه يسارع بالوقوف الى جانبه ليدافع عنه بفعل هذا دون تكلف ولكن بتصرف طبيعي يتفق وعادات القرية وتقاليدها الموروثة وهو ان الرابطة الاسرية قوية لا تنفصم ولا تذوب مع الايام .. والدم لا يكون ماء كما يقولون .

وفي قصة « غيطاني » يعالج علاقة انسان بمجتمعه .. بالقرية .. فغيطاني يرفض من العمدة خمسة جنيهات رشوة رغم حاجته الشديدة لها لانه يابى ان يشهد زورا ضد اهل القرية لصالح العمدة .. ظل في صراع مع نفسه

حتى وصل امام المامور ، وكان قد وصل الى قرار حاسم .. وهو الا يدلي بشهادته لصالح العمدة ضد اهل القرية ويلقي بالجنيهات الخمسة امام المامور .. لقد فكر غيطاني كثيرا في « سمعته » .. في اهل القرية الذين سياكلون وجهه .. يشهد زورا ؟ سار هو والعمدة . وصلا الى المامور .. يطلب العمدة من غيطاني ان يقول الحق .. لا يطيق غيطاني ان يشهد زورا .. وقف امام المامور .. القى بالخمسة جنيهات .

وفي قصة « اغنية قبل الموت » يعالج الخوف الذي يسيطر على الانسان .. ويجعله يعيش في وهم .. ويظل اسير هذا الوهم حتى يشرف على الهلاك .. ولا ينتقذه منه احد الا المواجهة لامر الواقع ليعرف الحقيقة وحطم حاجز الخوف الذي يرعبه ويشله ويهدده بالضياع .. فيصور ان القرية تعيش في رعب من ضبع يهدد امنها ويقطع الطريق على العائدين من حقولهم .. استولى الخوف على اهل القرية .. ووقفت الحياة فيها اغلق الناس ابواب بيوتهم .. الاولاد لا يلعبون في الشارع .. كل امراة خافت على زوجها .. « صرنا نلتحف الخوف والظلام .. كيف يتسنى لقريتنا التي عاشت سعيدة كريمة آلاف السنين ان يعشش عليها هذا الكابوس » ؟

توقفت الحياة تماما ..

الظروف تحاصر بطل القصة .. ليس من المعقول ان تخلو القرية من الرجال .. ماذا يفعل اخذ يفكر .. لا بد من وسيلة للخلاص .. لتنم بالحياة بدلا من الموت . خلت الدار من الماء . الدقيق . الجاز . الملح . و .. لقد زهقت من الجبس بين الجدران ماذا اقول لابنائي .. خلت الدار من الماء والخبز و .. لا استطيع ان انظر الى وجوههم اصبحت اخشاهم جميعا .. عيونهم الضعيفة تخترق صدري .. تقرا على ضلوعي احرف الخوف .. بم ارد عليهم ؟ عيونهم تطرح الف سؤال في كل نظرة قلقة .. في كل رعشة جفن تسال عن الكارثة .. تساؤلات تكبر في احداق اولادي .. تنتظر الاجابة .. الايام تمر جافة .. رهيبة . اذا انطلقت ضحكة تكون مكتومة .. ذبيحة .. تشنجات مريض بالصرع .

لقد نسج الكاتب حول البطل الاسباب التي تجعل الصراع يحتدم في نفسه ليصل الى نهايته فيدفعه الى عمل شيء للخلاص .. لقد وضع الكاتب البطل بين اختيارين .. اما ان يموت واولاده من الجوع .. واما ان يواجه الضبع مهما كانت النتيجة .. المهم انقاذ الاولاد .. وماذا فعل بعد التفكير الطويل .. لم يطق الانتظار . ضاق صدره . لا بد ان يحقق لاولاده ما يريدون .. امتدت يده الى العصا . سبقته العصا من وجه الباب . اطل الفجر بوجهه من وراء السحب .. برزت في ذهنه صورة الشيخ صابر بجلبابه الابيض وهو يحث القرية على النهوض للصلاة والذهاب الى حقولهم .. شدد قبضته على العصا . اخذ يدق الابواب .. والشبابيك . لمح رجلا في نهاية الشارع يدق الابواب بقبضته .. رفرف قلبه بين ضلوعه .. اصبحنا على موعد .. مللنا الانتظار والجلوس داخل الجدران .. قررنا مواجهة الضبع بدلا من ان تكون فئرانا في مصيدة . تحركت القرية ، خرجوا جميعا للبحث عن الضبع .. ووجدوه نائما بين اعواد الحلفا ويطلق شيخ الخفراء مقذوفا .. لم يتحرك الضبع .. ولم يسمعوا له صوتا .

وبفاجئنا الكاتب بالحقيقة المرة .. بان الضبع كان من البلاستيك .. لقد وضعنا وجها لوجه امام انفسنا .. مواجهة قاسية ساخرة .. ولكن لا بد منها لنحدد مواقفنا ولا نقع فريسة للوهم .. فلا علاج الا بنزع الخوف من صدورنا ننتمكن من تخطي الوهم القاتل .

واذا كان الشناوي في القصص السابقة قد قدم نماذج مختلفة من القرية يتمثل فيها الطيبة والتضحية .. ونماذج اخرى ساقطة ومخادعة فانه يقدم في قصة البهلوان مثالا للانسان الساذج .. الريفي الذي يغرق في بحر المدينة الصاخب .. مثل عليوه الذي فقد اربعين جنيها من التسعين جنيها التي ادخرها ليشتري بها بقرة .. ولكن يقع في حبائل المحتالين .. وبعضه الندم ويحاول ان يسترجع نقوده دون فائدة .

ويمضي الكاتب في رسم الشخصية الساذجة بان تجد عليوه يسلم امره لشاب وعده بانه سيعيد اليه نقوده .. فيحدث نفسه بان سيدي محمد العدوي قد يكون ارسله لينقذه ويعيد المبلغ المسروق .. « كثيرا ما حدثتني امي عن سره الباتع .. لكن هل ستلحق بالبهلوان وستسترد نقودي ..؟ »

ان الكاتب بهذه الكلمات يسخر سخرية مريرة من هذه السذاجة والطيبة التي تضر صاحبها .. لم يتعلم من المرة الاولى . فيسلم نفسه في المرة الثانية الى شاب مجهول لا يعرفه .. يوهمه بانه سيسترد له نقوده .

من هذه القصص يمكن القبول بأن عبد العزيز الشناوي يوقف أبطاله كما فلنا في موقف الاختيار ويفسح بعد ذلك للصراع الذي تعانيه الشخصيات . ولكي نعدر ونشعر بمدى اهمية الفرار الذي يتخذه . فانه يحرص على تقديم الجو العام للقصة والظروف المحيطة بكل شخصية وشخصياته محددة الملامح نفسيا واجتماعيا وفكريا وهي ليست مثبتة الصلة بواقعها وبهيئتها ولكنها متصلة اتصالا وثيقا بواقعها وبيئتها وتعمل لها الف حساب في كل تصرفاتها .

وحرصا منه على تقديم الجو العام للقصة فانه يستخدم الالفاظ الريفية الدارجة التي لا تستخدم الا في الريف .. فنجد « الوسعاية . جر الجنابية . نبات العليق . شتلات الطماطم » في قصة الزير .. و «الطاجن الوطء الارض . البشت . واكفى على الخبر ماجور » في

لا تحقد على زمني

« الى والدي ع. س. »

اماط الرعب عن خلدي ... رداء العيش في رغد
فهذا العمر ليس يبرى ... سوى الاشلاء والنكد
دنى الاعماق نازفة ... كجرح الارض بالحرد
الذود الياس عن نظري ... فلا استطيع يا ولدي !

* * *

نهلت الصاب من وطن ... طوى كشحا على الند
فهبل تبقى العروبة في ... دمي روحا من الجلد
ووحش الحرب بين ربا ... ضها ، يفتك من جسدي

* * *

فتاي الفر ، انت غد ... لمجد العرب في الابد
فلا تحقد على زمني ... اذا ما خج بالعقد
فنحن البحر منطلقا ... بريح اللمز والحسد
وانت الشمل مؤتلقا ... بنور الحب والغد !

* * *

اخس الصمت يشريني ... خجولا .. دونما كبد
وانت الصوت تقراني ... كسفر الخلد ، في البلد

مراكش ـ المدينة ـ المغرب
ص.ب ٤٦١

احمد بلحاج آيت وارهام

قصة البهلوان . والخبز المرحرح . الارز المعمر . الزريع .. في قصة السمك يعيش على الارض .

والشناوي حريص على توصيل افكاره الى المتلقي ولذلك ابتعدت عن الوقوع في الاشكال الفنية الغامضة التي تفسد العمل الفني . وابتعد ايضا عن استخدام الالفاظ والتراكيب المعقدة والغامضة التي تقف حاجزا بين المتلقي وبين فهم القصة :

ان القصة القصيرة كالقصيدة .. ولذا لجا الشناوي الى التركيز والتكثيف وبعد عن الاستطراد . ولذا نجد اسلوبه كثيرا مايصل الى اللغة الشعرية بما يحويه من الفاظ رقيقة . ويرجع هذا الى وضوح الرؤية لانه اديب مؤمن بالكلمة ورسالتها ولذلك فهو لا يتسرع في كتابة قصصه ولكن يتانى في كتابتها ويظل يراجعها حتى يرضى عنها تماما .

ان الشناوي يضع يده دائما على نبض مجتمعه .. يعايش احداثه .. وهذا من شيمة الكتاب الحقيقيين المخلصين .

القاهرة — ابراهيم سعفان



البير اديب

من ذكريات ألبير أديب

اجرى الحوار
الياس خوري ومحمد فرحات

* * *

في اول كانون الثاني عام ١٩٤٢ ، صدر العدد الاول من مجلة « الاديب » .

ومنذ اربعين سنة و «الاديب» تصدر ، وهذا الرجل يرعاها كانها احد اولاده . البير اديب الشاعر والمجدد ورئيس التحرير والمبدع والفنان ، صفات متعددة تجتمع في رجل واحد ، فيتعدد الواحد الى ما لا نهاية ، ولا يكون نصيب الابداع الفردي الا مجموعة شعرية واحدة هي « لمن » ، الصادرة عام ١٩٥٢ عن دار المعارف في مصر ، كانه الابداع يتوزع وينتشر في الاخرين .

ومن هو البير اديب ؟

انه الاخرون . رجل قرر ان يكون حين يكون ، في الاخرين . شاعر ، كان اول من بدا مغامرة الشعر الحديث في اواخر العشرينات . مناضل يكمل مسيرة رعيل اللبنانيين الكبار الذين هاجروا الى الامريكتين ومصر . فاذا به يهاجر الى الاثنتين من المكسيك الى مصر ثم يعود الى لبنان . كانه يستكمل دائرة المهجريين ويحيلها الى فعل في الواقع ، او كانه آخر المهجريين واول المحدثين .

وهو الى جانب ذلك ، مناضل قديم . وفدي في مصر وقومي ثم اشتراكي في لبنان . ثائر وشاعر واذاعي وصحافي وكاتب قصة وصاحب احدى اكثر المجلات الادبية اهمية في تاريخ تطور الكتابة العربية الحديثة .

نجلس امامه في منزل ابنته ندى حداد ، في شارع بيوت ، الحمراء ، فالمنزل الذي يعيش فيه البير اديب وتصدر المجلة منه ، يقع على الخطوط المشتعلة في طريق الشام بمواجهة بناية « البرّيمو » .

« ثمانية ايام انا وزوجتي في الممر ، والدخان يكاد يخنقنا ، ثمانية ايام والقذائف لا تتوقف . ثم قفزنا من الجهة الخلفية ، ونحن الان هنا ، اوراقي هناك آمل ان لا تنهب » .

وهو بشعره الابيض وجبينه العريض ولكنته المصرية ، امامنا ، يتكلم ، يفتح دفتر ذاكرته ويتكلم . كان هذا اللذي نعتقده تاريخا ادبيا هوحياته: الياس ابو شبكة، عمر فاخوري ، احمد شوقي ، خليل مطران وعبد الوهاب البياتي .. والجميع . التاريخ الادبي امامنا ، وهو يتكلم عن عينيه ، عين لا ترى ، واخرى ترى كراس الدبوس ، لكنه يضع امامه اكوام مجلته « الاديب » ، ويكتب على اغلفتها العناوين من اجل ارسالها بالبريد .

هذه هي حياتي ، يقول ، اذا راحت اموت .

وامامنا يبسط حياته على كفيه المرتعشتين ، يدخن قليلا ، وعندما تاتي الذكريات يعود اليه عزم الشباب ، « لو نجمع عزم الشباب الى حكمة الكهولة » .

امامه ومعه كاننا في التاريخ، هذين الكفين المبسوطين امامنا ، كانهما خارطة الثقافة العربية الحديثة .

نشكره ، على ماذا ؟

الشكر لا شيء ، نستمع اليه ، ومنه نتعلم .

● البير اديب .. لنعرفك .

ـ ولدت في « مينرال ديل اورو » ـ المكسيك ، في او ل تموز من العام ١٩٠٨ . والدي سعيد اديب كان قد هاجر الى هناك بتشجيع من صهره اسكندر الخوري اللذي سبقه الى هناك تاجرا كبيرا في المكسيك ، واصبح فيما بعد رئيس مجلس الادارة في جبل لبنان . ووالدي بدوره ترك منصب مدعي عام عموم المتن ليعمل عند صهره في المكسيك ثم يمتهن التجارة ، ويبقى هناك حتى وفاته . ولي الان ثلاثة اخوة في المكسيك .. كان ابي شاعرا ، تخرج في مدرسة الحكمة ، ونشر هنا في مجلة « الضياء ». كتب الشعر بالعربية والفرنسية والاسبانية واتقن الانكليزية .

جئت الى مصر بصحبة والدتي وكان عمري خمس سنوات ، فقد ارسلني ابي لاقيم عند جدي بطرس اديب رئيس بلدية دير القمر آنذاك (اصل عائلتنا هو آل نعمة ضو) والغاية من ارسالي اتقان العربية في مدارس الوطن.

صادف اني مرضت في الاسكندرية التي كانت محطة تبديل للبواخر ، وقد ارسل ابي خبرا يقول فيه لامي : ابقي في الاسكندرية فبقينا ، ويظهر ان ابي شعر بقدوم الحرب العالمية الاولى . دخلت الى مدرسة الفرير في الاسكندرية ، وكان ابي يرسل الينا المال الكافي ، ثم بعد

انقطاع المراسلات معه كان المال يأتينا من اخوالي في الولايات المتحدة الاميركية ، وهم من آل غانم من بكاسين (عم والدتي هو ابو سمرا غانم البكاسيني) . وبقينا في الاسكندرية حتى اوائل العام ١٩١٨ .

● **سافرت انت وامك الى لبنان ؟**

ـ لا ، بعدها جئنا الى القاهرة حيث تابعت دراستي في الفرير حتى انهيت دراستي فيها . نظمت شعرا بالفرنسية وكانت محاولاتي تدل على موهبة . كنت ضعيفا في العربية فنصح البعض امي بادخالي مدرسة القديس يوسف المارونية في القاهرة ، وهي كانت مدرسة موصوفة لتعلم اللغة العربية . رئيس المدرسة كان المونسنيور بولس رزق ، وابرز المعلمين الخوري منصور العقيقي من مزرعة كفرذبيان والخوري الياس . بقيت في المدرسة المارونية حتى العام ١٩٢٤ . في ذلك العام حاولت كتابة الشعر بالعربية . اذكر ان « الخوري الياس » طلب منا كتابة موضوع انشاء ، وقال لي بعد ذلك يا ابني هذا الاسلوب فرنجي والشعر العربي الذي تريد كتابته له اوزان وقواعد . الاوزان العربية لم تدخل في رأسي . اريد ان اكتب « ضياء » ولكن مع الوزن احيانا لا استطيع كتابتها ، لا يعود هناك امكانية لتعبيرك الشخصي ، تدخل تحت حكم الاوزان ، وهي تتصرف بك .. كتبت الشعر الطلق ، كتبت مقطوعة عنوانها « اذكريني » وارسلتها لـ « السياسة الاسبوعية » اهم مجلة في مصر عام ١٩٢٦ ، وكان يكتب فيها طه حسين ومحمد حسين هيكل وابراهيم عبد القادر المازني ، ومحمود عزمي ، فنشرت القصيدة ، ومطلعها :

« اذكريني اذا ما الشمس غابت في الافق
وهجم الليل بجيوش الظلام
ان نفسي اظلم منه
وحبي كان تعسا وشقاء
فاذكريني » .

بعدما نشرت القصيدة تشجعت وكتبت غيرها فنشرت في مجلة « الاخاء » لصاحبها بوليم قبعين وهو فلسطيني مقيم في مصر متمكن من اللغة الروسية ، وقد كتبت كثيرا في هذه المجلة .

● **اشجعك هذا على احتراف الكتابة في الصحافة ؟**

ـ دخلت الجامعة لاتعلم التجارة ، فتركت بعد سنتين ، ثم تعلمت في مدرسة الحقوق لمدة سنة واحدة . كنت مشاغبا ، اكثر من « وفدي » ، كنت « وطنيا » مع احمد حافظ رمضان . وقد طردت من مدرسة الحقوق بسبب قيادتي احد الاضرابات ، وعقب ذلك لم اعد استطيع متابعة دراسة الحقوق فقد صدر قانون يحصر دراستها بحملة البكالوريا في قسمها الثاني .

عملت كمراسل خاص للجريدة التجارية المصرية لصاحبها محمد نجيب ولاية ، وكانت لسان حال غرفة مدينة الاسكندرية ، الى جانب كتابتي في مجلة «الرقيب» لصاحبها جورج طنوس الذي كان اديبا وشاعرا ومؤثرا في المسرح المصري ، وقد كان في الوقت نفسه رئيسا لتحرير « كوكب الشرق » وهي لسان حال حزب الوفد وصاحبها احمد حافظ عوض ، وكانت جريدة يومية فعملت فيها كاتبا للصفحة الادبية . اذكر اني نشرت قصة « المراة واليسر » في صفحة كاملة وكان هذا فتحا بالنسبة لي ولسني . جاء احمد حافظ عوض وقال لي هذه قصة رائعة وزوجتي قرأتها واعجبتك . كتبت القصة كثيرا ، لكني ما لبثت ان عدلت عنها عائدا الى الشعر الطلق .

عملت ايضا في مجلة « الروايات المصورة » كان رئيس تحريرها سليم خوري . كنت اترجم روايات عن الفرنسية ، واحيانا اشاهد افلاما واكتب احداثها (« الشهامة اليابانية » عن احد الافلام) .كان صاحب هذه المجلة يدفع مكافاة النشر بحسب عدد كلمات النص.. كما عملت كذلك مع حسين شفيق المصري في صحيفتيه « البغبغان » و « المسمار » وهو من اصل تركي ولغته عربية عرباء .. اما المازني فقد اصدر عشرة اعداد من مجلته « الاسبوع » فعملت فيها لهذه الفترة الوجيزة . واذكر ايضا ان اول قصة ترجمتها نشرتها مجلة « المراة الجديدة » كما نشرت في مجلة « النيل » .

● **اكانت الكتابة تكفي لاعالة الاديب الشاب وامه؟ وامك بالمناسبة اكانت تعمل ؟**

ـ لم تكن امي تعمل ، كنا نعيش خبزنا كفاف يومنا .. سكنا في القاهرة ، واذكر اني عملت ايضا سكرتيرا عاما لشركة السياحات الشرقية، واصحابها هم اسكندر يارد وجان سياج والدكتور سالم (قريب جبران تويني) .

● **البير اديب الطالب المحرض على الاضراب ، الم يلعب دورا في الهم السياسي العام آنذاك ؟**

ـ اثناء الثورة السورية الكبرى ، كان الوزير الفرنسي المفوض في القاهرة يحضر قداس الفصح عند الموارنة مهنئا . جئت ومعي شاب ، راينا علم الانتداب الفرنسي (العلم الفرنسي وفي وسطه ارزة) كنا في الكشاف الذي يشرف عليه شخص وطني من آل مخلوف. رفضنا الدخول تحت علم الانتداب ، ورفعنا علما بديلا (ازرق سماوي وفي وسطه ارزة) ، وبدأنا نصرخ « تسقط فرنسا » .. اتى الخوارنة وقالوا : عيب ، فهذا يسيء الينا .

مرة حضر الى القاهرة قريبان لسلطان باشا الاطرش فاقمنا احتفالا في « المسرح الكبير » من اجل الثورة السورية ، لم يكن هناك جمع كثير . خطب حبيب جاماتي (اديب وناشر كبير له « تاريخ ما اهمله التاريخ » ، كان يحرر بالعربية وبالفرنسية) .. بعد الاحتفال بفترة كان الوزير المفوض الفرنسي متجها الى كنيسة الروم

الكاثوليك ، فانتظرناه في صالون الكنيسة وصرخنا « تسقط فرنسا ، يحيا الاستقلال » ، فاسكتني المطران بالتي هي احسن .

كنت ايضا اتصدر تظاهرات وطنية مصرية ، واجر تلاميذ المدارس المسيحية الفرنسية الى التظاهرات .

صديقي علي نجيب وانا الفنا « جمعية اللواء الاسلامي » . هو الرئيس وانا نائبه .. ثم « جمعية رقي الاداب » انا الرئيس وهو نائبي . وكنا نصدر بيانات سياسية . ومنها احتجاج على نفي اميل خوري من مصر، وهو كان سكرتير تحرير « الاهرام » وكانت الصحيفة ضد الانكليز ومع الحركة الوطنية فاصدر اسماعيل صدقي قرار النفي (سعيد فريحة في ما بعد تحدى اميل خوري ان يكتب في « الصياد » مقالا ضد اسرائيل ويقبض الف ليرة ففعل وقبض !) .

● **كاديب في الصحافة ، دعنا نتذكر معا اشخاصا واحداثا في عالم الثقافة في مصر ؟**

ـ احمد شوقي : لم يكن يلقي قصائده ابدا ، كان جورج طنوس يلقيها عنه . اذكر كان مكتبي مع هذا الاخير في غرفة واحدة في « كوكب الشرق » ، دخل علينا احمد شوقي ودفع ١٠ جنيه لجورج طنوس كاجرة على القائه قصيدة له .

وقد كان لطنوس دور في امارة شوقي على الشعر . كانت هناك حفلة تأبين للشيخ ابو العلى استاذ ام كلثوم وواضع اغانيها (حوالي العام ١٩٢٦) . كانت ام كلثوم متشحة بالسواد واعضاء التخت الموسيقي جالسون على الارض ، وهي تغني :

« افديه ان حفظ الهوى او ضيع » .

واعقبها جورج طنوس ، كان بدينا ، وكان احمد شوقي جالسا في « اللوج » . تكلم طنوس عن ابو العلى وقال : « يجب تكريم العباقرة وهم احياء . وقريبا سنقيم احتفالا لمبايعة احمد شوقي باشا بامارة الشعر » . وبالفعل بدا الاعداد لحفلة المبايعة التي جرت اثناء اقامتي في السودان .

ـ مي زيادة : زرت صالونها لكني كنت صغيرا ، فرافقت بعض زائريها . كان في الصالون مثقفون يقرأون الشعر ويناقشون شؤونا ادبية ونصوصا .

ـ خليل مطران : كان مثال الاخلاق الكريمة وعفة اللسان . عندما جاء إلى لبنان زرته مرارا ، وقد ارسلت اليه ليفتتح « راديو الشرق » في بيروت . كان مطران هو المجدد بين رعيله . كان وضعه صعبا . لبناني مسيحي، ومع ذلك كان يعتبر من شعراء مصر الثلاثة « شوقي وحافظ ومطران » .. امضى حياته عازبا . واعانه على الحياة انه كان موظفا في الجمعية الزراعية الملكية المصرية ، وعمل لفترة في « الاهرام » .

ـ ابراهيم عبد القادر المازني : شاركت معه بتحرير مجلته « الاسبوع » وعندما زار لبنان زرناه في مصيفه انا وامين نخلة ونخري البارودي ويوسف مكرزل صاحب « الدبور » . اعجب المازني بقطعة من شعري نشرت في « الجمهور » ، او « المعرض » . امين نخلة بدأ يهاجم شوقي ليرضي المازني ، فلم يبعث في نفسه السرور .

ـ توفيق الحكيم : تحدثت عنه عندما كان مجهولا ، كان يعمل في النيابة ، وينشر « يوميات نائب في الارياف » فلفت الانظار الى عمله الهام .

ـ الشيخ فريد حبيش : صديقي . كان سكرتير عام شركة مياه القاهرة . له كتابان «فظائع الثوب الاسود» و « النفس الحائرة » ، وله ايضا كتاب تجاري « تخاطب التجار » .

ـ طانيوس عبده : كان يترجم كثيرا بغير امانة . كتب في « الاهرام » زاوية « نقدات طائر » ، فقيرا كان ، شاهدته مرارا في سبلنديد بار في القاهرة . ارا الحصول على مال من نجيب متري صاحب دار المعارف الذي نشر له عدة كتب . لقد اغتنوا من كتبه . كان مريضا بسرطان الدم ، واستعطى بدل السفر ليعود الى لبنان .

ـ توفيق حبيب : كان ينشر باسم « الصحافي العجوز » ، وكنت على صلة وثيقة به .

ـ اسكندر شلفون : والد زوجتي ، كان شاعرا وعالما موسيقيا ، توفي عام ١٩٣٤ لدى تهدم مقهى « كوكب الشرق » في بيروت اذ كان جالسا يترجم « الجبل الملهم » لشارل قرم وبلحنه . وقد بعث هذا الاخير بمن يبحث عما انجز من الترجمة بين الركام .

اسس شلفون المعهد الموسيقي في مصر . نال جائزة اولى اذ لحن قصيدة لمصطفى صادق الرافعي في مدح الملك .

عندما توفي في بيروت كان قد انجز « القاموس الموسيقي» واطلع عليه آنذاك وزير التربية جبران تويني الذي طلب مني اقناع الورثة بطباعته على نفقة الوزارة لقاء ٥٠٠ ليرة . دفناه انا وشقيقه نجيب شلفون وصلاح المنذر . رأيت احد تلامذته من آل مجدلاني فقال لي ان كتابات اسكندر شلفون اخذها موظف في السفارة المصرية وبصحبته معاون في الشرطة اللبنانية ، و « القاموس الموسيقي » بين تلك الكتابات (كان شلفون يحمل الجنسية المصرية) .

الديبلوماسي المصري كان نائبا للقنصل ، وكان موسيقيا .

بعض نتاج شلفون لا يزال موجودا ومنه اوبرا « السبايا » المخطوطة ، وهي اوبرا شعرية قراها سعيد عقل واعجب بها والقى عنها محاضرة في الاذاعة ، واستعارها الياس ابو شبكة ثم اعادها الى مقصوصة ، وما لبث ابو شبكة ان اصدر مجموعته الشعرية «الالحان»

التي تبدو بعيدة عن سائر شعره . ومن يراجع ويقارن يلاحظ شدة التأثر بـ « السيايا » .

ـ وديع صبرا مدير الكونسرفاتوار وملحن النشيد الوطني اللبناني قدم في باريس رسالة جامعية عن ربع الصوت في الموسيقى الشرقية . وصبرا ابتكر بيانو يعزف ربع الصوت وحمله الى مصر ليستشير اسكندر شلفون . وعندما عاد شلفون الى بيروت لم يعينوه استاذا في الكونسرفاتوار .

● هل كنت تشاهد المسرح المصري ؟ وماذا يبقى في ذاكرتك من اجوائه واعلامه ؟

ـ كانت لدي مجموعة مرجعية عن المسرح المصري ، بعتها مع ما بعت من اوراقي وكتبي الى مكتبة الجامعة الاميركية . كنت مفلسا فاشتروها بـ ٣ آلاف ليرة فقط . والمجموعة استعان بها محمد يوسف نجم في اطروحته .

كنا شلة : انا وجورج طنوس ووالد احسان عبد القدوس واحمد بك رشدي واحمد زكي باشا (مدير عام المطبوعات سابقا في الولاية العثمانية) ، وكنا نحضر مسرح الريحاني ويوسف وهبي وجورج ابيض وعزيز عيد . كنت مراهقا واغرمت بالمغنية « ملك » كان محمود الفلكي الناقد الفني .

نجيب الريحاني : اسمه الاصلي نجيب ريحان ، وهو لبناني ، كان موظفا في البنك الزراعي الاهلي وما لبث ان ترك وانصرف للمسرح وكانت شخصيته الاكثر شعبية « كشكش بيه » . الريحاني هو احد بناة الروح الوطنية المصرية . بديع خيري يكتب ، وسيد درويش يلحن ، والريحاني يظهر في شخصية « كشكش بيه » وكان هذا العمل يخرج من مكان المسرح ليردده الشعب .

علي الكسار : « بربري مصر الوحيد» . كان مسرحه بارزا .. وفي مسرح يوسف وهبي كنا نغرم بالممثلات .

واذكر واحدا اسمه انطون يزبك ، الف ثلاث او اربع مسرحيات ، منها « الذبائح » التي مثلها يوسف وهبي وكانوا لدى عرضها يحضرون سيارات الاسعاف لان بعض المشاهدين يغمى عليه . ومنها « عاصفة في بيت » التي مثلها جورج ابيض ، و « الغربان » .. كان يكتب بالعامية ، ولم كثيرا كمؤلف مسرحي .

● بعض الدارسين ينظر الى رحيل الشاميين معتبرا انهم ارتاحوا للوجود الاستعماري الانكليزي ، ما رايك ؟

ـ كانت جريدة « المقطم » التي يصدرها فارس باشا نمر ، شريك يعقوب صروف في تاسيس « المقتطف » وقد تولى فؤاد صروف لفترة رئاسة تحريرها وكانت تؤيد سياسة الانكليز .

هناك فئة كانت تعتقد ان زوال الانكليز هو زوال لها .. وفئة اخرى من الشاميين كانت في « الاهرام » وتناصر استقلال مصر .

● الشعب المصري كان ايجابيا تجاه الدولة العثمانية بخلاف الشاميين ؟

ـ عندما قام الوفد المصري للمطالبة بالاستقلال ، كوفاء للوعد الذي اعطي خلال الحرب العالمية الاولى ، كان ينظر اليه على انه استقلال مصر ، والشعار « مصر للمصريين » ، ولم يكن هناك كلام عن دولة عثمانية ، وكان متمغ سعد زغلول نخبة من المصريين ، وصور زعماء الوفد تطبع وفوقها الهلال والصليب ، ومن النخبة هذه سينوت باشا حنا ومكرم باشا عبيد ومرقص حنا باشا . وكان خطيب الثورة المصرية هو القمص سرجيوس الذي كان يخطب في الازهر من اجل الاستقلال .

● قلت في ما قبلت انك سافرت الى السودان هل تتحدث عن تجربتك هناك ؟

ـ في العام ١٩٢٧ كنت في مصر في شبه ضائقة مادية وكان الوفد خارج الحكم . وكان لي صديقان من مدرسة المؤرنة هما ادمون يحاح وناصيف الريس (اصبح فيما بعد موظفا في وزارة الداخلية اللبنانية وهو من حاصبيا) قد سافرا الى السودان فعزمت على السفر الى هناك كي انتهي من هم الرزق .

اخبرت جورج طنوس واحمد حافظ عوض واللواء الشاعر محمد فاضل باشا بعزمي على السفر فتكلموا مع جماعة في « الوفد » على ان اكون مراسلهم السري في السودان ، ففي تلك المرحلة كان المصريون لا يستطيعون دخول السودان ، وانا لبناني ، اخذت في ذلك شهادة من الطران خانة .

كان السفر الى السودان شاقا : ١٨ ساعة بالسكة الحديد الى اسوان ثم اكثر من ليلتين بالمركب ثم ٢٠ ساعة بالسكة الحديد .. بعت بعض اغراضي واصطحبت امي .. وصلنا الى السودان .كان هناك الموسيقي نجيب شلفون وصديق اسمه الياس الاشقر .

تفتحت العين علي لانني لم اتقدم بطلب سفر الى « وكالة السودان في مصر » التي تدفع نفقات الاتين للعمل في السودان ، ودفعت انا النفقات (كنت اجهل هذا الامر) ولانني صحافي معروف في مصر فلماذا اعمل في السودان؟ احسست بالمصاعب ، كلفوا سودانيا بمرافقتي ، عندها ارسلت رسائل الى اللواء محمد فاضل باشا وصديق اخر هو الدكتور اللواء سليم باشا موصللي ! (وانا اعرف انهم سيطلعون عليها) اخبرهما اني اتيت الى السودان ، ولم اعمل بعد ، فاهتم اللواء بالمسالة ، وهكذا توقفت المضايقات . وقدمت امتحانا لدخول دائرة المالية فنجحت وعينت محاسبا في الدائرة في الخرطوم .

نشرت الى جانب عملي في مجلة « حضارة السودان » ومن آن لاخر كنت ارسل اخبارا لمصر . وقد اتصلت بسليمان داود منديل وهو مسلم متدين من اصل يهودي ؛ وكان

يملك مطبعة في الخرطوم فدفعته لاصدار جريدة سميت « ملتقى النهرين » اتخذت نهجا وطنيا بقدر ما تسمح به الظروف والرقابة .

لم يكن البيض يختلطون بالسودانيين ، وابست حزبا سريا يدعو الى وحدة مصر والسودان ، وفي يوم ارسل في طلبي صموئيل بك عطية في قسم المخابرات البريطانية (كنت آنذاك اراسل « الرقيب » المصرية سرا) وقال لي هل سمعت ان هناك من يراسل الصحافة المصرية من هنا ، قلت لا اعرف ، فقال : نحن سوريون ، وجميع السوريين يعملون ، وهنا مصدر رزق ، ونحن لا نستطيع العمل ضد النظام . هناك حركة غير إعتيادية في مصر فاذا علمت شيئا اخبرني . عند ذلك انتابني الخوف ، وفي يوم جاءني ابن الزبير باشا الزعيم السوداني الذي كان قد ثار على الانكليز . الابن كان على ما يبدو يعمل في المخابرات لكنه ذو احساس وطني . فقال لي : احرق اوراقك ، كنت املك دفتر مذكرات ودفتر شعر ، فاحرقتهما ، وكانت هذه هي المرة الاولى التي احرق فيها انتاجي .

عام ١٩٢٨ اخذت اجازة الى مصر ، وكنت قد اتخذت قرارا بعدم العودة الى السودان ، لكن وبسبب الوضع السياسي في مصر ، الحكم كان معاديا للوفد ، لم ابق هناك اكثر من شهرين عدت بعدهما الى السودان ، وهنا حدثت نادرة طريفة ، فقد انتقلت للعمل كمحاسب منتدب من دائرة المالية الى قوة دفاع السودان ، وهناك تعرفت الى رجل سوداني اسود وله شاربان اسمه عبد القادر بو عكر ، دعاني بو عكر هذا الى طعام الغداء في بيته وكان يسكن في ام درمان ، دخلت الى الصالون فرايت شجرة عائلتنا نعمة ضو ، معلقة على الحائط ابتسمت واعتقدت ان بو عكر اشترى لوحة الشجرة العائلية من واحد من آل نعمة ضو كان قد سافر وباع اثاث بيته ومن ضمنه هذه اللوحة . سألت عبد القادر من اين حصل على الشجرة ، فاجاب بانها شجرة عائلته ، قال انا من عائلة ابو عكر ، ابي لبناني ، وعمي فلان ، وابن عمي هو جوزيف ابو عكر : ترجمان السفارة الفرنسية في مصر ، والمفوض السياحي في لبنان مد ذلك وروى ان والده اسلم خلال حرب المهدي وتزوج ، وقد كتب لابن عمه المؤرخ جرجي بك صفا ، وعرض عليه المسألة فاجابه بان يبقى حيث هو ، فاسلم ، ونحن اولاده .

وبعد فترة ! وعندما عدت الى لبنان ، وكان الانكليز يسعون الى سودنة السودان ، من اجل اعطائه استقلاله رايت على غلاف مجلة سودانية صور ثلاثة رجال عينوا لسودنة السودان ومن بينهم كانت صورة شقيق عبدالقادر وهو اميرالاي وطبيب فتصور اننا نحن اللبنانيين شاركنا في سودنة السودان .

ومرة ، في بيروت ، زارنا اخوه ، وهو اسود البشرة ، ومعه رسائل من جرجي بك صفا ، كان قد ارسلها الى ابيه ، ويريد التعرف الى الاهل ، فارسلته الى اولادجرجي صفا ، ثم دعوه الى دير القمر واحتفوا به هناك ، وادخلوه الى كنيسة دير القمر .

● وكيف كانت عودتك الى لبنان ؟

ـ عام ١٩٣٠ كان لي اجازة لمدة ثلاثة اشهر ، فقررت الذهاب الى مصر للعمل في الصحافة ، حيث كانت الحكومة في يد الوفديين . وعندما وصلت الى الاقصر ، سمعت بائع الصحف يصرخ : « استقالة الوزارة يا جدع » والف الوزارة الجديدة اسماعيل باشا صدقي ، اليد الحديدية والمعادي للحريات ، ففهمت ان الاقامة في مصر صارت مستحيلة ، وكان معي في القطار رجل اسمه رشيد مطر وهو من ضهور الشوير ، فنصحني بالمجيء الى لبنان لقضاء الاجازة ، والتعرف الى وطن ابي ، فاكملنا امي وانا طريقنا الى لبنان وصعدنا الى ضهور الشوير .

وفي لبنان كان اوغست باشا اديب ، رئيسا للوزارة اللبنانية ، وانا كنت قد كتبت له كلمة تهنئة بتوليه الوزارة ، فبعث الي برسالة الى ضهور الشوير يطلب فيها رؤيتي ، فابلته وحضر المقابلة رئيس ديوان الوزارة الامير فايق شهاب والد النائب السابق عبد العزيز شهاب ، وعندما دخلت نظر الي الامير فايق وقال لي، سعيد اديب، يوم هجرته كان يشبهك ، انه انت ، نظر الي اوغست باشا وقال انت سعيد اديب وتاثر كثيرا .

وقررت ان ابقى .

اكتشفت في لبنان هذا الجمال ، كلما التفته تجد لوحة امامك ، وكانت ضهور الشوير رائعة ، فقررت ان ابقى .

عينوني في مصلحة البندرول (وهي مصلحة كانت تقوم بوضع البندرول اي ختم الدولة على علب السجاير). عينوني في وزارة المالية مفتش بندرول في صيدا ، فرفضت لاني لم اكن اريد الاقامة هناك .

ذهبت الى جريدة « النداء » التي كان يصدرها كاظم الصلح وتقي الدين الصلح ، وكان مديرها هو عادل الصلح ، وهي جريدة وطنية ، وكنت انا معروفا بصفتي الوفدية ، فاحتفوا بي ، وكان يعمل فيها آنذاك توفيق يوسف غواد وكامل مروة واحمد زكي الافيوني .

● اذا عدت في لبنان ، الى الصحافة ؟

ـ بدات عملي الصحافي بفضيحة ، فقد كان هناك احتفال بازاحة الستار عن النصب القديم للشهداء ، وفي برنامج الاحتفال سوف يلقي اوغست باشا اديب ، رئيس الوزراء ، خطابا باللغة الفرنسية ، وذلك بمناسبة وجود الماريشال فرانشين ديسبيري ، الذي سيرعى الاحتفال. فكتبت في « النداء » مقالا غير موقع عن بلد العجائب الذي

يخطب رئيس وزارته باللغة الاجنبية ، غير ان كاظم الصلح وضع توقيعي على المقال . على اثر الضجة التي اثارها المقال ، تغير البرنامج ، بحيث ان موسى نمور بفتتح الاحتفال بخطاب، ثم يلقي رئيس الوزراء خطابه بالفرنسية اكراما للضيف .

بعدها قمت بحملة على التمثال نفسه ، الذي صممه الفنان يوسف الحويك ، لأنه يعبر عن الطائفية ، اذ نرى امراة مسيحية من جهة وامراة مسلمة من الجهة المقابلة، من اجل الوحدة الوطنية . وقمت باجراء حديث مع احد الشهداء الاحياء ، بترو طراد ، الذي حكم عليه بالاعدام ، فسالته عما اذا كان يوافق على هذا النصب ، فقال لا . نشرت الحديث كما تشيت في « النداء » .

واللافت، ان المقال كان له تاثير كبير ، اذ قام مناضل من آل سليم من الشوف ، بكسر انف النصب ، فقبض عليه ، وخلال محاكمته قدم المتهم تصريح بترو طراد في « النداء » لتبرير دوافعه ، فنال البراءة .

كما عملت في « العلبصفة » مع كرم ملحم كرم ، ونشرت فيها الكثير ، وعملت معه في « الف ليلة وليلة » حيث قمت بترجمة قصة عن اللغة الفرنسية .

عام ١٩٣١ حصلت على رخصة لاصدار جريدة باسم « البدائع » ، واعلن عنها بشارة الخوري (الاخطل الصغير) في جريدته ، ثم ما لبث ان اقنعني بالعدول عن إصدارها، على ان تكون كملحق في جريدة الاخطل الصغير « البرق » .

كما عملت في « المعرض » لميشال زكور ، وكنت قد راسلتها خلال اقامتي في السودان . وكان يعمل فيها ايضا عصبة العشرة المؤلفة من ميشال ابي شهلا والياس ابو شبكة وفؤاد حبيش وخليل تقي الدين ، وقد هاجمت « عصبة العشرة » احمد شوقي والاخطل الصغير ، واثر هذا الهجوم الاخطل الصغير لانه كان يرعى الياس ابو شبكة ورئيف خوري ، ويصحح لهما .

في « المعرض » ، عملت مع رسام هو رافت بحيري، وكان صديقا لي ونفكر باصدار مجلة، حاولنا محاولة اولى مع الاخطل الصغير في « البرق » ، التي كانت تحمل كتابة، يشترك في التحرير ، البير اديب . واصدرنا فيها عددا خاصا ، عن جبران خليل جبران ، ثم تركنا « البرق » وعملنا في « الشعب » لصاحبها الشاعر امين نخلة .

● **هل تحدثنا قليلا عن الحياة الادبية في بيروت آنذاك ؟**

ـ كنا في البداية نجتمع في مقهى « شقير » ، الذي اصبح مقهى « فتوح » في ساحة البرج ، وكنا مجموعة من الادباء والمفكرين ، انا ورافت بحيري وياسر الادهمي وعبد الله القبرصي ، جان جلخ ، ميشال ابو شهلا ، الاخطل الصغير ، ابراهيم سليم النجار ، اميل لحود ، صلاح المنذر ، سعيد الصباغة ، يوسف ابراهيم يزبك ، علي ناصر الدين ، عارف الغريب ، حنا غصن . وكان البعض يأتي من الشام والعراق قاصدا المقهى .

مرة كنا في المقهى الاخطل الصغير، وانا، عندما جاءنا رجل مصري وقال انه والد مغنية ، وستغني في « كوكب الشرق » قصيدة للاخطل الصغير ، ودعانا الى حضور الحفلة . ذهبنا ، فلاحظت ان مبنى « كوكب الشرق » يرج عند مرور الترامواي ، جلسنا قرب العمود ، ثم غادرنا . وفي صباح اليوم التالي انهار مبنى « كوكب الشرق » ، وحدثت الكارثة .

● **وماذا عن عملك في راديو الشرق ؟**

ـ عام ١٩٣٨ طلب مني انشاء راديو الشرق ، وهو من المصالح المشتركة بين سوريا ولبنان ، وكنت في هذه الاثناء قد اسست المجمع الموسيقي الشرقي الذي كنت رئيسا له ، وقتها لحن نجيب الشلفون قصائد لخليل تقي الدين وامين نخلة وصلاح لبكي وجبران ورياض المعلوف وكان التلحين مبتكرا ، والمغني هو محمد البكار ، مغن موهوب ، ذهب بعدها الى مصر ، واقمنا حفلة في التياترو الكبير ، يومها تحمس جبران التويني للموضوع وتمت الحفلة ، وكتب توفيق يوسف عواد ان التلحين والانغام تتحرر من التاثير المصري ، على يد الشلفون .

في مسالة راديو الشرق حدثت مشكلة ، السوريون يريدون سوريا واللبنانيون يريدون لبنان ، وانا كنت على اتصال بالكتلة الوطنية في سوريا ، الى درجة انني كنت وكيل مشروع الفرنك في لبنان ، وهو مشروع جمع التبرعات الذي وضعه فخري البارودي من اجل دعم الصناعة الوطنية ، فاقترح البارودي تعييني على اعتبار انني ماروني ومسيحي وسوريا ترضى بي ، وانا كنت مناضلا ضد الاستعمار الى درجة ان جريدة « الاوريان » سمتني الماروني المشلول ، نظرا لمواقفي ضد الاستعمار .

قبلت العرض مشترطا ان لا اكون موظفا ، وكان ذلك في زمن الكونت دومارتل ، وكانت مسالة المعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية والسورية ـ الفرنسية ، اي كانت مرحلة تنازلات من قبل الفرنسيين . وعملت في الاذاعة ، واكتشفت اني لا املك اية تجهيزات حقيقية فاضطررت الى جلب عازفين وملحنين منهم نجيب الشلفون وسليم الحلو ونقولا المني ، وبحثنا عن الاصوات فأتاني فليمون وهبي ، ووديع الصافي ، وكان اسمه وديع فرنسيس . فاعجبت بصوته وقلت له انت تغير اسمك وتصير وديع الصافي ، وهكذا كان .

وقد احدثت تغييرا في طريقة عمل الاذاعة، في الماضي كان المغني يغني وقتا طويلا ، طقطوقة فمونولوجا فدورا ، فقلت هذا لا يجوز ، الاذاعة ربع ساعة ، يغني المغني ربع ساعة فقط ثم يأتي غيره ، واذا غنى رجل تغني امراة من بعده وبعدها حديث . طريقة العمل هذه كانت جديدة واثرت على العالم الاذاعي العربي باسره ، الى درجة ان

يحيى اللبابيدي جاءني من الاذاعة الفلسطينية ليرى طريقة الربع ساعة هذه .

ثم نشبت الحرب العالمية الثانية ، وبدات الدعاية ضد النازية ، وسلموني مركز الدعاية ضد النازية والفاشية ، انشأت مكتبا وعمل معي عمر فاخوري واليأس ابو شبكة ومحمد النقاش وأمين الغريب ، ورئيف خوري، كما تعاون معنا قدري قلعجي ، وفاضل سعيد عقل واحمد دمشقية ونجيب اليان وكريم عزقول وميشال اسمر .

● **وكيف انشأت مجلة « الاديب » ؟**

ـ قبل عملي في الاذاعة ، كنت اعمل في الصحافة ، ولكنه عمل لا يطعم خبزا ، وقد ساعدني صديقي الدامـاد احمد نامي بك رئيس الدولة السورية السابق ، وصديقه عارف بك النعماني الذي كان يعمل مديرا لسباق الخيل ، فعينني مساعدا للسكرتير العام للسباق الياس الشدياق ، براتب ضخم ، فانقذني هذا الراتب .

في هذه الاثناء كانت « المكشوف » لفؤاد حبيش ، تصدر ويكتب عليها « يشترك في التحرير البير اديب » ، وكانت مجلة عارية ، وكان فؤاد حبيش يكتب كثيرا عن العري .. اخذت صفحتي من « المكشوف » وحررت فيها اخبارا ادبية وفنية لا علاقة لها بالعري ، وكنت اوقع باسم « كازانوفا » ، وبعد السنة الاولى حاولت اقناع فؤاد حبيش بتحويل « المكشوف » الى مجلة ادبيـة ، وعاونني في ذلك خليل تقي الدين ، لكن حبيش اتفق مع تقي الدين وجرى تحويلها الى مجلة ادبية .

في تلك المراحل، كانت فكرة المجلة تراودني، عرضت الفكرة على الدكتور نقولا فياض ، وكان يلقب بخطيب الشرق : فكان لطيفا معي ، وعندما اصدرت « الاديب » قال لي انه لم يقبضني بشكل جدي . وكنا ، الدكتـور نقولا فياض ، ورئيف ابي اللمع وحبيب ثابت وانا ، نجتمع في منزل ابي اللمع من اجل اعداد المجلـة ، لكن هـذه الاجتماعات اوصلتني الى الياس ، وقد كتبت لصديقي الشيخ فريد حبيش في مصر ، اقول له اننا نجتمع كل ليلة فناكل ونجتمع ، ثم نجتمع اجتماعا اخر .

وبعد عملي في مكتب الدعاية ضد النازية والفاشية، قررت اصدار المجلة ، فطلبت رخصة ، لكنهم تاخروا في اعطائها ، وقد صدر العدد الاول من مجلة « الاديب » في اول كانون الثاني عام ١٩٤٢ ، صمم غلافه ، الذي بقي الى اليوم الفنان رافت بحيري ، وهو الذي شجعني كثيرا على اصدار المجلة . اما كتاب العدد الاول فكانوا : البير اديب ، عمر فاخوري ، جبران التويني، فريدنجار، ميشال ابي شهلا ، الياس خليل زخريا ، امين الغريب ، منـير النصولي ، كرم ملحم كرم ، صلاح الاسير ، الياس ابو شبكة ، فلك طرزي ، اسكندر الشلفون ، ميشال طراد ، رضوان الشهال ، جبرائيل جبور :

في « الاديب » ، تشكلت في اواخر عام ١٩٤٣ ، اسرة تحرير مجلة « الاديب » التي اتخذت لنفسها منهجـا سياسيا ، وكان من اعضائها : الشيخ عبد الله العلايلي ، الشيخ الياس خليل زخريا ، نقولا فياض ، نور الديـن بيهم ، محمد علي الحوماني ، صلاح الاسير وانا . وكنـا نصدر بيانات باسم اسرة « الاديـب » ، وقد اقلقنا راحة الحكومة . ففي هذه السنوات ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ، كانت « الاديب » ملتقى الزعماء السياسيين ، فياتي الى المكتب عبد الحميد كرامي ، كمال جنبلاط ، كميل شمعـون ، احمد الاسعد ، سامي الصلح ، وانشانا كتلة التحرر الوطني التي كان يرئسها عبد الحميد كرامي ونائبه الفرد نقاش ، وكنت انا امينا للسر ، وهذه الكتلة ساهمت في المعارضة ضد الشيخ بشارة الخوري .

الشعر الحديث ، وخاصة الشعر العراقي ، نشـأ كله تقريبا في مجلة « الاديب » ، نازك الملائكة ، عبد الوهاب البياتي ، بلند الحيدري ، صفاء الحيدري، والسياب الذي لم ينشر كثيرا في « الاديب » . وغيرهم . ومرة ارسل لي احد كبار الشعراء العراقيين المعاصرين مجموعة مـن القصائد للنشر . وبينها قصيدة واحدة من الشعر الحر، وكتب لي انه ينهج في هذه القصيدة على منوالي : فنشرت القصيدة الحرة ، واهملت الشعر العمودي . وبعد مدة كتب هذا الشاعر الي بانه لاحظ اهمالي للقصائد العمودية وانه قرر ان يكتب الشعر الحر ، وارسل الي العديد من قصائده الجديدة . كما نشأت القصة العراقية في الاديب عبد الملك نوري وغائب طعمة فرمان وشاكر خصبـاك وفؤاد التكرلي .

في المرحلة الاخيرة بعدت « الاديب » عن السياسـة وصارت توجيهية قومية ، لان الاحزاب كثرت والمشكلات كثرت ايضا ، فانا تقوقعت ، لانني اعتبرت هذا الواقـع نكسة للقومية العربية ، صراعا بين الدول والاحزاب .

«وتشتتوا فرقا فكل قبيلة فيها امير المؤمنين ومنبر»

انتقلت من المكتـب الى البيـت ، لان حـالة « الاديب » المادية ساءت ، في البداية كان مكتبـنا في اللعازارية في وسط البلد ، ثم انتقلنا الى باب ادريس بعد هدم المكتب ، ثم الى البيت . وان البيـت على خطوط التماس ، وكما ترى ، اصدرها وحدي على الرغم من كل الصعوبات .

انا اعتبر « الاديب » مسجلا للحركـة الثقافيـة والفكرية في العالم العربي ، فانشر جميع الانواع، الشعر العمودي والشعر الحر ، لكن الشرط الوحيد هو الجودة .

والآن بعد هذا الكفاح الطويل ، انا لا املك شيئا ، اترك لابنتي ندى وهدى شرفا حقيقيا ، وهو انني كنت رجلا شريفا .

● **هل تحدثنا قليلا عن بعض الشخصيات الادبية**

في لبنان ؟

ـ رئيف خوري : كان واحدا من اعز اصدقائي ، وكان ينشر في « الاديب » ، بشكل دائم ، وهو كاتب عميق ومتمكن .

ـ سعيد عقل : جاءني صديقي صلاح لبكي ، وقال انه يريد تقديم شاعر جديد الي وهو من مدينة زحلة ، وجاء سعيد عقل ، وكان شابا خجولا ، فاسمعنا قصيدة « المجدلية » وهي قصيدة رائعة ، ثم اسمعنا قصيدة ثانية ، وقال انه يكتب شعرا بالعامية ، واسمعنا بعضا منه، قلت له ان شعره العامي رائع، وسالته لماذا لا ينشره، فاجابني بانه لن ينشره . ثم قلت له ان المفردات تنقص قصائده ، لانه يكاد يعيد المفردات نفسها ، فوافقني على ذلك .

ـ الياس ابو شبكة : كان يحب بشكل عذري ، ولم يكن يقيم علاقة بالموسات ، هذا كلام فقط .

ـ بشر فارس : عندما مات كتبت لقد سقط تاج المجد عن راسنا . هذا رجل رائع . وعندما هاجم خروشوف الرسم الحديث ، نشر في « اخر ساعة » في مصر مجموعة من الدراسات عن الرسامين التجريديين الروس ، وكان خبيرا في الفن الاسلامي ، بشر فارس هو في الاصل من بلدة بحرصاف ، وكان امينا لسر المجمع العلمي في مصر ، وقد نشر له يوسف الخال مسرحية شعرية هي « جبهة الغيب » .

ـ ثريا ملحس : نهجت على نهجي في اول الامر ، فنشرت لها ونجحت ، خاصة في مجموعة اسمها « النشيد التائه » .

● وماذا عن منشورات « الاديب » ؟

ـ نشرنا الكثير من الكتب ، بينها « لا هوادة » لعمر فاخوري ، « الواحة » لصلاح الاسير ، « سارق النار » لخليل الهنداوي ، « والمعري ذلك المجهول » للشيخ عبد الله العلايلي ، « عشتروت وادونيس » للدكتور حبيب ثابت ، و « سحر » للدكتور بديع حقي ، و « الليالي والنجوم » و « بنت الساحرة » للدكتور عبد السلام العجيلي ، « وفي بلاطات الملوك » لنسيم نصر ، وديوان عمر ابو ريشة .. وغيرها .

● ننتقل الان الى عملك السياسي في لبنان ، فانت احد مؤسسي الحزب التقدمي الاشتراكي ؟

ـ انشات في البداية جماعة الوعي العربي بالاشتراك مع الشيخ عبد الله العلايلي والياس خليل زخريا ومحمد علي الحوماني وصلاح الاسير ونور الدين بيهم ، ثم ضمت جماعة الوعي العربي الى عصبة العمل « القومي » .

وفي ١١ تشرين الثاني عام ١٩٤٣ ، وعند اعتقال رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشارة الخوري ورفاقه في راشيا ، فرضت علي الاقامة الجبرية في منزلي الكائن في طريق الشام . وجاءني ليلا صحافي معروف يعمل في الامن العام وقال ان هناك تقريرا يتهمني بتهريب السلاح الى بشامون ، وايقنت ان الفرنسيين يريدون الايقاع بي هذه المرة ، فاعطيته معلومات لا تؤدي الى ادانتي . وعاد بعد فترة ليقول لي انهم كتبوا على الملف « للحفظ » ، وهكذا تلافيت ملاحقات الامن العسكري . وقد صادر الفرنسيون اوراقي ، ومن ضمنها مجموعة شعرية لم تنشر، ومذكرات ، ومجموعة رسائل .

ومرة جاءني كمال جنبلاط ، وكان متتبعا للاديب ، وكان مشتركا في مجلة « الاديب » ، وانا رايت فيه شابا مثقفا وساندته كثيرا ، ثم اقترح انشاء حزب سياسي فتمنيت عليه البقاء في الميدان التوجيهي كما كان شكيب ارسلان ، لكنه اصر ، وقررنا ان يكون الحزب اشتراكيا وسميته الحزب التقدمي الاشتراكي ، وكنا مجموعة مؤلفة من المحامي فؤاد رزق وجورج فيليبيدس وجميل صوايا والشيخ عبد الله العلايلي وفريد جبران وكمال جنبلاط وانا ، فكتبنا نظام الحزب وقانونه الشيخ العلايلي وانا كما ساهم فؤاد رزق في الكتابة ، ثم اعلن الحزب واعلن جنبلاط رئيسا وانا امينا عاما للسر .

وفي عام ١٩٤٨ ، دعينا الى مهرجان كبير في عاليه ، فجاءت الوفود من كل جهة ، وانا القيت خطابا في المناسبة، دعوت فيه الى تاييد نضال الشعب الفلسطيني في ارضه، على ان تكون البلاد العربية حزام امان تمده بالمعونات، كما كان شان الجزائر .

● نعود الى الشعر ، فانت شاعر في الاساس ، لكنك لم تنشر سوى مجموعة شعرية واحدة هي « لن » فما هي ظروف نشرها ؟

ـ جاءني يوما السيد مشاقة ، مدير دار المعارف بمصر ومعه عادل الغضبان المشرف الادبي على الدار ، وطلبا مني مجموعة شعرية ، وانا لم اكن قد اعددت شعري المنشور في مجموعة جاهزة ولكن بناء على الحاحهما طالبت بمبلغ الف ليرة واعطائي ٢٥٠ نسخة ، فوافقا ، ووضعاني بذلك امام الامر الواقع ، فجمعت ما تيسر من قصائدي المكتوبة منذ عام ١٩٢٦ . واعطيته اياها . ولدي الان في منزلي مجموعة شعرية ، ليتها تسلم من القصف والنهب .

انا لا اكتب الشعر هكذا ، اشعر بانفعال ، وتحت تاثيره اذهب في شبه غيبوبة ، واكتب القطعة الشعرية من اولها الى اخرها ولا اتوقف الا عندما تنتهي . وعندما يعود وعيي الي لا اعدل فيها ولا اغير . واذا لم يحصل الانفعال فانا لا اكتب .

انا في الاساس نظمت الشعر بالفرنسية ، ثم حاولت بالعربية ، فوقفت الاوزان في وجهي ، وكنت اشعر ان الوزن يقف عقبة في وجه الفكرة التي تعتمل في مخيلتي ، فلجات الى هذه الطريقة الجديدة ، التي اعبر فيها عن نفسي بشكل افضل . نشرت في كبرى المجلات الادبية . مجموعة « لن » كتب عنها ما لم يكتب عن كتاب ، كتب

لحظات الوداع

*

كيف أنسى وقت الوداع وقد صا ... فحت روحي بنظرة من خشوع
وتلاقى الكفان في نبضات الـ ... ـخوف والحزن للفراق المريع
ووجمنا والعين بالعين غابت ... في بحار الأسى وراء الدموع
ووقفنا من خلف باب التبكي ... كل اعماقنا ليوم الرجوع
تتمنين وصلنا ابديا ... دون عود لشملنا المقطوع
وشعاع المساء يوريك حزنا ... وذبولا كذائبات الشموع
خفقت من لحظة الفراق فاسبلـ ... ـت جفونا في حرقة وخضوع
وافترقنا والليل يرخي ستولا ... فوق ليل الفراق بين الضلوع

الجفر ـ السعودية — علي ثمر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احمد زكي ابو شادي واحمد امين وزكي المحاسني وابراهيم العريض ، ويوسف الخال كتب عن « لمن » قائلا انها شعر المستقبل حتى ان ايليا ابي ماضي كتب في جريدة « السمير » ، هذا ليس شعرا ولكنه شيء جميل .

لم اصدر مجموعات شعرية اخرى بسبب همنوم المجلة وانصرافي لها ، وعندي الان مجموعة شعرية نهجت فيها اسلوبا اكثر تطورا .

● **وكيف ترى الان الى الواقع الثقافي العربي ؟**

ـ لا شك ان هناك بواكير تبشر بالخير ، ولكن في الفترة السابقة كان هناك نهضة كبرى ، وكان هناك اسماء ضخمة . الان نحن في حالة جمود ففي ذلك العصر لمع طه حسين العقاد ومحمد حسنين هيكل واحمد شوقي وخليل مطران وغيرهم .. وهذا الان غير موجود .

● **والموت ، الا تخاف من الموت ؟**

ـ قبل الجواب على هذا السؤال اريد ان اخبر حادثة جرت معي خلال الحرب الاهلية عام ١٩٥٨ . فهناك شخص اسمه البير ديب خلق لي الكثير من المشكلات ، وكان يتعاطى في السياسة ويصدر منشورات ضد اليسار ، جاءني محمد دكروب وقال لي ماذا تفعل يا استاذ ، فاصدر تبيانا اعلن فيه ان لا علاقة لي بما ينشره البير ديب . وفي ثورة ١٩٥٨ قتل البير ديب كان عند حلاق في راس بيروت واغتيل ، فاذاعت وكالات الانباء ان البير اديب قد قتل . فبدات ترد برقيات التعزية ، والصحف تنشر التابين والقصائد . والذي اشاع خبر موتي هو حبيب جاماتي الذي كان يعمل في مجلة « المصور » في مصر . ونشرت جميع المراثي في مجلة « الاديب » تصور فانا عشت تأبيني وانا حي .

الموت ، لا اخاف من الموت ، اخاف من العذاب ، الموت هو التحرر من كل شيء .

● **والله ؟**

ـ انا مؤمن بالله ، مررت خلال شبابي بفترة كفر ، لكني مؤمن ، لا امارس الطقوس وايماني هو مع الله . والله دائما معي ، في الملمات اشعر بان الله لم يتخل عني .

عن مجلة « الكرمل »

ولادة

نسيم الحاج حسين

اسميك ولادة ...
واحبو على اصابعي .. نحو القمر ..
لاذر في عينيه الرماديتين ..
اشلاء .. من كتب آهاتك .. فتتوهج
فاكتب اغرودة جديدة
اسمعت ولادتي
عن اشرعة .. تقود الرياح ؟
اسمعت .. عن بحار ما هدات ..
الا لتثور ؟.. ربما دمائي
ايه ولادتي ..
والزمن يغني ليعيد ذاته
وانا اغني لاعيد ذاتك .. ربما العصافير

*

ايه ولادتي .. ويا ينبوع الحب .
ويا من تسمع همسات .. الترجس
واغنيات السكون ..
الم تسمعي صراخ قلبي .. ربما الموت
ايه ولادتي
ومن اعماق الليل ..
يعزف صوتك .. وتصدح موسيقاه
يضارع آهاتي .. وربما الناي
ايه ولادتي ..
سوريني شوقا ..
وغمريني .. زهرة
تنبت .. وتغني
بعيدا عن عبث الفصول
ايه ولادتي
والذكرى ناقوس ..
يدق في شرايييني ..
ويعزف اطروحة اخرى .. للاه .. ربما الزمن .
ايه ولادتي ..
يا امراة ولدتني عيناها

*

عندما اغضب الرقاد جفناها
فيا ريح داعبي شفاها .. ربما القمر
ايه .. وايه .. ايها الحبيب .
الق عصا الترحال ..
الق عباءك .. الريفي
وتدثر بالشمس ... ربما القمر
واصل القمر .. حبوا
وتحترق اصابعي .. نزفا
كلما شابت السماء ..
فابتسمت ولادتي ..
ربما فرحا ..
وربما دموعا ..
فبنتم .. وبنا ..

سلمية ـ سورية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com